

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي - الجزائر -

جامعة أحمد درايعية - أدرار -



كلية العلوم الإسلامية

قسم أصول الدين

التفسير الموضوعي عند طه جابر العلواني من خلال كتابه " تفسير القرآن بالقرآن " - الضوابط والخصائص -

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الدكتوراه (ل.م.د) في العلوم الإسلامية
تخصص: التفسير وعلوم القرآن

= إشراف:

د - مدياني مصطفى

= إعداد:

ونجلي فاتح

❖ أعضاء لجنة المناقشة:

الرقم	اللقب والاسم	الرتبة	المؤسسة	الصفة
01	أ.د. دفرور رابح	أستاذ التعليم العالي	جامعة - أدرار -	رئيساً
02	د. مصطفى مدياني	أستاذ محاضر - أ -	جامعة - أدرار -	مشرفاً ومقرراً
03	د. العربي عبد الرحمن	أستاذ محاضر - أ -	جامعة - أدرار -	ممتحناً
04	د. قاسم فاطمة	أستاذ محاضر - أ -	جامعة - أدرار -	ممتحناً
05	أ.د. جعفر عبد القادر	أستاذ التعليم العالي	جامعة - غرداية -	ممتحناً
06	أ.د. محمد خالد اسطبولي	أستاذ التعليم العالي	جامعة - أدرار -	مدعواً

السنة الجامعية: 1445 - 1446 هـ / 2024 - 2025 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



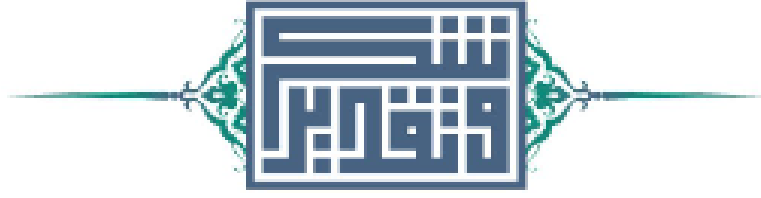
الحمد لله المنعم بالخيرات والفهوم، الموفق لمن يشاء إلى خدمة أفضل العلوم، على أن منحني العزم على إنجاز هذا العمل والسعي في إعداده حتى نهايته، فشكره علي واجب، وفضله وكرمه علي غالب، وإني للاستزادة من فضله راغب، فلك الحمد إلهي ملء السّماوات والأرض وما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد.

قال ﷺ: ﴿وَوَضَّيْنَا لِلْإِنْسَانِ يُولَدِهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت: 08]، أسأل الله أن يجعل ما بذلته في هذا العمل في ميزان حسنات والدي رحمه الله، وسبباً في برّ أُمِّي حفظها الله. أهدي هذا العمل:

- ❖ للزوجة الكريمة ﷺ أمّ لؤي ﷺ وابني العزيز وحيدي لؤي، سرّ سعادتي ومبعث بهجتي وأيقونة دنياي، حفظهما الله ورعاهما.
- ❖ لأسرتي العائليّة، إخوتي الأعزاء رفقاء درب العناء والهناء، وأختي الغالية وزوجها المخلص وذريّتهما آسيا وعبد الرّحمن ومريم البشوشة حفظهم الله جميعاً.
- ❖ لأسرتي التّربوية كلّها، وأخصّ بالذّكر من المؤسّسات الأسرة التّربويّة بثانوية أبي حامد الغزالي بأدرار، ومن الأسلاك سلك مديري الثّانويات، فهم مدرستي في الحياة، ورفقتي الصّالحة لأداء رسالة العلم والتّربية لأجيال جزائرنّا الشّامخة.
- ❖ للأسرة الجامعيّة طلاباً وموظّفين وزملاء الدّفعة.
- ولكلّ من يسعى جاداً لخدمة كتاب الله ﷻ.

إليكم جميعاً أهدي هذا العمل، وأشارككم أمني أن يكون التّوفيق لنا جميعاً

لبلوغ المني وحصد النّجاحات.



أخرج الترمذي في سننه وصححه الألباني أنّ رسول الله ﷺ قال: « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » ، ولأنّ الجميل محفوظ لأهله عند أهل الفضل الذين صفت قلوبهم وزكت نفوسهم، فإنّ كلمات الشكر والتقدير وإن كانت لا توفيكم حقكم ولا تصف مدى امتناني لكم وعرفاني بفضلكم، ولكن حسبي أن أقولها فتصلكم، فعذوبة الكلام من أجمل الذكريات وأنقاه.

❧ وامثالا لقوله ﷺ ولما يختلجني من مشاعر صادقة، أقدم شكري لمن كان سببا مرافقا ملازما لي من أول بحثي إلى آخره، في رسم ملامحي وتصحيح عثراتي وتوجيه عملي ومشاركتي جهدي بتقديم التوجيه إلى الأصوب والتسديد إلى الأصلاح؛ الأستاذ الفاضل المشرف: الدكتور مدياني مصطفى، أسأل الله أن يبارك جميع جهوده في خدمة العلم والمعرفة، وأن يرزقه التوفيق في شؤونه وأموره كلّها.

❧ كما أتوجه بالشكر والتقدير إلى رئيس المشروع الخاصّ بدفعتنا هذه، والذي رافقنا خلال هذه السنوات: الدكتور حدي بلخير، فجزاه الله عنا وعن كلّ طلاب الدفعة وطلاب العلم خيراً وأجرأ وثواباً ونوراً يضيء له دربه وسيله في الدنيا والآخرة، فإنّه وليّ ذلك والقادر عليه.

❧ كما لا يفوتني وما ينبغي أن يفوتني شكر كلّ من أمّدوني بيد العون وأسّدوا إليّ بجميل النصيحة، ورافقوني رحلة بحثي فكانوا لي نعم العون والسند والعضد، وأخصّ بالذكر السادة الدكاترة: الدكتور دفرور رابح، والدكتور مساعد الطيّار، والدكتور بن عراج عبد الرحمن، والدكتور طهراوي عبد القادر، والدكتور الخراز عبد القادر، والأستاذ عويسي نور الدين.

❧ والحمد لله ربّ العالمين ❧

مقدمة الدراسة

مقدمة:

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له ومن يضلَّ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ، اللهم صلِّ وسلِّم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإنَّ علم تفسير القرآن من أجلِّ علوم الشريعة وأرفعها قدراً، إذ هو أشرف العلوم موضوعاً وغرضاً وحاجة إليه، فموضوعه كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كلِّ حكمة، ومعدن كلِّ فضيلة، وبيان لكلِّ أمر، والغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول إلى السعادة الأبدية، فما في هذا العلم من الراحة والطمأنينة والرفعة والبركة والطهارة لا يعدله شيء.

وقد اتَّسمت الحقبة المعاصرة ببروز محاولات جادة لتجديد فهم القرآن الكريم وتفسيره، ومقاربة موضوعاته لتلامس الواقع وتركز على القضايا الكلية، فتعددت التفسيرات، وتنوّعت الاتجاهات، وتشتت أغراض التفسير ما بين مقبول ومردود، وفي خضمِّ ذلك ظهر التفسير الموضوعي واهتمَّ بربط القرآن بالحياة، وبترتيب المجال لكلِّ مفسِّرٍ أو باحثٍ كي ينهل من هدايات الوحي فيبلغ مرحلة الفهم الصحيح الذي تُعالج من خلاله الأزمات وتُحلَّ به المشاكل والمعضلات، وبالتالي يتحقّق الوفاء بحاجات هذه العصر ومتطلّباته ومستجدّاته. إلا أنَّ هذا النوع من التفسير ما يزال يفتقد لضوابط منهجية وخصائص معرفية ترسم حدوده وتجنّب القراءات التحزيبية القديمة أو القراءات الحداثيّة المنفلتة.

❏ عنوان الدراسة: ترتبط هذه الدراسة بالتفسير الموضوعي أحد أنواع التفسير الأربعة وأحدثها، وبمفسِّر من أبرز من فسّروا القرآن في العصر الحديث، وبكتاب تفسير حديث صدر مطلع العقد الجاري، ومن هذا المنطلق جاءت تحمل عنوان:

التفسير الموضوعي عند طه جابر العلواني من خلال كتابه "تفسير القرآن بالقرآن"
-الضوابط والخصائص-

❏ إشكالية البحث:

يرد موضوع هذه الدراسة في سياق تناول أحد الجهود المعاصرة في توظيف التفسير الموضوعي بروح جديدة تتجاوز التكرار التقليدي وتركز على المقاصد الكلية للقرآن الكريم، وهي دراسات في تزايد وتنوّع وتطوّر، ومنها هذه الدراسة التي تتعلق بطه جابر العلواني الذي تُعتبر بعض أفكاره الاجتهادية مثاراً للجدل، ويُعدّ صاحب مشروع يؤسّس لمنهج متكامل في التفسير الموضوعي يعتمد

على القرآن الكريم نفسه، وهذا لاعتقاده أنّ القرآن يُفسّر نفسه بنفسه دون حاجة لاستمدادات من خارجه، ولاعتماده على ضوابط رأى ضرورة مراعاتها عند تفسير القرآن الكريم. ولا شك أنّ الضوابط تجعل التفسير قائماً على أسس علمية ومنهجية سليمة، ومستنداً على مصادر موثوقة تحمي معاني القرآن الكريم من التأويلات المنحرفة أو الخاطئة، كما أنّها تفرض على المفسر التحلي بأداب محدّدة، فتضمن له صحّة الفهم وسلامته، وتكسب التفسير خصائص تُميّزه عن غيره.

وقد جاءت هذه الدراسة لتقف على مؤهلات طه جابر العلواني وجهوده، ولتبرز علاقة مشروعه بالتراث التفسيري من جهة، وبالواقع الفكري والحضاري المعاصر من جهة أخرى، ثم لتُصنّف تفسيره ضمن حدود التفسير الموضوعي بحسب منهجيته وضوابطه وخصائصه، وقد اقتضى بلوغ الغاية من هذه الدراسة طرح الإشكالية التالية:

كيف صاغ طه جابر العلواني من خلال كتابه " تفسير القرآن بالقرآن " مشروعه للتفسير الموضوعي ؟ وإلى أي مدى استطاع أن يُقدّم رؤية منهجية واضحة تستوعب التفسير الموضوعي ؟

وتتفرّع عن هذه الإشكالية الرئيسية التساؤلات التالية:

هل امتلك طه جابر العلواني مشروعاً واضحاً لتفسير القرآن الكريم تفسيراً موضوعياً ؟ وما الخصائص المعرفية والفكرية التي طبعت مشروعه ؟

كيف وظّف طه جابر العلواني التفسير الموضوعي عند تفسيره للقرآن الكريم ؟ وهل تتفق تطبيقاته التفسيرية مع المقومات النظرية والخطوات المنهجية للتفسير الموضوعي في كلّ نوع من أنواعه ؟ ما هي الضوابط التي احتكم إليها طه جابر العلواني لتفسير القرآن الكريم تفسيراً موضوعياً ؟ وهل انعكست على تفسيره الموضوعي للقرآن الكريم فتميّز بخصائص عن غيره من التفسيرات الموضوعية المعاصرة ؟

ما حدود التجديد أو القصور في مشروع طه جابر العلواني لتفسير القرآن الكريم تفسيراً موضوعياً ؟

❧ أهمية الموضوع: تبرز أهمية الدراسة من خلال يلي:

01- أهمية التفسير الموضوعي الداعي إلى تدبر القرآن وربطه ببعضه ببعض وأيضاً بقضايا العصر، تفرض خدمته ومتابعة مستجدّاته التنظيرية والتطبيقية.

02- خطورة موضوعه، لأنّ العلوانيّ من أبرز دعاة التّجديد الذي يتجاوز الفروع ليصل للأصول، كالّدعوة إلى الاجتهاد المطلق، وعرض التّراث الإسلامى كلّ على القرآن الكريم، وغيرها.

03- كون التّفسير الموضوعيّ سبيلاً لإدراك أهميّة تفسير القرآن بالقرآن، وهو يكفينا عن الوقوف عند كثير من مشكل القرآن، أو مواطن الخلاف بين علماء الأمة في تفسير آياته.

04- الوقوف على جانب من الإنتاج المعاصر في التّفسير الموضوعيّ، ومدى تعلّقه بمصالح العباد، وقدرته على فهم وحلّ القضايا المستجدّة والمسائل المستحدثة في شتى المواضيع.

❖ أهداف الدّراسة: تتجلى أهداف هذه الدّراسة فيما يلي:

01- بيان العوامل والمؤثّرات السّياسية والاجتماعية والثّقافية التي أسهمت في بناء شخصيّة طه جابر العلوانيّ، ورصد مراحل التّطوّر الفكريّ التي مرّ بها.

02- كشف المشروع الخاصّ بطه جابر العلوانيّ والمرتبّط بتفسير القرآن الكريم.

03- تتبّع منهج طه جابر العلوانيّ في التّفسير الموضوعيّ، ودراسته دراسة استقرايّة تحليليّة شاملة بهدف إبراز مصادره وموارده، مداخله ومنافذه، ضوابطه وخصائصه، وقيّمته العلميّة والمنهجية، وبهذا يُمكن أن تتّضح لنا معالم التّفسير الموضوعيّ عند العلوانيّ ومدى التّوافق والتّباين عن غيره.

04- إبراز عناية طه جابر العلوانيّ وتوظيفه لمسألة الجمع بين القراءتين، قراءة الوحي المسطور وهو القرآن الكريم، وقراءة الوحي المنظور وهو الوجود والكون المخلوق.

❖ دوافع اختيار الموضوع:

الدّوافع الدّائيّة:

01- تعلّقى بكتاب الله ﷻ وشغفني بتدبره وفهمه وخدمته، ويقيني أنّ هذا البحث سيزيد من معرفتي وارتباطي بكتاب الله، وسيقودني لتقديم خدمة بسيطة له.

03- فكرة الدّراسة من اقتراح الأستاذ المشرف فوجدتها دراسة عصريّة من وجوه عدّة، توافقت مع ميولاتيّ الشّخصيّة، ولّبت رغبتى الجادّة في دراسة التّفسير الموضوعيّ دراسة علميّة مُستوعبة للجانبين النظريّ والتّطبيقيّ.

04- الاهتمامات الشّخصيّة بموضوع دراسة فكر طه جابر العلوانيّ ومنهجه، فهو فكر له موقعه ضمن السّاحة العلميّة والدّعويّة المعاصرة، ويحتاج الدّراسة التّقديّة البناءة.

الدوافع الموضوعية:

01- كون التفسير الموضوعي هو تفسير العصر، كيف لا وهو يدعو إلى تدبر القرآن وربط بعضه ببعض في ظل وحدته الموضوعية، وربطه أيضاً بقضايا العصر لبلوغ ما يوضح المراد، ويشفي الغليل ويرويه بالقرآن نفسه.

02- جدّة تفسير طه جابر العلواني منهجاً وفكراً وعصراً؛ التقت مع جدّة التفسير الموضوعي وحدائته، وهذا جعلني أحرص على البحث فيهما، فلن يتم إبراز منهج العلواني في تفسيره ما لم يتم عرضه ودراسته دراسة علمية، ولن يتم اكتمال نمو التفسير الموضوعي ما لم يتم رعايته ومتابعته من خلال دراسة ما تعلّق به وتقويمه.

03- مكانة طه جابر العلواني العلمية والفكرية، فهو رأس من رؤوس مدرسة إسلامية المعرفة والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، وقيمة تفسيره العلمية لتعلّقه بكتاب الله ﷻ، ولجدّة منهجه وأسلوبه، إضافة إلى إقبال الناس عليه دراسةً وبحثاً واقتناءً.

04- تمكّن دعاة المنهج الفكري والتفسي الذي دعا له طه جابر العلواني من مؤسسات ووسائل التغيير، وامتلاكهم مقومات الانتشار والتأثير، يحتاج إجراء دراسات حول متوجههم العلمي وتقييمه.

❏ حدود البحث:

تُصنّف دراسة هذا البحث في مجال تفسير القرآن الكريم وعلومه عموماً، وفي التفسير الموضوعي خصوصاً، وذلك لأنّه بحث يندرج ضمن التجديد في التفسير، مع اقتصار الباحث على دراسة التفسير الموضوعي عند طه جابر العلواني من خلال تفسيره، واعتباره مجالاً خصباً للبحث فيه.

❏ منهج الدراسة:

وظّف الباحث المنهج التحليلي بقصد وصف التفسير الموضوعي عند طه جابر العلواني وبيان أسبابه وضوابطه وخصائصه والعوامل المتحكّمة في منهجه التفسيري ثم استخلاص النتائج، وقد اتّبع في توثيق المعلومات المنهج الآتي:

- توثيق النصوص: قام الباحث بالتوثيق العلمي للنصوص المأخوذة من المصادر والمراجع، واشتمل منهجه في التوثيق على الآتي:

01- وضع الكلام الزائد الذي ليس من النصّ الأصلي بين معقوفتين هكذا []، وبين علامتي التنصيص "...". إذا كان عنواناً.

- عزو الآيات إلى مواضعها: عزو الآيات الواردة في الدراسة إلى مواضعها من كتاب الله **وَعَلَىٰ**، بعد رسمها وفق الرسم العثماني على رواية حفص بن عاصم اعتماداً على مصحف المدينة المنورة الإلكترونية، وهي الرواية التي اعتمدها طه جابر العلواني في تفسيره، فتبعه الباحث في ذلك تحبباً للخلط بين الروايات، وإلا لكان الباحث اعتمد الرواية المعتمدة في الجزائر: رواية ورش عن نافع.

- تخريج الأحاديث النبوية والآثار عن السلف الصالح من مصادرها المعتمدة: ولم يقتصر الباحث على الأحاديث والآثار الذي يوردها هو، بل قام بتخريج الأحاديث والآثار التي استفاد منها طه جابر العلواني في تفسيره، وجاء ذكرها في هذه الدراسة، وذلك باعتماد المنهج التالي: إن كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما أكتفي بتخريجه منهما، وإن لم يكن كذلك؛ خرّجته من باقي كتب السنة كالصحيح والسّنن والمسانيد مع بيان الحكم التقدي على الحديث من طرف المحدثين أو من أحدهم، وإذا كان الحديث مخّرجاً في أحد هذه الكتب في أكثر من موضع، اقتصرنا على موضع واحد منها في الغالب، على أن يكون موضعاً له علاقة بموضوع نقطة البحث المستشهد به لها، ويتبع بحكم أهل الصنعة فيه.

- شرح الكلمات الغريبة الواردة في البحث : يفعل الباحث ذلك مع الكلمات التي يراها غريبة -حسب علمه- وتحتاج للشرح والبيان.

- عدم التوسع في التراجع: وذلك من خلال الاكتفاء بترجمة الأعلام والشخصيات المغمورة في الغالب، والأحداث والأماكن التي لها علاقة مباشرة بما بموضوع الدراسة وإما بطه جابر العلواني.

❖ مصطلحات الدراسة:

من أهم المصطلحات البارزة في هذه الدراسة ما يأتي: تفسير القرآن بالقرآن، التفسير الموضوعي، الموروث التفسيري، مداخل التفسير، قواعد التفسير، أصول التفسير، ضوابط التفسير، خصائص التفسير، السنة النبوية، المناسبات، الوحدة البنائية، الجمع بين القراءتين، المنهج القرآني، القارئ، التدبر، قوى الوعي، فقه الواقع، التجديد والمراجعات، المفاهيم والمصطلحات، العقلانية، المقاصد، وغيرها من المصطلحات التي قد يتكرّر ذكرها في بعض مباحث الدراسة.

❖ الدراسات السابقة:

التفسير الموضوعي حقل بحث مزدهر، وقد أثرى الباحثون المعاصرون ساحته تنظيراً وتطبيقاً، على تفاوت في ذلك بين أنواعه، أمّا فيما يخصّ دراسته عند طه جابر العلواني، فتجدر الإشارة إلى الأمور التالية:

الأمر الأول: لا توجد دراسة سابقة خاصة في موضوع الدراسة بالتحديد، فكتاب "تفسير القرآن بالقرآن" لم يسبق دراسة التفسير الموضوعي فيه من طرف أي باحث.

الأمر الثاني: لم يسبق إجراء دراسة على كتاب "تفسير القرآن بالقرآن" تحت أي عنوان وضمن أي نوع، فهو كتاب غرض طري لما يُقدم عليه الطلبة والباحثون دراسة وبحثاً، وعليه كانت هذه الدراسة سبّاقة في هذا الباب، مُفتقرة لدليل يسبقها أو رفقة تُؤنسها، والله وحده الموفق، فعليه التّكلان ومنه يُرجي التّسهيل والبيان.

الأمر الثالث: يتبقى الدراسات التي لها علاقة مباشرة بأحد طريقي هذه الدراسة وهي على نوعين:

النوع الأول: دراسات التفسير الموضوعي من خلال تفاسير العلماء ومدارسهم، ومن أهمّها:

الدراسة الأولى: التفسير الموضوعي في تفسير المنار للباحث مجاهد أحمد إسماعيل نوفل، تحت إشراف الدكتور محمد خازر المجالي، وهي دراسة قُدمت استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير، بكلية الدراسات العليا بالجامعة الأردنية، سنة 2008م.

ملخص الدراسة: تناولت الرسالة التفسير الموضوعي من خلال تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا، فبدأت بفصل تمهيدى في التعريف بصاحب المنار، والتعريف بتفسير المنار، ثمّ الدراسة النظرية للتفسير الموضوعي، ثمّ تلتها ثلاثة فصول، الأول اختصّ ببيان منهج صاحب المنار في الوحدة الموضوعية للموضوع القرآني، والثاني خُصّص لبيان منهج صاحب المنار في الوحدة الموضوعية للسورة، والثالث تناول المصطلح القرآني من خلال تفسير المنار، وخلصت الدراسة إلى تحديد مقومات منهج صاحب المنار في التفسير الموضوعي التّجميعي، والتّعريف على منهج صاحب المنار في الوحدة الموضوعية للسورة، واهتمامه ببيان المناسبات، وافتقار تفسير المنار للمقومات النظرية المطبقة لدراسة المصطلح القرآني.

ومّا يُلاحظ على هذه الرسالة أنّها رسالة جدّ مختصرة، افتقدت لذكر الأمثلة التطبيقية الكافية، وحتى الأمثلة التي ذُكرت اكتفى الباحث بذكر نموذج واحد من المنار ثمّ القيام بتتبّع الخطوات المنهجية التي وظّفها صاحب المنار.

وقد استفاد الباحث من هذه الدراسة في النظر في كيفية تطبيق خطوات الدراسة الموضوعية بمختلف أنواعها.

الدّراسة الثانية: منهج الشّيخ السّعدى في التّفسير الموضوعيّ من خلال كتابيه: فتح الرّحيم، وتيسير اللّطيف، وهي دراسة تحليليّة من إعداد الدّكتور عبد العزيز بن محمّد العواجي، خلال العام الجامعيّ 1430/1431هـ.

ملخص الدّراسة: عاجلت هذه الدّراسة منهج الشّيخ السّعدى من خلال التعريف بالتّفسير الموضوعيّ، ثمّ بالكتابين محلّ الدّراسة، مع بيان أسباب تصنيفهما في نوع التّفسير الموضوعيّ، ثم طريقة الشّيخ في عرض الموضوعات، ووضع الباحث خطّة افتراضية لمنهج التّفسير الموضوعيّ في كلّ كتاب، وتضمّنت النتائج ثلاث مسائل، أهميّة التّفسير الموضوعيّ من خلال منهجيّة الشّيخ ورؤيته، ضوابط التّفسير الموضوعيّ من خلال منهجيّة الشّيخ، أساليب التّفسير الموضوعيّ من خلال منهجيّة الشّيخ. وهذه الدّراسة اقتصرت على تتبّع نوع واحد من أنواع التّفسير الموضوعيّ، وهو التّفسير الموضوعيّ التّجميعيّ، وقد استفاد منها الباحث في هذا الجانب فيما يتعلّق بمعالم التّفسير الموضوعيّ التّجميعيّ وخطواته التّطبيقية.

الدّراسة الثالثة: جهد الشّاطبيّ (790هـ) في التّفسير الموضوعيّ الكشفيّ، إعداد الدّكتور: أحمد عثمان رحمانى، وهو مقال منشور في مجلّة كليّة الدّراسات الإسلاميّة والعربيّة، بدولة الإمارات العربيّة المتّحدة، في العدد السّابع والعشرون، في العام 2004م.

ملخص الدّراسة: بخلاف الدّراسة السّابقة، فهذه الدّراسة ركّزت على التّفسير الموضوعيّ الكشفيّ، أي في السّورة القرآنيّة، وهي دراسة تأصيليّة، بدأت بمقدّمة تاريخيّة تهدف إلى بيان معنى الإدراك الكلّي وأهميّته وأصوله في مجال التّفسير، ثمّ تدرّجت لتكشف بوضوح عن تطوّر التّفسير الموضوعيّ الكشفيّ بناء على فكرة الكليّات عند الشّاطبيّ، ثمّ تدخل مرحلة التّطبيق عند الشّاطبيّ، وبيان أنواع الوحدات عنده ثمّ الآليات المنهجية التي قام عليها منهجه، وخلصت الدّراسة إلى أنّ الشّاطبيّ قد تحكّم تحكّماً قوياً في مسألة الإدراك الكلّي وأهميّته، وفصل القول بين قيمة الإدراك الكلّي والإدراك الجزئيّ، ثمّ عالج التّظريّة المتكاملة التي تهدف إلى اكتشاف موضوع السّورة القرآنيّة.

وهذه الدّراسة أيضاً اقتصرت على تتبّع نوع واحد من أنواع التّفسير الموضوعيّ، وهو التّفسير الموضوعيّ الكشفيّ، فكانت دراسة مُكمّلة متكاملة مع سابقتها، كلّ منهما في نوع خاصّ. وقد استفاد منها الباحث فيما يتعلّق بمعالم التّفسير الموضوعيّ الكشفيّ، وقواعده، وآلياته، ودواعيه، وخطواته التّطبيقية.

الدّراسة الرابعة: ملامح التفسير الموضوعي في تفسير الشيخ عبد الحميد بن باديس من إعداد الدكتوراة نادية وزناجي، وهي دراسة أجريت بجامعة الحاج لخضر بباتنة بالجزائر.

ملخص الدراسة: وهذه الدراسة تضمّنت التعريف بالشيخ عبد الحميد بن باديس وبنهجه في التفسير، وقدمت تجارب ابن باديس في التفسير ولامح التفسير الموضوعي التجميعي، وكذا ملامح التفسير الموضوعي السورّي الكشفّي، فجمعت مضمون الدراستين السابقتين، وخلصت الدراسة إلى أنّ ابن باديس درس القرآن دراسة موضوعيّة شملت المنحيين التجميعي والكشفي مشافهة، وهو ما أكّد إمكانية توظيف التفسير الموضوعي في عمليّة الإصلاح.

وقد استفاد الباحث من هذه الدراسة من خلال النظر في ملامح التفسير الموضوعي بنوعيه التجميعي والكشفي وسبل تطبيقاته العمليّة وتوظيفه في عمليّة الإصلاح.

الدّراسة الخامسة: جهود الدكتور طه جابر العلواني (ت 1437 - 2016م) في تفسير القرآن الكريم من إعداد الدكتور عبد المنعم جمعة صالح، وهو مقال نُشر في: 2024/06/02 في مجلّد رقم: 14 عدد رقم: 35 (2024) من مجلّة مداد الأدب التي تصدرها كليّة الآداب بالجامعة العراقيّة.

ملخص الدراسة: هذا المقال تضمّن عرض أهمّ مؤلّفات طه جابر العلواني في التفسير، وفيه توضيح لمنهجه في تفسير القرآن الكريم، ورؤيته وتعاطيه في معالجة قضايا العصر المستجدة في النظر والتأمّل بكتاب الله تعالى وتدبره، ومحاولة التّهوض بواقع المسلمين نحو التّقدّم.

وفيما يخصّ حدود استفادة الباحث من هذا المقال فتمثّلت في الاستفادة من المطلب الثّاني الذي عنوانه: منهج التفسير عند الدكتور العلواني، وذلك عند تطرّق صاحب المقال لبحث طه جابر العلواني للوحدة الموضوعيّة في القرآن الكريم، واهتمامه بالمناسبات، والمكي والمدني من السور.

النوع الثّاني: دراسات متعلّقة بطه جابر العلواني وجهوده في خدمة القرآن الكريم، وهي على قسمين:

القسم الأوّل: دراسات عن طه جابر العلواني متعلّقة بعلوم القرآن

الدّراسة الأولى: جهود طه جابر العلواني في الدراسات القرآنيّة، دراسة تحليلية قُدمت استكمالاً للحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن من طرف الباحثة: حنان موسى عيسى أبو القدوم، تحت إشراف الدكتور زياد خليل الدّغامين، بجامعة آل البيت بالأردن، الموسم الجامعي: 2019/2018م.

ملخص الدراسة: هذه الدراسة اهتمّت ببيان منهج تعامل طه جابر العلواني مع القرآن الكريم وعلومه، ومنظومة القيم القرآنية العليا عنده، وخلصت الباحثة إلى عشرة نتائج كلّها تتعلّق بالجهود

العلمية للعلواني في حقل الدراسات القرآنية، ولم تُشر الدراسة إلى التفسير الموضوعي عند طه جابر العلواني.

الدراسة الثانية: منهجية استكشاف المعنى القرآني عند طه جابر العلواني (1935-2016)، مقال من إعدادا عز الدين بن محمد حدو، نُشر في العدد رقم: 02 بمجلة دورية نماء للدراسات الإسلامية والإنسانية، بجمهورية مصر العربية، سنة 2024م.

ملخص الدراسة: عالج صاحب المقال موقف العلواني من التفسير وحاجة القرآن إليه، وموقفه أيضاً من بعض علوم القرآن، ثمّ قام بإبراز منهجية العلواني في قراءة النصّ القرآني واستكشاف معناه، وخلص إلى القول أنّ العلواني يتجاوز التعامل التقليدي مع القرآن الكريم إلى منهجية جديدة تخدم كتاب الله في وحدته الكلية، وأوصى بالعمل على تأسيس هذه القراءة المعاصرة للقرآن الكريم. ومن عجيب ما ذكر صاحب هذا المقال الصّادر سنة 2024م، أي بعد طبع تفسير العلواني بأربع سنوات، أنّ طه جابر العلواني لم يترك تفسيراً!

الدراسة الثالثة: البواغث الفكرية والمنهجية في سلسلة الدراسات القرآنية لطله جابر العلواني، من إعداد محمد الدقور، وهو مقال نشر في مجلة إسلامية المعرفة، في العدد رقم: 72، 1434هـ - 2013م، وهو مقال اهتمّ فيه صاحبه بالتعريف بسلسلة دراسات العلواني القرآنية، والباعث على تأليفها، ولم يكن ضمن تلك المؤلفات تفسير العلواني، لأنّه لم يكن قد صدر بعد، ولا ما يُشير للتفسير الموضوعي عنده، مع التذكير أنّ بعض السّور طُبِع تفسيرها في كتب مستقلة قبل صدور تفسير العلواني بسنوات، ولكن لم تُذكر ههنا، فكان مقالاً لخصّ مؤلفات معدودة، وأشار لبواغث تأليفها، في رعاية ودعاية للمنهج القرآني العلواني، ليس إلّا، وعليه لم يجد الباحث فيه نفعاً لدراسته، ولم يستفد منه شيئاً.

القسم الثاني: دراسات ومؤلفات عامّة حول طه جابر العلواني

الدراسة الأولى: كتاب "جامع فقه الأمّة رحيق الحقيبة المعرفية للعلامة طه جابر العلواني"، من إعداد مجموعة من الباحثين بمركز الدراسات المعرفية بالقاهرة بجمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى، دار الكلمة للنشر والتوزيع بالمنصورة بجمهورية مصر العربية، سنة 2021م.

ملخص الدراسة: وقد تناول الكتاب في الفصل الثاني اللّبنات العلوانية لبناء المنهجية القرآنية الجامعة، وفيه أربعة مباحث، كلّ مبحث اختصّ بقراءة تفصيلية لأحد مؤلفات طه جابر العلواني، والمؤلفات هي: حوار مع القرآن: تجربة ذاتية ودعوة للتدبر، في تدبر القرآن واستكشاف منهجه، الجمع بين

القراءتين: الوحي والكون، معالم منهجية التدبر والتدبير، وليس بينها كتاب "تفسير القرآن بالقرآن" رغم صدوره قبل صدور هذه الحقبة المعرفية، كما لم يأت الباحثون على مجرد الإشارة إليه، فضلاً عن دراسته أو حتى التعليق عليه، لأن اهتمامهم انصب على بيان المنهجية القرآنية المعرفية العلوانية في جانبها التّظييري فقط، أما التفسير الموضوعي عند طه جابر العلواني فلم يرد له ذكراً.

الدّراسة الثانية: كتاب "العطاء العلمي والفكري للدكتور طه جابر العلواني" (في الاجتهاد المعرفي والتجديد الحضاري)، من إعداد مجموعة من الباحثين بمركز الحضارة للدراسات والبحوث بالقاهرة بجمهورية مصر العربية، نُشر في سنة 2024م من طرف نفس المركز الذي أشرف على الإعداد.

ملخص الدّراسة: ضمن القسم الثالث من هذا الكتاب، وتحت عنوان: العودة إلى القرآن الكريم، نحو منهجية تجديدية قرآنية شاملة، من الصفحة رقم: 643 إلى الصفحة رقم: 1109، برزت عناوين فرعية مختلفة، منها: الهيمنة والحاكمية للقرآن الكريم، أحتاج القرآن إلى تفسير؟، القرآن والتفسير، تفسير القرآن بالقرآن، الوحدة البنائية للقرآن المجيد، القراءة التحليلية للقرآن الكريم، الجمع بين القراءتين، وغيرها، ولم يأت الباحثون على ذكر جانب التفسير الموضوعي عند طه جابر العلواني، واكتفوا بعرض رؤيته المنهجية التجديدية المنطلقة من مواقفه النقدية التي اشتهر بها.

الدّراسة الثالثة: كتاب "رحلة في فكر ومنهجية طه جابر العلواني"، من تأليف التيجاني عبد القادر حامد، الطبعة الأولى 2022م، مركز الإسلام في العلم المعاصر، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية.

ملخص الدّراسة: تابع المؤلف رحلة فكر ومنهجية طه جابر العلواني، فكان كتاباً عن مسيرته الفكرية والعلمية، وليس عن سيرته الشخصية ومناقبه أو تجاربه السياسية والإدارية، وفي الفصل الخامس من هذا الكتاب تطرّق المؤلف لمرحلة تأسيس علم المراجعات عند العلواني (2003-2012م)، وذكر ضمنه منهجه في التعامل مع القرآن الكريم، ومنهجه في التفسير، وكان الفصل السادس تطبيقات لعلم المراجعات، وقد خلص المؤلف إلى أنّ منهج العلواني في التفسير يتركز على التطهر والتدبر، ولم يلتفت لجانب التفسير الموضوعي، فكانت الدّراسة في هذا الجانب غائبة في هذا الكتاب فغابت الاستفادة معها.

وجميع الدراسات السابقة مختلفة عن الدّراسة التي نحن بصددّها، فلا تُوجد بينها رسالة علمية واحدة تتعلّق بموضوع الدّراسة الحالية، لأنّ أهداف دراسة التفسير الموضوعي عند طه جابر العلواني من خلال كتابه "تفسير القرآن بالقرآن" هي استيفاء الجانبين النظري والتطبيقي بالأمثلة والتطبيق، مع

الدراسة والتحليل، والمناقشة والتّقد، للوصول إلى كشف مداخل العلواني لتفسير القرآن الكريم، وتحديد ضوابط وخصائص التفسير الموضوعي عنده، ومن ثمّ كشف ملامح التجديد ومواطن الخطأ عنده.

❖ صعوبات الدراسة:

واجه الباحث صعوبات مختلفة خلال قيامه بهذه الدراسة، يذكر منها:

- **سعة حدود الموضوع:** التفسير الموضوعي منهج مُستحدث، وهو علم ما زال في طور النّضج والنّمو، والبحث فيه يتطلّب توافقاً بين التّنظير والتّطبيق، ولا يزال الباحثون مُختلفين حول عدّة نقاط كخطوات البحث فيه، وضوابطه، وغيرها، وهذا الاختلاف قد يُوسّع حدوده وقد يُضيّقها، وقد يُعَدّد أبعاده وقد يحصرها، والنّاس في ذلك بحسب اجتهاداتهم وآرائهم، فلا يجد الباحث معياراً فاصلاً يكون له مرجعاً للحكم على التفسير الموضوعي عند مُفسّر ما.

- **طبيعة شخصيّة الدراسة:** طه جابر العلواني ليس من المفسّرين العاديين، وهو مُفسّر غير تقليديّ، وشخصية ثائرة جمعت بين الهدم والبناء، والمراجعة والتّقد، والتفسير بالرّأي، مع الحكم على العلوم بأنّها لم تنضج بعد وتتطلّب إعادة بناء، ويجب ردّها جميعاً للسان القرآن، وقد اقتضت طبيعة البحث في شخصيّة طه جابر العلواني صعوبات كبيرة انحرفت بالباحث نحو المزيد من التّدقيق في دراسة فكره قبل تفسيره، والسّبب أنّ فكره ركّز على دراسات قرآنية فيها جرأة كبيرة ومساحة واسعة، وترتبط بتفسير القرآن الكريم، وكان على الباحث تتبّعها كلّها.

- **المسؤوليّة والوقت:** لقد كانت هذه النّقطة تضع الكثير من العراقيل في طريق الدراسة، فقد تكرّر التّوقّف عن مُتابعة الدراسة والسير في طريق إنجازها مرّات وفترات، وكان الباحث بعد أن تتراكم عنده معلومات، وتتراعى له المسائل المهمّات، ويعزم على المضيّ قدماً، تهجم عليه المشاغل، فتستهلك منه الجهد والوقت، وتسلب منه ما تراكم من علم وفهم، فيعود من حيث بدأ، ويتسلّط عليه الإحباط، وهذا فيه من المعاناة ما فيه، ولكن لكلّ أمر قدر، ولا يُوفّي الأجر إلّا من صبر، ومع ذلك، فقد غمرني أساتذتي الأجلّاء بالتشجيع والعون، والمؤازرة والتّوجيه، فشكر الله لهم، وجزاهم عني كلّ خير.

❖ خطّة البحث إجمالاً

اشتملت هذه الدراسة على مقدّمة وفصل تمهيدّي وثلاثة فصول وخاتمة.

المبحث التمهيدّي: التعريف بطه جابر العلواني وكتابه "تفسير القرآن بالقرآن"

المطلب الأوّل: محيط نشأة طه جابر العلواني

المطلب الثّاني: التعريف بطه جابر العلواني

المطلب الثالث: تقديم كتاب "تفسير القرآن بالقرآن" لطله جابر العلواني

الفصل الأول: مفهوم التفسير الموضوعي وضوابطه

المبحث الأول: المدخل إلى التفسير الموضوعي

المبحث الثاني: حدود التفسير الموضوعي

المبحث الثالث: ضوابط التفسير الموضوعي

الفصل الثاني: مداخل طه جابر العلواني إلى التفسير الموضوعي

المبحث الأول: منطلقات التفسير الموضوعي طه جابر العلواني

المبحث الثاني: مواقف لطله جابر العلواني متعلقة بتفسير القرآن الكريم

المبحث الثالث: دعائم التفسير الموضوعي عند طه جابر العلواني

الفصل الثالث: دراسة التفسير الموضوعي عند طه جابر العلواني من خلال تفسيره

المبحث الأول: دراسة مصادر التفسير الموضوعي عند طه جابر العلواني

المبحث الثاني: تطبيقات التفسير الموضوعي عند طه جابر العلواني

المبحث الثالث: القيمة العلمية للتفسير الموضوعي عند طه جابر العلواني

الخاتمة: وفيها ذكر لأهم النتائج المتوصل إليها، وتقديم لجملة توصيات خرجت بها الدراسة.

والله أسأل العون والتوفيق لإتمام هذا العمل، والقبول والنفع بعد الختام.

مبحث تمهيدّي

التعريف بطه جابر العلواني وبتفسيره

المطلب الأوّل: محيط نشأة طه جابر العلواني

المطلب الثاني: التعريف بطه جابر العلواني

المطلب الثالث: تقديم كتاب "تفسير القرآن بالقرآن" لطله العلواني

المطلب الأول: محيط نشأة طه جابر العلواني

من خلال دراسة العصر والبيئة التي عاش فيها العلواني سيتكوّن لدينا تصوّر واضح وقراءة علميّة سليمة لمختلف عوامل بناء شخصيّته وفكره.

الفرع الأول: الحالة السياسيّة في العراق خلال القرن العشرين

أولاً: الانتداب البريطاني للعراق: حرصت بريطانيا على أن تؤكّد في اتّفاق سايس بيكو مع فرنسا عام 1916م دخول العراق تحت انتدابها لموقعها الهامّ بين الشرق والغرب¹، وقد كانت الفكرة البريطانية الأولى في حكم العراق أن يكون تابعاً للهند²، ولكن بعد أن أُذيع خبر الانتداب على العراق بتاريخ 03 ماي 1920م بناءً على مُخرجات مؤتمر سان ريمو³ تفاقم الاستياء وتُلقّي بالمظاهرات والاحتجاجات الواسعة⁴، وعليه سرعان ما قام البريطانيون بإيجاد وضع يُغطّي على تواجدهم في العراق فكان أن لجؤوا للملكيّة⁵.

ثانياً: مرحلة الملكيّة: شغلت بريطانيا الرّأي العامّ في العراق في قضيّة من سيتولّى العرش في العراق بعد أن عرضت أسماء عدد من المرشّحين، وكان هؤلاء عرباً أو مسلمين وذوي ارتباطاتٍ مع بريطانيا⁶. ومنهم الأمير فيصل⁷ الذي لم يلبث أن أصبح المرشّح الوحيد للعرش الجديد، وكان الأساس في استقرار هذا الاختيار مستنداً إلى مكانة فيصل في نفوس أهل البلاد من جهةٍ، وإلى منزلته الفدّة في نظر الحكومة البريطانيّة من جهةٍ أخرى⁸.

1 رأفت الشيخ، تاريخ العرب المعاصر، (د.ط، عين الدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 1996م)، ص: 42.

2 صالح زكي، مقدمة في دراسة العراق المعاصر، (د.ط، مطبعة الزابطة، بغداد، 1953م)، ص: 48.

3 هو مؤتمر عقده المجلس الأعلى للحلفاء في سان ريمو الإيطالية من 19 إلى 26 أبريل 1920م، أقرّ فيه المؤتمرون صيغة الانتداب. ينظر محمود صالح منسي، الشرق العربي المعاصر، (ط01، خوارزم العلمية، 1990م)، ص: 17.

4 ينظر: محسن جبار العارضي، 90 عاماً على ثورة العراق التحريرية، مراجعة: حميد مجيد هدر، (ط01، المكتبة الوطنية بغداد، بغداد، الجمهورية العراقية، 2010م)، ص: 95.

5 إبراهيم خليل أحمد وجعفر عباس حميدي، تاريخ العراق المعاصر، (د.ط، كلية التربية، جامعة الموصل، العراق)، ص: 29.

6 المرجع السابق، ص: 29.

7 فيصل بن الحسين بن علي (1885 - 1933م) ملك سوريا حتى 1920م، وأوّل ملك عربي يحكم العراق بعد العثمانيّين. من بين إنجازاته: وضع دستور العراق عام 1925م. ينظر: فراس البيطار، الموسوعة السياسية والعسكرية، (د.ط، دار اسامة للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، 2003)، ج01، ص: 846 - 866.

8 ينظر: صالح زكي، مقدمة في دراسة العراق المعاصر، مصدر سبق ذكره، ص: 60 - 62.

وفي أيام الملك فيصل الأول (1921 - 1933) كان التشديد الرئيسي للسياسة الملكية يتركز على المهمة العاجلة والبالغة الصعوبة لإقامة روابط ثابتة من المشاعر المشتركة والأهداف المشتركة بين عناصر العراق المختلفة.¹ وقد عمل فيصل على تأسيس الجيش العراقي الحديث، وإنشاء الكلية العسكرية 1343هـ (1925م) وتقدم التعليم ... كما سمح بإنشاء الأحزاب السياسية على النمط الأوربي الغربي لكي تساعد على نمو وتطور الديمقراطية في البلاد.²

وقد سار على نهجه ابنه الملك غازي الذي خلفه، وقطعت الحركة العربية مراحل أبعد كثيراً مما كان متصوراً. وأسهمت الصحافة العراقية في تنوير الرأي العام عن القضايا العربية ... ولقد أصبح الجيش العراقي قوة وطنية ضاربة. ونظراً لأن الملك غازي كان يولي القضايا الوطنية جل اهتماماته قُتل في حادث سيارة غامض [عام] 1358هـ (1939) ... وتؤدي بابنه فيصل الثاني ملكاً على البلاد، وكان عمره أربعة أعوام، وعُيّن خاله الأمير عبد الإله وصياً على العرش ... وفي عام 1373هـ (1953م) توج فيصل الثاني ملكاً على البلاد.³

ثالثاً: تأسيس الجمهورية (العراق الانقلاي): لم يمح الزمن من ذاكرة العراقيين أبداً أن البيت الهاشمي وقف في ساعة الشدة إلى جانب أعدائهم، وشكّلت حرب الـ 1941 حافزاً كبيراً لمشاعرهم القومية. فمقتل الملك غازي وإزاحة رشيد الكيلاني أثرت كثيراً على نفوس العراقيين ودفعت شباناً مثل صدام حسين وخاله (أحمد حسن البكر) وأقاربه إلى الرغبة في الانتقام من الوصي عبد الإله ومن الإنكليز وأعدائهم. و « بعد عدّة محاولات منذ العام 1955، وفي 14 يوليو [جويلية] 1958م وقعت ثورة في العراق بدأها الجيش بقيادة عبد الكريم قاسم⁴ وعبد السلام عارف⁵ لقلب نظام الحكم وخلع عبد

1 حنا بطاطو، العراق الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية، ترجمة عفيف عبد الرزاق، (ط2)، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، 1995م)، ص: 44.

2 ينظر: محمود صالح منسي، الشرق العربي المعاصر، مرجع سبق ذكره، ص: 48.

3 ينظر: إسماعيل أحمد ياغي، تاريخ العالم العربي المعاصر، مرجع سبق ذكره، ص: 208 - 226.

4 عبد الكريم قاسم: ولد في بغداد في 21 نوفمبر 1914م، وقد تدرج في الرتب العسكرية، وفي يوم 09 شباط (فبراير) 1963م أعدم رمياً بالرصاص إثر قيام ثورة 08 شباط 1963م. ينظر: ليث عبد الحسن جواد الزبيدي، ثورة 14 تموز 1958م في العراق، (ط2)، مكتبة اليقظة، بغداد، العراق، 1981م)، ص: 323 - 338.

5 عبد السلام عارف: ولد في 21 آذار (مارس) 1921م ببغداد، وتولّى رئاسة العراق عقب ثورة 08 شباط أبريل 1963م، وفي 13 نيسان 1966م قُتل في حادث تحطم طائرته في البصرة. ينظر: المرجع السابق، ص: 341 - 344.

الإله¹ ... وحتى يتأكد العسكريون من أن الإنكليز لن يعيدوا النظام الملكي إلى العراق، فإنهم اقتحموا (قصر الرّحاب) وقضوا على الأسرة المالكة ومنها الملك فيصل الثاني نجل الملك غازي وله من العمر 23 عاماً ...² وشهد العلواني وهو إمام مسجد ببغداد؛ جميع هذه الأحداث المأساوية وعينها.

« وعلى الرغم من أن أحمد حسن البكر قاد الانقلاب في 08 فبراير 1963 إلا أنه سلم الرئاسة إلى عبد السلام عارف³، شريك قاسم في ثورة 1958م، الذي كان يتمتع بشعبية في صفوف الجيش»⁴. «ثم استطاع حزب البعث العربي الاشتراكي أن يقوم بانقلاب عسكري عليه منتصف عام 1388هـ (1978م)، وصارت رئاسة الجمهورية للفريق أحمد حسن البكر. وفي عام 1399هـ (1979م) تنازل عن رئاسة الجمهورية وخلفه الرئيس صدام حسين»⁵.

رابعاً: الحركة الوطنية في العراق:

01- التيارات السياسية: لقد شهد العراق خلال القرن العشرين تعدداً للتيارات السياسية:

أ- التيار القومي: كان للعراق، تأثيره البارز في إثارة الوعي الوطني والقومي، ولا سيما في الثلاثينات، بفضل نشاط الحركة الوطنية العراقية، واتجاهها القومي، وعلاقتها بالحركات الوطنية في المشرق العربي، والتي تزامنت مع سياسة الملك غازي القومية التي عبرت عنها الصحافة العراقية⁶.

وأرض العرب تميزت بتعددية الأديان وتعددية أكثر في المذاهب، والإبقاء على تلك التعددية أو تقليصها ليست متيسرة لأية قوة، فقلتها أو كثرتها ملك يمين رجال الدين وحدهم⁷.

ولقد تفاعل طه جابر العلواني مع التيار القومي في مسألة هوية الأمة ووحدتها.

1 الشريف عبد الإله بن علي الهاشمي (14 نوفمبر 1913 - 14 يوليو 1958م)، الابن البكر للملك علي بن الحسين ملك الحجاز، اختير وصياً على عرش العراق حتى عام 1953م بعد مقتل الملك غازي الأول، إذ كان الأمير فيصل الثاني ابن الملك غازي الوريث للعرش لم يبلغ بعد سن السادسة من عمره، قُتل في صبيحة يوم 14 من تموز يوليو 1958م. موقع قوقل، ويكيبيديا الموسوعة الحرة، 2023/08/14.

2 كمال ديب، موجز تاريخ العراق، (ط01، دار الفرابي، بيروت، لبنان، 2013م)، ص: 62 - 64.

3 عبد السلام عارف (1335-1385هـ/1921-1966م): ثاني رئيس جمهورية العراق، وأحد قادة ثورة 14 تموز، توفي يوم 13 أبريل 1966م. ينظر: الزركلي، الأعلام، (ط05، دار العلم للملايين للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، 2006م)، ج04، ص: 09.

4 ينظر: كمال ديب، موجز تاريخ العراق، مرجع سبق ذكره، ص: 65 - 78.

5 المرجع السابق، ص: 110.

6 مفيد الزبيدي، التيارات الفكرية في الخليج العربي 1938 - 1971، (ط02، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2003م)، ص: 173.

7 حسن خليل غريب، البعد الإيماني والفكر القومي العربي، (ط01، دار الطليعة، لبنان، 2005م)، ص: 237. بتصرف.

ب- التيار الشيوعي: ظهرت الشيوعية مُتقدّمة نسبياً في العراق عن دول عربيّة أخرى، وانتشرت في بعض البيئات المثقّفة وبين الأقليّات بصفة خاصّة ... وقد بلغ انتشارها إلى حد أنّ [الحكومة] استصدرت مرسوماً يحظر الحزب الشيوعيّ سنة 1938 ... وهكذا بقي الحزب الشيوعيّ العراقيّ رغم قوّته حزباً سرّياً ولم يتمتّع بالعلنيّة إلّا فترة قصيرة خلال عهد عبد الكريم قاسم.¹

ت- التيار الليبراليّ: تصاعد التيار الليبراليّ في الوطن العربيّ بعد الحرب العالميّة الثانية في ظلّ التغيّرات الاقتصاديّة والسياسيّة التي شهدتها مرحلة الاستقلال، وما صاحبها من تغيّر في البنية الاجتماعيّة، وظهور النخبة التي قادت الحركة الوطنيّة من أجل الاستقلال لتُسهّم في نشر العلم الحديث والثّقافة في أوساط الشّعب.² وعرضت فكرة العلمانيّة بديلاً من الخلافة، والدّين والعقلانيّة بديلاً من الإيمان المطلق، والتّحرّر الاجتماعيّ بديلاً من النّزعة التّقليديّة...

وثار جدل بين المفكرين في هذه المرحلة بشأن الاقتباس من الغرب من دون مراعاة للمشاعر الدّينيّة، والتّقاليد السّائدة في المجتمع العربيّ من جهة، ورأي آخر يدعو للعودة إلى القيم العربيّة والموروث الإسلاميّ، ومحاولة ملأءمتها مع العصر تحت شعار (الإصلاح والتّجديد الإسلاميّ) «.³

ث- التيار الإصلاحيّ: كان هؤلاء في الواقع جماعتين التقتا وأسهمتتا في العمل الوطنيّ.

كانت الجماعة الأولى تمثّل الطّلبة الذين أمّوا دراستهم داخل العراق وأسهموا في الحركة الوطنيّة واشتركوا في الحركات الطّلابيّة. أمّا الجماعة الثانية فتُمثّل الطّلاب الذين أنخوا دراستهم خارج العراق، وبخاصّة بيروت، وعملوا على تكتيل أنفسهم في تنظيم طلابيّ سريّ يعمل في سبيل نهضة البلاد.⁴

ج- التيار الإسلاميّ: في أربعينيات القرن العشرين وخمسينياته، تشكّلت في العراق تنظيمات إسلاميّة كان معظمها امتداداً للحركات الإسلاميّة التي أنشئت في بلدان إسلاميّة أخرى كجماعة الإخوان المسلمين، وحزب التحرير الإسلاميّ. فضلاً عن ذلك شهدت السّاحة الإسلاميّة في العراق ظهور عدّة منظمّات [وأحزاب] سياسيّة إسلاميّة شيعيّة.⁵

وحصل شيء من التّحوّل في الاتجاه الإصلاحيّ الإسلاميّ بعد الحرب العالميّة الثانية في محاولة

1 صلاح العقاد، المشرق العربي العراق سوريا لبنان 1945 - 1985، (د.ط، مطبعة الرّسالة، القاهرة، مصر، 1368هـ - 1967م)، ص: 19 - 20.

2 مفيد الزّبيدي، التيارات الفكرية في الخليج العربي 1938 - 1971، مرجع سبق ذكره، ص: 115.

3 المرجع السّابق، ص: 94 - 95.

4 إبراهيم خليل أحمد، جعفر عباس حميدي، تاريخ العراق المعاصر، مصدر سبق ذكره، ص: 96 - 97.

5 المرجع السّابق، ص: 70 - 71.

بعضهم دمج الأفكار التقليدية مع الأفكار الغربية لإيجاد صيغة توفيقية بينهما، ووضع أسس نظام اجتماعي جديد. مما أثار الجدل بشكل واسع في المجتمع العربي، وصراعاً في القيم بين الجيلين القديم والجديد.¹ وقد شكّل هذا التيار المرجعية الأساسية لطله جابر العلواني، فمنهجه ليس مجرد ترف فكري.

خامساً: الجيش العراقي والسياسة: إنّ « السياسة البريطانية التي احتفظها مؤتمر القاهرة للشرق الأوسط (في آذار 1921م) أقرت نزولاً عند إرادة دافع الضريبة البريطاني ضرورة تقليص نفقات الجيش البريطاني في هذه البلاد، ومن ثمّ نشأت الاتفاقية العسكرية، استناداً إلى المادة السابعة من المعاهدة العراقية-البريطانية لعام 1922م »²، وبناءً على هذه الاتفاقية أنشئ الجيش العراقي عام 1922م والذي سيكون له آثار قريبة وبعيدة على شؤون الدولة العراقية... فكان الانقلاب العسكري الأول في 29 أكتوبر 1936م، وتبعه الانقلاب العسكري الثاني في 11 أوت 1937م، ثمّ الانقلاب العسكري الأخير في 01 فيفري 1941م والمعروف بانقلاب رشيد عالي، والذي اصطدم بالمصالح البريطانية وأدى لنشوب حرب بين العراق وبريطانيا³، وهكذا أصبح الجيش العراقي حزباً طرفاً في البلد مثل العناصر كافة المكونة للعراق الحديث، وليس مؤسسة توحيدية يلتف حولها الشعب.⁴

إنّ شخصية طه جابر العلواني التي تميل إلى التقد والمراجعات والإصلاح والتغيير، نشأت في قلب مجتمع عنوانه الانقلابات والثورات ونبد الواقع والبحث عن التغيير.

الفرع الثاني: الحالة الاجتماعية والاقتصادية في العراق خلال القرن العشرين أولاً: الحالة الاجتماعية:

01- النسيج الاجتماعي العراقي: « في مطلع القرن الحالي [العشرين]، لم يكن العراقيون شعباً واحداً أو جماعة سياسية واحدة، وهذا لا يعني الإشارة فقط إلى وجود الكثير من الأقليات العرقية والدينية في العراق، كالأكراد والتركمان والفرس والآشوريين والأرمن والكلدانيين واليهود واليزيديين والصابئة وآخرين. فالعرب أنفسهم الذين يؤلفون أكثرية سكان العراق كانوا يتشكّلون، إلى حدّ بعيد، من جملة من المجتمعات المتميزة والمختلفة في ما بينها والمنغلقة على الذات، بالرغم من تمتعهم بسمات مشتركة.

1 مفيد الزبيدي، التيارات الفكرية في الخليج العربي 1938 - 1971، مرجع سبق ذكره، ص: 96.

2 المصدر السابق، ص: 89 - 90.

3 ينظر: زكي صالح، مقدمة في دراسة العراق المعاصر، مصدر سبق ذكره، ص 98 - 115.

4 كمال ديب، موجز تاريخ العراق، مرجع سبق ذكره، ص: 53.

كانت هناك هوة واسعة تفصل المدن عن المناطق العشائريّة، وكان العرب الحضر وعرب العشائر ينتمون إلى عالمين يكادان يكونان مُنفصلين، باستثناء سكّان المدن الواقعة في عمق المناطق العشائريّة أو رجال العشائر الذين يقطنون قرب المدن».¹

وباختصار فإنّه خلال الفترة الممتدة من 1921 إلى 1939 كان للملك المتمركز في بغداد مغزى اجتماعي متعارض مع أوضاع مشايخ العشائر، الذين كانوا لا يزالون هم الحكّام الفعليّون لجزء كبير من الرّيف.² ولكن خلال فترة ما بعد 1939 فإنّ الملكيّة، بتحالفها مع المشايخ، توقّفت عن لعب الدور السّاعي إلى التّوحيد الاجتماعي.³

02- التركيبة السّكّانيّة في العراق: كان الأكراد يشكّلون حوالي 18% من مجموع السّكّان المتشكّلة غالبيتهم العظمى من العرب [نسبة 82%]، وأمّا على الصّعيد الدّيّ فيشكّل المسلمون 95% تقريباً والمسيحيّون 4% والآخرون ما تبقى⁴، والمسلمون مُنقسمون بين السّنّة والشيعة.

إنّ التّنوّع العرقيّ والدّيّ والمذهبيّ والاجتماعيّ في العراق جعل من العراق عالماً صغيراً بالنسبة لطله جابر العلواني، سيُسَهّل عليه مُستقبلاً فهم العالم الحقيقيّ والتّعامل معه بكلّ سلاسة، وكأنّ العيش في العراق كان بمثابة دورة تكوينيّة لخوض غمار تجربة أوسع في عالم أوسع وأكثر تنوّعاً.

ثانياً: الحالة الاقتصادية:

01- الموقف الاقتصاديّ العام: كانت الأكثرية الغالبة من سكّان العراق في مختلف الفترات من الفلاحين من سكنة الرّيف، وارتكزت حياة المجتمعات الفلاحيّة على طول ضفاف نهري دجلة والفرات، وشطّ العرب والفروع المتشعبة منها والرّوافد التي تزوّدها، والأهوار⁵ الملحقة بها.⁶

ثمّ شهد العراق تحولات اقتصادية منذ ثورة 1958م وحتى منتصف الستينيات، لكن على الرّغم من أنّ الثورة ضمّت تيارات سياسيّة، إلّا أنّ الرّئيس عبد الكريم قاسم كان متأثراً برجالات

1 ينظر: حنا بطاطو، العراق الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية، مصدر سبق ذكره، ص: 31 - 36.

2 المصدر السّابق، ص: 46.

3 المصدر السّابق، ص: 50.

4 عزيز الحاج، القضية الكردية في العشرينيات، (ط01، المؤسسة العربيّة للدراسات والنّشر، بيروت، لبنان، 1984م)، ص: 79.

5 الأهوار: سكّان الأهوار في جنوب العراق يعيشون في جزرٍ صغيرة جداً. ينظر: إيناس سعدي عبد الله، تاريخ العراق الحديث، (ط01، عدنان للطباعة والنّشر والتّوزيع، بغداد، العراق، 2014م)، ص: 519. باختصار.

6 ينظر: المرجع السّابق، ص: 518 - 520.

(الحزب الوطني الديمقراطي)، الذين كانوا يتطلعون إلى مشروع وطني شعاره (العراق أولاً).¹
وبعد انقلاب 1963م، حصل تغير آخر في العراق إذ بدأ الحُكَّام الجدد عملية صياغة جديدة
لدور الدولة الرأعية كأب لجميع على النمط الاشتراكي العربي.²
إنّ بناء الدولة المركزية القويّة المستبدّة في الفترة منذ 1968 إلى 1978 على أيدي بعثيّة بقيادة
أحمد حسن البكر وصدّام حسين، كان له الأثر التاريخي الكبير على تاريخ العراق الحديث.³

الفرع الثالث: الحالة الفكرية والعلمية والدعوية في العراق خلال القرن العشرين

أولاً: الحالة الفكرية والعلمية: كانت سنوات القرن العشرين « من أخصب مراحل التطور الفكري في العراق، تلك الأعوام الحبلى بالآراء والأفكار التي وُضع خلالها الأساس الفكري السياسي/الاجتماعي في العراق الحديث، وبالنسبة للباحث في تطور العراق الفكري يجد أنّ هذه الفترة التكوينية تُقدّم مصادر وأصول أغلب الأفكار التي ذاعت وانتشرت في الأعوام التالية ». ⁴ ويتأكد أيضاً أنّ طه جابر العلواني تلقّف تلك الأفكار والآراء وصاغ منها مشروعه الفكري.

ثانياً: الحالة الدينية: انقسم المجتمع العراقي، مثل باقي المجتمعات في العالم النامي والإسلامي والعربي، إلى تيارين متعارضين: تقليدي ديني يمثل الثقافة الدينية والشعبية الأصلية السائدة منذ قرون طويلة، حدثي متأثر بالثقافة الأوربية الأجنبية الغازية التي دخلت أولاً عن طريق الاستعمار والجيش الغازية. ثم استمرت عن طريق النخب الحديثة التي أعدها وثقّفها المستعمرون، وقد تمكّن التيار الحديثي من فرض سيطرته المطلقة على الدولة والمجتمع والأحزاب والثقافة.⁵

1 كمال ديب، موجز من تاريخ العراق، مصدر سبق ذكره، ص: 89. باختصار.

2 المصدر السابق، ص: 87.

3 المصدر السابق، ص: 100 - 101.

4 عامر حسن فياض، جذور الفكر الاشتراكي والتقدمي في العراق 1921-1934، (د.ط، دار ابن رشد، بيروت، لبنان، 1980م)، ص: 05.

5 سليم مطر، تاريخ العراق الأرض والشعب والدولة، (ط01، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 2021م)، ص: 400 - 401.

المطلب الثاني: التعريف بطه جابر العلواني

من خلال تتبع سيرة طه جابر العلواني سيّضح جلياً مدى تأثره العميق بالسياق العام للوضع الداخلي والخارجي للعراق.

الفرع الأول: حياة طه جابر العلواني وطلبه العلم

أولاً: مولد طه جابر العلواني ونشأته الأسرية: طه جابر العلواني من مواليد مدينة الفلوجة، بمحافظة الأنبار في العراق، عام (1354 هـ) الموافق 04 مارس (1935م)¹. من عائلة ميسورة، إذ كان يعمل والده في تجارة الحبوب والصّوف والسّمْن، ويمتلك منزلاً كبيراً يتّسع لأسرته ولأسرتي أخويه، ورغم أنّه لم يكن لوالده سوى إمام بسيط بالقراءة والكتابة لا يتجاوز تلاوة القرآن الكريم، إلّا أنّه كان واسع الأفق رحب الصدر، فعاش الدّكتور طفولته المبكّرة في وسطٍ عائليّ خالٍ من التّعصّب، يلتقي فيه السّنة والشّيعة وشيوخ العشائر.³

ثانياً: مرحلة طلب العلم الشرعيّ: تلقّى -طه جابر العلواني- التّعليم في المدرسة الملحقة بالمسجد، حيث ختم القرآن، وتعلّم القراءة والكتابة، وتتلّمذ على يد شيخٍ محبٍّ للعلوم الشرعيّة ومُلمٍّ بعلم المتون⁴، ويكره الحفظ.⁵

«ثمّ التحق بمدرسة الفلوجة الابتدائيّة، واستهلّ طه جابر دراسته في هذه المرحلة باللّغة العربيّة («متمن الأجرومية») حفظاً، ودراسة، ثمّ من قطر النّدى وبلّ الصّدى، و«شدور الدّهب»، و«البهجة المرضيّة» وبعض الكتب التي تجمع بين النّحو والصّرف، أمّا في الفقه فقد درس «الغاية والتّقريب» لأبي شجاع، و«الحضرميّة» في الفقه الشّافعي، قبل أن ينتقل إلى دراسة «مراد الفلاح شرح نور الإيضاح»، و«مختصر القدوريّ» في الفقه الحنفيّ، ودرس في التّصوّف المقصدين الأخيرين الخاصّين بأصول التّصوّف، وبيان الوصول إلى الله من المقاصد السّبعة للإمام النّوويّ، ودرس في أصول الفقه («جمع الجوامع») لابن السّبكيّ وشروحه، كما درس «العقيدة السنوسيّة»، و«العقيدة

1 كان طه جابر العلواني مُسجلاً في الأوراق الرّسميّة أنّه من مواليد (1939م)، وعلى طريقة التّسعين عاد إلى عام (1935م). ينظر:

طه جابر العلواني، تجربتي في الحياة السياسيّة، (ط01، منتدى المعارف، بيروت، لبنان، 2015م)، ص: 51.

2 أحمد جمال أبوسيف، دراسة تحليليّة نقدية لكتاب إشكالية التّعامل مع السّنة النبويّة لطله جابر العلواني، (ط01، مركز الإمام الألبانيّ للدراسات والأبحاث، عمّان، الأردن، 1439هـ - 2018م)، ص: 25.

3 يحيى سعد، طه جابر العلواني وعلم الاجتماع، <https://drasah.com/>.

4 هو الشّيخ عبد العزيز السّامرائي.

5 طه جابر العلواني، أيّام حياتي بين النيل والفرات واليوتماك، (المكتبة الإلكترونيّة، 2012م)، ج02، ص: 21 - 22.

التسفيّة» في العقائد»¹ وحصل من جامعة الأزهر على الليسانس سنة 1378هـ - 1959م، والماجستير سنة 1388هـ - 1968م، والدكتوراه سنة 1392هـ - 1973م بمرتبة الشرف الأولى.²

ثالثاً: أبرز شيوخ طه جابر العلواني وبعض تلاميذه:

أ- أبرز شيوخ طه جابر العلواني³: من أهم شيوخ طه جابر العلواني:

01- عبد العزيز بن سالم السامرائي: ولد سنة 1332هـ - 1914م في مدينة سامراء، تتلمذ على أيدي علماء سامراء، كالشيخ أحمد الزاوي، والشيخ عبد الوهاب البدري، وتتلّمذ على يديه كبار علماء العراق، حتّى قال عنه الشيخ النّبهان: (ركن العلم في العراق)، عاد إلى سامراء في مرض موته وتوفي هناك سنة: (1394هـ - 1973).⁴

02- أمجد الزّهاوي: ولد أمجد في بغداد عام 1300هـ الموافق عام 1882م، وبها نشأ وتعلّم، وتخرّج في كليّة الحقوق ومعهد القضاء العالي بإستانبول عام 1906م، وأنيطت به وظيفة حاكم في محاكم العراق، كما انتخب رئيساً لمؤتمر العالم الإسلامي بالإجماع.⁵ كان قاضياً منعزلاً، منفرداً بكتبه وتلاميذه وأولاده، فلما ترك العمل انتفض انتفاضةً فإذا هو يرجع شاباً: شاباً في جسده وفي همته.⁶

توفي أمجد الزّهاوي في يوم الجمعة 15 شعبان 1386 هـ، الموافق 17 تشرين الثاني [نوفمبر] 1967م، وشيّع في موكب مهيب يوم السبت.⁷

03- أبو الكمال عبد الغني عبد الخالق: ترجم له العلواني فقال عنه: ولد في 17/03/1908م

1 التيجاني عبد القادر حامد، رحلة في فكر ومنهجية طه جابر العلواني 1935 - 2016، (ط01، مركز الإسلام في العالم المعاصر، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، 2022م)، ص: 30 - 33.

2 طه جابر العلواني، تأملات في التّورات العربيّة، (د.ط، مركز صناعة الفكر للدراسات والأبحاث، د.س.ط)، ص: 170.

3 ذكر العلواني بعضهم بالاسم. ينظر: طه جابر العلواني، القرضاوي المفكر والدّاعية، (ملتقى الإمام القرضاوي مع الأصحاب والتّلاميذ، الدّوحة، قطر، 1428هـ - 2007م)، ص: 02.

4 خالد أحمد الصالح، الشيخ عبد العزيز سالم السامرائي حياته وجهوده العلمية في الفقه والفتوى، (رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، بغداد، 1424هـ - 2004م)، ص: 16 - 42. باختصار.

5 ينظر: عمر شاكر سعيد، مؤتمر الشيخ أمجد الزهاوي (1403هـ - 2013م)، (ط01، مطبعة شفان، العراق، 2014م)، ص: 36.

6 ينظر: علي الطنطاوي، رجال من التاريخ، (ط01، دار البشير للثقافة - دار المنارة، جدة، المملكة العربية السعودية، 1418هـ - 1998م)، ج02، ص: 233.

7 وليد الأعظمي، أعيان الزمان وجيران النعمان في مقبرة الخيزران، (ط01، دار الرقيم للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، العراق، 2001م - 1421هـ)، ص: 205 - 207.

في مدينة القاهرة، وانتقل إلى جوار ربّه مكان ولادته -نفسه- عشية الخميس 18/10/1403هـ الموافق 28/07/1983م، من أهمّ أعماله: حجّة السنّة، الإجماع حقيقته وحجّيته.¹

ب- تلاميذه: إنّ تلاميذ العلوانيّ كثير جدّاً، ونذكر من أبرزهم:

01- زينب طه جابر العلواني: من مواليد العراق عام 1962م. تعمل أستاذاً مساعداً في الدّراسات الإسلامية في جامعة هاورد في واشنطن.² يقول عنها أستاذها ووالدها طه جابر العلواني:

«عرفت زينب الطّالبة ((طلّعة)) منذ طفولتها، تتطلّع بشغف عجيب إلى سائر أنواع المعرفة، وتحاول الإمام بكلّ ما تستطيع منها بالقدر الذي يسمح لها به سنّها وطاقاتها. وحين آتست ذلك منها، بدأت أنمي قدراتها بتثقيفها، وتكليفها ببعض المهام البحثيّة المساعدة، فأظهرت قدرة فائقة على الاستيعاب والنّقد والتّحليل». ³ من كتبها: تطوّر المنهج المقاصديّ عند المعاصرين: مداواة مع الشيخ طه جابر العلواني، الأسرة في مقاصد الشّريعة: قراءة في قضايا الزّواج والطلاق في أمريكا، وغيرها.

02- رقية طه جابر العلواني: أستاذة الدّراسات الإسلاميّة في قسم اللّغة العربيّة والدّراسات الإسلاميّة بجامعة البحرين، « من مواليد العراق أكتوبر عام 1966م، حصلت على درجة البكالوريوس في أصول الفقه من قسم الفقه وأصوله، الجامعة الإسلاميّة العالميّة ماليزيا عام 1997م، وعلى الدّكتوراه في الفقه وأصوله عام 2001م »⁴، من أعمالها: أثر العرف في فهم النّصوص.

03- جاسر عودة: ولد في شهر نوفمبر 1966م، حفظ القرآن ودرس الحديث والفقه والأصول بحلقات الجامع الأزهر في سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي، من رواد المدرسة المقاصديّة المعاصرة. من مؤلّفاته: مقاصد الشّريعة كفسلفة للتّشريع الإسلاميّ، والاجتهاد المقاصديّ، وفقه المقاصد، والمرأة والمسجد، ورحلة مع الحكم العطائية في ضوء السنن الإلهية، وخلاصة بداية المجتهد لابن رشد.⁵

1 ينظر: عبد الغني عبد الخالق، حجّة السنّة، (ط01، دار الوفاء للطباعة والنشر، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكيّة، 1407هـ - 1987م)، ص: 22- 28. بتصرف.

2 زينب طه العلواني، تطوّر المنهج المقاصديّ عند المعاصرين: مداواة مع الشيخ طه جابر العلواني، (د.ط، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكيّة، 2011م)، واجهة الغلاف الخارجي الأخير.

3 زينب طه العلواني، الأسرة في مقاصد الشّريعة قراءة في قضايا الزّواج والطلاق في أمريكا، (ط01، المعهد العلمي للفكر الإسلامي، هرندين، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكيّة، 1432هـ - 2012م)، ص: 11 - 12.

4 رقية طه جابر العلواني، أثر العرف في فهم النّصوص، (ط01، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1424هـ - 2003م)، ص: أ.

5 <https://www.jasserauda.net/> بتصرف.

الفرع الثاني: الحياة الدعوية والسياسية لطه جابر العلواني في العراق

أولاً: الحياة الدعوية قبل الهجرة من العراق: يروي العلواني عن بداياته الدعوية قائلاً: «كان حديث شيخي -عبد العزيز السامرائي- بشأن الإخوان وراء شروعي في البحث عن شيوخ آخرين، حيث عازمت على الرحيل إلى بغداد ومغادرة الفلوجة، أملاً في أن تفسح لي أجواء الاتساع والرحابة في بغداد بخبرة أو تجربة جديدة، وتقدمت إلى مديرية الأوقاف في بغداد طلباً للعمل خطيباً، وتلقيت من بعض الأساتذة وفي مقدمتهم الأستاذ الصوّاف المراقب العام للإخوان المسلمين في بغداد كثيراً من الدعم والتشجيع والتأييد والتأكيد على أنني أصلح إماماً، هكذا عُيِّنْتُ إماماً وخطيباً للجامع الحاجة نسيبة وتسلمت عملي في الخامس عشر من يناير 1953م، وبدأت مرحلة جديدة في حياتي مغايرة تماماً للمرحلة السابقة، ومن خلال عملي في المسجد اكتسبت خبرات كثيرة».

ويقول العلواني: وقد توصّلت في مطلع شبّابي إلى تصنيف لازلت أحرص عليه وأعتزّ به، هو أنّ الرجال أنواع: رجل لذاته ونفسه، ورجل لأسرته، ورجل لعشيرته أو مدينته، ورجل لإقليمه، وفوق هؤلاء (رجل الدولة) ولا يتقدّم عليه إلّا رجل الأمة، فكنت أتطلّع إلى أن أكون (رجل أمة) لا شيئاً آخر، وسبيل ذلك عندي (العلم والفكر) وتبني قضايا الأمة والعمل على جمع كلمتها، وإعادة ما رث وتقدم من عراها ومقدماتها».¹

ثانياً: الحياة السياسية للعلواني: يعتبر العلواني ما سبق -الإمامة- لا يرقى للوصف بأنّه عمل سياسي فيقول: «وحتى ذلك الحين لم يكن لي دور سياسي يُذكر فقد كنت شاباً أتابع مثل أبناء جيلي ما يجري، وكنت خلال خطبة الجمعة لا أتردد في تأييد ما أظنّه صواباً، وانتقاد ما أعتقد بطلانه، وكانت لي صداقات مع مجموعات مختلفة وأقربها إلى مجموعات إسلامية من المستقلين وعناصر الأخوة الإسلامية وحزب التحرير وبعض الخطباء الشباب من أمثالي، وقد تركت مراقبة الأحداث والانفعال بها في النفس آثاراً مختلفة وأوجدت قناعة بضرورة التغيير والإصلاح، وعدم رضا عن الممارسات التي كانت قائمة والتي لم أقنع بأنّها سوف تحقّق التغيير المطلوب، من دون أن أتجاوز دور الخطيب الشاب الذي يشدّد من المنبر على وسائل إعادة بناء الوعي وضرورة سلوك طريق التغيير».²

«وكانت الحياة السياسية العراقية قد شهدت، آنذاك، بروز جماعة الإخوان المسلمين التي تعرّفت عليها قبل مغادرتي الفلوجة إلى بغداد ... ولم يعد من الممكن أن يلتزم الإنسان الحياد،

1 ينظر: طه جابر العلواني، تجربتي في الحياة السياسية، مصدر سبق ذكره، ص: 58.

2 المصدر السابق، ص: 42.

وبطبيعة الحال كنت منحازاً إلى التيار الإسلاميّ خاصّة أنّه كان هناك استفزاز شيوعيّ للمشاعر الإسلاميّة، وبوصفي خطيب مسجد ركّزت في خطبي على مقاومة الشيوعية وواجهاتها، ثمّ بدأت أواجه عبد الكريم قاسم نفسه وحكومته¹.

وقد أدرك العلوانيّ من أول تجربة سياسية خاضها، وجود تأثيرات وتدخلات ثقافيّة حزبيّة مستوردة على ساحة العمل الإسلاميّ وبخاصّة على صعيد الوسائل، وأنّ المعادلة الصّعبة التي يجب أن يعمل على حلّها هي في إيجاد صيغة بديلة عن الحزبيّة تنتهج الإصلاح والتّغيير، وعليه صارت قناعته أنّه يجب أن يغادر الحزب.²

وبعد اعتزاله السياسة دعا إلى ضرورة الفصل بين العمل الدّعويّ والسياسيّ، وأنّه لا بدّ من الفصل بين مؤسّسات الدّعوة والسياسة، وابتعد عن النّظرة الضيّقة الرّاميّة والدّاعية للتّغيير في العراق إلى نظرة ودعوة أوسع تشمل عموم وعلوم الأمّة معاً.³ والعلوانيّ الشّابّ في هذه المرحلة من حياته؛ غلب عليه كغيره من الشّباب التّأثر والتّقليد لما هو ممارس في محيطه، والتّفاعل فقط في ذات الحدود، فلم يخالف من عاصرهم الرّؤية التي كانت تسعى لتغيير الواقع بتغيير السّلطة وبأيّ طريقة.

ثالثاً: الحياة الدّعويّة بعد مغادرة العراق واعتزال السياسة: بعد الحصول على شهادة الدّكتوراه، وبعد تجربة إيران السياسيّة الصّادمة، سافر العلوانيّ إلى المملكة العربيّة السّعوديّة عام 1975م، وانضمّ إلى هيئة التدريس في كليّة الشّريعة بجامعة الإمام محمّد بن سعود، وكُلّف بتدريس الفقه والأصول على المذهب الحنبليّ، وقد كان هذا العقد من عمره سبيلاً لإصدار جملة من مؤلّفاته، منها (أدب الاختلاف في الإسلام)، و(أصول الفقه الإسلاميّ)، وغيرها، ولكنّ تطلّعاته الفكريّة الرّئيسيّة ظلّت تبحث لها عن وسط أكثر اتّساعاً، فكان له خلال نفس الفترة عدّة مناقشات مع عدّة مفكرين حول التّجديد والإصلاح، ويأتي على رأسهم عبد الحميد أحمد⁴، ولكنّ تلك المناقشات لم تكن بالقدر الذي يرضي شغفه ويشبع ميولاته، فاستقال في سنة 1984م من عمله وسافر إلى الولايات المتّحدة

1 طه جابر العلوانيّ، تجربتي في الحياة السياسيّة، مصدر سبق ذكره، ص: 49 - 72. باختصار.

2 ينظر: المصدر السابق، ص: 103.

3 للمزيد ينظر: كتب طه جابر العلوانيّ: تجربتي في الحياة السياسيّة، تأملات في الثّورات العربيّة، أبعاد غائبة عن فكر وممارسات الحركات الإسلاميّة.

4 عبد الحميد أحمد أبو سليمان: من مواليد مكّة عام 1355هـ/1936م، حصل على الدّكتوراه في العلاقات الدّولية، من جامعة بنسلفانيا عام 1973م، رئيس ومؤسس المعهد العالميّ للفكر الإسلاميّ، من مؤلّفاته: الرّؤية الكونية الحضارية الإسلاميّة، إشكالية الاستبداد والفساد في الفكر والتّاريخ الإسلاميّ، وغيرهما، [توفيّ يوم 18 أوت 2021م]. ينظر: ماجد أبو غزالة، دليل إصدارات المعهد العالميّ للفكر الإسلاميّ 1981 - 2015م، مركز معرفة الإنسان للدراسات والأبحاث والنّشر والتّوزيع، ص: 170.

الأمريكية. فشارك في أولى الخطوات العملية لتأسيس المعهد العالمي للفكر الإسلامي¹، ثم ترأسه.

لقد مرّ العلواني بمرحلة توّرت فكريّ وتحوّلت منهجيّ، فمن فترة تبنيّ الطريقة التقليديّة، تلك الفترة التي قال عنها أنّه كان «محافظاً وتقليديّاً، لا أختلف عن أيّ أزهريّ تخرّج من الأزهر في مرحلة تخرّجي فيه، فالتلف سلف، كأنّ الأصل فيهم أنّهم لا يخطئون، والمتأخرون خلف، كأنّ الأصل فيهم الخطأ»²، إلى فترة ثانية اهتمّ فيها بفكرة إسلامية المعرفة، والدعوة إلى التجديد والتأسيس للإصلاح الفكريّ، ثمّ إلى فترة مراجعة التراث ونقده في ضوء القرآن الكريم وحده.

وفي الفترة الأخيرة؛ صدع برؤيته المستقلّة ومنهجها الخاصّ به في مسيرة الإصلاح الفكريّ المبنيّ على ثلاثة أسس: التحليل والكشف، التقدير الجريء، والمراجعة الشاملة لتراث وثقافة الأمة، وقد أصدر من ضمن ما أصدر سلسلة دراسات قرآنيّة، بدأها سنة 2006م بكتاب "الوحدة البنائية للقرآن المجيد"، مروراً بأحد أهمّ الكتب التي تعكس منهج العلواني الختاميّ "من أدب الاختلاف إلى نبذ الخلاف 2017م"، ووصولاً لآخر مؤلّفاته كتاب "تفسير القرآن بالقرآن 2020م".

إنّ سيرة العلوانيّ ومنذ كان شابّاً يافعاً؛ كشفت لنا عن شخصيّة إسلاميّة ثوريّة، تأبى المداهنة والمداراة، في المجال السياسي كما في المجال الدّعويّ والفكريّ، وتؤمن بالتّغيير والتّجديد سبيلاً لإحياء الأمة المخرّجة، شخصيّة أبت أن يبقى مشروعها الفكريّ حبيس الكتب والأدراج.

الفرع الثالث: النشاطات العلميّة لطه جابر العلواني ووفاته

أولاً: النشاطات العلميّة لطه جابر العلواني:

- 01- اللقاءات والدّورات والملتقيات والندوات والمؤتمرات والمخيّمات: وهي نشاطات كثيرة.³
- 02- الحوارات والمقالات المنشورة: فيما يخصّ حوارات ومقالات العلوانيّ فإنّها أكثر من اثنتين وخمسين حواراً، وتوفّق سبعمائة وسبعة وثلاثون مقالاً في مختلف المجالات وفي شتى التّخصّصات.⁴
- 03- المهام والوظائف: وهذا من خلال ترأس أو تأسيس أو عضويّة مؤسسات علميّة كثيرة.⁵

1 المعهد العالمي للفكر الإسلامي: مؤسّسة فكريّة علميّة خيريّة مستقلّة، تعمل في ميدان الإصلاح الفكريّ والمعرفيّ، أنشئ عام 1401هـ (1981م) وسُجّل في الولايات المتّحدة الأمريكيّة، ومقرّه العامّ في (هيرندن) من ضواحي العاصمة الأمريكيّة واشنطن، وله فروع ومكاتب في عدد من العواصم العربيّة والإسلاميّة والعالميّة. المرجع السّابق، ص: 12.

2 طه جابر العلواني، من أدب الاختلاف إلى نبذ الخلاف، مرجع سبق ذكره، ص: 13 - 14.

3 ينظر: طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 940 - 968.

4 ينظر: موقع الدّكتور طه جابر العلواني للدراسات القرآنيّة، <https://alwani.org/>.

5 ينظر: طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 940 - 968.

وقد ناقش وأشرف خلال مسيرته الجامعية على الكثير من رسائل الدكتوراه والمجستير.

ثانياً: مؤلفاته ومكانته العلمية:

أ- مؤلفات طه جابر العلواني: وهي نوعان:

• المؤلفات باللغة العربية: ومن أهمها:

01- تحقيق ودراسة كتاب (المحصول في علم أصول الفقه) الإمام فخر الدين الرازي، وقد قامت جامعة الإمام محمد بن سعود بطبعه ونشره في ستة مجلدات 1980م.

02- الجمع بين القراءتين: قراءة الوحي وقراءة الكون، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2006م.

03- الوحدة البنائية للقرآن المجيد، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2006م.

• المؤلفات باللغة الإنجليزية: ومنها:

01- Source Methodology in Islamic Jurisprudence. London: Washington ، International Institute of Islamic Thought ،1990.

02- The Quran and the Sunnah: The Time-Space Factor. Herndon ،Virginia: The International Institute of Islamic Thought ،Occasional Paper Series ،No. 3 ،1991.

ب: المكانة العلمية لطه جابر العلواني بين الثناء والانتقاد:

الموقف الأول: ثناء الهيئات الرسمية على طه جابر العلواني: ومنها: الإتحاد العالمي لعلماء المسلمين¹، وهيئة علماء المسلمين في العراق²، وجمع الفقهاء الإسلاميين³، وجامع الأزهر الشريف⁴، والمعهد العالمي للفكر الإسلامي⁵.

الموقف الثاني: ثناء الشخصيات العلمية على طه جابر العلواني: ومنهم:

- مفتي الديار العراقية رافع الرفاعي: أثنى على العلواني كثيراً خلال الحصة التلفزيونية التي تناولت خبر وفاة طه جابر العلواني⁶.

- الشيخ يوسف القرضاوي: لُقّب القرضاوي طه جابر العلواني بـ "أب العلم والفكر والفقه"، ووصفه

1 الإتحاد العالمي لعلماء المسلمين، بيان نعي لطه جابر العلواني، بتاريخ: 2016/03/05.

2 <https://m.archive-amsi.net/>

3 الموقع الرسمي لجمع الفقهاء الإسلاميين: <https://iifa-aifi.org/ar/>.

4 بيان الأزهر، نعي الشريف لطه جابر العلواني، بتاريخ: السبت الموافق 2016/03/05. <https://www.azhar.eg>

5 ماجد أبو غزالة، دليل إصدارات المعهد العالمي للفكر الإسلامي 1981 - 2015م، مصدر سبق ذكره، ص: 178.

6 قناة الشريعة العراقية، خبر وفاة طه جابر العلواني، (الحصاد، 2016/03/06)، <https://www.youtube.com/>

بالعالم الأصولي والداعية المفكر.¹

- الموقف الثالث: ثناء الأقارب على طه جابر العلواني:** وهم الأقارب المشهود لهم بالعلم ومنهم:
- منى أبو الفضل العلوان: قالت عن زوجها: لا أتردد في وصفه بأنه من مجددي الدين في عصره.²
 - رقية طه جابر العلواني: قالت عن والدها: أخذت عن الوالد حب القراءة والاهتمام الواسع بالعلم، وساعدني وجود المكتبة العلمية الغزيرة، واهتمام الوالد بالكتب.³
 - الموقف الرابع: انتقادات وجهت لطفه جابر العلواني:** الكمال في البشر عزيز، لذا فالعلواني الثائر على جميع العلوم مراجعة ونقداً، لم يسلم من النقد، وقد وُجّهت له انتقادات في القضايا التالية:
 - **عدم السلامة في الاعتقاد:** اعتبره البعض شيخ المعتزلة في العصر الحديث.⁴
 - **معاداة السنة النبوية:** فالعلواني في أحسن أحواله يُسَلَّم بأن السنة حجة إن جاءت بما له أصل في القرآن - لا يعدّ ذلك تشريعاً -، وينكر السنة الزائدة التي أتت بحكم سكت عنه القرآن.⁵
 - **غمز السلف والأنمة والعلماء المتقدمين:** كالتشكيك في عدالة الصحابة رضي الله عنهم، ووصف معاوية رضي الله عنه بالديكتاتور، واتهام بعض العلماء والمفسرين بالتعصب والانتقائية والتساهل وعدم الفهم، والزعم أنّ ثمة عند المحدثين وغيرهم مشكلة في التعامل مع السنة والرواة.
 - **الماخذ الأصولية على العلواني:** في عام 2014م أصدر العلواني كتابه (إشكالية التعامل مع السنة النبوية)، واشتمل الكتاب على مضمونين، علوم الحديث وعلم أصول الفقه، وقد اعترض بعض الأصوليين على ما أورده حول مصدرية السنة للتشريع وعلى حجّة بعض أنواعها، وعدّوها سقطات ما كان للعلواني أن يقول بها، وهو الأصولي المتقن⁶، وتشكيكاً في مصادر التشريع (السنة).⁷
 - **التأثر بمختلف المدارس الفكرية الدينية واللادينية:** كاتفاقه مع المستشرقين والقرآنيين

1 ينظر: يوسف القرضاوي، في وداع الأعلام، (د.ط، الدار الشامية، تركيا، د.س.ط)، ص: 794 - 800.

2 <https://alwani.org>.

3 رقية العلواني، حلقة تلفزيونية تأيينية للشيخ طه جابر العلواني، (قناة الشرقية العراقية، 2016/03/06)، التحميل يوم: 2024/06/21.

4 طارق عبد الحليم، طه جابر العلواني - عقل البدعة وبدعة العقل، <http://majles.alukah.net/t>.

5 ينظر: أحمد جمال، دراسة حديثة تحليلية نقدية لكتاب (إشكالية التعامل مع السنة النبوية)، (ط01، جمعية مركز الإمام الألباني للدراسات والأبحاث، عمان، الأردن، 1439هـ - 2018م)، ص: 05 - 06.

6 عارف عز الدين حسونة، المآخذ الأصولية على كتاب (إشكالية التعامل مع السنة النبوية) للدكتور طه جابر العلواني، (دراسات علوم الشريعة والقانون، الجامعة الأردنية، 2016م)، مجلد: 43، ملحق2، ص: 883 - 905.

7 ينظر: أحمد جمال، دراسة حديثة تحليلية نقدية لكتاب (إشكالية التعامل مع السنة النبوية)، مرجع سبق ذكره، ص: 06.

والحدثيين العلمانيين في كون السنّة ليست وحياً، وميله للعقلانيين والشيعة تركية ونقلًا وتعاوناً.

ثالثاً: وفاة طه جابر العلواني: شاءت مشيئة الله ﷻ أن توفّي الشيخ في اليوم الذي ولد فيه. في يوم: 04 مارس 2016م، وهو في طريقه من القاهرة إلى واشنطن.¹

المطلب الثالث: تقديم كتاب "تفسير القرآن بالقرآن" لطله جابر العلواني

التفسير الموضوعي في كتاب "تفسير القرآن بالقرآن" للعلواني هو لب هذه الدراسة ومحورها الأساسي، وتقديم صورة عن هذا الكتاب سيكون له أثر في مجالات هذه الدراسة ومباحثها.

الفرع الأول: تعريف كتاب "تفسير القرآن بالقرآن" لطله جابر العلواني

أولاً: مضمون كتاب "تفسير القرآن بالقرآن" للعلواني: تضمّن تفسير إحدى عشر سورة هي على الترتيب: الفاتحة، البقرة، الأنعام، طه، الأنبياء، الحج، المؤمنون، النور، العنكبوت، الزّوم، السّجدة. وتجدر الإشارة أنّه تمّ نشر تفسيرات بعض السّور التي تضمّنّها تفسيره في ثلاثة مؤلّفات منفصلة وهي: تفسير سورة الأنعام²، وتفسير سورة العنكبوت³، وتفسير سورة الزّوم⁴.

ثانياً: خلاصة عامّة عن كتاب "تفسير القرآن بالقرآن" للعلواني: كخلاصة عامّة عن كتاب "تفسير القرآن بالقرآن" يذكر الباحث النقاط التالية:

- هذا الكتاب هو آخر ما ألفه طه جابر العلواني.
- يعدّ هذا الكتاب أول مصنّف في علم التفسير يمكن نسبته لمدرسة إسلامية المعرفة.
- يعدّ هذا التفسير أول مصنّف وفق مدخل الجمع بين القراءتين.
- هذا التفسير غير مستوعب لكامل سور القرآن، ولكنّه استوعب منهج العلواني في التفسير.
- الخطوات المنهجية المتبعة في التفسير تتناسب مع التفسير الموضوعي بجميع أنواعه.

1 ينظر: وفاة الشيخ طه جابر العلواني، فتحي حسن ملكاوي، موقع "الجزيرة"، يوم: 12/18/3131م، الساعة: 12:24
http://www.aljazeera.net

2 طه جابر العلواني، تفسير سورة الأنعام، (دار السلام للطباعة والنشر والترجمة والتوزيع وقرطبة للبحوث والدراسات والتنمية البشرية، القاهرة، مصر، 2012م)، ص: 07 - 38.

3 طه جابر العلواني، تفسير سورة العنكبوت، (شركة الإيتقان للترجمة والنشر والبحوث، القاهرة، مصر، 2016م)، ص: 04 - 149.

4 طه جابر العلواني، تفسير سورة الزّوم، (شركة الإيتقان للترجمة والنشر والبحوث، القاهرة، مصر، 2016م)، ص: 01 - 09.

الفرع الثاني: مصادر التفسير العامة عند طه جابر العلواني: مقصود الباحث من مصادر التفسير العامة هو المراجع الأولية المشتركة بين المفسرين، وهي التي قد يُعبّر عنها بالطرق¹ وبالمأخذ² أو بغير ذلك عند المفسرين، وما يمكن الجزم بأنه أحسن طرق التفسير عند العلواني هو ما يلي:

أولاً: التفسير بالمأثور: خلاصة كلام العلواني في هذا الباب هي أنّ « القرآن الكريم مبين، وأعلى درجات بيانه هي بيانه لنفسه، وهو تبيان لكل شيء؛ بما في ذلك السنّة النبويّة المطهّرة »³، أي أنّ القرآن الكريم غنيّ مُستغن بذاته عمّن سواه، وغيره من يحتاج له.

وهو يُفرّق بين التفسير اللفظي والتفسير العمليّ الوارد عن رسول الله ﷺ، فالتفسير اللفظي هو "تفسير للقرآن بالقرآن" لا غير، و « أما التفسير العمليّ والتطبيقيّ فسنته وسيرته - كلّها - عبارة عن تفسير للقرآن الجيد، فسنته هي القرآن، وسيرته هي القرآن، وخلق هو القرآن »⁴.

وكشف عن موقفه الرافض لكلّ ما لم يصحّ سنداً وممتناً، وعن رأيه الواضح بضرورة أن نحمي العقول المؤمنة من أن تذهب نهباً للإسرائيليات والأكاذيب والموضوعات والمعلّقات والمراسيل.⁵ والمعلّقات ليست سواء، وقد أفرد ابن حجر العسقلانيّ كتاباً في المعلّقات التي تضمّنها "صحيح البخاري" سمّاه ((تغليق التعليق)) ذكر فيه جميع أحاديثه المرفوعة وآثاره الموقوفة، وذكر من وصلها بأسانيد إلى المكان المعلق، و« المراسيل إذا تعدّدت طرقها وخلت عن المواطأة قصداً أو الاتفاق بغير قصد؛ كانت صحيحة قطعاً، فإنّ الثقل إمّا أن يكون صدقاً مطابقاً للخبر، وإمّا أن يكون كذباً تعمّد صاحبه الكذب، أو أخطأ فيه، فمتى سلم من الكذب العمد، والخطأ، كان صدقاً بلا ريب »⁶.

إنّ سنّة رسول الله ﷺ مجموع أقواله وأفعاله وتقريراته وهي قطعاً بيان القرآن، لكنّها لا تُسمّى تفسيراً بمعناه الاصطلاحيّ، ولذلك فإنّ رسول الله ﷺ لم يترك تفسيراً، وفي ضوء ذلك ينبغي أن يراجع

1 يُنظر: ابن تيمية، مقدّمة في أصول التفسير، تحقيق: عدنان زرزور، (ط02، دار القرآن الكريم، الكويت، 1392هـ - 1972م)، ص: 93، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: مصطفى السّيد محمّد وغيره، (ط01، مؤسّسة قرطبة للطبع والنشر والتوزيع، الجيزة، مصر، 1421هـ - 2000م)، ج01، ص: 06.

2 الزّركشيّ، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، (ط03، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، 1404هـ - 1984م)، ج02، ص: 156.

3 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 49.

4 المرجع السابق، ص: 42.

5 ينظر: المرجع السابق، ص: 50.

6 ابن تيمية، مقدّمة في أصول التفسير، مصدر سبق ذكره، ص: 62.

موضوع "التفسير بالمأثور"¹، بل ما فائدة الأمر بالتدبر إذا كان من أنزل عليه القرآن العظيم قد فسره كله؟² وكخلاصة لما سبق فإن اعتبار السنة مصدراً للتفسير بالمعنى الذي قرره العلماء غير مسلم به عند العلواني، بل مصدريّة السنة عنده تكمن في كونها سنة قرآنيّة.

وحين عبّر عن هذا موقفه من الأخذ بأقوال الصحابة والتابعين ﷺ قال: «فما عدا ما فسره رسول الله ﷺ إن هو إلا جهد بشريّ يستخدم المفسّرون فيه جهودهم وأدواتهم ومعارفهم المختلفة ليتكوّن لهم فهم، يؤخذ منه ويترك»³، ومن هؤلاء المفسّرين الصحابة والتابعون طبعاً، ولم يفرّق بين قول مُجمّع عليه وقول مختلف فيه، كما لم يفصّل إن كان يقصد قولاً تفرد به آحاد الصحابة أو يقصد غيره، لأنّه يعتبر أنّ «التفسير الإنسانيّ - أيّاً كان علم المفسّر وجلالة قدره - لا يمكن أن يكون أبين من القرآن الكريم ولا أوضح منه. و((تنوير النور)) أو ((إضاءة الضوء ومصدره)) أمر يتجاوز بعثيّة تحصيل الحاصل، ولذلك فإنّ رسول الله ﷺ لم يُفسّر القرآن ب((المعنى المعرفي)) للتفسير»⁴.

إنّ القول بأنّ الجهود والأدوات والمعارف المختلفة - أيّاً كان صاحبها - عبثيّة وتحصيل حاصل؛ والاستدلال على ذلك بعدم تفسير الرسول ﷺ للقرآن في كتاب خاصّ؛ قول غير مسلم به، لأنّ النبيّ ﷺ بيّن للصحابة ﷺ معاني القرآن كما بيّن لهم ألفاظه بأمر من الله ﷻ: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [التحل: 44]، بل إنّ بيان القرآن الكريم هو الوظيفة الأساسية للرسول ﷺ، ولا يتصوّر منه ﷺ أنّه علّمهم القرآن لفظاً دون بيان للمعنى! والقول ببيان النبيّ ﷺ اللفظ والمعنى - ليس للصحابة ﷺ بل للأمة جمعاء - هو وحده ما تستسيغه الفطرة السليمة والعقول الرشيدة، وإلاّ فأيّ محجة يبضّاء تركهم - وتركنا - ﷺ عليها إذا تركهم وهم لا يعرفون من القرآن غير رسمه؟ ومع هذا الوضوح في هذه المسألة؛ كأنّ القول بعدم البيان طرق سمع أبا عبد الله السلميّ فردّ قائلاً: «حدّثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن، كعثمان بن عفّان، وعبد الله بن مسعود، وغيرهما: أنّهم كانوا إذا تعلّموا من النبيّ ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتّى يتعلّموا ما فيها من العلم والعمل؛ قالوا:

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 44.

2 المرجع السابق، ص: 44.

3 المرجع السابق، ص: 44.

4 المرجع السابق، ص: 43.

فتعلّمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً».¹

إنّ تقديم فهم الصحابة رضي الله عنهم لمعاني القرآن الكريم على فهم غيرهم له ما يبرزه؛ بل هم العمدة في هذا العلم؛ وكذلك التابعون رضي الله عنهم، ولهذا قال ابن تيمية (توفي: 728هـ): «من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئاً في ذلك، بل مبتدعاً، وإن كان مجتهداً مغفوراً له».²

وعليه خلاصة موقفه من الاستفادة من أقوال الصحابة والتابعين في التفسير أنّ أقوالهم مرجعاً معتبراً لما اختاره وذهب إليه، وثمة اعتبارات منها الزمان والمكان والحضارة وغيرها؛ دفعته لعدم اعتبار أقوالهم مصدراً في التفسير له السبق والمرجعية.

وخلاصة موقف العلواني من الاستفادة من اللغة العربية في التفسير هو النأي عن «الفذلّات اللغوية والصرفية والنحوية والبلاغية والأحكام الفقهية، وما سوى ذلك ممّا أعده قد تحوّل إلى حاجز وحائل بين الناس والقرآن الكريم، أو على الأقلّ بين الناس والتدبر في القرآن الكريم»³، مع ضرورة النظر إلى الكلمة القرآنية نظرة مختلفة عن الكلمة العربية البحتة، ثمّ تقديم فهم هذه الكلمة عن طريق القرآن نفسه على غيره، ثمّ يأتي الاعتماد على الثّرات اللغويّ الذي نشأ في بيئة قرآنية على ما سواه، وهو بهذا الموقف اختار من التفسير باللغة العربية مرحلة ما بعد تدوين كتب اللغة؛ وأهمّل التفسير باللغة العربية عند السلف وعند أهل العربية.

وحين عبّر العلواني عن رأيه في الإسرائيليات فقال: «وحيثما بدأت الفكرة -تفسير القرآن- تُلحّ عليّ وجدت في التفسير ذلك الركام الهائل من الإسرائيليات والقصص وما نحوها»⁴، وهي ليست مجرد ركام هائل يشوّه التفسير بل هي خطر يهدّد عقول المؤمنين، ولذلك يضيف قائلاً: «ورأينا أن نحمي العقول المؤمنة من أن تذهب نهباً للإسرائيليات والأكاذيب...».⁵

وخلاصة موقف العلواني من الإسرائيليات هو رفض الاستعانة بها في التفسير جملة وتفصيلاً.

1 أخرجه عبد الرزاق في المصنف في فضائل القرآن: باب تعليم القرآن وفضله، (380/03)، رقم: (6027). وابن أبي شيبة في المصنف في فضائل القرآن: باب في تعليم القرآن كم آية، (118/06)، رقم: (29920). وأحمد في المسند، (410/05)، وابن سعد في الطبقات، (172/06)، والطبري في تفسيره (74/01)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار، (83/04).

2 ابن تيمية، مقدّمة في أصول التفسير، مصدر سبق ذكره، ص: 91.

3 المرجع السابق، ص: 40 - 41.

4 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 40.

5 المرجع السابق، ص: 50. بتصرف.

ثانياً: **التفسير بالفهم والاجتهاد (الرأي)**: بهذا الخصوص قال العلواني متسائلاً: وما فائدة الأمر بالتدبر إذا كان من أنزل عليه القرآن العظيم قد فسره كله؟¹ ولأنه ﷺ لم يفسر القرآن كله يضيف العلواني: ما عدا ما فسره رسول الله ﷺ إن هو إلا جهد بشري يستخدم المفسرون فيه جهودهم وأدواتهم ومعارفهم المختلفة ليتكوّن لهم فهم، يؤخذ منه ويترك²، والتدبر يقود القارئ إلى التفاعل مع الخطاب، وهنا يجد نفسه وجهاً لوجه في مواجهة الخطاب [القرآن الكريم] فيستدعي التاريخ وآفاق الفهم، ويؤسس للعلاقة مع الخطاب.³ وعند ذلك لا يمكن للشيطان أن يقيم حُجَباً بين حكم القرآن وأنواره من جهة، وقوى الوعي الإنساني من جهة أخرى⁴، فالتاريخ المستدعى هو حكم القرآن وأنواره؛ وآفاق الفهم هي قوى الوعي الإنساني، وبهذا؛ و« في ثنايا النصّ وفضاء الآية يعثر المتدبرون والغواصون على اللآلئ والجواهر عديمة النظير، وتكشف مكنوناته كذلك عبر العصور ... ».⁵

ولا مجال للحشية من رأي مخالف لرأي الصحابة والتابعين؛ أو رأي لا يتحمّله المعنى بوجه؛ أو تحميل القرآن على ما لا يحتمله؛ لأنه « قد تكفل الله سبحانه بحفظ القرآن لفظاً ومعنى »⁶، في إشارة واضحة من المؤلف إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ١٩٠ ﴾ [الحجر: 09]، وكأنّه يردّ على من قال بأنّ النبي ﷺ بيّن للصحابة ﷺ القرآن الكريم لفظاً ومعنى، ونحن إذا قُمنا بجمع هذه الآية مع قوله تعالى: ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ١٦٤ ﴾ [النحل: 44]، وتفكرنا فيها بقوى الوعي الإنساني لتبين لنا من خلال تفسير القرآن بالقرآن نفسه أنّ السنّة النبويّة داخلّة في الذكر الذي تكفل الله بحفظه لهذه الأمة عبر القرون، قال ابن حزم مفسراً للآية السابقة؛ ولقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ ١٦٥ ﴾ [الأنبياء: 45]: « فأخبر تعالى كما قدّمنا أنّ كلام نبيه ﷺ كله وحي، والوحي بلا خلافٍ ذكر، والذكر محفوظ بنصّ القرآن؛ فصحّ بذلك أنّ كلامه ﷺ كله محفوظ بحفظ الله ﷻ، مضمونٌ لنا أنّه لا يضيع منه شيء، إذ ما حفظ الله تعالى فهو باليقين لا سبيل إلى أن يضيع منه شيء؛ فهو منقول إلينا كله، والله الحجة علينا أبداً ».⁷

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 44.

2 المرجع السابق، ص: 44.

3 المرجع السابق، ص: 19.

4 المرجع السابق، ص: 19.

5 المرجع السابق، ص: 25.

6 المرجع السابق، ص: 26.

7 ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (د.ط، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، د.س.ط)، ص: 98.

ثم إن القراءة التي يدعو إليها العلواني قراءة عصريّة جديدة وغير مسبوقة، هي قراءة بالخلق؛ وقراءة بمُتراكم المعرفة، وقراءة بالوحي النازل، ممّا يشير إلى أنّ القرآن يُعلّم منذ البداية الجمع بين قراءتين أو أكثر من قراءتين.¹

الفرع الثالث: مصادر التفسير الخاصّة عند طه جابر العلواني: استفاد العلواني من كتب التفسير بالمأثور، ومن كتب التفسير بالرّأي، ومن كتب التفسير الفقهيّ، ومن كتب التفسير الكلاميّ، ومن كتب التفسير المعاصرة التي اشترك في تأليفها لجان مختصّة، ومن كتب التفسير للقرآن حسب النزول، ومن تفاسير الشيعة.

واستفاد من كتب علوم القرآن، ومن كتب السنّة والسيرة وعلوم الحديث، ومن كتب النحو واللّغة والغريب والمعاجم، ومن المعاجم والقواميس، ومن كتب علم الفقه وأصول الفقه اعتمد مصادر أغلبها للسادة الشافعيّة.

ومن مصادره كتب العقيدة بشكل محتشم، وكتب من مختلف العلوم والفنون الأخرى، وكتب بعض العلوم العصريّة المختلفة المحتوى والأهداف، كما استعان بالتّوراة والإنجيل، واعتمد على بعض كتبه ومقالاته المنشورة.

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 28.

أهمّ نتائج المبحث التمهيديّ

- 01- انعكس محيط نشأة طه جابر العلوانيّ على بناء شخصيّته وعلى تشكيل مواقفه الفكرية، وعلى ارتباطه بواقع الأمة الإسلامية وانشغاله الدائم بالبحث عن علاجات له.
- 02- تأكيد القيمة العلميّة لطه جابر العلوانيّ من خلال التّواجد والتّعامل والتّعاون مع أعلام الأمة ومؤسّساتها الدّينيّة.
- 03- الجهد المتعدّد الطّرق والمجالات؛ والكمّ الهائل من إسهامات طه جابر العلوانيّ سعيّاً منه لتجسيد ما آمن به واختاره لنفسه -أن يكون رجل أمة-، واقتراح مشروع نهضة الأمة الإسلامية بالقرآن المجيد، ودعوته لتأسيس علم المراجعات وتبني مشروع إسلامية المعرفة.
- 04- اهتمام طه جابر العلوانيّ بجميع العلوم الإسلاميّة وبكلّ التّحدّيات المعاصرة، فكأنّه تأثّر بالعلماء القدامى الذين أبدعوا وبرعوا في مختلف العلوم والفنون ولم يركنوا لتخصّص واحد.
- 05- الإنفتاح على جميع مكّونات الأمة الإسلاميّة، وعلى العالم ككلّ.
- 06- طه جابر العلوانيّ رجل تنظير وتأليف، وفارس ميدان ومبادر مقدم على عدّة أعمال، وهذا ما جعل الآراء تنقسم حوله، فمن واصف له بالمجدّد ورائد المراجعات إلى متّهم له بالمهدّد الخارج عن الثّوابت الإسلاميّة، وبين هذا وذاك فإنّ طه جابر العلوانيّ من البشر، يصيب ويخطئ، وهو في حكم المجتهد، يدور اجتهاده بين الأجر والأجرين، أو في حكم طالب العلم؛ فيعامل في ذاته بالأدب واللّين، وتناقش أفكاره بالعلم والحجّة والدّليل، وبخاصّة مناقشة تفسيره الموضوعيّ للقرآن الكريم.
- 07- تعدّدت مصادر طه جابر العلوانيّ في تفسيره، وحين ينقل الآراء والمعلومات يُصرّح بذلك ويبيّن مصدره في الهامش، وبهذا فإنّه يبيّن لنا أنّه اطّلع على الآراء والنّقولات في كتب أصحابها.

الفصل الأول

مفهوم التفسير الموضوعي وضوابطه

المبحث الأول: المدخل إلى التفسير الموضوعي

المطلب الأول: علم التفسير والحاجة إليه وعلم أصول التفسير وفوائده

المطلب الثاني: التفسير الموضوعي: التعريف، النشأة، والتطور

المطلب الثالث: أنواع التفسير الموضوعي وأهدافه

المبحث الثاني: حدود التفسير الموضوعي

المطلب الأول: تعريف تفسير القرآن بالقرآن وبيان مسأله

المطلب الثاني: بين التفسير الموضوعي وتفسير القرآن بالقرآن

المطلب الثالث: علم المناسبات ومواقف العلماء منه

المطلب الرابع: القول بالمناسبات وبيان علاقتها بالتفسير الموضوعي

المبحث الثالث: ضوابط التفسير الموضوعي

المطلب الأول: ضوابط عامة لقبول التفسير الموضوعي

المطلب الثاني: ضوابط متعلقة بتفسير السورة القرآنية

المطلب الثالث: ضوابط متعلقة بتفسير الموضوع أو المصطلح القرآني

المطلب الرابع: أخطاء متعلقة بضوابط التفسير الموضوعي

الفصل الأول: مفهوم التفسير الموضوعي وضوابطه

أثيرت بعض الإشكالات حول القيمة العلمية للتفسير الموضوعي وتمييزه، وذلك بسبب التشابه بينه وبين تفسير القرآن بالقرآن، والخلط بينه وبين علم المناسبات، وعليه لابد من التمييز الاصطلاحي والمنهجي بين التفسير الموضوعي وغيره، ف جاء هذا الفصل لبيان مفهوم التفسير الموضوعي، واستجلاء معالمه، والاستدلال على ما يدخل في دائرته، وما يخرج منه، فالقصد من هذا الفصل هو كشف مُنتهى التفسير الموضوعي، وذلك من خلال تجلية ما يدخل وما لا يدخل ضمن حدوده، خاصّة الحد بينه وبين تفسير القرآن بالقرآن، وبينه وبين علم المناسبات، ثمّ بيان ضوابطه والأخطاء المتعلقة بها.

المبحث الأول

المدخل إلى التفسير الموضوعي

المطلب الأول: علم التفسير والحاجة إليه وعلم أصول التفسير وفوائده

المطلب الثاني: التفسير الموضوعي: التعريف، النشأة، التطور

المطلب الثالث: أنواع التفسير الموضوعي وأهدافه

المبحث الأول: المدخل إلى التفسير الموضوعي

التفسير الموضوعي نبع علم صاف مُتَدَقِّق لما ينضب، وعلى المفسر أن يسعى لينهل منه بقدر حاجات الأمة واهتماماتها، فهو عند الباحثين المعاصرين أساس لحلّ المشكلات والأزمات، ويهدف لتحقيق نهضة وتطور المجتمعات، وجعلها مجتمعات راقية تروم التّقدّم، ومن هنا وجب التعريف به وتسطير وقفات، وحتى يُمكن دراسته في تفسير طه جابر العلواني الدّراسة السّليمة الوافية.

المطلب الأول: علم التفسير والحاجة إليه وعلم أصول التفسير وفوائده

أولاً - تعريف التفسير:

01- التعريف اللغوي للتفسير: الفَسْرُ: التفسير وهو بيان وتفصيل للكتاب، وفَسْرُهُ يُفَسِّرُهُ فَسْراً وفَسْرُهُ تَفْسِيرٌ.¹ والتفسير: كشف المراد عن اللفظ المشكّل.² وقيل: فَسَرْتُ الشَّيْءَ فَسْراً بَيَّنْتَهُ وأَوْضَحْتَهُ والتَّثْقِيلُ [التفسير] مبالغة.³ وقيل: الْفَسْرُ: الإبانة، وكشف المغطّى، كالتفسير.⁴ أو كشف المعنى المعقول.⁵

فهذه هي المعاني التي أقرّها المؤلّفات والمعاجم اللّغويّة لمصطلح التفسير:

أولها: البيان، بيان شيء، الإبانة، الاستبانة.

1 ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (ط01، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1424هـ - 2003م)، ج07، ص: 247 - 248. والجوهري، الصحاح تاج اللّغة وصحاح العربيّة، تحقيق: محمّد محمّد تامر وغيره، (ط01، دار الحديث طبع . نشر . توزيع، القاهرة، مصر، 1430هـ - 2009م)، ص: 888. وابن فارس، معجم مقاييس اللّغة، تحقيق: عبد السلام هارون، (ط01، دار الجبل للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1411هـ - 1991م)، ج04، ص: 504. والرّاغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمّد سيد كيلاني، (د.ط، دار المعرفة للطباعة والنشر والتّوزيع، بيروت، لبنان)، ص: 380. والشّريف الجرجاني، معجم التّعريفات، تحقيق: محمّد صديق المنشاوي، (ط01، دار الفضيلة للنشر والتّوزيع والتّصدير، القاهرة، مصر، 2004م)، ص: 57. وزين الدّين محمّد بن أبو بكر الرّازي، مختار الصحاح، (د.ط، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1986م)، ص: 211. وأبو البقاء الكفوي، الكلّيّات: معجم المصطلحات والفروق اللّغويّة، تحقيق: عدنان درويش ومحمّد المصري، (ط02، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، 1413هـ - 1993م)، ص: 260.

2 ينظر: ابن منظور، لسان العرب، (ط02، دار صادر للنشر والتّوزيع، بيروت، 2003م)، ج05، ص: 55.

3 ينظر: أحمد بن علي الفيومي المقرئ، المصباح المنير، (ط01، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1987م)، ص: 180.

4 ينظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التّراث في مؤسّسة الرّسالة، (ط08، مؤسّسة الرّسالة للطباعة والنشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، 1426هـ - 2005م)، ص: 456.

5 ينظر: مرتضى الزّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مصطفى حجازي، (د.ط، مطبعة حكومة الكويت، 1405هـ - 1985م)، ج22، ص: 323 - 324.

الثاني: التفصيل.

الثالث: إيضاح الشيء، التوضيح.

الرابع: إظهار المعنى المعقول، كل شيء يُعرف به الشيء، إزالة الحفاء.

الخامس: الكشف، وكشف المراد، وكشف المغطى.

وعليه فإنّ التفسير في أصله الثلاثي يعود إلى بيان المعنى، والاستبانة، والتفصيل، والإيضاح، والتوضيح، والكشف، والإظهار، وكلمة التفسير وردت مرّة واحدة في القرآن الكريم في سورة الفرقان في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: 33].

02- التعريف الاصطلاحي للتفسير: والمقصود تعريف المركب الإضافي "تفسير القرآن":

وقد عرّفه الشريف الجرجاني (توفي: 471هـ) فقال: التفسير في الشرع هو توضيح معنى الآية وشأنها وقصبتها والسبب الذي نزلت فيه بلفظ يدلّ عليه دلالة ظاهرة.¹ وهذا التعريف ذكرت فيه بعض من علوم القرآن وهي قصص القرآن، وأسباب النزول.

وعرّفه ابن جزّي (توفي: 741هـ) فقال: معنى التفسير: شرح القرآن، وبيان معناه، والإفصاح بما يقتضيه بنصّه أو إشارته أو نحوه²، وهذا تعريف قسم التفسير إلى ظاهر وإشارة وأسرار.

وعرّفه الكفوي (توفي: 1094هـ) فقال: التفسير: علم يُبحث فيه عن كيفية النطق بالفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التركيبية.³ وهذا التعريف أيضاً ذكرت فيه بعض من علوم القرآن وهي القراءات، وأحكام التجويد.

وعرّفه مرتضى الزبيدي (توفي: 1205هـ) فقال: التفسير: شرح ما جاء مجماً من القصص في

1 الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، (ط01، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، مصر، 2004م)، ص: 57.

2 ابن جزّي، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: محمد سالم هاشم، (ط01، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1415هـ - 1995م)، ج01، ص: 09 - 10.

3 أبو البقاء الكفوي، الكليات: معجم المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، (ط02، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1413هـ - 1993م)، ص: 260. وهذا التعريف أصله من تفسير المحرّر الوجيز لابن عطية. ابن عطية، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: الرحالة الفاروق وغيره، (ط02، دار الخير، دمشق، سوريا، 1428هـ - 2007م)، ج01، ص: 69. وتفسير البحر المحيط لأبي حيان. (أبو حيان، البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وغيره، (ط01، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1413هـ - 1993م)، ج01، ص: 121.

الكتاب الكريم، وتعريف ما تدلّ عليه ألفاظه الغريبة، وتبيين الأمور التي أنزلت بسببها الآي.¹ وكذلك هذا التعريف ذكرت فيه بعض من علوم القرآن وهي قصص القرآن، وعلم الغريب، وأسباب النزول.

وعرّفه الكافيجي (توفي: 879هـ) بأنه: كشف معاني القرآن، وبيان المراد، والمراد من معاني القرآن أعمّ سواء كانت معاني لغوية أو شرعية، وسواء كانت بالوضع أو بمعونة المقام وسوق الكلام وبقرائن الأحوال.² وهذا التعريف لم يشر إلى أنّ التفسير علم من العلوم.

وجميع هذه التعريفات الاصطلاحية تدور حول معنى التوضيح والبحث والكشف والشرح لألفاظ ومعاني آيات القرآن الكريم، مع خلط بعضها لهذا المعنى بجوانب من علوم القرآن وضوابط التفسير، وكلّها لم تنصّ على أنّ التفسير علم قائم بذاته.

ومن التعريفات التي نصّت على أنّ التفسير علم، تعريف الزركشي (توفي: 793هـ) وفيه أنّ التفسير: علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ.³

وعرّفه ابن عرفة المالكي (توفي: 803هـ) بأنه: العلم بمدلول القرآن وخاصية كيفية دلالة ومتشابهه، والناسخ والمنسوخ. فقولنا: خاصية كيفية دلالة: هي إعجازه، ومعانيه البيانية، وما فيه من علم البديع.⁴

وعرّفه السيوطي (توفي: 911هـ) ب: علم نزول الآيات وشؤونها وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها، ومكيّتها ومدنيّتها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصّتها وعامّتها، ومطلقها

1 مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مصطفى حجازي، (د.ط، مطبعة حكومة الكويت، 1405هـ - 1985م)، ج22، ص: 323 - 324.

2 الكافيجي، التيسير في قواعد التفسير، تحقيق: مصطفى محمد حسين الذهبي، (ط01، مكتبة القدسي للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1419هـ - 1998م)، ص: 21.

3 الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط01، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، 1376هـ - 1957م)، ج01، ص: 13.

4 ابن عرفة، تفسير ابن عرفة، تحقيق: جلال الأسيوطي، (ط01، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2008م)، ج01، ص: 19.

ومقيدها، ومحملها ومفسرها، وحلالها وحرامها، ووعداها وووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها.¹

واختار الزرقاني (توفي: 1367هـ) تعريفه بأنه: علم يبحث عن أحوال الكتاب العزيز، من جهة نزوله، وسنده، وأدائه، وألفاظه، ومعانيه المتعلقة بالألفاظ، والمتعلقة بالأحكام.²

وهذه التعريفات تناولت المصادر والموارد والتفريعات وعلوم القرآن وهي لا تعطي تفسيراً جامعاً مانعاً لعلم التفسير، وهذا ما جعل بعض المتأخرين يعيدون تعريفه؛ ومن ذلك:

محمد الطاهر بن عاشور (توفي: 1393هـ) الذي عرّف التفسير بأنه: اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن وما يستفاد منها باختصار أو توسع.³

وعرّف بأنه الكشف عن معاني آيات القرآن الكريم والغوص في أعماقها للوصول إلى مراد الله تعالى منها بقدر الطاقة البشرية.⁴

وعرّف بأنه: علم يكشف به عن معاني آيات القرآن ويبيان مراد الله تعالى منها حسب الطاقة البشرية.⁵

وعرّفه طه جابر العلواني (توفي: 1437هـ) فقال: التفسير هو جهد بشري يستخدم المفسرون فيه جهودهم وأدواتهم ومعارفهم المختلفة ليكون لهم فهم، يؤخذ منه ويترك.⁶

والتعريفات السابقة تحدّث عن التفسير على أنه:

- علم غايته المرجوة الاستفادة من القرآن الكريم: لأنّه نصّ مُتعبّد به لله ﷻ؛ لذلك فالهدف الأساس للمفسّر والغاية المثلى له هو البحث والتفتيش والتّحري عن المراد الإلهي لتعيش الأمة وفقاً له، ولقد علّمنا ربُّنا ﷻ بواسطة الوحي الإلهي الكيفية التي يجب أن نكون عليها أفراداً ومجتمعات، وبيّن لنا في كتابه الجليل خصائص أهل القرآن وخاصّته، وهي خصائص لا سبيل إلى اكتسابها إلّا بالفهم

1 جلال الدّين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (ط2)، دار ابن كثير للطباعة والنشر، دمشق، 1414هـ - 1993م)، ج2، ص: 1191.

2 محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: فؤاد أحمد زمري، (ط01)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1415هـ (1995م)، ج01، ص: 07.

3 الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (د.ط، الدّار التونسية للطّبع، تونس، 1987م)، ج01، ص: 11.

4 زاهر عواض الألمعي، دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن، (ط04)، مكتبة الملك فهد الوطنيّة، الرياض، المملكة العربيّة السّعودية، 1428هـ - 2007م)، ص: 07.

5 مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، (ط01)، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الجمهورية العربيّة السوريّة، 1410هـ - 1989م)، ص: 15.

6 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، 44.

الصحيح للقرآن الكريم، ومن ثمّ التّحرّك وفقاً لرضا الله تعالى ومرضاته في المشاعر والأفكار، وحبّ العلم والبحث، والحياة الاجتماعية والاقتصادية، ولذلك فإنّ الوظيفة التي تقع على المفسّر هي إمعان النظر في الرّسالة التي يريد الله تعالى أن يقدّمها لنا من خلال آياته، وإعمال الفكر فيها، فمثلاً الصّحابة رضي الله عنهم لما أحسنوا فهم القرآن أحسنوا تطبيقه والاستفادة منه وتمثيله، فصاروا قدوةً لجميع النّاس حتّى يوم القيامة، وهذه هي الاستفادة التي نرجو.

- بفهم معانيه وكشفها وبيانها وإيضاحها: فهم المعاني واجب، ولا يُكتفى مع القرآن الكريم باعتقاد أنّه كتاب معجز البيان، ولا بتلاوة ألفاظه، ولا باحترامه احتراماً صوريّاً، ولا برجاء البركة منه، ولا بالتّفاؤل به، وهذه الأعمال بحدّ ذاتها ليست خطأ، فالقرآن هو الكتاب المقدّس المستحقّ لأسمى التقدير والتّعظيم، ولكن لا يجب إغفال منزلته الحقيقيّة؛ وهي أن يكون روحاً للحياة؛ بمنزلة الرّوح للجسد، روحاً للحياة الفرديّة كما الحياة العامّة، وهذا مالا يتحقّق إلّا بفهم معانيه فهماً سليماً.

- بحسب الاستطاعة البشريّة: وهذا مبدأ عام ومعلّم من معالم ديننا الحنيف، لا يمكن صرفه عن أيّ مكلف، ويستوي فيه المفسّر مع غيره، فلا يُطلب من المفسّر جهد أو عمل فوق طاقته، ولكن يُطلب منه لزوم الأصول باكتساب المعارف والعلوم، وامتلاك المواهب والطّاقات مع الأدوات، وأن يتحرّك في حدود دائرة ذلك، فلا يُكلّف فهمه بما لا يطيق، ولا يبتعد عن الغرض القرآنيّ الأساسيّ.

- وأصوله العلميّة: إذا كان علم التّفسير أشرف العلوم منزلة وأرفعها؛ فأصوله كذلك، ومن هنا وجب على المفسّر الإمام بها دراية وفهماً، وما قيل في الاستطاعة البشريّة ينسحب على الاستطاعة العلميّة التي شرطها إتقان جميع العلوم المرتبطة بالقرآن الكريم.

ثانياً: حاجة الأُمَّة إلى علم التّفسير¹: أهميّة تفسير كتاب الله وكتابه من المسائل التي لم يُغفل المفسّرون ذكرها في مقدّمات تفاسيرهم، فالتّفسير هو الطّريق إلى العمل بكتاب الله تعالى وتطبيقه كمنهج للحياة، وبالنّظر والاستقراء تتبيّن أهميّة التّفسير والحاجة إليه من خلال النّقاط التّالية:

01- تعلّق القرآن الكريم بكتاب الله وكتابه، فهو المصدر الأوّل للتّشريع الإسلاميّ، ومنطلق الإصلاح الفرديّ والجماعيّ، وشفاء المجتمع البشريّ بعمومه؛ بما شرع من أصول العدل وقواعد العمران ونُظُم التّعامل.

1 للمزيد ينظر: خالد عبد الرّحمن العكّ، أصول التّفسير وقواعده، مرجع سبق ذكره، ص: 27 - 29. وعبد العزيز بن داخل المطيري، فضل علم التّفسير، (ط01، مكتبة الملك فهد الوطنيّة، الرياض، السّعوديّة، 1438هـ)، ص: 21 - 28.

02- حاجة الأمة ماسة إلى فهم القرآن الكريم الذي هو حبل الله المتين والذكر الحكيم، والصراط المستقيم.¹

03- تحقيق الطاعة لله ﷻ فيما أمر به من التدبر والتفكير والتذكر بالقرآن الكريم، والأمة بحاجة للطاعة حاجتها لثمراتها، والعاقل من أدرك حاجته للطاعات وسلك سبلها، ومدار السبل ومُنطلقها كتاب الله ﷻ.²

04- تحقيق الاقتداء الأصوب بالنبي ﷺ ونيل أجر الاتباع له، وقد كانت عباداته ومعاملاته وأخلاقه ﷺ القرآن الكريم، ولا شك أن القرآن وجه إلى الاقتداء بالنبي ﷺ، والنبي ﷺ بين القرآن الكريم واهتدى بهداه، ومن تعلم القرآن لفظاً ومعنى تحققت فيه العبودية الخالصة لله والاتباع الأصوب لرسول الله ﷺ فينال أجرهما.

05- المقصود غايةً وهدفاً من إنزال القرآن الكريم هم البشرية جمعاء، وإن الله ﷻ الذي جعل الإنسان خليفة في الأرض، اقتضت حكمته ومشيئته ورحمته ألا يخلقه عبثاً، وألا يتركه سُدىً، وإنما تكفل بهدايته وإرشاده، وأخذ بيده إلى الطريق المستقيم، والمنهج السوي، وطمأنه منذ أنزله إلى الأرض؛ أنه لن يدعه طعاماً سائغاً لوساوس الشيطان وهوى النفس وسيء الأقران، ولن يتركه نهياً للشبهات والشهوات، ولن يُسلّمه للجهالة والحيرة والضّياع، وإنما أكرمه بالهداية والرشاد بالتي هي أقوم، قال تعالى: ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: 38].

06- نيل الخيرية والثواب العظيم بتفسير القرآن لقوله ﷻ: « خيركم من تعلم القرآن وعلمه »³، والتعلم هنا لا يعني تعلم الألفاظ، إنما هو تعلم اللفظ مع المعنى، خيركم من تعلم القرآن وعلمه، فإقبال المرء على القرآن دليل واضح على خيريته، وله من الخيرية بقدر هذا الإقبال، فالذي يُقبل على حفظ القرآن فيه من الخيرية ما يقابل الحفظ فقط، والذي يُقبل على حفظه وفهم معناه، وتدبر واستنباط الحكم والأحكام منه، فهذا فيه من الخيرية ما ليس في غيره، ومن يُقبل على هذا كله حفظاً

1 ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، مرجع سبق ذكره، ص: 22. بتصرف.

2 ينظر: محمد لطفي الصباغ، بحوث في أصول التفسير، مرجع سبق ذكره، ص: 20.

3 أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، برقم: (5028).

وفهماً وتدبراً، ويعقب ذلك بالعمل فهذا فيه من الخير ما ليس في غيره.¹

07- القرآن أعظم آيات رسول الله ﷺ، وأعظم حجة، وأعظم برهان، لكنّه حجة وبرهان لمن تدبره وتأمله وأقبل عليه، و « إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ »²، ولا أدلّ ولا أصدق من وقوع هذا الحديث في واقع الأمة، فقد رفع الله ﷻ سلف الأمة لأخذهم القرآن، ورفع الله القرون المفضّلة؛ لما كانوا عليه من الإقبال على هذا القرآن قراءةً وعلماً وعملاً وتعليماً ودعوةً وغير ذلك من أوجه الانتفاع بالقرآن، وحالنا شاهد علينا، فلا يجتمع القرآن مع الهوان، ولا تُنال العزة من غير طريق القرآن، ومن يتبع العزة في غيره أذله الله، فما أحوجننا إلى القرآن، ومن بانت الحاجة إليه هو ممّا يُحتاج إليه يقيناً.

08- تخرج أجيال مؤمنة، متخلّقة بأخلاق القرآن، فالقرآن الذي كوّن رجالاً في السلف لا يكثر عليه أن يُكوّن رجالاً اليوم لو أحسن فهمه وتدبره، ومن هنا أتت الحاجة للتفسير.

09- ربط الأمة بالقرآن الكريم ببيان عظمة كلام الله وإعجازه وحكمه وأحكامه وفوائده، وبالتالي إنقاذها من هجره، ولا نقص في الأمة يعدل نقص فهم رسالة الله إليها، فمن جهل شيئاً عاداه، ومن عادى هجر، والهجر يورث النسيان، وفي نسيان كتاب الله ﷻ هلاك الأمة والإنسانية جمعاء.

ثالثاً: تعريف علم أصول التفسير وفوائده:

من المؤكد أنّ طريقة سدّ حاجة الأمة لفهم كلام الله وأداء مهمّة الاستخلاف لا تتأتّى إلا بالتفسير، وتفسير كلام الله علم مُتوقّف على أصول لا بدّ أن يراعيها المفسّر، أصولٌ تساعد هذا الأخير وتخدمه وتضبط له طرائق التّأليف والاستنباط، أصولٌ تُحكّم خطّة العمل وتُعيّنه على أداء مهمّته، فلا يكون هناك غلط أو خلط أو تحريف أو تشويه لمعنى كلام الله.

تعريف علم أصول التفسير:

التعريف اللّغويّ للأصول: الأصل: أسفل كلّ شيء وجمعه أصول، وأصلّ الشيء: صار ذا أصل.³ وقيل الأصل: هو ما يُبنى عليه غيره، الأصول: جمع أصل، وهو عبارة عمّا يُفتقر إليه، ولا

1 ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سبق ذكره، ج 01، ص: 26. باختصار.

2 أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، رقم الحديث: (817).

3 الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، مصدر سبق ذكره، ج 01، ص: 73. والجوهري، مرجع سبق ذكره، ص: 43. وابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مرجع سبق ذكره، ج 01، ص: 109. وزين الدّين محمّد بن أبو بكر الرّازي، مختار الصحاح، (د.ط، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1986م)، ص: 08. وابن منظور، لسان العرب، مصدر سبق ذكره، ج 11، ص: 16.

يفتقر هو إلى غيره.¹

وعليه فإنّ الأصل في أصله الثلاثي يعود إلى ما يفتقر إليه غيره، ولا يحتاج هو إلى غيره، وما يُبنى عليه غيره، وما يستند وجود الشيء عليه، والأساس الذي هو المنشأ، والثبوت، والرسوخ، وكلّ هاته المعاني تُطلق حسّاً ومعنى، فالأول كالأساس للبيت، والثاني كالدليل يُبنى عليه الحكم، وكلمة الأصل وردت ثلاث مرّات في القرآن الكريم في ثلاث سور مختلفة، وردت في قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: 64]، وفي قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي نَجْمٍ﴾ [إبراهيم: 24]، وفي قوله: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الحشر: 05].

01- التعريف الاصطلاحي للأصول: الأصول هي الأسس التي يعتمد عليها علم ما بحسب إضافته إلى علم من العلوم.²

بعد أن بيّن الباحث معنى -أصول- وقبلها معنى -التفسير-، ينتقل لبيان معنى المركب الإضافي -أصول التفسير-، مع الإشارة إلى أنّ التفسير هو بيان المعنى مع الالتزام التام بأصول التفسير.

02- تعريف أصول التفسير: يعرف المركب الإضافي -أصول التفسير- على أنّه:

- الأسس العلميّة التي يرجع إليها المفسّر حال بيانه لمعاني القرآن وتحريره للاختلاف في التفسير.³
- العلم الذي يُتوصّل به إلى الفهم الصحيح للقرآن ويكشف الطّرق المنحرفة أو الضالّة في تفسيره.⁴

- العلم بالأدلة الإجمالية والقواعد التي يُتوصّل بها إلى فهم مراد القرآن واستنباط معانيه وكيفية

وأحمد بن علي الفيومي المقرئ، المصباح المنير، مرجع سبق ذكره، ص: 06. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مرجع سبق ذكره، ص: 961. الكفوي، الكلّيات، مرجع سبق ذكره، ص: 122. مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مرجع سبق ذكره، ج22، ص: 447.

1 الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، مرجع سبق ذكره، ص: 26.

2 مساعد الطيّار، التحرير في أصول التفسير، (ط02، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1428هـ)، ص: 13.

3 المرجع السابق، ص: 17.

4 فهد الزومي، بحوث في أصول التفسير ومناهجه، (ط02، مكتبة التوبة للنشر والتوزيع، الرياض، 1419هـ)، ص: 11.

الترجيح في ذلك.¹

- القواعد والأسس التي يقوم عليها علم التفسير، وتشمل ما يتعلّق بالمفسّر من شروط وآداب، وما يتعلّق بالتفسير من قواعد وطرق ومناهج وما إلى ذلك.²
- ما يُبنى عليه التفسير حسب قواعده ومناهجه.³

- علم يبحث عن المسائل التي يستند إليها المفسّر في إدراك وفهم وبيان الكتاب العزيز، كالنّاسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، والمكي والمدني، والمحكم والمتشابه، والعام والخاص، والمطلق والمقيّد، وجمعه وترتيبه، ووعدته ووعدته، وقصصه وأمثاله، إلى غير ذلك ممّا يتعلّق بعلوم القرآن الكريم.⁴

وهي بمنزلة علم النّحو في بيان الكلام السّليم، وهي الميزان الذي يفصل التفسير الصّحيح عن الدّخيل، ومن انحرّف عنها جانب الصّواب وحاد عنه.

والأصول من حيث أنّها مبنية وأساس لفرعها سُمّيت قواعد، ومن حيث أنّها مسالك واضحة إليها سُمّيت مناهج؛ والأصول تتحمّل ما لا تتحمّله الفروع، والأصول تُراعى ويُحافظ عليها.⁵

ب- فوائد أصول التفسير: لهذا العلم فوائد عديدة ليس من السّهل حصرها ومن أهمّها: «

- 01- التزوّد بالثقافة العالية من المعارف القيّمة، والتسلّح بسلاح العلم والمعرفة للدّفاع عن القرآن الكريم ضدّ الأعداء؛ الذين يبذلون وسعهم لتحريف معاني القرآن والإلحاد فيه.
- 02- معرفة الطّرق الصّحيحة لتفسير القرآن الكريم وما يُقبل منها وما يُردّ، ومعرفة من يصلح تلقّي التفسير عنه، ومن لا يصلح تفسيره للقرآن.

03- معرفة القواعد التي تُعين على فهم كتاب الله تعالى الفهم الصّحيح.

- 04- الاطلاع على الجهود العظيمة التي بذلها علماء السلف للمحافظة على القرآن الكريم لفظاً ومعنى، ومن ثمّ الاقتداء بهم في ذلك والسّير على نهجهم».⁶

1 محمد أحمد مغربي، أصول التفسير عند القاسمي من خلال تفسير محاسن التّأويل، (رسالة ماجستير، كآية العلوم الإسلامية، الجزائر العاصمة، الجزائر، 2004 م)، ص: 55.

2 فهد الزّومي، بحوث في أصول التفسير، مرجع سبق ذكره، ص: 06.

3 خالد عبد الرّحمن العكّ، أصول التفسير وقواعده، مرجع سبق ذكره، ص: 30.

4 عبد الحقّ عبد الدائم القاضي، التيسير في أصول التفسير، (ط03، مكتبة الجيل الجديدة، صنعاء، اليمن، 1416 هـ)، ص: 11.

5 الكفوي، الكليات، مرجع سبق ذكره، ص: 122.

6 فهد الزّومي، بحوث في أصول التفسير ومناهجه، مرجع سبق ذكره، ص: 12-13.

وعليه فإنّ أصول التفسير التي تُرَبِّي في المفسّر ملكة الفهم وتضبطه بضوابط تحبسه عن الخطأ والهو، وإذا كانت العلوم ثلاثة: « علم نضج واحترق وهو علم الفقه والحديث، وعلم لا نضج ولا احترق وهو علم البيان والتفسير، وعلم نضج وما احترق وهو علم الأصول والنحو »¹، فإنّ علم أصول التفسير من النوع الثاني؛ وهو بحاجة للمزيد من النضج؛ تأصيلاً وتقييداً وجمعاً، « فإنّ ضبط الأمور المنتشرة المتعددة في القوانين المتحدة هو أوعى لحفظها وأدعى لضبطها »².

ت- أصول التفسير وأصول الفقه: من خلال تتبّع المصنّفات في أصول التفسير؛ لا نجد أنّ هناك منهجاً واحداً في عرض موضوعات هذا العلم كما هو في كتب أصول الفقه، ولكننا نجد أنّ هناك قدراً مشتركاً بين علمي أصول التفسير وأصول الفقه، وهناك أيضاً قدر مشترك مرتبط بدراسة الباحث، وهو أنّ طه جابر العلواني المفسّر؛ أصوليّ المشرب والمنبت والتخصّص، وهذا ما لا يمكن للباحث تجاهله أو إغفاله، فالقرآن الكريم كتاب مشترك بين العلمين باعتباره مصدر التشريع الأول، وطه جابر العلواني عالم مشترك بين العلمين باعتبار التخصّص والممارسة، وهذا أمر يفرض ذكر القدر الموجود من التداخل بين ما يُذكر في أصول التفسير وأصول الفقه؛ والذي يتمثل فيما يلي:

01- القرآن الكريم هو المصدر الأول من مصادر التشريع في كلا العلمين. يقول الغزاليّ (توفي: 505هـ): « واعلم أنّا حقّقنا النظر بأنّ أصل الأحكام واحد، وهو قول الله تعالى؛ إذ قول الرسول ﷺ ليس بحكم ولا ملزم، وإنّما هو مُخبر عن الله أنّه حكم كذا وكذا »³، فالقرآن هو مصدر الأدلّة لأنّه دلّ على حجّة السنّة؛ والكتاب والسنّة دلّت على حجّة الإجماع، وهذه الأدلّة الثلاثة دلّت على حجّة القياس.⁴

02- بداية بحث المفسرين في القرآن الكريم تتضمن التعريف بالقرآن، والجزم بقطعيّة نسبته إلى الله ﷻ، ثمّ أسباب النزول، والقراءات، أمّا بداية بحث الأصوليين في القرآن الكريم فهي النظر في كون القرآن الكريم دليلاً وأصلاً يُرجع إليه. قال الشاطبيّ (توفي: 790هـ): « الأدلّة الشرعيّة هي الكتاب والسنّة والإجماع والرأي، والكتاب والسنّة هما الأصل لما سواهما واقتصر على النظر فيهما؛ لدخول

1 الزركشي، المنشور في القواعد، تحقيق: تيسير فائق أحمد محمود، (ط01، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1402هـ - 1982م)، ج01، ص: 71.

2 المرجع السابق، ص: 65.

3 الغزالي، المستصفى في علم الأصول، (ط01، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1403هـ - 1983م)، ج01، ص 09.

4 ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، مرجع سبق ذكره، ج19، ص: 195 - 200.

تفاصيل غيرهما ضمنهما، قال: فالأول أصلها وهو الكتاب، وذكر فيه مسائل، منها: اعتماد أن القرآن طريق الهداية، ومعرفة أسباب النزول وأهميته، وسرد قصص القرآن بما هو باطل، ومقارنة الترغيب للترهيب والترهيب للترغيب في القرآن، وتعريف القرآن بالأحكام الشرعية أكثره كلياً لا جزئياً، والقرآن فيه بيان كل شيء، وأقسام العلوم المضافة إلى القرآن، والظاهر والباطن في تفسير القرآن، وكون الظاهر في تفسير القرآن هو المفهوم العربي مجرداً لا إشكال فيه، والاعتبارات القرآنية الواردة على القلوب الظاهرة للبصائر، والمدني من السور ينبغي أن يكون منزلاً في الفهم على المكّي، وتفسير القرآن على التوسط والاعتدال، ومعرفة الضابط المعول عليه في مأخذ الفهم في التفسير على الاعتدال والتوسط، والقرآن ذم إعمال الرأي ... »¹.

03- اهتمام علماء التفسير يظهر في مباحثهم المختلفة التي يتناولونها كإعجاز القرآن وما يتصل ببلاغته وفصاحته، وكالمناسبات وتناسقها، وكثبوت القراءات وجواز قراءتها في الصلاة، وغير ذلك، أما مدار اهتمام الأصوليين فهو دلالات القرآن الكريم على الأحكام الشرعية، فمثلاً يتحدثون عن القراءات السبع والقراءات الشاذة من منظور كونها حجة في الأحكام الشرعية، ويدرجونها ضمن خبر الآحاد وحجيتها.

04- مسألة النسخ: فعلماء أصول الفقه نضج علم النسخ عندهم واحترق؛ فهم عرفوه، وذكروا أنواعه، وشروطه، والفرق بينه وبين التخصيص، بينما يتحدث المفسرون عن جواز وقوع النسخ في القرآن، وما يدخله النسخ وما لا يدخله، وهل تنسخ السنة النبوية القرآن الكريم، وحتى إن توسع بعضهم توسع نقلاً عن علماء الأصول.

05- المجاز في القرآن الكريم: يذكر علماء التفسير المجاز في القرآن الكريم فيبرزون معناه وأقسامه، ومواقع وقوعه، وكونه وجهاً من وجوه الإعجاز، أما الأصوليون فيتحدثون عن الفرق بين المجاز والحقيقة، وهل يصح وقوع المجاز في القرآن.

06- المحكم والمتشابه: من خلال التطرق لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: 07] تفسيراً أو تأصيلاً؛ فصل الفريقان مباحث المحكم والمتشابه، فبينوا معناهما، وحكمهما، وأنواعهما، وهل

1 الشاطبي، الموافقات، مرجع سبق ذكره، ج4، ص: 141.

المتشابه هو: المنسوخ، والمقدم والمؤخر، والأمثال والأقسام، وما يؤمن به ولا يعمل به.

07- التداخل والاشتراك في عوارض الألفاظ كالعموم والخصوص، والمطلق والمقيّد، والمشارك والمؤول، والمجاز والحقيقة، والصريح والكنائية، والمنطوق والمفهوم، والموافق والمخالف، وحروف المعاني، وغيرها، فهذا التداخل والتشارك تعرّض له الأصوليون وتعمّقوا في دراسته، لكونه يُفيد في استنباط الأحكام الشرعية، والترجيح بينها، وقعدوا له القواعد، ثم جاء المفسّرون واكتفوا بالنقل عن الأصوليين والتطبيق على الكتاب المبين.

08- من شروط المفسّر للقرآن الكريم الإمام بعدّة علوم منها علم أصول الفقه، ومن شروط الاستنباط عند الأصوليّ أن يكون مبنياً على الأدلة الشرعية التي على رأسها القرآن الكريم، فالقرآن عند المفسّر كما هو عند الأصوليّ يأتي في المقدمة، وله السبق وعليه التّحويل.

المطلب الثاني: التفسير الموضوعي: التعريف، النشأة والتطور، الأنواع

أولاً: تعريف التفسير الموضوعي: سبق التعريف بالتفسير؛ ويتبقّى التعريف بمصطلح الموضوعي أو الموضوع.

01- التعريف اللغوي للفظ -الموضوعي-: إنّ لفظ -الموضوعي- من لفظ -الموضوع-، والآخر مُشتقّ من -الوضع-، والوضع أصله في اللغة: -وَضَعَ-، وقد جاء في معجم مقاييس اللغة: وضع: الواو والضاد والعين: أصل واحد يدلّ على الخفض للشيء وحطّه، يقال: وضعته بالأرض وضعاً: ووضعت المرأة ولدها، والوضائع: قوم ينقلون من أرض إلى أرض يسكنون بها، والوضيع: الرّجل الدّنيء.¹

وفي الصّحاح: وضع: الموضع: المكان، وموضوعاً وهو موضع المعقول.²

وفي لسان العرب: الوضع ضدّ الرّفْع، وضعه يضعه وضعاً وموضوعاً، والمواضع: معروفة، واحدها موضع.³

وفي تاج العروس: وضع عنه وضعاً: حطّ من قدره، ووضع فلان نفسه وضعاً: أذلّها، ووضع الجناية عنه وضعاً: أسقطها عنه، وكذلك الدّين، والضّعة خلاف الرّفعة في القدر، والواضعة: المرأة الفاجرة، ووضعت النّاقة وضعاً وموضوعاً: أسرع في سيرها، ووضع الشيء في المكان: أثبتته فيه،

1 ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مرجع سبق ذكره، ج 04، ص: 504.

2 ينظر: الجوهري، الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مرجع سبق ذكره، ص: 1252.

3 ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مصدر سبق ذكره، ج 05، ص: 4857.

ووضع الباني الحجر توضيحاً، نصّد بعضه على بعض، وموضوعاً: ألقاه من يده وحطّه، وتكلّم بموضوع الكلام ومخفوضه أي: ما أضمره ولم يتكلّم به.¹

والموضوعي نسبة إلى الموضوع، والموضوع مشتق من الوضع، وأصله من -وَضَعَ- وهو أعم من الخطّ، ومنه الموضع، قال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء: 46] و[المائدة: 13]، ويُقال وضعن الحمل فهو موضوع، قال تعالى: ﴿وَأَكْوَافٌ مَوْضُوعَةٌ﴾ [الغاشية: 14]، وقال: ﴿وَالْأَرْضُ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ [الرحمن: 10]، فهذا الوضع عبارة عن الإيجاد والخلق، ووضعت المرأة الحمل وضعاً، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾ [آل عمران: 36].²

وفي المصباح المنير: وضعته: أضعه وضعاً والموضع بالكسر والفتح له مكان الوضع، ووضعت عنه دينه أسقطته، ووضعت الحامل ولدها تضعه وضعاً ولدت، ووضعت الشيء بين يديه وضعاً تركته هناك، ووضع في حسبه بالبناء المفعول فهو وضع؛ أي: ساقط لا قدر له؛ والاسم الضعة بفتح الضاد وكسرهما ومنه قيل وضع في تجارته وضعية إذا خسر، وتواضع لله خشع وذلّ ووضع الله فاتّضع، واتّضعت البعير خفضت رأسه لتضع قدمك في عنقه فتركب، ووضع الرجل الحديث افتراه وكذبه فالحديث موضوع.³

والتعريفات السابقة تُبين أنّ مادة -وَضَعَ- تعددت استعمالاتها اللغوية ومعانيها، فهي تُطلق على الخفض والخطّ للشيء، والذلّ، والوضع، والإسقاط، والإسراع في السير، والنّصد، والإلقاء، والبناء، والإيجاد والخلق، والولادة، والافتراء والكذب.

التعريف الاصطلاحي للفظ -الموضوعي-⁴: ممّا سبق من المعاني اللغوية ثمة معانٍ تعكس معنى التفسير الموضوعي وتُشير إليه، فالوضع بدلالاته الحسية المتمثلة في الخفض والخطّ والإسقاط والإلقاء

1 ينظر: مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مصطفى حجازي، (د.ط، مطبعة حكومة الكويت، 1405هـ - 1985م)، ج22، ص: 235 - 246.

2 ينظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مصدر سبق ذكره، ص: 525.

3 ينظر: أحمد بن علي الفيومي المقرئ، المصباح المنير، (ط01، مكتبة لبنان، بيروت، 1987م)، ص: 245.

4 يطلق "الموضوع" اصطلاحاً على معانٍ شتى: فهو في اصطلاح المحدثين: الكلام المختلق المصنوع، والمكذوب على رسول الله ﷺ عمداً أو سهواً، وهو باطل لا أصل له، وهو عند المنطقة: ما وضع ليحكم عليه بشيء، فالمبتدأ موضوع ليحكم عليه بالخبر، والخبر محمول لأنّه حمل على شيء هو المبتدأ، وهكذا الفاعل موضوع والفعل محمول...، والمصطلحان بعيدان تماماً عن المعنى

أو النّضد المتمثّل في ضمّ أشياء بعضها إلى بعض بترتيب واتّساق والبناء، أو الوضع بدلالاته المعنويّة كالذّليل المهان، والوضع الدّنيء؛ ومن يضع نفسه -لأيّ سبب كان- في المرتبة الدّنيا ليعود همّته وضعف شخصيّته وقلة إرادته، كلّها معانٍ تتفق على البقاء في المكان والثّبات فيه؛ أي لزومه وعدم مغادرته، وكذلك التفسير الموضوعيّ يتطلّب لزوم موضوع ومعنى محدّد وعدم تجاوزه حتّى الفراغ منه، فالمعنى المشترك هنا هو اللّزوم والتّقيّد وعدم المغادرة إلى حين الانتهاء؛ ليس إلّا¹، وباقي المعاني مُستبعدة وغير مقصودة لعدم مناسبتها لمعنى التفسير الموضوعي الذي نريده.

وهو عند علماء التفسير: القضية التي تعدّدت أساليبها وأماكنها في القرآن ولها جهة واحدة تجمعها عن طريق المعنى الواحد أو الغاية الواحدة.²

كما عُرّف على أنّه: قضية أو أمر متعلّق بجانب من جوانب الحياة في العقيدة أو السلوك الاجتماعيّ أو مظاهر الكون تعرّضت لها آيات القرآن الكريم.³

وجاء في عمدة الحفاظ: الوضع بعدّة معاني منها: أحططنا وأسقطنا، قال تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾ [الشّرح: 02]. قال بعضهم: والوضع أعمّ من الخطّ، ومنها الموضع، ومنها الإيجاد، ومنها البناء والاتّخاذ، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ [سورة آل عمران: 96] أي بُني واتّخذ، ومنها إبراز أعمال الخلائق، قال تعالى: ﴿وَوَضِعَ الْكِتَابَ﴾ [سورة الكهف: 49] و [سورة الزّمر: 69]، ومنها الخطّ، قال تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ [سورة الأعراف: 157] أي يخطّ عنهم أثقال التّكليف.⁴

02- تعريف التفسير الموضوعي: فيما يخصّ مصطلح -التفسير الموضوعي- فهو مصطلح مُعاصر، أطلقه المفسّرون والباحثون المعاصرون على الأبحاث والدراسات التي تتناول موضوعاً من

الذي استخرجته من كلام علماء التفسير، وهو المراد هنا. ينظر: عبد الستار فتح الله سعيد، المدخل إلى التفسير الموضوعي، (ط02، دار الطباعة والنشر الإسلامية، القاهرة، مصر، 1411هـ - 1991م)، ص: 20.

1 المصدر السابق، ص: 21 - 23.

2 المصدر السابق، ص: 20.

3 مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، (ط03، دار القلم، دمشق، 1421هـ - 2000م)، ص: 16.

4 أحمد بن يوسف المعروف بالسّمين الحلبي، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ "معجم لغوي لألفاظ القرآن الكريم"، تحقيق: محمّد التونجي، (ط01، عالم الكتب للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1414هـ - 1993م)، ج04، ص: 367.

موضوعات القرآن، وقد تعدّدت تعريفاتهم له فناهزت العشرين تعريفاً¹، وما يمكن تصنيفه - حسب الباحث - كتعريف للتفسير الموضوعي، يكون جامعاً لأفراد جنسه، مانعاً من التداخل مع غيره، شاملاً لجميع أنواعه، ما يلي:

- **التعريف الأول:** علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر.² وهذا التعريف هو الذي اختاره مصطفى مسلم ورجّحه. [وتابعه زياد خليل الدغامين].

- **التعريف الثاني:** البحث عن موضوعات قرآنية تربطها صلات خاصة لغاية خاصة وفق منهجية خاصة.

فالموضوعات القرآنية: تشمل القضايا العقدية أو التشريعية أو الكونية أو غيرها ممّا له صلة بحياة الناس للخروج بنظرة قرآنية حول تلك الموضوعات.

وأما الصّلات الخاصة فتشمل التناسب بين آيات السّورة الواحدة أو ما يسمّى بالوحدة الموضوعية وتشمل كذلك جمع الآيات المتحدّثة عن موضوع واحد في القرآن.

وأما الغاية الخاصة فهي: معرفة حكمة التشريع والمقاصد القرآنية لهذه الموضوعات بما يكشف عن وجوه إعجازه ودعائم خلوده، وبهذا القيد تخرج محاولات المستشرقين لتحديد موضوعات القرآن لغايات في نفوسهم.

وأما المنهجية الخاصة: فهي الطريقة التي يسلكها الباحث في سبيل ذلك من خلال الإجراءات والضوابط والقواعد والأصول التي يتبعها والتي قد تتباين بين الباحثين في هذا الميدان.³

- **التعريف الثالث:** « علم يبحث في موضوع لفظي أو معنوي من كتاب الله أو بعضه من حيث مراد الله بحسب الطّاقة البشرية. وتخرجه كما يلي:

- "علم" يفيد التفسير الموضوعي واحد من العلوم الشرعية المتعلّقة بالقرآن الكريم وأنّه من قبيل التصديقات أو التّصورات على خلاف العلماء في ذلك.

1 تمّ تتبّع بعضها والرّدّ عليها ردّاً مفصّلاً. ينظر: توفيق علوان، فيض الرّحمن في التفسير الموضوعي للقرآن، (ط2، مكتبة الرشد-ناشرون، الرياض، المملكة العربية السّعودية، 1427 هـ - 2006 م)، ص: 30 - 42. وجهاد محمّد فيصل النصيرات، التفسير الموضوعي وإشكالات البحث في المفاهيم القرآنية، (دراسات علوم الشريعة والقانون، الجامعة الأردنية، المجلد 40، العدد 01، 2013 م)، ص: 155.

2 مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، مصدر سبق ذكره، ص: 16.

3 جهاد محمّد فيصل النصيرات، التفسير الموضوعي وإشكالات البحث في المفاهيم القرآنية، (دراسات علوم الشريعة والقانون، الجامعة الأردنية، المجلد 40، العدد 01، 2013 م)، ص: 155.

- "يبحث في موضوع" يخرج التفسير التحليلي وغيره ...
- "لفظي أو معنوي" يشمل كافة الموضوعات الواردة في الكتاب أو في حياة الناس ...، فإن كانت عمدتها الألفاظ فهو موضوعي لفظي، وإن كانت المعاني فكل فكرة ترد على قلب بشر لها معنى، وإن كانت الألفاظ والمعاني فهي الأدبيات والموضوعات الشبيهة بها.
- "من كتاب الله" أخرج به البحوث الموضوعية في غير كتاب الله ...
- "أو بعضه" يدخل فيه ما هو من دون كتاب الله تعالى بجملته فهو يتناول السورة واللفظ وأقل من ذلك كالحرف وأكثر منه كالعدد من السور ذات الموضوع المشترك أو أقل أو أكثر منه.
- "من حيث مراد الله" قيّد البحث في التفسير الموضوعي بمنهج القرآن في تناول المسائل ومقاصده الأولية والتابعة، بحيث لا يعدّ تفسيراً موضوعياً ما ينشأ من مناهج الباحثين ومحض معتقداتهم وأفكارهم ...
- "بحسب الطاقة البشرية" توضيح بأنّ المفسّر غير مكلف بمطابقة مراد الله تعالى على الحقيقة في كلّ بحث أو مسألة وذلك لاستحالته، وإنّما غاية المطلوب هو استفراغ الجهد الشرعي واستيفاء شروط المفسّر المعتمد على مذهب أهل السنّة والجماعة ...¹
- وإذا كان العلم الوضعي هو « ملكة الإدراك المتعلّق بمعلوم لمعرفة مجموع الأصول الكلية والمسائل المندرجة تحت جهة واحدة »²، فإنّه يمكن الخروج بالتعريف التالي: التفسير الموضوعي علم يبحث حسب المقاصد القرآنية والطاقة البشرية وفق منهجية خاصة في موضوعات قرآنية لفظية أو معنوية بينها ترابط.

ثانياً: التفسير الموضوعي الظهور والتطور³: نشأت الكتابة والبحث في التفسير الموضوعي من باب تلبية حاجات مسلمي هذا العصر، فالصورة والمنهجية التي نعرفها عنه الآن لم يعرفها السابقون، وهذا

1 توفيق علوان، فيض الرحمن في التفسير الموضوعي للقرآن، (ط2، مكتبة الرشد - ناشرون، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1427 هـ - 2006 م)، ص: 43 - 45.

2 صديق بن حسن خان، أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان حال العلوم، (د.ط، منشورات دار الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سوريا، 1987م)، ج 01، ص: 43. بتصرف

3 فيما يخص المراحل التاريخية لنشأة وتطور التفسير الموضوعي، استفاد الباحث من رسالة ماجستير موسومة ب: التفسير الموضوعي دراسة تاريخية نقدية، مع تصريف رآه مناسباً. ينظر: محمد محمود محمد الدومي، التفسير الموضوعي دراسة تاريخية نقدية، (رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان الأردن، الموسم الجامعي: 1428 هـ - 1998 م). وصلاح عبد الفتاح الخالدي، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، مرجع سبق ذكره، ص: 22 - 30.

لا يعيبهم ولا ينقص من قدرهم، لأنهم حققوا حاجات مسلمي عصرهم، ولأنّ كلام الله لا تنقضي عجائبه ولا تنتهي الحاجة لفهمه وتدبره، وإن اختلفت وتعددت مناهج وطرق ذلك.

والشواهد مُتظافرة على أنّ التفسير الموضوعي طُبّق عملياً في عهد النبوة، واستمرّ في الأمة بعد ذلك، وهو لا يزال يُمارس إلى يومنا هذا، «إلا أنّ مصطلح "التفسير الموضوعي" وإطلاقه على هذا الأسلوب من التفسير لم يظهر إلا في القرن الرابع عشر هجري»¹، فنحن هنا نُسجّل فارقاً أولياً بين الممارسة الفعلية والإطلاقات التعريفية والتأصيلية، وهذا الأمر ليس خاصاً بالتفسير الموضوعي، بل هذه هي سُنّة نشأة كلّ العلوم وتطوّرها.

وكما هو معلوم بدأ الصحابة رضي الله عنهم تعلّم علوم الشرع مُشافهة وممارسة في عصر النبوة على يد رسول الله ﷺ، ولما انتهى عهد الصحابة رضي الله عنهم خاف المسلمون -لعدة أسباب- من دروس العلوم الشرعية واختفائها، فأمر عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بتدوين الأحاديث والآثار، فانتشر التدوين مع نهاية المائة الأولى وبداية الثانية.²

وعلى نفس شاكلة نشأة وتطوّر كلّ علم، ظهر التفسير الموضوعي ومَرَّ بمراحل مُتعددة ارتبطت بأحوال المسلمين وحاجاتهم، وانتهت به علماً سائراً في طريق النضج، يُعتمد عليه لمعالجة مشاكل الأمة والنهوض بها، في تجسيد عمليٍّ لأثر عليّ رضي الله عنه: «حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»³، فقدرات الناس تختلف في الفهم والاستيعاب للأمر من جيل لجيل، ومُراعاة أحوال المخاطبين في قدرتهم على الفهم؛ مع سهولة الأسلوب وجاذبيته؛ وحُسن البيان في الدعوة، كلّها أمور مطلوبة، وإذا كان الأسلوب القرآني نفسه راعى هذا الجانب في النفس البشرية، فنوع في أساليبه كي لا تملّ النفوس التكرار ولا تسأم، فالتفوس جُبلت على حبّ التغيير والتنويع؛ فأسلوب تفسير القرآن كذلك يأبى التكرار، ويتطلّب التنويع في حدود التفسير المقبول، وفيما يخصّ المراحل التي مرّ بها التفسير الموضوعي فيمكن ترتيبها في المراحل التالية:

المرحلة الأولى: جذور النشأة: إنّ حاجات المسلمين ظهرت مع ظهور الإسلام وفي ظلّ نزول الوحي، فوَقَّعت لهم المواقف، واستجدّت عندهم الظروف، وحدثت لهم المشاكل، وكان على

1 فهد بن عبد الرحمن الرّومي، بحوث في أصول التفسير ومناهجه، (ط4)، مكتبة التوبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1419هـ)، ض: 62 - 63.

2 ابن الجوزي، سيرة عمر بن عبد العزيز، تحقيق: طه عبد الرّؤوف، (ط1)، دار ابن خلدون، الإسكندرية، مصر، 1417هـ - 1996م)، ص: 276.

3 أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب من خصّ بالعلم قوماً دون قوم كراهية ألا يفهموا، برقم: (127).

الوحي التّعامل معها في وقتها ومُعالجتها في حينها، فلا شكّ أنّ كلام الله فيه الإجابات والعلاجات والحلول القطعيّة، ومن هنا كانت أوّل ممارسات التفسير الموضوعي قرآنيّة الأصل؛ أو بتدخلات نبويّة، وعلى شكلين:

الشكل الأوّل: التفسير الموضوعي القرآني: وهو نوعان:

الأوّل: إحالات القرآن للقرآن نفسه: وفي هذا النوع نجد آيات قرآنية تُحيل إلى آيات أخرى في نفس موضوعها لا تخرج عنه؛ توضّحها وتبيّنُها وصولاً إلى الفهم والمعرفة.

الثاني: إحالات القرآن إلى غيره: وفي هذا النوع يُحتاج أن يُلتفت خارج النصّ القرآنيّ ليُعرف المحال إليه من خلال كشف العلاقة الموجودة بينه وبين الطرف الخارجيّ.

وقد يجتمع في الآية الواحدة النوعان معاً. والإحالة¹ معيار من المعايير التي تُسهّم في إيصال المعنى المراد للقارئ، فهي وسيلة من أهمّ وسائل سبك العبارات لفظيّاً من دون إهمال لترباط الدلالات الكامنة التي تحتملها، فهي صياغة أكبر قدر من المعلومات بإنفاق أقلّ قدر من الوسائل، فالإحالة قادرة على صنع قنوات وجسور للتواصل بين مكوّنات النصّ الظاهرة وأجزائه المتباعدة، تلك الأجزاء التي تمثّلها الكلمات والجمل والعبارات.²

بل إنّه وُجد من يقول أنّ نزول القرآن بُحوماً هو عين التفسير الموضوعي، وأنّ كلّ نجم يُعالج موضوعاً³، والباحث يميل إلى هذا القول لأنّ القرآن أنزل لمعالجة مُشكلات البشر وعلى رأسها مشكلة موضوع الشرك بالله.

ومن الأمثلة على التفسير الموضوعي القرآنيّ قوله ﷻ: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ۝١٤٠﴾ [سورة النساء: 140]، فقلوه تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ تُحيل لآيات أخرى سابقة تُبيّن ما أنزله الله ﷻ في موضوع الإعراض عمّن يخوضون في

1 الإحالة نوعان: الإحالة الدّاخلية: وهي العلاقات داخل النصّ سواء أكان بالرجوع إلى ما سبق، أم بالإشارة إلى ما سوف يأتي داخل النصّ. والإحالة الخارجيّة: وهي خارج حدود النصّ؛ الأخيرة تبرز أهميّة معرفة مناسبات النزول في النصّ القرآنيّ. ينظر: صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصّي بين النّظرية والتّطبيق، (ط01، دار قباء للطباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، 1431هـ - 2000م)، ج01، ص: 40 - 41.

2 حسين عودة هاشم، الصّور الإحالية في سورة(ق) وأثرها في توجيه المعنى، (العدد 03، مجلّة ميسان للدراسات الأكاديمية، 2008م)، ج07، ص: 12.

3 عبد الجليل عبد الرّحيم، التفسير الموضوعي في كفتي الميزان، (ط01، د.د، عمّان، الأردن، 1992م)، ص: 51 - 59.

آيات الله وعدم القعود معهم، قال ابن كثير (توفي: 774هـ) مُفسراً الآية السابقة: «والذي أُحيل عليه في هذه الآية من النهي في ذلك هو قوله تعالى في سورة الأنعام، (وهي مكية): ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيءِ آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ وَإِنَّمَا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام: 68] ¹، فالآيتان عاجلتا موضوعاً واحداً، والذي دللنا على ذلك وبين لنا المعنى هو القرآن نفسه.

ومنه قوله ﷻ: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: 164]، فهذه الآية نص يُحيل إلى سور وآيات سابقة فيها تفصيل وبيان قصص الأنبياء كقصّة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم، وبيان معناها يُتوصل إليه بالعودة إليها، كالعودة إلى سورة القصص وغيرها.

ومنه قوله ﷻ: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾ [النحل: 118]، هذه الآية الكريمة تُحيل صراحةً إلى آيات نزلت من قبل فيها توضيح وكشف عن هذه المحرمات وهي قوله ﷻ: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [الأنعام: 146].

ومنه قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: 123]، قال الشنقيطي (توفي: 1393هـ): «ذكر الله جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة: أنه أوحى إلى نبينا ﷺ الأمر باتِّباع مِلَّةِ إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين. وبَيَّنَّ هذا أيضاً في غير هذا الموضع؛ كقوله: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: 161]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعْبُدُوا رَبَّكُمُ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ - إلى قوله: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ الآية [الحج: 77-78]، وقوله: ﴿فَدَكَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ الآية [المتحنة: 04]، إلى غير ذلك من الآيات ²، فهذه الآيات كلها موضوعها اتِّباع الحنيفية الإبراهيمية.

ومنه قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

1 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سبق ذكره، ج 04، ص: 314.

2 الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، إشراف: بكر بن عبد الله بن زيد، (ط 01، دار علم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 1426هـ)، ج 03، ص: 459 - 460.

الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ [الزمر: 65]. ففي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ﴾ إحالة داخلية لآيات في القرآن نفسه؛ موضوعها إحباط العمل الصّالح بسبب الوقوع في الشرك، قال ابن كثير (توفي: 774هـ) في تفسير الآية رقم: (65) من سورة الزمر: «هذه كقوله: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٨٨﴾ [الأنعام: 88]»¹، وفي قوله تعالى: ﴿وَالِلَّهِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ إحالة إلى خارج النصّ القرآني (الشّرائع السابقة)، فهي كلّها نصّت على ما نصّت عليه هذه الآية في موضوع إحباط العمل بسبب الشرك بالله.

والملاحظ فيما سبق ذكره - من أمثلة - أنّ إحالات القرآن شملت جميع أنواعه؛ العقيدة والأحكام والقصص؛ وهي مع ذلك اهتمّت بالمنهج العام الواجب اتّباعه، فكانت إحالات شاملة لم تُغفل أمراً أو جانباً، ووجهت للعناية بجميع الموضوعات، كنموذج آخر لحفظ القرآن، وتلك خاصية لا تجدها في غير كلام الله ﷻ، ولا يعقلها إلّا العالمون.

الشكل الثاني: التفسير الموضوعي النبوي: إنّ مجرد تصفّح كتب السنّة يكشف لنا تطبيقاتاً وصوراً عن التفسير الموضوعي في السنّة النبوية، ومن ذلك:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: 82] شقّ ذلك على النّاس، فقالوا: يا رسول الله وأيّنا لا يظلم نفسه؟ قال: إنّّه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصّالح: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13]، إنّما هو الشرك²، فهو ﷻ فسر الظلم بالربط والجمع بين آيتين ورد فيهما.

وفسر ﷻ مفاتيح الغيب في قوله ﷻ: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: 59] فقال: «مفاتيح الغيب خمس: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ ﴿٧٤﴾ [لقمان: 34]»³، ففسر الغيبات بالجمع بين آيتين ذكر فيهما موضوع علم الغيب.

وثمة لطيفة في هذين المثالين النبويين، وهي أنّ الآيتين من سورة الأنعام فسّرتهما آيتان من سورة

1 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سبق ذكره، ج12، ص: 147.

2 أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب استتابة المرتدين، باب ما جاء في المتأولين، رقم: (6937) عن إسحاق بن إبراهيم ويحيى ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب صدق الإيمان وإخلاصه، برقم: (197).

3 أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: 59]، برقم: (4351).

لقمان، فالظلم في سورة الأنعام فُسِّرَ بالشرك في سورة لقمان، والغيب المبهم في سورة الأنعام فُسِّرَته آخر آية من سورة لقمان، وهذا من المناسبات بين سورة الأنعام المكيّة مع سورة لقمان المكيّة، فهما سورتان كالأختان تجمع بينهما روابط، ومنها ما ذكر.

المرحلة الثانية: التفسير الموضوعي عند السلف: التفسير الموضوعي علم مُستحدث مُعاصر ولكن هذا لا يعني أنّ العلماء والمفسرين السابقين لم يُمارسوه، فإذا كان منهج القرآن أن يُفرّق الموضوع في القرآن على سور مُتفرقة، وفي سياقات مختلفة له فيها حكم ودلالات، بحيث يُشكّل كلّ جزء منها حجراً في البناء الكلّي للموضوع كما أَراده الله أن يكون، وعدم استيفاء الموضوع في السورة الواحدة من القرآن دفع السلف إلى البحث عن الجوانب المكّملة له في السور الأخرى، لإدراك وفهم الموضوع والإحاطة به من جوانبه كافّة، فكانت تتم عملية استدعاء جماعيّ للآيات ذات الموضوع الواحد لتشكّل فصلاً يتمّ دراسته، ولا يُتصوّر منهم مُعالجة قضيّة ما بالاعتماد على آية واحدة وهي قد ذكرت في غيرها، ليقينهم أنّ كلام الله لا يعتريه الزيادة أو العتب، وبالتأمّل والبحث فيما نُقل عنهم من تفاسير لبعض الآيات القرآنيّة نُدرِك أنّ تفسيرهم كان يعتمد على القرآن أولاً؛ لأنّ القرآن يُفسّر بعضه بعضاً كما تعلّموا ذلك من رسول الله ﷺ، ولا يخفى التشابه بين تفسير القرآن بالقرآن والتفسير الموضوعي فيما تعلّق باستدعاء وتوظيف الآيات القرآنيّة المترابطة، وكمثال عن مُعالجتهم لمواضيع القرآن الكريم؛ يذكر الباحث مسألة التّفقه والسكّنى للمطلّقة طلاقاً بائناً (المبتوتة)، فهذا موضوع فقهيّ عاجله السلف بالرجوع للقرآن الكريم والجمع بين آيات سورتي البقرة والطلاق؛ التي عاجلت قضيّة الطلاق، وقد اختلفوا على أربعة أقوالٍ ليس هذا مجال ذكرها.¹

وقد تفتّن مُفسّرو القرآن منذ عهد الصحابة رضي الله عنهم إلى وجود موضوع مُحدّد في كلّ سورة من سور القرآن، تدور حوله جميع آياتها أو مُعظمها، مُشكّلةً مقصداً خاصاً بهذه السورة أو تلك، يتعيّن الاحتكام إليه أثناء تأويل مضامينها، ممّا ييسّر فهمها وفهم ما ورد فيها من كلام الأولين والآخرين من أهل التحقيق، أكثر من تناول الآيات مجرّدة عن موضوع السورة.²

أمّا بالنسبة للتابعين فهم تلامذة الصحابة رضي الله عنهم، منهم تعلّموا، وعلى موروثهم اعتمدوا، فخلوا من معينهم، فقاموا بنشر العلم في كافة أنحاء الدولة الإسلامية في وقتهم، وظهرت لهم أقوال جديدة

1 ينظر: الشوكاني، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، تخريج: رائد بن صبري بن أبي علفة، (ط01، دار بيت الأفكار الدولية، لبنان، 2004م)، ص: 1013 - 1014.

2 ينظر: مقاصد السور وأثر ذلك في فهم التفسير، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، www.tafsir.org، 2016، <https://saleh.af.org.sa/sites/default/files/books>

تتناسب مع الظروف والمناسبات، وكانت مدرسة مكة أكثر المدارس التزاماً بالمأثور القرآني، ومدرسة المدينة أكثر التزاماً بالمأثور من السنة، ومدرسة العراق أكثر هذه المدارس رأياً لبُعدها عن مكة والمدينة، وبدأ المفسرون يشقون طريقاً أكثر تخصصاً ودقة في هذا الميدان حتى أنهم اشتغلوا بالكلمة الواحدة، والآية الواحدة، والسورة الواحدة.

والشاهد هنا هو أنهم عاجلوا موضوعاً واحداً؛ إمّا من خلال السورة الواحدة وإمّا من خلال المصطلح في عدة سور، على غرار عدة مواضيع مثل: الإيمان، والهجرة، والجهاد، والفاحشة، وغيرها من القضايا، والأمثلة في هذا كثيرة فيما نُقل عنهم في كتب التفسير والفقه واللغة.

المرحلة الثالثة: عهد بداية الخروج عن المؤلف: المؤلف هو التفسير التحليلي، وفي هذا العهد تعددت الدراسات ذات الصلة؛ والتي يُمكن سَمّها بالتفسير الموضوعي، وتتبع المؤلفات والتصانيف مع بداية التدوين يكشف لنا أنّ لأهل كل فنٍّ بادرةً في التفسير الموضوعي، وبداية رحلتهم فيه.

وقد يُخالف بعض الباحثين فيرى أن هذا الضرب من الدراسات لا يدخل في التفسير الموضوعي، ويعده في باب الدراسات القرآنية العامة، وليس في التفسير الموضوعي، على ضوء تفرقه بين التفسير الموضوعي العام والخاص¹، ولكن ما لا يُمكن إغفاله هو أنّ هذه الدراسات قامت أساساً على تجميع الآيات ذات المشترك الواحد، التي بينها ارتباط بوجه من الأوجه، أي أنّها دراسات راعت وجود حدٍّ مشترك رابط بين الآيات المتفرقة، وأنجزت بناء على ذلك، وهي الميزة التي قام عليها التفسير الموضوعي، ومن هذه الدراسات ما جمعه الفقهاء في كتبهم من الآيات ذات الصلة بموضوع واحد، كآيات الصلاة، وآيات أحكام الأموال من زكاة وصدقات، وغيرها.

ومنها ما قام به أهل اللغة ككتاب "الأشباه والنظائر في القرآن الكريم" الذي ألفه مقاتل بن سليمان البلخي (توفي: 150هـ)، وهو كتاب جمع فيه مؤلفه الأشباه والنظائر حسب المادة اللغوية من القرآن الكريم، دون مراعاة للترتيب الهجائي عند عرضها، و"إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم" للفيّك الدامغاني (توفي: 478هـ)، وفي هذا الكتاب سلك المؤلف مسلك جمع الأشباه والنظائر حسب المادة اللغوية من القرآن الكريم، ثمّ ترتيب ما جمعه ترتيباً حسب المعجم العربي، و"نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر" لابن الجوزي (توفي: 597هـ)، وهو كتاب جمع فيه مؤلفه الأشباه والنظائر حسب المادة اللغوية من القرآن الكريم، دون مراعاة للترتيب الهجائي عند عرضها، و"بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز" للفيروزآبادي (توفي: 817هـ)، وفي هذا

1 ينظر: عبد الستار فتح الله سعيد، المدخل إلى التفسير الموضوعي، مصدر سبق ذكره، ص: 25.

الكتاب سلك المؤلف مسلك جمع الأشباه والنظائر حسب المادة اللغوية من القرآن الكريم، ثمّ ترتيب ما جمعه ترتيباً حسب المعجم العربي، و"كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر" لابن العماد (توفي: 887هـ)، وهو كتاب جمع فيه مؤلفه الأشباه والنظائر حسب المادة اللغوية من القرآن الكريم، دون مراعاة للترتيب الهجائي عند عرضها.

ومن هنا ما تعلّق بعلوم القرآن كعلم النّاسخ والمنسوخ؛ وللعلماء الذين أفردوا علم النّاسخ والمنسوخ بالتأليف مناهج متعدّدة، ويعدّ كتاب "النّاسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن" لأبي عبيد القاسم بن سلام (توفي: 224هـ) الوحيد الذي غني بالجانب الموضوعي، حيث جاء مُكوّناً من ثلاثين باباً حسب الموضوعات التالية: فضل علم النّاسخ والمنسوخ وتأويل النسخ، الصّلاة، الزّكاة، الصّيام، النّكاح، الطّلاق، الحدود، الشّهادات، شهادة أهل الكتاب، المناسك، الجهاد، الأسارى، المغانم، الاستئذان، الموارث، الوصيّة، اليتمى، الحكم بين أهل الذّمة، الطّعام، الشّراب، السّكر، قيام اللّيل، النّجوى، التّقوى، التّوبة عند الموت، توبة القتل، مؤاخذه العباد بما تخفي النفوس، الإكراه في الدّين، الاستغفار للمشرّكين، الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، فكان كتاباً له صبغة موضوعيّة جعلته أصلاً من أصول التفسير الموضوعي.

وهناك كتب أخرى ألفها أصحابها في علم النّاسخ والمنسوخ، ولكنهم لم يعتنوا فيها بالموضوعات، بل كانت عنايتهم إمّا بالنّاحية الأصولية؛ وإمّا بالإسناد لكلّ حديث أو أثر أو قول؛ وإمّا بهما معاً، ومن هذه الكتب كتاب "النّاسخ والمنسوخ في القرآن الكريم" لأبي جعفر النّحاس (توفي: 338هـ)، و"الإيضاح في ناسخ القرآن ومنسوخه" لمكيّ بن أبي طالب القيسيّ (توفي: 437هـ)، و"نواسخ القرآن" لابن الجوزيّ (توفي: 597هـ).

وفي علم أسباب النّزول كتاب "أسباب النّزول" لعلي بن المدينيّ (توفي: 234هـ).

وفي علم التفسير كتاب "التبيان في أقسام القرآن أو التبيان في أيمان القرآن" لابن القيم (توفي: 751هـ)، وفيه قام ابن القيم بمعالجة موضوع القسم (اليمين)، فتنبّع جميع المواضع التي أقسم الله ﷻ فيها؛ سواء ورد فيها القسم صريحاً أو ضمناً في القرآن الكريم، ثمّ قام بعرض وترتيب الآيات القرآنية من آخر المصحف إلى أوّله، فشرح دلالتها وبَيّن معانيها، ثمّ ربط الآيات من سور مختلفة مع بعضها البعض، كما قام بتفسير السّور القصيرة التي تبدئ بالقسم ويُنّ علاقة القسم في السّورة بالمقسم عليه وجواب القسم، وعلاقة القسم بالسّورة نفسها وما ورد فيها من معان، فكان كتابه تفسيراً لآيات موضوع القسم في القرآن الكريم على نوعين: للموضوع القرآني، وللسّورة القرآنية.

ثمّ توالى المؤلّفات التي تعكس عناوينها قبل مضامينها لوّنها الموضوعي الفقهيّ مثل "أحكام القرآن" للجصاص (توفي: 370هـ)، و"أحكام القرآن" لابن العربي (توفي: 543هـ).

المرحلة الرابعة: تطوّر دراسة الموضوعات القرآنيّة: يمثّل القرآن الكريم مصدر الحقائق والمعارف لا سيما ما يتعلّق منها بالغيب، فضلاً عن كونه مليء بالآيات التي تُركّز على أهميّة المعرفة، وتشجيع السّعي في جنبات الكون لاستكشافه، واستمداد العلوم والمعارف من القرآن الكريم لخدمة الإنسان وعمارة الأرض، وفقاً لطرق مُعيّنة وأساليب مُحدّدة بيّنها القرآن الكريم، كما دعا إلى التّفكّر والتأمّل والتدبّر.

ولما وفدت الحضارة الغربيّة لبلاد المسلمين في ثوب المنقذ الذي سيقود المسلمين نحو التّقدّم والتّطوّر، صاحب هذه الدّعوى تهجّم على الدّين الإسلاميّ والقرآن الكريم، فنشط بعض العلماء للرّد على دعاوى تعارض الإسلام مع العلم والحضارة الحديثة، فألف محمود شكري الألوسيّ (توفي: 1341هـ) كتاب "ما دلّ عليه القرآن ممّا يعضد الحياة الجديدة القويمة البرهان"، وهو كتاب مُرتّب حسب السّور، تناول فيه جميع الآيات القرآنيّة من مختلف السّور ليعالج موضوع الأرض، فأثبت أنّها كوكب سيّار حركته تابعة للشمس ومُتعلّقة بالجاذبيّة، وألف محمّد بخيت المطيعيّ (توفي: 1354هـ) كتاب "تنبيه العقول الإنسانيّة لما في آيات القرآن من العلوم الكونيّة العمرانيّة"، وهو عبارة عن تفسير لموضوعات قرآنيّة مختلفة كخلق الإنسان، والسّماوات والأرض، تعدّد الأقمار، إلخ... وعلى نفس المنوال نسج محمّد وفا الأميريّ في كتاب "الإشارات العلميّة في القرآن الكريم"، وقد تميّزت جميع هذه المؤلّفات بطابع تفسير آيات القرآن الكريم تفسيراً موضوعيّاً، وبكونها ردوداً على ادّعاءات كانت قائمة من طرف المستشرقين وأذناهم.

ثمّ كثرت الدّراسات المعاصرة في مجال التّفسير الموضوعيّ ما بين التّنظير والتّطبيق، ولذلك يجد الباحث مؤلّفات عديدة مُتنوّعة سعى أصحابها لتأصيل التّفسير الموضوعيّ ورسم منهجه، أو لتلقّف هدايات القرآن الكريم لمعالجة مُعطيات العصر الحديث ومواضيعه الشرعيّة والكونيّة.

01- مؤلّفات الدّراسات النظريّة: أذكر منها: المدخل إلى التّفسير الموضوعيّ لعبد السّتار فتح الله سعيد، مباحث في التّفسير الموضوعيّ لمصطفى مسلم، المدخل الموسوعيّ لدراسة التّفسير الموضوعيّ لعرفة بن طنطاوي، وغيرها.

02- مؤلّفات الدّراسات الموضوعيّة التّطبيقية: منها: الأخلاق في القرآن، اليهود في القرآن، الرّعاية النّفسية في ضوء الكتاب والسّنّة للباحث شيخ لطف، وهي دراسة موضوعيّة بجامعة أحمد

دراسة بأدرا، قُدمت لاستكمال مُتطلّبات نيل شهادة الدّكتوراه في العلوم الإسلاميّة، تخصّص: الكتاب والسّنّة، وغيرها كثير جدّاً.

03- مؤلّفات الجمع بين النّظرية والتّطبيق: تُعدّ رسالة الدّكتوراه التي قدّمها محمّد محمود حجازي عام 1967م إلى كليّة أصول الدّين بجامعة الأزهر بعنوان "الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم" أوّل رسالة علميّة تُعالج قضية التّفسير الموضوعي، وعلى الرّغم من وجود عدد من نقاط الضّعف التي اعترتها، إلّا أنّ صاحب الرّسالة قدّم من الدّعائم والبراهين ما يُقوّي القول بالوحدة الموضوعية في القرآن جملة، وفي السّورة تفصيلاً، كما أنّه قدّم دراسات تطبيقية تُؤكّد مفهوم الوحدة وتدعمه على مستوى القرآن وعلى مستوى السّورة.¹

وهناك مؤلّفات أخرى مثل "فيض الرّحمن في التّفسير الموضوعي للقرآن" لتوفيق علوان، و"التّفسير الموضوعي بين النّظرية والتّطبيق" لصلاح عبد الفتّاح الخالدي، و"شذرات من التّفسير الموضوعي للقرآن الكريم" لعبد الفتّاح عاشور.

وحقّ المستشرقون أدلوا بدلوهم في هذا اللون التّفسيريّ لما رأوا من القبول له؛ مثل المستشرق جول لابوم الذي وضع كتاب "تفصيل آيات القرآن الكريم" بحسب مواضع قرآنية حدّدها هو.

04- التّفسير الموضوعية المعاصرة: كُتب التّفسير الموضوعي المعاصرة هي كتب صُنّفت حديثاً في علم تفسير القرآن الكريم، والهدف منها هو تقريب وتيسير لغة التّفسير لكي يسهل على قارئ اليوم فهم القرآن الكريم، وذلك باعتماد ألفاظ وكلمات مُناسبة ومُتداولة في العصر الحديث، لمعالجة موضوعات وقضايا تشغل اهتمام النّاس، ومن هذه الكتب النّماذج الآتية الذّكر:

النّمودج الأوّل: تفسير المنار: هذا التّفسير عبارة عن تفاسير الشّيخ محمّد عبده؛ وقد جمعها عنه تلميذه الشّيخ محمّد رشيد رضا (1282-1354هـ / 1865-1935م)، ودوّنها في كتاب وسّمّاه: "تفسير المنار"، وهو تفسير يتّسم بسهولة عباراته وبساطة شرحه؛ خالٍ من المصطلحات والألفاظ الغريبة والتي لا يدرك معناها إلّا المتفقهون والمشتغلون بعلم التّفسير، وذلك تيسيراً للجميع في فهم القرآن الكريم، التّفسير من تأليف محمّد رشيد رضا؛ والذي وازن بين ما عليه المسلمون في عصرنا وبين متطلّبات التشريع الإسلاميّ التي جاء بها القرآن الكريم، وهو تفسير يتميّز بأنّه الكتاب الوحيد الذي جمع بين صريح المعقول وصحيح المأثور، كما يُعتبر تفسيراً مدنيّاً عصريّاً وأثريّاً وسياسيّاً واجتماعيّاً

1 سامر عبد الرّحمن رشواني، منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم دراسة نقدية، (ط01، دار الملتقى، حلب، سورية، 1430هـ - 2009م)، ص: 11.

وإرشادياً وإصلاحياً.¹

- الجانب الموضوعي في منهج المؤلف: اعتنى المؤلف بالتفسير الموضوعي للقرآن الكريم بحسب أقسامه الثلاثة: الوحدة الموضوعية في القرآن، والوحدة الموضوعية في السّورة، والمصطلح القرآني، وتمثّلت مقوّمات منهج صاحب المنار في التفسير الموضوعي للموضوع فيما يلي: اختيار عنوان للموضوع القرآني، وجمع الآيات التي تخدم الموضوع، وترتيب الآيات حسب النزول، والاستعانة بالأحاديث النبوية، وعرض الهدايات القرآنية المستفادة من مجموع الآيات، وطُبقت مقوّمات دراسة السّورة القرآنية كما يلي: التقديم للسّورة، وتحديد موضوعها العام، وموضوعاتها الجزئية، وتقسيم السّورة إلى مقاطع، وبيان المناسبات في السّورة الواحدة، والمناسبات بين السّور، ولكن لم تكن أغلب المقوّمات النظرية السابقة الذكر مطبّقة عند دراسته للمصطلح القرآني، ورغم ذلك فقد وجدت عناية صاحب المنار بالكلمة القرآنية، ببيان معناها في أصل اللغة، ومعناها في بعض سياقاتها القرآنية.²

النموذج الثاني: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير: جعل ابن باديس (توفي: 1359هـ - 1940م) من تفسير كلام الله ﷺ وسيلة أساسية للدعوة والإصلاح، مُوظِّفاً المنهج التحليلي ومُتّبِعاً ترتيب المصحف الحالي، ولكنه لم يُغفل توظيف التفسير الموضوعي حتّى وهو لا يُدرك أنّه يمارس منهجاً تفسيرياً جديداً، فقد فسّر القرآن تفسيراً موضوعياً في مواضع، أربعاً منها في التفسير الموضوعي التّجميعي والخامس في التفسير للسّورة القرآنية.

- الجانب الموضوعي في منهج المؤلف: إنّ غلبة الهدف الإصلاحي على تفسير ابن باديس ألبسه ثوب التفسير الموضوعي؛ وذلك للعلاقة المتينة بين التفسير الشفهي الهدائي الإصلاحي والتفسير الموضوعي، وأهمية التفسير الموضوعي في معالجة مشكلات النّاس وإصلاحهم، وفي ربط النّص القرآني بالواقع، وهو الهدف الأصيل الذي استدعى ظهور التّفسيرات الموضوعية في أواخر الثّمانينات، وقد تجسّد منهج ابن باديس في التفسير الموضوعي للموضوع (التّجميعي) في البدء بتحديد الموضوع وتعريفه، ثمّ جمع الآيات التي تشكّل بناءه، ثمّ يبيّن الحاجة إليه وينبّه على خطورة الخلط بين الموضوعات، ثمّ يكشف عن الغرض من الموضوع وهو تكوين بصيرة محدّدة عنه، ثمّ يقسّمه إلى عناصر، ويحلّل تلك العناصر في إطار الفكرة المهيمنة على الموضوع، جاعلاً القرآن الكريم وحده

1 مجاهد أحمد إسماعيل نوفل، التفسير الموضوعي في تفسير المنار، (رسالة مقدّمة لنيل درجة الماجستير، الجامعة الأردنية، عمّان، الأردن، 2008م)، ص: 17.

2 المرجع السابق، ص: 128.

مرشداً له في رسم المعالم الأساسية للموضوع، محلاً فيها التّصوّر العامّ لموضوع بحثه.

وفيما يخصّ التفسير الموضوعي للسورة (الكشفي) فإنّه تجسّد في التّقديم للسورة بتمهيد، الانتقال إلى دروس السورة الأولى واكتشاف وحدة الموضوع والخط الرّابط بين الموضوعات، ثمّ تقسيم السورة إلى فقرات وهي الخطوة التحليلية فجعل عنوان كلّ فقرة آية من آياتها ليتّكّن من التّحكم فيها وفهمها واستنباط الأحكام والحكم منها، ثمّ ينتقل إلى ربط هذه الأفكار وبيان الهدف الموحد الذي ترمي إليه، ثمّ يختم الموضوع بخلاصة هي التّصوّر القرآنيّ حوله. ويشرح الآيات بأسلوب مبسط وسهل يبيّن هداية القرآن وحكمة تشريعه في معالجة أمراض المجتمع.¹

النموذج الثالث: فتح الرّحيم وتيسير اللّطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن: "فتح الرّحيم الملك العلّام في علم العقائد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن" هو كتاب مطوّل في تفسير القرآن، فصار طوله من دواعي عدم نشره، لفتور الهمم ومللها من الطّول، فظهر لمؤلّفه عبد الرّحمن بن ناصر السّعديّ (1307-1376هـ / 1889-1957م) أنّ الأولى والأأنفع إفراد علوم التّفسير كلّ نوع على حدّ ولو لم من ذلك ترك ترتيب التّفسير، وترك الكلام عن كثير من الآيات القرآنيّة إذا تمّ تفسير نظيرتها أو ما يقاربها، لأنّه إذا عرف العبد موضعاً عرف نظيره ومشابهه ومقاربه في كلّ المواضع، فمعرفة بعضه يدعو إلى معرفة باقيه. وأمّا كتاب تيسير اللّطيف فهو على اختصاره وإيجازه ووضوحه، فيه معونة عظيمة على فهم كلام ربّ العالمين، وهذا الكتاب ملخّص لتفسير مطوّل عنوانه: "تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنان"، واحتوى على خلاصة ذلك التّفسير، واقتصر على بعض الآيات المختارة والمنتقاة من جميع مواضيع علوم القرآن ومقاصده.

- الجانب الموضوعي في منهج المؤلّف: يعدّ هذان المختصران من التّفسير الموضوعي لقول المفسّر الصّريح بأنّهما في الموضوعات، ولطريقة ترتيبهما وما تضمّناه من المسائل والعناوين، وكذا الأسلوب الذي كتبهما به، وتحليل ذلك الأسلوب، وللأثر الذي تركاه في النّاس عامّة وفي طلاب العلم خاصّة فهما تذكرة للمستبصر وتبصرة للمتدكّر، وتبرز معالم التّفسير الموضوعي عند السّعديّ من خلال تتبّعه للموضوع من خلال آيات سور القرآن الكريم، وما يقوم ببيانها من النّص أو اللّغة، واستخراج الآيات التي تناولت الموضوع وجمعها، ثمّ محاولة الإحاطة بتفسيرها، واستنباط عناصر

1 نادية وزناحي، ملامح التفسير الموضوعي في تفسير الشيخ عبد الحميد بن باديس، (مؤتمر التفسير الموضوعي للقرآن الكريم واقع وآفاق، جامعة الشارقة، 1431هـ - 2010م)، موقع الموسوعة القرآنية/ <https://quranpedia.net/book> ص: 11 - 18.

الموضوع وجزئياته من خلال الآيات ولو لم تكن ظاهرة ابتداءً، وذلك من خلال بداية الموضوع بأشمل آية فيه، ثم الانطلاق في الحديث عن الموضوع ومسائله من خلالها، ويذكر أو يشير لأخواتها في ثنايا الحديث بصورة لا تخفى على العاقل الفطن، ويحاول غالباً التقيّد بألفاظ الآيات والتقيّد بما أطلقتته من وصف وأحوال، وينسق العناصر والمسائل ويرتبها حسب ترتيب الموضوع المنطقي، فيبدأ بأصل الحكم فيه ثم أكثر أحواله ثم ما يليه أهمية أو كثرة، في الوقوع والحاجة ثم الأقل أو الأكثر تفرعاً، ويقسم العناصر إلى أبواب -ويسمّيها أنواعاً أحياناً- وفصول وفوائد؛ ويستدلّ بالآيات على كلّ ما يذهب إليه نصّاً فيذكر الآية، أو معنى يشير إليها بما تضمّنته، ممّا لا يخفى على القارئ مراده من استدلاله، ويحاول ربط ما يصل إليه من استدلالات واستنباطات بواقع الناس ومشاكلهم محاولاً إيجاد الحلّ لها من خلال الآيات وإلقاء الضوء عليها، ويتحدّث عمّا يعرضه من مسائل واستنباطات بأسلوب جذاب يوضّح مرامي الآيات ومقاصدها والحكمة الإلهية في عرض الآيات بأساليب معيّنة، وما أفادته تلك الاختصاصات في كلّ موضع، ويتجنّب أن يذكر أموراً خارجة عن موضوعه (كالقراءات أو الروايات عن السلف أو أسباب النزول أو وجوه التفسير عند المفسرين أو وجوه الإعراب أو النكت البلاغية) غالباً، ولكنّه يبيّن عليها المسائل والأحكام والإشارات، ويتجنّب الاستطراد إلّا بقدر ما يفيد في ذكر استنباط أو استدلال لمعنى تدلّ أو تشير الآية إليه، ويربط المعاني المستنبطة بما يتعلّق بها من سبب نزول أو تخصيص أو تقييد أو أحكام في السنّة أو الإجماع أو قواعد العلم والفقه بعبارة أدبيّة سهلة، ويتجنّب التفاصيل والاستطرادات للمسائل ويحاول التقيّد بما يرححه من خلال دلالة الآية أو ما يلحق بدلالة الآية بوجه ظاهر أو لازم، ولا يخصّ متعلّقات الآية بشيء ظاهر كالنسخ والفضائل وأسباب النزول ودلالات الألفاظ والاشتراك والأضداد، ولكنّه يعتبرها في نتيجة الحكم وقد يُرجّح بها من غير إشارة، ويحاول استيعاب دلالات الآية والآيات في الموضوع الأساسي وأهدافها الرئيسية، ويدرس الأساليب التي عرضت بها الآية الموضوع ويقارنها بالآيات الأخرى، ومن ثمّ يعطي نتيجة رائعة لتلك المقارنة ببراعة واختصار متميّز، ويدرس المناسبات بين المقاطع في السّورة وبين الموضوعات في القرآن بشكل عام، ويبيّن عليها تفسيره واختياره للمعنى من غير تصريح أحياناً، ويبرز شخصية الموضوع وأهدافه الأساسية في التشريع الإلهي ببراعة، ويستشفّ الهدايات القرآنيّة للآيات ويعرض أفكار الموضوع بطريقة التفسير الإجمالي، واهتمّ بإبراز الحكمة من التشريع ووفائه لحاجة الناس بأسلوب فريد، ويعرض الحقائق بأسلوب مشرق عذب صحيح يفهمه أهل عصره بعيداً عن التكلّف، وتجنّب الروايات الضعيفة والإسرائيليات والقصص التاريخي عند عرض الموضوع، بل ركّز جهده

لاستنطاق النصوص على قواعد اللغة والأساليب البيانية ودقة الاستنباط منها، مع تجنب الحشو والاستطراد والاستدلال، ويقسم السورة أو الآية إذا كانت طويلة أو ذات موضوع طويل إلى فقرات أو مسائل، فيحدّد هدفاً أو مجالاً من مجالات الموضوع ثمّ يستنبط الهدايات والأحكام ويذكر المناسبة بينها، وفي هذه التقسيمات ما يدلّ على فقهه، وسعة أفقه وبراعته، ويختار القول المناسب لموضوعه من بين الأقوال بغية توضيح عناصره، والربط بين الأساليب القرآنية في أداء المعنى، ويصل بدقة إلى الهدايات القرآنية المتعلقة بالموضوع أو المسألة محلّ البحث.¹

النموذج الرابع: في ظلال القرآن: هذا التفسير من كتب التفسير المعاصرة التي تُوضّح معاني القرآن الكريم بأسلوب سهل وواضح يناسب العصر الحديث، وهم من تأليف سيّد قطب (1906 - 1966م)، وقد اعتمد في تفسير كتابه على التفسير بالمأثور، ويتميّز بأنّه جمع بين الجانب الاجتماعي والتحليلي والأدبي والبلاغي.

- **الجانب الموضوعي في منهج المؤلف:** تجسّد من خلال التعريف بالسورة وتلخيص موضوعها الأساسي وما يتفرّع عنها؛ وأحياناً كان يسهب في ذلك، واهتمّ ببيان الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم وأحسن في تقسيم السورة القرآنية إلى دروس، والدروس إلى مقاطع متضمّنة عدّة آيات، فيتناولها آية آية، وحينما ينتهي من المقطع يربطه بالدّرس، ثمّ يربط الدّرس بالسورة، ثمّ السورة بأختها المماثلة في موضوعها، أو يربط السورة بما قبلها، وما بعدها أحياناً. مبتعداً عن التّعريض للمباحث اللغوية، أو الكلامية، أو الفقهية، أو الجدلية، وإنّما أراد أن يقيه في جوّ النصّ القرآني ينهل منه العقيدة الصّافية. وأطال في بعض القضايا والموضوعات العقائدية والاجتماعية والاقتصادية، فأصبحت صالحة لئن تدرج وتصنّف ضمن التفسير الموضوعي. وأحسن في تناوله بعض المسائل العلمية، فإذا كانت الآية مثلاً أو الآيات لها صلة بناحية طبيّة أو فلكيّة أسهب فيها، واستخلص منها العبر والعظات، وأظهر عظمة الخالق، وبيّن الإعجاز القرآني بما شمله من هذه العلوم.²

النموذج الخامس: تفسير القرآن الكريم لمحمود شلتوت (توفي: 1383هـ): يظهر من مقدّمة هذا التفسير أنّ سبب تأليفه هو تقديم تفسير القرآن الكريم بطريقة يستقبلها المسلمون، وذلك في ظلّ

1 محمد بن عبد العزيز بن محمّد العواجي، منهج الشيخ السّعدي في التفسير الموضوعي من خلال كتابه: فتح الرّحيم، وتيسير اللّطيف، (كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، 1430هـ - 1431م)، ص: 24 - 25.

2 أسماء بنت عمر حسن فدعق، منهج سيّد قطب في ظلال القرآن، (رسالة مقدّمة لنيل درجة الدّكتوراه، جامعة أمّ القرى، مكّة المكرّمة، المملكة العربيّة السّعودية، 1416هـ)، ج 02، ص: 546 - 561.

رؤيته بالأساس أنّ القرآن كتاب هداية وإصلاح وتشريع، لم ولن يُصادم حقيقة العلوم المختلفة.¹

- الجانب الموضوعي في منهج المؤلف: تفسير القرآن الكريم لمحمود شلتوت من التفسير غير المشتغلة بالمعنى، فهو تفسير يهتم بالعرض الموضوعي للسنن، وحديثه عن الآي حديثاً موضوعياً عاماً، يهتم ببيان الفكرة والغرض العام للآيات ككل، ويُسلط الضوء على ما تُشير إليه الآيات من هدايات وإرشادات، وغير ذلك مما هو فوق المعنى وبيانه.²

النموذج السادس: معارج التفكير ودقائق التدبر: تفسير تدبري للقرآن الكريم بحسب ترتيب النزول وفق منهج كتاب قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله، لعبد الرحمن حسن حنكة الميداني (1345 - 1398هـ / 1927 - 1978م).

- الجانب الموضوعي في منهج المؤلف: وظهر اعتناؤه بجانب التفسير الموضوعي على أكثر من اتجاه، الأول هو عند حديثه عن السورة ككل ورسم صورة لها تكون محور السورة، ففي كل سورة يعطي لمحة موجزة عن السورة، فيحدد موضوعها أو موضوعاتها التي تحويها والارتباط بينها، وبيان الأساليب التي اتبعتها السورة في عرض موضوعها أو موضوعاتها، ومن ثم تقسيم السورة إلى دروس تعطي صورة مجملّة عما تتضمنه من أفكار.

أما الثاني فهو المتمثل في تحديد موضوعات معينة وجمع الآيات القرآنية التي تشترك في بيانها والحديث عنها، ومن ثمّ دراستها وفق المنهجية الموضوعية، فقد بدا ذلك واضحاً في منهج الشيخ ... وأكثر هذا يظهر في ملحقات السور.

وأما الثالث والأخير فهو الذي يُعنى بتتبع لفظة معينة واستخدام القرآن لها، وهذا يدلّ على اهتمام الشيخ بهذا الأمر، مثل تتبعه لكلمة الصراط عند تفسيره لسورة الفاتحة، وكتبه للفظ "الرياح" في سورة المرسلات؛ حيث تتبعه في القرآن كلّ مبيّن ما يُميّز كلّ نصّ، وأمثلة ذلك كثيرة.³

النموذج السابع: كتاب التفسير الحديث: وهو من الكتب المفيدة والسلسلة من مجموعة كتب التفسير المعاصرة، الكتاب عبارة عن فصول ومجموعات مُجرّاة إلى جمل تامّة يصحّ الوقوف عندها من

1 محمود شلتوت، تفسير القرآن الكريم، (ط12، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1424هـ - 2004م)، ص: 14.

2 تفسير القرآن الكريم لمحمد شلتوت: طبعاته، مصادره، ملامحه، تصنيفه، الدراسات حوله، مرصد تفسير للدراسات القرآنية، 29 ربيع الأول 1446هـ الموافق 02 أكتوبر 2024م، <https://tafsiroqs.com>، ص: 25 - 26.

3 جهاد محمد فيص النصيرات، منهج عبد الرحمن حسن حنكة الميداني في تفسيره "معارج التدبر ودقائق التفكير"، جانفي 2014، <https://www.researchgate.net/publication/>، ص: 25.

حيث السياق والمعنى والنّظم، ويتميّز بأسلوبه البسيط في شرح الآيات وبيان الألفاظ الغريبة بطريقة سهلة وبإيجاز، وهو من تأليف محمد عزة دروزة (1887 - 1984م)، ويعدّ من المراجع الحديثة في علم التفسير المعاصر، وهو يناسب القارئ والطّالب والباحث وكلّ مهتمّ بعلم تفسير القرآن، فهو خالٍ من الحشو والإطناب والألفاظ الغريبة وغير المتداولة بين النّاس في العصر الحديث، كما يعرض الكتاب معاني الآيات بأسلوب سهل الاستساغة قريب المأخذ.

- **الجانب الموضوعي في منهج المؤلّف:** قام المؤلّف بتلخيص أهمّ موضوعات السّورة في بداية التفسير ثمّ ناقش ترتيبها بين السّور والآيات المكيّة والمدنيّة فيها، وغالباً ما يقدّم الدّراية على الرواية، ويرتكز في فهمه للدّراية على سياق الآيات وتناسبها وترابط موضوعاتها، وأحياناً يناقش ظروف نزولها إن كانت تحوي أحداثاً تاريخية معيّنة مستعيناً بكتب السّيرة والتّاريخ، وقسم السّورة إلى مجموعات يرى أنّ كلّ مجموعة منها متكاملة يصحّ الوقف عليها، ثمّ يذكر معاني المفردات والتراكيب بإيجاز، كما يذكر المعنى الإجماليّ للآيات ويلخصّها في نقاط غالباً؛ ويُنْبِغ ذلك بذكر مختلف الأقوال والروايات الواردة في التفسير، ويناقش أسباب نزول الآيات، ويدلي برأيه فيها حسب السياق وتناسق الآيات في اعتباره، ويدلي بتعليقاته الشّخصية الخاصّة التي تُبيّن شخصيّته في التفسير، فتارة يُعلّق على معنى كلمة، وتارة على مفهوم مُعيّن، وتارة على موضوع الآيات أو موقف، وقد كان المؤلّف ملتزماً بالخطة التي وضعها لتفسيره، والتي أثبتّها في مقدّمة التفسير، ويلحظ ذلك باستمرار من خلال التّقصّي لمختلف السّور معتبراً القصص القرآنيّ والمشاهد الكونيّة وخلق النّاس والكون والدّواب والملائكة والجن والمشاهد الأخرويّة والأمثال والجدال؛ كلّ ذلك من الوسائل التّدعيميّة للمحكمات وهي من المتشابهات التي لا يعلم مداها إلّا الله، ومن هذه المتشابهات يجب أن تُؤخذ العبرة والتّدعيم للمحكمات ليس أكثر من ذلك، واهتمّ لشرح محكمات القرآن ومواعظه وتشريعاته وأخلاقياته، وهو يعتقد أنّه لا يمكن فهم القرآن أحسن فهم إلّا في هذا النّطاق. وإخراج القرآن عن هذا النّطاق يُخرجه عن قدسيّته وأهدافه، ويجعله عُرضة للأخذ والردّ والإشكال ووهم التناقض، وقد يحيله كتاب تاريخ وجغرافيا وفلك وفيزياء أكثر من كونه كتاب هداية وإرشاد وإصلاح وتشريع وحكمة وهدى وموعظة. ويقول إنّ بعض المفسّرين القدماء شَوَّشُوا على أهداف وقدسيّة القرآن.¹

1 عبد الحكيم محمّد الأنيس، التفسير الحديث للأستاذ محمد عزة دروزة: دراسة وتحليل، (رسالة مقدّمة لنيل درجة الماجستير 1413هـ - 1993م، المستودع الرّقمي العراقي للأطاريح والرّسائل الجامعية، جامعة بغداد، العراق، 2017م)، ص: 278 - 281.

النموذج الثامن: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (1431هـ - 2010م): إعداد مجموعة من المتخصصين في التفسير وعلوم القرآن بإشراف الدكتور مصطفى مسلم، وقد أشرف على هذا المشروع كلّية الدراسات الإسلامية بجامعة الشارقة، وشارك في كتابة هذا التفسير باحثون متخصصون من أنحاء العالم الإسلامي سردت أسمائهم كاملة في أول الجزء الأول من الكتاب بلغ عددهم واحداً وثلاثين متخصصاً.¹

- **الجانب الموضوعي في منهج هذا التفسير:** لما كانت مناهج الباحثين مختلفة في تفسير السورة تفسيراً موضوعياً، فقد رأت المجموعة أن تدعو إلى ندوة من أهل الاختصاص للتشاور حول الخطوات المنهجية والخطوات التنفيذية لإبراز هذا المشروع. وبعد دراسة مستفيضة من المجتمعين حول الخطوات المنهجية، تمّ الاتفاق على مبادئ للسير في مشروع التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم.²

النموذج التاسع: التفسير الشامل: هو من أهم كتب التفسير المعاصرة؛ حيث اهتم المؤلف بإظهار معنى الغريب في ألفاظ القرآن الكريم، وشرح معناها وتوضيح المراد منها وإعرابها، قام بتأليف هذا الكتاب أمير عبد العزيز (توفي: 1441هـ)، واستعان على تأليفه بأهمّ الكُتُب من المراجع والمصادر القديمة مثل: تفسير الرازي، والقرطبي، والألوسي، وغيرهم من علماء التفسير.

- **الجانب الموضوعي في منهج المؤلف:** وقد بين جوانب ذات أهمية وفوائد عظيمة وهي:

- الجانب الأول: حقيقة الإعجاز البياني في القرآن الكريم وإثبات إعجازه وأنه حجة الله على عباده.

- الجانب الثاني: وقد اعتنى المؤلف أيضاً بذكر أسباب نزول الآيات.

- الجانب الثالث: وقد تناول الكتاب الجانب الفقهي للآيات القرآنية مع ذكر آراء الفقهاء وبيان الرأي الراجح فيها.

- الجانب الرابع: وهو أهم ما يميّز الكتاب، وهو بيان الجانب الفكري العام، وذلك لبيان ما يتعرض له الإسلام من حملات وأفكار خبيثة من تجريح وتشويه وإفتراء.

- الجانب الخامس: المبالغة في الحديث عن موضوعات أهوال يوم القيامة والحدث الكوني المزلزل عند قيام الساعة.

النموذج العاشر: تفسير آيات الأحكام: يعدّ من التفسير الواضحة والسهلة والمفيدة التي تختصّ

1 نسخة من علماء التفسير وعلوم القرآن، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، (ط1)، جامعة الشارقة، الشارقة، المملكة العربية المتحدة، 1431هـ - 2010م)، ج1، ص: أول الجزء الأول.

2 المرجع السابق، ص: ب - د.

بذكر الجانب الفقهي العملي، وموضوعات الأحكام الشرعية في الآيات القرآنية، فيأتي المؤلف بالآية القرآنية ويفسرها تفسيراً دقيقاً تفصيلياً، ثم يستخرج منها الأحكام الفقهية مع ذكر آراء الفقهاء في ذلك، وهو من تأليف محمد علي السّائس (توفي: 1396هـ)، ويُعتبر من أسهل كتب التفسير المعاصرة. و"تفسير آيات الأحكام" لمناع خليل القطّان، وهو كتاب مُصنّف ضمن قسم تفاسير القرآن الكريم الحديثة، اهتم فيه صاحبه بالموضوعات الفقهية، ويعدّ من أسهل الكتب في هذا المجال، وقد فسّر ووضح الآيات التي تشمل الأحكام وبينها وفصلها مع ذكر آراء العلماء والفقهاء في الأحكام الشرعية بأسلوب سلس خالٍ من الألفاظ الغريبة والحشو.

وهناك نماذج أخرى منها: "الميسر في غريب القرآن الكريم" لثخبة من العلماء بمجمع الملك فهد، و"تفسير الشعراوي" لمحمد متولي الشعراوي، و"موسوعة التفسير البلاغي" لمجمع القرآن الكريم بالشارقة، و"نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم" لمحمد الغزالي، و"النبا العظيم" لمحمد عبد الله دراز، و"الأساس في التفسير" لسعيد حوى، و"تفسير المراغي" لأحمد مصطفى المراغي، وغيرها.

المطلب الثالث: أنواع التفسير الموضوعي وأهدافه

مما يلفت الانتباه إلى التفسير الموضوعي أنّه تفسير « إذا احتاج -الموضوع- إلى شرح مفردات وتراكيب بعض الآيات دخل التفسير -التحليلي-. وإن احتاج إلى تقرير المعنى العام لبعض الآيات دخل التفسير -الإجمالي-. وإن جاء برواية صحيحة دخل التفسير بالمأثور، وإن نظر المفسر في الموضوع وتدبر جوانبه، واستنبط منه استنباطاً علمياً بشروطه المقررة دخل الرأي المحمود. وبذلك تجتمع ألوان التفسير جميعاً، وتتعاون ولا تتعارض، وتأتلف لخدمة القرآن العظيم، ولا تختلف¹، وهو مع هذا التكتل والائتلاف مع بقية أنواع التفسير؛ ينقسم إلى عدّة أنواع وأهداف.

أولاً- أنواع التفسير الموضوعي: وقد يُطلق عليها اسم ألوان التفسير الموضوعي، ومجالات البحث في التفسير الموضوعي، واتجاهات التفسير الموضوعي، وطرق التفسير الموضوعي، ومنهج البحث في التفسير الموضوعي، وغيرها من المسميات، وذلك أنّ باب الأسماء واسع لا مشاحة فيه، ولكنّ المشاحة فيما وُجد من خلاف بين الباحثين في تحديد أنواع التفسير الموضوعي، وهو خلاف من جانبين، من جانب العدد ومن جانب تحديد ماهية الأنواع نفسها، وغاية هؤلاء هي تمييز التفسير الموضوعي ليسهل دراسته واستخدامه في الحياة البشرية، ولنفس الغاية قام الباحث بجمع وترتيب جميع هاته الرؤى والتقسيمات فخرج بتحديد أنواع التفسير الموضوعي المعتبرة التالية:

1 عبد الستار فتح الله سعيد، المدخل إلى التفسير الموضوعي، مصدر سبق ذكره، ص: 18.

01- التفسير الموضوعي للموضوع القرآني (التجميعي): في هذا النوع يختار الباحث موضوعاً معيناً « فيتتبع الموضوع من خلال سور القرآن الكريم، وبعد جمعها والإحاطة بها بتفسيرها يحاول الباحث استنباط عناصر الموضوع من خلال الآيات الكريمة، فينسّق بين عناصره، ويُقدّم له بمقدّمة حول أسلوب القرآن الكريم في عرض أفكار الموضوع. ويُحاول أن يُقسّمه إلى أبواب وفصول ومباحث، ويستدلّ بالآيات القرآنية على كلّ ما يذهب إليه ويتحدّث عنه مع ربط ذلك كلّ بواقع الناس ومشاكلهم ومحاولة حلّها وإلقاء أضواء قرآنية عليها».¹

والدراسات والبحوث في هذا النوع كثيرة، وعدد الذين انتهجوا هذا السبيل كبير، لذا فإنّه يندر وجود موضوع قرآنيّ أغفلت دراسته، وذلك من خلال تتبّع الآيات الواردة في الموضوع الواحد جمعاً وحصرّاً، ثمّ القيام بعملية المعالجة الموضوعية في إطار الوحدة البنائية والدلالية للقرآن الكريم أو من خلال سورة قرآنية واحدة.

« [ولكن] إذا عدنا إلى داعية التفسير الموضوعي الأول أمين الخولي² لننظر ما قاله في هذا الشأن، فلن نجد ضابطاً لتحديد الموضوع القرآني واختياره قبل الرجوع إلى القرآن واستقرائه فيه! وكذلك الأمر لدى معظم أتباع المدرسة الأدبية³، فلن نجد لديهم تحديداً واضحاً للمواضيع القرآنية ذات الأولوية أو الأهمية، ولا يختلف الأمر كثيراً لدى الأزهريين، فالمنهج لديهم يبدأ أساساً بجمع الآيات المتعلقة "بموضوع ما" في القرآن الكريم».⁴

في حين يرى غيرهم أنّ « المفسّر الموضوعي لا يبدأ عمله من النصّ، بل من واقع الحياة، حيث يُركّز نظره على موضوع من موضوعات الحياة العقائدية أو الاجتماعية أو الكونية، ويستوعب ما أثارتها

1 مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، مصدر سبق ذكره، ص: 27.

2 أمين الخولي: (1313-1358هـ - 1895-1966م)، من أعضاء الجمع اللغوي بمصر، تعلّم بالأزهر وتخرّج بمدرسة القضاء الشرعيّ، وعيّن أستاذاً في الجامعة المصرية القديمة، ثمّ وكيلاً لكلية الآداب إلى سنّ 1953م فمديراً للثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم إلى سنة 1955م، له مؤلفات البلاغة العربية، من هدي الرسول، مشكلات حياتنا اللغوية، وغيرها، توفي بالقاهرة. ينظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، (ط 07، دار العلم للعالمين، بيروت، لبنان، 1976م)، ج 02، ص: 16.

3 المدرسة الأدبية: المقصود هنا هو مدرسة الأمناء التي أنشأها الخولي سنة 1943م، والتي ساهمت في تأسيس مدرسة التفسير الأدبيّ للنصّ القرآنيّ، والدعوة إلى اعتماد المنهج الأدبيّ في التفسير من خلال النظر إلى القرآن من حيث هو كتاب اللغة العربية الأكبر، وأثرها الأدبيّ الأعظم، ومن روادها: شكري محمد عياد، أحمد أحمد بدوي، محمد أحمد خلف الله، وغيرهم. مسألة التفسير الأدبيّ للقرآن في العصر الحديث، عبّاس أرحيلة، أكتوبر 2015م، <https://www.quranicthought.com/>.

4 سامر عبد الرحمن رشواني، منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، (ط 01، دار الملتقى، حلب، سورية، 1430هـ - 2009م)، ص: 142.

تجارب الفكر البشري عن ذلك الموضوع من مشاكل وما قدّمه الفكر الإنساني من حلول، وما طرحه التطبيق التاريخي من أسئلة ومن نقاط فراغ، ثم يأخذ النص القرآني، لا ليتخذ من نفسه بالنسبة إلى النص دور المستمع والمسجل فحسب، وإنما لي طرح بين يدي النص موضوعاً جاهزاً مُشرباً بعدد كبير من الأفكار والمواقف البشريّة، ويبدأ من النص القرآني حوار سؤال وجواب، فيبدأ مع النص القرآني حواراً حول الموضوع، وهو يستهدف من ذلك أن يكتشف موقف القرآن من الموضوع المطروح، والنظريّة التي بإمكانه أن يستلهمها من النص، ومن خلال مقارنة هذا النص بما استوعبه الباحث عن الموضوع من أفكار واتجاهات¹.

وما بين منهج جمع آيات الموضوع الواحد الوارد في القرآن ودراستها دراسة موضوعية، ومنهج التركيز على موضوع ما من واقع الحياة وكشف موقف القرآن الكريم منه، يرى الباحث أنّ عملية التفسير الموضوعي للموضوع القرآني عبارة عن حصر للفكر والجهد في حوارات واضحة مع القرآن الكريم؛ غايتها تيسير فهم نصوص الوحي، ومعرفة طبيعة الحياة ومعضلاتها، للوصول لحلّ جميع المشكلات وهي مجزأة إلى موضوعات مُستقلّة.

وقد اختلف الباحثون والمفسرون في منهج التفسير الموضوعي، ولكن لا يُعدم وجود حدّ مشترك بينهم يسمح للباحث -من خلال تتبع كتب التفسير الموضوعي النظريّة والتطبيقية- بالخروج بنقاط مُشتركة يمكن اعتبارها خطوات منهجية إذا سار معها المفسر اصطبع تفسيره بلون التفسير الموضوعي التّجميعي، وهذه الخطوات تُعتبر مبادئ التفسير الموضوعي التّجميعي² وهي: »

- اختيار الموضوع القرآني وإعطاؤه عنواناً مناسباً.
- رصد الآيات التي تخدم الموضوع المختار وجمعها.
- ترتيب الآيات بعد جمعها حسب نزولها.
- ذكر أسباب النزول الثابتة -إن هي وُجدت-.
- مراعاة المكّي والمدنيّ وموضوع كلّ منهما.
- الاستعانة بالأحاديث النبويّة الصحيحة.

1 محمد باقر الصّدر، التفسير الموضوعي والفلسفة الاجتماعية في المدرسة القرآنية، (ط01، الدار العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1409هـ - 1989)، ص: 26.

2 من أجل وضع هذا العنوان؛ استفاد الباحث من كتاب "التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم". ينظر: نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مرجع سبق ذكره، ص: ب.

عرض هدايات القرآن المستفادة من الآيات القرآنية¹.

02- التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني: وفي هذا النوع على المفسر «أن يتتبع لفظة من

ألفاظ القرآن الكريم، ثمّ يجمع الآيات التي وردت فيها هذه اللفظة ومشتقاتها، وبعد جمع الآيات والإحاطة بتفسيرها يُحاول استنباط دلالات الكلمة من خلال استعمال القرآن الكريم لها، مثل دراسة لفظ أو مفردة: الإحصان، أو المكر، أو الأمة، أو الحق، أو الفتنة، ونحو ذلك².

وبالبحث إذا دقق النظر في هذا النوع يتبين له أنّه قريب من علمي الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، وغريب القرآن، فالأول اعتنى به العلماء فألّفوا فيه مؤلفات منها كتاب "الأشباه والنظائر" لمقاتل بن سليمان البلخي (توفي: 150هـ)، و"نزهة الأعين التواظر في علم الوجوه والنظائر" لابن الجوزي (توفي: 597هـ)، وغيرهما، وفي تعريف الوجوه قيل: «الوجوه اللفظ المشترك الذي يُستعمل في عدّة معان، كلفظ ((الأمة)). والنظائر كالألفاظ المتواطئة. وقيل: النظائر في اللفظ، والوجوه في المعاني، وضّعف³، وقيل تعريف هذا العلم هو «أن تكون الكلمة ذُكرت في مواضع من القرآن الكريم على لفظ واحد، وحركة واحدة، وأريد بكلّ مكان معنى غير الآخر، فلفظ كلّ كلمة ذُكرت في موضع نظير للفظ الكلمة المذكورة في الموضع الآخر، وتفسير كلّ كلمة بمعنى غير معنى الأخرى هو الوجوه»⁴، وعليه تكون الوجوه للمعاني، والنظائر للألفاظ، وما قام به العلماء هو محاولة بيان أنّ النظائر مختلفة المعاني، وأنّ التشابه في اللفظ لا يقتضي بالضرورة الدلالة على نفس المعنى، ومثال ذلك مصطلحات الاتّباع، الأذان، الهلاك، القوة، وغيرها، وقد ذكر ابن الجوزي ثلاث مائة وأربع وعشرون مُصطلحاً قرآنياً في كتابه "نزهة الأعين التواظر في علم الوجوه والنظائر".

والثاني -غريب القرآن- ألّفت فيه أيضاً الكثير من المؤلفات، وهو علم له مراد خاصّ يتناسب

1 ينظر: أحمد السيّد الكومي، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، مرجع سبق ذكره، ص: 23 - 24. صلاح عبد الفتّاح الخالدي، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، مرجع سبق ذكره، ص: 71. ومصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، مرجع سبق ذكره، ص: 37. وعبد الحّيّ الفرماوي، البداية في التفسير الموضوعي، مرجع سبق ذكره، ص: 61 - 62. وزياذ خليل الدّغامين، منهجية البحث التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، مرجع سبق ذكره، ص: 44.

2 إبراهيم الحيمي، المدخل إلى التفسير الموضوعي، (ط04، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1443هـ)، ص: 32.

3 الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، (ط03، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، 1404هـ - 1984)، ج01، ص: 102.

4 ابن الجوزي، نزهة الأعين التواظر في علم الوجوه والنظائر، دراسة وتحقيق: محمّد عبد الكريم كاظم الراضي، (ط03، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1407 - 1987م)، ص: 83.

مع القرآن الكريم ويليق به، جوّز الصحابة رضي الله عنهم إطلاقه على القرآن الكريم، فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: « إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإنّ الشعر ديوان العرب »¹، و « في القرآن ألفاظ اصطلاح على تسميتها بالغرائب؛ وليس المراد بغرابتها أنّها مُنكرة أو نافرة أو شاذّة، فإنّ القرآن مُنزه عن هذا جميعه، وإنّما اللَّفظة الغريبة ههنا هي التي تكون حسنة، مُستغربة في التأويل بحيث لا يتساوى في العلم بها أهلها وسائر النَّاس »²، ومنشأ الغرابة فيما عدّوه غريباً هو أنّ « لغات القرآن العزيز على قسمين: قسم يكاد يشترك في فهم معناه عامّة المستعربة وخاصّتهم كمدلول السّماء والأرض وفوق وتحت، وقسم يختصّ بمعرفته من له اطلاع وتبحّر في اللّغة العربيّة وهو الذي صنّف أكثر النَّاس فيه وسَمّوه غريب القرآن »³، وقد تعدّت المؤلّفات في هذا العلم مائتا كتاب، ما بين مطبوع ومخطوط، ومما طُبِع "مجاز القرآن" لمعمر بن المثنى التّيميّ المعروف بالولاء البصريّ (توفي: 209هـ)، و"غريب القرآن" لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدّينوريّ (توفي: 276هـ)، و"أفراد كلمات القرآن العزيز" لأحمد بن فارس الرّازيّ (توفي: 395هـ)، و"كتاب الغريبين؛ غريب القرآن والحديث" للهرويّ (توفي: 401هـ)، و"العمدة في غريب القرآن" لمكّي بن أبي طالب (توفي: 437هـ)، و"المفردات في غريب القرآن" للرّاغب الأصفهانيّ (توفي: 502هـ)، و"تذكرة الأريب في تفسير الغريب" لابن الجوزيّ (توفي: 597هـ)، وغيرها.

وقد تنوّعت طرائق العلماء في ترتيب كتب غريب القرآن، فمنهم من اعتمد التّرتيب على سور المصحف، ككتاب "غريب القرآن" لعطاء بن أبي رباح (توفي: 114هـ)، و"العمدة في غريب القرآن" لمكّي بن أبي طالب (توفي: 437هـ)، وغيرهما، ومنهم من اعتمد التّرتيب على حروف المعجم كما صنع الرّاغب الأصفهانيّ في "المفردات"، والسّمين الحلبيّ (توفي: 756هـ) في "عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ"، وغيرهما، ومنهم من اعتمد التّرتيب بالموضوعات من خلال ترتيب الكتاب حسب موضوع معيّن، وهذا التّرتيب قليل الاستخدام في التّأليف في غريب القرآن، ومن الكتب التي أُلّفت على هذا المنوال نجد كتاب "الأسماء والصفّات في القرآن" لابن قتيبة (توفي: 276هـ)، و"المصطلحات العسكريّة في القرآن" لمحمود شيت خطاب (توفي: 1419هـ)، و"معجم أعلام القرآن

1 رواه البيهقي في السنن الكبرى، (241/10)، برقم: (20913)، والطبري في تهذيب الآثار، (637/2)، برقم: (942).

2 مصطفى صادق الرّافعيّ، إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة، راجعه واعتنى به: درويش الجويديّ، (د.ط، المكتبة العصريّة للطباعة والنّشر، بيروت، لبنان، 1424هـ - 2003م)، ص: 61.

3 أبو حيّان الأندلسيّ، تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، تصحيح وضبط: ماهر النّعسانيّ، (د.ط، مطبعة الإخلاص، حماه، سوريا، 1345هـ - 1946م)، ص: 03.

الكریم" لمحمد التّونجيّ (توفي: 1442هـ)، وغيرهم.

ونظراً لأهمية العناية بهذا الأمر لاستعادة المفاهيم القرآنية وإزاحة الغبار عن اصطلاحاتها، اهتم الباحثون بتطوير منهج تتبّع لفظة قرآنية معينة واستخدامات القرآن لها، ثمّ بادر صلاح عبد الفتّاح الخالديّ بتحديد خطوات هذا اللون الموضوعي، فيما يُمكن اعتباره مبادئ التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني، فكان ما ذكره من الخطوات: »

- تحديد الجذر الثلاثي للمصطلح؛ بإعادة الكلمة إلى أصلها الثلاثي.¹
- أخذ معنى الجذر الثلاثي من أمّهات كتب اللغة، ومعاجمها الأساسية.
- متابعة ورود الجذر الثلاثي واشتقاقاته وتصريفاته في القرآن الكريم.
- ربط المعنى اللغوي للمصطلح القرآني مع الاستعمال القرآني.
- ربط المصطلح القرآني مع السياق الذي ورد فيه، وبيان تناسب هذا المصطلح مع الآية التي ورد فيها.

- ترتيب الآيات التي أوردت المصطلح موضوع البحث على حسب النزول.
- استخلاص الدلالات والدروس والعبر من الآيات التي أوردت المصطلح.²

03- التفسير الموضوعي للسورة القرآنية (الكشفي): إنّ تتبّع آراء الباحثين المعاصرين حول هذا النوع يكشف لنا اتجاهين حول إثبات السورة القرآنية كنوع من أنواع التفسير الموضوعي، الأوّل لم يعتبر السورة القرآنية نوعاً مُستقلاً؛ بل هو من الدراسات القرآنية العامة³، وهذا القول ضعيفٌ شاذٌّ، والثاني ما اتفق عليه الباحثون المعاصرون من أنّ التفسير الموضوعي للسورة أصيل وليس من الدّخيل، له جذوره القديمة، كجهود كلّ من الباقلانيّ (توفي: 403هـ) في بداية القرن الخامس الهجري، والرازي

1 يكاد إجماع اللّغويين والصّرفيّين والنّحاة ينعقد على أنّ أكثر الكلم في اللّغة العربيّة ثلاثة أحرف، وتكون للأسماء والأفعال. ينظر: العين للخليل بن أحمد الفراهيديّ (48/01-49). والكتاب للجاحظ (230/04). والأصول في النّحو للسرّاج (179/03). وشرح التّصريف المملوكيّ لابن جيّ (ص: 20). والممتع في التّصريف لابن عصفور (60/01). والتّصريح بمضمون التّوضيح للأزهريّ (358/02). والخصائص لابن جيّ (53/01).

2 ينظر: صلاح عبد الفتّاح الخالديّ، التفسير الموضوعي بين النّظرية والتّطبيق، مرجع سبق ذكره، ص: 62 - 66.

3 تفرّد بهذا القول عبد الستار فتح الله سعيد، ودافع عنه وجعله رأياً له في هذه المسألة فقال: « وأرى -والله أعلم- أنّ هذا الضّرب من الدّراسات لا يدخل في التفسير الموضوعي؛ لأنّ موضوعه وهو «هدف السّورة» المتعدّدة الآيات، أمر التماسيّ اجتهديّ، تختلف فيه الأنظار، فكيف تصنّف الآيات في السّورة على هدف مختلف على تحديده ؟ وكيف يقوم التفسير على الاحتمال ؟ مع أنّ الأصل في التفسير الموضوعي أن يقوم على أساس النّصوص ذاتها، أو معانيها المتحقّقة ». عبد الستار فتح الله سعيد، المدخل إلى التفسير الموضوعي، مصدر سبق ذكره، ص: 25.

(توفي: 606هـ) في بداية القرن السابع الهجري، وهناك من نسب له للشاطبي (توفي: 790هـ) خلال القرن الثامن الهجري. على أن « أول من استعمل مصطلح الوحدة الموضوعية للسورة هو الأستاذ محمد عبده ».¹

إن تعدد القضايا المطروحة في السورة القرآنية لا يلغي كونها سورة مستقلة ذات وحدة موضوعية متكاملة، فمن خلال البحث عن الهدف الأساسي والمحور الرئيسي لأي سورة قرآنية، ثم مع الربط بين آياتها وقضاياها؛ سيتبين تناسب مضامين السورة وتناسقها، ويُعد علم المناسبات الأسلوب الأبرز لربط أجزاء السورة القرآنية وبيان وحدتها الموضوعية مهما تعددت قضاياها وكثرت، فتناسب مختلف الموضوعات الفرعية فيما بينها يجعل لها أصلاً واحداً ترمي إليه، إذا ما وظّف المفسر التفسير الموضوعي بعيداً عن التفسير التحليلي البحث.

وهناك أيضاً خطوات منهجية لتفسير السورة القرآنية لا بدّ من اتّباعها حتى يصطبغ التفسير باللون الموضوعي الكشفّي، فتفسير السورة موضوعياً يحتاج من المفسر مراعاة خطوات للتوصل إلى تحديد محور السورة وموضوعها الأساسي، وتحديد موضوعاتها الجزئية، ومعرفة المناسبة بين الآيات وبين السورة وغيرها من السور، والمناسبة بين الموضوعات، وغيرها من أنواع المناسبات، وكذلك اجتهد الباحثون والمفسرون في وضع مبادئ التفسير الموضوعي الكشفّي، وقد رتبها الباحث فيما يلي: «
- التقديم للسورة القرآنية، وفيه ذكر: اسم السورة أو أسماؤها، ترتيبها، فضائل السورة، مكيّة السورة أو مدنيّتها، عدد آيات السورة وكلماتها.

- تحديد موضوع السورة الرئيسي (وقد يُسمّى: محورها أو عمودها).

- تحديد الموضوعات الجزئية في السورة وتقسيم السورة إلى مقاطع.

- بيان المناسبات المختلفة.

- التفسير الإجمالي لكل مقطع.

- الهدايات المستنبطة من المقطع».²

1 ينظر: محمد ابراهيم شريف، اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر، (ط01، دار التراث، القاهرة، مصر، 1403هـ - 1982م)، ص: 265 - 267.

2 ينظر: صلاح عبد الفتاح الخالدي، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، مرجع سبق ذكره، ص: 73. ومصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، مصدر سبق ذكره، ص: 40. وزياد خليل الدغامين، منهجية البحث التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، مرجع سبق ذكره، ص: 136. ونخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مرجع سبق ذكره، ص: ب - د.

ثانياً- أهداف التفسير الموضوعي: من خلال ما سبق بيانه تبرز لنا عدّة أهداف تُرجى من التفسير الموضوعي، أهداف يُترجمها الباحث -في حدود اجتهاده- إلى النقاط التالية:

01- كشف وبيان مراد الله ﷻ؛ وهذا الهدف هو أساس التفسير إجمالاً؛ فبالبيان عُرِفَ التفسير وإليه نُسب، ولأنّ السّابقين سبقوا إلى تفسير القرآن فلا يُنتظر من المفسّر تفسيراً موضوعياً مجرد التّكرار بعد أن فُتح له المجال، بل هو مُطالب بالتّجديد المشروع والمقبول، فالشّريعة الإسلامية شريعة عامّة؛ دائمة؛ معصومة، وذلك يقتضي فتح أبواب آيات القرآن لمختلف استنباطات المفسّرين، فتؤخذ منها أحكام الأوّلين وتُجمع بأحكام الآخرين، وفي ظلّ هذا؛ يُطالب المفسّر بتوظيف جميع المؤهّلات البشريّة والمعرفيّة لتقدّم أطباق تفسيريّة موضوعيّة عصريّة، تُوضع على موائد المسلمين ليُصيبوا منها، ومن هنا مثّل التفسير الموضوعي حقلاً خصباً لزرع بذور إصلاح منهجيّ مصدره القرآن، ويتناسب مع الشّخصية والمجتمع الإسلامي المعاصر، كما يتوافق ولا يصطدم مع غرس السلف وأصولهم، وعليه فالنتيجة المرجوة هي منتج تفسيريّ موضوعي؛ يُؤتي أكله كلّ حين.

02- العمل على ضبط أساسيات منهجية للاستمداد من القرآن لإرشاد الأمة الإسلاميّة وهدايتها، وهذا من خلال إعادة ربطها أفراداً وجماعات بالقرآن الكريم، فالقرآن أنزل لإسعاد النّاس وصلاحتهم، وليس لقهركم وإكراههم، لذلك عاجل الموضوعات التي تعنيهم، معالجة علمها من علمها وجهلها من جهلها، وبمعرفة ومراعاة خصوصيات الآدميّين باعتبارهم مُستخلفين في الأرض، ومُسخرّ لهم ما فيها وما في الكون، يمكن بيان ما يجب أن يكون عليه الفرد، وما يجب أن تكون عليه جماعة المسلمين، والمفسّر اليوم وهو يُعيد الاستمداد من الوحي من جديد؛ بما يُناسب ظروفه الرّاهنة وتطوّر المعارف البشريّة، يحتاج وبصورة ملحّة إلى استمداد رؤى جديدة وحلول ملائمة، لما يُطرح على الأمة الإسلاميّة من تحدّيات ومتطلّبات ومهمّات جسام، ولما أفرزته الحضارة المعاصرة من أزمات ومشاكل تعاني منها الإنسانية برمتها، وهذا الاستمداد يحقّقه التفسير الموضوعي، لأنّه تفسير حسب الدّاء المُشخّص، دوره العلاج وتحقيق الشّفاء للروح وللبدن، للفرد وللجماعة، للأمة وللإنسانيّة.

03- قدرة التفسير الموضوعي على تيسير فهم نصوص الوحي وطبيعة الحياة وتفسير مُعضلاتها وحلّ مُشكلاتها، وهذا من خلال الفهم والتّصوّر وحصر مناهج العمل بالقرآن في رحاب الحياة، لذا ينبغي على المفسّر «أن يعتني ببسط الأدلّة، وإيضاح سبل النّظر، وتحصيل مقدّمات الاجتهاد، وإعداد الآلة المعينة على الاستمداد، فإذا عرضت النّازلة أُتيت من بابها، وتشدت في مظانها، والله يفتح في صوابها»¹، ومُشكلات

1 ابن العربي، أحكام القرآن، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمّد عبد القادر عطا، (ط03، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1424هـ - 2003م)، ج02، ص: 215.

الأمة منها النّازلة ومنها غير ذلك، ومن أدرك سبل معالجة النّازلة تأتّى له معالجة غيرها من باب أولى، والأمة الإسلامية اليوم في أشدّ الحاجة لاستمدادات كثيرة وكثيفة من الوحي المنزل عليها، وحيّ تضمن كلّ ما يُحقّق أسباب الهداية والعزّة واستئناف الإنجاز الحضاريّ، بعد كبوة وتوقّف؛ وطول تراجع عن مواقع الصّدارة والريادة وتخلّف، فعن مالك أنّه بلغه أنّ رسول الله ﷺ قال: «تركت فيكم شيئين لن تضلّوا بعدهما: كتاب الله وسنّي، ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض»¹، وما من شك أنّ حاجة الأجيال الحالية، غدت أشدّ إلحاحاً إلى الالتحام بقراءتها وقيّمه الخالدة، وجمع شملها والارتقاء بأخلاقها، والرفع من قدراتها لمسيرة الرّكب العلميّ والتطوّر التكنولوجيّ، وبلوغ التي هي أقوم في شتى مناحي الحياة والتي هي أحسن، ولا أحسن من القرآن هادياً ودليلاً.

04- الكشف عن الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم، فالإسلام باعتباره منهج السلوك إلى الله، وتحقيق العبودية له وحده، لا يُمكن له أن يقود الناس إلى الله في طريقين أو أكثر، بل هو طريق واحد، وهو الصّراط المستقيم، والوحدة الموضوعية تنسجم مع وحدانية الله تعالى، وتُناسب طبيعة دين التّوحيد، وتُناسب وحدة المصدر وقدرته، وتوافق وحدة الذات المتلقّية للوحي، فالله الواحد له في الخلق مقصدٌ عامٌّ واحدٌ، هو عبادته طوعاً أو كرهاً، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذّاريات: 56]، وهذا المقصد العامّ يتحقّق من خلال عدّة موضوعات مترابطة ومُتناسقة في النّص القرآنيّ، يخدم سابقها لاحقها والعكس، وفي هذا ردّ على من يدّعي عدم التّناسق في آيات القرآن أو تعارضها، وكشف عن وحدة القرآن من كلّ جانب، وتثبيت لإيمان المؤمنين وزيادة له.

05- الحدّ من إعمال النّسخ في القرآن الكريم، وهذا هو الأصل المعقول، والمتوقّع المقبول، فأساس التّفسير الموضوعيّ هو الاستفادة من جميع النّصوص القرآنية ذات الموضوع الواحد، وعليه فالجمع بين النّصوص بمجهود يُطالب المفسّر به، وعليه يقع عائق النظر في الموروث التّفسيريّ، ليجمع الأقوال المعبرة التي نصّت على إمكانية الجمع، مع التي اعتبرت أحد الآيتين تخصيصاً للأخرى، والتي رأت عدم وقوعه بالمرّة في حالات مُعيّنة، والاختلافات في النّاسخ وماهيتها، إلى غير ذلك من المسائل التي ظهر فيها الخلاف بين العلماء بسبب النّسخ، ثمّ يستغلّ معارفه ومؤهلاته وكفاءاته للجمع بين النّصوص ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، يقوم بهذا مُوظّفاً التّفسير الموضوعيّ، ويحرص على عدم الخوض

1 أخرجه الحاكم في المستدرک على الصّحیحین، کتاب العلم، (1/ 172)، برقم: (319). وقال الألبانی: صحیح. صحیح الجامع الصّغیر وزیادته للألبانی، (1/ 566)، برقم: (2937).

ورواه مالک فی الموطأ بلاغاً، (1321/05)، برقم: (3338). قال الحافظ ابن عبد البر: وهذا أيضاً محفوظ معروف مشهور عن النّبی ﷺ عند أهل العلم شهرة یکاد یستغنی بها عن الإسناد. (التمهید 331/24).

فيما اتفق على وقوع النسخ فيه، « وهي خمسة وقائع في ست آيات: واقعة وجوب التهجّد ثمّ نسخه في سورة المزمل، وواقعة فرض الصدقة بين يدي نبوي الرسول ثمّ رفعه في سورة المجادلة، وواقعة وجوب الثبات في القتال أمام عشرة أمثالهم من الكفار؛ ثمّ نسخه بوجوب الثبات أمام مثلهم فقط في سورة الأنفال، وواقعة عقوبة الزنا في آتي سورة النساء ونسخها بالحدّ في آية سورة التور، وواقعة نسخ مفهوم قوله تعالى في سورة النساء: ﴿يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى﴾ [النساء: 43]، بالأمر باجتناب الخمر مُطلقاً عن القيود في سورة المائدة¹ .»

06- بيان وكشف مقاصد التكرار في القرآن الكريم، فالقرآن الكريم وظّف أسلوب التكرار، وعلى المفسّر أن يوظّف مختلف كفاءاته لاستخلاص المقاصد والمعاني المرادة، بالربط بين الآيات المتكررة في موضوع واحد، ثمّ تحديد مختلف الفوائد والدّر التي أرادها الله ﷻ، لأنّه « ليس في القرآن لفظة زائدة لا تُفيد معنى، ولا كلمة قد فهم معناها ممّا قبلها فأعيدت لا لمعنى، أو لمجرد التأكيد المحض دون فائدة جديدة، وهذا في اللفظ المستقلّ بنفسه بخلاف الحروف التي لا تستقلّ كالباء واللام² .»

07- دراسة الموضوعات القرآنية، والحديث عن موضوعات القرآن الكريم لن ينقطع، ويعتبر موضوع الإيمان هو القضية المحورية التي تتناولها هاته الموضوعات بوجه عامّ، وهو القاسم المشترك بينها، لذا تُعتبر مسألة طرح القضايا المختلفة طرْحاً إيمانياً على قدر كبير من الأهمية في الوقت الحاليّ.

08- احتواء بعض العلوم العصرية ومنعها من الانفلات، فالمفسّر في التفسير الموضوعي ينطلق من الواقع الذي يعيش فيه، فيدرك الحاجات البشرية في عصره، ويؤمن أنّ العلوم صارت مجرّاً زاحراً لا شاطئ له ولا قرار، ومن هنا وجب عليه أن يطّلع على فروع العلوم المختلفة ذات الصلة بالقرآن الكريم، لبيان أنّ القرآن الكريم لا يتعارض مع الحقائق العلمية الثابتة، وهو ليس كتاب يُحاكم إلى أيّ علم أو نظريّات علميّة، وإمّا هو كتاب هداية وتقويم للعقائد والسلوك، كتاب مُهيمن يُشير إلى الحقائق العلميّة ويستحيل أن يتعارض معها، وإذا وجدّ التعارض فالقرآن حكم وليس طرفاً.

09- السعيّ الجاد لتحسين الصلة بين ثلاثية القرآن، الإنسان، الواقع، لأنّ « الحُكم على الشّيء فرْع عن تصوّره»، كما أنّ إدراك إيجابيات ودلالات القرآن الواقعية عمليّة لازمة للمفسّر إذا كان يريد أن يُصلح الواقع على هدي القرآن، بل واجب عليه ألاّ يبيّن أحكامه على الافتراضات واللاموجود أو

1 مصطفى زيد، النسخ في القرآن الكريم، (ط3، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، 1408هـ - 1987م)، ج02، ص: 335 - 336.

2 ابن تيمية، رسالة في علوم القرآن، تحقيق: علي بن أحمد الكندي المرر، (ط01، مؤسسة بينونة للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربيّة المتّحدة، 1429هـ - 2008م)، ص: 17.

اللامحدود، وعليه بعد الفقه الشرعيّ وامتلاك أدوات التفسير؛ البدء بتشخيص حاجات الأفراد، ثمّ دراسة مُشكلات الواقع الذي يجمعهم، وينتهي بتقديم العلاج القرآنيّ لهذا الواقع في موضوعات؛ بما يحقق مصلحة الفرد والجماعة في الدنيا والآخرة، ولا بدّ من التأكيد على أهميّة الجمع بين فقه النصوص الشرعيّة وفقه الأحوال الواقعيّة حتّى يمكن الإحسان والإتقان في تنزيل نصوص القرآن الكريم على المسائل الواقعيّة، ومن المعلوم أنّ القرآن لا يتناول كلّ الصّور والوقائع، ولكنّ مقاصده وقواعد تفسيره وأصول الاستنباط منه مرنة، تفي بالحاجات مهما كثرت، والمستجدات مهما تنوّعت.

هذه هي الأهداف التي يعتبرها الباحث قابلة للتجسيد إذا ما وظّف المفسّر التفسير الموضوعيّ مُنطلقاً من عقيدة راسخة بكمال الإسلام وشموله لجوانب الحياة كلّها، وبقين جازم واعتزاز شامخ بهذا الدين، بلا تميّع فكريّ، ولا هزيمة نفسيّة، ولا ولع مغلوب، وينضمّ إلى ذلك علم أصيل بالأدلة والمقاصد الشرعيّة والقواعد الكلّيّة، فيستخرج بعد ذلك من كنوز القرآن الكريم ما يُبيّن الأصل الشرعيّ للمصالح، ويكشف المنحى الخفيّ للمفاسد، ويكملّ ذلك معرفة واعية بالواقع، ثمّ تركيز خاصّ على موضوع البحث، حتّى يُحيط به من جميع جوانبه، فتتمّ بذلك النظرة الشاملة المتوازنة الجامعة بين الأصالة الشرعيّة والاستجابة الواقعيّة، ويُصدر بناءً على ذلك الأحكام الصّحيحة، والوصفات الشّافية، من ثنايا الطّبّ القرآنيّ الأصيل.

المبحث الثاني

حدود التفسير الموضوعي

المطلب الأول: تعريف تفسير القرآن بالقرآن وبيان مسأله

المطلب الثاني: بين التفسير الموضوعي وتفسير القرآن بالقرآن

المطلب الثالث: علم المناسبات ومواقف العلماء منه

المطلب الرابع: القول بالمناسبات وبيان علاقتها بالتفسير الموضوعي

المبحث الثاني: حدود التفسير الموضوعي

لقد عدّ البعض التفسير الموضوعي « وليداً لتفسير القرآن بالقرآن، نشأ في أحضانه، وبدأ لونا من ألوانه، ثم أصبح ذا سمات مُتميّزة بعد نموه واتساعه »¹، ومن هنا أتت الحاجة لهذا المبحث، فهذا التشابه في الشكل والصورة بين تفسير القرآن بالقرآن والتفسير الموضوعي يُقابله اختلاف في الأنواع والأسلوب والضوابط والخصائص والأهداف؛ وثنائية التشابه والاختلاف هاته؛ أثمرت تمايزاً في المنهج والطريقة، تمايزاً لا يسلم من التداخل، فكيف وطه جابر العلواني يؤكد هذا التداخل بقوله: « تفسير القرآن بالقرآن -الذي نريده- فيه مزايا التفسير الموضوعي، يستوعبها ويتجاوزها »².

المطلب الأول: تعريف تفسير القرآن بالقرآن وبيان مسأله

أولاً: تعريف تفسير القرآن بالقرآن: المدخل الذي يوضح تعريف المركب تفسير القرآن بالقرآن هو القيام بتعريف مكونات هذا المركب، وهما كلمتي: التفسير، والقرآن؛ لغة واصطلاحاً.

أ- تعريف التفسير: سبق تعريفه لغة واصطلاحاً؛ فالتفسير هو بيان مراد كلام الله ﷻ المنزل على رسوله ﷺ وكشف معانيه.

ب- تعريف القرآن:

التعريف اللغوي للقرآن: أمّا لفظ القرآن فهو في اللغة مصدر مرادف للقراءة ومنه قوله تعالى: ﴿إِنْ عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنُهُ﴾^(١٧) فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَانْبِئْ قُرْآنَهُ^(١٨) [القيامة: 17 - 18]، ثم نُقل من هذا المعنى المصدريّ وجعل اسماً للكلام المعجز المنزل على النبي ﷺ من باب إطلاق المصدر على مفعوله، ذلك ما نختاره استناداً إلى موارد اللغة العربيّة، وقوانين الاشتقاق³، ولعله من المفيد عرض معنى القرآن لغة ليظهر وجه الاختلاف فيه، ووجه اختيار الباحث السابق، فقد اختلف العلماء في لفظ القرآن من جهة الاشتقاق أو عدمه، ومن جهة كونه مهموزاً أو غير مهموز⁴:

1 سامر رشواني، منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، (ط01، دار الملتقى، حلب، سورية، 1430هـ - 2009م)، ص: 54 - 55.

2 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 44.

3 محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: فؤاد أحمد زمري، (ط01، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1415هـ - 1995م)، ج01، ص: 07.

4 للمزيد من تفصيل هذه الأقوال ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مرجع سبق ذكره، ج01، ص: 278. والسيوطي، الإتيان في علوم القرآن، مرجع سبق ذكره، ج02، ص: 339 - 341. ومحمد أبو شهبه، المدخل لدراسة القرآن الكريم، (ط03، دار اللواء، الرياض، المملكة العربيّة السّعوديّة، ص: 17 - 18).

- **لفظ القرآن مهموز:** وإلى هذا القول مال أغلب العلماء، وأنه إذا لم تُكتب الهمزة فإنّما للتخفيف، ثمّ اختلفوا في أصل اشتقاقه على رأيين:

01- أنه مصدر: قرأ بمعنى تلا، وهو مثل الرجحان والغفران، وسمي به المقروء من باب تسمية اسم المفعول بالمصدر.

02- أنه وصف عن فعّال، مشتق من القرء بمعنى الجمع، يُقال قرأت الماء في الحوض أي جمعته، وسمي القرآن بذلك لجمعه السور والآيات فيه، أو القصص والأوامر والنواهي، أو لأنّه جامع ثمرات الكتب السابقة.

- **لفظ القرآن غير مهموز:** واختلف كذلك في أصل اشتقاقه على رأيين:

01- أنه مشتق من قرنت الشيء بالشيء، إذا ضمنت أحدهما إلى الآخر، وسمي به القرآن لاقتزان سورة وآياته وحروفه.

02- أنه مشتق من القرائن؛ لأنّ الآيات منه يُصدّق بعضها بعضاً، ويشابه بعضها بعضاً، فهي قرائن.

فهذه أربعة آراء كلّها تقول بالاشتقاق، وخالفها قول خامس يرى عدم اشتقاق لفظ القرآن، وهو اسم علم غير منقول، وُضع من أوّل الأمر علماً على الكلام المنزل على نبيّنا محمد ﷺ كالأنجيل والإنجيل.

التعريف الاصطلاحي للقرآن: لقد تنوّعت تعريفات العلماء للقرآن الكريم، فكلّ عرّفه بحسب اتجاهه واهتماماته، فمنهم من اهتمّ بالجانب العقديّ، ومنهم من اهتمّ بالجانب اللفظيّ، وكتعريف اصطلاحيّ للقرآن الكريم يختار الباحث تعريف الشوكانيّ (توفي: 1250هـ) للقرآن الكريم حيث قال: « هو كلام الله المنزل على محمد ﷺ المتلّو المتواتر ».¹

ت- تعريف مصطلح تفسير القرآن بالقرآن: يعتبر منهج تفسير القرآن بالقرآن أقدم المناهج التفسيرية، وأوّل ما اعتمده رسول الله ﷺ؛ وأوّل من اعتمد عليه ووظّفه، واستمرّ هذا الأسلوب ونال إجماع العلماء²، ومع ذلك لم يضع المتقدّمون تعريفاً مانعاً لهذا المصطلح ! ولعلّ سبب ذلك يرجع إلى أمرين: « الأوّل: الاكتفاء بالتمثيل عن التعريف، وبالمثال يتّضح المقال.

1 الشوكانيّ، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحقّ من علم الأصول، تحقيق: سامي بن العربيّ الأثريّ، (ط01)، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربيّة السّعودية، 1421هـ - 2000م)، ج01، ص: 171.

2 محمد الأمين الشنقيطيّ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، إشراف: بكر بن عبد الله بن زيد، (ط01)، دار علم الفوائد للنشر والتوزيع، مكّة المكرّمة، المملكة العربيّة السّعودية، 1426هـ)، ج01، ص: 07.

الثاني: ارتباطه بمصطلح التفسير ... فاكتفوا بتعريف الكل عن تعريف الجزء»¹.

والمتبادر إلى الذهن عند إطلاق عبارة -تفسير القرآن بالقرآن- أنّ القرآن مُفسّر لنفسه بنفسه، وأنّه ليس للمفسّر دور سوى جمع ما يُراد تفسيره من تفسيره بما يُفسّره منها، وكأنّ عملية التفسير عملية مُغلقة؛ سابقة التّحديد غير قابلة للتّحديد، وهي ذات علاقات ثابتة، ولا دخل فيها للاجتهاد والرأي البشري، ولكن الحقيقة هي أنّ تفسير القرآن بالقرآن عمل يقوم به المفسّر، ويعتمد فيه القرآن مصدراً للمادّة التفسيرية.

قال ابن عطية (توفي: 526هـ): كان على من يُفسّر القرآن الكريم أن يرجع إلى القرآن أولاً، يبحث فيه عن تفسير ما يريد، فيقابل الآيات بعضها ببعض، ويستعين بما جاء مُسهباً ليعرف به ما جاء مُوجزاً، وبالمبين ليفهم به المجمل، ويحمل المطلق على المقيد، والعام على الخاص، ولا يجوز لأحد -كائناً من كان- أن يتخطى هذا التفسير القرآني²، وفي هذا القول إشارة لبعض طرق بيان القرآن بالقرآن ولمنزلته، ولكن يمكن الباحث استثمار عبارة «أن يرجع إلى القرآن أولاً، يبحث فيه عن تفسير ما يُريد، فيقابل الآيات بعضها ببعض» واستخراج تعريف مُتوافق معها، هذا نصّه: **تفسير القرآن بالقرآن هو الرجوع إلى القرآن نفسه للبحث فيه ومقابلة الآيات بعضها ببعض.**

وقد عدّه ابن تيمية (توفي: 728هـ) أحسن التّفسير وأصحّ الطّرق حيث قال: أصحّ الطّرق في ذلك أن يفسّر القرآن بالقرآن، فما أُجمل في مكان فإنّه قد فسّر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بُسط في موضع آخر³، وهذا أيضاً بيان منزلة ودور تفسير القرآن بالقرآن وليس تعريفاً. وقال ابن جزّي (توفي: 741هـ): إذا دلّ موضع من القرآن على المراد بموضع آخر حملناه عليه وربّحنا القول بذلك على غيره من الأقوال⁴، أي الاستدلال على مراد الله ﷻ بكلامه ﷻ في موضع آخر من كتابه، أي حمل القرآن بعضه على بعض.

غير أنّ من المتأخّرين من حاولوا وضع تعريف لهذا المصطلح فتعدّدت تعريفاتهم، ومنها أن تفسير القرآن بالقرآن هو:

1 أحمد بن محمد البريدي، تفسير القرآن بالقرآن دراسة تأصيلية، (بحث منشور في مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد الثاني، 1427هـ)، ص: 17.

2 ابن عطية، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2001م)، ج 01، ص: 06.

3 ابن تيمية، مقدّمة في أصول التفسير، مرجع سبق ذكره، ص: 93.

4 ابن جزّي، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: محمد سالم هاشم، (ط 01، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1415هـ - 1995م)، ج 01، ص: 12 - 13.

- بيان معاني القرآن بالقرآن، فكل بيان للقرآن استفدناه من القرآن فهو من تفسير القرآن بالقرآن، سواء كان بيان معنى مفردة أو جملة أو قصة أو تبين مجمل أو تخصيص عام أو غير ذلك.¹
- وقيل هو: بيان القرآن بالقرآن، والمراد مطلق البيان، فمتى استفدنا بيان آية من آية أخرى من أي وجه، فهو داخل في هذا النوع من التفسير.²
- وقيل: ربط الآيات المتشابهة لفظها أو معناها بعضها ببعض وتفسير بعضها ببعض.³
- وقيل: هو التفسير الذي «يتحقق فيه معنى البيان عن شيء في الآية بآية أخرى».⁴
- وقيل: هو بيان معاني القرآن بالقرآن.⁵
- وقيل: أن يُفسر المفسر الآية بالآيات الأخرى في موضوعها ومعناها.⁶
- وعرفه طه جابر العلواني فقال: هو تفسير وتدبر وتأمل وتفكر وتعقل وتذكير وترتيل في القرآن المجيد، يستخدم كل تلك المداخل ويتوسل بكل تلك الوسائل ليكون القرآن الكريم المرجع الأساس في فهم القرآن المجيد ذاته، وفي فهم كل ما جاء يعلم البشرية إياه.⁷
- ومن خلال التعريفات السابقة يمكن تقسيم تفسير القرآن بالقرآن إلى قسمين:
- ما أجمل في موضع وُفسر في موضع آخر: وهو ما تحقق فيه البيان عن شيء في الآية بآية أو بآيات أخرى.
- ما اختصر في موضع وبُسط في موضع آخر: وهو ما لم يتحقق فيه معنى البيان عن شيء في الآية بآية أو بآيات أخرى، وإنما وجود رابط في الموضوع أو في المعنى أو في اللفظ أو في الأسلوب هو

1 محمد بن سريع السري، التحرير شرح التمهيد في أصول التفسير، (ط2)، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1445هـ - 2023م)، ص: 06.

2 أحمد البريدي، تفسير القرآن بالقرآن دراسة تأصيلية، مرجع سبق ذكره، ص: 18 - 19.

3 محمد قحوي، تفسير القرآن بالقرآن دراسة تاريخية نظرية، (ط2)، مركز الدراسات القرآنية - الرابطة المحمدية للعلماء الرباط، المغرب، 1441هـ - 2020م)، ص: 02.

4 مساعد بن سليمان الطيار، مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير، (ط1)، دار الحديث للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1425هـ)، ص: 130.

5 محسن بن حامد المطيري، تفسير القرآن بالقرآن تأصيل وتقويم، (ط1)، دار التدمرية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1432هـ - 2011م)، ص: 33.

6 صلاح عبد الفتاح الخالدي، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، (ط3)، دار القلم، دمشق، سوريا، 1429هـ - 2008م)، ص: 69.

7 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 44.

ما اقتضى الرّبط بين الآيات والاستدلال بها على قول في تفسير الآية.

ثانياً: المسائل المهمّات في تفسير القرآن بالقرآن: نقل بعض أهل العلم الإجماع على كون تفسير القرآن بالقرآن أصحّ طرق التفسير وأشرفها وأعلاها¹، لذا يجب بيان بعض المسائل المهمّة التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بصحّة وحجيّة تفسير القرآن بالقرآن:

المسألة الأولى: أنواع تفسير القرآن بالقرآن²:

النوع الأوّل: متّفق على قبوله لا نزاع فيه: وأوضح أمثلته ما يكون في القرآن الكريم على طريقة السّؤال والجواب، أو على طريقة ذكر الموصوف ثمّ إتياعه بأوصافه، وكثير من هذا النوع يأتي متواليّاً؛ كقوله تعالى: ﴿كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ ۝٦﴾ ^(١) ^(٢) ^(٣) ^(٤) ^(٥) ^(٦) ^(٧) ^(٨) ^(٩) ^(١٠) ^(١١) ^(١٢) ^(١٣) ^(١٤) ^(١٥) ^(١٦) ^(١٧) ^(١٨) ^(١٩) ^(٢٠) ^(٢١) ^(٢٢) ^(٢٣) ^(٢٤) ^(٢٥) ^(٢٦) ^(٢٧) ^(٢٨) ^(٢٩) ^(٣٠) ^(٣١) ^(٣٢) ^(٣٣) ^(٣٤) ^(٣٥) ^(٣٦) ^(٣٧) ^(٣٨) ^(٣٩) ^(٤٠) ^(٤١) ^(٤٢) ^(٤٣) ^(٤٤) ^(٤٥) ^(٤٦) ^(٤٧) ^(٤٨) ^(٤٩) ^(٥٠) ^(٥١) ^(٥٢) ^(٥٣) ^(٥٤) ^(٥٥) ^(٥٦) ^(٥٧) ^(٥٨) ^(٥٩) ^(٦٠) ^(٦١) ^(٦٢) ^(٦٣) ^(٦٤) ^(٦٥) ^(٦٦) ^(٦٧) ^(٦٨) ^(٦٩) ^(٧٠) ^(٧١) ^(٧٢) ^(٧٣) ^(٧٤) ^(٧٥) ^(٧٦) ^(٧٧) ^(٧٨) ^(٧٩) ^(٨٠) ^(٨١) ^(٨٢) ^(٨٣) ^(٨٤) ^(٨٥) ^(٨٦) ^(٨٧) ^(٨٨) ^(٨٩) ^(٩٠) ^(٩١) ^(٩٢) ^(٩٣) ^(٩٤) ^(٩٥) ^(٩٦) ^(٩٧) ^(٩٨) ^(٩٩) ^(١٠٠) ^(١٠١) ^(١٠٢) ^(١٠٣) ^(١٠٤) ^(١٠٥) ^(١٠٦) ^(١٠٧) ^(١٠٨) ^(١٠٩) ^(١١٠) ^(١١١) ^(١١٢) ^(١١٣) ^(١١٤) ^(١١٥) ^(١١٦) ^(١١٧) ^(١١٨) ^(١١٩) ^(١٢٠) ^(١٢١) ^(١٢٢) ^(١٢٣) ^(١٢٤) ^(١٢٥) ^(١٢٦) ^(١٢٧) ^(١٢٨) ^(١٢٩) ^(١٣٠) ^(١٣١) ^(١٣٢) ^(١٣٣) ^(١٣٤) ^(١٣٥) ^(١٣٦) ^(١٣٧) ^(١٣٨) ^(١٣٩) ^(١٤٠) ^(١٤١) ^(١٤٢) ^(١٤٣) ^(١٤٤) ^(١٤٥) ^(١٤٦) ^(١٤٧) ^(١٤٨) ^(١٤٩) ^(١٥٠) ^(١٥١) ^(١٥٢) ^(١٥٣) ^(١٥٤) ^(١٥٥) ^(١٥٦) ^(١٥٧) ^(١٥٨) ^(١٥٩) ^(١٦٠) ^(١٦١) ^(١٦٢) ^(١٦٣) ^(١٦٤) ^(١٦٥) ^(١٦٦) ^(١٦٧) ^(١٦٨) ^(١٦٩) ^(١٧٠) ^(١٧١) ^(١٧٢) ^(١٧٣) ^(١٧٤) ^(١٧٥) ^(١٧٦) ^(١٧٧) ^(١٧٨) ^(١٧٩) ^(١٨٠) ^(١٨١) ^(١٨٢) ^(١٨٣) ^(١٨٤) ^(١٨٥) ^(١٨٦) ^(١٨٧) ^(١٨٨) ^(١٨٩) ^(١٩٠) ^(١٩١) ^(١٩٢) ^(١٩٣) ^(١٩٤) ^(١٩٥) ^(١٩٦) ^(١٩٧) ^(١٩٨) ^(١٩٩) ^(٢٠٠) ^(٢٠١) ^(٢٠٢) ^(٢٠٣) ^(٢٠٤) ^(٢٠٥) ^(٢٠٦) ^(٢٠٧) ^(٢٠٨) ^(٢٠٩) ^(٢١٠) ^(٢١١) ^(٢١٢) ^(٢١٣) ^(٢١٤) ^(٢١٥) ^(٢١٦) ^(٢١٧) ^(٢١٨) ^(٢١٩) ^(٢٢٠) ^(٢٢١) ^(٢٢٢) ^(٢٢٣) ^(٢٢٤) ^(٢٢٥) ^(٢٢٦) ^(٢٢٧) ^(٢٢٨) ^(٢٢٩) ^(٢٣٠) ^(٢٣١) ^(٢٣٢) ^(٢٣٣) ^(٢٣٤) ^(٢٣٥) ^(٢٣٦) ^(٢٣٧) ^(٢٣٨) ^(٢٣٩) ^(٢٤٠) ^(٢٤١) ^(٢٤٢) ^(٢٤٣) ^(٢٤٤) ^(٢٤٥) ^(٢٤٦) ^(٢٤٧) ^(٢٤٨) ^(٢٤٩) ^(٢٥٠) ^(٢٥١) ^(٢٥٢) ^(٢٥٣) ^(٢٥٤) ^(٢٥٥) ^(٢٥٦) ^(٢٥٧) ^(٢٥٨) ^(٢٥٩) ^(٢٦٠) ^(٢٦١) ^(٢٦٢) ^(٢٦٣) ^(٢٦٤) ^(٢٦٥) ^(٢٦٦) ^(٢٦٧) ^(٢٦٨) ^(٢٦٩) ^(٢٧٠) ^(٢٧١) ^(٢٧٢) ^(٢٧٣) ^(٢٧٤) ^(٢٧٥) ^(٢٧٦) ^(٢٧٧) ^(٢٧٨) ^(٢٧٩) ^(٢٨٠) ^(٢٨١) ^(٢٨٢) ^(٢٨٣) ^(٢٨٤) ^(٢٨٥) ^(٢٨٦) ^(٢٨٧) ^(٢٨٨) ^(٢٨٩) ^(٢٩٠) ^(٢٩١) ^(٢٩٢) ^(٢٩٣) ^(٢٩٤) ^(٢٩٥) ^(٢٩٦) ^(٢٩٧) ^(٢٩٨) ^(٢٩٩) ^(٣٠٠) ^(٣٠١) ^(٣٠٢) ^(٣٠٣) ^(٣٠٤) ^(٣٠٥) ^(٣٠٦) ^(٣٠٧) ^(٣٠٨) ^(٣٠٩) ^(٣١٠) ^(٣١١) ^(٣١٢) ^(٣١٣) ^(٣١٤) ^(٣١٥) ^(٣١٦) ^(٣١٧) ^(٣١٨) ^(٣١٩) ^(٣٢٠) ^(٣٢١) ^(٣٢٢) ^(٣٢٣) ^(٣٢٤) ^(٣٢٥) ^(٣٢٦) ^(٣٢٧) ^(٣٢٨) ^(٣٢٩) ^(٣٣٠) ^(٣٣١) ^(٣٣٢) ^(٣٣٣) ^(٣٣٤) ^(٣٣٥) ^(٣٣٦) ^(٣٣٧) ^(٣٣٨) ^(٣٣٩) ^(٣٤٠) ^(٣٤١) ^(٣٤٢) ^(٣٤٣) ^(٣٤٤) ^(٣٤٥) ^(٣٤٦) ^(٣٤٧) ^(٣٤٨) ^(٣٤٩) ^(٣٥٠) ^(٣٥١) ^(٣٥٢) ^(٣٥٣) ^(٣٥٤) ^(٣٥٥) ^(٣٥٦) ^(٣٥٧) ^(٣٥٨) ^(٣٥٩) ^(٣٦٠) ^(٣٦١) ^(٣٦٢) ^(٣٦٣) ^(٣٦٤) ^(٣٦٥) ^(٣٦٦) ^(٣٦٧) ^(٣٦٨) ^(٣٦٩) ^(٣٧٠) ^(٣٧١) ^(٣٧٢) ^(٣٧٣) ^(٣٧٤) ^(٣٧٥) ^(٣٧٦) ^(٣٧٧) ^(٣٧٨) ^(٣٧٩) ^(٣٨٠) ^(٣٨١) ^(٣٨٢) ^(٣٨٣) ^(٣٨٤) ^(٣٨٥) ^(٣٨٦) ^(٣٨٧) ^(٣٨٨) ^(٣٨٩) ^(٣٩٠) ^(٣٩١) ^(٣٩٢) ^(٣٩٣) ^(٣٩٤) ^(٣٩٥) ^(٣٩٦) ^(٣٩٧) ^(٣٩٨) ^(٣٩٩) ^(٤٠٠) ^(٤٠١) ^(٤٠٢) ^(٤٠٣) ^(٤٠٤) ^(٤٠٥) ^(٤٠٦) ^(٤٠٧) ^(٤٠٨) ^(٤٠٩) ^(٤١٠) ^(٤١١) ^(٤١٢) ^(٤١٣) ^(٤١٤) ^(٤١٥) ^(٤١٦) ^(٤١٧) ^(٤١٨) ^(٤١٩) ^(٤٢٠) ^(٤٢١) ^(٤٢٢) ^(٤٢٣) ^(٤٢٤) ^(٤٢٥) ^(٤٢٦) ^(٤٢٧) ^(٤٢٨) ^(٤٢٩) ^(٤٣٠) ^(٤٣١) ^(٤٣٢) ^(٤٣٣) ^(٤٣٤) ^(٤٣٥) ^(٤٣٦) ^(٤٣٧) ^(٤٣٨) ^(٤٣٩) ^(٤٤٠) ^(٤٤١) ^(٤٤٢) ^(٤٤٣) ^(٤٤٤) ^(٤٤٥) ^(٤٤٦) ^(٤٤٧) ^(٤٤٨) ^(٤٤٩) ^(٤٥٠) ^(٤٥١) ^(٤٥٢) ^(٤٥٣) ^(٤٥٤) ^(٤٥٥) ^(٤٥٦) ^(٤٥٧) ^(٤٥٨) ^(٤٥٩) ^(٤٦٠) ^(٤٦١) ^(٤٦٢) ^(٤٦٣) ^(٤٦٤) ^(٤٦٥) ^(٤٦٦) ^(٤٦٧) ^(٤٦٨) ^(٤٦٩) ^(٤٧٠) ^(٤٧١) ^(٤٧٢) ^(٤٧٣) ^(٤٧٤) ^(٤٧٥) ^(٤٧٦) ^(٤٧٧) ^(٤٧٨) ^(٤٧٩) ^(٤٨٠) ^(٤٨١) ^(٤٨٢) ^(٤٨٣) ^(٤٨٤) ^(٤٨٥) ^(٤٨٦) ^(٤٨٧) ^(٤٨٨) ^(٤٨٩) ^(٤٩٠) ^(٤٩١) ^(٤٩٢) ^(٤٩٣) ^(٤٩٤) ^(٤٩٥) ^(٤٩٦) ^(٤٩٧) ^(٤٩٨) ^(٤٩٩) ^(٥٠٠) ^(٥٠١) ^(٥٠٢) ^(٥٠٣) ^(٥٠٤) ^(٥٠٥) ^(٥٠٦) ^(٥٠٧) ^(٥٠٨) ^(٥٠٩) ^(٥١٠) ^(٥١١) ^(٥١٢) ^(٥١٣) ^(٥١٤) ^(٥١٥) ^(٥١٦) ^(٥١٧) ^(٥١٨) ^(٥١٩) ^(٥٢٠) ^(٥٢١) ^(٥٢٢) ^(٥٢٣) ^(٥٢٤) ^(٥٢٥) ^(٥٢٦) ^(٥٢٧) ^(٥٢٨) ^(٥٢٩) ^(٥٣٠) ^(٥٣١) ^(٥٣٢) ^(٥٣٣) ^(٥٣٤) ^(٥٣٥) ^(٥٣٦) ^(٥٣٧) ^(٥٣٨) ^(٥٣٩) ^(٥٤٠) ^(٥٤١) ^(٥٤٢) ^(٥٤٣) ^(٥٤٤) ^(٥٤٥) ^(٥٤٦) ^(٥٤٧) ^(٥٤٨) ^(٥٤٩) ^(٥٥٠) ^(٥٥١) ^(٥٥٢) ^(٥٥٣) ^(٥٥٤) ^(٥٥٥) ^(٥٥٦) ^(٥٥٧) ^(٥٥٨) ^(٥٥٩) ^(٥٦٠) ^(٥٦١) ^(٥٦٢) ^(٥٦٣) ^(٥٦٤) ^(٥٦٥) ^(٥٦٦) ^(٥٦٧) ^(٥٦٨) ^(٥٦٩) ^(٥٧٠) ^(٥٧١) ^(٥٧٢) ^(٥٧٣) ^(٥٧٤) ^(٥٧٥) ^(٥٧٦) ^(٥٧٧) ^(٥٧٨) ^(٥٧٩) ^(٥٨٠) ^(٥٨١) ^(٥٨٢) ^(٥٨٣) ^(٥٨٤) ^(٥٨٥) ^(٥٨٦) ^(٥٨٧) ^(٥٨٨) ^(٥٨٩) ^(٥٩٠) ^(٥٩١) ^(٥٩٢) ^(٥٩٣) ^(٥٩٤) ^(٥٩٥) ^(٥٩٦) ^(٥٩٧) ^(٥٩٨) ^(٥٩٩) ^(٦٠٠) ^(٦٠١) ^(٦٠٢) ^(٦٠٣) ^(٦٠٤) ^(٦٠٥) ^(٦٠٦) ^(٦٠٧) ^(٦٠٨) ^(٦٠٩) ^(٦١٠) ^(٦١١) ^(٦١٢) ^(٦١٣) ^(٦١٤) ^(٦١٥) ^(٦١٦) ^(٦١٧) ^(٦١٨) ^(٦١٩) ^(٦٢٠) ^(٦٢١) ^(٦٢٢) ^(٦٢٣) ^(٦٢٤) ^(٦٢٥) ^(٦٢٦) ^(٦٢٧) ^(٦٢٨) ^(٦٢٩) ^(٦٣٠) ^(٦٣١) ^(٦٣٢) ^(٦٣٣) ^(٦٣٤) ^(٦٣٥) ^(٦٣٦) ^(٦٣٧) ^(٦٣٨) ^(٦٣٩) ^(٦٤٠) ^(٦٤١) ^(٦٤٢) ^(٦٤٣) ^(٦٤٤) ^(٦٤٥) ^(٦٤٦) ^(٦٤٧) ^(٦٤٨) ^(٦٤٩) ^(٦٥٠) ^(٦٥١) ^(٦٥٢) ^(٦٥٣) ^(٦٥٤) ^(٦٥٥) ^(٦٥٦) ^(٦٥٧) ^(٦٥٨) ^(٦٥٩) ^(٦٦٠) ^(٦٦١) ^(٦٦٢) ^(٦٦٣) ^(٦٦٤) ^(٦٦٥) ^(٦٦٦) ^(٦٦٧) ^(٦٦٨) ^(٦٦٩) ^(٦٧٠) ^(٦٧١) ^(٦٧٢) ^(٦٧٣) ^(٦٧٤) ^(٦٧٥) ^(٦٧٦) ^(٦٧٧) ^(٦٧٨) ^(٦٧٩) ^(٦٨٠) ^(٦٨١) ^(٦٨٢) ^(٦٨٣) ^(٦٨٤) ^(٦٨٥) ^(٦٨٦) ^(٦٨٧) ^(٦٨٨) ^(٦٨٩) ^(٦٩٠) ^(٦٩١) ^(٦٩٢) ^(٦٩٣) ^(٦٩٤) ^(٦٩٥) ^(٦٩٦) ^(٦٩٧) ^(٦٩٨) ^(٦٩٩) ^(٧٠٠) ^(٧٠١) ^(٧٠٢) ^(٧٠٣) ^(٧٠٤) ^(٧٠٥) ^(٧٠٦) ^(٧٠٧) ^(٧٠٨) ^(٧٠٩) ^(٧١٠) ^(٧١١) ^(٧١٢) ^(٧١٣) ^(٧١٤) ^(٧١٥) ^(٧١٦) ^(٧١٧) ^(٧١٨) ^(٧١٩) ^(٧٢٠) ^(٧٢١) ^(٧٢٢) ^(٧٢٣) ^(٧٢٤) ^(٧٢٥) ^(٧٢٦) ^(٧٢٧) ^(٧٢٨) ^(٧٢٩) ^(٧٣٠) ^(٧٣١) ^(٧٣٢) ^(٧٣٣) ^(٧٣٤) ^(٧٣٥) ^(٧٣٦) ^(٧٣٧) ^(٧٣٨) ^(٧٣٩) ^(٧٤٠) ^(٧٤١) ^(٧٤٢) ^(٧٤٣) ^(٧٤٤) ^(٧٤٥) ^(٧٤٦) ^(٧٤٧) ^(٧٤٨) ^(٧٤٩) ^(٧٥٠) ^(٧٥١) ^(٧٥٢) ^(٧٥٣) ^(٧٥٤) ^(٧٥٥) ^(٧٥٦) ^(٧٥٧) ^(٧٥٨) ^(٧٥٩) ^(٧٦٠) ^(٧٦١) ^(٧٦٢) ^(٧٦٣) ^(٧٦٤) ^(٧٦٥) ^(٧٦٦) ^(٧٦٧) ^(٧٦٨) ^(٧٦٩) ^(٧٧٠) ^(٧٧١) ^(٧٧٢) ^(٧٧٣) ^(٧٧٤) ^(٧٧٥) ^(٧٧٦) ^(٧٧٧) ^(٧٧٨) ^(٧٧٩) ^(٧٨٠) ^(٧٨١) ^(٧٨٢) ^(٧٨٣) ^(٧٨٤) ^(٧٨٥) ^(٧٨٦) ^(٧٨٧) ^(٧٨٨) ^(٧٨٩) ^(٧٩٠) ^(٧٩١) ^(٧٩٢) ^(٧٩٣) ^(٧٩٤) ^(٧٩٥) ^(٧٩٦) ^(٧٩٧) ^(٧٩٨) ^(٧٩٩) ^(٨٠٠) ^(٨٠١) ^(٨٠٢) ^(٨٠٣) ^(٨٠٤) ^(٨٠٥) ^(٨٠٦) ^(٨٠٧) ^(٨٠٨) ^(٨٠٩) ^(٨١٠) ^(٨١١) ^(٨١٢) ^(٨١٣) ^(٨١٤) ^(٨١٥) ^(٨١٦) ^(٨١٧) ^(٨١٨) ^(٨١٩) ^(٨٢٠) ^(٨٢١) ^(٨٢٢) ^(٨٢٣) ^(٨٢٤) ^(٨٢٥) ^(٨٢٦) ^(٨٢٧) ^(٨٢٨) ^(٨٢٩) ^(٨٣٠) ^(٨٣١) ^(٨٣٢) ^(٨٣٣) ^(٨٣٤) ^(٨٣٥) ^(٨٣٦) ^(٨٣٧) ^(٨٣٨) ^(٨٣٩) ^(٨٤٠) ^(٨٤١) ^(٨٤٢) ^(٨٤٣) ^(٨٤٤) ^(٨٤٥) ^(٨٤٦) ^(٨٤٧) ^(٨٤٨) ^(٨٤٩) ^(٨٥٠) ^(٨٥١) ^(٨٥٢) ^(٨٥٣) ^(٨٥٤) ^(٨٥٥) ^(٨٥٦) ^(٨٥٧) ^(٨٥٨) ^(٨٥٩) ^(٨٦٠) ^(٨٦١) ^(٨٦٢) ^(٨٦٣) ^(٨٦٤) ^(٨٦٥) ^(٨٦٦) ^(٨٦٧) ^(٨٦٨) ^(٨٦٩) ^(٨٧٠) ^(٨٧١) ^(٨٧٢) ^(٨٧٣) ^(٨٧٤) ^(٨٧٥) ^(٨٧٦) ^(٨٧٧) ^(٨٧٨) ^(٨٧٩) ^(٨٨٠) ^(٨٨١) ^(٨٨٢) ^(٨٨٣) ^(٨٨٤) ^(٨٨٥) ^(٨٨٦) ^(٨٨٧) ^(٨٨٨) ^(٨٨٩) ^(٨٩٠) ^(٨٩١) ^(٨٩٢) ^(٨٩٣) ^(٨٩٤) ^(٨٩٥) ^(٨٩٦) ^(٨٩٧) ^(٨٩٨) ^(٨٩٩) ^(٩٠٠) ^(٩٠١) ^(٩٠٢) ^(٩٠٣) ^(٩٠٤) ^(٩٠٥) ^(٩٠٦) ^(٩٠٧) ^(٩٠٨) ^(٩٠٩) ^(٩١٠) ^(٩١١) ^(٩١٢) ^(٩١٣) ^(٩١٤) ^(٩١٥) ^(٩١٦) ^(٩١٧) ^(٩١٨) ^(٩١٩) ^(٩٢٠) ^(٩٢١) ^(٩٢٢) ^(٩٢٣) ^(٩٢٤) ^(٩٢٥) ^(٩٢٦) ^(٩٢٧) ^(٩٢٨) ^(٩٢٩) ^(٩٣٠) ^(٩٣١) ^(٩٣٢) ^(٩٣٣) ^(٩٣٤) ^(٩٣٥) ^(٩٣٦) ^(٩٣٧) ^(٩٣٨) ^(٩٣٩) ^(٩٤٠) ^(٩٤١) ^(٩٤٢) ^(٩٤٣) ^(٩٤٤) ^(٩٤٥) ^(٩٤٦) ^(٩٤٧) ^(٩٤٨) ^(٩٤٩) ^(٩٥٠) ^(٩٥١) ^(٩٥٢) ^(٩٥٣) ^(٩٥٤) ^(٩٥٥) ^(٩٥٦) ^(٩٥٧) ^(٩٥٨) ^(٩٥٩) ^(٩٦٠) ^(٩٦١) ^(٩٦٢) ^(٩٦٣) ^(٩٦٤) ^(٩٦٥) ^(٩٦٦) ^(٩٦٧) ^(٩٦٨) ^(٩٦٩) ^(٩٧٠) ^(٩٧١) ^(٩٧٢) ^(٩٧٣) ^(٩٧٤) ^(٩٧٥) ^(٩٧٦) ^(٩٧٧) ^(٩٧٨) ^(٩٧٩) ^(٩٨٠) ^(٩٨١) ^(٩٨٢) ^(٩٨٣) ^(٩٨٤) ^(٩٨٥) ^(٩٨٦) ^(٩٨٧) ^(٩٨٨) ^(٩٨٩) ^(٩٩٠) ^(٩٩١) ^(٩٩٢) ^(٩٩٣) ^(٩٩٤) ^(٩٩٥) ^(٩٩٦) ^(٩٩٧) ^(٩٩٨) ^(٩٩٩) ^(١٠٠٠) ^(١٠٠١) ^(١٠٠٢) ^(١٠٠٣) ^(١٠٠٤) ^(١٠٠٥) ^(١٠٠٦) ^(١٠٠٧) ^(١٠٠٨) ^(١٠٠٩)

القرآن بالقرآن، ومن هؤلاء فرق الخوارج والروافض والجهمية والمعتزلة والقدرية والمرجئة وغيرهم، وأمثلة هذا النوع كثيرة بقدر كثرة أهل البدع وكثرة مؤلفاتهم، ومن ذلك قول أحمد صبحي منصور القرآني تحت عنوان (الوحي المكتوب هو الذي نزل على الرسول هو سور وآيات في القرآن فقط): «تحدّى الله تعالى المشركين أن يأتوا بسورة مثل القرآن ﴿وَلِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: 23]، ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ﴾ [هود: 13]، والشاهد هنا هو أنّ الذي نزلّه الله تعالى على رسوله الكريم هو سور، وليست هناك سور إلا في القرآن، إذن فالقرآن هو الوحي الوحيد المكتوب الذي نزل على الرسول ﷺ»¹، فانظر كيف استشهد بالآيتين على نفي كون السنّة النبويّة المكتوبة حياً!

أو الصّادر عن غيرهم ولكنّ مساحة ردّه غالبية، بسبب عدم الدّقة في فهم نصوص الآيات ومدلولاتها، أو بسبب إخضاع النصوص القرآنيّة للأهواء والتّعصّبات، كفعل المعتزلة مع خلق كلام الله ﷻ، وفعل الخوارج مع حكم مرتكب الكبيرة.

المسألة الثانية: حجّية تفسير القرآن بالقرآن: لا يخرج تفسير القرآن بالقرآن عن المأثور والرأي²، وإطلاق الحجّية المطلقة على ما هذا وصفه لا يستقيم قبوله على إطلاقه هكذا، فالواقع يشهد بخلاف هذا الإطلاق، وعليه فإنّ حجّية تفسير القرآن بالقرآن تنقسم بحسب طريقة بلوغه إلى ما يلي:

أ- تفسير القرآن بالقرآن المُعتبر المقبول:

01- تفسير القرآن بالقرآن المأثور: وهو أنواع:

النوع الأوّل: تفسير القرآن للقرآن بنصّ القرآن: وهذا النوع حجّة بلا خلاف وهو أحسن التفسير ولا ريب، «فالقرآن الكريم يتوقّف فهم بعضه على بعض، حتّى إنّ كثيراً منه لا يفهم معناه حقّ الفهم إلّا بتفسير موضع آخر، أو سور أخرى»³.

النوع الثّاني: التفسير النبوي للقرآن بالقرآن: تفسير القرآن بالقرآن يُعدّ أقوى أنواع التفسير، إلّا أنّه لا يُقطع بصحّته إلّا إن كان الذي فسّر الآية بالآية رسول ﷺ، وحتّى يُقطع بصحّة نسبة التفسير لرسول الله ﷺ يُرجع إلى قواعد علوم الحديث.

1 أحمد صبحي منصور، القرآن وكفى مصدراً للتشريع الإسلامي، (ط1)، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، 2005م، ص: 21.

2 مساعد بن سليمان الطيّار، شرح مقدّمة في أصول التفسير لابن تيمية، مرجع سبق ذكره، ص: 275.

3 الشاطبي، الموافقات، مرجع سبق ذكره، ج4، ص، 275.

النوع الثالث: إجماع الصحابة رضي الله عنهم: فإذا أجمعوا رضي الله عنهم على تفسير آية بآية يُقطع بصحة تفسيرهم لها. يقول الباحث بعد التتبع: هذا النوع ليس له مثال مأثور عن الصحابة رضي الله عنهم.

النوع الرابع: تفسير الصحابي للقرآن بالقرآن: وهذا يُقال فيما لا يمكن أن يؤخذ إلا عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا مدخل للرأي فيه، فقد قيد العلماء إطلاق الأخذ بتفسير الصحابي بما يرجع لأسباب النزول، وبما لا مجال للقول بالرأي فيه، قال ابن الصلاح (توفي: 643هـ): «ما قيل من أنّ تفسير الصحابي حديث مسند، فإنّما ذلك في تفسير يتعلّق بسبب نزول آية يخبر به الصحابي، أو نحو ذلك، فأما سائر تفاسير الصحابة التي لا تشتمل على إضافة شيء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمعدودة من الموقوفات، والله أعلم»¹، أو فيما صدر عن أحد الصحابة ولم يُعلم له مخالف.

02- تفسير القرآن بالقرآن بالرأي المحمود: للاجتهاد والرأي مدخلاً في تفسير القرآن بالقرآن، شريطة أن يكون مستنداً إلى علم، لذا لا يُمكن الجزم بصحته ولو كانت الطريقة المسلوكة صحيحة من حيث المبدأ، فقد يكون الخطأ في التطبيق، وقد يكون لعدم معرفة ما يعلوه ويتقدّمه، وقد يكون زلة من زلات العلماء، وحديث تفسير الظلم من طرف الصحابة رضي الله عنهم وخطئهم في تطبيق تفسير القرآن بالقرآن اجتهاداً منهم، وعدم معرفتهم للآية التي يصلح الجمع بينها وبين آية الظلم؛ والتي تُقدّم على غيرها لتكون التفسير المناسب والمقبول، فتعلو على غيرها وتتقدّم، فهذا الحديث مثال لمسألة الجزم بصحة تفسير القرآن بالرأي من عدمه، مع أنّه رأي محمود لا وجه لدمه أو الطعن فيه، ولكنّ تطبيقه كان خاطئاً فصَحّ رسول الله صلى الله عليه وسلم خطأهم وقيل طريقتهم ووظّفها، فهذه مسألة دقيقة وجب فيها إعمال قواعد الترجيح.

ب- التفسير غير المعتبر المردود: وهو نوع واحد: تفسير القرآن بالقرآن بالرأي المذموم، والرأي المذموم هو كلّ رأي يكون بغير علم، وهو نوعان: فاسد ينشأ عن الهوى والظلم، أو غير تامّ وينشأ عن الجهل.

المسألة الثالثة: مصادر تفسير القرآن بالقرآن:

01- القرآن الكريم نفسه: وهذا المصدر لا اجتهاد فيه ولا نزاع حوله وهو أول ما يُرجع إليه، فالقرآن يُبين بعضه بعضاً.

02- السنة النبوية: ما صحّ عن النبي صلى الله عليه وسلم من تفسير القرآن بالقرآن حكمه القبول والرجوع إليه،

1 الشّهزوري، علوم الحديث لابن الصّلاح، تحقيق وشرح: نور الدّين عتر، (د.ط، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، د.س.ط)، ص: 50.

وهنا نحذر من اعتبار التفسير النبويّ اجتهاداً مرحلياً أو تجربة يُقاس عليها أو غير هذا من الصّوراف التي صار يُحتج بها لإسقاط السنّة النبويّة ككلّ.

03- تفسير الصحابة ﷺ: اهتمّ الصحابة ﷺ بتوظيف أوجه تفسير القرآن بالقرآن بناء على ما فهموه من كلام الله ﷻ ومن تعليم النبي ﷺ لهم، وقد كثر التقل عنهم في هذا الباب.

04- تفسير التابعين وأتباعهم: كان من منهج التابعين وأتباعهم في تفسيرهم لكتاب الله، أن يفسروا القرآن بالقرآن، والمتأمل في كتب التفسير التي وصلت إلينا، لا يُعجزه أن يجد الكثير من أقوال التابعين وأتباعهم ﷺ، والتي قالوها بطريق الرأي والاجتهاد المنضبط.

05- كتب التفسير: كتب التفسير غنيّة بتفسير القرآن بالقرآن، فلا يخلو تفسير معتبر من هذا النوع، نقلاً أو رأياً واجتهاداً، بل وجدت تفاسير غُنيّت بتفسير القرآن بالقرآن كتفسير "مفتاح الغيب في تفسير الذكر بالآثار والذكر" للأمير الصنعاني (توفي: 1181هـ)، و"فتح الرحمن في تفسير القرآن بالقرآن" لإبراهيم ابن الأمير الصنعاني (توفي: 1213هـ)، و"أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن" لحمد الأمين الشنقيطي (توفي: 1393هـ)، و"تفسير القرآن بالقرآن" لطله جابر العلواني، وغيرها.

المسألة الرابعة: أوجه تفسير القرآن بالقرآن:

01- ردّ المتشابه إلى المحكم: تنقسم آيات القرآن إلى آيات محكمة ومتشابهة، وتعتبر الآيات المحكّمة هي الأساس والمرجع للآيات القرآنيّة، ولا بُدّ من إرجاع الآيات المتشابهة إليها لكي يتّضح معناها، أو يتعيّن أحد احتمالاتها، ومثال المحكم قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: 43]، وأمّا المتشابه « فيجب ردّ المتشابهات في الذات والصفّات إلى محكم ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: 11]، وردّ المتشابهات في الأفعال إلى قوله: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ﴾ [الأنعام: 149]، وكذلك الآيات الموهمة بنسبة الأفعال لغير الله تعالى من الشيطان والنفس تردّ إلى محكم قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ، يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: 125] ¹، وهذا الرّدّ للمحكم هو عند العلواني يقف حاجزاً أمام فهم القرآن، ويجب مراجعته، فللعلواني موقف خاصّ به - سيناقله الباحث - مفاده أن لا متشابه - بالمعنى المتعارف به عند العلماء - في القرآن الكريم !

02- تفسير المُجمل بالمُبيّن: وردت بعض الآيات في القرآن الكريم مجملّة، فيما جاء بيان موضوعها بصورة مفصّلة في مكانٍ آخر، فالآيات الثّانية تُفسّر الآيات الأولى، وقد لا يُفهم المعنى

1 السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مرجع سبق ذكره، ج2، ص: 71.

والمراد من الآيات المجملة ولا يكون التفسير صحيحاً دون الرجوع إلى الآيات المبينة، وهذا البيان نوعان: البيان المتصل؛ ومن الأمثلة عليه: قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: 187]، فقوله تعالى ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ بيان للخيط الأبيض، والبيان المنفصل؛ ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرِ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ [المائدة: 01] فقوله: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ مجمل، وبينه وتلك بقوله ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنَازِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفَقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذُبَحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْوَاجِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾ [المائدة: 03].¹

03- تفسير المُبهم بالواضح: المُبهم هو «كل ما ورد في القرآن غير مسمّى باسمه الذي يُعرف به، من إنسان أو غيره»²، والأصل أنّ ما أُبهم في القرآن فلا طائل من معرفته، ومعرفته موقوفة على النقل ولا مجال للرأي فيه، قال ابن تيمية بعد ذكر الآيات في أصحاب الكهف: «إلى غير ذلك مما أبهمه الله تعالى في القرآن، ممّا لا فائدة من تعيينه تعود على المكلفين في دينهم ودنياهم، ثمّ أرشد إلى أنّ الاطلاع على عدّتهم لا طائل تحته ...»³، فهذه الأمور طريق العلم بها النقل، فما كان منقولاً نقلاً صحيحاً عن النبي ﷺ كاسم صاحب موسى أنّه الخضر فهذا معلوم، وما لم يكن كذلك، بل كان ممّا يُؤخذ من أهل الكتاب، فهذا لا يجوز تصديقه ولا تكذيبه إلّا بحجّة⁴، يشير إلى قوله ﷺ: «إذا حدّثكم أهل الكتاب، فلا تصدّقوهم، ولا تكذبوهم»⁵.

1 للمزيد ينظر: ملفي بن ناعم الصّاعدي، ما اتصل به بيانه من القرآن الكريم، (بحث منشور، مجلّة الجامعة الإسلامية، 1428 هـ)، العدد: 131. <https://belief.univeyes.net/academy/quraan>.

2 محمد علي التّهانوي، موسوعة كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحروج، (ط01، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، 1996م)، ج02، ص: 1433.

3 ابن تيمية، مقدّمة في أصول التفسير، مرجع سبق ذكره، ص: 100 - 102.

4 المرجع السابق، ص: 65 - 66.

5 أخرجه أحمد في المسند، (4/ 136). وأبو داود في كتاب العلم، باب رواية حديث أهل الكتاب، برقم: (3644)، (4/ 59-60). وغيرهم من طريق الزهري عن ابن أبي ثملة عن أبيه ﷺ به، وابن أبي ثملة مجهول لم يوثقه غير ابن حبان، وقال الزيلعي في تخرّيج الكشاف، (3/ 47): فيه غلّة بن أبي ثملة قال ابن قطّان مجهول الحال وله سند آخر، وقال ابن مفلح في الآداب الشّرعية، (1/ 52): إسناده جيد، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة، (6/ 712): إسناده ثقات رجال الشّيوخين غير ابن أبي ثملة يقولون صدوق يُحسّنون أو يُجوّدون حديثه، وأخرجه البخاري في صحيحه بلفظ: "لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم" وقالوا: ﴿إِنَّمَا إِلَهُ الْإِنسَانِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ الآية، كتاب التفسير، باب (11)، برقم: (4485).

ويرى الباحث أنه ينبغي الموازنة بين ظاهر القرآن باعتباره واضحاً، وباطنه باعتباره مُبهماً، «والظاهر كل ما كان من المعاني العربية التي لا يبنى فهم القرآن الكريم إلا عليها، والباطن كل ما كان من المعاني التي تقتضي تحقيق المخاطب بوصف العبودية والإقرار بالربوبية»¹، فالمراد بالظاهر هو المفهوم العربي، والباطن هو مراد الله تعالى من كلامه وخطابه، أما السعي لإثبات أمر زائد على ما كان معلوماً عند الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم، فهذا لا بد له من دليل قطعي يثبت، ومن الأمثلة على هذا أثر ابن عباس رضي الله عنه: «كان عمر يُدخِلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد في نفسه، فقال: لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟! فقال عمر: إنه من قد علمتم، فدعاه ذات يوم فأدخله معهم، فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليربهم، قال: ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: 01]، فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نُصرنا وفتُح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال لي: أكذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه له، قال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: 01]، وذلك علامة أهلك، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً﴾ [النصر: 02]، فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول»²، فظاهر سورة النصر الواضح؛ أن الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يسبح بحمد ربه ويستغفره إذا نصره الله وفتح عليه، وباطنها المبهمة أن الله عز وجل نعى إليه نفسه.

04- تفسير العام بالخاص: جاءت ألفاظ بعض الآيات على جهة العموم والشمول لأفراد كثيرين، وذلك باستعمال بعض ألفاظ العموم، مثل كل، في حين خصصت آيات أخرى هذا العموم، وبما أن تفسير القرآن هو تعيين المراد الإلهي وتوضيح الآية بصورة كاملة، فإن هذا لا يحصل إلا بوضع الخاص بجانب العام، وبعبارة أوضح؛ إن الآيات المخصصة تُفسر وتبين العموم في الآيات الأخرى.

05- تفسير المطلق بالمقيّد: جاءت بعض الآيات بصورة مطلقة بدون قيد في حين ذكرت آيات أخرى مقيّدة ببعض القيود؛ فتفسير الآيات المطلقة بدون النظر في الآيات المقيّدة غير صحيح ولا يكشف عن مراد المتكلم عز وجل، فالآيات المقيّدة مفسّرة للآيات المطلقة.

06- تفسير المنسوخ بالناسخ: قد جاءت بعض الآيات لتبين بعض الأحكام ثم أنزلت آيات أخرى ونسخت الآيات السابقة وشرّعت أحكاماً جديدة. وثمة اختلاف بين المختصين في علوم

1 الشّاطبي، الموافقات، مرجع سبق ذكره، ج 03، ص: 388 - 390.

2 أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً﴾ [النصر: 02]، برقم: (4970).

القرآن في عدد الآيات المنسوخ، والقاعدة أنّ النسخ لا يثبت مع الاحتمال¹، بل لابدّ من دليل صحيح يدلّ عليه دلالة قطعية، وعلى المفسّر حين يشرع في تفسير الآية أن يأخذ بعين الاعتبار الآيات النّاسخة والمنسوخة، وإلاّ سيكون تفسيره تفسيراً ناقصاً أو خاطئاً. وسيأتي مناقشة موقف طه جابر العلواني الذي ينكر فيه وجود النسخ في القرآن الكريم.

07- الجمع بين القراءات: القراءات التي استقرّ عليها زماننا إمّا أن تكون متواترة أو آحاداً أو مشهورة أو شاذّة، والقراءة الشاذّة تمّ التوسّع فيها إلى المنسوخ في العرصة الأخيرة، والقراءات التفسيرية، والقراءات الموضوعية، وغيرها، و « يقرّر أئمة القراءات والتفسير واللغة وعلوم القرآن أنّ القراءات المتواترة ليست وحدها حجّة في العربيّة بل إنّ القراءات الشاذّة كذلك، بل إنّ بعض العلماء ذهب إلى ما هو أبعد من هذا، فقرّر أنّ القراءات الشاذّة يمكن أن تُفيد منها في الأحكام بل في العقائد كذلك ! »²، وإذا كان الشاذّ مأخوذاً من قولهم: شَذَّ يَشُدُّ وَيَشُدُّ شَذْوذاً: إذا انفرد عن القوم واعتزل جماعتهم، وكفى بهذه التسمية تنبيهاً على انفراد الشاذّ وخروجه عما عليه الجمهور، والذي لم يزل عليه الأئمة الكبار القدوة في جميع الأمصار من الفقهاء والمحدثين وأئمة العربيّة -توقير القرآن، واجتناب الشاذّ واتباع القراءة المشهورة، ولزوم الطّرق المعروفة في الصلّاة وغيرها³، فكيف يُصار إلى القول بالأخذ بها في التفسير؟! وحتى لو كان الخلاف في حكم الاحتجاج بالقراءة الشاذّة قائماً موجوداً، فإنّ الذي يكاد يكون مُجمعاً عليه هو أنّها ليست بحجّة ولا يصحّ الاعتماد عليها، « والمتدبّر للقراءات القرآنيّة الصّحيحة، يجد أنّ هناك كثيراً من المواطن التي فسّرت فيها قراءة قراءه أخرى »⁴.

08- النظر في المناسبات: وهذا وجه هامّ من أوجه تفسير القرآن بالقرآن، فمثلاً كثيراً ما تُختّم

1 ابن القيم، إعلام الموقعين عن ربّ العالمين، مرجع سبق ذكره، ج3، ص: 38.

2 محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: فؤاد أحمد زملي، (ط01، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1415 هـ - 1995 م)، ج01، ص: 380. القراءة الشاذّة التي صحّ سندها، ووافقت العربيّة، وخالفت المصحف، ولكن لم تبلغ حدّ التواتر، قال ابن عبد البرّ (توفي: 463 هـ) عن جواز الاحتجاج بها: وهذا جائز عند جمهور العلماء، وهو عندهم يجري مجرى خبر الواحد في الاحتجاج. ينظر: ابن عبد البرّ، الاستدكار، تحقيق: سالم محمد عطا ومحمد علي معوض، (ط01، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1421 هـ - 2000 م)، ج03، ص: 350.

3 عليّ بن محمد السخاوي، جمال القراء وإكمال الإقراء، تحقيق: عليّ حسين البوّاب، (ط01، مطبعة المدنيّ، القاهرة، مصر، 1408 هـ - 1987 م)، ج01، ص: 234 - 235.

4 فضل حسن عباس، التفسير أساسياته واتّجاهاته، (ط01، مكتبة دنديس، عمّان الأردن، 1426 هـ - 2005 م)، ص: 130.

الآيات القرآنية ببعض الأسماء الحسنى للتدليل على أنّ الحكم المذكور له تعلّق بذلك الاسم الكريم، قال ابن القيم (توفي: 751هـ): « وفي هذ أظهر الدّالة على أنّ أسماء الرّبّ تعالى مُشتقة من أوصافٍ ومعانٍ قامت به، وأنّ كلّ اسم يُناسب ما ذكر معه، واقترن به، من فعله وأمره ».¹

09- تفسير القرآن بحسب مقاصده: وذلك بالعودة إلى النّصّ القرآنيّ نفسه لتحديد قصد المولى ﷻ، لأنّ القصد أمر ذاتيّ يكمن في البنية الدّاخلية الدّاتية للنّصّ، والمقصد التّام لجميع الكتب السّماوية وفي طليعتها القرآن الكريم؛ يتمثّل في تعريف الخلق بالحقّ تبارك وتعالى وبما له من الأسماء والصفّات، ثمّ دعوتهم إلى عبادته وحده ﷻ ونبذ ما سواه، فمنهجية تفسير القرآن بحسب مقاصده وبيانه على نحو تفصيلي، وتستند إلى أمر قرّرت الآيات القرآنية والأخبار النبوية، ورسم معالمه علماء أختيار من لدن الصّحابة الكرام ﷺ، لذا لا بدّ للمفسّر أن يدور في عمله حولها وحول ما يرتبط بها، وإلاّ فإنّ العزوف عن هذا المسار والبعد عنه سيكلّف الأمة حرماناً كبيراً من عطاءات القرآن الكريم، وعملية تحديد مقاصد القرآن قائمة على العودة إلى القرآن نفسه، للكشف عنها وبيانها وشرحها، وإمالة اللّثام عمّا يكتنف المعاني من غموض والتباس عند المتلقّي. يقول ابن عاشور (توفي: 1393هـ): « إنّ معاني القرآن ومقاصده ذات أفانين كثيرة بعيدة المدى مترامية الأطراف موزعة على آياته، فالأحكام مبيّنة في آيات الأحكام، والآداب في آياتها، والقصص في مواقعها، وربّما اشتملت الآية الواحدة على فنين من ذلك أو أكثر ».²

المطلب الثاني: بين التفسير الموضوعي وتفسير القرآن بالقرآن:

لكشف علاقة التفسير الموضوعي بتفسير القرآن بالقرآن يرى الباحث أنّه يجب تحديد ما يجمع بينهما من تشابه، وما يُفرّق بينهما من اختلاف، وبذلك لا يتمّ الخلط بينهما أو اعتبار أنّ التفسير الموضوعي لا يخرج عن تفسير القرآن بالقرآن.

أولاً: أوجه التشابه بين التفسير الموضوعي وتفسير القرآن بالقرآن: ذكر في بعض التعريفات أنّ التفسير الموضوعي هو جمع ما تكرر في القرآن الكريم في موضوع واحد أو هو تفسير القرآن بالقرآن، ولعلّ سبب هذا التعريف نابع من أوجه التشابه الآتية:

01- التشابه في الشّكل: تفسير القرآن بالقرآن يتحقّق منه البيان عن شيء في الآية بآية

1 ابن القيم، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، (ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، د.س. ط)، ج01، ص: 46. والأمثلة على ما قاله ابن القيم كثيرة في القرآن الكريم فهي بعدد الآيات التي تنتهي بذكر اسم من أسماء الله تعالى. للمزيد ينظر: السيوطي، البرهان في علوم القرآن، مرجع سبق ذكره، ج01، ص: 79 - 81.

2 محمّد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سبق ذكره، ج01، ص: 09.

أخرى، أو ربط آية بآية أخرى بوجه من أوجه الرّبط كالمعنى (الموضوع) واللفظ (المصطلح) والأسلوب (السّورة)، وسبب الرّبط هي إرادة البيان كما لا يخفى، ومجالات البيان انحصرت في الموضوع والمصطلح والسّورة على ما سبق ذكره، فالشكل مُتجسّد في البيان، والرّبط، والموضوع، والمصطلح، والسّورة، وهي جميعها صور تُلاحَظ في تفسير القرآن بالقرآن كما في التفسير الموضوعي.

02- طريقة الوصول إليهما: تفسير القرآن بالقرآن إمّا أن يكون طريقه النّقل فيسمّى تفسيراً بالمأثور؛ وهذا سبق بيان حجّيته وقبوله، وإمّا الاستدلال فيسمّى تفسيراً بالرّأي والاجتهاد ويُنسب إلى القائل به؛ فالمفسّر المجتهد هو الذي بيّن آية بآية أخرى، أو ربط آية بآية أخرى؛ وجعل إحداها تفسيراً للأخرى برأيه واجتهاده، وعليه لا يُمكن في هذه الحالة قبول كلّ ما يسمّى تفسيراً للقرآن بالقرآن، وإمّا يُنظر إلى طريقته -رواية أو دراية-؛ وإلى طريق وصوله إلينا -منقول أو اجتهاد المفسّر-، وهذا حدّ مشترك مع التفسير الموضوعي من وجهين:

الوجه الأوّل: ما يكون من قبيل استعمال المفسّر لنقلٍ صحيحٍ فهذا مقبول، سواء كان تفسيراً للقرآن بالقرآن -كتفسير الطّارق بالنّجم الثّاقب- أو بغيره من السنّة النبويّة وما سواها، وما يكون من قبيل الرّأي والاجتهاد؛ فإن كان محموداً يُنظر فيه؛ وإن كان مذموماً يُطرح ويُردّ.

الوجه الثّاني: ما يكون من قبيل استعمال المفسّر لتفسير القرآن بالقرآن، فالمعتبر هو طريقه وتطبيقه ليُقبل؛ أو يُنظر فيه، أو يُردّ ويُهجر.

03- تفسير القرآن بحسب مقاصده: تفسير القرآن بالقرآن قائم على العودة إلى النّصّ القرآنيّ نفسه لتحديد مقاصد المولى ﷻ، لأنّ المقصد أمر ذاتيّ يكمن في البنية الدّاخلية الدّاتية للنّصّ، فكلّ مُتكلّم مقاصد يراها مهما كثر أو طال كلامه، والقرآن الكريم أولى برعاية مقاصد من تكلم به، والتفسير الموضوعي علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر، فكلاهما يراعي المقاصد القرآنية فينطلق منها ليصل إليها.

04- درجة الأهميّة عند العلماء: إنّ عبارات الثّناء لتفسير القرآن بالقرآن مبثوثة منشورة في كتب العلماء؛ منها قولهم: هو أحسن طرق التفسير¹، أو أصحّ التفسير تفسير القرآن بالقرآن²، أو

1 ابن تيمية، مقدّمة في أصول التفسير، مرجع سبق ذكره، ص: 93.

2 محمّد بن إبراهيم بن الوزير، إيثار الحقّ على الخلق في ردّ الخلافات إلى المذهب الحقّ من أصول التّوحيد، دراسة وتحقيق: عبد الله بن محمّد بن عبد الحميد، (ط02، دار الصّميعي للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربيّة السّعودية، 1437هـ - 2016م)، ج 01، ص: 119.

من أبلغ التفسير¹، أو أولى التفسير²، أو أشرف أنواع التفسير³، أو خير ما يُفسَّر به القرآن⁴، وغيرها من العبارات، وقد نقل الشنقيطي في مقدّمة تفسيره الإجماع على رفعة وعُلُو شأن تفسير القرآن بالقرآن.

ويُقابل ما سبق ذكره عن تفسير القرآن بالقرآن؛ ثناءات العلماء والباحثين المعاصرين على التفسير الموضوعي؛ كقولهم: «ولاشك بأنّ هذا المنهج وكما أكدّ ذلك رواه المتقدمون من أصحاب الطرق، وأنفع المناهج وأدقّها في التفسير، والتي لا ترقى إلى تجلية الموضوعات القرآنية في وحدة جامعة مانعة وعميقة أيّ طريقة أخرى مثلها، إذا ما استهدى المفسّر بالأصول، وتمسّك بالقواعد والضوابط الأصولية الصّحيحة»⁵، وهذا اللون من الدّراسات القرآنيّة جدُّ نافع، وخاصّة في عصرنا، ولا يُغني عن وجود التفسير الكاملة للقرآن كلّ على النسق المألوف؛ وذلك لأنّ التّوقّر على موضوع واحد معيّن، وتتبع موارده ومآخذه في القرآن الكريم كلّ، مكّيّه ومدنيّه، لتجلية جوانبه كلّها، يُهيئ له من العناية والبيان والدّراسة، ما لا يتهيأ له لو دُرِس أثناء التفسير الكلّي العام⁶، ولا ريب أنّ الدّراسات القرآنيّة تحتاج إلى هذا النسق الآخر، بل يرى البعض أنّ المستقبل لها⁷، فهو -التفسير الموضوعي- يُظهر لنا حقائق قرآنيّة وسنن إلهية في الكون والحياة والعلوم والمعارف ما كان للإنسان أن يقف عليها بدون هذا اللون من التفسير⁸، ولذلك يحتاج النّاس إلى معرفة هديه -القرآن الكريم- غاية الاحتياج، وإلى فهم ما حواه من شمول موضوعي بالغ غاية الكمال؛ وإلى إدراك ما يُقدّمه لهم من حلول لمشكلاتهم النفسيّة والاجتماعيّة، ومعضلاتهم الأخلاقية والاقتصادية، ولا يتحقّق ذلك إلّا بدراسات علميّة جادّة

1 ابن قيم الجوزية، التّبيان في أقسام القرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 278.

2 محمّد بن الموصليّ، مختصر الصّواعق المرسلة على الجهميّة والمعطلّة، تحقيق: الحسن بن علي عبد الرحمن العلوي، (ط01، مكتبة أضواء السلف، الرّياض، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1425هـ)، ج03، ص: 102.

3 محمّد الأمين الشنقيطيّ، أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ج01، ص: 08.

4 محمّد الأمين الشنقيطيّ، دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، (ط01، دار عالم الفوائد للنشر والتّوزيع، مكّة المكرّمة، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1426هـ)، ص: 141.

5 خليل رجب الكبيسي، مناهج المفسّرين، (ط02، مركز عبادي للدّراسات والنّشر، صنعاء، اليمن، 1422هـ - 2002م)، ص: 121.

6 القرضاوي، الصّبر في القرآن الكريم، (ط03، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، 1410هـ - 1989م)، ص: 05.

7 محمّد الغزالي، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم الأجزاء العشرة الأولى، (ط02، دار الشّروق، القاهرة، مصر، 1412هـ - 1992م)، ص: 06.

8 مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، مصدر سبق ذكره، ص: 31.

لموضوعات القرآن الكريم¹، وإذا كانت هذه الطريقة التي رسمناها تجود على الناس بتلك الثمرات الطيبة وتقيهم سوء الظن بكتاب الله وتشريعه، فإنّها تضع المفسّر أمام الموضوع الذي يريد أن يُعالجه وجهاً لوجه، وتُلقيه في البيئة الخاصّة به من الآيات، فيستعين ببعضها على تفسير بعض، وإنّ أقوم تفسير للقرآن هو ما استقاه المفسّر من القرآن نفسه²، ولا ريب أنّ هذه الطريقة في الأبحاث القرآنية فيها الدّواء من الأسقام التّفسيّة والجسميّة، وفيها العلاج لكلّ مشاكل حياتنا السّياسيّة والاجتماعيّة³، وإنّه بالتفسير الموضوعي يظهر لون جديد من ألوان إعجاز القرآن الكريم⁴، وإنّ التفسير الموضوعي هو الذي يتناسب مع مقاصد القرآن وأوليّاته، ومُنطلقاته الأساسيّة، ويخدمها، ويحسن عرضها والدّعوة إليها.⁵

ومع كلّ هذه الإشادة التي نالها التفسير الموضوعي؛ فإنّ آراء الباحثين تكاد تكون مُجمعة على أنّه لا ينبغي أن نخطو الخطوة الثّانية بمعزل عن الخطوة الأولى، فمن أخطأ البدايات حُرّم النهايات، ويجب على من رام قطف ثمار التفسير الموضوعي أن يتزوّد بغرس ونتاج التفسير التحليلي الموضوعي.

05- تفسير القرآن بالقرآن منهج شامل: ومن هنا فهو ينسجم مع جميع الاتجاهات

التفسيرية، وهذا الانسجام يعتمد على درجة تعاطيها معه وتطبيقها له شدّة وضعفاً، وقد يوجد من لا يلجأ إلى القرآن عند إرادة إيضاحه وتفسيره لقصور فيه أو تقصير منه، وبالنظر لخصوصيّة التفسير الموضوعي الرّاهنة، وبذل المفسّر قصارى جهده لبيان معنى الآيات بالرجوع إلى آيات أخرى، وسوّق الآيات القرآنية وعرضها أو مُجابهتها ومُقابلتها بعضها على بعض، أو الرّبط بينها، سنُدرِك أهميّة هذا اللون من التفسير؛ لاعتماده بشكل كبير على تفسير القرآن بالقرآن، فتزداد عنايتنا به، وتتعاقد جهودنا لخدمته، بوصفه منهجاً واضح المعالم، فنُكفي بذلك الوقوف عند كثير من مشكل القرآن أو مواطن الخلاف بين علماء الأُمَّة في تفسير آياته، لورود ما يُوضّح المراد ويشفي العليل ويروي الغليل

1 عبد الستار فتح الله سعيد، المدخل إلى التفسير الموضوعي، مصدر سبق ذكره، ص: 42.

2 محمود شلتوت، القرآن والقتال، (ط02، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1403هـ - 1983م)، ص: 33.

3 أحمد السيّد الكومي ومحمّد أحمد يوسف القاسم، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، (ط01، دار البيان للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1402هـ - 1982م)، ص: 18 - 19.

4 عبد الحيّ الفرماوي، البداية في التفسير الموضوعي، ط02، مكتبة جمهورية مصر، القاهرة، مصر، 1404هـ - 1984م)، ص: 68 - 70.

5 صلاح عبد الفتاح الخالدي، التفسير الموضوعي بين النّظرية والتّطبيق، ص: 50.

بالقرآن نفسه.¹

06- كون الموضوع قرآنياً: إنّ تفسير القرآن بالقرآن -وهو لبّ التفسير الموضوعي وعماده- موجود منذ نزول القرآن الكريم، وقد اعتمد بصفة كبيرة من العلماء والمفسرين لتفسير القرآن الكريم، ولإبراز أوجه الإعجاز فيه، وعليه وُجدَ للتفسير الموضوعي بمنهجه الحديث أصلٌ قويّ ينطلق منه، ولم يكن بدعاً من التفاسير أو دخيلاً، ثمّ إنّ استمداد جميع أنواع التفسير الموضوعي من القرآن الكريم لا غير، واهتماماتها محصورة بمضامين وموضوعات قرآنية، ولم تبحث لها عن موارد أخرى تستقي منها ميادين بحثها وموضوعاتها، فكانت قرآنية خالصةً من حيث تناولها للآيات والصور القرآنية بحثاً ودراسة وإحاطةً.

07- الرّدّ على أهل الأهواء والشُّبه قديماً وحديثاً: إنّ تفسير القرآن بالقرآن أو توظيف التفسير الموضوعي الذي يعتمد على الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، أو يجمع شتات الموضوع أو المصطلح الواحد ويُحيط بجميع أطرافه، من خلال جمع الآيات المتناثرة ذات الموضوع والهدف الواحد في مكان واحد ثمّ دراستها دراسة متكاملة وعميقة، وإزالة كلّ ما يُوهم التعارض بينها، وتوجيه ذلك توجيهها سليماً، وتقديم الحلول لمشكلات المسلمين المعاصرة على أسس حثّ القرآن الكريم عليها وبيّنها، فيكون ذلك ردّاً قوياً بالقرآن الكريم نفسه أو بموضوعاته على الآخرين.

08- تعميق البحث: إنّ تفسير القرآن بالقرآن أو تخصيص موضوع أو مصطلح أو سورة بالبحث والدراسة من خلال تقصي كلّ الآيات وجمعها، ودراسة مكّيها ومدنيّتها، وما يتعلّق بها من أسباب نزول ونسخ وغيرها، وبيان بعضها ببعض، يُجلّي مختلف آيات وأبعاد الموضوع أو المصطلح أو السورة المدروسة، ومع تلك النظرة الكلية لقضايا القرآن الكريم، والتي تُتيح نوعاً من الرّبط والعمق والشمولية، لا يمكن الحصول عليهما بالأسلوب التحليلي المعهود في كتب التفسير السابقة، يُدرك المفسّر ما بين آيات وسور وموضوعات القرآن من انسجام وتناغم، ويرتقي بمستوى التفكير العلمي الموضوعي والقرآني؛ بطريقة سهلة التناول، واضحة المعالم، ذات منطلقات قرآنية وبأبعاد واقعية.

ثانياً: أوجه الاختلاف بين التفسير الموضوعي وتفسير القرآن بالقرآن: وجود تشابه بين تفسير القرآن بالقرآن مع التفسير الموضوعي لا يجعلهما شيئاً واحداً، ولا ينفي وجود أوجه اختلاف بينهما، اختلاف تُبرزه النقاط التالية:

01- من حيث المكانة والتعريف: تفسير القرآن بالقرآن جزء ومصدر من مصادر التفسير

1 ينظر: سامر رشواني، منهج، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، مرجع سبق ذكره، ص: 76 - 77.

الأولى، وبالإجماع هو أحسنها وأفضلها، ويُذكر مع السّنة النبويّة، وأقوال السّلف، واللّغة العربيّة، والرّأي والاجتهاد، له أصل في القرآن نفسه، وأوّل من عمل به هو رسول الله ﷺ، واهتمّ به الصّحابة والتّابعين وأتباعهم ﷺ، كما اهتمّ به العلماء والمفسّرون من الأسبقين والمعاصرين، فالناظر في تفاسيرهم يجد تفسير القرآن بالقرآن واضحاً ظاهراً، مُقدِّماً غير مُؤخّر، حتّى جعلوه الأوّل ضمن مصادر التّفسير، واعتبروه أولى جوانب التّرجيح بين الأقوال المختلفة في التّفسير وأقواها، فالقول الذي تُؤيّد آيات القرآن مُقدّم على ما عُدّمت فيه، وتقديمه لا يعني إلغاء بقية المصادر والطّرق، بل هو الأوّل كالمقدمة على غيره، في حين أنّ التّفسير الموضوعي بمنهجه العصريّ نوع من أنواع التّفسير وليس مصدراً للتّفسير، ويُذكر مع التّفسير التحليلي والإجمالي والمقارن كنوع رابع أخير المنشأ والظهور، تطبيقاته حديثة، ولم يحض بنفس الإجماع في كونه الأحسن والأفضل.

وتفسير القرآن بالقرآن جزء من القرآن لم يقدّمون بتعريفه لأنّه مرتبط بمصطلح التّفسير الكلّي، فمتى ذُكر التّفسير ذُكر تفسير القرآن بالقرآن، ويُعرّفه المتأخرون على أنّه بيان عن معنى آية بآية أخرى، وربط آية بآية أخرى لوجود رابط بينهما في المعنى أو في اللفظ أو في الأسلوب أو للاستدلال، ويُعرّف المعاصرون التّفسير الموضوعي على أنّه علم يبحث في لفظة أو موضوع معيّن من الألفاظ أو الموضوعات التي عاجلها القرآن الكريم من خلال النّظر بسورة أو أكثر من سورة، واختلف الباحثون في تسمية هذا التّفسير، فبعضهم يُسمّيه علماً، وآخرون يعدّونه منهجاً، بينما يُنكر بعض الباحثين أن يكون التّفسير الموضوعي منهجاً، ويراه وسيلة من وسائل التّفسير.

02- من حيث أنواع كلّ منهما: إنّ استقراء المصنّفات في التّفسير الموضوعي، والتّعرف على آراء أصحابها حول أنواع التّفسير الموضوعي، أوصل الباحث إلى إدراك وجود ما هو متّفق عليه بين العلماء والباحثين؛ على كونه من صلب التّفسير الموضوعي؛ ألا وهو دراسة قضيّة قرآنيّة في القرآن كلّها؛ سعياً نحو فهم حقيقتها، وموقف القرآن منها، ووجود خلافٍ قائم بين العلماء والباحثين حول نوعين من الدّراسات القرآنيّة؛ هما:

- دراسة الوحدة الموضوعية لسورة من سور القرآن.

- دراسة مصطلح أو لفظ قرآنيّ في القرآن.

مع التّذكير باختيار الباحث للاتّجاه الذي يرى أن التّفسير الموضوعي يشتمل على ثلاثة أنواع هي: دراسة الموضوع القرآنيّ، ودراسة المصطلح القرآنيّ، ودراسة الوحدة الموضوعية لسورة من القرآن. أمّا تفسير القرآن بالقرآن فهو إمّا بيان آية بآية أخرى، وإمّا ربط آية بآية أخرى بوجه من أوجه

الرّبط كالمعنى واللفظ والأسلوب، وغاية هذا الرّبط هي بيان المعنى.

03- من حيث المصادر ومستوى البحث: مصادر تفسير القرآن بالقرآن هي التفسير

النّبويّ، تفسير الصّحابة والتّابعين وأتباعهم، والمفسّرون إمّا ضمن تفاسيرهم؛ وإمّا بإفراده بمؤلّفات خاصّة، ويبقى البحث فيه منحصراً في الموروث، أو في الاستعانة في مرحلة من المراحل بالرّأي والاجتهاد لتفسير آية بأية أخرى، وفي كلتا الحالتين ظاهر التفسير هو تفسير القرآن بالقرآن، مع الابتعاد عن الآثار الضّعيفة، والموضوعة، والإسرائيليات.

ومستوى البحث في التفسير الموضوعي يتخطّى توظيف تفسير القرآن بالقرآن إلى مصادر وطرق أخرى؛ فتفسير القرآن بالقرآن مصدر من مصادر التفسير الموضوعي، والاعتماد على جميع المصادر الأخرى: التفسير النّبويّ، تفسير الصّحابة والتّابعين وأتباعهم، واللّغة العربيّة، وكتب التفسير، وتجارب الحياة، والنّظريات العلميّة، وهو غير مُقيّد بما نُقل في باب تفسير القرآن بالقرآن، بل كلّ تفسير نُقل عنهم مقبولٌ جائزٌ توظيفه والاستمداد منه، بشرط أن يستوفي شروط القبول والتّوافق مع الموضوع.

04- من حيث منهج التفسير وضوابطه: حتّى يصل من أراد أن يُفسّر القرآن بالقرآن إلى

تفسير صحيح، فهناك بشكل عامّ شروطاً منهجيّة لا بدّ من توفّرها؛ منها ضرورة معرفة أوجه تفسير القرآن بالقرآن، ثمّ البداية بمقابلة ما تكرر من آيات القرآن الكريم وعرضها على بعضها البعض، مع النّظر في سياق الآيات والغرض منها، ومعرفة مناسبتها ومعتمد الرّبط بينها، والاهتمام بالقراءات الثّابتة، فربّما يكون في القراءة الأخرى وجه ومن أوجه تفسير الآية وبيانها، يفعل هذا بضوابط منها عدم مخالفة السّنة النّبويّة، وعدم مخالفة إجماع السّلف، وتوظيف التفسير الصّريح للقرآن بالقرآن وجعله أولى من غير الصّريح.

أمّا فيما يخصّ الشّروط المنهجية للتفسير الموضوعي فهي تختلف من نوع لآخر؛ ومن مُفسّر لآخر، ولكن هناك - حسب الباحث - ما يمثّل حدّاً منهجياً مُشترِكاً يمكن الاعتماد والقياس عليه، وذلك من خلال السّير وفق الخطّة التّالية: اختيار الموضوع؛ أو المصطلح؛ أو السّورة، جمع الآيات الخاصّة بالنّوع المختار جمعاً إحصائياً مُستقصياً، ترتيب الآيات وتصنيفها، النّظر في أسباب النّزول وفي مناسبات الآيات وملاسلها (النّسخ، المحكم والمتشابه، العامّ والخاصّ، ... الخ)، دراسة المفردات القرآنيّة بما يخدم المعنى، دراسة الآيات القرآنيّة باعتبارها وحدة سياقية، الالتفات إلى الواقع لاستجلاء الموقف القرآنيّ منه ثمّ الاهتمام بالقرآن لإصلاحه وتغييره، فإذا سلك المفسّر هذا السّبيل لزمه التّقيّد بضوابط هامّة على رأسها الجلوس بين يدي القرآن الكريم تلميذاً يسأل؛ ويستفهم، ويستبين،

ويستعين بآياته في فهم بعضها البعض الآخر، لا أن يجعل من نفسه نِدّاً يُناقش القرآن بأفكارٍ مُسبقة، أو يأتيه وهو مُشَبَّعٌ بالرواسب الفكرية ليلوي عنق الآيات القرآنية بناءً عليها؛ لا طلباً لأن يُوافق الآيات البيّنات ويهتدي بها ! فالتفسير الموضوعي يحتاج إلى مُفسّرٍ خالٍ الذّهن، مُتَحَلٍّ بالموضوعية، ومبتعد عن الذاتية والمذهبية والطائفية؛ وعن أيّ دعوى جاهلية نتنة.

05- من حيث الأهداف والغايات: الهدف من تفسير القرآن بالقرآن هو بيان القرآن وتفصيله وإيضاحه، وربط بعضه ببعض بما يُثبت وحدته البنائية؛ وخلوّه من الاختلاف والتناقض رغم طول فترة نزوله، وتعدّد أسباب ذلك وسياقاته، وغايته ربط الأمة بكتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وفتح باب تدبّر كلام الله ﷻ، والتعمق فيه بما يُوحى للمفسّر أو للقارئ بأنّه في حوار مباشر مع خالقه وبارئه، فيقبل الرسالة، ويفهم معانيها، ويتقيّد بها، يدعو لها، وينتظر ثواب ذلك، يفعل ذلك لأنّه ردّ بيان كلام الله لكلام الله نفسه، فاطمأن القلب وخضع، واختَصِرَ بذلك طريق الهداية والرواية والدراية.

أمّا فيما يخصّ التفسير الموضوعي فالهدف يختلف من نوع إلى آخر؛ ويدور معه، وغايته هي تفعيل دور القرآن في الواقع، وإبراز الإعجاز القرآني فيه، فالهدف من دراسة الموضوع القرآني هو معرفة الرؤية القرآنية لقضية من القضايا، وإدراك الحقائق القرآنية المتعلقة بها، ثمّ استنباط واستخلاص حلول لها، وغايتها هي تفعيل دور القرآن في الواقع، وإبراز إعجازه وقدرته على معالجة القضايا وحلّ المشكلات، والهدف من دراسة الوحدة الموضوعية للسورة هو إدراك المحور الرئيس لها، واستنباط المقاصد القرآنية منها، وغايتها هي تسهيل حفظ القرآن الكريم، وكشف إعجاز نظمته وسبكه، والهدف من دراسة المصطلح القرآني هو معرفة طريقة عرض القرآن لهذا المصطلح، والهدايات المتعلقة به، وغايتها هي الكشف عن إعجاز اللفظ القرآني ودلالاته.

06- من حيث حدود التوظيف والممارسة: حدود تفسير القرآن بالقرآن هي بيان معنى آية بآية أخرى، أو ربط آية بآية أخرى لوجود رابط بينهما في المعنى أو في اللفظ أو في الأسلوب، أو للاستشهاد والاستدلال، وهذا يختلف باختلاف نوع اتّصال الآيات وترابطها.

فالأتّصال الموضوعي المباشر بين الآية المفسّرة والآية المفسّرة داخل في تفسير القرآن بالقرآن، وهذا النوع من البيان يستدعي استحضار الضابط السياقي، ومثاله قوله تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ ۝١ مَا الْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ۝٥﴾ [القارعة: 01-05]، فقوله تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ ۝١ مَا الْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ۝٥﴾

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ۝٢﴾ هذا سؤال عن القارعة، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ۝٥﴾ وهذا جواب لسؤاله ﷻ، وهو تفسير للآيتين الأوليين من سورة القارعة.

والاتصال الموضوعي غير المباشر بين الآية المفسرة والآية المفسرة داخل في تفسير القرآن بالقرآن، وذلك بجمع الآيات التي بينها تناسب وترابط والنظر في بعضها على ضوء بعضها الآخر، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝١﴾ [الفاتحة: 04] فإنه لم يبينه هنا مع أنه وقع سؤال عنه وجواب في موضع آخر وهو قوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۝١٨ يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا ۝١٩﴾ [الانفطار: 17 - 19]، أو بالنظر في الألفاظ وترابطها بين آية وأخرى؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حَبًّا مِّن سِجِّيلٍ ۝٧٤﴾ [الحجر: 74] فالسجّيل هنا هو الطين بدليل قوله تعالى: ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حَبًّا مِّن طِينٍ ۝٣٣﴾ [الذّاريات: 33].²

والبيان بالقراءات المتواترة داخل حتماً في تفسير القرآن بالقرآن، كقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ۝١٠﴾ [البقرة: 10] فقد قرأ الكوفيون ﴿يَكْذِبُونَ﴾ بالتخفيف، وقرأ الباقون ﴿يُكْذِبُونَ﴾ بالتشديد، والقراءتان متداخلتان ترجعان إلى معنى واحد، لأنّ من كذب رسالة الرّسل وحجّة النبوة، فهو كاذب على الله، ومن كذب على الله وحده تنزيهه فهو مُكذّب بما أنزل الله.³

وكما في قوله تعالى: ﴿بِضْرَيْنِ ۝٢٤﴾ [التكوير: 24] فقرأها نافع وابن عامر وعاصم وحمة بالضاد، وقرأها الباقون [ابن كثير وأبو عمرو والكسائي] بالظاء، فإنّ الرسالة لا يتم مقصودها إلّا بأمرين: أداؤها من غير كتمان، وأداؤها على وجهها من غير زيادة ولا نقصان، فتضمّنت إحداها وهي قراءة الضاد تنزيهه ﷻ عن البخل، فإنّ الضنين هو البخيل ... وأمّا قراءة (بظنين) بالظاء، فمعناه: المتهم، والمعنى: وما هذا الرّسول ﷺ على القرآن بمتهم، بل هو أمين لا يزيد فيه ولا ينقص.⁴

فكلام الله مترابط متعاقد متناسب حتّى مع استقلال قراءة عن أخرى، وحتّى إذا ورد التعارض

1 الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ج1، ص: 16 - 17.

2 ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصدر سبق ذكره، ج14، ص: 94.

3 مكّي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق: محي الدين رمضان، (ط01، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1404هـ - 1984م)، ص: 227 - 229. بتصرف.

4 ابن القيم، بدائع التفسير، تحقيق: يسري السيّد محمد، (ط01، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1427هـ - 2007م)، ج03، ص: 263.

الظاهري بين الآيات القرآنية على العقل البشري، فالواجب هو رفع التعارض بأي وجه، ومثال هذا قوله تعالى: « وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ » [المائدة: 06] مع قراءة « وَأَرْجُلَكُمْ »: ثلاث قراءات: واحدة شاذة، واثنان متواترتان. أما الشاذة: فقراءة الرفع وهي قراءة الحسن، وأما المتواترتان: فقراءة النصب، وقراءة الخفض. أما قراءة النصب فلا إشكال فيها، وأما على قراءة الجر، فاعلم أولاً أنّ القراءتين إذا ظهر تعارضهما في آية واحدة لهما حكم الآيتين كما هو معروف عند العلماء، وإذا علمت ذلك فاعلم أنّ قراءة: « وَأَرْجُلَكُمْ » بالنصب صريح في وجوب غسل الرجلين في الوضوء، فهي تُفهم أنّ قراءة الخفض إنما هي المجاورة للمخفض، مع أنّها في الأصل منصوبة بدليل قراءة النصب، والعرب تخفض الكلمة لمجاوزتها للمخفض، مع أنّ إعرابها النصب أو الرفع. وقال بعض العلماء: المراد بقراءة الجر: المسح، ولكنّ النبي ﷺ بيّن أنّ ذلك المسح لا يكون إلا على الخفّ¹.

بينما حدود التفسير الموضوعي هي دراسة الموضوع القرآني، أو دراسة الوحدة الموضوعية لسورة من السور، أو دراسة مصطلح قرآني في القرآن، والثلاثة أنواع يُوظف فيها تفسير القرآن بالقرآن ويمارس بجميع حدود ممارسته.

وتفسير القرآن بالقرآن استعمل بتوسّع في تطبيقاته مع ظهور التفسير، فهما قرينان تلازما نشأة وتطوراً، ويبرز هذا من خلال استقرار مختلف المؤلفات من كتب الحديث والسيرة كحديث تفسير الظلم وغيره، وكتب التفسير الطبري (توفي: 310هـ)، وتفسير البغوي (توفي: 516هـ)، وتفسير ابن كثير (توفي: 773هـ)، وكتب علوم القرآن كمقدمة في أصول التفسير لابن تيمية (توفي: 728هـ).

أما عناية العلماء والباحثين باستعمال التفسير الموضوعي والتأصيل له فهي حديثة معاصرة، متفاوتة بين أنواعه، فقد حظي الموضوع القرآني باهتمام الدارسين بل صار يُحْيَلُ لكثير من طلبة العلم أنّه اللون الوحيد للتفسير الموضوعي، أما اللون الآخران - السورة والمصطلح - فقد تناولهما الباحثون على استحياء بالمقارنة مع الدراسات التي حظي بها الموضوع القرآني، وهذا الجانب يُنظر إليه من زاويتين مُتعارضتين، وأولاهما بالنظر هي أنّ الله ﷻ قسم التفسير بين الأجيال والطبقات، وما يزال كلّ جيل يُعرض عن جانب من الجوانب، ليس تقصيراً ولكنّ فضل الله يُؤتيه من يشاء والله ذو الفصل العظيم، ورزق الفهم فجعلها مُتفاوتة، وكلّ جيل مُيسّر لما خُلق له، فعلى الدارسين المعاصرين ومن بعدهم؛ تقع مسؤولية إنجاز دراسات موضوعية للسورة وللمصطلح، فإنّه لكلّ جيل حظه وقسمته من خدمة كتاب الله ﷻ.

1 الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ج 02، ص: 11 - 20.

07- من حيث مساحة الاجتهاد: إنّ أصحّ ربط تفسيريّ بين آيات القرآن الكريم، هو الربط المنقول عن رسول الله ﷺ، أمّا ما سواه من ربط، فإنّ تقيّمه يكون بناء على ملاحظة مدى قربه أو بعده المنهجية من ذلك البيان النبويّ، لذا فإنّ حُجّة قبول تفسير القرآن بالقرآن من جهتي الرواية والدراية تتوقف على مدى توفرّ سائر مقومات قبوله؛ فالرواية تعتمد على الدليل المنقول عمّن يُحتجّ بكلامهم، ولا مجال للعقل فيها، وشرط حُجّيتها هو صحّة النصّ المنقول.

أمّا الدراية فهي جهد بشريّ يعتمد على ما يُنتجه العقل الصحيح بناء على نصّ صريح بقصد مליح وبلطف فصيح، وهذا من خلال الالتزام بالضوابط التي تضمن عدم الخروج عن المعاني التي يقبلها النصّ القرآنيّ، وموافقة مراد الله ﷻ ما أمكن، مع ضمان جانب التيسير على الأمة، والتّمكن من استيعاب كلام الله تمهيداً للاهتمام به، ومساحة اجتهاد المفسّر محدودة بمعايير وضابطين عامّين، وهما أنّ « كلّ لفظ احتمل معنيين فصاعداً فهو الذي لا يجوز لغير العلماء الاجتهاد فيه اعتماداً على الدلائل والشواهد دون مجرّد الرأي. وكلّ لفظ أفاد معنى واحداً جليّاً يُعلم أنّه مراد الله تعالى؛ فهذا القسم لا يلتبس تأويله »¹، أي لا يلتبس على كلّ من له علم باللغة العربية عامّة، وبعلم التفسير خاصّة، وفي الحالتين الاجتهاد باقٍ على أصله، ومنوط بأهله، أمّا عموم الناس فيبقى الأصل هو قوله ﷺ: « مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ، فَلْيَتَّبِعْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ ». ² قال ابن تيمية (توفي: 728هـ): فمن قال في القرآن برأيه، فقد تكلف ما لا علم له به، وسلك غير ما أمر به، فلو أنّه أصاب المعنى في نفس الأمر، لكان قد أخطأ، لأنّه لم يأت الأمر من بابه، كمن حكم بين الناس على جهل فهو في النار، وإن وافق حكمه الصواب.³

أمّا فيما يخصّ التفسير الموضوعيّ، فإنّ مساحة الاجتهاد فيه تختلف باختلاف نوعه؛ فعند دراسة الموضوع القرآنيّ المساحة ضيّقة، لانضباط معظم خطوات البحث واتّفاق العلماء على جلّها أو شطرها، أمّا عند دراسة السّورة القرآنيّة فمساحة الاجتهاد فيها واسعة من باب التحفيز على النّظر

1 الزرقانيّ، مناهل العرفان في علوم القرآن، مرجع سبق ذكره، ج2، ص: 10. بتصرّف.

2 أخرجه النسائي في فضائل القرآن، (109 / 110)، والترمذي في سننه، (2951)، وأحمد في المسند، (2069)، 2429، 2976، 3025)، والطبري في تفسيره، (73 - 74 - 75 - 76 - 77)، والطحاوي في المشكل، (167 / 01 - 16)، والطبراني في الكبير، (ج11)، برقم: (12392)، وابن الأنباري في المصاحف، والبيهقي في الشعب، والخطيب في الفقه والمتفق، (57 / 01)، والبغوي في شرح السنّة، (257 / 01، 25)، وفي تفسيره، (34 / 01 - 35) من طرق عبد الأعلى بن عامر التّعليّ، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس مرفوعاً فذكره. قال الترمذي: هذا حديث حسن.

3 ابن تيمية، مجموع الفتاوى، مرجع سبق ذكره، ج13، ص: 371.

والتدبر في كتاب الله، أمّا دراسة المصطلح القرآني؛ فإنّ دورانها في فلك المعاجم وعلوم اللغة يجعل مساحة الاجتهاد فيها ضيقة محدودة.

08- من حيث التّأصيل ودرجة الحجّة: تفسير القرآن بالقرآن أحسن طرق التفسير وهو المقدّم بالإجماع وتلك مزية لا يُنازع فيها، قال ابن القيم (توفي: 751هـ): « تفسير القرآن بالقرآن بعضه ببعض هو أولى التّفسير ما وُجد إليه السّيل، ولهذا كان يعتمد الصّحابة رضي الله عنهم والتّابعون والأئمّة بعدهم ¹، وقد تكفّل الله تعالى ببيان كتابه القرآن فقال: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 187]، وقال: ﴿ثُمَّ إِنَّا عَلَيْنَا بِآيَاتِنَا﴾ [القيامة: 19]، ومن هنا قويت حجّة تفسير هذه الطّريقة المبنية على إخبار القرآن ذاته، فكيف إذا سلك القرآن سبيل بيان القرآن بالقرآن في أسلوب القرآن ذاته، ففي الآيات القرآنية وُجد: المطلق والمقيّد، والعامّ والخاصّ، والنّاسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، وغير ذلك، وفي هذا تأكيد للقرآن الكريم على شرعيّة بيان بعضه ببعضه الآخر، وأكّد هذه الشرعيّة والحجّة استعمال وتوظيف رسول الله صلى الله عليه وآله له، وعمل الصّحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم؛ بلا خلاف بينهم منقول إلينا، ولهذا وظّفه المفسّرون في مؤلّفاتهم واعتمدوا عليه، بل خصّوه بتفسير تُعنى به دون سواه قديماً وحديثاً؛ كتفسير القرآن بالقرآن لطلح جابر العلواني.

واستعمال النّبي صلى الله عليه وآله لتفسير القرآن بالقرآن أكسبه الجانب التّأصيلي وجعله منهجاً تفسيرياً، « وما كان من التّفسير ثابتاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله كان المصير إليه مُتعيّناً، وتقديمه مُتحتماً... فهو واجب التّقديم، مُتحتّم الأخذ به ²، ويدخل في هذه الأفضليّة؛ تفسير القرآن بالقرآن الثّابت عنه صلى الله عليه وآله، وما نُقل عن الصّحابة رضي الله عنهم ممّا لا مجال للرّأي فيه؛ فهذا له حكم المرفوع إلى النّبي صلى الله عليه وآله، وهو القدر المجزوم بصحّته من تفسير القرآن بالقرآن، أمّا تفسير القرآن بالقرآن الصّادر عمّن دونه صلى الله عليه وآله، فهو اجتهاد من صاحبه، وقد سار سلف الأمة من الصّحابة والتّابعين وأتباعهم رضي الله عنهم على منهج رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمثلة المنقول عنهم كثيرٌ جدّاً.

ومن أمثلة ما نُقل عن الصّحابة رضي الله عنهم تفسير قوله تعالى: ﴿فَاخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ ٢٥،

1 ينظر: مختصر الصّواعق المرسلة على الجهميّة والمعظلة لابن قيم الجوزيّة، اختصار: محمّد بن الموصليّ، تحقيق: الحسن بن عبد الرّحمن العلويّ، (ط01، مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1425هـ - 2005م)، ج03، ص: 1020.

2 الشّوكانيّ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، (د.ط، شركة دار التّوارد الكويتيّة، الكويت، 1431هـ - 2010م)، ج01، ص: 12.

[النّازعات: 25]، قال ابن عباس رضي الله عنه في تفسير الآية: «أما الأولى فحين قال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ

إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: 38]، وأما الآخرة فحين قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النّازعات: 24].¹

ومن أمثلة ما نُقل عن التابعين ما جاء عن سعيد بن جبير (توفي: 95هـ) في تفسير قوله تعالى:

﴿وَشَهِدْ وَشَهِدُوا﴾ [البروج: 03]، قال: الشّاهد: هو الله، والمشهود: نحن، بيانه: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ

حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: 79].

ومن أمثلة ما نُقل عن أتباع التابعين: ما جاء عن عبد الرحمن بن زيد (توفي: 182هـ) في تفسير

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات: 06]، قال: الكنود: الكفور، وقرأ: ﴿إِنَّ

الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾ [الحج: 66].²

أما التفسير الموضوعي فبذوره الأولى قديمة المنشأ، ولكن عناية العلماء به والتأصيل له حديث معاصر، ومع دواعي التجديد والاجتهاد وفق منظور الحاجة إلى قراءة جديدة للنص القرآني، ومع ما توفّر من حوافز ودوافع للقراءة المعاصرة، برزت عناية العلماء والباحثين بالتفسير الموضوعي تنظيراً وتطبيقاً، فترك الاجتهاد يؤدّي إلى غياب التوجيهات العلميّة السديدة للأحداث والتّوازل والموضوعات الجديدة؛ وللتطوّرات التي تطرأ على حياة النّاس؛ وإذا غابت التوجيهات لابدّ للأمة أن تُعاني من التخلّف والتأخّر، ثمّ إنّ التجديد في حقيقته وعدّ وبشارةً نبويّةً واقعة قطعاً، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: «إنّ الله يبعث لهذه الأمة على رأس كلّ مائة سنة من يجدد لها دينها»³، وقد توافرت الشّروط العلميّة والمنهجية التجديديّة في التفسير الموضوعي، وصار له حضوره ضمن الدّراسات القرآنيّة المعاصرة؛ لأنّه يمتلك مقوّمات تُؤهلّه ليكون قسماً رئيسياً من أقسام التفسير.

09- من حيث الخصائص والمميّزات: طريقة الوصول إلى تفسير القرآن بالقرآن مبنية على

عنصرين اثنين؛ الوحي والرأي والاجتهاد، وهو من اختصاص المفسرين والباحثين المختصين في علوم الشريعة عموماً، وعلوم القرآن والتفسير خصوصاً، وهو معادلة متكافئة الأطراف، يُمثّل القرآن فيها طرفي العملية التفسيرية، فالمفسّر والمفسّر فيها واحد، وصادر عن مُتكلم واحد، وبلغة ونظم واحد، وهذا ما يمنح القدرة على تقليص هامش التّأويل، وتقليل فوارق النص وتفسيره، وتأمين طرق الفهم من التحريف، مع رعاية موافقة المقاصد وتحقيقها.

1 الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصدر سبق ذكره، ج 24، ص: 203.

2 المصدر السابق، ج 24، ص: 586. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سبق ذكره، ج 14، ص: 436.

3 أخرجه أبو داود في السنن، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة، (4291) وصححه الألباني: الصحيحة (599).

في حين؛ يختصّ التفسير الموضوعي بإظهاره للحيوية الواقعية للقرآن الكريم، وبالبعد الحي المرتبط بحياة الناس ومشاكلهم، فهو أساس لتأصيل العلوم والموضوعات والمعارف الإنسانية والحضارية المختلفة، ونظراً لما يُقدّمه من رؤية قرآنية موضوعية واضحة للعلوم المعاصرة؛ ارتفعت بمستوى التفكير؛ أقبل عليه الباحثون في العصر الحديث، ومن هنا كان وسيلة دعوة وإصلاح؛ من خلال إضافة أبعاد ومعاني جديدة مُتوافقة مع المقاصد الأساسية للقرآن الكريم.

والتفسير الموضوعي لا ينطلق من لا شيء؛ بل يستفيد من التفسير الموضوعي التحليلي عموماً، ومن تفسير القرآن بالقرآن بالأخصّ، فحوى بذلك علوم وتفسير من مضي؛ وزاد عليها دلالات ومضامين للآيات القرآنية، فأصبح بذلك وسيلة علمية منهجية ترتفع بمستوى التفكير عند الباحثين، وليس عند أهل التفسير فقط، فقد استفادت منه مختلف التخصصات كعلم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم التربية، والثقافة، والحضارة، والعلوم الإنسانية، والعلوم الاقتصادية، والتخصصات العلمية والحديثة، وهذا ما أتاح فرصة إعداد دراسات قرآنية متتالية ومتكاملة، كلّما أنهى المفسّر أو الباحث موضوعاً انتقل إلى غيره، ويمكن إصدار كلّ موضوع قرآني في كتاب خاص، وهذا أدعى للإقبال عليه، وأرجى لاستيعابه بيسر.

المطلب الثالث: علم المناسبات وبيان مواقف العلماء منه

استرعى التحام موضوعات القرآن وتماسكها، وتشابك بنائها واتساق معانيها لخدمة مقصود واحد؛ اهتمام العلماء قديماً وحديثاً، فنشأ علم غني بذلك وسمّي علم المناسبات، ثمّ تجدد اهتمام العلماء والباحثين بالتناسق الموضوعي في القرآن الكريم تسديداً لعلم التفسير، وتجديداً لطرائق التعامل مع النصّ القرآني وتدبره، فساروا بخطوات ثابتة نحو نوع جديد من التفسير سُمّي بالتفسير الموضوعي، غير أنّه ساد عند بحث الباحثين؛ خلط بين علم المناسبات والتفسير الموضوعي، وجب على الباحث توضيحه لبيان جانبي التوافق والافتراق بينهما.

أولاً- تعريف علم المناسبات: علم المناسبات من العلوم التي تأخّر التصنيف فيها مقارنة بغيره من العلوم، غير أنّ مسأله ومباحثه ماثلة منتشرة في كتب المفسّرين وغيرهم، ومن الأهمية بمكان بيان مفهوم علم المناسبات في اللغة والاصطلاح.

التعريف اللغوي للمناسبة: نَسَب: التّون والسّين والباء كلمة واحدة قياسها اتّصال شيء بشيء¹،

1 ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مصدر سبق ذكره، ص: 421.

والمناسبة لغة هي المقاربة والمشاكلة¹، يُقال: بين الشيئين مناسبة وتناسب: أي مشاكلة وتشاكل، وكذا قولهم، لا نسبة بينهما، وبينهما نسبة قريبة²، وليس بينهما مناسبة أي مشاكلة³، وناسب يناسب وتناسب بمعنى الشيئين: تشاكلا، والتناسب: التشابه⁴، والمُناسب القريب وبينهما مناسبة وهذا يناسب هذا أي يُقاربه شبهاً⁵، والنسبة: إيقاع التعلّق بين الشيئين. والنسبة الثبوتية: ثبوت شيء لشيء على وجه هو هو.⁶

وعليه فإنّ المناسبة في أصلها الثلاثي تعود إلى اتّصال شيء بشيء، والمقاربة، والمشاكلة، والمماثلة، والتعلّق، ومّا هو معلوم أنّ الجذر اللّغويّ في الكلمة هو أصل مُعتبر للمعنى الاصطلاحي ومؤثّر فيه.

التعريف الاصطلاحيّ للمناسبة: لعلم المناسبات عدّة تعريفات اصطلاحية عند العلماء، وهي كلّها تعريفات مُتقاربة مُتكاملة فيما بينها، من ذلك تعريف السيوطي (توفي: 911هـ) بقوله: علم المناسبة هو ارتباط أي القرآن بعضها ببعض حتّى تكون كالكلمة الواحدة متّسقة المعاني منتظمة المباني.⁷ أو هو المعنى الذي يربط بين سوره وآياته.⁸

والبقاعي (توفي: 885هـ) عرّف المناسبة فقال: هي علم تُعرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن، وهو سرّ البلاغة.⁹ وهو نقله عن ابن الزّبير (توفي: 708هـ).¹⁰ وأجزاء القرآن تعمّ: الآية مع الآية، والحكم مع الحكم، والسّورة مع السّورة، والقصة مع القصة، وكل جزء من القرآن مع ما قارنه. وعُرفت بأنّها: «الرّابطة بين شيئين بأيّ وجه من الوجوه، وفي كتاب الله تعني ارتباط السّورة بما

1 السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مرجع سبق ذكره، ج2، ص: 139.

2 الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مرجع سبق ذكره، ج4، ص: 265. والفيروز آبادي، القاموس المحيط، مرجع سبق ذكره، ص: 137.

3 ابن منظور، لسان العرب، مصدر سبق ذكره، ج1، ص: 746. والجوهري، الصحاح تاج اللغة العربية وصحاح العربية، مرجع سبق ذكره، ص: 1133. ومحمد بن أبي بكر الرّازي، مختار الصحاح، مرجع سبق ذكره، ص: 273.

4 مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، (ط4، مكتبة الشّروق الدّولية، القاهرة، مصر، 1425هـ - 2004م)، ص: 916.

5 الفيومي، المصباح المنير في غريب الشّرح، مرجع سبق ذكره، ص: 230.

6 الجرجاني، معجم التعريفات، مرجع سبق ذكره، ص: 202.

7 السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مرجع سبق ذكره، ج3، ص: 369.

8 المرجع السابق، ج3، ص: 323.

9 البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسّور، مرجع سبق ذكره، ج1، ص: 06.

10 أحمد بن الزّبير، البرهان في تناسب سور القرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 71.

قبلها وما بعدها، وفي الآيات تعني وجه الارتباط في كلّ آية بما قبلها وما بعدها».¹
كما عُرِّف علم المناسبة فقيل: هو معرفة مجموع الأصول الكلية، والمسائل المتعلقة بعلم ترتيب أجزاء القرآن العظيم بعضها ببعض.²

إذن فعلم المناسبة علم قائم بذاته؛ دوره إبراز أوجه الصّلة وتناسب الآيات والسّور وتناسقها، ومعرفة علل ذلك وكشف أسرارها، غير أنّ « السّياسة الرّشيدة في دراسة النّسق القرآني تقتضي أن تعرض السّورة عرضاً واحداً يُرسم به خطّ سيرها إلى غايتها ويُبرز وحدة نظامها المعنوي في جملته، لكي يُرى في ضوء هذا البيان كيف وقعت كلّ حلقة موقعها من تلك السّلسلة العظمى »³، وكذلك تعرض الآيات المختلفات التي يجمعها الموضوع الواحد عرضاً واحداً يرسم خطّ سيرها إلى غايتها، ويبرز وحدتها الموضوعية.

ثانياً- موقف العلماء من المناسبات: المناسبة أمر معقول، إذا عرض على العقول تلقّته بالقبول⁴، لذا فجماهير العلماء على القول بوجود المناسبة في القرآن الكريم؛ وقد كان أبو بكر التّيسابوري (توفي: 883هـ)⁵ يذكره فيُسَمِّيه علماً؛ وهو مسبق لهذا بأبي بكر بن العربي (توفي: 543هـ) فقد سمّاه علماً كذلك، ولكن مع ذلك اختلفوا إزاء علم المناسبة على عدّة أقوال يمكن إجمالها فيما يلي:
أ- القول بوجود المناسبة: وضمن هذا الاتجاه برزت عدّة أقوال:

01- القائلون بوجود التّناسب بين الآيات فقط: تعتبر الآية القرآنية « العلامة التي يُعرف بها تمام ما قبلها وابتدائها »⁶، ومن علماء التّفسير من يذهب إلى نفي التّناسب بين الآيات، بحجّة أنّ الآية تُنزل بحسب الوقائع، ووضعت في المصحف بحسب إشارة النّبي ﷺ، ولا يقتضي ذلك تناسباً بين الآية والآية التي بجانبها، لاختلاف الوقائع والأحوال. ولقد وهم من قال: لا يُطلب للآي الكريمة

1 مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، مصدر سبق ذكره، ص: 58.

2 محمد بازمول، علم المناسبات في السّور والآيات، مرجع سبق ذكره، ص: 27.

3 محمد عبد الله دراز، التّبا العظيم نظرات جديدة في القرآن، (د.ط، دار القلم، الكويت، د.س.ط)، ص: 158 - 159.

4 الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، مرجع سبق ذكره، ج 01، ص: 35.

5 هو أبو بكر محمد بن عبدوس بن أحمد التّيسابوري [338هـ - 883هـ] المفسّر الواعظ، إمام في القراءات، فاضل عالم بمعاني القرآن، سمع منه الحاكم وأثنى عليه، كان غزير العلم في الشّريعة والأدب. الدّاودي، طبقات المفسّرين، (ط 01، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1403هـ - 1983م)، ج 02، ص: 193 - 194.

6 الطّبري، تفسير الطّبري، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التّركي، (د.ط، دار هجر للطباعة والنّشر والتّوزيع والإعلان، الجيزة، مصر، د.س.ط)، ج 01، ص: 104.

مناسبة لأنها على حسب الوقائع المفترقة.¹

وقد نقل السيوطي (توفي: 911هـ) عن ولي الدين الملوحي (توفي: 774هـ) قوله: « والذي ينبغي في كل آية أن يبحث -أول كل شيء- عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك علم جم²، والحق أن الذي ينبغي التنقيب عنه والاستيثاق من نتائجه هو بالمقام الأول وجه المناسبة بين الآيات... أما التماس الترابط بين السور -على ما فيه من تعسف وتكلف- فهو مبني على أن ترتيب السور توقيفي، إلا أن ترتيب السور التوقيفي لا يستلزم حتماً أن يكون بين كل سورة سابقة وكل سورة لاحقة أواصر قري.³

ونقل الزركشي (توفي: 794هـ) عن بعض المحققين قوله: وقد وهم من قال لا يطلب للآي الكريمة مناسبة⁴، والقول بوجود التناسب بين الآيات القرآنية قول غالب مشهور.

02- القائلون بوجود التناسب بين الآيات وبين السور: إن ترتيب السور في السياق

الترتيلي الذي هو بين دفتي المصحف الذي عليه الأمة جمعاء إنما هو مظهر من مظاهر إعجازه البياني، وأن تناسبه المعجز ليس بالمحصور في تناسب نظمه التركيبي المائل في بناء الجملة، بل هو أيضاً متحقق على كماله في نظمه الترتيلي المائل في علاقات الجمل بعضها ببعض في بناء المعقد، وعلاقات المعاهد بعضها ببعض في بناء السورة، وعلاقات السور بعضها ببعض في بناء البيان لقرآني العظيم كله مفتتحاً بسورة «الفاتحة» ومختتماً بسورة «الناس».⁵

وقد كشف القاضي أبو بكر بن العربي (توفي: 543هـ) عن منزلة علم المناسبات بقوله: «ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى يكون كالكلمة الواحدة متسعة المعاني، منتظمة المباني، علم عظيم...»⁶، وهي المنزلة التي وعها الرازي (توفي: 606هـ)، حتى أنه عاب على المفسرين إهمالهم للمناسبة إجمالاً، بين الآيات كما بين السور، ثم لأمهم على ذلك فقال: «إلا أي رأيت جمهور

1 السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، مرجع سبق ذكره، ج2، ص: 138.

2 المرجع السابق، ص: 138.

3 صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، (ط06، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1969م)، ص: 151 - 152.

4 الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مرجع سبق ذكره، ج01، ص: 37.

5 ينظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، مرجع سبق ذكره، ج04، ص: 194.

6 الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مرجع سبق ذكره، ج01، ص: 36. والسيوطي، الإتيان في علوم القرآن، مرجع سبق ذكره، ج02، ص: 136.

المفسرين مُعرضين عن هذه اللّطائف غير متبهرين لهذه الأسرار»¹، إذ لا شك أنّ استنباط اللّطائف والفوائد داخل في التدبّر، وهو أمر حمل الرّازي على الوقوف مع المناسبات هذه الوقفة؛ لما تحمله من معانيّ خفيّة ودلالات مرضية.

وأخذاً بما سبق؛ لم يُفرّق الرّكشّيّ (توفي: 794هـ) بين الآيات والسّور في باب اعتبار المناسبة، بل حصر الفرق بين الطّبع العاديّ والتّكلف الرّائد، فقال: «معيار الطّبع والتّكلف في إثبات المناسبة بين الآيّ والسّور إنّما يعود أساساً إلى مدى التّماثل والتّقارب أو البعد والتّنافر بين الموضوعات، فإن تماثلت وتقاربت، وارتبطت الأوائل بالأواخر فالتّناسب معقول، وإلاّ كان التّكلف والتّمحلّ والإغراب»²، كما نقل السيوطيّ (توفي: 911هـ) عن وليّ الدّين الملوّيّ (توفي: 774هـ) قوله: والذي ينبغي في كلّ آية أن يُبحث -أول كلّ شيء- عن كونها مُكمّلة لما قبلها أو مُستقلّة، ثمّ المستقلّة ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك علم جمّ، وهكذا في السّور يُطلب وجه اتّصالها بما قبلها وما سيقّت له³، ثمّ بيّن أهميّة النّظر في الغرض ومُقدماته وتحديد الرّوابط؛ وقال: «فإذا عقلته تبين لك وجه النّظم مُفصّلاً بين كلّ آية وآية في كلّ سورة»⁴.

والشّاطبيّ (توفي: 790هـ) من العلماء الذين تلمّسوا وحدة نسق السّور القرآنيّة مع تعدّد قضاياها، واعتبر السّورة القرآنيّة كلاماً واحداً مُتصلاً من أولّها إلى آخرها، نظّمها وترتيبها كان بوحى إلهيّ، وقد صرح بذلك فقال: «وجميع ذلك لا بدّ فيه من النّظر في أول الكلام وآخره بحسب تلك الاعتبارات، فاعتبار جهة النّظم مثلاً في السّورة لا يتمّ به فائدة إلّا بعد استيفاء جميعها بالنّظر، فالإقتصار على بعضها فيه غير مفيد غاية المقصود، كما أنّ الإقتصار على بعض الآية في استفادة حكم ما لا يفيد إلّا بعد النّظر في جميعها، فسورة البقرة مثلاً كلام واحد باعتبار النّظم، واحتوت على أنواع من الكلام بحسب ما بثّ فيها، منها ما هو كالمقدمات والتّمهيدات بين يدي الأمر المطلوب، ومنها ما هو المؤكّد والمتّمّ ومنها ما هو المقصود في الإنزال، وذلك تقرير الأحكام على تفاصيل الأبواب منها، ومنها الخواتم العائدة على ما قبلها بالتأكيد والتّثبيت وما أشبه ذلك»⁵.

1 الرّازي، مفاتيح الغيب، مرجع سبق ذكره، ج07، ص: 138.

2 الرّكشّي، البرهان في علوم القرآن، مرجع سبق ذكره، ج01، ص: 35.

3 السيوطيّ، الإتقان في علوم القرآن، مرجع سبق ذكره، ج02، ص: 138. والرّكشّي، البرهان في علوم القرآن، مرجع سبق ذكره، ج01، ص: 37.

4 السيوطيّ، الإتقان في علوم القرآن، مرجع سبق ذكره، ج02، ص: 141.

5 الشّاطبيّ، الموافقات، مرجع سبق ذكره، ج03، ص: 210 - 211.

ومن العلماء الذين لم يفتهم تشابك موضوعات القرآن المختلفة وتربطها، ودورها حول غرض واحد ابن تيمية (توفي: 728هـ)، وتلميذه ابن القيم (توفي: 751هـ)، فابن تيمية عند تفسيره لسورة المائدة قال: «... ولهذا افتتحت بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَيْعَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُبْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: 01]، والعقود هي العهود، وذكر ما فيها من التحليل والتحریم والإيجاب ما لم يذكر في غيرها، والآيات فيها متناسبة مثل قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَبِيبَتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَقْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة: 87]»¹.

وابن القيم قال في تفسيره لسورة الفاتحة: «فأول السورة رحمة، وأوسطها هداية، وآخرها نعمة. وحظَّ العبد من النعمة على قد حظَّه من الهداية، وحظَّه منها على قدر حظَّه من الرحمة، فعاد الأمر كله إلى نعمته ورحمته ...»²، فربط بين الرحمة والهداية والنعمة وجعلها متناسبة بينها، وهكذا صنع مع سور أخرى، بل تجاوز تناسب الآيات والسور إلى تناسب الأحرف! فقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿الْم﴾ [البقرة: 01]، «تأمل سرَّ ﴿الْم﴾ كيف اشتملت على هذه الأحرف الثلاثة ... وكلَّ سورة افتتحت بهذه الأحرف الثلاثة فهي مشتملة على بدء الخلق ونهايته وتوسطه، فمشتملة على تخليق العالم وغايته، وعلى التوسط بين البداية والنهاية من التشريع والأوامر، فتأمل ذلك في البقرة وآل عمران وتنزيل والسجدة وسورة الروم»³، ثم ذكر بعد ذلك كلاماً قيماً عن اجتماع حرفين أو تفرّد حرف واحد في الآية الواحدة وأبرز مناسبة ذلك من عدّة أوجه، ومع أنّه لم يأت على ذكر علم المناسبات خلال كلامه إلا أنّه وظّفه توظيفاً دقيقاً.

ثمّ إنّ مع أنّ هؤلاء العلماء وغيرهم؛ كانوا يؤكّدون فائدة هذا العلم وأهميته، إلا أنّ قُصارى ما قاموا به هو التماس بعض أوجه الترابط بين الآيات والسور دون أن يضعوا أيديهم على الخيط الجامع الذي تنتظم فيه حَبّات عقد السورة أو الآيات، وكانت عنايتهم بالمناسبات من باب استجلاء اللطائف التفسيرية التي يُستدلّ بها على جمال القرآن وعلو نظمه، وهذا جعل علم المناسبات من مُلح التفسير لا من مَتِينه، وأخّر التصنيف فيه مقارنة بغيره من العلوم.

03- القائلون بوجود التناسب بين القرآن كله: استفاد المعاصرون ممّا وصل إليه من سبق، وساروا بخطوات واضحة نحو استجلاء المحور الذي تدور حوله السورة مهما تعدّدت موضوعاتها،

1 ابن تيمية، مجموع الفتاوى، مصدر سبق ذكره، ج14، ص: 448.

2 ابن القيم، بدائع التفسير، مرجع سبق ذكره، ج01، ص: 27 - 28.

3 المرجع السابق، ج01، ص: 90.

والموضوع أو المصطلح مهما تعددت آيات وسور ورودهما، أمّا فيما يخصّ تناسب القرآن كلّه كوحدة بنائية، فقد قال الفراهي¹ (توفي: 1349هـ): «قد صنّف بعض العلماء في تناسب الآي والسور؛ وأمّا الكلام في نظام القرآن فلم أطلع عليه، والفرق بينهما أنّ التناسب إنّما هو جزء من النظام، فإنّ التناسب بين الآي بعضها مع بعض لا يكشف عن كون الكلام شيئاً واحداً مستقلاً بنفسه، وطالب التناسب ربّما يقع بمناسبة ما وربّما يغفل عن المناسبة التي ينتظم بها الكلام فيصير شيئاً واحداً، وربّما يطلب المناسبة بين الآيات المتجاورة مع عدم اتّصالها، فإنّ الآية التالية ربّما تكون متّصلة بالتي قبلها على بعد منها، ولولا ذلك لما عجز بعض الأذكياء عن إدراك التناسب فأنكروه، فإنّ عدم الاتصال بين آيات متجاورة يوجد كثيراً ومنها ما ترى فيه اقتضاباً بيّناً وذلك إذا كانت الآية أو جملة من الآيات متّصلة بالتي على بعد منها، وبالجملة فمرادنا بالنظام أن تكون السورة كلاماً واحداً ثم تكون ذات مناسبة بالسورة السابقة واللاحقة أو بالتي قبلها أو بعدها على بعد ما، كما قدّمنا في نظم الآيات بعضها مع بعض، فكما أنّ الآيات ربّما تكون معترضة فكذلك ربّما تكون السورة معترضة. وعلى هذا الأصل ترى القرآن كلّه كلاماً واحداً ذا مناسبة وترتيب في أجزائه من الأوّل إلى الآخر، فتبيّن ممّا تقدّم أنّ النظام شيء زائد على المناسبة وترتيب الأجزاء»²، فهو نظر إلى السورة القرآنية على أنّها كلام واحد، تأخذ فيه كلّ آية محلّها الخاصّ بها، والقرآن كلّه كلام واحد، تأخذ فيه السورة محلّها الخاصّ، ويقرب من هذا الكلام ما ذهب إليه محمّد عبد الله دراز (توفي: 1377هـ) في كتابه "النبا العظيم".

وطه جابر العلواني من الذين رأوا أنّ القرآن الكريم «لا يقبل التناقض والتعارض، فهو بمثابة الكلمة الواحدة، أو الجملة الواحدة، أو الآية الواحدة، وإن كانت قد تعددت آياته وسوره وأجزاؤه وأحزابه»³، فلو عمدنا إلى هذه القراءة المتدبّرة لسورة قرآنية بهذا المدخل من المناسبات والبحث فيها وإدراكها، فسنكتشف شبكة من العلاقات بينها تجعلنا نشعر أنّها نزلت حين نزلت، وكأنّها نجم

1 عبد الحميد بن عبد الكريم الأنصاري الفراهي الهندي: ولد سنة 1280هـ، أفاد من الشيخ شبلي التعماني، والشيخ أبو الحسنات اللّكوي، وغيرهما، جمع بين العلوم الدّينية والعصريّة، وقضى عمره في الدّراسة والتّدرّس، من تلاميذه أبو الكلام آزاد، السيّد سليمان الدّوي، وغيرهما، من مؤلّفاته: أساليب القرآن، إمعان في أقسام القرآن، التّكميل في أصول التّأويل، نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، توفي سنة 1349هـ - 11 نوفمبر 1930م. عبد الحميد الفراهي، مفردات القرآن، تحقيق: محمّد أوجل أيوب الإصلاحي، (ط01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1422هـ - 2002م)، ص: 13 - 40. بتصرف.

2 عبد الحميد الفراهي، دلائل النظام، (د.ط، المطبعة الحميدية، 1388هـ - 1968م)، ص: 41.

3 طه جابر العلواني، الوحدة البنائية للقرآن المجيد، مرجع سبق ذكره، ص: 14.

واحد، أو كأنّها نزلت مرّة واحدة¹، ولهذا أكّد العلواني أنّ القرآن الكريم معجز في نظمته ومعجز في دلالاته ومعجز في تناسبيّته البنائية العجيبة²، وذلك لأنّ القرآن الكريم يضمّ «منهجية كونية» وأنّه بذلك يتميّز بـ«وحدة بنائية» في كلّ آياته وفي سوره كافّة، وهذه الوحدة تجعل من المحال أن يقع في القرآن تضارب أو اختلاف أو نسخ³ أو تعارض⁴، ومن المقطوع به أن يقع فيه ترابط وتناسق وتشابك وتناسب، وبناء على هذا الموقف الواضح؛ كانت نظرتّه للقرآن الكريم خاصّة وتتجاوز الرؤية التقليديّة؛ رؤية يستجمع خلالها عدّة مداخل من القرآن نفسه، منها مدخل المناسبة لأنّه مدخل يؤكّد الوحدة الموضوعية - الوحدة البنائية عند طه جابر العلواني - للقرآن الكريم من خلال وحدة موضوعات السّورة والسّور، فهي وثيقة الصّلة بالتفسير الموضوعي الذي نشأ بعدها ويقع ضمنها.

04- القائلون بعدم وجود التّناسب بين الآيات والسّور: لم يكن العلماء على كلمة سواء فيما تعلّق بوجود المناسبة في القرآن، فقد ورد عن بعضهم إنكار هذا الفنّ، بزعم أنّه محض تكلف يصطدم بنزول القرآن مُنجمًا، ويهوي بالقرآن لمنزلة كلام البلغاء ! وكان من أبرزهم: عز الدين بن عبد السلام (توفي: 660هـ)، ومحمد بن عليّ الشوكاني (توفي: 1250هـ).

فالعرّ بن عبد السلام قال: يُشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر مُتّحد مُرتبط أوّله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر ... فإنّ القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة، وما كان كذلك لا يتأتّى ربط بعضه ببعض⁵، وواضح من كلام العرّ بن عبد السلام أنّ حجّته الوحيدة هي أنّ القرآن نزل مُنجمًا، بحسب الوقائع والأسباب والمناسبات، خلال فترة فاقت العقدين من الزّمن.

أمّا الشوكاني فقد بالغ في اللوم والتّقريع على أئمة التفسير القائلين بالتّناسب في القرآن الكريم، وأطال في الاستدلال لرأيه، وذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَبْقَىٰ إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نَعَمَ ۖ أَلَمْ يَأْتِ أَهْلَهُمُ عَلَىٰ كَرَمٍ﴾ [البقرة: 40]، ومّا قال: «اعلم أنّ كثيراً من المفسرين جاءوا بعلم مُتكلف، وخاضوا في بحر لم يُكلّفوا سباحته، واستغرقوا أوقاتهم في فنّ لا يعود عليهم بفائدة، بل أوقعوا أنفسهم في التّكلم بمحض

1 طه جابر العلواني، أفلا يتدبرون القرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 141.

2 ينظر: طه جابر العلواني، الوحدة البنائية للقرآن المجيد، مرجع سبق ذكره، ص: 65 - 66.

3 سيأتي مناقشة موقف طه جابر العلواني من مسألة النسخ.

4 طه جابر العلواني، معالم في المنهج القرآني، (ط01، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، جمهورية مصر العربيّة، 1431هـ - 2010م)، ص: 86.

5 الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مرجع سبق ذكره، ج01، ص: 37.

الرأي المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه، وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف فجاؤوا بتكلفات وتعسفات يتبرأ منها الإنصاف، ويتنزه عنها كلام البلغاء فضلاً عن كلام الرب سبحانه، حتى أفردوا ذلك بالتصنيف، وجعلوه المقصد الأهم من التأليف، كما فعله البقاعي في تفسيره ومن تقدمه ...¹، وبهذا يُضيف الشوكاني حجتين جديدتين، الأولى أنّ علم المناسبات علم مُتكلف لا حاجة له، قائم على التّكلم بالرأي المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكلام الله، والثانية ربط علم المناسبات في آيات القرآن وسوره عند من يعتمد إلى طلب ذلك مع كلام البلغاء.

وإلى عدم القول بالمناسبة بين السور جنح صبحي الصّالح² حيث قال: «أما التماس أوجه الترابط بين السور - على ما فيه من تعسف وتكلف - فهو مبني على أنّ ترتيب السور توقيفي، ولهذا انتصرنا وعليه عولنا، إلا أنّ ترتيب السور التوقيفي لا يستلزم حتماً أن يكون بين كلّ سورة سابقة وكلّ سورة لاحقة أو أواصر قربي، كما أنّ ترتيب الآيات التوقيفي لا يقتضي عقلاً ارتباط إحداهما بالأخرى إذا وقعت كلّ منها على أسباب مختلفة ... ومعيار الطبع أو التكلف فيما ملح من ضروب التناسب بين الآيات والسور يرتدّ في نظرنا إلى درجة التماثل أو التشابه بين الموضوعات، فإن وقع في أمور مُتّحدة، مُرتبطة أوائلها بآخرها، فهذا تناسب معقول مقبول، وإن وقع على أسباب مختلفة، وأمور متنافرة، فما هذا من التناسب في شيء ... وأقلّ ما يعنيه هذا المعيار الدقيق أنّ وجه المناسبة بين الآيات أو بين السور يخفى تارة ويظهر أخرى، وأنّ فرص خفائه تقلّ بين الآيات وفرص ظهوره تندر بين السور».³

وبذا انحصرت حجج من قال بعدم وجود علم المناسبات فيما يلي:

- نزول القرآن مُنجمًا.

- قيام المناسبة على التكلف والرأي المنهي عنه.

1 الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، (د.ط، شركة دار النوادر الكويتية، الكويت، 1431هـ - 2010م)، ج 01، ص: 72.

2 صبحي إبراهيم الصّالح (1345-1407هـ/1926-1986م): ولد في طرابلس، في عام 1954م نال بفرنسا شهادة الدكتوراه الدولة في الآداب، تولى عدداً من المناصب آخرها نائب رئيس المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى، والأمين العامّ لرابطة علماء لبنان، منحه المنظمة العربية للتربية والعلوم جائزة التفكير الاجتهادي في الإسلام، اغتيل في السابع من تشرين الأول (07 أكتوبر 1986م) في بيروت، له العديد من المؤلفات منها: الإسلام والمجتمع العصري، المرأة في الإسلام، الإسلام ومستقبل الحضارة، وغيرها. محمد خير رمضان يوسف، تنمّة الأعلام للزركلي، (ط 02، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1422هـ - 2002م)، ج 01، ص: 241 - 242.

3 صبحي الصّالح، مباحث في علوم القرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 151 - 152.

- المقارنة بين من يطلب المناسبة في الآيات والسور وبين من يطلبها في كلام أحد من الشعراء البلغاء.

ورداً على حجة نزول القرآن منجماً قال محمد عبد الله دراز (توفي: 1377هـ): «إن كانت بعد تنزيلها جُمعت عن تفريق فلقد كانت في تنزيلها مُفترقة عن جمع، كمثل بنیان كان قائماً على قواعده فلما أُريد نقله بصورته إلى غير مكانه؛ قُدّرت أبعاده ورُقِّمت لبناته ثم فُرِّق أنقاضاً، فلم تلبث كلّ لبنة أن عرفت مكانها المرقوم، وإذا البنیان قد عاد مرصوصاً يشدّ بعضه بعضاً كهيئته أول مرة»¹، بل عند التأمل يظهر أنّ القرآن كلّه كالكلمة الواحدة²، فكيف يُدعى عدم وجود التناسب فيه فيما كان مجتمعاً أصلاً؟! بل كيف يدعى عدم التناسب في كلام الله الذي هو صفة من صفاته وعَظَم؟! والردّ على الحجة الثانية القائلة بقيام المناسبة على التكلّف والرأي المنهي عنه؛ هو أنّ للمناسبة فائدة وأيّ فائدة، إذ أنّها تساعد في ترجيح رأي على آخر إذا تساوى في القوة، وكان أحدهما أليقُ بارتباط أجزاء الآية، أو الآيات، فإنّ العقل يتوجّه بداهةً لترجيح ما هو الأولى بنظم الكلام، وضابط ذلك كلّ - بعد تحصيل المفسر شروط الاجتهاد - هو مراقبة الله ﷻ، فإذا لم يستحضر المفسر بالرأي مراقبة خالقه، لم يصادف الحقّ في تفسيره. قال ابن العربي (توفي: 543هـ): «والضابط لهذا كلّه أن يكون الناظر في القرآن يلحظه بعين التقوى، ولا يميل به إلى رأي أحد للهوى، وإنّما ينظر إليه من ذاته ابتغاء علم الله ومرضاته، وهو الأول. الثاني: أن يكون نظره بعد استقلاله بشروط النظر»³، فإذا لم يستوف شروط النظر فإنّ التفسير منه بمنزلة هي بين الظلم والجهل؛ أكان رأيه في المناسبة أو في غيرها.

أمّا نعت الشوكانيّ فنّ المناسبة بأنّه محض الرأي المنهي عنه فنعت غير مُسلّم به، لأنّ الرأي المنهي عنه هو الرأي الناشئ عن الهوى، أو غير الملتزم بضوابط التفسير وقواعده، قال الشاطبيّ (توفي: 790هـ): «إعمال الرأي في القرآن جاء ذمّه، وجاء أيضاً ما يقتضي إعماله ... فما كان موافقاً كلام العرب، والكتاب والسنة، فهذا لا يمكن إهمال مثله لعالم بهما ... وأمّا الرأي غير الجاري على موافقة العربية، أو غير الجاري على الأدلة الشرعية، فهذا هو الرأي المذموم من غير إشكال»⁴، كما

1 مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، مصدر سبق ذكره، ص: 57.

2 الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مرجع سبق ذكره، ج 01، ص: 39.

3 ابن العربي، قانون التأويل، تحقيق: محمد السليمانيّ، (ط 01، دار القبة للثقافة الإسلامية، جدة، المملكة العربية السعودية، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، سوريا، 1406هـ - 1986م)، ص: 660.

4 الشاطبيّ، الموافقات، مرجع سبق ذكره، ج 04، ص، 276 - 280.

أنّ ذكر المناسبة بين الآيات والسّور ليس تكلفاً بمحض الرّأي، بل هو علم يُبرز الوحدة المعنويّة بين آيات وسور الكتاب العزيز، ويُرسّخ الاعتقاد بإعجاز القرآن الكريم، لما يُبديه من لطائف القرآن وأسراره، كما أنّه يُعزّز رأي العلماء الذين يرون أنّ ترتيب السّور توقيفيّ، لا اجتهاد فيه، وأمّا قوله: فقد جاءوا بتكلفات وتعتّفات ... الخ، ففيه إجحاف بحقّ المفسّرين وبعلمهم، فما أكثر المناسبات اللّطيفة التي يقبلها العقل، ويغرب لها الدّوق، ولو قمنا برفض أيّ علم لأخطاء وقعت فيه، لما بقي لنا علم، ولما استجيز أيّ فهم.

أمّا الحجّة الثالثة فهي أوهى الحجج وأضعفها، وذلك أنّ مبناها على القياس مع وجود عظيم الفارق بين كلام الله ﷻ وكلام أبلغ بلغاء العرب، إذ كلام بلغاء العرب ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً لا يُقاس حتّى بكلام رسول الله ﷺ فكيف يقاس بكلام الله ﷻ؟! كما أنّه من الواضح، أنّ كلّ من ألف كتاباً مُشتملاً على مباحث مُتفرّقة، وقضايا مُختلفة، يُلاحظ في ترتيبها مُناسبةً وارتباطاً، وثمة دراسات حديثة في علم النّقد الأدبيّ خُصّصت لطلب الوحدة العضويّة في علم البيان، إذ لاشكّ أنّ لكلّ واحد من البلغاء الفطاحل ميزة خاصّة به يختلف بها عن غيره؛ ولا يُشاكل بها القرآن البتّة، وهذا مناسب لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82]، ومن ظنّ ممّن اعتمد القول بأنّ ترتيب السّور اجتهاد من الصّحابة، أنّهم لم يُراعوا في ذلك التّناسب والاشتباه، فقد سقطت مُخاطبته، وإلاّ فما المراعى وترتيب النّزول غير ملحوظ في ذلك بالقطع؟¹

ثالثاً: أنواع المناسبات في القرآن الكريم: المناسبة علم شريف عزيز، وهو نوعان: أحدهما: مناسبة الآيّ بعضها لبعض، بحيث يظهر ارتباطها وتناسقها كأنّها جملة واحدة ... ثانيهما: مناسبة السّور بعضها لبعض².

النوع الأول: مناسبة الآي: وهي نوعان:

الأول: المناسبة في الآية الواحدة: ومثاله قوله تعالى في سورة الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 05]، فمناسبة العبادة للاستعانة مناسبة عطف الخاصّ على العامّ، فإنّه من اعترف لله بحكم وجوب عموم العبوديّة لله وحده؛ والدّلّ الكامل لجناحه العظيم؛ إلّجأ إليه بعبادة الاستعانة طالباً منه العون والمدد.

1 أحمد بن الزّبير، البرهان في تناسب سور القرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 81.

2 السيّد عبد الله بن الصّديق الغماريّ، جواهر البيان في تناسب سور القرآن، (د.ط، مكتبة القاهرة، القاهرة، الجمهورية العربيّة المصريّة، د.س.ط)، ص: 14 - 16.

وقد سبق نقل بعض كلام ابن القيم حول تناسب الأحرف المتعددة مثل: ألم، كهيعص، طسم، ... الخ، وتناسب الحرفين مثل: طه، حم، يس، ... الخ، والحرف الواحد المتفرّد في الآية الواحدة مثل: ق، ص، ن، ... الخ؛ وكيف أبرز مناسبة ذلك من عدّة أوجه.

الثاني: المناسبة بين الآيات المختلفة: وتلخص في النقاط التالية:

01- المناسبة بين الآيات المتصلة في السّورة الواحدة: ويرد ضمن هذا القسم ما يلي¹:

- أن يظهر الارتباط بين الآيتين: ولا بدّ أن يكون بينهما جهة جامعة وهذا لتعلّق الكلام ببعضه ببعض وعدم تمامه بالأولى فواضح، وكذلك إذا كانت الثانية للأولى على جهة التأكيد والتفسير، أو الاعتراض والتشديد.

- ألا يظهر الارتباط: بل يظهر أنّ كلّ جملة مُستقلّة عن الأخرى، وأنها خلاف النوع المبدوء، وهي قسمان:

القسم الأول: آيتان معطوفتان بينهما جهة جامعة كالنّظيرين، والشّبيهين، والمضادّة، والشرح، والاستطراد، والتّمثيل، وغيرها.

والقسم الثاني: ألا تكون الآيتان معطوفتين وليس بينهما جهة جامعة؛ ولكن يوجد قرائن مؤذنة بالربط كالنّظير، والمضادّة، والاستطراد، والانتقال من حديث إلى آخر، وغيرها.

أو أن يخفى الارتباط لاجتماع الاتّصال والانقطاع معاً: أي اتّصال اللفظ واختلاف المعنى، فقد يكون اللفظ مُتصلاً بالآخر والمعنى على خلافه؛ فلا يخفى مثلاً انقطاع ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ﴾ [غافر: 07] عن قوله: ﴿أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ﴾ [غافر: 06]. وكذا ﴿فَلَا يَخْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ [يس: 76] عن قوله سبحانه: ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [يس: 76]².

02- المناسبة بين الآيات المتفرّقات: وسبب المناسبة ههنا وجود رابط بينها أو علاقة، غير رابط الكلام المتتابع، فالثاني كالبناء المحكم المتلائم، والأول كالأقارب الذين بينهم رابطة لا تنفكّ أبداً، فلا يبحث عن علاقات خارجية، ولا يستند إلى شواهد من خارج النّص؛ فالنّص في هذا القسم هو شاهد ذاته وإن تفرّق، وهو الذي يُؤسّس معايير علاقاته بناءً على طريقة تركيبه، فتتناسب الآيات المتفرّقات وتجتمع متألّفة فيما بينها، وليس معنى ذلك أنّ هذه العلاقات علاقات موضوعية مفارقة لحركة عقل القارئ والمفسّر، بل هي علاقات معقولة؛ ناتجة عن تفاعل القارئ مع النّص في عمليات

1 للمزيد ينظر: الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، مرجع سبق ذكره، ج 01، ص: 40 - 50.

2 الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، مرجع سبق ذكره، ج 01، ص: 51 - 52.

القرأة والتدبر والفهم.

والمناسبة بين الآيات المتفرقات بشكل خاص؛ يقابلها من التفسير الموضوعي: الموضوع القرآني، قال ابن الزبير الثقفّي الغرناطي (توفي: 708هـ): « بدر لبعضهم توجيه ارتباط آيات في مواضع مفترقات وذلك في الباب أوضح ومجال الكلام فيه أفسح وأسرح. أمّا تعلق السور على ما ترتب في الإمام واتفق عليه الصحابة الأعلام فمما لم يُعترض له فيما أعلم، ولا قرّع أحد هذا الباب ممن تأخّر وتقدّم¹. »

ومثال الآيات المتفرقات في السورة الواحدة قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (١٧) فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ أَنْجِعُوا فَأَنْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (١٨) لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (١٩) قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ بَعْضُهُمْ مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَبَعْضُهُمْ غَيْرُ مُبْصِرٍ ذَلِكَ أَزْكَى لَكُمْ إِنْ اللَّهُ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٢٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ ﴿ الآيات [النور: 27-31]، « فهذه الآيات استئناف لبيان أحكام التزاور وتعليم آداب الاستئذان، وتحديد ما يحصل المقصود منه كيلا يكون الناس مختلفين في كَيْفِيَّتِهِ على تفاوت اختلاف مداركهم في المقصود منه والمفيد ... أعقب حكم الاستئذان ببيان ما تقتضيه المجالسة بعد الدّخول؛ وهو أن لا يكون الدّاخل إلى البيت مُحَدَقاً بصره نحو امرأة فيه²، فإذا كان الاستئذان جُعِلَ من أجل أن لا يقع بصر المستأذن على عورة، فلو صادف أن وقع فإنّ على المستأذن أن يغضّ البصر، ثم إنّ العلاقة بين الحكّمين بَيِّنَةٌ؛ ومُناسبة ترتيبيهما معقولة؛ وهي أنّ الله ﷻ ذكر ما تكون به العقّة التّامة وحفظ العورات في المجتمع المسلم بالأمر بغضّ البصر في ختام آيات الاستئذان.

ومثال الآيات المتفرقات في السور المختلفة قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَائِنِيهِ خَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفُ السِّنِينَ كُمْ وَالْوَنُكْمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ﴾ (الرّوم: 22)، ففي هذه الآية من سورة الرّوم يُخبرنا الله ﷻ عن اختلاف بعض الخصائص الدّاتية للإنسان كاللّسان واللّون، ويعدّه آية من آياته، وليس الاختلاف فحسب بل الخلاف أيضاً؛ قال ﷻ: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً

1 أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفّي، البرهان في تناسب سور القرآن، تحقيق: سعيد بن جمعة الفلاح، (ط01، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربيّة السّعودية، 1428هـ)، ص: 77.

2 ينظر: محمّد الطّاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، (د.ط، الدّار التّونسية للطّبع، تونس، 1984م)، ج01، ص: 196 - 203.

وَجِدَّةٌ ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ [هود: 118-119]، فقد أبقانا الله مختلفين في الدين كما ذكر المفسرون؛ رغم كون الاختلاف مقدّمة للخلاف، أبقانا مختلفين ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ بمقتضى مشيئته الكونية، ولكنّه استثنى من هذا الاختلاف فئة برحمته ﴿إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ﴾، فمن أوجه التناسب بين الآيتين؛ بيان أنّ الاختلاف والتباين من أعظم سنن الله في الكون عامّة وفي عالم الإنسان خاصّة. على أنّ نفس الآيتين تجمعها مناسبة مع آية التعارف ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: 13]، والتي فيها إشارة للاختلاف في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ﴾ مختلفة في اللسان واللون، ومختلفة في الديانة إلّا من رحم الله. ثمّ جاور ﴿لِتَعَارَفُوا﴾ بين الاختلاف والتعارف ليجمع بين أمرين مختلفين في سياق يتلاقى فيه المتباعدان ويتصافح به المتناكران، وهذا وجه حسن لو نُظر إليه، تجلّت فيه روعة النظم القرآني القائمة على حسن التجاور في هذه الآية وجمع الأجناس المختلفة ثمّ التآليف بينها.

03- مناسبة فواصل الآيات: الفاصلة هي كلمة آخر الآية¹، ويمتنع استعمال القافية في كلام الله تعالى لمنع إطلاق اسم الشعر على القرآن الكريم، فالقافية من الشعر؛ يُعرف بها وبه تُعرف، وكذلك يُمنع إطلاق الفاصلة على الشعر لأنّها متعلّقة بكتاب الله فلا تتعدّاه.

« وإيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل حيث تطرّد متأكّد جدّاً، ومؤثّر في اعتدال نسق الكلام وحسن موقعه من النفس تأثيراً عظيماً، ولذلك خرج عن نظم الكلام لأجلها في مواضع:

أحدها: زيادة حرف لأجلها، ولهذا ألحقت الألف بـ«الظنون» في قوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ [الأحزاب: 10]، لأنّ مقاطع فواصل هذه السورة أَلْفَاتٌ مُنْقَلِبَةٌ عن تنوين في الوقف، فزيد ألف النون لتساوي المقاطع، وتناسب نهايات الفواصل، ومثله: ﴿فَاضْلُونا السَّبِيلَا﴾ [الأحزاب: 67]. ﴿وَاطْعَنَا الرَّسُولَا﴾ [الأحزاب: 66].

الثاني: حذف همزة أو حرف اطراداً؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَيُّلَ إِذَا سِرَ﴾ [الفجر: 04].

الثالث: لجمع المجرورات؛ وبذلك يُجاب عن سؤال في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا الْكُفْرَ عَلَيْنَا يَهُودَ﴾

1 الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مرجع سبق ذكره، ج01، ص: 53. ذكر العلماء للفاصلة خمسة أنواع هي: الفاصلة المتماثلة، والمتقاربة، والمتوازنة، والمتوازنة، والمطرقة.

تَبِيعًا ﴿[الإسراء: 69] فَإِنَّهُ قَدْ تَوَلَّتْ الْمَجْرورات بِالْأحرف الثلاثة، وهي اللام في ﴿لَكُمْ﴾ والباء في ﴿يَوْمَ﴾ وعلى في ﴿عَلَيْنَا﴾ وكان الأحسن الفصل.

والجواب أنّ تأخّر ﴿تَبِيعًا﴾ وترك الفصل أرجح من أن يفصل به بين بعض الروابط، وكذلك الآيات التي تتصل بقوله: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾، فإنّ فواصلها كلّها منصوبة مُنَوّنة، فلم يكن بدّ من تأخير قوله: ﴿تَبِيعًا﴾ لتكون نهاية هذه الآية مناسبة لنهايات ما قبلها حتى تتناسق على صورة واحدة.

الرابع: تأخير ما أصله أن يتقدّم، كقوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ ﴿١٧﴾ [طه: 67]، لأنّ أصل الكلام أن يتصل الفعل بفاعله ويؤخّر المفعول، لكن أخر الفاعل، وهو «موسى» لأجل رعاية الفاصلة.

الخامس: إفراد ما أصله أن يجمع كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ ﴿٥٤﴾ [القمر: 54] قال الفراء: الأصل «(الأَنْهَار)»؛ وإنّما وُحِدَ لأنّه رأس آية، فقابل بالتوحيد رؤوس الآيّ.

السادس: جمع ما أصله أن يفرد، كقوله تعالى: ﴿لَا بَيْعُ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ ﴿٣١﴾ [إبراهيم: 31] فإنّ المراد «ولا خِلَّة» بدليل الآية الأخرى، لكن جمعه لأجل مناسبة رؤوس الآيّ.

السابع: تشيئة ما أصله أن يُفرد؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ ﴿٤٦﴾ [الرحمن: 46]. قال الفراء: هذا باب مذهب العرب في تشيئة البقعة الواحدة وجمعها ... وإنّما ثناها لأجل الفاصلة؛ رعاية للتي قبلها والتي بعدها على هذا الوزن.

الثامن: تأنيث ما أصله أن يُذكّر، كقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ﴾ ﴿٥٤﴾ [المدثر: 54]؛ وإنّما عدل إليها للفاصلة.

التاسع: كقوله [تعالى]: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ﴿١﴾ [الأعلى: 01]، وقال في العلق: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ﴿١﴾ [العلق: 01]، فزاد في الأولى ﴿الْأَعْلَى﴾ وزاد في الثانية ﴿خَلَقَ﴾ مراعاة للفواصل في السورتين.

العاشر: صرف ما أصله ألا ينصرف؛ كقوله تعالى: ﴿قَوَارِيرًا﴾ ﴿١٥﴾ ﴿قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ ﴿١٦﴾ [الإنسان: 15-16]، صرف الأوّل لأنّه آخر الآية، وآخر الثاني بالألف، فحسنّ جعله منوناً ليقلب تنوينه ألفاً، فيتناسب مع بقية الآيّ.

الحادي عشر: إمالة ما أصله ألا يمال؛ كإمالة ألف ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ ﴿١﴾ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ ﴿٢﴾ [الضحى: 01-02] ليشاكل التلّفظ بهما التلّفظ بما بعدهما.

الثاني عشر: العدول عن صيغة المضى إلى الاستقبال، كقوله تعالى: ﴿فَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ ﴿٨٧﴾ [البقرة: 87]؛ حيث لم يقل «وفريقاً قتلتم» كما سوى بينهما في سورة الأحزاب فقال: ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ [الأحزاب: 26]؛ وذلك لأجل أنّها هنا رأس آية¹.
النوع الثاني: المناسبة بين السور: التناسب بين السور قد قال به كثير من أهل العلم، وأيدوا ما قالوه بالدليل والبرهان، وحتى إذا كان طلب المناسبات القرآنية وتتبعها أمر مشروع، يجب التحذير من التكلّف والتوسع، والتناسب بين السور أنواع هي:
الأول: المناسبة في السورة الواحدة: وفي هذا النوع نجد الأقسام التالية:

01- مناسبة اسم السورة للسورة: اسم السورة هو عنوانها الرئيس؛ لذا فإن وجه المناسبة فيه يبرز من عدّة أوجه، فقد تكون مناسبتة لمقصد السورة العام، وذلك «أنّ اسم كلّ سورة مترجم عن مقصودها؛ لأنّ اسم كلّ شيء يظهر* المناسبة بينه وبين مسمّاه عنوانه الدالّ إجمالاً على تفصيل ما فيه»²، فالقرآن كتاب كلّ زمان ومكان، وكتاب الماضي والحاضر والمستقبل، لذا اقتضى الحال أن يكون خطابه عاماً وكلّياً، وبما هو أساسي ومقصدي، ومن هنا جاءت كلّ سورة من سورته تبرز مقصداً رئيساً، وهدفاً كلياً تدور حوله السورة، وتحوم عليه، إبرازاً له وتأكيداً عليه، فقصده سورة البقرة هو إقامة الدليل على أنّ الكتاب هدى ليُتبع في كلّ حال، وأعظم ما يُهدى إليه الإيمان بالغيب، ومجمعه الإيمان بالآخرة، ومداره الإيمان بالبعث، الذي أعربت عنه قصّة البقرة التي مدارها على الإيمان بالغيب، فلذلك سمّيت بها السورة.³

وقد تكون مناسبتة لورود الاسم في السورة نفسها، فقد جاءت أسماء سور القرآن الكريم مُتضمّنة في المتن، فيما عدا ثلاث سور؛ هي: الفاتحة، والأنبياء، والإخلاص؛ وقد تنوّع موقع ورود

1 ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مرجع سبق ذكره، ج 01، ص: 60 - 67. للمزيد ينظر: الفاصلة القرآنية مفهومها وضوابطها، حمادة محمد سقاو علي، (2019/07/03)، مجلّة الآداب والعلوم الإنسانية، كتيبة الآداب، جامعة المنيا، مصر).

* في الأصل "نظهر" بالتاء المضمومة ولعلّ الأصوب هو ما أثبتته الباحثة.

2 مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، مصدر سبق ذكره، ص: 42.

3 البقاعي، مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور، قدّم له وحققه وعلّق عليه وخرّج أحاديثه: عبد السميع محمد أحمد حسنين، (ط 01، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1408هـ - 1987م)، ج 02، ص: 09.

اسم السّورة في القرآن الكريم من السّورة، فوردت بعض أسماء السّور أول كلمة في السّورة، وذلك في إحدى وعشرين سورة، هي: طه، ويس، والصّافات، و(ص)، و(ق)، والدّاريات، والطّور، والنّجم، والرّحمن، والحاقة، والمرسلات، والنّازعات، وعَبَسَ، والفجر، والشّمس، والليل، والضّحى، والتّين، والعاديات، والقارعة، والعصر.

وجاءت بعض أسماء السّور ضمن الآية الأولى للسّورة، لكن ليس أول كلمة فيها، وذلك في ثلاث وأربعين سورة، هي: النّساء، والأنفال، والإسراء، والمؤمنون، والفرقان، وفاطر، والفتح، والقمر، والواقعة، والمجادلة، والمنافقون، والطّلاق، والتّحريم، والمملك، والقلم، ونوح، والجنّ، والمزمل، والمدّثر، والقيامة، والإنسان، والتّكوير، والانفطار، والمطففين، والانشقاق، والبروج، والطّارق، والأعلى، والغاشية، والبلد، والشرح، والقدر، والبيّنة، والزّلزلة، والتّكاثر، والهّمزة، والفيل، وقريش، والكوثر، والكافرون، والنّصر، والفلق، والنّاس. ووردت بعض أسماء السّور ضمن الآية الأخيرة للسّورة، وذلك في أربع سور، هي: النّساء، والماعون، والمسد، والنّاس.

وجاءت بعض أسماء السّور داخل السّورة، وذلك في سبع وأربعين سورة، هي: البقرة، وآل عمران، والنّساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والتّوبة، ويونس، وهود، ويوسف، والرّعد، وإبراهيم، والحجر، والنّحل، والكهف، ومريم، والحجّ، والنّور، والشّعراء، والنّمل، والقصاص، والعنكبوت، والرّوم، ولقمان، والسّجدة، والأحزاب، وسبأ، والزّمر، وغافر، وفصّلت، والشّورى، والزّحرف، والدّخان، والجاثية، والأحقاف، ومحمّد، والحجرات، والحديد، والحشر، والممتحنة، والصّفّ، والجمعة، والتّغابن، والمعارج، والنّبا، والعلق.

وقد تكون لمناسبته قدر وعظمة المسمّى به، فمثلاً السّورة الوحيدة التي دلّ اسمها على يوم من أيام الأسبوع هي سورة الجمعة؛ وذلك لقدر وعظمة هذا اليوم عند الله ﷻ.

وقد تكون مناسبته لموضوع ذكر فيها؛ يقول محمّد عبد الله درّاز (توفي: 1377هـ): ولقد وضع لنا بما أثار دهشتنا أنّ هناك تخطيطاً حقيقياً واضحاً ومحدّداً، يتكوّن من ديباجة وموضوع وخاتمة. فتوضّح الآيات الافتتاحية الأولى من السّورة الموضوع الذي ستعاجله في خطوطه الرئيسيّة ثمّ يتبع ذلك التدرّج في عرض الموضوع بنظام لا يتداخل فيه جزء مع جزء آخر، وإمّا يحتلّ كلّ جزء المكان المناسب له في جملة السّورة، وأخيراً تأتي الخاتمة التي تقابل الديباجة¹، ومن ذلك المناسبة بين مضمون سورة مريم واسمها؛ « فوجه التسمية أنّها بسطت فيها قصّة مريم وابنها وأهلها قبل أن تفصل

1 محمّد عبد الله درّاز، مدخل إلى القرآن الكريم، (د.ط، دار القلم، الكويت، 1404هـ - 1984م)، ص: 119.

في غيرها»¹، فقد نزلت هذه السّورة للردّ على اليهود فيما اقترفوه من القول الشّنيع في حقّ مريم وابنها عيسى عليه السلام، فكان افتتاحها بما يتّصل بها من شؤون آل عمران من قصّة زكرياء كافل مريم عليه السلام وزوج خالتها، ثمّ كان في العرض بيان نزاهة وعقّة آل عمران، فإنّ السّورة قد ذكرت عرض قصّة مريم وعيسى عليه السلام، فأكدت قدرته سبحانه وتعالى على الخلق من غير سبب، حيث خلق عيسى عليه السلام من غير أب، وأقدره على الكلام، وهو لا يزال في المهد صبيّاً، وأثبتت طهارة مريم وعفّتها، وفي هذا كرامة لمريم عليه السلام بخارق العادة في حملها وقداسته ولدها، وجاءت الخاتمة تعقيباً على هذه القصّة بالفصل في قضيّة عيسى عليه السلام التي كثر فيها الجدل، واختلفت فيها أحزاب اليهود والنصارى.

02- مناسبة السّورة لمحورها: محور السّورة هو الموضوع أو المقصد أو الهدف العامّ الذي يربط جميع موضوعات السّورة؛ فتدور حوله، وكمثال المناسبة بين اسم السّورة ومحورها يذكر الباحث سورة يونس، فاسم هذه السّورة « يرتبط بمحورها في أنّ النّبيّ يونس كان قد أنذر قومه بكبيّة الأنبياء، وطلب منهم الإيمان بأصول العقائد، ففي السّورة إثبات أنّ القرآن من عند الله لما اشتمل عليه من الحكمة لأنّ غيره لا يقدر على شيء منه، وذلك دال على أنّه واحد في ملكه لا شريك له في أمره، ودليله قصّة قوم يونس عليه السلام بأنّهم لما آمنوا عند المخائيل* كشف عنهم، فدلّ قطعاً على أنّ الآتي به هو الله الذي آمنوا به ... ودلّ ذلك على أنّ عذاب غيرهم من الأمم إنّما هو من عند الله لكفرهم لما اتّسق من ذلك طرداً بأحوال سائر الأمم ... »².

03- مناسبة افتتاح السّورة لمقاصدها: وفي هذا القسم لا يقدّم الفاتحة مثال، ولا يسبق عن سواها مقال، وذلك أنّ سورة الفاتحة تضمّنت الإشارة إلى جميع مقاصد القرآن وعلومه، وجمعت مقاصد الدّين وأصوله، من التّوحيد والتّعبّد والأحكام، وهذا ما قرّره كثير من العلماء³، وافتتاحها

1 محمد الطّاهر بن عاشور، التّحرير والتّنوير، مرجع سبق ذكره، ج16، ص: 58.

* المخائيل: مخائل السّحب هي السّحب المنذرة بالمطر، ورأيت في السّماء مخيلاً وهي السّحابة تخالها ماطرة لرعدها وبرقها، ورأيت فيها مخائيل. ينظر: الرّمحشيري، أساس البلاغة، تحقيق: محمّد باسل عيون السّود، (ط01، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1419هـ - 1998م)، ج01، ص: 274.

2 نخبة من علماء التّفسير وعلوم القرآن، التّفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مرجع سبق ذكره، ج03، ص: 307.

3 ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سبق ذكره، ج01، ص: 78. والرّازي، مفاتيح الغيب، مصدر سبق ذكره، ج01، ص: 144. والباقعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسّور، مرجع سبق ذكره، ج01، ص: 22. والسيوطي، الإتيان في علوم القرآن، مرجع سبق ذكره، ج01، ص: 122.

بالتّحميد لأنّها « بما تقرّر مُنَزَّلَةٌ من القرآن منزلة الدّيباجة للكتاب أو المقدّمة للخطبة. ولذلك شأن مهمّ في صناعة الإنشاء، فإنّ تقديم المقدّمة بين يدي المقصود أعون للأفهام وأدعى لوعيتها ».¹

والمناسبة بين افتتاح سورة سبأ ومقصود إثبات البعث والجزاء والرّدّ على من أنكر ذلك، قال البقاعيّ (توفي: 885هـ) في معرض حديثه عن سورة سبأ: « ومقصودها أنّ الدّار الآخرة -التي أشار إليها آخر تلك بالعذاب والمغفرة بعد أن أعلم أنّ النّاس يسألون عنها- كائنة لا ريب فيها، لما في ذلك من الحكمة، وله عليه من القدرة، وفي تركها من عدم الحكمة والتّصوير بصورة الظّلم، ولقصة سبأ التي تُبيّن بها السّورة مناسبة كبيرة لهذا المقصد ... ».²

04- مناسبة فواتح السّور لخواتمها: من ذلك قوله تعالى: في أوّل سورة البقرة: ﴿الَّذِينَ

يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٢﴾﴾ [البقرة: 03]، ثمّ اختتم الله ﷻ السّورة بقوله: ﴿وَأَمَّا الرُّسُلُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكَيْهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: 285]، فالمولى ﷻ ذكر في أوّل السّورة صفات المتّقين التي يتميّزون بها، وبَيّن في آخر السّورة أنّ الرّسول ﷺ والذين آمنوا معه قد امتثلوا تلك الصّفات وتحلّوا بها، ففواتيح السّورة وصف للصّفات الحميدة وخواتيمها وصف لمن اتّصف بها.³

وفي سورة المؤمنون افتتح السّورة بذكر فلاح المؤمنين ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾ [المؤمنون: 01]، واختتمها بنفيّ فلاح الكافرين ﴿إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: 117]، وهذا ربط واضح واتّساق قويّ بين المطّلع والختام، فلمّا ذكر الفلاح للمؤمنين في مطّلعها، قد يتوهّم البعض باحتمال الفلاح لغيرهم فنفيّ ذلك الوهم في ختام السّورة.⁴

05- مناسبة ترتيب آيات السّورة الواحدة: بالنّظر إلى نزول القرآن منجّماً ومفرّقاً حسب الوقائع والأحداث، والدّواعي والأسباب المتجدّدة خلال ثلاثة وعشرين سنة، يتبيّن لكلّ عاقل أنّ ترتيبه قائم على تناسب آياته وارتباطها بعضها ببعض، قال ابن تيمية (توفي: 728هـ): « من تدبّر القرآن وتدبّر ما قبل الآية وما بعدها وعرف مقصود القرآن تبين له المراد وعرف الهدى والرّسالة وعرف

1 محمد الطّاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سبق ذكره، ص: 154.

2 البقاعيّ، نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور، مرجع سبق ذكره، ج15، ص: 428.

3 نخبه من العلماء، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مرجع سبق ذكره، ص: 34 - 37.

4 المرجع السّابق، ص: 123.

السداد من الانحراف والاعوجاج».¹

وإذا أردنا أن نُقيم شاهد من العيان على صحّة وحدة سور القرآن، آخذين في الحسبان أولئك المشكّكين والشّاكين في ذلك، ومُدرّكين اختلاف موضوعات مقاطعها، فلا أفضل من أطول سور القرآن ليُتضح المثال، ولا أحسن منها في الرّدّ والبرهان، قال عبد الله درّاز (توفي: 1377هـ): «اعلم أنّ هذه السّورة (البقرة) على طولها تتألّف من: مقدّمة، وأربعة مقاصد، وخاتمة. على هذا التّرتيب: المقدّمة: في التعريف بشأن هذا القرآن، وبيان أنّ ما فيه من الهداية قد بلغ حدّاً من الوضوح لا يتردّد فيه ذو قلب سليم، وإنّما يُعرض عنه من لا قلب له، أو من كان في قلبه مرض.

المقصد الأوّل: في دعوة النّاس كافّة إلى اعتناق الإسلام.

المقصد الثّاني: في دعوة أهل الكتاب دعوة خاصّة إلى ترك باطلهم، والدّخول في هذا الدّين الحقّ.

المقصد الثّالث: في عرض شرائع هذا الدّين تفصيلاً.

المقصد الرّابع: ذكر الوازع والنّازع الدّينيّ الذي يبعث على ملازمة تلك الشّرائع، ويعصم عن مخالفتها. الخاتمة: في التعريف بالذين استجابوا لهذه الدّعوة الشّاملة لتلك المقاصد، وبيان ما يرجى لهم في آجلهم وعاجلهم.

تلك هي سورة البقرة، رأيت وحدتها في كثرتها، أعرفت اتّجاه خطوط لوحتها؟ رأيت كيف التحمت لبناتها من غير ملاط يمسخها، وارتفعت سماؤها بغير عمد تسندها؟ رأيت كيف انتظم من رأسها وصدرها وأحشائها وأطرافها ... فتالله لو أنّ هذه السّورة ربّبت بعد تمام نزولها لكان جمع أشاتها على هذه السّورة معجزة فكيف وكلّ نجم منها كسائر النّجوم في سائر السّور كان يوضع في رتبته من فور نزوله وكان يحفظ لغيره مكانه انتظاراً لحلوله، وهكذا كان ما لم ينزل منها معروف الرّتبة محدّد الموقع قبل أن ينزل»²، فإذا كان هذا هو الحال مع أطول سورة غيرها بوجود المناسبة أولى وأيسر، ولا فرق بين كلام الله ﷻ منزلةً وإعجازاً وتناسباً.

الثّاني: المناسبة بين السّور: وفيه أيضاً أقسام:

01- مناسبة ترتيب سور القرآن الكريم: إنّ ترتيب السّور في السّياق التّرتيليّ الذي هو بين

دفتي المصحف الذي عليه الأمة جمعاء إنّما هو مظهر من مظاهر إعجازه البيانيّ، وإنّ تناسبه المعجز

1 ابن تيمية، مجموع الفتاوى، مصدر سبق ذكره، ج10، ص: 94.

2 محمّد عبد الله درّاز، النّبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، (د.ط، دار القلم، الكويت، د.س.ط)، ص: 163، 210 - 211.

ليس بالمحصور في تناسب نظمته التركيبية الحاصل في بناء الجملة، بل هو أيضاً مُتحقق على كماله في نظمته الترتيبية المائل في علاقات الجمل بعضها ببعض في بناء المعقّد، وعلاقات المعقّد بعضها ببعض في بناء السّورة، وعلاقات السّور بعضها ببعض في بناء البيان القرآنيّ العظيم كلّهُ مُفتتحاً بسورة «الفاتحة» ومختتماً بسورة «النّاس»¹.

02- المناسبة بين مضمون السّورة لما قبلها ولما بعدها: كما في سورتي البقرة والفاتحة وآل عمران، ففي سورة الفاتحة ذكر الله ﷻ المنعم عليهم وهم المسلمون، والمغضوب عليهم ومنهم اليهود، والضّالون ومنهم النّصارى، وقد ذكر في سورة البقرة الطّائفتين الأولىين بما هو ظاهر، وذكر في مستهلّ سورة آل عمران الطّائفة الثالثة، ثمّ إنّنا نجد سورتي النّساء والمائدة في التّلازم والاتّحاد، تناظراً مع سورتي البقرة وآل عمران؛ فسورتا البقرة وآل عمران اتّحدتا في تقرير الأصول من الوحدانية، والرّبوبية، والنّبوة، ونحوها من العقائد؛ وسورتا النّساء والمائدة جاءتا بتقرير الفروع الحكيمية، والأحكام التشريعية، ومن ذلك أيضاً؛ ذكر النّعم الحسيّة على رسول الله ﷺ في سورة الضّحى، ثمّ ذكر للنّعم المعنويّة عليه ﷺ في سورة الشّرح. والله أعلم.

03- مناسبة اختتام السّورة لفواتح ما قبلها أو افتتاح السّورة لخاتمة ما قبلها: ومن ذلك أوجه الموافقة بين سورتي المائدة والنّساء، فسورة النّساء افتتحت ببيان صفة القدرة الإلهية؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النّساء: 01]، وسورة المائدة خُتمت ببيان ذلك أيضاً؛ قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: 120]، وأيضاً فقد افتتحت سورة النّساء ببدء الخلق: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النّساء: 01]، وخُتمت سورة المائدة بالمتنهي من البعث والجزاء؛ قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ قَالَوا أَعْلَمُ لَنَا أَنْتَ أَنْتَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: 109] إلى قوله: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة: 119] فكأتهما سورة واحدة اشتملت على الأحكام من المبدأ إلى المتنهي. والله أعلم.

ومن ذلك أيضاً؛ افتتاح سورة الكهف بالتّحميد في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَّهُمْ عِوَجًا﴾ [الكهف: 01]، وهو آخر سورة الإسراء في قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْذَلْنَا وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ وَلِيٌّ مِنَ الدُّنْيَا وَكَبِيرُهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: 111]،

1 البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسّور، مصدر سبق ذكره، ج 04، ص: 199.

وهذا كما هو واضح؛ من وجوه المناسبة بتشابه الأطراف.

04- مناسبة مطلع السّورة لمطلع السّورة التّالية لها: ومن الأمثلة على ذلك: التّناسب بين

السّور السّبع التي تبدأ بالأحرف ﴿حَم﴾، فهذه السّور (غافر، فصلت، الشّورى، الزّحرف، الدّخان، الجاثية، الأحقاف) سور متتاليات قال عنها رسول الله ﷺ: «الحواميم ديباج القرآن»¹؛ اشتركت بأنّها سور مكّيّة، جميعها تبدأ بالحرفين (حم)، كما اتّفقت في موضوعاتها؛ فقد افتتحت بذكر الكتاب وصفاته مع ذكر بعض الصّفات الإلهية ودلائل القدرة، وتضمّنت ذكر الكثير من النّعم الإلهية، وتوجّهت في الكثير من آياتها إلى خطاب رسول الله ﷺ، وذكرت شيئاً من القصص القرآنيّ، كما عرضت الكثير من مشاهد يوم القيامة ترغيباً في الجنّة وترهيباً من النّار، وكان لذكر المؤمنين وصفاتهم والكافرين ومواقفهم من القرآن العدد الأكبر من الآيات، وتخلّلت هذه الموضوعات بعض القواعد الإيمانية، فكانت هذه السّور بهذا التّشاكل والتّقارب رغم تفاوت المقادير في الطّول والقصر وتنوّع الكلام؛ وجهاً من أوجه التّناسب في القرآن الكريم؛ يُعزّز الإيمان ويكشف عن وجوه جديدة من الإعجاز القرآنيّ.

05- مناسبة السّور المتباعدات: إذا كان التّناسب حاصلاً بين السّور المتتابعات، فإنّه

حاصل بين السّور المتباعدات أيضاً، «فالسّورة القرآنيّة بمثابة حلقات مترابطة مشمولة بحلقة أكبر منها، وهي داخلة فيها متعلّقة بها، ولا يتحمّ أن تكون كلّ حلقة موجودة على مسار خطّ السّورة مرتبطة بالحلقة التي قبلها مباشرة، بل قد تكون متّصلة بالحلقة الكبرى التي تمثل مقصود السّورة الرئيس، أو متّصلة بحلقة دونها قد سبقت وليست هي الحلقة المباشرة في تسلسل وصف الحلقات»²، ومن ذلك ما ذكره ابن القيم عن الأحرف الثلاثة ﴿آل﴾ عند تفسير قوله تعالى: ﴿الْم ﴿١﴾﴾ [البقرة: 01]، حيث قال: «... وكلّ سورة افتتحت بهذه الأحرف الثلاثة فهي مشتملة على بدء الخلق ونهايته وتوسّطه، فمشتملة على تخليق العالم وغايته، وعلى التّوسط بين البداية والنّهاية من التّشريع والأوامر، فتأمّل ذلك في البقرة وآل عمران وتنزيل والسّجدة وسورة الرّوم»³.

1 أخرجه الحاكم في المستدرک على الصّحيحين، (437/02). عن ابن مسعود موقوفاً: ورجاله ثقات إلّا أنّه منقطع، مجاهد لم يدرك ابن مسعود وروايته عنه مرسلة.

وقال السيوطي في الدّر المنثور في التّفسير بالمأثور، (269/07): وأخرج أبو الشّيخ وأبو النّعيم والديلمي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الحواميم ديباج القرآن». وقال الألباني: موضوع، ضعيف الجامع، (2800).

2 عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله ﷻ، (ط02، دار القلم، دمشق، سوريا، 1989م)، ص: 28.

3 ابن القيم، بدائع التّفسير، مرجع سبق ذكره، ج01، ص: 90.

ومن هذا النوع التّناسب في أسلوب السّور، أو بين الموضوع الرّئيس في كلّ سورة، وهذا مسلك أعمق وأدقّ في الملاحظة والتّدبر، حيث يربط بين الرّوحين السّاريتين في السّورتين أو في عدّة سور، ومثال ذلك تناسب السّور المكيّة فيما بينها في عدّة نقاط، منها قوّة الأسلوب، وشدّة الخطاب؛ لأنّ غالب المخاطبين مُعرضون مُستكبرون، ولا يليق بهم إلّا ذلك، وكذا قصر الآيات، وقوّة المحاجة؛ لأنّ المخاطبين مُعاندون مُشاقّون، كما هو في سور الطّور والقمر والمدّثر وغيرها.

أمّا السّور المدنيّة فالغالب في الأسلوب هو اللّين، وسهولة الخطاب؛ وطول الآيات، وذكر الأحكام مرسلّة بدون محاجة؛ لأنّ حاله المخاطبين تقتضي ذلك، فأغلبهم كانوا مُقبلين مُنقادين، كما هو الخطاب في سور البقرة والمائدة والنّساء وغيرها، وأمّا من حيث الموضوع فيغلب في السّور المكيّة تقرير التّوحيد والعقيدة السّليمة، خصوصاً ما يتعلّق بتوحيد الألوهيّة والإيمان بالبعث؛ لأنّ غالب المخاطبين ينكرون ذلك، بينما السّور المدنيّة فالغالب فيها تفصيل العبادات والمعاملات؛ لأنّ المخاطبين قد تقرّر في نفوسهم التّوحيد والعقيدة السّليمة، فهم في حاجة لتفصيل العبادات والمعاملات، فالقرآن الكريم كما هو واضح يتناسب خطابه بحسب المخاطبين وبحسب المواضيع المعالجة، كما أنّه يوظّف أساليب متناسبة مع مقتضى الخطاب والمخاطب، فتناسب من كلّ وجه؛ وذاك وجه من وجوه إعجازه وربانيّته.¹

ومنه أسرار القصص المكرّرات في السّور المختلفة، و « كلّ سورة أُعيدت فيها قصّة فلمعنى أدعى في تلك السّورة استُبدل عليه بتلك السّورة بغير المعنى الذي سبقت به في السّورة السّابقة، ومن هنا اختلفت الألفاظ بحسب تلك الأغراض، وتغيّرت النّظم بالتأخير والتّقديم والإيجاز والتّطويل، مع أنّه لا يخالف شيء من ذلك المعنى الذي تكوّنت له القصّة »²، ومؤكّد أنّ لكلّ قصّة عبر ودلالات ودروس كثيرة، والقرآن يُورد من القصّة المقطع الذي يتناسب مع الموضوع الذي وردت فيه، ويشهد للمقصد الذي تهدف إليه سوابقها ولواحقها من آيات السّور، « فمثلاً قصّة آدم في سورة البقرة تخدم سياقها الخاصّ وهو الأمر ﴿اعْبُدُوا﴾، فهي نموذج الانحراف عن الأمر وما يترتّب عليه، وكيف ينبغي أن يفعل الإنسان ليتخلّص من مخالفته، أمّا قصّة آدم في سورة الأعراف فهي تخدم موضوع الاتّباع وما يترتّب عليه، والكفر وما يترتّب عليه »³، والوقاية لتحقيق السّلامة من الانحراف والكفر ثمرة من ثمرات

1 للمزيد حول السّمات الموضوعيّة والأسلوبيّة التي تميّز بها كل من القرآن المكيّ والقرآن المدنيّ. ينظر: ابن عقيلة المكيّ، الزيادة والإحسان في علوم القرآن، (ط1، جامعة الشّارقة، الإمارات العربيّة المتّحدة، 1427هـ - 2006م)، ج1، ص: 222.

2 البقاعيّ، نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور، مصدر سبق ذكره، ج1، ص: 14.

3 سعيد حوى، الأساس في التفسير، (ط1، دار السّلام للطباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، جمهورية مصر العربيّة، 1405هـ - 1985م)، ج4، ص: 1881.

الاتباع، « وقد جرت سنة الله تعالى بأنّ متّبع هذا القرآن والباحث عنه والمتمسك به يحصل له عزّ في الدنيا وسعادة في الآخرة ».¹

المطلب الرابع: ضوابط القول بالمناسبات وبيان علاقتها بالتفسير الموضوعي

أولى علماؤنا علم المناسبة عناية كبيرة في مؤلفاتهم، ونَبَّهوا إلى مواضع الرّبط بين الآيات والسّور والبحث عن سرّ ترتيبها، فاحتاجت إلى ضوابط ترسم حدود القول والاستعانة بها عند تفسير القرآن الكريم، ومع ظهور التفسير الموضوعي زاد اتّساع البحث طلباً لفهم مُتجدّد للآيات القرآنيّة، وبرزت الثّنائيّة بين علم المناسبات كأهمّ العلوم، والبحث في التفسير الموضوعي كأهمّ التفسيرات المعاصرة، فهما جديران بالتقاطع فيما بينهما، ومحكومان بالتباين حتّى يتميّز أحدهما عن الآخر.

أولاً: ضوابط القول بالمناسبات: وجه المناسبة بين الآيات والسّور في القرآن الكريم يخفى تارة ويظهر أخرى، وقد عمل بعض العلماء على التّنبية إلى بعض الضّوابط التي ينبغي أن تُلتزم في القول بالمناسبة، وبعد تتبّع الباحث لها خلص إلى ما يلي:

01- استيفاء ضوابط التفسير بالرأي: سبق الإشارة إلى أن القول بالمناسبة إنّما هو ضرب من القول بالرأي والاجتهاد، ولأنّه ما لا يتم الواجب إلّا به فهو واجب، فإنّ تمام القول بالمناسبة من تمام التزام ضوابط التفسير بالرأي، وضوابط التفسير بالرأي التي لا بُدّ من مراعاتها هي: «

- الالتزام بمدلول الألفاظ واستعمالها في اللغة العربيّة في ظلّ السّياق.

- عدم التكلّف أو الشّطط في الفهم.

- الحذر من السّير مع الهوى والاستحسان».²

- الحذر من جعل المذهب الفاسد أصلاً، والتفسير تابعاً له.

02- موافقة المناسبة لتفسير الآية ومقاصدها: فلا تكون مخالفة للشرع مخالفة تضادّ،

متعارضة خارجة عن أقوال الصّحابة والتّابعين وأتباعهم رضي الله عنهم، و « الأمر الكلّي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنّك تنظر الغرض الذي سيقت له السّورة. وتنظر إلى ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدّمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدّمات في القرب والبعد من المطلوب. وتَنجُرُّ عند انجرار الكلام في المقدّمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السّامع إلى الأحكام واللّوازم التّابعة

1 التّرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سبق ذكره، ج13، ص: 66.

2 عماد علي عبد السميع حسين، التيسير في أصول واتجاهات التفسير، (د.ط، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، 2006 م)، ص: 110.

له¹، وتتوقّف الإجابة فيه على معرفة مقصود السّورة المطلوب فيها، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها²، والمفسّر إذا راعى الاهتمام بمعرفة مقاصد السّورة وموضوعاتها، يساعده ذلك على سداد القول والتّوفيق للصّواب، ويبيعه عن جور القصد والخطأ من كلّ باب.

03- مراعاة ترتيب الآيات والسّور: سيظلّ موضوع ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره، واستنباط ما فيهما من لطائف وحكم موضع بحث العلماء وتدقيقهم ما بقي هذا الكتاب بين أيديهم، ومن المعلوم أنّ «أكثر لطائف القرآن مُودعة في التّرتيبات والرّوابط»³، فهذا الموضوع مُتعلّق بالقرآن العظيم، لذا فإنّ له أهميّة خاصّة في دراسة علم المناسبات بين السّور، إذ القول بالتّوقيف يفتح المجال رجباً أمام الباحثين لسبر أغوار هذا العلم الذي يكشف عن روعة وجمال هذا الكتاب المجيد الذي لا تنفد عجائبه، مع الاعتناء بما كتبه السّابقون وأفردوا له من المصنّفات في هذا الباب. فالأمة محتاجة إلى عشرات البحوث في هذا المجال الرّحب، والقول بالاجتهاد في التّرتيب يقصر هم الباحثين على دراسة وجه التّناسب فقط بين الآيات، ويصرفهم عن السّور، وهذا باب تضيق لواسع بلا دليل قاطع، لذا فإنّ ما يجب هو مراعاة انسجام المناسبة مع السّياق والسّباق واللّحاق ككلّ، قال الملوّي (توفي: 774هـ): «الذي ينبغي في كلّ آية: أن يبحث أوّل كلّ شيء عن كونها مكّملة لما قبلها أو مستقلة، ثمّ المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك علم جمّ، وهكذا في السّور يُطلب وجه اتّصالها بما قبلها وما سيّقت له»⁴.

04- وحدة الموضوع: معيار الطّبع والتّكلّف في إثبات المناسبة بين الآي والسّور إنّما يعود أساساً إلى مدى التّمائل والتّقارب أو البعد والتّنافر بين الموضوعات، فإن تماثلت وتقاربت، وارتبطت الأوائل بالأواخر فالتّناسب معقول، وإلاّ كان التّكلّف والتّمحلّ والإغراب⁵، والوحدة الموضوعيّة هي التّفرد بالشّيء والاستقلال به، وعدم وجود نظير لها فلا يُمكن تجزئتها، وهي تماسك أجزاء الماهية الواحدة بحيث تُصبح بمنتهى القوّة والتماسك والتّفرد، وهذا الضّابط خطوة مرحليّة لا بدّ منها وإلاّ كان التعسّف وليّ النّصوص.

05- إدراك فضيلة وأهميّة المناسبة: إنّ المناسبة لا تقلّ أهميّة عن سبب النّزول، فهي تُعين

1 البقاعي، نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور، مصدر سبق ذكره، ج 01، ص: 11.

2 المصدر السّابق، ج 01، ص: 05.

3 الرّازي، مفاتيح الغيب، مرجع سبق ذكره، ج 10، ص: 11.

4 الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، مرجع سبق ذكره، ج 01، ص: 37.

5 المرجع السّابق، ج 01، ص: 35.

على فهم المعنى وتحليل الأحكام، وثمرتها تسديد الفهم ببيان المفهوم، ومن هنا وجدنا بعض المفسرين يقدم إيرادها على سبب النزول، وتلك إشارة منهم إلى فضيلتها وأهميتها، يقول الزركشي (توفي: 794هـ): « إذا كان وجه المناسبة لا يتوقف على سبب النزول فالأولى تقديم وجه المناسبة »¹، لأنّ الزمان إنّما يشترط في سبب النزول ولا يشترط في المناسبة، إذ المقصود منها وضع آية في موضع يناسبها²، ووجه هذا الصّابط هو أنّه كما يتخوّف من التّكلف في أعمال المناسبة يُنهى ويُتخوّف من إهمالها وتأخيرها زمن التّقديم.

06- وجود رابط من الروابط: الأمر الكلّي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنّك تنظر الغرض الذي سيقى له السّورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر - عند انجرار الحديث في المقدمات - إلى ما تستتبعه من استشراف نفس السّامع إلى الأحكام واللّوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء الغليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها، فهذا هو الأمر الكلّي المهيمن على حكم الروابط بين جميع أجزاء القرآن، فإذا عقلته تبين لك وجه النّظم مفضلاً بين كلّ آية وآية في كلّ سورة.³ فمعيار الطّبع والتّكلف في إثبات المناسبة بين الآي والسّور إنّما يعود أساساً إلى مدى التّماثل والتّقارب أو البعد والتّنافر بين الموضوعات، فإن تماثلت وتقاربت، وارتبطت الأوائل بالأواخر فالتناسب معقول، وإلا كان التّكلف والتّمحل والإغراب.⁴

وعلاقات التّربّط متعدّدة منها: العموم والخصوص، السّبب والمسبب، العلّة والمعلول، والتّضاد، والتّنظير والاستطراد، وغيرها ممّا توسّع العلماء في ذكره وبيانه، كما أنّ أوجه تعلق المناسبات بعضها ببعض متنوّعة، منها: ضرب مثال لبيان ما سبق، التّأكيد لما سبق، وغيرها.

07- عدم التّكلف والتّعسف في طلب المناسبة: فحتّى إذا بان للمفسّر وجه مناسبة ما؛ فيجب عليه أن لا يجزم بأنّ ما ذهب إليه هو مراد الله ﷻ، فغاية ما في الأمر هو ما أدّاه إليه اجتهاده ونظره وتدبّره، وقد تكون المناسبة موجودة، ولا يلزم أن تكون ظاهرة في كلّ موضع لكلّ أحد، فهي فضل من الله يؤتيه من يشاء من عباده، فوجوه الرّبط بين الآيات تتعدّد في الغالب، ولا وجه لإنكار تعدّد المناسبات في الموضوع الواحد، كما أنّ الموازنة والتّغليب بينها مبنيّ على الذّوق وغلبة الظّن، ولا

1 الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مرجع سبق ذكره، ج 01، ص: 34.

2 المرجع السابق، ج 01، ص: 26.

3 المرجع السابق، ج 02، ص: 141.

4 المرجع السابق، ج 01، ص: 35.

يكاد يوجد أدلة قاطعة لمعرفة المقبول منها والمردود؛ ما لم تشتمل على خطأ بَيِّن أو تكلف زائد.

وعلم المناسبات ليس بالعلم التوقيفي، إذ مرجعه اجتهاد المفسر ورأيه، لذا يجب البعد عن التكلف والتعسف، واجتناب تطلب المناسبة وفرضها دون وجود أسبابها، كما يجب عدم تجاهلها ونفيها متى ما توفرت دواعيها، واقتضت الحاجة إليها، فالآيات والسور « إن تماثلت وتقاربت، وارتبطت الأوائل بالأواخر فالتناسب معقول، وإلا كان التكلف والتمحّل والإغراب ».¹

ولا ينظر المفسر في التفسير الموضوعي إلى آية بمفردها مع آية أخرى، ولا إلى سورة بمفردها مع سورة أخرى، بل يُراعى مناسبة موضوع مقطع من الآيات لمقاطع أو مقطع آخر في سورة؛ أو في عدة سور، ومناسبة موضوع مجموعة من السور لمجموعة من السور؛ أو لسورة، وبمعرفة علم المناسبات يتضح ويتبين إعجاز القرآن وترابط آياته وتناسقها، وقد وقع خلط بين التفسير الموضوعي وعلم المناسبات، لذا يجب تمييز ما يجمعهما عما يفرق بينهما.

ثانياً: تقاطعات التفسير الموضوعي وعلم المناسبات: يرى الباحث أن التفسير الموضوعي يجتمع مع علم المناسبات في التقاط التالية:

01- علم المناسبات يتناول الربط الجزئي بين كل آية وآية وسورة وسورة، والتفسير الموضوعي يقف على تحديد عناصر السورة القرآنية، أو الموضوع القرآني، أو المصطلح القرآني، بحيث أن كل عنصر يناسبه مجموعة من الآيات قد تختلف في موضوعاتها الجزئية، لكنها تنتظم في ضوء مقاصد الآيات أو السورة القرآنية، وفي ضوء الوحدة الموضوعية والأهداف العامة.

وغاية ما في الأمر أن بيان مقاصد السور وتناسبها كان سابقاً يبحث في علم التفسير ضمن علم المناسبات، فلما ظهر التفسير الموضوعي الذي يتناول الموضوعات والمصطلحات والسور القرآنية ويُعالج بها الواقع، جعل لذلك خطوات منهجية علمية قابلة للتطور؛ منها توظيف علم المناسبات ضمن ضوابط مُعتبرة.

02- علم المناسبات وثيق الصلة بالتفسير الموضوعي، وهو جزء لا يتجزأ منه، وكلاهما يقف على أغراض الآيات والسور وأهدافها، والمناسبة تُؤكد الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم من خلال وحدة موضوعات السورة والسور، وذلك أن النص القرآني لا يتعد عن سياقه بربط السابق باللاحق من الآيات والسور على نسق موضوعي متناسب وصولاً للغايات والمضامين القرآنية، لمعالجة مشكلات الواقع وصياغة حلولها.

1 الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مرجع سبق ذكره، ج 01، ص: 35.

03- الاتفاق المنهجي بين التفسير الموضوعي وعلم المناسبات، فكلاهما يهتم بتحديد أسباب النزول، ومعرفة المكّي من المدنيّ، والوقوف على مقاصد الآيات والسّور، وتحديد معالمها، وتقسيمها مقاطع وفقرات بينها تناسب وترابط، ثمّ دراستها ضمن مواضعها من السّورة أو الموضوع بطريقة تكشف الرّوابط بينها وبين أغراضها بما يحقّق بيان معانيها في سلك واحد تحت عنصر عامّ موحّد.

04- إظهار الإعجاز القرآنيّ؛ فكما أنّ القرآن الكريم مُعجز من حيث فصاحة ألفاظه وبلاغة معانيه، فهو معجز في ترابط وتناسق آياته بعضها مع بعض، وهذا دليل على أنّ القرآن الكريم من عند الله تعالى¹، فالقرآن الكريم تقرؤه من أوّله إلى آخره، فإذا هو محكم السّرد، دقيق السّبك، متين الأسلوب، قويّ الاتّصال، أخذ بعضه برقاب بعض في سورة وآياته وجمله، يجري دم الإعجاز فيه كلّ من ألفه إلى يائه كأنّه سبيكة واحدة²، والتفسير الموضوعي كعلم المناسبات، لهما اهتمامات بارزة لإظهار الإعجاز القرآنيّ وإثباته من خلال إثبات الوحدة الموضوعيّة وتناسب الآيات والسّور القرآنيّة.

05- دفع توهم التّكرار في كلام الله؛ فالتّناسب بين الآيات والسّور يكشف لنا أنّ القرآن الكريم لا يوجد فيه تكرار لجرد التّكرار والحشو، لأنّ كلّ سورة تتكرّر فيها القصّة، تتعدّد أغراضها ومقاصدها، ولأنّ التّكرار يعني تكرار القصّة نفسها وتكرار الغرض منها، لكن هذا غير موجود في القصّة القرآنيّة، فإنّ كلّ سورة تكرّرت فيها قصّة فلها معنى مختلف عن معنى الذي ذكرته في غيرها من السّورة³، وكذلك التفسير الموضوعي ينظر في التّكرار ويبحث عن الرّوابط والأثر في استنباط معاني القرآن.

06- قوّة الصّلة بين علم المناسبات والتفسير الموضوعي الكشفّي والتّجميعي؛ وذلك لأنّنا نعلم أنّ الآية أو مجموعة الآيات التي نزلت في أسباب مختلفة وحوادث متفرّقة وُضعت توقيفياً في سورة واحدة، لذا من البديهيّ أن تجمعها وحدة الموضوع والغاية؛ فسياقها جميعها شيء واحد، وكما أنّ الزّمن لم يكن له اعتبار قبل نزول القرآن إلى اللّوح المحفوظ ثمّ إلى بيت العزّة في السّماء الدّنيا، ألغي هذا الاعتبار أيضاً بعد جمع القرآن بين دفتي المصحف، ولم يبق له إلاّ دلالات مُساعدة في إلقاء الأضواء على مضمون الآية أو الحكم الذي تشتمل عليه الآية الكريمة، فارتباط كلّ آية بما قبلها وبما بعدها بأيّ وجه من الوجوه في السّورة الواحدة مظنة المفسّر، والتّناسب والارتباط بين الآيات القرآنيّة الواردة في الموضوع الواحد وفي السّورة الواحدة ثابت مُتحقّق، وهذا أمر ظاهر رغم تفرّق زمن النزول

1 الزّازي، مفاتيح الغيب، مصدر سبق ذكره، ج 07، ص: 106.

2 الزّرقانيّ، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: فؤاد أحمد زمري، مرجع سبق ذكره، ج 01، ص: 53.

3 فضل عباس، إعجاز القرآن الكريم، (ط 01، دار الفرقان، عمّان، الأردن، 1991م)، ص: 230.

واختلاف الأسباب، وذلك أنّ القرآن يُفسّر بعضه بعضاً.

07- كشف المناسبة عن الموضوع من عدّة أوجه؛ فلمّا كان علم المناسبة مسلكاً من مسالك الكشف عن المقاصد الشرعيّة؛ كان كذلك باعتبار أولى مسلكاً من مسالك الكشف عن الموضوع الإجماليّ للسّورة الواحدة؛ وربّما للعدد من السّور، أو بين الآيات المتفرّقة المواضع المشتركة في المعنى، كما أنّ هذا العلم يكشف عن الوحدة الموضوعيّة للقرآن الكريم ككلّ.

08- اشتراك المناسبة مع التفسير الموضوعي في المقصد والثمرة، فوظيفة علم المناسبة بيان وحدة القرآن ووحدة السّورة وترباط الآيات وتشابكها، ووظيفة التفسير الموضوعي هي بيان وجود الوحدة الموضوعيّة في السّورة وبين الآيات في الموضوع الواحد؛ وفي المصطلح القرآنيّ، ومن هنا برز الاشتراك في المقصد والغاية بينهما.

ثالثاً: تباينات التفسير الموضوعي عن علم المناسبات: كما وُجد ما يجمع بين التفسير الموضوعي وعلم المناسبات؛ يرى الباحث أنّه قد وُجد ما يفرّق ويُباین بينهما، ويتمثّل ذلك فيما يلي:

01- علم المناسبات عُرف عند السّلف وانتهى علماً عند العلماء قديماً، وهو يكشف الرّوابط والصّلات بين الآيات والسّور، وهو بهذا يعدّ مبحثاً من مباحث إعجاز القرآن ودعامة هامة من دعائم تفسيره، فهو يدعو إلى الوقوف على ما بين الآيات والسّور من ارتباط ومناسبات دقيقة، وإثبات حكمة توقيفيّة الآيات والسّور، وما يتبع ذلك من استخراج المعاني والتماس اللّطائف.

بينما التفسير الموضوعي نوع جديد من أنواع التفسير؛ غايته تلبية حاجات المجتمع وحلّ مشكلاته العصريّة، وطرائق البحث فيه متنوّعة، وعلم المناسبة وسيلة من وسائله، ومن هنا برزت العلاقة الوثيقة بينهما، وهي ذاتها تخلق تبايناً مهمّاً بينهما، ويكمن هذا التّباين في كون المفسّر في التفسير الموضوعي يعتمد على تلك اللّطائف أو تلك المعاني أو تلك العلل؛ كما يعتمد على غيرها، ويستند إليها للرّبط بين وحدات القرآن سواء على مستوى الألفاظ أو على مستوى الآيات أو على مستوى السّور كما يستند على غيرها.

02- اقتران التفسير الموضوعي في مرحلة من مراحل التفسير الأدبيّ الفنيّ جعل المصطلح ينصرف إلى مُسمّيات عدّة منها الوحدة الموضوعيّة، والوحدة العضويّة، والوحدة البنائيّة، أمّا علم المناسبة فقد استقرّ مُصطلحه كعلم من علوم القرآن، جمع فيه العلماء ما استنبطوه من مناسبات الآيات ثمّ أضافوا إليه مناسبات السّور، وهذا جعله أساساً وركناً للتفسير الموضوعي القائم على المقصد الأساسي للموضوع أو السّورة أو المصطلح، ومراعاة وحدتها الموضوعيّة.

03- الحاجة للتكّلف في التفسير الموضوعي للمصطلح؛ فهذا النوع من التفسير الموضوعي يرجع في الأساس إلى علم الوجوه والنظائر، والذي يظهر للباحث أنّ المقاربة والمشاكلة بين التّظهيرين لازمة، لأنّ النظائر تتعلّق بالألفاظ المتّحدة في النّطق والمعنى معاً، ووجه التّناسب بينها جليّ، أمّا الوجوه التي تتعلّق بالألفاظ المتّحدة في النّطق المختلفة في المعنى؛ فتحتاج إلى تكّلف وتوسّع لإيجاد تناسب بين مدلول ودراسة الألفاظ، وإذا حضر التّكّلف اختفت المناسبة.

04- اتّفاق كثير من المفسّرين ممّن وقف على معالم ارتباط وتشابك الآيات والسّور على إطلاق مصطلحي المناسبة والتّناسب على ما وصلوا إليه، رغم أنّهم ذكروا بعض أهداف السّور وأوجه الرّبط بين الآيات والسّور، إلّا أنّهم لم يجعلوه نوعاً تفسيرياً مستقلاً، ولا هم جعلوا له مُصنّفات خاصّة بالتفسير الموضوعي.

بينما نجد رواد التفسير الموضوعي وافقوا السّابقيين في ما اتّفقوا عليه من إطلاق مُصطلحي المناسبة والتّناسب على مُصنّفاتهم، ثمّ استقلّوا بنهج جديد، وأسّسوا لنوع حديث من التفسير، وأفردوا له مؤلّفات ودراسات نظريّة وتطبيقية تحت عنوان مُستقلّ ومُحدث هو التفسير الموضوعي، ولم ينسبوه لعلم المناسبات ولاهم ربطوه به، بل استفادوا من مُصنّفات المناسبات كما استفادوا من غيرها من مُصنّفات علوم القرآن، وجعلوا تحديد مختلف المناسبات خطوة مهمّة من خطواته المنهجية.

05- علم المناسبات مُقيّد بتوقيف ترتيب الآيات والسّور فلا يخرج عنه، ويتعامل معها كما هي في المصحف الذي بين أيدينا، فيكشف أوجه التّآلف والتّرابط والتّناسب بين القرآن، بحيث يتلاحم المكيّ مع المدنيّ وفق التّرتيب المصحفيّ.

أمّا التفسير الموضوعي فالأمر فيه واسع، إذ يُمكن أن تُجمع الآيات ذات الهدف المشترك، وتُرتّب ثمّ تُفسّر فيه بحسب ترتيب نزول الآيات، ويتمّ بعدها تجاوز بيان مناسبة الآيات وفق التّرتيب المصحفيّ ببيان مناسبتها حسب التّرتيب النّزوليّ.

06- المناسبة لها دور في التّرجيح بين الأقوال والمعاني مهما كان نوع التفسير، وهي تشترك في هذا الدّور بين جميع أنواع التفسير الأربعة، فالمفسّر تفسيراً تحليلياً، كالمفسّر تفسيراً إجمالياً، وكالمفسّر تفسيراً مُقارناً، وكالمفسّر تفسيراً موضوعياً، كلّهم سواء في الاستفادة من علم المناسبات، بنفس القدر والطريقة، لا يفرق نوع عن نوع إلّا بمدى ومقدار اعتماده وتوظيفه لعلم المناسبات، وهنا يبرز التفسير الموضوعي باعتبار اهتمامه بالموضوع والتّرابط بين الآيات والسّور، ولكن لا يمكنه احتكار الاستفادة من علم المناسبة.

المبحث الثالث

ضوابط التفسير الموضوعي

المطلب الأول: ضوابط عامة لقبول التفسير الموضوعي

المطلب الثاني: ضوابط التفسير الموضوعي الكشفي

المطلب الثالث: ضوابط التفسير الموضوعي التجميعي

المطلب الرابع: أخطاء متعلقة بضوابط التفسير الموضوعي

المبحث الثالث: ضوابط التفسير الموضوعي

إنَّ التفسير الموضوعي إن كان يقتضي خفاء معنى الآية على سلف الأمة وعلمائها وخطئهم كلهم في فهم كلام الله، فلا ريب أنَّ هذا غير ممكن، وأمَّا إن كان المراد منه الاستنباط من الآيات والموضوعات القرآنية والإتيان بمعانٍ إضافية زائدة على ما ذكره المفسرون السابقون بما لا يقتضي بطلان تفسيرهم، ولا خفاء معنى الآيات عنهم، فلا مانع من ذلك ولكن بضوابط وبشروط.

المطلب الأول: ضوابط عامة لقبول التفسير الموضوعي:

لا يحتاج المتأمل في التفسير والدراسات القرآنية والمؤلفات المعاصرة إلى عظيم جهد للوصول إلى واقعها الذي يغلب عليه الميل إلى التفسير الموضوعي تنظيراً وتطبيقاً، وحتى ينضبط تدقق هذا السيل الجرار على مواضع القرآن وسوره، ويكون نافعاً غير ضارٍ، جاءت الحاجة للضوابط العامة للتفسير الموضوعي بكل أنواعه، وقد جمعها الباحث في الضوابط التالية:

الضابط الأول: تفسير الآيات والموضوعات القرآنية بأحسن طرق التفسير: الأسلوب الصحيح لتفسير القرآن الكريم هو الأسلوب القائم على الفهم الصحيح الذي لا يتأتى إلا بعد الاستناد إلى القواعد الصحيحة والأدلة المعتبرة، سواء كانت نقلية أو عقلية، لذا كان لازماً على المفسر الذي يمتلك المؤهلات ويدرك أغراض التفسير أن يجتنب في التفسير الموضوعي الأساليب التي لا تقوم على دليل أصلاً، أو تقوم على دليل غير معتبر كبعض طرق التفسير الإشاري، والعلمي، والتفسير بالرأي المذموم، قال الطبري (توفي: 310هـ): « فأحق المفسرين بإصابة الحق في تأويل القرآن الذي إلى علم تأويله للعباد سبيل، أوضحهم حجة فيما تأول وفسر، مما كان تأويله إلى رسول الله ﷺ دون سائر أئمة، من أخبار رسول الله ﷺ الثابتة عنه، إما من جهة النقل المستفيض، وإما من جهة نقل العدول الأثبات، فيما لم يكن عنه فيه النقل المستفيض، أو من جهة الدلالة المنصوبة على صحته، وأوضحهم برهاناً فيما ترجم ويين من ذلك مما كان مُدركاً علمه من جهة اللسان، إما بالشواهد من أشعارهم السائرة، وإما من منطقهم ولغاتهم المستفيضة المعروفة، كائناً من كان ذلك التأول والمفسر، بعد ألا يكون خارجاً تأويله وتفسيره ما تأول وفسر من ذلك عن أقوال السلف من الصحابة والأئمة، والخلف من التابعين وعلماء الأمة »¹، وقد أشار الطباطبائي (توفي: 1402هـ) إلى هذا بأسلوب آخر، فقال: « فالتفسير بالرأي المنهي عنه أمر راجع إلى طريق الكشف دون المكشوف، وبعبارة أخرى: إنما نهي عن تفهم كلامه على نحو ما يتفهم به كلام غيره، وإن كان هذا النحو من التفهم

1 الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصدر سبق ذكره، ج 01، ص: 88 - 89.

ربما صادف الواقع، والدليل على ذلك قوله: "من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ"¹، فإن الحكم بالخطأ على فرض الإصابة ليس إلّا لكون الخطأ في الطريق².

ومن الأمثلة التي توضّح هذا الضابط قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِرِ وَمَا أِهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: 173]، مع قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَيْزِرٍ﴾ [الأنعام: 145]، « والمراد بتحريم الدّم الإطلاق في الحرمة كما هو ظاهر من الآية »³، إلّا أنّ هذا الإطلاق مُقيّد بالآية الثانية التي ذكرت أنّ المحرّم من الدّم هو ما خرج من بدن الحيوان لا مطلق الدّم منها، إذ يبقى جزء منه في الذبيحة بعد الذبح، وهو ما عنته الآية بلفظ المسفوح في قوله: ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾، « لأنّ ما خالط اللحم، فغير محرّم بإجماع »⁴، فيلاحظ أنّ الوصول إلى هذه النتيجة الصحيحة كان بفضل استخدام الأسلوب الصحيح في التفسير، ورعاية أصوله ومصادره، والتي من خصوصياتها أن تستخدم الإطلاق والتقييد في كلامها، وأن يفسّر القرآن بالقرآن وبغيره من المصادر المقبولة.

الضابط الثاني: لا يُفسّر القرآن تفسيراً موضوعياً بالرأي المذموم: إذا كان الضابط الأول يقتضي سلوك نهج أحسن طرق التفسير؛ فإنّ الضابط الثاني ينهى عن السير في الطريق المذموم، وعن تحميل القرآن ما لا يتحمّله، وتجدر الإشارة أولاً على أنّه « من نقص عن بعض ما ليس بواجب معرفته في تفسير القرآن، وأحسن من نفسه في ذلك بنقصه، واستعان بأربابه، واقتبس منهم، واستضاء بأقوالهم،

1 أخرجه أبو داود في كتاب العلم، باب الكلام في كتاب الله بغير علم (3/ 320). والترمذي في كتاب التفسير، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، (8/ 147)، وقال: هذا حديث غريب. وأخرجه النسائي في السنن الكبرى، في كتاب فضائل القرآن، (5/ 31)، برقم: (8086)، كلّهم من حديث جندب ابن عبد الله رضي الله عنه، وفي سنده سهيل بن أبي حزم، وهو ضعيف كما في تقريب التهذيب (ص: 259)، وقد ضعف الحديث الألباني في تعليقه على مشكاة المصابيح (1/ 79).

2 محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، (ط1)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، 1417هـ - 1997م، ج3، ص: 76.

3 الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، مصدر سبق ذكره، ج2، ص: 50. ومحمد بن الحسن الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، مرجع سبق ذكره، ج2، ص: 84. وللمزيد حول تأصيل مسألة الرأي والاجتهاد في التفسير، ينظر: محمد علي الحسن، المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره، (ط1)، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1421هـ - 2000م، ص: 242 - 246.

4 عبد الرحمن بن محمد التّعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، مرجع سبق ذكره، ج1، ص358. ومحمد علي رضائي أصفهاني، منطق تفسير القرآن، مرجع سبق ذكره، ج1، ص286.

لم يكن -إن شاء الله- من المفسرين برأيهم»¹، أي برأيهم المذموم، وعلى المفسر أن يتبين ما ينطوي عليه القرآن، وأن يدرك أنّ جميع ما اشتمل عليه علمان: «علم غايته الاعتقاد، وهو الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وعلم غايته العمل، وهو معرفة أحكام الدين والعمل بها، والعلم مبدأ والعمل تمام، ولا يتم العلم من دون عمل، ولا يخلص العمل من دون العلم، ولذلك لم يُفرد -تعالى- أحدهما من الآخر في عامّة القرآن»²، ويبقى ما يظهر للمفسر من الفهم والمعنى إنّما هو اجتهاده الذي بلغه، ورأيه الذي وصل إليه، فإذا كان مستنداً على علم فهو المحمود، وما خرج عن ذلك فهو المذموم.

وفيما يخصّ التفسير الموضوعي فإنّه لا يكفي ما يتحصّل عليه المفسر من آية واحدة، ثمّ إعمال القواعد المقرّرة في العلوم المرتبطة لانكشاف المعنى المراد منها، دون أن يتعاهد جميع الآيات المناسبة لها ويجتهد في التدبّر فيها، فالتفسير بالرأي المنهي عنه راجع إلى طريق الكشف دون المكشوف، أين نهي النبي ﷺ عن تفهم كلام الله ﷻ على نحو ما يتفهم به كلام غيره، وإن كان هذا النحو من التفهم ربّما صادف الواقع، وهذا -إذا استثنينا الجاهل- يكون على وجهين:

الأول: أن يعمد المفسر إلى آية قرآنية، فيحاول تطبيقها على ما قصده من رأي أو عقيدة أو مذهب أو مسلك، تبريراً لما اختاره في هذا السبيل، فهو قد جعل القرآن وسيلة لإنجاح مقصوده بالذات، ولم يستهدف تفسير القرآن في شيء، ووسيلته في هذا ليّ عنق الآيات، وتحميل النصّ ما لا يحتمل، لا سيما في استنباط الهدايات، واستخلاص الدروس والعبر، أو التكلّف والتعسف في الربط بين الآيات والمناسبة بينها، أو إهمال السياق، وغير ذلك.

الثاني: الاستبداد بالرأي في تفسير القرآن، محايذاً طريقة العقلاء في فهم معاني الكلام لاسيما كلامه تعالى، فإنّ للوصول إلى مراده تعالى من كلامه وسائل وطرقاً، منها: مراجعة كلام السلف، والوقوف على الآثار الواردة في الآيات، وملاحظة أسباب النزول، وغير ذلك من شرائط يجب توفرها في مفسر القرآن، فعدم الفهم الصحيح لحقيقة القرآن الكريم، جعل البعض يعتقد النقص والعيب في القرآن، ودفعه ليقوم في تفسيره بتغطية بعض الآيات وتوجيهها بما يراه عقله صحيحاً.

ومّا تقدّم يتبين أنّ كلّ تفسير لا يستند إلى الأدلّة والقرائن المعتبرة في تفسير القرآن الكريم هو

1 الزاغب الأصفهاني، مقدّمة جامع التفسير، تحقيق: أحمد حسن فرحات، (ط01، دار الدّعوة، الكويت، دولة الكويت، 1405هـ - 1984م)، ص: 96.

2 الزاغب الأصفهاني، مقدّمة جامع التفسير، مرجع سبق ذكره، ص: 94.

تفسير بالرأي المذموم، وكلّ تفسير حمل فيه المفسّر رأيه على القرآن الكريم فهو تفسير بالرأي المذموم أيضاً، وكذا كلّ تفسير جرى على يد غير المؤهل هو تفسير بالرأي المذموم.

ومن الرّأي المذموم الحشو والاستطراد بلا طائل، فالقول الذي ليس من ورائه طائل لا يفرق عن القول الباطل؛ إذ كلاهما يصرف عن الحقّ ويُشبع الهوى، وقد كان عيب الرّأي كثرة استطراداته في تفسيره التحليلي مع أنّه بناه على العقل، وعيب القرطبي كثرة إيراده الأحكام الشرعية مع أنّه سمّى تفسيره "الجامع لأحكام القرآن"، وعيب أبي حيّان استطراداته في النّحو في تفسيره "البحر المحيط"، فكذا الاستطراد البعيد الذي يمكن الاستغناء عنه في التفسير الموضوعي يعتبر عيباً لأنّه ممّا لا داعي له، ومثال هذا بعض الذين يكتبون في التفسير الموضوعي للمصطلح، فحين يُعالج المعنى اللغوي للمصطلح؛ يُورد ويُنقل من كتب معاجم اللّغة صفحات كثيرة، وفي ما ورد في المعاجم، تكرار، ونقل، وربّما توسّع، وهذا لا يتفق مع منهجية التفسير الموضوعي وغير الموضوعي.

الصّابط الثالث: الإحاطة بأنواع التفسير الأخرى: يقول مصطفى مسلم: «إذن نستنتج من كلّ ما تقدّم أنّ أنواع التفسير متداخلة متساندة، لا يستغني المفسّر لنوع منها عن الأنواع الأخرى، وبخاصّة الباحث في التفسير الموضوعي، لا بدّ أن يكون على مستوى رفيع من الإحاطة بأنواع التفسير الأخرى، لأنّ الأنواع الأخرى، هي اللّبنات الأولى، والمادّة الأولى التي يريد إقامة ببيان تفسيره الموضوعي عليها»¹، وهذا الذي قاله استنتاج توصّل إليه، تقدّمه جمع وتحليل وربط ومناقشات، لذا «فالمفسّر الموضوعي إذا أراد أن يخرج بنتيجة تامّة، لا بدّ له من كمال في وضوح المادّة التي تستخرج منها النتيجة الكلّية النهائيّة، ولا يأتي بشيء جديد من عنده، بل يستخرج النتيجة التي جادت بها النصوص القرآنية المتعلّقة بالموضوع الواحد المعيّن [أو السّورة، أو المصطلح] ويبيّن عليها نتائجها النهائيّة، لذا كان لا بدّ له من استكشاف كلّ ما له علاقة بذلك ويسهم في إنتاجه إنتاجاً صحيحاً تامّاً، وهو ما يتمّ عمله في التفسير التحليلي، لذا قال بعض أهل الاختصاص أنّ التفسير التحليلي ضرورة للتفسير الموضوعي، فهما يتعاونان ولا يتعارضان، بل يتكاملان لخدمة النصّ القرآني، وإنضاج علم التفسير كلّ»²، ومثله الاستمداد من التفسير الإجمالي وكذا المقارن، ولا يعني هذا عدّ التفسير الموضوعي مجرد نوع من أنواع التفسير التحليلي لوجود اختلافات منهجيّة وإجرائيّة تفرّق بينهما.

1 مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، مصدر سبق ذكره، ص: 54.

2 المصدر السابق، ص 64.

الصّابط الرابع: استخلاص النظريات ليس هو الغرض من التفسير: التفسير هو محاولة كشف المراد من ظاهر الكلام، وليس الوقوف على حقيقة الموضوع الكلّي في نفس الأمر، أو الوقوف على المعاني الباطنية والرّوابط الكونية والروحية بين معاني القرآن، أو استخلاص النظريات المقننة، فالمفسّر يقف مع معاني الآيات القرآنية بحسب ظواهرها، وهو يستقصي معنى الموضوع الكلّي في جميع آيات القرآن، ولذلك يمكنه الخروج بمفهوم واضح بناءً على نظرية تفسير القرآن بالقرآن، وليس بناءً نظريات جديدة.

والنّظرية في أبسط معانيها هي « مجموعة من المصطلحات والتعريفات والافتراضات لها علاقة ببعضها البعض، والتي تقترح رؤية منظّمة للظاهرة، وذلك بهدف عرضها والتنبؤ بمظاهرها »¹، ومن التعريفات الدّقيقة لها نجد أنّها تعتبر ذلك « الإطار التّصوّري الملائم لتفسير الظواهر والمواضيع، لتصبح من خلال هذا الإطار والتّوجيه النّظريّ مجموعة من المصطلحات والتعريفات والافتراضات، لها علاقة ببعضها البعض، والتي تقترح رؤية منظّمة للظاهرة، وذلك بهدف عرضها والتنبؤ بمظاهرها، أي أنّها تضع تفسيراً علمياً لموضوع مُعيّن، ممّا يُكسبه معنى واضح في الدّهن »²، وبهذا يرتبط ظهورها بارتباط المفاهيم والمصطلحات والموضوعات في شكل قضايا، بحيث تصبح هذه القضايا تجرّيداً للعلاقة بين متغيّرات واقعيّة، وحينما تتربط هذه القضايا تتكوّن النّظرية، والقضايا ما هي إلّا تعبير عن الواقع وعن العلاقات بين المفاهيم والمصطلحات والموضوعات.

وقد مال بعض المفسّرين إلى تفسير القرآن وفق النّظريات العلميّة الجديدة، وهذا أسوأ من تعمّد بناء نظريات جديدة، وكلا الأسلوبين - فيما يرى الباحث - يضرب في العمق أصول التفسير الموضوعيّ وغاياته؛ لأنّه - وبشكل تدريجيّ - سيعطي الأصالة والمرجعيّة للعلوم الجديدة، وبالتالي سيرفع قيمة نظريات العلوم التّجريبية التي تعتمد الظنّ والاحتمال، وسيلحق الأذى بمنهج التفسير الموضوعيّ؛ لأنّ التّجربة كلّ يوم في تطوّر بينما الحقائق القرآنيّة ثابتة لا تتغيّر.

وإنّ الناظر إلى الواقع المعاصر يرى من المفسّرين - وفي الغالب المتطّقلين - من قد أخطؤوا الطّريق إلى فهم معاني القرآن وألفاظه، وانحرفوا بعيداً عن حقيقة الإيمان والتّسليم بالحكم منه والمتشابه، ووقعوا عمداً أو خطأ منهم في صور من الانحراف أو التّحريف والتّأويل الفاسد للنصوص، الذي لا يدلّ

1 مورييس أنجرس، منهجية البحث العلميّ في العلوم الإنسانية، تدريبات علميّة، ترجمة: بوزيد صحراوي وغيره، (ط01، دار القصبّة للنشر، الجزائر العاصمة، الجزائر، 2004م)، ص: 54.

2 خالد حامد، منهجية البحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية، (ط01، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر العاصمة، الجزائر، 2007م)، ص: 80.

على حقيقة مراد الله تعالى من كلامه المنزل، كما أخبر تعالى بقوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: 07]¹، ومن أمثلة ذلك تبني محمد شحرور بعض الفرضيات ووصفها قوانين علمية، «كقانون التطور الذي قرّر فيه أنّ الحياة العضوية والكائنات الحية في وجودها خضعت لقانون النشوء والارتقاء، نتيجة الصراع الداخلي للمتناقضات في الشيء نفسه، فبدأت الحياة من نقطة واحدة (الخلية) وتطوّرت بعملية جدلية أدّت باستمرار إلى تغيير الشكل حتّى ظهر البشر غير العاقل، ثمّ الإنسان العاقل، وهذا ما وضّحه في قوله تعالى: ﴿وَمَا بَتَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ [الشورى: 29]، وقوله: ﴿وَفِي خَلْقِهِ وَمَا يَبْتُثِّرُ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجنّة: 04]، ثمّ قام شحرور بدراسة مصطلح (البث)، وحشد آيات البعث، والخلق، والإنشاء، وغيرها، ليصل إلى القول: الآن يمكن أن نلخص القانون الأوّل للمادّة وحركتها في هذا الكون كما يلي: إنّ قانون صراع المتناقضات الداخلي (الثنائية في الشيء الواحد) يقوم على علاقة تجاذب وتناذب ((تناقض بين عنصرين مكونين لأيّ شيء مادّي موجودين معاً في ذات الشيء)) يؤدّيان إلى حركة ضمن الشيء نفسه ينجم عنها تغيير شكل الشيء باستمرار.

وهذا القانون يعمل في داخل جميع الأشياء المادية بلا استثناء، ويعبر التجاذب والتناذب عن تناقض مستمرّ يؤدّي إلى حركة ضمن الشيء ينجم عنها تغيير مستمرّ لشكل الشيء، ((أي هلاك شكل وولادة شكل جديد، وهكذا دواليك)). والصياغة المثلى لهذا القانون وردت في القرآن الكريم: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: 88]²، فتفسير قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ هو نصّ نظرية التطور لداروين!

وإذا كان داروين نفسه لا يصدّق نظريته، ولكنّه تماشى مع المناخ الفكريّ والجوّ العامّ في أوروبا؛ والذي كان مهيئاً لقبول كلّ جديد مهما كان ساذجاً وغريباً، فداروين نفسه «بعد حوالي خمسة عشر سنة من صدور كتابه ((أصل الأنواع)) يقول: يستحيل على العقل الرّشيد أن تمرّ به خلجة من الشكّ في أنّ هذا العالم الفسيح بما فيه من الآيات البالغة، وتلك الأنفس الناطقة المفكّرة، قد صدر عن صدفه عمياء، لأنّ العماء لا يخلق نظاماً ولا يُدع حكمة، ذلك أكبر برهان عندي على وجود الله»²، ويقول

1 عاطف بن عبد المعز الفيومي، تاريخ من الانحراف في تفسير القرآن، (ط01، مكتبة طريق المصلحين، القاهرة، مصر، 1423هـ - 2012م)، ص: 12 - 13. بتصرّف.

2 محمد شحرور، الكتاب والقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 223 - 231. بتصرّف.

2 هشام الغزّي، بُني الإسلام، (ط01، مطبعة العجلوني، دمشق، سوريا، 1412هـ - 1992م)، ص: 15. بتصرّف يسير.

الباحث: ها هو داروين رأى فيما بعد انتشار نظريته أن للكون خالقاً منظماً ومُبدعاً حكيماً، فما بال شحورور نكص على عقبيه وتراجع القهقري؟! ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: 32]؟

ومثل هذا التحريف والتخريف الذي عاجل مصطلحات آيات البتّ، والبعث، والخلق، والنشأة، وغيرها من الآيات، وجمعها، وناقشها، وحللها، وربط بينها بأسلوب شيطاني مُنمّق؛ واستنتج بعد ذلك قانوناً مُلققاً! لا علاقة له بمراد الله ﷻ، وهو يُؤصّل لنظرية بادت وباد صاحبها، بل تاب منها وارتدّ عنها قبل أن يبيداً معاً! وما هو إلا تحريف للكلم عن مواضعه، وصدّ عن سبيل الله، وغواية لا علاقة لها بالبيان والهداية، ومن هنا اختار الباحث الرأي الذي لا يرى استخلاص النظريات غرضاً للتفسير، بل هي نتائج يتوصّل إليها الباحث باجتهاده وجهوده، فإن أصاب فمن الله وإن أخطأ فمن نفسه، أمّا تعميمها وإكسابها صفة النظرية؛ فهذه مغامرة لا تجوز مع كلام الله ﷻ. والله أعلم.

الضابط الخامس: لزوم رعاية الأسلوب الصحيح في التفسير الموضوعي: التفسير الموضوعي علم قائم بذاته له قواعده وأسس وضوابطه ومراحلها، وإنّ تقصير المفسّر في الالتزام بها لا يعدّ خللاً في المفسّر ولا في نوع التفسير، بل هو خلل في المفسّر نفسه لأنّه عدل عن المنهج بعد معرفته والوقوف عليه¹، ولا يخفى أنّ المنهج الدقيق الموحد للتفسير الموضوعي لما يحدّد بعد، بدليل الخلاف بين الباحثين والمفسّرين، ولكن نظراً لنجاح التفسير الموضوعي بإعطاء أفضل النتائج، كانت رعاية الأسلوب ضابطاً من ضوابط هذا النوع من التفسير، ويكفي المفسّر السير وفق المراحل المتفق عليها والالتزام بما نصّ عليه أهل الاختصاص، والابتعاد عن التصادم ومخالفة المنهج الموجود وإن كان غير مكتمل التّضحج، ليسلم من مخالفة الأسلوب الصحيح من الناحية الشّكليّة.

كما يجب عدم إغفال كون التفسير الموضوعي تفسيراً يمكن إجراؤه بأكثر من نوع تفسيري، منه أنّ المفسّر يتّبع الآيات القرآنية ذات العلاقة بالموضوع لرأيه فيأتي بها كشاهد عليه، ومنه ما يسير فيه المفسّر الموضوعي خلف الآيات القرآنية كالظّلّ، سوراً وموضوعات ومصطلحات، فيفهم كلّ شيء من القرآن الكريم، ويكون كلّ همّه كشف محتوى الآيات الكريمة ليحصل منها على الصّورة الكاملة

1 للمزيد حول الخطوات المنهجية للتفسير الموضوعي ينظر: عبد الستار فتح الله سعيد، المدخل إلى التفسير الموضوعي، ص: 56-57. ومصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص: 37 - 39. وصلاح الدّين الخالدي، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، ص: 70 - 72. وهاجر عوض الألمعي، دراسات في التفسير الموضوعي، ص: 26 - 28. ومحمد القاسم، التفسير الموضوعي، ص: 12 - 19. وغيرها.

والنتائج القرآنية التامة من دون أن يُضيف شيئاً من عنده، لذا يلزم المفسر أن يستل نتائج من الآيات القرآنية من دون إضافة شيء من عنده لكي تكون نتائجه معتبرة، وعلى هذا فإن الأسلوب الصحيح الذي يلزم المفسر رعايته هو الأسلوب الذي يُفضي إلى نتائج قرآنية محضة كاشفة عن مراد إلهي كلي في السورة أو الموضوع أو المصطلح.

والمثال التطبيقي على هذا الضابط هو دراسة موضوع "الألوهية من خلال آيات القرآن" من طرف مصطفى مسلم، فقد ابتدأ بخمس مقدمات بين يدي الموضوع، وهي: الألوهية والفطرة، واهتمام القرآن الكريم بالتوحيد أكثر من اهتمامه بإثبات وجود الخالق، ومنهج القرآن في إثبات التوحيد منهج فطري، وربط قضايا العقيدة بمصالح العباد في حياتهم المعاشية، ومجالات الاستدلال على قضية الألوهية، وهي مقدمات مهمة أوضحت فكرة الموضوع، ثم شرع في ذكر أبرز أنواع الأدلة على توحيد الله ﷻ في القرآن الكريم، وبعد أن ذكر الحكمة في تنويع الأدلة، عرض أدلة الخلق والإبداع، وأدلة العناية، وأدلة الفطرة، والبراهين العقلية، ثم أدلة التوحيد من خلال إثبات صفات الكمال، ثم الخاتمة التي تضمنت أجمع الآيات التي سبقت للاستدلال على توحيد الله ﷻ، فاستوت الخاتمة مع المقدمة في الأهمية.¹

وبعد التيسيق بمقدمات ذات ارتباط وثيق بعنوان الدراسة²، ركّز مصطفى مسلم على الموضوع ولم يُقحم معه غيره، بل استشهد بما يقتضيه البحث، وأحسن اختيار المراجع التفسيرية، واعتمد الأحاديث والآثار الصحيحة، فوظف منها ما له علاقة مباشرة بأهداف السورة وبيان ملامحها وأساليبها، ثم بيّن الهدايات القرآنية التي اهتم بها القرآن، والتي تخدم مصالح الإنسانية، مع محاولته استشراف المستقبل، وهذا باب دعوة جيد لهذا الدين الحنيف، وتنزيل للآيات على الواقع، وربط للقارئ والمتلقي بمختلف مناهج القرآن التي عرضت أدلة التوحيد، وهو مع هذا يردّ على الملاحدة والمخالفين، بلغة سليمة، وأسلوب جميل، وعرض حسن، وتعبير جيّد بيّن ومفهوم، بعيد عن التعقيد والتكلف.

فهذا مثال عن المنهج السليم للتفسير الموضوعي في أحد أنواعه الثلاثة لا في كلّها، وهو شامل

1 ينظر: مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، مصدر سبق ذكره، ص: 94 - 164.

2 أغفل المؤلف ذكر جوانب مهمة تتعلق بالموضوع منها: تعريف الألوهية، وأسباب النزول، والعلاقة بين الألوهية والزبونية، وقلة المراجع التفسيرية الموظفة، وعدم إتمام بيان ما ورد من الغريب، وعدم استكمال بيان تخريج الأحاديث وعدم الحكم على ما أورده من خارج الصحيحين، وعدم عزو الأشعار إلى قائلها وموضعها في الدواوين. ومع ذلك كان بحثه مما يُبنى عليه للوصول إلى منهجية سليمة لدراسة الموضوعات القرآنية، فمن أراك الطريق سهل عليك الوصول.

في عرضه، جامع لغرضه، ولزوم رعايته هي السبيل لفرضه.

الضابط السادس: مراعاة خصائص القرآن الكريم¹: المراد بخصائص القرآن الكريم؛ الصفات التي

امتاز بها القرآن الكريم عن غيره من الكتب، وهي كثيرة، فمنها خصائص عامة مثل: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: 79]، وتعهّد الله بحفظه من التحريف، وحفظه في الصدور، ومنها خصائص يتعلّق بعضها بشرفه وفضله ومكانته مثل كونه كتاب سماويّ نازل من عند الله تبارك وتعالى، وأنّه مُحكم ومُهيمن على بقية الكتب السماوية فضلاً عن غيرها، وأنّه كتاب هداية وشفاء، وأنّه شفيع لأهله يوم المحشر، وفيه العقائد والأخلاق والأحكام، ومنها خصائص خاصّة وهي ما تعلّق بأسلوبه ولغته مثل نظمه وتصويره للمعاني وتيسيرها للأفهام، فهو لا يعلو عن أفهام العامة ولا يقصر عن الخاصّة، ومنها ما تعلّق بطبيعته من أنّه أصل الأصول جميعاً، وغاية في الإحكام والإتقان، ومحدّد الغايات والمرامي، فهو كتاب هداية كما نطقت بذلك آياته نفسها ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 02] و﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: 185]، وجاء القرآن كي يُخرج النَّاس من الظلمات إلى النور، فلا يجوز أن يُجعل من نظريات العلوم والمذاهب الفكرية تفسيراً للقرآن، باعتبار أنّ ثباتها نسبيّ إضافيّ وثبات القرآن مُطلق قطعيّ.²

والمراد بهذا الضابط أنّ المفسّر له هدف أساسي في تفسيره يجب عليه أن لا يخرج عنه، وهو شرح وبيان المعاني والدلالات في الآيات والمصطلحات القرآنية، واستظهار المقاصد والأهداف منها، والالتزام به من مقتضيات تفسير القرآن بجميع أنواعه، وتأمين ذلك يحتاج إلى دقّة وعناية خاصّة، وإخضاع النتائج للتّقييم، وهو أمر يحتاج إلى ضابط وميزان، فيلزم على المفسّر الموضوعي رعايتها تفادياً من الوقوع في المحذور، وهو مخالفة النتائج التفسيرية للتفسير الموضوعي.³

ومنشأ هذا الضابط هو احتمال مخالفة نتائج التفسير الموضوعي لبعض أو كلّ خصائص القرآن الكريم، ممّا يتسبّب في وقوع التّضاد أو التّعارض بين مراد الله تعالى المفهوم من مجموع آياته المباركة المتعلّقة بالموضوع الواحد، أو السّورة الواحدة، أو المصطلح الواحد، وبين الكتاب الحكيم الذي ينطوي

1 فهد الزومي، خصائص القرآن الكريم، (ط09، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربيّة السّعودية، 1417هـ - 1497م)، ص13. بتصرّف.

2 ينظر: المرجع السابق.

3 عبد القادر محمّد الحسين، معايير القبول والرّد لتفسير النصّ القرآنيّ، (ط02، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، سوريا، 1433هـ - 2012م)، ص: 60 - 69.

عليها، وهو أمر في غاية الأهمية لاستلزامه الإضلال للمسترشد به، وكمثال يوضح دور هذا الضابط نأخذ قصة آدم ووسوسة الشيطان له، قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَتَادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ٣٥﴾ [البقرة: 35]، وقال ﴿وَيَتَادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ١٩﴾ [الأعراف: 19]، ونتيجة لوسوسة الشيطان التي صرح بها في قوله تعالى: ﴿فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءِ نِيهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ٢٠﴾ [الأعراف: 20]، قد اقترب منها وخالف النهي الإلهي الصادر إليه كما في قوله تعالى: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَّتْ لَهُمَا سَوْءُ نُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ١٢١﴾ [طه: 121]، قد ترتب على ذلك أثر وهو إقرار النبي آدم ﷺ بالمعصية وظلم نفسه، لذا انبرى لطلب المغفرة كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ٢٣﴾ [الأعراف: 23].

والمفسر الموضوعي إذا خرج بنتيجة أنّ النبي آدم ﷺ خالف النهي الإلهي مخالفة معصية، لصريح قوله تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ فإنه يُقرّ بوقوع التناقض في القرآن الكريم، وهو مخالف لخصوصية أنّه كتاب هداية للبشرية، والذي يقتضي أن يكون محكماً لا تناقض فيه، لأنّ التناقض لا يُعطي رؤية واضحة للمسترشد به مما يُوجب إضلاله بداءة أو نتيجة، وبيان ذلك أنّ القرآن الكريم قد ثبت بناءً على النتيجة المفترضة التي خرج بها المفسر الموضوعي أنّ النبي آدم ﷺ عاصي لله تبارك وتعالى والعياذ بالله، ولازمه أنّه ليس من الأخيار الذين اصطفاهم الله ﷻ كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا نَهَمُ عِنْدَنَا لِمَنِ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ٤٧﴾ [ص: 47]، أي: الذين اختارهم الله للنبوة لقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُ اسْمَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي تَالِبٍ وَآلِ الْكَفَلِ وَكُلِّ مِنَ الْأَخْيَارِ ٤٨﴾ [ص: 48]، ونتيجة تلك الاستلزامات أنّه ليس من الأنبياء، وهي نتيجة تُخالف تقرير القرآن الكريم بأنّه ﷺ من الأنبياء، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ٣٣﴾ [آل عمران: 33] إذ إنّ الاصطفاء الإلهي يُوجب عصمته التي تُوجب نبوته ﷺ، فالالتزام بالنتيجتين يُوجب أن يكون في النبي آدم ﷺ رأيان للقرآن الكريم؛ أحدهما أنّه عاصي والآخر أنّه من الأنبياء المصطفين الأخيار، وترك الأمر والحالة هذه يُوجب حيرة وضلالة المسترشد به، وهو خلاف كون القرآن كتاب هداية، كما في قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى

وَالْفُرْقَانِ ﴿ [البقرة: 185]، وقوله: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [يونس: 57]، قال الشنقيطي (توفي: 1393هـ) في تفسيره للقرآن بالقرآن: « وقوله تعالى في هذه الآية: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ﴾ يدلّ على أنّ معنى ﴿فَفَوَّيْ﴾ ضلّ عن طريق الصّواب كما ذكرنا، وقد قدّمنا أنّ هذه الآية الكريمة وأمثالها في القرآن هي حجّة من قال بأنّ الأنبياء غير معصومين من الصّغائر، وعصمة الأنبياء عليهم السّلام مبحث أصولي لعلماء الأصول فيه كلام كثير واختلاف معروف، وسنذكر هنا طرفاً من كلام أهل الأصول في ذلك، قال ابن الحاجب في مختصره في الأصول: مسألة: الأكثر على أنّه لا يمتنع عقلاً على الأنبياء معصية، وخالف الرّوافض، وخالف المعتزلة إلّا في الصّغائر، ومُعتمدتهم التّقييح العقليّ، والإجماع على عصمتهم بعد الرّسالة من تعمّد الكذب في الأحكام؛ لدلالة المعجزة على الصّدق، وجوّزه القاضي غلطاً وقال: دلّت على الصّدق اعتقاداً، وأمّا غيره من المعاصي فالإجماع على عصمتهم من الكبائر والصّغائر الخسيّة، والأكثر على جواز غيرها.

وحاصل كلامه: عصمتهم من الكبائر، ومن صغائر الخسّة دون غيرها من الصّغائر ... [والذي يظهر لنا أنّه الصّواب في هذه المسألة: أنّ الأنبياء عليهم السّلام لم يقع منهم ما يُزري بمراتبهم العليّة، ومناصبهم السّامية، ولا يستوجب خطأ منهم ولا نقصاً فيهم عليهم السّلام، ولو فرضنا أنّه وقع منهم بعض الذّنوب إلّا أنّهم يتداركون ما وقع منهم بالتّوبة، والإخلاص، وصدق الإنابة إلى الله حتّى ينالوا بذلك أعلى درجاتهم فتكون بذلك درجاتهم أعلى من درجة من لم يرتكب شيئاً من ذلك، ومّا يوضح هذا قوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَفَوَّيْ ﴿١٣١﴾ ثُمَّ اجْنَبْهُ رَبُّهُ فَقَابَ عَلَيْهِ وَهُدًى ﴿١٣٢﴾﴾، فانظر أيّ أثر يبقى للعصيان والغيّ بعد توبة الله عليه، واجتنابه أي: اصطفائه إيّاه، وهدايته له، ولا شك أنّ بعض الرّلات ينال صاحبها بالتّوبة منها درجة أعلى من درجته قبل ارتكاب تلك الرّلة¹.

وقد أبدع ابن القيم (توفي: 571هـ) حين أخرج فائدة من هذه القصّة فقال: « الله سبحانه مهّد الأرض لآدم وذريّته قبل خلقه، فقال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30]، وقضى أن يُعرّفه قدر المخالفة، وأقام عذره بقوله: ﴿فَازْلَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ وتداركه برحمة بقوله: ﴿ثُمَّ اجْنَبْهُ رَبُّهُ﴾ [طه: 122]، يا آدم لا تجزع كأس خطأ كان سبب -أي هذا الذّنوب- فقد استخرج منك داء العجب وألبسك رداء العبوديّة، لا تحزن بقولي لك: ﴿أَهْطُوا مِنهَا﴾ [البقرة: 38]، فلك خلقتها،

1 محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ج4، ص: 667 - 668.

ولكن اخرج إلى مزرعة المجاهدة، واجتهد في البذر، واسق شجرة النّدم بساقية الدّمع، فإذا عاد العود أخضر فعد كما كنت إلى الجنة¹.

فالمفسّر حين يقوم بمراعاة خصيصة أنّه لا يجوز تعدّي غايات القرآن الكريم، وخصيصة عدم تنقّص مكانة الأنبياء، وأنّ القرآن أبداً لم ولا ينتقص من مكانة أيّ نبيّ، ومراعاة باقي الخصائص الأخرى وأخذها بنظر الاعتبار في التفسير الموضوعي، سيكفل له ذلك كلّ أن تكون نتيجه صحيحة ومُعْتَبَرَة، لذا وجب رعاية خصائص القرآن الكريم كضابط من ضوابطه عند ممارسة التفسير.

الضّابط السّابع: ضرورة الفهم التحليلي للآيات: الفهم التحليلي للآيات هو « التفسير الذي يتّبع فيه المفسّر ترتيب المصحف، فيشرح جملة من الآيات أو السّورة أو القرآن كلّ على هذا النمط الموضوعي، ويبيّن ما يتعلّق بكلّ آية من مناسبات وسبب نزول ومفردات ونحو ذلك ممّا يتقرّر به معناها وما ترمي إليه في تراكيبها، ويذكر وجه الرّبط بين مقاصدها²، ولذا نبّه معظم من أصل للتفسير الموضوعي على ضرورة العودة إلى التفسير التحليلي، وعدّوه شرطاً³، فالمقدّمات والمدخلات السّليمة المبنية على التفسير التحليلي الموضوعي تُوصل إلى نتائج ومُخرجات صحيحة في التفسير الموضوعي.

وقال فتح الله سعيد بعد أن أورد هذا الضّابط في كتابه: « فهم الآيات قبل الشّروع في التفسير الموضوعي، وهذا أمر ضروري للمفسّر حتّى يمكن له الاستناد والاستشهاد بها، ويستطيع ترتيب مباحثها وتأليف عناصرها⁴، فالهدف منه بيان المراد بالتحليل والشرح والتّوضيح، والمفسّر الموضوعي يحتاج إلى هذا الفهم قبل بدئه في التفسير، لأنّ عمله يقتضي الوضوح التّام في المقاصد والدلالات القرآنية الجزئية ابتداءً، حتّى يستطيع استخراج وجهة النظر القرآنية في الموضوع الواحد المعين من المجموع، ومن هنا قيل: إنّ التفسير التحليلي (الفهم التحليلي) ضروري للتفسير الموضوعي، لأنّه

1 ابن القيم، بدائع الفوائد، مرجع سبق ذكره، ج3، ص: 742.

2 مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، مصدر سبق ذكره، ص: 37 - 38.

3 عبد الستار فتح الله سعيد، المدخل إلى التفسير الموضوعي، ص: 64. ومصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص: 52. وصالح عبد الفتاح الخالدي، التفسير الموضوعي بين النظرية والتّطبيق، ص: 44. ومحمد باقر الصّدر، التفسير الموضوعي والفلسفة الاجتماعية في المدرسة القرآنية، ص: 21، وزيا د خليل محمّد الدّغامين، منهجية البحث الموضوعي للقرآن الكريم، ص: 43. ومحمود سعيد الأطرش، الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم والسّورة القرآنية، التفسير الموضوعي ومنهج البحث فيه، ص: 23.

4 عبد الستار فتح الله سعيد، المدخل إلى التفسير الموضوعي، مصدر سبق ذكره، ص: 64.

يتعاون ويتكامل معه في خدمة النصّ القرآني¹، وذلك بالنّظر إلى هدف كلّ منهما، فالتّحليلي يهدف إلى « الكشف عن مراد الله ﷻ من كلامه -بحسب الطّاقة البشريّة- وفق ترتيبه التّوقيفيّ »²، والموضوعي كذلك يهدف إلى الكشف عن مراد الله وفق المنهج الموضوعي الحديث، « إذّن فالمسألة ليست مسألة استبدال وإثما مسألة ضمّ »³، مع تقبّل أنّهما نوعان مختلفان؛ « ولكن هذا الاختلاف ليس اختلاف تباين وإثما اختلاف تنوّع وتكامل »⁴، وما يحصل عليه المفسّر الموضوعي من نتائج يُوظّفه في خدمة التّفسير الموضوعي ليخرج بنتيجة تامّة منه.

ومن الأمثلة على هذا الضّابط ثبوت إقسام الله ﷻ بالنّبي ﷺ شخصاً ووصفاً وإشارةً، ومعرفة نظر القرآن الكريم في هذه المسألة يتطلّب جمع الآيات القرآنية ذات العلاقة بالموضوع وهي قوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (٧٦) ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾ (٧٣) [الحجر: 72 - 73]، وقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ (١) ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ (٢) ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ (٣) ﴿قُلْ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ (٤) [البروج: 01-04]، وقوله تعالى: ﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ (١) ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ (٢) ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ (٣) ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ (٤) [البلد: 01-04]، فمجّرد استخراج الآيات من القرآن الكريم وجمعها لا يُمكنُ المفسّر من استخراج النتيجة القرآنية التّهائية وإن فُسّرت تفسيراً تجزيئياً، وذلك لوجود بعض الإبهامات فيها، إذ يلاحظ في آيات سورة الحجر خفاء القصة التي من أجلها أقسم الله بالمراد، لعدم وضوح المراد من العمر وعلى من يعود الضّمير في: ﴿لَعَمْرُكَ﴾، وفي آيات سورة البروج عدم وضوح المراد من اليوم الموعود والشّاهد والمشهود ومصادقهما من ظاهر اللفظ، وأمّا في آيات سورة البلد لم يتّضح من ظاهر اللفظ اسم البلد وموقعه الجغرافي، ومن هو الذي حلّ فيه.

وإزالة كلّ هذه الإبهامات يُلزم المفسّر بتفسير تلك الآيات تفسيراً يُمكنُهُ من فهمها فهماً كاملاً؛ وهذا هو منتج التّفسير التّحليلي، وذلك بالمباشرة أو بالرجوع إلى كتب التّفسير التّحليلي لمعرفة، فقصة النبي لوط عليه السلام مع قومه الذين اتّخذوا الرّجال دون النّساء شهوة، ذكرها القرآن الكريم

1 عبد الستار فتح الله سعيد، المدخل إلى التّفسير الموضوعي، مصدر سبق ذكره، ص: 65.

2 الزّرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، مرجع سبق ذكره، ج1، ص: 471.

3 مصطفى مسلم، مباحث في التّفسير الموضوعي، مصدر سبق ذكره، ص: 52.

4 محمّد باقر الصّدر، التّفسير الموضوعي والفلسفة الاجتماعية في المدرسة القرآنية، (ط01، الدّار العلميّة، بيروت، لبنان، 1409هـ - 1989م)، ص: 38.

ليطلع نبيه ﷺ عليها وهو المخاطب في قوله: ﴿لَعَنُوكَ﴾¹، وأما اليوم الموعود فهو يوم القيامة، والشاهد والمشهود ففيه قرابة الثلاثين معنى أكثرها اتفاقاً: أنَّ الشاهد هو النبي محمد ﷺ، والمشهود هو يوم القيامة²، وبالنسبة للبلد فهو مكة الواقعة في الجزيرة العربية والنبي محمد ﷺ هو الذي حلَّ فيه³. ومن خلال استعراض التفسير التحليلي لهذه الآيات نستخرج النتيجة القرآنية وهي ثبوت إقسام الله تعالى بنبيه محمد ﷺ، مع أنَّ هذه النتيجة لم تكن واضحة؛ ولولا اللجوء إلى التفسير التحليلي لما استطاع المفسر الموضوعي جمع شتات الآيات السابق ذكرها، وإزالة الإبهام عنها.

الضابط الثامن: صحة القول المفسر به في ذاته: إنَّ كلَّ قول يُقال في التفسير يمكن أن يُعلم صحيحه من خطئه، والقول الصحيح تُعلم صحته من وجوه وهي ألا يخالف مقطوعاً به في الشريعة أو في اللغة العربية، وأن تدلَّ عليه لغة العرب، وذلك في تفسير الألفاظ أو الصيغ أو الأساليب أو الموضوعات، وهذا يعني أنَّ تفسير موضوعات وألفاظ القرآن بمصطلحات علمية سابقة له أو مصطلحات لاحقة لا يصحَّ البتة؛ لأنَّ ألفاظه عربيّة، وتفسيرها يُؤخذ من لسان العرب ولغة القرآن، لا من هذه المصطلحات، حتّى تقبله الشريعة الإسلامية ليكون قولاً يدور في حدود فلكها، وقواعدها الكلية والجزئية، لا قولاً يُصادمها ويخرج عنها، ومن أغرب ما تقرؤه في مخالفة هذا الضابط ما فسّر به طنطاوي جوهرى (توفي: 1358هـ) قوله ﷺ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ [البقرة: 67] عند معالجته لموضوع استحضار الأرواح، فقد قال: «أما مسألة التنويم المغناطيسي الذي عمَّ الكرة الأرضية وصار علماً يدرس رسمياً ويُستعان به في علم الطبّ، فسيأتي عند الكلام عن هاروت وماروت. وأما علم تحضير الأرواح، فإنَّ من هذه الآية استخراجها، إنَّ هذه الآية تُتلى والمسلمون يؤمنون بها حتّى ظهر علم تحضير الأرواح بأمريكا أولاً، ثمَّ بسائر أوروبا ثانياً... وفائدة هذا العلم أنَّ من صحّت عنده أحوال الأرواح وظهورها أيقن بالآخرة وبالحياة بعد الموت إيقاناً تاماً، وأما من لم تصحَّ عنده فإنّه مُقلّد كسائر الناس...»

ولقد ألّفت كتاباً سمّيته [كتاب الأرواح] ضمّنته ما ورد إلينا من أوروبا وأمريكا من كيفية إحضارها، وهكذا ما يُقابل ذلك ممّا ورد في القرآن والحديث وكلام الصّالحين، فرأيت اتفاقاً بين

1 الإجماع منعقد في كون القسم هنا هو برسول الله ﷺ. البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مرجع سبق ذكره، ج03، ص: 215.

2 المرجع السابق، ج05، ص: 300.

3 المرجع السابق، ج05، ص: 313.

الأمّتين ...¹ !

فهذا التفسير غير صحيح في ذاته، لأنّ المفسّر جعل تحضير الأرواح علماً ! بل هو يؤمن به ويدافع عنه ! ويستنبطه من القرآن الكريم ! ثمّ يذكر نبذة طويلة عن مبدأ ظهور هذا العلم، وكيف كان انتشاره بين الأمم، واستغرق ذلك منه أكثر من ستّ صفحات كاملة في تفسيره، وكتاباً مُستقلاً خارجاً.

واستحضار روح الميت ليس في إمكان أحد من النّاس، وهذا الأمر مقطوع به، لأنّ الأرواح بعد أن تُفارق الأجساد تصير إلى عالم البرزخ، ثمّ هي إمّا في نعيم، أو في عذاب، وهي في شغل عمّا يدّعيه مُستحضرو الأرواح، وأرواح الشّهداء تكون في حواصل طير خضر، تسرح في رياض الجنّة، تأكل من ثمارها، وتشرب من أنهارها، وتأوي إلى قناديل مُعلّقة في سقف عرش الرّحمن، كما جاء في الحديث الصّحيح²، يقول عبد الحليم محمود (توفي: 1398هـ)³: « وليس ما يُحضّر في هذه الجلسات التي يعقدونها أرواحاً لبني البشر، وإنّما هي أنواع من الجنّ تحضر سخرية ببني البشر، أو تضليلاً لهم⁴، وما يدّعيه دعاة الرّوحية الحديثة⁵ منه ما هو كذب صراح يُستعمل فيه الإيحاء النّفسيّ والمؤثرات المختلفة، والحيل العلميّة، ومنه ما هو استخدام للجنّ والشّياطين، وهذا هو الأكثر والأغلب، وعن قوم مثل دعاة الرّوحية الحديثة، يقول ابن تيمية (توفي: 728هـ): « وهؤلاء تأتيهم

1 طنطاوي جوهرى، الجواهر في تفسير القرآن الكريم، (ط2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، مصر، 1350هـ)، ج1، ص: 84 - 90. الذي في تفسير طنطاوي من الأقوال غير الصّحيحة في ذاتها كثير جداً، ولهذا قال عنه محمّد حسين الدّهي أنّه: « موسوعة ضربت في كلّ فنّ من فنون العلم بسهم وافر، ممّا جعل هذا التفسير يُوصف بما وُصف به تفسير الفخر الرّازي فقليل: فيه كلّ شيء إلّا التفسير، بل هو أحقّ من تفسير الفخر بهذا الوصف وأولى به ». محمّد حسين الدّهي، التفسير والمفسرون، مرجع سبق ذكره، ج2، ص: 379.

2 أخرجه مسلم في "الصحيح" كتاب الإمارة، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون، 3/ 1502-1503 / رقم 1887.

3 شيخ الأزهر سابقاً ومفتي مصر، صوفي متعمّق، تأثّر بأبي الحسن الشاذليّ، ولد سنة 1328هـ، وتوفي سنة 1398هـ، له عدّة مؤلّفات منها: التفكير الفلسفيّ في الإسلام. ينظر: عمر كحالة، تكملة معجم المؤلّفين، مرجع سبق ذكره، ج1، ص: 273.

4 علي بن سعيد العبيديّ، موسوعة الرّوحية وتحضير الأرواح، (ط01، كنوز اشبيليا، الرياض، المملكة العربيّة السّعودية، 1430هـ - 2009م)، ج2، ص: 773.

5 هي دعوى تبحث الظواهر غير المألوفة، وترى أنّ أرواح الموتى تعيش بعد الموت محتفظة بجسم مادّيّ لطيف لا يُرى، وتستطيع الاتّصال مع الأحياء بفضل بعض الظّروف، لا سيما بفعل الوسطاء، مدّعية اتّباع أسلوب العلوم التجريبية في ذلك، وتهدف إلى التشكيك في الأديان والعقائد، وتُبشّر بدين جديد، وجلّ اهتمامها بالروحانيات. ينظر: سعيد الأفندي، الرّوحية الحديثة، (العدد 01، مجلّة الدّراسات الإسلامية، جامعة الملك سعود، المملكة العربيّة السّعودية)، ص: 80.

أرواح تخاطبهم تتمثل لهم، وهي جنّ وشياطين، فيظنونها ملائكة، كالأرواح التي تخاطب من يعبد الكواكب والأصنام»¹.

الضابط التاسع: أن تحتل الآية القول الحادث في التفسير الموضوعي: سبق ذكره وبيان ضرورة مراعاة أصول التفسير ومصادره، وسنقف على جانب آخر وضابط أصيل يجب على المفسر عدم إهماله، ليسلم من البدع والخطأ والميل عن الصواب، فلا يكفي صحة القول في ذاته ليكون تفسيراً موضوعياً بل لابد أن تحتمله الآية، ويمكن معرفة مجال هذا الضابط بمؤشرات منها أن يدل عليه بأي وجه من وجوه الدلالة؛ مطابقة أو تضمناً أو لزوماً، أو مثلاً لمعنى لفظ عام في الآية، أو جزءاً من معنى لفظ من الألفاظ، أو غير ذلك من الدلالات التي يذكرها العلماء من أصوليين، وبلاغيين، ولغويين، ومفسرين.

وهذا الضابط مهمٌ للغاية، إذ قد يصحّ القول الحادث من جهة وجوده في الخارج، لكن يقع الخلل في صحة ربطه بالآية أو الموضوع القرآني، وهذا مجال كبير للاختلاف، بل هو مجال تحقيق المناط في كثير من القضايا التي ثبتت صحتها من جهة الواقع، لكن يقع التنازع في كونها مرادة في الآية، وعليه يجب التأكد من مطابقة التفسير للمفسر، من غير نقص لما يحتاج إليه بيان وكشف المعنى، وبدون زيادة أو استطراد لا يليق بالغرض ولا يناسب المقام، مع الاحتراز من كون القول الحادث فيه زيغ عن المعنى أو عدول عن المراد، أو فيه عدم مراعاة للمعنى الحقيقي والمعنى المجازي، فيجب أن يحمل القول الحادث المعنى كما هو على الحقيقة أو العكس، مع ربطة بسابق الكلام ولاحقه، ليتآخى مع باقي المعاني ويخدم الغرض العام.

ولا يكفي ما سبق حتى تحتل الآية القول الحادث، بل لابد من عدم مخالفته لأحسن طرق التفسير ومصادره، ومن هنا يتبين خطأ مؤلف تفسير "الهداية والعرفان في تفسير القرآن" حين قال: « وأن تكون طريقتي فيه كشف معنى الآية وألفاظها، مما ورد في موضوعها من الآيات والسور، فيكون من ذلك العلم بكل مواضع القرآن، ويكون القرآن هو الذي يُفسر نفسه كما أخبر الله، ولا يحتاج إلى شيء من الخارج غير الواقع الذي ينطبق عليه ويُؤيده من سنن الله في الكون ونظامه في الاجتماع»²، فهذا القول أوله رحمة وآخره من قبله العذاب، فأوله انتصار للتفسير الموضوعي، وآخره

1 ابن تيمية، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، (د.ط، مكتبة البيان، دمشق، سوريا، د.س.ط)، ص: 110.

2 محمد أبو زيد الدمنهوري، الهداية والعرفان في تفسير القرآن، (د.ط، مطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر، القاهرة، مصر، د.س.ط)، ص: ج.

هدم لآراء العلماء وجهودهم، وثورة على القديم بثوب الدّعوة للتّجديد ! وكنموذج من هذا التّفسير يُورد الباحث تفسير موضوع الطّلاق عند قوله تعالى: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحْشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ [الطّلاق: 29]، حيث قال محمّد أبو زيد: «راجع البقرة (226-242)، والأحزاب (40)، والتّحريم (05)، والنّور (05-10)، لتعرف أنّ الطّلاق وإن كان في يد الرّجل لا يقع إلّا بسبب يُخلّ بنظام العشرة الزّوجيّة».¹

فتقييد الطّلاق باستحالة العشرة الزّوجية قول حادث، ووقوع الطّلاق هو الحادثة التي يترتّب عنها بداية حساب العدة، والنّفقة، والمتعة، وغير ذلك، ولا يُقال في حكم وقوعه بقول حادث أصلاً، فما كان سبباً مُوقِعاً للطّلاق عند الأوائل فهو سبب لمن بعدهم، وإلّا حكمنا بجهل الأوائل بحكم هامّ في مسألة هامة مُرتبطة بحفظ ضرورة من الضّروريات الخمس، وهي حفظ الأنساب من الاختلاط ! وقد أجمع فقهاء المذاهب الإسلامية على أنّ وقوع الطّلاق بيد الزّوج، وقد تطلبه الزّوجة، كما «اتّفقوا على أنّ طلاق المسلم البالغ العاقل -الذي ليس سكراناً ولا مكرهاً ولا غضباناً ولا محجوراً ولا مريضاً- لزوجته التي قد تزوّجها زواجاً صحيحاً، جائز إذا لفظ به بعد النّكاح مختاراً له حينئذ، وأوقعه في وقت الطّلاق بلفظ من ألفاظ الطّلاق على سنّة الطّلاق، فإنّه طلاق ... واتّفقوا أنّ الزّوج إذا أضرّ بامرأته ظلماً، أنّه لا يأخذ منها شيئاً على مفارقتها أو طلاقها»²، ومن إضرار الزّوج بزوجه الطّلاق مع عدم وجود ما يُخلّ بالعشرة الزّوجية، وبدون سبب مقبول أو مُبرّر شرعيّ، كطلاقها مع استقامة حالها والتزامها بواجبها، ودون تصرف سيء من طرفها، وبدون طلبها أو رضاها، فإنّ الطّلاق بهذا الشّكل يقع شرعاً، ولكنّ الزّوج يكون آثماً، لأنّه فعل محظوراً، ولما تسبب به من ضرر للطّرف الآخر³، فقول أبو زيد بأنّ الطّلاق يقع فقط إذا وُجد ما يُخلّ بالعشرة الزّوجية قول حادثٌ ومُخالفٌ للإجماع.

الضّابط العاشر: أن لا يطل التّفسير الموضوعي قول السّلف: ممّا يجب على المفسّر الموضوعي معرفته هو أن تفسير السّلف بمجموعه؛ شامل للقرآن كلّ، ولأنواع التّفسير كلّها، ولا يُمكن أن يخرج الحقّ عنهم، أو يخفى عليهم فلا يدركونه، ويدركه المتأخرون، والمعنى أنّ كلّ القرآن كان معلوماً لهم

1 محمّد أبو زيد الدّمهوريّ، الهداية والعرفان في تفسير القرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 455.

2 ابن حزم، مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، تحقيق: حسن أحمد اسبر، (ط01، دار ابن حزم للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، 1419هـ - 1998م)، ص: 127 - 130.

3 عروة صبري، الطّلاق التّعسفيّ دراسة فقهيّة مقارنة، (مجلة أكاديمية القاسميّ، باقة الغربية، فلسطين، 2009م)، العدد 13، ص: 197. بتصرف.

بوجه من الوجوه الصّحيحة، وأنّ ما زاده المتأخرون من الوجوه لا يعني نقص علمهم بالقرآن؛ لأنّ موجب ذلك القول الذي ظهر للمتأخرين لم يكن موجوداً في عصرهم كي يُقال بجهلهم به، وعلى هذا؛ فإنّه لا يُوجد في القرآن ما لم يعلم السلف معناه، ولا يمتنع أن يظهر للمتأخرين وجوه صحيحة وفوائد جليّة من التفسير؛ يجوز القول بها واعتمادها ما دامت لا تناقض قول السلف.

وأن يُعلم أيضاً أنّ العصمة لمجموعهم، وليست لفرد منهم، لذا يقع الاستدراك في التفسير فيما بينهم، فترى بعضهم يُخطئ فهم الآخر، ويردّ عليه، ولو كان لقول الواحد منهم عصمة لما قبل تخطئة من خطئ منهم، والعصمة للواحد منهم لم يدّعها أحد منهم.

وتبقى مسألة إضافة الأقوال الجديدة الصّحيحة التي تحملها الآية أمراً ممكنًا؛ قال تعالى:

﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ كُلَّوَا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (٣٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ

بِالسُّوِّ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ [البقرة: 168-169]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنْ

تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٣٣) [الأعراف: 33]، وقوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ

وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: 36]، فظاهر هذه الآيات هو التّهي عن التّقول بلا

علم، وبمفهوم المخالفة؛ فإنّه عموماً لا حرج في ذلك إذا صدر عن علم وفهم، قال ابن باديس (توفي:

1359هـ): «ولما كان الإنسان -بما فُطر عليه من الضّعف والاستعجال- كثيراً ما يبيّن أقواله وأفعاله

واعتقاداته على شكوكه وأوهامه وعلى ظنونه حيث لا يكفي بالظنّ، وفي هذا البناء الضّرر والضلال

-بيّن الله تعالى لعباده- في محكم كتابه أنّه لا يجوز لهم ولا يصحّ منهم البناء لأقوالهم وأعمالهم

واعتقاداتهم إلّا على إدراك واحد وهو العلم، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ أي لا تتبع

ما لا علم لك به، فلا يكن منك اتباع بالقول أو بالفعل أو بالقلب لما لا تعلم. فهنا أن نعتقد إلّا

عن علم، أو أن نفعل إلّا عن علم، أو أن نقول إلّا عن علم... ولعمر الله، إنّ ما دخل الضلال في

عقائد الناس، ولا جرى الباطل الزور على ألسنتهم، ولا كان الفساد والشرّ في أفعالهم، إلّا بإهمالهم أو

تساهلهم في هذا الأصل العظيم¹، فالاعتقاد والفعل والقول عن علم لا بأس به، ومن القول

التفسير كما هو معلوم، وقد رأى بعض العلماء جواز إحداث قول غير قول السلف بإطلاق، وافق أو

خالف، قال الزركشي (توفي: 794هـ): «والثاني: الجواز مطلقاً. قال القاضي أبو الطيّب: رأيت

1 ابن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، تحقيق: أبو عبد الرحمن محمود، (ط01، دار الرّشيد للكتاب والقرآن الكريم، الجزائر العاصمة، الجزائر، 1430هـ - 2009م)، ج01، ص: 266 - 267.

بعض أصحاب أبي حنيفة يختاره وينصره»¹، وهذا القول مردود، فقد يكون فيه إبطال للقول الأوّل ! فكيف تُبطل أقوال السلف ونأخذ بأقوال الخلف ؟

وقال آخرون: يمنع إحداث قول ثالث في التفسير سواء نصّ السلف على فساد قول من عداهم أو لم ينصّوا، ونقل الزركشي (توفي: 794هـ) بأنّ المنع هو قول الجمهور، وهو القول الصحيح، وبه الفتوى²، قال ابن تيمية (توفي: 728هـ): «فإنّهم إذا أجمعوا -أي السلف- على أنّ المراد بالآية إمّا هذا وإمّا هذا، كان القول بأنّ المراد غير هذين القولين خلافاً لإجماعهم، فكيف يجوز أن تضلّ الأمة عن فهم القرآن الكريم ويفهمون منه كلّهم غير المراد به ؟»³، وقال صاحب "الفقيه والمتفقه": «إذا اختلف الصحابة في مسألة على قولين، وانقرض عصرهم عليه، فإنّه لا يجوز للتابعين إحداث قول ثالث؛ لأنّ اختلاف الصحابة على قولين إجماع على إبطال كلّ قول سواهما، كما أنّ إجماع الصحابة على قول إجماع على إبطال كلّ قول سواه؛ ولم يجوز إحداث قول ثانٍ فيما أجمعوا فيه على قول، ولم يجوز إحداث قول ثالث فيما أجمعوا فيه على قولين»⁴، ورّد هذا القول بأنّ خلاف السلف ليس كلّ خلاف تضادّ، بل غالبه خلاف تنوّع، فكيف يُقال بمنع خلاف التنوّع !؟

وأجازه آخرون بضوابط، قال أبو الخطاب الكلوزاني (توفي: 510هـ): «فأمّا إذا تأولت الأمة الآية بتأويل فإنّنا نرى: إن نصّوا على فساد ما سواه من الأقوال: لم يجوز إحداث تأويل سواه، وإن لم ينصّوا على فساد غيره فهل يجوز إحداث تأويل ثانٍ ؟ قال البعض: يجوز؛ لأنّ التابعين أحدثوا تفسيرات لم يذكرها الصحابة ورغم ذلك لم ينكر عليهم؛ ولا هم امتنعوا عنه لعلمهم بجوازه، ولأنّه لم يكن في إحداث تأويل ثانٍ مخالفة لمن قبلهم؛ لأنّ من قبلهم لم ينصّوا على إبطاله ولا في تأويلهم الأوّل إبطال للقول الثاني الحادث»⁶، وهذا القول هو الرّاجح، لأنّه لم يُنقل عن الصحابة إنكارهم على التابعين ولا من التابعين إنكارهم على بعضهم، بل لم يرد عن السلف إنكار القول المقبول من سواهم، ثمّ إنّ القول ناتج عن الفهم، والفهم ناتج عن التدبّر، والتدبّر مأمور به، فهذا يقود لذلك،

1 الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، مرجع سبق ذكره، ج06، ص: 517.

2 المرجع السابق، ج06، ص: 517.

3 ابن تيمية، مجموع الفتاوى، مصدر سبق ذكره، ج13، ص: 60. باختصار.

4 البغدادي، الفقيه والمتفقه، مرجع سبق ذكره، ج01، ص: 435. بتصرّف يسير.

5 أبو الخطاب محفوظ بن أحمد بن الحسن الكلوزاني البغدادي، إمام الحنابلة في عصره، ولد عام 432هـ، وتوفي في عام

510هـ، من مؤلفاته: الانتصار في المسائل الكبار، الهداية، وغريهما. ينظر: ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، (د.ط، مطبعة

السنة المحمدية، القاهرة، مصر، د.س.ط)، ج02، ص: 258.

6 محفوظ الكلوزاني، التمهيد في أصول الفقه، (د.ط، مركز البحث العلمي وإحياء التراث، 1406هـ)، ج03، ص: 321.

والفيصل هو مدى لزوم الضوابط والقواعد والأصول؛ لا في القول ذاته.

ومثال هذه المسألة عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ﴾ [الرّوم: 03]، قال الطّبريّ (توفي: 310هـ): « أدنى الأرض: الشّام »¹، وقال البغويّ (توفي: 516هـ): « أقرب من أرض الشّام إلى أرض فارس، قال عكرمة: هي أذرعات، وقال مجاهد: أرض الجزيرة، وقال مقاتل: الأردن وفلسطين »²، فالأقوال السابقة مختلفة في تحديد المكان، وليس فيها تحطئة من السّلف لبعضهم، وجاء الاكتشاف العلميّ الحديث بأنّ أدنى منطقة في الأرض هي البحر الميت، « ويُعدّ البحر الميت أخفض نقطة على سطح الأرض؛ إذ إنّ ينخفض مسافة تبلغ حوالي: 397م تحت سطح البحر؛ أي ما يعادل: 1,302 قدم، ويقع البحر الميت في منطقة وادي الصّدع العظيم الواقعة بين غور الأردن في الشّمال، ووادي عربة في الجنوب، وتحدّه من الشّرق المملكة الأردنية الهاشمية، ومن الجنوب الغربيّ فلسطين المحتلة، ومن الشّمال الغربيّ الضّفة الغربيّة في فلسطين »³، فالدّنوّ هنا دنوّ ارتفاع عن سطح البحر، فالمكان هو أدنى مكان في الأرض، « وبالنّظر إلى أنّ البحر الميت ليس له أيّ منفذ بحريّ، فإنّ طوله يبلغ: 75 كم، بينما يتراوح عرضه بين: 06 - 16 كم، وتجدد الإشارة إلى أنّ تغذيته تتمّ من خلال نهر الأردن »⁴، والدّنوّ هنا دنوّ مساحة، فهو أقلّ مساحة، وهذا اكتشاف لا يُبطل تفسير السّلف بل يتوافق معه، وينطبق على تفسيراتهم؛ فالبحر الميت أقرب لأرض العرب منه لأرض الرّوم، ومساحته صغيرة، وهو الأقلّ ارتفاعاً عن سطح اليابسة، بل هذا الاكتشاف جمع تفسيرات السّلف بمختلف معانيها؛ الأقلّ، والأصغر، والأقرب، فيقبل ولا يُردّ لأنّه قول لا يبطل قول السّلف بأيّ وجه من الوجوه. بخلاف القول الذي يزعم أنّ الطّير الأبايل هي ميكروبات ! وهو القول الذي انفرد به صاحبه، إذ لم يقل به -فيما أعلم- أحدٌ ممّن سبقه من أئمّة التّفسير القُدامى، ولا من جاء بعدهم.⁵ وملخص هذا الضّابط أنّه ليس على المفسّر حرج، ولا عليه تبعة إذا هو خرج من بحثه برأي لم يسبقه إليه أحد، ما دام يعتمد المنهج السّليم.

1 الطّبريّ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصدر سبق ذكره، ج18، ص: 456.

2 البغويّ، معالم التّنزيل، مصدر سبق ذكره، ج03، ص: 570.

3 ينظر: DEAD SEA", www.encyclopedia.com, Retrieved 18-5-2019. Edited.

4 ينظر: Touristic Sites", www.kinghussein.gov.jo, Retrieved 21-6-2019. Edited.

5 الطّير الأبايل في واقعة الفيل وما يراه الشّيخ محمّد عبده في ذلك، مقالة منشورة في مجلة «مجمع اللّغة العربيّة بمصر»، العدد (29)، 01 مارس 1972. (موقع تفسير).

الضّابط الحادي عشر: عدم الاختصار على حمل معنى الآية على نتائج التفسير الحادث: إنّ الدّراسات القرآنية بالأسلوب الموضوعي تُبَيِّن من دون شكّ أنّ في القرآن ما يكون معنى حادثاً؛ فالقرآن يحتوي على موضوعات عدّة وقادر على مواكبة العصر، وعلى إجابة حاجات جميع المثقّفين والمفكرين والمهتمّين على الرّغم من اختلاف تخصّصاتهم الفكرية، قال تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 38]، فهو يُظهر لنا حقائق قرآنية وسنن إلهية في الكون والحياة والعلوم والمعارف ما كان للإنسان أن يقف عليها بدون هذا اللّون من التفسير، ولن يستطيع القارئ أن يقف عليها من خلال التفسير التحليلي؛ فضلاً عن التفسير الإجماليّ أو المقارن، وكلّ ذلك يُسهم في الدّعوة إلى الإسلام وفي إمعان النّظر في القرآن، ويُسهم أيضاً في الارتقاء بمستوى التفكير العلميّ الموضوعي عند المفسّرين، ويصبح لدى العلماء والباحثين ملكة ودربة في البحث والدّراسة والتّأليف والتّفكير المنضبط بقواعد وأصول وأسس قرآنية مستمدة من القرآن ذاته؛ وليست مُستوردة من ثقافات ومعارف الأمم والشّعوب الأخرى.¹

فالتفسير الموضوعي يُعالج ما يجدُّ في حياة النّاس من قضايا وأحداث لم تكن موجودة سابقاً، ولم يكن حكم الشرع فيها واضحاً، فيقوم المفسّر أو الباحث من خلال هذا اللّون من التفسير باستخراج الحلول القرآنية لهذه الأمور المستجدة من خلال استنطاق النّصوص وإمالة اللّثام عن وجوه جديدة من الهدايات القرآنية، وهذا يُبرز جوانب جديدة من وجوه الإعجاز القرآني، ويتحقّق بدراسات علمية جادة لموضوعات القرآن الكريم، ولا سيما أنّ هذا اللّون من التفسير يتّفق مع العصر الحديث الذي يُطالبنا أن نُخرج للنّاس أحكاماً عامّة للمجتمع الإسلاميّ، مصدرها القرآن الكريم في صورة مواد ونتائج مدروسة يسهل تناولها والانتفاع بها، رجاء أن يكتفي بها ويعمل بمقتضاها في عصرنا المتجدّد، وهو ما سيخلق ويُبرز معاني حادثة في التّفسير الموضوعية الجديدة تجابه مشاكل العصر ومُعطيات الحضارة العصرية.

وهذا الضّابط يُشير ويوجّه إلى أنّ الأسلوب التّفسيريّ الذي يحسن بمن يريد بيان معنى جديد أن يسلكه؛ هو الجمع بين الأقوال ما أمكن، واليقين بأنّ الاختصار على القول الجديد اقتصاراً يُشعر بصحّته وسقوط ما سبقه، يعدّ من جملة الأخطاء في طريقة التفسير، فأصحاب هذا النمط يتقمّصون دور المصلح الباحث عن حلّ لمشاكل المسلمين ومعضلاتهم، وهذا يستدعي الاهتمام ويجلب إقبال

1 ينظر: مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، مصدر سبق ذكره، ص: 31. وصلاح عبد الفتاح الخالدي، التفسير الموضوعي بين النّظرية والتّطبيق، مرجع سبق ذكره، ص: 39.

الناس على هذا النوع من التفسير، وهذه الحقيقة لا يمكن أن يغفلها المفسر، وعليه ألا يُوظفها سلباً، فهذا الإقبال من القارئ يتبعه - في الغالب - قبول للمعاني التي حوتها التفسير ذات الصبغة الموضوعية، فإذا قصر المفسر معاني الآيات القرآنية على ما ظهر له من التفسير الحادث المقبول، يكون بهذا مارس نوعاً من التعصب والتعسف مع النص، ونوعاً من الحجر على المعنى والتضييق عليه. ومن هنا وقع التكلف والتعسف في فهم الآيات، ولجأت كل فرقة إلى التأويلات الفاسدة، وصرف الآيات عن ظواهرها وحقائقها، وردوا الأحاديث الصحيحة التي تُفسر القرآن إذا خالفت أقوالهم، فلا يعتمدون السنة ولا إجماع السلف وآثارهم، وبذلك صار القرآن فرعاً يُفسر على أصول خارجة عنه، وسابقة فيه عقول كل فرقة عليه؛ لأنهم استخلصوها من طرائقهم الفقهية، أو الكلامية، أو اللغوية، واستمدوها من النظر في فروع المسائل، أو مذاهب الفلسفة أو شواهد اللغة المجردة.¹

المطلب الثاني: ضوابط التفسير الموضوعي الكشفي

زيادة على ما سبق ذكره من ضوابط عامة مُتعلّقة بجميع أنواع التفسير الموضوعي، يُعتبر تحديد الموضوع الذي تتناوله سورة قرآنية واحدة، ثم دراسة هذا الموضوع من خلال تلك السورة وحدها، نوعاً من أنواع التفسير الموضوعي، ومن المعلوم أنّ لكل سورة من السور القرآنية شخصيتها المستقلة وأن لها هدفاً واضحاً ترمي إلى إيضاحه وبيانه وإدراكه، وهذا الأمر يحتاج لضوابط خاصة وجب على المفسر السير في حدودها، وتمثّل هذه الضوابط فيما يلي:

الضابط الأول: مراعاة موضوعات السورة القرآنية وتربطها: تنقسم سور القرآن الكريم إلى سور مكّيّة ومدنيّة؛ فالسور المكّيّة هي السور التي نزلت قبل الهجرة النبويّة إلى المدينة النبويّة، بينما السور المدنيّة هي السور التي نزلت بعد الهجرة النبويّة من مكّة إلى المدينة، ولكلّ منهما خصائص وموضوعات تميّزها، ومعرفة المفسر ذلك أمر مطلوب، ولكن ليس هذا هو مقصود هذا الضابط، بل المقصود هو موضوعات السورة القرآنية ذاتها، أكانت مكّيّة أم مدنيّة، أم فيها المكّي والمدني، فافتراق القرآن المدني عن المكّي في القضايا التي يعرضها ويُناقشها من أعظم الدلائل على اعتبار وأهميّة الموضوعات في السور القرآنية. قال الخطابي (توفي: 388هـ): «إنّما نزل القرآن على هذه الصّفة من جمع أشياء مختلفة المعاني في السورة الواحدة وفي الآية المجموعة القليلة العدد لتكون أكثر لفائده وأعمّ لنفعه، ولو كان لكلّ باب منه قبيل، ولكلّ معنى سورة مفردة لم تكثر عائده، ولكان الواحد من الكفار والمعاندين المنكرين له إذا سمع السورة منه لا تقوم عليه الحجّة به إلا في النوع الواحد الذي

1 ابن تيمية، مجموع الفتاوى، مصدر سبق ذكره، ج 07، ص: 119.

تضمّنته السّورة الواحدة فقط، فكان اجتماع المعاني الكثيرة في السّورة الواحدة أوفر حظاً وأجدى نفعاً من التّمييز والتّفريد للمعنى الذي ذكرناه ¹.

وتشابهك وتعاضد وتآلف وتكامل وتكاتف نُظُم الموضوعات القرآنية في السّور القرآنية، سمة تسري في جميع سور القرآن لمن أمعن نظره، وأعمل فكره، وتدبّر في سور القرآن الكريم، لذا فإنّه ممّا هو جديرٌ بالذكر ونحن نتحدّث عن الموضوعات القرآنية ونظمها في السّورة الواحدة؛ أن نبين ما يلي:

01- السّورة القرآنية قد تشتمل على غرضٍ وموضوعٍ واحدٍ لا تزيد عليه، كسورة الكوثر موضوعها و غرضها الامتنان على نبينا ﷺ، وأغراضها مقابلةً ومضادةً لأوصاف المنافق في سورة الماعون، وكسورة الإخلاص موضوعها و غرضها الدّات الإلهية وصفاتها، وكسورة القارعة موضوعها و غرضها بيان بعض أهوال وأحوال القيامة.

02- السّورة ذات فكرةٍ واحدة وموضوعات مُتعدّدة تخدم تلك الفكرة، كسورة الكهف مثلاً، ففكرتها أو هدفها أو موضوعها العامّ هو التّحذير من فتن الحياة الدّنيا، وجاءت الموضوعات الجزئية والقصص في السّورة خادمةً لهذا الهدف وتلك الفكرة ومقرّرةً لهما. فجاءت قصّة أصحاب الكهف وما يتعلّق بها مصوِّرةً ومحدّرةً من الفتنة في الدّين في ثماني عشرة آية من آيات السّورة، وجاءت قصّة صاحب الجنّتين وما يتعلّق بها مصوِّرةً ومحدّرةً من فتنة المال في ثلاث عشرة آية من آيات السّور، وجاءت قصّة الخضر وموسى ﷺ مصوِّرةً ومحدّرةً من فتنة العلم في أربع وعشرين آية من آيات السّورة، وجاءت قصّة ذي القرنين ورحلاته الثلاث -مغرب الأرض، ومشرقها، وبين السّدين- وما يتعلّق بها في سبع عشرة آية من آيات السّورة؛ مصوِّرةً ومحدّرةً من فتنة السّلطان، فالقصص والموضوعات في السّورة تفصيلٌ لفتن الحياة الدّنيا، وهذا هو الرّابط الذي يربطها جميعاً.

الضّابط الثّاني: أن تحتل السّورة وجود موضوعٍ أساسيٍّ واحد: التّفسير الموضوعي للسّورة القرآنية قائم على اجتهاد المفسّر في معرفة نظام السّورة الذي جعل منها سورة مستقلةً ومتميّزة عن غيرها، وعلى بيان وجود وحدة موضوعية للسّورة، أي وجود موضوع واحد أساسيٍّ بارز، تجتمع حوله باقي الموضوعات الفرعية، تستقي من نبعه، وتصبّ في خدمته، ووجود هدف ومحور يتعيّن على المفسّر إدراكه على مستوى السّورة، شريطة أن تحتل السّورة ما اختير موضوعاً أساسياً لها، وألا تنفر عنه وتألّبي أن يكون عنوانها البارز، وهذا باب إبداع أو ابتداع، يُصيب فيه المفسّر فيختصر طريقه ويسلك

1 الخطّابي، إعجاز القرآن الكريم، تحقيق: محمّد خلف الله ومحمّد زغلول سلام، (ط03، دار المعارف للطباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، 1396هـ - 1976م)، ص: 54.

درب التفسير الصحيح، أو يُخطئ فيه فيكون كالتائه لا يعرف مقرّاً ولا مُستقراً.

إنّ الواقعية التي يستوحي منها التفسير الموضوعي رؤيته؛ يجب أن تكون أوّل ما تكون في واقعية تحديد الموضوع الأساسي للسورة القرآنية لتحتمله، ويكون لاثقاً بها، مناسباً لها، مفتوحاً على النصّ وعلى الواقع على حدّ سواء. يقول محمّد عبد الله درّاز (توفي: 1377هـ): «اعمد إلى سورة من تلك السور التي تتناول أكثر من معنى واحد وما أكثرها في القرآن، فهي جهرته، وتنقل بفكرتك معها مرحلة مرحلة، وأنا لك زعيم بأنك لن تجد البتّة في نظام معانيها ومبانيها ما تعرف به أكانت هذه السورة قد نزلت في نجم واحد أم في نجوم شتى، ولسوف تحسب أنّ السبع الطّوال من سور القرآن قد نزلت كلّ واحدة منها دفعة، حتّى يُحدّثك التاريخ أنّها كلّها أو جلّها قد نزلت نجومياً».¹

إنّ القرآن الكريم متناسب في النزول وفي التنسيق وفي بيان الموضوع المحدّد الذي تتعرّض له السورة، والسور القرآنية في مجملها طائفة ملتزمة من آيات لا تحتمل تقطيعها، والنظر إليها يكون في كلّها لا في بعضها، ولا تتمّ الفائدة إلّا باعتبارها كياناً حياً واحداً، وهو ما يُرتّب على إدراك مقصدها النظر إليها كلّها؛ واستيفاء معانيها بتمامها. يقول الشاطبيّ (توفي: 790هـ): «اعتبار جهة النظم في السورة لا تتمّ به فائدة إلّا بعد استيفاء جميعها بالنظر؛ فالإقتصار على بعضها فيه غير مفيد غاية المقصود، كما أنّ الإقتصار على بعض الآية في استفادة حكم ما لا يفيد إلّا بعد كمال النظر في جميعها، فسورة البقرة مثلاً كلام واحد باعتبار النظم، واحتوت على أنواع من الكلام بحسب ما ثبت فيها، منها ما هو كالمقدمات والتّمهيدات بين يدي الأمر المطلوب، ومنها ما هو كالمؤكّد والمتّمم، ومنها ما هو المقصود في الإنزال، وذلك تقرير الأحكام على تفاصيل الأبواب، ومنها الخواتم العائدة على ما قبلها بالتأكيد والتّثبيت، وما أشبه ذلك»²، فيجعل الباحث السورة القرآنية وحدة متكاملة هدفها واحد، وإن تعدّدت موضوعاتها، فهي تدور حول مركز ركيز يُسمّى بالغرض سواء كان عاماً أو خاصّاً، فنقول مثلاً سورة آل عمران هدفها تحديد معالم الألوهية الحقّة، وإثبات أنّ الله تعالى واحد لا شريك له، ثمّ تفسّر الموضوعات التي وردت في السورة على هذا الهدف.³

ومثال هذا الضّابط هو سورة البقرة، أطول سور القرآن الكريم، ومع ذلك فقد حدّد المفسّرون الهدف العامّ لها، وقد اختلفت عباراتهم في ذلك، فقليل هو: بيان الصّراط المستقيم على الاستيفاء

1 محمّد عبد الله درّاز، التّبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن العظيم، مرجع سبق ذكره، ص: 187.

2 الشاطبيّ، الموافقات، مصدر سبق ذكره، ج 04، ص: 268.

3 أحمد السيّد الكومي ومحمّد أحمد يوسف القاسم، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، (ط 01، د.د.ط، القاهرة، مصر، 1402هـ - 1982م)، ص: 22.

والكمال أخذاً وتركاً، وبيان شرف من أخذ به وسوء حال من تنكّب عنه¹، وقيل: مدارها الإيمان بالغيب²، وقيل: معظم أغراضها ينقسم إلى قسمين: قسم يثبت سموّ هذا الدّين على ما سبقه وعلوّ هديه وأصول تطهيره النفوس، وقسم بيّن شرائع هذا الدّين لأتباعه وإصلاح مجتمعهم³، وقيل: تحديد الطّريق القويم لمن أراد أن يسلك نفسه مسلك المتّقين⁴، وقيل: الخلافة في الأرض ومقوماتها وأهلها⁵، وقريب منه: الاستبدال ونعني بذلك استبدال أمة بأمة⁶، وجميع هذه الأهداف أو المحاور تتناسب مع موضوعات السّورة ومع ملابسات نزولها، فسورة البقرة مدنيّة، وخطابها يتناسب مع القرآن المدنيّ، الموجه للمسلمين بعد أن قامت لهم دولة، ولذلك كان هدفها ومحورها الأساس تحديد الطّريق القويم للاستخلاف الإلهيّ للمؤمنين ليكونوا البديل لبني إسرائيل لخلافة الله ﷻ في الأرض، ولتطبيق شرعه وإصلاح المجتمع.

إذن فهذا الضّابط يضبط انطلاقة المفسّر ووجهته من أوّل الطّريق، إذ لا بدّ ألاّ يصطدم الهدف العامّ للسّورة، المتوصّل له بعد طول مدارسة وتدبّر وإطلاع، مع الأهداف التي توصّل لها غيره، حتّى لا يصطدم مع السّورة بعد ذلك، فمعيّارا التّحمّل هما السّورة نفسها، واختيارات باقي المفسّرين من جهة أخرى، وإذا احتملت سورة البقرة هدفاً عاماً يجمعها، فاحتمال باقي السّور أمرٌ مُحتملٌ وجائزٌ.

الضّابط الثالث: مراعاة منهج البحث في السّورة: إذا ما أراد المفسّر أن يدرس سورة ما، لاشتمالها على موضوعات مختلفة، فعليه مراعاة تحديد أهداف السّورة الأساسيّة ومقاصدها الرّئيسيّة، واستخراج هذه الأهداف والمقاصد من خلال القراءة الواعيّة المتدبّرة لآيات السّور عدّة مرّات، والاستدلال على

1 ابن الزّبير الغرناطيّ، البرهان في تناسب سور القرآن، مصدر سبق ذكره، ص: 88.

2 البقاعيّ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسّور، مصدر سبق ذكره، ج 01، ص: 55. والشّعراويّ، تفسير الشعراويّ، مرجع سبق ذكره، ج 15، ص: 95. باختلاف يسير.

3 محمّد الطّاهر بن عاشور، التّحرير والتّنوير، مرجع سبق ذكره، ج 01، ص: 203.

4 أحمد السيّد الكومي ومحمّد أحمد يوسف القاسم، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، (ط 01، د.د.ط، القاهرة، مصر، 1402هـ - 1982م)، ص: 22.

5 سيّد قطب، في ظلال القرآن، (ط 25، دار الشّروق، القاهرة، مصر، 1417هـ - 1996م)، ج 01، ص: 28. والبقاعيّ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسّور، مصدر سبق ذكره، ج 04، ص: 187. وصالح الخالديّ، التفسير الموضوعي بين النظرية والتّطبيق، مرجع سبق ذكره، ص: 73. وعبد الله الخطيب ومصطفى مسلم، المناسبات وأثرها على تفسير القرآن الكريم، (العدد 02، مجلّة جامعة الشّارقة للعلوم الشّريعة والإنسانيّة، الإمارات العربيّة المتّحدة، 1426هـ - 2005م)، ج 02، ص: 18.

6 طه جابر العلوانيّ، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 87.

كلّ هدف أو مقصد يسجّله بمجموعة من آيات السّورة، ثمّ التّعرف على موضوع السّورة الرئيس، ثمّ التّعرف على محاور السّورة وخطوطها الرئيسة وريط هذه المحاور والخطوط مع عمود السّورة، والاستشهاد على ذلك بآيات السّورة، ثمّ ربط السّورة بما قبلها من السّور حسب ترتيب المصحف من حيث التناسب في الموضوع العام لكل منها، ثمّ استخلاص أهمّ حقائق السّورة والدلالات التي تقرّرها، والإشارة إلى أبعاد السّور الواقعية وكيفية معالجتها لمشكلات الإنسان المعاصرة.

الضّابط الرابع: فهم أساليب القرآن في السّورة القرآنية: التفسير الموضوعي للسّورة القرآنية يحتاج من المفسّر فهم الأساليب القرآنية، والتفطن لنكت القرآن ومحاسنه بقدر الطّاقة، وإنّ أفضل قرينة تقوم على حقيقة معنى الآية واللفظ هي موافقة ما سبق من القول والاتّفاق مع جملة المعنى، والاتّلاف مع المقاصد التي جاء بها الوحي في جملته، وهذا ما توفّره السّورة القرآنية للمفسّر، وما عليه سوى الانطلاق من أنّ لكلّ عصر ولكلّ جيل متطلّبات خاصّة به، تتناسب مع ظروفه وأحواله، وتتناسب مع معطيات العصر والتّطور العلمي والتّكنولوجي والحضاريّ لذلك العصر، ولا بدّ أن يرتقي البحث في الدّراسات القرآنية بما يُلائم معطيات العصر ومتطلّباته.

وفي كون الموضوع في السّورة القرآنية ناضجاً محقّقاً خلاف لا يُنكر، ولكنّ التّوافق موجود في أنّ الأهداف والغايات التي وجدت لأجلها السّورة واحدة، لذا على المفسّر فهم أساليب السّورة القرآنية حتّى لا ينحرف مع ما سبق ذكره من عوامل ومعطيات عصره؛ فيتأثّر مسار تفسيره وتنتأثر نتائجه، ونحن نعلم أنّ أسلوب القرآن ليس مُوجّهاً إلى شخص بعينه ولا إلى جيل بعينه، بل خاطب القرآن أجيال وأجيال، ولم يفرّق بينها، وكلّ جيل يفهم ما يناسب تفكيره، ويلائم ذوقه، ويوائم معارفه وحضارته، وأسلوب كآسلوب القرآن يفرض خصائص كثيرة في جودته، ونظمه، ووقعه، وإشباعه العقل والعاطفة، واتّحاد معانيه، وأنّه يعلو على أفهام العامّة ولا يقصر على مطالب الخاصّة، وغير ذلك من خصائص أساليبه، وما يُقال عن القرآن يوجد في السّورة من القرآن. يقول الباحث: أسلوب كهذا لا بدّ من فهمه ومراعاته والبناء به وعليه.

الضّابط الخامس: عدم إهمال عمليّة الاستمداد من باقي القرآن: وقد يُعبّر عن هذا الضّابط بمعرفة الوحدة الموضوعية في إطارها الكلّي أو البنائي من خلال إدراك الرّوابط، وفهم العلاقات بين الوحدات الموضوعية المختلفة، وكذا معرفة الدلالات، وفهم السياقات المختلفة، فحتّى لو كان من المعلوم أنّ لكلّ سورة قرآنية شخصيّتها المستقلّة، وأنّ لها هدفاً واضحاً ترمي إلى إيضاحه، فمعرفة علاقة السّورة وباقي القرآن الكريم يكشف للمفسّر معاني دقيقة، ومناسبات لطيفة، وصوراً بليغة،

فالاستناد على آيات القرآن الأخرى لازم من لوازم التفسير الموضوعي الكشفي تفرضه الوحدة البنائية للنص، فتفسير القرآن بالقرآن هو مرجع التفسير الموضوعي الأساس، ووسيلته الأهم، حيث تفسر السورة بما جاء في السورة نفسها، وبما جاء في القرآن الكريم نفسه، من أصول، وفروع، وتوابع، ولواحق، وأجزاء، وروابط، وتشابهات، وردود، وبيانات مختلفة، ونحو ذلك، ثم بما جاء في مصادر التفسير الأخرى.

وكما تُفسر الآية بالآيات الأخرى من نفس السورة أو من السور الأخرى، تُفسر السورة بالسورة الأخرى أو بآيات من السور الأخرى، بجوارها أو بعيدة عنها، فالوحدة الموضوعية قائمة في القرآن، من سورة الفاتحة إلى سورة الناس، والإيمان بتكامل القضايا والموضوعات المعالجة على امتداد سور القرآن الكريم، أي بالوحدة الموضوعية المتناسكة في كامل كلام الله ﷻ، ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82]، لذا وجب النظر في السورة وجارتها، وأخواتها في القرآن الكريم؛ فإذا كانت يد الله مع الجماعة من خلقه، فهي مع الجماعة من كلامه الذي هو صفة من صفاته أولى وأحق.

المطلب الثالث: ضوابط التفسير الموضوعي التجميعي

وزيادة على ما سبق ذكره من ضوابط عامة متعلقة بجميع أنواع التفسير الموضوعي؛ تتطلب عملية جمع الآيات القرآنية التي تتناول قضية واحدة لعرضها وتحليلها ومناقشتها بغية الوصول لبيان حكم القرآن فيها، كما تتطلب أيضاً عملية تتبع الباحث كلمة من كلمات القرآن الكريم، وجمع الآيات التي وردت فيها هذه الكلمة أو مشتقاتها من مادتها اللغوية، ومحاولة الربط بينها في مختلف المواضع، ثم تفسيرها واستنباط دلالتها واستعمالات القرآن الكريم لها؛ ضوابط خاصة وجب على المفسر السير في حدودها، وتمثل هذه الضوابط فيما يلي:

الضابط الأول: الالتزام التام بعناصر القرآن في مرحله تحديد الموضوع أو المصطلح: إن جمع الآيات القرآنية في موضوع ما يتطلب القيام بعملية استقرائية لنصوص القرآن الكريم، لحصر الآيات المتعلقة بالموضوع الواحد، والتحقق من أن هذه الآيات تتعلق بذلك الموضوع، وتتصل به أي اتصال، وتتطلب هذه العملية الانتباه والحذر؛ لأن المفسر سوف يكتشف من خلال بحثه موقف القرآن في ذلك الموضوع، أو سيبرز حقائق قرآنية يكون لها شأن في المعرفة الإنسانية، والحياة العملية، والقيام بمحاولة قراءة القرآن الكريم مرّات ومرّات، من قبل مُتخصّصين ذوي علم بأساليب القرآن ومعانيه،

وتحديد الآيات التي لها تعلق بذلك الموضوع، ثم يُستأنس بعد ذلك بالمعاجم على اختلافها¹، وكذلك حين يتعلّق الأمر بالمصطلح القرآني، وجب التحرّز والتدقيق، والالتزام التام بعناصر القرآن الكريم دون توسّع وحشو، ودون إهمال وعدم استيعاب.

وكمثال نأخذ البسملة عند الشروع في أيّ عمل، فمن المقرّر شرعاً استحباب قول باسم الله قبل الشروع في أيّ عمل، وقد تصدرّ قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ كلّ سور القرآن، ما عدا سورة براءة، وقال تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ [العلق: 01]، وقال: ﴿وَقَالَ أَزْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَعَلَ بَرْحًا وَرِسَسَةً ۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ۝٤١﴾ [هود: 41]، وقال: ﴿قَالَتِ يَأْتِيَنَّهَا أَلَكُومُ الْيَاقِينُ ۚ أَلِيَّ الْكَذِبِ كَرِيمٌ ۝٢٩﴾ [إنعام: 29 - 30]، وهذه هي الآيات التي ورد فيها ذكر التسمية في القرآن الكريم، وهكذا يتبيّن من هذا المثال أنّ الالتزام بهذا الضابط هو الذي جعل من بداية الموضوع بداية قرآنية صرفة، جمعت إيرادات البسملة في القرآن في سياقات مختلفة.

الضابط الثاني: رعاية ما يلزم في تفسير القرآن بالقرآن: تفسير القرآن بالقرآن هو استيضاح لمعنى الآية من نظيراتها بالتدبر المأمور به في القرآن نفسه، وتشخيص المصاديق ومعرفتها بالخواص التي تُعطيها الآيات، كما قال جلّ جلاله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ۝٨٩﴾ [النحل: 89] وحاشا أن يكون القرآن تبياناً لكلّ شيء ولا يكون تبياناً لنفسه²، والتدبر في الآيات يقتضي أن يطرح المفسر التساؤلات ومن ثمّ يحاول الإجابة عليها، وهذه التساؤلات تتمثّل في البحث عن الآتي: »

1. معنى الكلمة.
2. تحيّر الكلمة، ويُراد به البحث في وضعها في محلّها المناسب الطّبيعي.
3. موقع الكلمة، والذي يرشد إلى الهدف من مجيئها في هذا الموقع.
4. الشكل الخارجي، والذي يدلّ على الحكمة منه والفكرة الخاصّة فيه، ويمكن التماسه في التّقديم والتأخير، والإفراد والتثنية والجمع والمعلوم والمجهول، وسائر الأشكال الأخرى.
5. التسلسل المعنوي والتناسب في الانتقال من غرض إلى آخر، ويمكن التماسه في العلاقات المختلفة في الآية مثل علاقة السبب والمسبب والتكامل، والتعليل والتشابه والتفريع، وإلى غير ذلك من أنواع العلاقات.

1 الدغامين، منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، مرجع سبق ذكره، ص: 35 - 36.

2 محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، مرجع سبق ذكره، ج 01، ص: 11.

6. التصنيف، أي تقسيم ما ورد من آيات قرآنية وفقاً للأبعاد الزمنية، أو المواقف الاجتماعية، أو الصفات النفسية، أو غير ذلك¹.

كذلك يلزم في هذا المنهج إرجاع المتشابهات إلى المحكمات، والجمع بين الآيات المطلقة والمقيّدة، والعام والخاص، وتوضيح الآيات الجملية بواسطة الآيات المبينة، وتعيين المناسبة، والاستفادة من سياق الآيات، ورفع الاختلاف الظاهري بين الآيات المختلفة، وتحديد معاني الآيات القرآنية بالاستعانة بالآيات الأخرى، وجمع الآيات النسخة والمنسوخة، وغير ذلك.

ومن أمثلة هذا الضابط قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَيْمَتُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَيْتَنَ عَلَى كَبْشٍ﴾ [المائدة: 01]، أي أنّ محلّ الأكل والبيع في الآية معلوم بلفظ الأنعام، كالغنم والماعز والبقر والإبل سواء كانت وحشية وغيرها، أو أجنة في بطون أمهاتها وغيرها، فهو حمل على الجميع دون استثناء أو تقييد، وأمّا المحرّم من اللحوم فإنّه سوف يبيّن في المستقبل، وهو يحمل في الحال ولا يصحّ الاحتجاج به، وقد بيّن الحمل في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنَازِيرِ وَمَا أَهْلَ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفَةُ وَالْمَوْفُودَةُ وَالْمَرْدِيَّةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْقُتُمْ بِأَلْزَامٍ ذَلِكُمْ فَسُقُتُمْ﴾ [المائدة: 03]. لهذا فإنّ هذه الآية تكون مفسّرة للإجمال في الآية الأولى²، وهذا ما ينبغي أن يراعيه المفسّر الموضوعي ممّا يلزم في تفسير القرآن بالقرآن؛ كبيان الحمل، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، ونحو ذلك.

الضابط الثالث: التركيز على الموضوع أو المصطلح القرآني: يجب على المفسّر أن يركّز على الموضوع أو المصطلح القرآني موضوع الدراسة، وعدم إقحام غيره معه، وتوظيف عبارات وجيزة موفية بالغرض، وعليه أن يحسن اختيار المراجع التفسيرية وغيرها، مع التّقل منها ما له علاقة بالموضوع أو المصطلح، واعتماد الأحاديث الصحيحة في الاستدلال، وتنزيل الآيات على الواقع، وربط القارئ أو المتلقّي بها، مع التنبيه إلى دقائق الكتاب الكريم، ومحاولة استشراق المستقبل، كلّ هذا يجب أن يتّسم بسلامة اللغة وحسن العرض وجمال الأسلوب، وجودة التعبير، بعيداً عن التعقيد والتكلف والتعسف، ثمّ تضمين خاتمة الدراسة نتائج التفسير التي يستفيد منها الفرد والجماعة.

الضابط الرابع: التدقيق التام قبل التعقيد والتأصيل: أصبح واضحاً ممّا تقدّم سلفاً أنّ التفسير

1 محمد رضا الحسيني الشيرازي، التدبر في القرآن، (ط03، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1431هـ - 2010م)، ج01، ص: 58-94.

2 ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ج02، ص: 05.

الموضوعي للآيات القرآنية المتعلقة بالموضوع أو المصطلح القرآني تفسير يعتمد ابتداءً على الجمع الأولي من عموم القرآن الكريم، وأن من عمل المفسر فيه جمع الآيات أو المصطلحات، ولكن قد يجمع المفسر الموضوعي الآيات القرآنية أو المصطلحات وينظر في مجموعها من غير إحصاء واستقصاء دقيق، ثم يصدر حكماً أو يؤصل جامعاً أو يضع قاعدة كليّة، ممّا يؤدي إلى غلط أو تخطيط يُحرف الكلم عن مواضعه، وحدوث غفلة عن بعض جوانب الموضوع، فتظهر النتائج ناقصة أو خاطئة بناءً على ذلك، لذا لزم المفسر الموضوعي لتلافي الوقوع في هذا المحذور، التأكد والاطمئنان والوقوف على كلّ جوانب الموضوع أو المصطلح، بعمل الإحصاء الدقيق والاستيعاب الكامل لكلّ الألفاظ القرآنية الواردة فيه والآيات الشريفة المتعلقة به، ومنه كان وجوب التدقيق.

إنّ المفسر الموضوعي لو أراد أن يبحث في موضوع قصّة نبينا موسى عليه السلام في القرآن الكريم، لابدّ له من تقصي هذه القصّة في عموم القرآن الكريم ليخرج الآيات المتعلقة بها قبل الخروج بالنتيجة القرآنية، وبعد التّقصّي والبحث في عموم القرآن الكريم يظهر أنّ مواضع هذه القصّة في أكثر من عشرين سورة من القرآن الكريم، وذكر اسم نبيّ الله موسى عليه السلام حوالي مائة مرّة، فلو لم يدقّ المفسر الموضوعي في جمع الآيات، ولم يحص بعضها، سواء كانت منفردة أو مجموعة فإنّه سوف يخرج بالنتائج غير المعتمدة لنقصها، وتامها هو الذي يُفضي إلى نتائج معتبرة في التفسير الموضوعي.

المطلب الرابع: أخطاء متعلّقة بضوابط التفسير الموضوعي

هناك جملة من الأخطاء قد يقع فيها من يشتغل بالتفسير الموضوعي أو غيره، وقد قام الباحث بعملية جمعها انطلاقاً من ضوابط التفسير الموضوعي السابقة الذكر، وبالنظر لما تعلّقت به من جوانب مختلفة.

الجانب الأول: أخطاء متعلّقة بجوانب القصور في التفسير: وتنفرّع عن أمرين رئيسيين:

أولها: القصور في أهلية المفسر نفسه وعدم تمكّنه من تحقيق ما هو بصددّه: وينشأ هذا بسبب عدم توقّر ما يُطلب في المفسر، فمن يظنّ أنّه يستطيع من دون استيفاء شروط وآداب المفسر، وبدون سابق معرفة بعلم التفسير أصولاً وضوابطاً، أن يُفسر كلام الله، فإنّه حتماً سيضلّ في ذاته، وسيضلّ غيره، إذ لابدّ للمفسر، شأنه شأن أيّ مشغل بعلم من العلوم، من ضوابط لا غنى له عنها، كما أنّه لا يستغني عن الفهم الدقيق، والملكة الطّبيعية، التي تؤهّله لفهم كلام الله، يقول الطاهر بن عاشور (توفي: 1393هـ): « فاستمداد علم التفسير للمفسر العربي والمولّد، من المجموع الملتئم من

علم العربيّة وعلم الآثار، ومن أخبار العرب، وأصول الفقه، قيل وعلم الكلام وعلم القراءات¹.
وفصل الرّاعب ما يحتاجه المفسّر من العلوم فقال: « إنّ جميع شرائط الإيمان والإسلام التي دعا إليها واشتمل القرآن عليها ضربان:

- علم غايته الاعتقاد، وهو الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر.
- وعلم غايته العمل، وهو معرفة أحكام الدّين والعمل بها ... ولا يمكن تحصيل هذين إلّا بعلم لفظيّة، وعقليّة، وموهبيّة:

فالأوّل: معرفة الألفاظ وهو علم اللّغة.

والثّاني: مناسبة بعض الألفاظ إلى بعض وهو الاشتقاق.

والثالث: معرفة أحكام ما يعرض الألفاظ من الأبنية والتّصاريّف والإعراب، وهو النّحو.

والرّابع: ما يتعلّق بذات التّنزيل، وهو معرفة القراءات.

والخامس: ما يتعلّق بالأسباب التي نزلت عندها الآيات، وشرح الأقاويص التي تنطوي عليها السّور من ذكر الأنبياء عليهم السّلام والقرون الماضية، وهو علم الآثار والأخبار.

والسادس: ذكر السنن المنقولة عن النّبيّ ﷺ وعمّن شهد الوحي ممّا اتّفقوا عليه وما اختلفوا فيه ... وذلك علم السنن.

والسّابع: معرفة النّاسخ والمنسوخ، والعموم والخصوص، والإجماع والاختلاف، والمجمل والمفسّر والقياسات الشرعيّة، والمواضع التي يصحّ فيها القياس، والتي لا يصحّ، وهو علم أصول الفقه.

والثّامن أحكام الدّين وآدابه، وآداب السّياسات الثّلاث، التي هي سياسة النّفس، والأقارب، والرّعيّة، مع التّمسك بالعدالة فيها، وهو علم الفقه والزّهد.

والتّاسع: معرفة الأدلّة العقلية، والبراهين الحقيقيّة، والتّقسيم والتّحديد، والفرق بين المعقولات والمظنونات وغير ذلك، وهو علم الكلام.

والعاشر: علم الموهبة ...

فجملة العلوم التي هي كالآلة للمفسّر، ولا تتمّ صناعة إلّا بها، هي هذه العشرة: علم اللّغة، والاشتقاق، والنّحو، والقراءات، والسّير، والحديث، وأصول الفقه، وعلم الأحكام، وعلم الكلام، وعلم الموهبة².

1 محمد الطّاهر بن عاشور، التّحرير والتّنوير، مرجع سبق ذكره، ج 01، ص: 18.

2 الرّاعب الأصفهانيّ، مقدّمة جامع التّفسير مع تفسير الفاتحة ومطالع البقرة، مرجع سبق ذكره، ص: 95 - 96.

فإذا افتقد المفسر لهذه الآلات فإنه سيقع في مخالفة ضوابط التفسير، قال الشاطبي (توفي: 790هـ): « قلما تقع المخالفة لعلم المتقدمين إلا ممن أدخل نفسه في أهل الاجتهاد غلطاً أو مغالطة »¹؛ من حيث يدري ومن حيث لا يدري، ويبقى من أعظم آفات العلم أن يدخل إليه من ليس من أهله، قال ابن حزم (توفي: 456هـ): « لا آفة على العلوم وأهلها أضر من الدخلاء فيها وهم من غير أهلها، فإنهم يجهلون ويظنون أنهم يعلمون، ويفسدون ويظنون أنهم يصلحون »². فإذا توفرت لدى المفسر جميع الشروط السابقة، مع استشعاره بالتقوى ومراقبة الله ﷻ، قد يكون السبب المانع راجع « إما لبلادة فهمه عن تصوّر أمثال ذلك من المخاطبة، وإما لشغل خاطره بغيره، وذلك وإن كان موجوداً في بعض المخاطبين بالقرآن، فغير جائز أن يشمل كافة المخاطبين، إذ من المستبعد أن يكون الناس قاطبة لا يفهمونه »³، ومما يشغل خاطر المفسر ويشوش تصوّراته؛ وجود أحكام مسبقة لديه.

وثانيها: القصور في تطبيق القواعد الشرعية والعلمية الحاكمة لهذا العلم، والضابطة لأصوله، والمبينة لمنهجه في البيان والاختيار والترجيح: أي الانحراف في التفسير⁴، وهذا النوع قد يكون سببه جهل المفسر وهذا سبق بيانه، وقد ينشأ عن الأسباب التالية:

01- ضعف ملكة التفسير: الملكة الطبيعية للتفسير من مؤهلات المفسر لفهم كلام الله، وهي « صفة راسخة في النفس، تحصل بسبب فعل من الأفعال، ثم ترسخ بالتكرار وممارسة النفس لها »⁵، وموهبة التفسير « علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم، وإليه الإشارة بالحديث المروي: من

1 الشاطبي، الموافقات، مرجع سبق ذكره، ج3، ص: 170.

2 ابن حزم، مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، (د.ط، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، د.س.ط)، ج01، ص: 27.

3 الزاغب الأصفهاني، مقدمة جامع التفاسير مع تفسير الفاتحة ومطالع البقرة، مرجع سبق ذكره، ص: 39.

4 المراد بالانحراف الميل والعدول عن الشيء، ونريد به هنا الانحراف عن ضوابط التفسير وقواعده المرعية، فيشمل كل انحراف سواء كان إلحاداً أو مجرد اجتهاد خاطئ. فهد الزومي، تحريف المصطلحات القرآنية وأثره في انحراف المفسرين في القرن الرابع عشر، (ط01، مكتبة فهد الوطنية، الرياض، السعودية، 1424هـ - 2003م)، ص: 07.

5 ينظر: التعريفات للجرجاني، ص: 229، والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي، ص: 314، والكليات للنفوي، ص: 856.

عمل بما علم ورثه الله علم ما لا يعلم¹»،² ولعلك تستشكل علم الموهبة وتقول: هذا شيء ليس في قدرة الإنسان، وليس الأمر كما ظننت من الإشكال، والطريق في تحصيله ارتكاب الأسباب الموجبة له من العمل والزهد. قال في البرهان: «اعلم أنه لا يحصل للنّاظر فهم معاني الوحي ولا تظهر له أسرارها، وفي قلبه بدعة، أو كبر، أو هوى، أو دنيا، أو هو مصّر على ذنب، أو غير متحقق بالإيمان، أو ضعيف التحقيق، أو يعتمد على قول مفسّر ليس عنده علم، أو راجع إلى معقوله، وهذه كلّها حجب وموانع بعضها أكد من بعض، قلت: وفي هذا المعنى قوله تعالى: ﴿سَاصْرِفْ عَنْ أَيْتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: 146]، قال ابن عيينة: أنزع عنهم فهم القرآن»³، فليس الأمر كما ظنّ من الإشكال، بل المطلوب هو سلوك الطريق في تحصيله، وارتكاب الأسباب الموجبة له.

02- عدم التقيّد بضوابط التفسير وقواعده: على المفسّر التقيّد بضوابط التفسير وقواعده، ويجب عليه مراعاتهما، حتّى يتجنّب الأخطاء، والحشو، والاستطراد، والتقسيمات الفنية المحضة التي وردت في مصطلحات العلوم المنطقية، والفلسفية، وغيرها ممّا لا تشهد له نصوص القرآن المباشرة، فكلّ إضافة أو نقص تُعتبر استدراكاً على القرآن، وكذب على الرّحمان، وإذا ما وقع الخطأ من المفسّر كانت التّهمة للمفسّر، وهذا باب طعن خطير يترقّبه أعداء الدّين ليتصيّدوا به الجهلة وضعاف الإيمان من المسلمين، وللصدّد عن سبيل الله المبين، ولا تكفي صحّة النّيّات لمنع استغلال الزّلات، وقد قيل: زلّة عالم زلّة عالم، فكيف إذا طار بها المتربّصون شرقاً وغرباً؟ وكيف إذا صادفت قلوباً حائرة وعقولاً مفتقرة للعلوم؟

وقد ربّ خالد السبّبت قواعد التفسير حسب الأبواب، فافتتحها ببيان القواعد التفسيرية المتعلقة بأسباب نزول القرآن وما يتعلّق بها، وما يندرج تحتها، ثمّ ذكر القواعد التفسيرية المتعلقة بطريقة التفسير، ومن بعدها القواعد اللّغوية، وفصّل بعد ذلك فأبان وأجاد، فليُنظر في محله.⁴

03- اتّباع الهوى ونصرة الأحكام المُسبقة: مسألة وجود بعض المفاهيم والاعتقادات

1 أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (10/15) عن أنس مرفوعاً، ثمّ قال: «ذكر أحمد بن حنبل هذا الكلام عن بعض التابعين عن عيسى بن مريم عليه السلام فوهم بعض الرواة أنّه ذكره عن النّبي ﷺ فوضع هذا الإسناد عليه لسهولة وقربه، وهذا الحديث لا يحتمل بهذا الإسناد عن أحمد بن حنبل».

2 الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، مرجع سبق ذكره، ج01، ص: 07.

3 السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مرجع سبق ذكره، ج04، ص: 216.

4 ينظر: خالد عثمان السبّبت، قواعد التفسير جمعاً ودراسة، مرجع سبق ذكره.

السابقة تجعل المفسر يبنى عليها في تفسيره للآيات القرآنية، أو لا أقل يطبعها بطابعه، ويغلب عليها لونه، أمر يوقع المفسر في مخالفة عدّة ضوابط لتفسير القرآن الكريم، وهو في هذا الخلاف على حالتين: « رجل معتكف فيما شاده الأقدمون، وآخر أخذ بمعوله في هدم ما مضت عليه القرون، وفي كلتا الحالتين ضرر كبير، وهنالك حالة أخرى ينجر بها الجناح الكسير، وهي أن نعمل إلى ما أشاده الأقدمون فنهذبّه ونزيده، وحاشا أن ننقضه أو نبيده، عالماً بأنّ غمض فضلهم كفران للنعمة، وجحد مزايا سلفها ليس من حميد خصال الأمة ».¹

ومن جهة أخرى تبرز نصرة الأحكام المسبقة كسبب دافع للمفسر إلى أن يُجهد نفسه في تصيّد الأدلة، ومن هنا يتحوّل اهتمامه عن تطبيق القواعد الشرعية والعلمية الحاكمة لهذا العلم، والضابطة لأصوله، والمبينة لمنهج في البيان والاختيار والترجيح، وينصرف إلى ما يدعم اعتقاداته وأحكامه المسبقة فينصرها، يقول محمد حسين الذهبي عن أحد أبرز نماذج هذا الصنف: « فغالب ما في كتب الشيعة الاثني عشرية في تأويل الآيات وتنزيلها، وفي ظهر القرآن وبطنه، استخفاف بالقرآن الكريم، ولعب بآيات الذكر الحكيم، وإذا كان لهم في تأويل الآيات وتنزيلها أغلاط كثيرة، فليس من المعقول أن تكون كلّها صادرة عن جهل منهم، بل المعقول أنّ بعضها قد صدر عن جهل، والكثير منها صدر عمداً عن هوى ملتزم ».²

وقد يخالف المفسر هذه القواعد الشرعية والعلمية الحاكمة لهذا العلم، والضابطة لأصوله، ويأخذ بغيرها ابتداءً، قال الطباطبائي: « ثم وضعنا في ذيل البيّنات متفرقات من أبحاث روائية، نورد فيها ما تيسر لنا إيراده من الروايات المنقولة عن النبي ﷺ، وآله، وأئمة أهل البيت، سلام الله عليهم أجمعين، من الطرق العامة والخاصة، وأما الروايات الواردة عن مفسري الصحابة والتابعين، فإنّها على ما فيها من الخلط والتناقض لا حجة فيها على مسلم »³، وهذه الطرق العامة والخاصة هي نفسها فيها قصور، فهم: « لا يعتبرون من السنة (أعني الأحاديث النبوية) إلّا ما صحّ لهم من طرق أهل البيت ... وأما ما يرويه مثل أبي هريرة وسمرة بن جندب ومروان بن الحكم، وعمران بن حطّان الخارجي وعمرو بن العاص ونظائرهم، فليس له عند الإمامية من الاعتبار مقدار بعوضة »⁴، وهذا الإسقاط

1 محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سبق ذكره، ج 01، ص: 07.

2 محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، مرجع سبق ذكره، ج 02، ص: 41.

3 الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، مرجع سبق ذكره، ج 01، ص: 13 - 14.

4 محمد حسين آل كاشف الغطاء، أصل الشيعة وأصولها مقارنة مع المذاهب الأربعة، (ط 01، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1410هـ - 1990م)، ص: 164 - 165.

لتراث أهل السنّة في علم الحديث جرّهم إلى إسقاط المصدر الثاني من مصادر التفسير، كما سقط عندهم المصدر الثالث باعتباره لا حجة فيه على مسلم !

04- الانبهار بالغرب الحديث: لم يكن الانبهار بالغرب وعلومه حكراً على جانب دون سواه، بل ظهر من يحمله في عدّة تخصصات ومدارس فكرية وعلمية إسلامية، فكان علامة بارزة خاصة خلال حقبة تعرّض الدّول الإسلامية للاستعمار الغربي، وفي ذروة نشاط المستشرقين ضدّ كلّ ما هو إسلامي، وما بين انبهار يقود للتقليد الأعمى؛ وانبهار يدعو إلى التّهضة وتصحيح المسار وتصويب بعض الأفكار لتتلاءم مع الواقع الموجود، ضاعت جهود وأوقات وأجيال، وضُيعت قواعد شرعية وعلمية حاکمة لعلم التفسير، وضابطة لأصوله، ومبيّنة لمنهجه.

ومن أشكال ذلك الانبهار ميل بعض المفسّرين إلى تفسير القرآن وفق النظريات العلمية الجديدة، وهو أسلوب يضرب في العمق ضوابط التفسير عموماً؛ لأنّه وبشكل تدريجيّ سيعطي الأصالة للعلوم الجديدة، وبالتالي سيرفع من قيمة نظريات العلوم التجريبية التي تعتمد الظنّ والاحتمال، وهذا سيلحق الأذى بمنهج التفسير؛ لأنّ التجربة كلّ يوم في تطوّر، بينما الحقائق القرآنية ثابتة كما سبق بيانه، وقد جرّ هذا التيار العديد من المفسّرين، فعمل مشغوف بتفسير القرآن وفق النظريات الرياضية والتجريبية، على تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: 189]، وفق ما جاءت به العلوم الحديثة، فقال: إنّ الإلكترون هو الجوهر الذي شكّل الخلق الأوّل، وسكونه، وانسجامه مع زوجه، التي هي البروتون، حيث إنّ شحنة البروتون تكون موجبة، وشحنة الإلكترون تكون سالبة، والتقاؤهما يحدث التّعادل والانسجام في الذرّة.¹

وهذا التفسير العلميّ الذي اعتمد على العلوم التجريبية والرياضية لا يُبيّن المراد الإلهي من هذه الآية، ويخالف المنقول والمعقول معاً، وخصوصاً إذا تمّ تتبّع باقي الآيات، حيث يصدر عن هذين الزوجين الكلام، والدّعاء، والمناجاة، والتّوبة، والأكل، وغيرها، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: 23]، قال الطّبري (توفي: 310هـ): « وهذا خبرٌ من الله جل ثناؤه عن آدم وحواء فيما أجاباه به، واعترافهما على أنفسهما بالذّنْب، ومسألتهما إيّاه المغفرة منه والرحمة، خلاف جواب اللّعين إبليس إيّاه. ومعنى قوله: ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾،

1 عبد الرزاق نوفل، القرآن والعلم الحديث، (د.ط، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1404هـ - 1984م)، ص: 157.

قال: آدم وحواء لرّهما: يا ربّنا، فعلنا بأنفسنا من الإساءة إليها بمعصيتك وخلاف أمرك، وبطاعتنا عدونا وعدوك، فيما لم يكن لنا أن نطيعه فيه، من أكل الشجرة التي نهيتنا عن أكلها، ﴿وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا﴾، يقول: وإن أنت لم تستر علينا ذنبنا فتغطيه علينا، وتترك فضيحتنا به بعقوبتك إيانا عليه ﴿وَتَرْحَمْنَا﴾، بتعطّفك علينا، وتركك أخذنا به ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، يعني: لنكونن من الهالكين»¹، وقال: ﴿فَلَقِيَ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَةً فَثَابَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: 37]، قال ابن كثير: «قيل: إنّ هذه الكلمات مفسّرة بقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾»²، وقوله: ﴿يَتَكَادَمُ أَشْكُنُ أَنْتَ وَرَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكَلَّا مِنْهَا رَعَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [البقرة: 35] فهما يأكلان الطّعام، وغيرها من الآيات الخاصّة بقصّة آدم وحواء عليهما السّلام، وهذه أمور لا يمكن أن تصدر إلّا من العاقل والمكلّف شرعاً، ولا يمكن أن تصدر من الذّرة، ثمّ إن آدم عليه السّلام يُعتبر أوّل الأنبياء والمرسلين كما أخبر رسول الله ﷺ، فعن أبي أمامة الباهليّ رضي الله عنه أن رجلاً قال: «يا رسول الله أنبيأ كان آدم؟ قال: نعم، مُكلّم، قال: كم كان بينه وبين نوح؟ قال: عشرة قرون. قال: يا رسول الله، كم كانت الرّسل؟ قال: ثلاثمائة وخمسة عشر»³، فهل يعقل وصف الذّرة بالنبوة؟!

ومن بين التّفاسير القرآنية الحديثة تلك التي انعطفت أصحابها إلى تفسير الآيات وفق النّظريّات الغربيّة، حيث تأثّروا كثيراً بالمفاهيم الغربيّة وقوانينها في الأخلاق وعلم الاجتماع، وعملوا في هذه التّفاسير على محاولة إيجاد نوع من الانسجام والتّوافق بين المدارس الفكرية أو الفلسفيّة الغربيّة وبين المفاهيم القرآنية والوحي الإلهي، وهؤلاء في الحقيقة وجدوا أنفسهم بين أمرين؛ كونهم يؤمنون بأصالة الوحي الإلهي، وأنّ القرآن من عند الله ﷻ؛ وانبهارهم بالحضارة والتّمذّن الغربي، الذي يقوم على إنكار ما وراء المادّة، حتّى يجمعوا بين هذين المتناقضين سلّموا أنفسهم إلى تأويل الآيات والتّصرّف الصّرف في معانيها.

ومن الاتجاهات الحديثة أيضاً؛ الاتجاه العقليّ في التّفسير، والذي ظهر خلال القرن الرّابع عشر هجري، وقد كان هذا الاتجاه ردّة فعل على الاتجاه التّقليديّ الذي حكم الفقه والتّفسير طيلة الفترة

1 الطّبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، مصدر سبق ذكره، ج10، ص: 115.

2 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سبق ذكره، ج01، ص: 270.

3 أخرجه الحاكم في المستدرک على الصّحیحين. والطّبرانی في المعجم الكبير، (118/08-119)، برقم: (7545)، وأخرجه ابن حبان. ينظر: الإحسان (69/14)، رقم: (6190)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (210/08) وقال: رواه الطّبرانی ورجاله رجال الصّحیح غير أحمد بن خلیل الحلبيّ وهو ثقة، وصحّحه الألباني في سلسلة الأحاديث الصّحيحة، برقم: (2668).

السابقة، وكان من أبرز الوجوه في هذا الاتجاه محمد عبده (توفي: 1323هـ)¹، الذي اعتبره باقي المفسرين الذين ساروا على دربه أستاذهم الأول²، وذهب محمد عبده إلى أنّ القرآن يجب أن يخضع للعقل في جانبيه النظري والعملي، وإذا وقع التعارض بين العقل والنص فإن العقل يُقدّم على ظاهر النص! وتبعه تلميذه رشيد رضا، الذي رأى بأنّ المصلحة العامة مقدّمة على النص والإجماع في حالة عدم توافقهما، ويرى عبده أنّ العقل يحكم باختلاط المفسدة في تعدّد الزوجات مع العدالة، وذلك ضمن تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ﴾ [النساء: 03]، ويرى تقديم حكم العقل على النص في هذا الموضوع، ويرى جواز الرّبا إذا كانت ستمنع من انتقال مال المسلمين إلى الكفار.³

05- التطع والتشدد ورفض كلّ جديد: يقول ﷺ: «هلك المنتطعون»⁴ بإطلاق، المفسرون وغيرهم، وعلى الطّرف المقابل من أصحاب الاتجاه العقلي نجد نوعاً آخر من المفسرين، يُنكرون الاستفادة من العلوم والمناهج البشريّة في التفسير، ويقتصرون على القول بأنّ فهم القرآن يجب أن يتمّ من خلال القرآن نفسه، وأن ينطلق بذهن بسيط في تفسير القرآن، ومن الواضح أنّ تفسيراً من هذا النوع سيكون ناقصاً، ولا يملك دعائم القوّة والشموليّة في احتواء المعاني، فالقرآن حقيقة مُطلقة تتجلى لكلّ أهل عصر وفق قدراتهم العقليّة واحتياجاتهم الفكريّة، وهناك فرق بين التّحميل والتّحمّل، وكلّما استفاد الإنسان ممّا تمنحه التجربة البشريّة ومن كتاب الكون المنظور كلّما كانت قدرته على تحمّل معاني الآيات القرآنية أقوى وأكثر، فالتطوّر سمة أساسية للإنسان في كلّ مناحي الحياة، وعلى المفسّر إيصال القرآن الكريم إلى هذه العقليّة الحديثة دون مُصادمة أو إنكار لعلم من سبق وقواعدهم.

الجانب الثّاني: أخطاء مُتعلّقة بالتفسير الموضوعي: يُعتبر التفسير الموضوعي منهجاً فنياً وحديثاً، والعمل به ما يزال في مراحله الأولى، رغم أنّ جذوره قديمة ترجع إلى عهد النّبي ﷺ، وإنّ ما يمكن أن يعترضه من مشاكل أمرٌ طبيعي؛ بالنظر إلى أنّ كلّ الجهود المبذولة حتّى الآن هي جهود

1 للمزيد حول دور محمد عبده في ظهور الاتجاه العقلي ينظر: محمد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام الشّيخ محمد عبده، (ط2، مطبعة المنار، القاهرة، مصر، 1427هـ - 2006م)، ج1، ص: 16 - 174.

2 فهد الزّومي، منهج المدرسة العقليّة الحديثة في التفسير، (ط2، مؤسسة الرسالة، الرياض، المملكة العربيّة السّعودية، 1403هـ - 1983م)، ص: 124.

3 فهد الزّومي، منهج المدرسة العقليّة الحديثة في التفسير، مرجع سبق ذكره، ص: 402.

4 أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب هلك المنتطعون، برقم: (2670).

للمؤسّسين والمكوّنين الأوائل له، وبالتالي فإنّ ما سنحدّده من أخطاء وسليبات ليست كلّ شيء، ولربّما مع مرور الوقت، وبروز العديد من التّفسيرات القائمة على هذا المنهج، يظهر المزيد من الآفات والاشتباهاً، ولعلّ من أبرز مواضع الضّعف ومكامن الهفوة والخطأ ما يلي:

01- عدم مراعاة ترتيب النّزول: من شروط المفسّر معرفته بترتيب النّزول، ومن شروط تفسير كلام الله مراعاة ذلك التّرتيب حتّى يكون دقيقاً؛ لأنّه من غير هذه المراعاة قد يجعل الآية الأولى قيّداً أو إطلاقاً للثانية، في حين يكون العكس هو المراد، ومثاله في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 130]، هذه الآية نزلت قبل الآيات الأخرى المحرّمة للرّبا مطلقاً، كما في سورة البقرة عند قوله ﷻ: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ...﴾ [البقرة: 275 - 281]، فالآية من آل عمران قد حرّمت الرّبا بشكل تدريجيّ، وأشارت إلى الرّبا الذي تكون فيه الأموال أضعافاً مضاعفةً، بينما الآيات من سورة البقرة، والتي نزلت بعد آية آل عمران، قد حرّمت مطلق الرّبا، قليلاً وكثيره، وإذا لم يكن المفسّر على اطلاع بترتيب نزول هذه الآيات فسيقع في المحذور، حيث سيجعل التحريم المطلق أوّل ما نزل، ويعتقد أنّ آية آل عمران جاءت لتقيّد هذا المطلق، فيصبح الرّبا المطلق في سورة البقرة مُقيّداً بالآية من سورة آل عمران، وبالتالي يُصبح الرّبا القليل ممّا لا إشكال فيه.

يقول الطّاهر بن عاشور (توفي: 1393هـ): «فليس هذا الحال هو مصبّ النّهي عن أكل الرّبا حتّى يتوهّم مُتوهّم أنّه إنّ كان دون الضّعف لم يكن حراماً. ويظهر أنّها أوّل آية نزلت في تحريم الرّبا، وجاءت بعدها آية البقرة، لأنّ صيغة هذه الآية تُناسب ابتداء التّشريع، وصيغة آية البقرة تدلّ على أنّ الحكم قد تقرّر، ولذلك ذكر في تلك الآية عذاب المستمرّ على أكل الرّبا. وذكر غرور من ظنّ الرّبا مثل البيع، وقيل فيها ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ [البقرة: 285] الآية، كما ذكرناه آنفاً، فمفهوم القيد معطلّ على كلّ حال¹، فأية آل عمران أوّل آية نزلت في حكم الرّبا فناسب ذلك بداية التّشريع، ثمّ جاءت بعدها آية سورة البقرة مُتناسبة مع تقرير التّشريع النّهائي للرّبا وهو التّحريم والوعيد.

02- إغفال النّظر إلى كلّ القرآن: يعتبر القرآن في كلّ آياته مثالي، بمعنى أنّه معطوف بعضه

1 محمد الطّاهر بن عاشور، التّحرير والتّنوير، مرجع سبق ذكره، ج 01، ص: 86.

على بعض، وله نفس الاتجاه والأهداف، ويفسر بعضه بعضاً، نستند إلى بعضه ونلجأ إليه عند تفسيره، وهذا الأسلوب يؤكد أنّ كلّ القرآن منسجم بعضه مع البعض، وأنّ له وحدة بنائية لأنّه من مشكاة واحدة، وليس فيه أي اختلاف أو تضارب، لذا اعتُبر من الشّروط الخاصّة في تحقّق التفسير الموضوعيّ النّظر إلى كلّ القرآن، وهذا من أهمّ الأصول التي يبنى عليها المفسّرون تفسيرهم، فالارتباط بين الآيات ارتباط دقيق، بمعنى أنّه يكمن فيه توحيد مواضيعه ووحدتها، ولا بدّ في التفسير من استحضار هذه الحقيقة، وهي أنّ النّظر إلى كلّ القرآن شرط في فهمه وكشف معانيه ومراده، فالآية لا توضّح المعنى مُستقلّة عن باقي القرآن، وكلّما انضمت آية إلى أخرى مناسبة لها كلّما كان المعنى أوضح، وكلّما ظهرت حقيقة التفسير، ونخلص إلى أنّ النّظر إلى القرآن بكليّته وترابطه من الأمور والقواعد الهامّة للمشتغلين بالتفسير، وإغفال وحدة الآيات في سياقها العامّ منقصة للتفسير، ولن تكشف مفهوماً أو تُبيّن معنى.

03- عدم الالتزام الكامل بكلّ معاني الآيات: على المفسّر أن يلتزم باستحضار كلّ ما استخلصه من معاني ومفاهيم، بدون زيادة أو نقصان، وأن لا يدخل عناصر أخرى خارجة عن القرآن، كالروايات، واللغة، وما تقرّر أنّه خارج عن نصّ القرآن؛ لأنّه من شأن ذلك أن يُضيف إلى التفسير معنى دخيلاً، كما لا ينبغي إخفاء ما تبين من مفاهيم قرآنية، تحت أيّة غاية وذريعة، ولو كان بغرض الدّفاع عن القرآن، وقد سلك هذا بعض المفسّرين، حيث عمدوا إلى إخفاء بعض المفاهيم حتّى لا تُعاب على القرآن، أو تكون مورد إحراج لهم، وهم يتصوّرون أنّهم يحسنون صنعا، كما هو الشّأن في موضوع تعدّد الزوجات، والطلاق، والزّيا، فعمدوا إلى تأويلها بما يرضي مخالفينهم، وهم في حقيقة الأمر إنّما أبطلوا مفاهيم قرآنية، وللإشارة؛ فإنّ الاستفادة من السنّة، أو اللّغة، أو العقل، في شرح وتبيين المعاني، مع وجود قرينة؛ لكي تكون شاهداً على المتن القرآنيّ، أمر ضروريّ في التفسير الموضوعيّ، ولا ينبغي أن يتعدّى استعمالها هذه الموارد، لأنّها حينها سوف تصبح عنصراً مُكوّناً لا مُفسّراً، لأنّ الغرض من التفسير الموضوعيّ هو استخلاص نتيجة قرآنية في ما يخصّ موضوعاً من مواضيع العصر والمرحلة، مهما كان النوع المتّبع، ففرق كبير بين أن تبحث عن العلم في القرآن وأن يكون الموضوع هو العلم في القرآن والسنّة، وقد يأتي الموضوع في البحث عن العلم بشكل مطلق، حيث يكون البحث في القرآن، ثمّ في السنّة، ثمّ في مباحث أخرى، كالتاريخ، والفلسفة، ومصادر أخرى.¹

1 عبد الستار فتح الله سعيد، المدخل إلى التفسير الموضوعي، مصدر سبق ذكره، ص: 67.

ومن أشكال عدم الالتزام الكامل بكلّ معاني الآيات أن يأتي المفسّر بكلّ موضوع خارجيّ من العلوم التي يتمّ ابتكارها أو اكتشافها يوماً بعد يوم، ثمّ يحاول أن يجعلها قرآنية، بحيث يُسقط عليها مدلول الآيات، ثمّ يدّعي في النتيجة أنّها ضمن البعد الشّموليّ للقرآن، فالقرآن منهج ديني إلهي، وليس من شأنه الخوض في تفاصيل جزئيات العلوم البشريّة، رغم أنّه قد ذكر العديد من الحقائق العلميّة، والتي استطاع العلم اليوم تأكيدها أو تأكيد بعضها، ولعلّ البعض قد أخذتهم الحماسة، أو لشغفهم بدعوة الناس إلى الإيمان بالقرآن، وبالتالي الحديث عن القدرة الإلهيّة، فأخذوا يُسقطون الآيات القرآنيّة على بعض الظواهر الكونيّة أو العلميّة: (الأطباق الطّائرة في القرآن)، و(القبلة الدّريّة في القرآن)، وغيرها، والتي يظهر التّكلّف في المعنى فيها واضحاً، بحيث تضع الوحي الإلهي في غير مكانته، والمخالف في هذا الموقف لا يُنظر إلى نيته.¹

ومن أشكال عدم الالتزام الكامل بمعاني القرآن الكريم وجود أفكار مسبقة وتصور ذهنيّ أولي، ففي إطار التفسير الموضوعي لا يُقبل من المفسّر أن تكون له نظرة وأحكام مسبقة، ثمّ يأتي إلى القرآن، محاولاً إيجاد سند وشاهد شرعيّ على تلك الأفكار والتّصورات؛ لأنّ هذا يعني في حقيقته جرّ القرآن لكي يكون حجّة على أفكاره ونظريّاته، وبالتالي يسعى إلى تحميل القرآن ما ليس له به علاقة، أو ربّما تكون العلاقة عكس ما ذهب إليه، وهذا يدخل في اصطلاح علوم القرآن ضمن التّحريف لمعاني القرآن، وقد سعى البعض لكي يثبت أنّ اليهود والنّصارى مؤمنون بالمعنى القرآنيّ، فاستخرج آيات حول الموضوع جعلها في صورة المؤيّد لمذهبه.²

ومن أشكال عدم الالتزام الكامل بمعاني القرآن الكريم الاكتفاء بمعجم الآيات القرآنيّ، فلا ينبغي الاكتفاء بالمعجم القرآنيّ، حيث إنّّه ليس بعيداً أن لا تذكر المعاجم بعض الآيات التي تدخل ضمن الموضوع؛ بسبب أنّها لا تحمل الكلمة نفسها، وكمثال على هذا؛ هناك العديد من الآيات التي موضوعها (الرّحمة الإلهيّة)، ولكنّ لفظ (الرّحمة) لم يرد فيها بشكل مباشر، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهِمْ مِنْ دَابَّةٍ﴾ [النحل: 61]، أو في قوله ضمن الآية الكريمة: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهِمْ مِنْ دَابَّةٍ﴾ [فاطر: 45]، وهي آيات ظاهرة في رحمة الله تعالى بعباده، رغم أنّ كلمة (الرّحمة) لم ترد فيها بشكل مباشر، بالإضافة إلى أنّ الاكتفاء بالمعجم والانطلاق منها يضع المفسّر ضمن الأفكار والنّظريّة المسبقة، وهي من الآفات

1 ينظر: عبد الستار فتح الله سعيد، المدخل إلى التفسير الموضوعي، مصدر سبق ذكره، ص: 59.

2 صلاح عبد الفتاح الخالدي، التفسير الموضوعي بين النّظريّة والتّطبيق، مرجع سبق ذكره، ص: 62. بتصرّف يسير.

التي تلحق تحديد مراحل التفسير الموضوعي، كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

04- شمولية الموضوع وعدم تحديد الهدف: وفي هذا الجانب يتساهل المفسر إلى حدّ

كبير، ولا يُتعب نفسه في دراسة الآيات على حدة، وهذا يُسبب تراكم الآيات المتعلقة بنوع التفسير الموضوعي، أيّا كان هذا النوع، وهنا يرد الاحتمال العقليّ الناتج عن عدم الإدراك الصحيح فيُضخّي بالاحتمال الصحيح، وهذه في حدّ ذاتها إحدى المشكلات التي تعترض طريق التفسير الموضوعي، وقد تستدرج المفسر إلى مواضيع لا علاقة لها بالموضوع قيد التحقيق، وبالتالي تنزلق بالنتائج إلى طريق الاشتباه والخطأ، والاستعمال المعقول لمساحة التّساهل يكون في شمول الاختيار لكلّ الآيات المرتبطة بنفس الموضوع أو المصطلح أو السّورة، وليس كلّ ما احتمله عقله عن طريق الحدس والظنّ.

وما يُتاح للمفسر عند تجميع الآيات والسّور، غير متاح له عند اختيار الموضوع، فشمول اختيار الدّعائم القرآنية من السّور والآيات والمصطلحات ليس معناه شمول اختيار الموضوع أو الهدف المحدّد، كأن يختار المفسر موضوع الإنفاق في الإسلام مثلاً، فالإنفاق موضوع شامل لمواضيع أخرى كثيرة ومختلفة عن بعضها البعض؛ كموضوع التّفقه، والصّدقة، والزّكاة، والتّبرّع، والهبة، وجهاد المال، وغيرها، ولا يمكن إدراك الرّابط بينها جميعاً، كما لا يمكن استخلاص نتيجة جامعة لمفهوم جميع الآيات النّازلة إلى هذا الموضوع، فإذا تمّ اختيار موضوع مُحدّد، « فلا يكفي في مجال التفسير الموضوعي الإقرار أنّ الهدف الصّرف هو توضيح جميع جوانب الموضوع، أو أنّ المسألة علميّة صرفة، أو نحوها، بل لابدّ أن يكون الموضوع ضمن المبتلى به بين أطراف المجتمع المسلم، أو المجتمع البشريّ بشكل عامّ، ويكون مساهماً في هداية البشريّة؛ لأنّ القرآن هو كتاب هداية، وليس كتاب نظريّات علميّة أو نحوها، بل المراد باستخلاص التّائج القرآنية إيجاد حلّ لمعضلة بشريّة »¹، وقد يُخالف بعض الباحثين فيرى أنّ « المفروض اختيار العنوان الشّامل لكلّ هذه العناوين الصّغيرة، فيكون الأولى اختيار عنوان (الجهاد في سبيل الله) ليكون الموضوع المحور، وبعدها يضمّ إليه المشتركات اللفظيّة، والمعنائيّة، أو ما يقرب للموضوع المحور من عناوين أخرى »²، ولعلّ الصّواب ما اختاره الباحث. والله أعلم.

05- التّساهل أو التّشدّد عند التفسير الموضوعي: من الأخطاء في هذا الجانب أنّ المفسر

يتساهل إلى حدّ كبير في تجميع الآيات بمجرد احتمال مشابقتها للموضوع، أو قربها منه، ولا يُتعب نفسه في دراسة الآيات على حدة، وهذا يسبب تراكم الآيات، كما أنّ الاحتمال العقليّ الناتج

1 صلاح عبد الفتاح الخالدي، التفسير الموضوعي بين النّظرية والتّطبيق، مرجع سبق ذكره، ص: 61. بتصرف يسير.

2 عبد الستار فتح الله سعيد، المدخل إلى التفسير الموضوعي، مصدر سبق ذكره، ص: 60. بتصرف يسير.

عن عدم الإدراك الصّحيح يُضحيّ بالاحتمال الصّحيح، وهذه في حدّ ذاتها إحدى المشكلات التي تعترض طريق التفسير، وقد تستدرج المفسّر إلى مواضيع لا علاقة لها بالموضوع قيد التحقيق، وبالتالي تنزلق بالتّأنيج إلى طريق الاشتباه والخطأ، والاستعمال المعقول لمساحة التّساهل يكون في شمول الاختيار لكلّ الآيات المرتبطة بنفس الموضوع، وليس كلّ ما احتمله عقله عن طريق الحدس والظنّ.

ومن التّساهل أن يستغرق المفسّر في توسيع الموضوع بحيث يجري وراء أمور هامشية، ممّا يجعله يخرج عن إطار التفسير الموضوعي، ويجعل الاستفادة من القرآن قليلة تكاد تظهر أو لا تظهر في الصّورة العامّة للتفسير، ولعلّ السّبب في ظهور هذا الأسلوب هو محاولة مسيطرة الرّكب، والظاهر أنّها تجد قبولاً عند بعض الشّرائح العصريّة أو المعاصرة، وتظهر هذه الدّراسات تحت عناوين، مثل (الدّراسات القرآنيّة)، و(حول القرآن)، وقد انجرّ وراء هذا الأسلوب علماء قدامى، مثل الفخر الرّازي، وحديثاً الشّيخ الطّنطاوي، وقد قيل حول تفسيرهما: فيهما كلّ شيء إلاّ التفسير. وهناك موارد أخرى اثبتت بما اثبتلي به الأخيرين، مثل: عبّاس العقّاد في (الإنسان في القرآن)، وعفيف طبارة في كتابه (اليهود في القرآن).¹

ومن التّساهل أيضاً أن يتسرّع المفسّر ولا يُراعي الدقّة في تجميع الآيات الموحّدة في موضوعها أو المرتبطة بشكل من الأشكال بنفس الموضوع، ليصدر حكماً أو يبيّن أحد الأصول على ما توصّل إليه؛ لأنّ استقراءه للآيات سيكون حينئذ استقراءً ناقصاً، وبالتالي سيكون الحكم مبتوراً، وتكون النتيجة خاطئة بالتّبع؛ لأنّها لم تنطلق من جميع الشّواهد، الأمر الذي يجعلها ناقصة من المنشأ، وقد وقع في هذا المسلك الخاطي العديد ممّن اشتغل في حقل التفسير الموضوعي، ونذكر على سبيل المثال: ابن فارس في كتابه (الإفراد)، حيث قال: في القرآن أينما أتت كلمة «برّ» و«بحر» فالمراد بالبحر الماء والمراد بالبر الثرى، إلّا في قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ [الرّوم: 41]، حيث المراد بالبرّ البريّة والعمران، ونظراً لكون استقراءه للمفردة لم يشمل جميع الآيات فقد استخلص نتيجة خاطئة، وحملها للقرآن، وبدل أن يعالج أمراً فقهيّاً طرح إشكالات جديدة، فمثلاً: في قوله تعالى: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَعاً لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ [المائدة: 96] لا شك أنّ حكم المجال الجوّي هنا داخل تحت حكم الحرمة، فالحرّم بالحجّ إذا اصطاد طيراً في الهواء فقد وجبت عليه الكفّارة، ولكن وفق نتيجة ابن فارس؛ فلاّن الصّيد لم يكن على الثرى فلا كفارة عليه، كذلك أخطأت نتيجة من قال: إنّ كلّما جاء لفظ (قليل) في القرآن فهو يعنى أقلّ

1 عبد الستار فتح الله سعيد، المدخل إلى التفسير الموضوعي، مصدر سبق ذكره، ص: 73. بتصرّف يسير.

من عشرة، وهذا الاستنتاج الخاطئ وقع بلحاظ الاستقراء غير التّام لجميع الآيات القرآنية التي جاء فيها هذا اللفظ، والتّسرع في استخلاص النتيجة، من دون مراعاة شروطها ضمن التفسير الموضوعي، فإذا كان لفظ (قليل) يعني أقل من عشرة فما هو الجواب بالنسبة لقوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ [سبأ: 13] ؟ فهل نطبق هنا هذه النتيجة ؟! فلو كان المقصود بالقليل في الآية الأنبياء والرسل وحدهم، دون المؤمنين من باقي العباد والصالحين، فإنّ الواقع والوثائق التاريخية والنصوص الدينية تؤكّد أنّهم أكثر من عشرة أضعافاً مضاعفة.¹

أمّا التّشدد فالغالب أنّه ناتج عن الوسوسة والإفراط في تجميع الآيات، أو التّعصّب والنزعة المذهبية أو التحررية، وهذه النقطة تقع على طرف النقيض بالنسبة إلى النقطة السابقة، وكلا النقطتين، كما سيلاحظ تقع عن طريق التّفريط أو الإفراط، وهو ما يصدق عليه التّشدد في اختيار الآيات لمجرّد احتمال ناتج عن التّخمينات الفاقدة إلى مؤيد أو دليل، وهذه الخطوة تجعل التفسير ضعيفاً، وبالتالي فقيراً، ويُنتج حقيقة مبتورة أو مُوسّعة.

06- إغفال ترابط الآيات وتلاحمها: بعد أن كان التفسير الترتيبي المنهج المتداول بين

المفسرين ظهر التفسير الموضوعي، والذي شكّل قفزة نوعية في مجال التفسير، بحيث شغل اهتمام المفسرين، الذين رأوا فيه المنهج الأرقى والطريقة المثلى للإحاطة بالمراد القرآني، وخطوة إلى الإمام بالنسبة إلى التفسير التجزيئي، من خلال النّظر في القرآن وفي كليّته وترابطه، واعتبار ذلك من الأمور والقواعد الهامة للمشتغلين بمواضيع القرآن، فمن عجائب مميّزات القرآن الكريم أنّ الآية الواحدة منه لا يمكنها أن توضّح المعنى مستقلة عن باقي القرآن، « فلو تأملنا الإعجاز في ترتيب سوره وآياته نرى أنّه قد بلغ من ترابط سوره، وأجزائه، وتماسك كلماته وجمله وآياته مبلغاً لا يدانيه فيه كلام آخر، الأمر الذي دفع فصحاء العرب حين سمعوا القرآن، وبعد أن تحدّاهم لمعارضته إلى تأمل القرآن سورة سورة، وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبوا بها مكانها، بل وجدوا اتّساقاً بمر العقول، ونظاماً والتاماً، وإتقاناً وإحكاماً، لم يدع في نفس أيّ بليغ منهم موضع طمع، حتّى خرس الألسن عن أن تدّعي وتقول في القرآن شيئاً ».²

وهذا التّرابط إحدى خصوصيات القرآن، ومن هنا فإنّ وجود جهل اعتراضية أو موضوعات

1 عبد الستار فتح الله سعيد، المدخل إلى التفسير الموضوعي، مصدر سبق ذكره، ص: 74. بتصرف يسير.

2 السيوطي، أسرار ترتيب القرآن، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، (ط02، دار الإعتصام، القاهرة، مصر، 1398هـ - 1978م)، ص: 22.

مُتعدّدة تحويها سورة واحدة، قد لا يربطها بحسب الظاهر رابط موضوعي أو فكريّ مُعيّن، وكذلك التّكرار الذي امتاز به القرآن الكريم في موارد متعدّدة وبالاخصّوص في قصّة نبيّ الله موسى عليه السلام، كلّ هذه الأمور وغيرها هي من الأساليب البلاغية التي اعتمدها القرآن الكريم، وكانت مادّة إعجازه وتفنّنه، وقد تناولها المفسّرون والباحثون في دراسات متعدّدة متنوّعة، والغموض الظّاهريّ استفزازٌ لفكر من يُقدّر كلام الله حقّ قدره، ويوقن أنّه لا بدّ أنّ الكلام مُترابط ترابطاً أوثق من ترابط الكلام العادي في كتب البشر، ثمّ هو تثبيّت لفهمه للقرآن بعدما أعمل فكره في تدبره، لكننا لا نتدبر القرآن إلّا قليلاً، واتّخذناه كتاباً مهجوراً.

وحين يسلك المفسّر سبيل هذا المنهج في تفسير القرآن يستطيع الاغتراف من منبعه الزّلال، واستفتاح كنوزه العظيمة، واستشراف هداية الأُمّة والإنسانية بمفاهيم ونتائج تفوق بكثير ما بأيدينا اليوم، ولكنّ إغفال هذا التّرابط وعدم الإحاطة به يعتبر خطأً ومنقصةً كبيرةً في التّفسير، وهذا من المشاكل التي يعجز معها التّفسير الموضوعي على أن يكشف مفهوماً أو يُبين معنى، ومثال هذا آية:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلَعَلَّهُمْ

يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: 186] حيث وردت هذه الآية وسط آيات تتحدّث عن الصّيام، ومن المعروف أنّ هناك علاقة محكمة بين شهر رمضان وبين خصوصية الدّعاء فيه بالقياس إلى غيره من الشّهور، حيث يتداعى الدّهن من خصوصية شهر رمضان والصّوم فيه وما يرتبط به من القدسيّة والأحكام، إلى خصوصية الدّعاء في رمضان وفي غيره وإجابته.¹

ولا يكفي الاستقراء والتّقطيع ثمّ التّجميع؛ أي فصل الآيات القرآنية عن القرائن الموجودة ضمن السياق التّرتيبيّ؛ ولا البعد الشّموليّ للسّورة؛ ليصل المفسّر إلى ما يصبو إليه، بل قد يكون ذلك من الأخطاء التي يقع فيها المشتغل بالتّفسير وهو لا يدري، ولحلّ هذه المشكلة يرى الباحث ضرورة المرور بمرحلة مراجعة التّفسير التّرتيبيّ أولاً، وملاحظة القرائن النّقليّة والعقليّة والسيّاقية، ثمّ نقوم بالتّفسير الموضوعي في الخطوة الثّانية، ومن جهة أخرى فإنّ اقتطاع الآية من سياقها التّرتيبيّ لا يجعلها مُعلّقة؛ بل سترتبط بسياق آخر مُشابه له من حيث الموضوع يُعطي دلالة أخرى إضافية إلى دلالة التّفسير التّرتيبيّ، وقد يُستدرج المفسّر إلى مواضيع لا علاقة لها بالموضوع قيد التّحقيق، وبالتالي تنزلق النتائج إلى طريق الاشتباه والخطأ، لذا عليه أن يُدرك أن الاستعمال المعقول لمساحة التّساهل يكون في شمول

1 للمزيد حول خصوصية علاقة الصّيام بالدّعاء ينظر: عبد العزيز الطّريفي، التّفسير والبيان لأحكام القرآن، (ط01، مكتبة دار المنهاج للتّشريع والتّوزيع، الرياض، المملكة العربيّة السّعودية، 1428هـ)، ص: 238 - 242.

الاختيار لكل الآيات المرتبطة بالسورة أو بالموضوع؛ وليس اختيار وجمع كل ما احتمله عقله عن طريق الحدس والظن.

07- عدم مراعاة خصائص القرآن: لقد أدركت الأمة الإسلامية الخصائص التي انطوى عليها القرآن، فأيقنت أنّ عزّها، وشرفها، ومكانتها، ونهضتها، ورقّيها، وحضارتها، وعمرانها، كلّ ذلك مربوط برباط وثيق بالقرآن الكريم، لن ترتقي إلّا به، ولن تعزّ ما لم تتمسك بمبادئه، ولن تنهض ما لم تسلك منهجه.

وأدرك ذلك خصوم القرآن، فبدلوا وسعهم في صرف الناس عنه، وأعلنوها حرباً على القرآن، ومنهم من أقرّوا بفشلهم، فهذا وزير الحرب الفرنسي حين عجز عن فرنسة الجزائر يقول: « ماذا أصنع إذا كان القرآن أقوى من فرنسا ؟ »¹، والقرآن أقوى من فرنسا بما اختصّ وتميّز به، قال هيرشفيلد²: «وليس للقرآن مثل في قوّة إقناعه وبلاغته وتركيبه، وإليه يرجع الفضل في ازدهار العلوم بكافة نواحيها في العالم الإسلاميّ»³، ولا ينبغي أن ننسى حقائق ناصعة في تحريف المستشرقين وغيرهم للحقائق القرآنية، وإثارتهم للشبهات حول القرآن وموضوعاته، في مجالات متعدّدة، وما أحوجنا اليوم أن نذكر المفسّر الموضوعي بضرورة الإمام بخصائص القرآن معرفةً وحفظاً ورعايةً، فمن لم يعرف ثمّ يلتزم يؤشك أن ينحرف.

فالمفسّر الموضوعي حين يُغفل خصائص القرآن ولا يضعها نصب عينيه حين استخلاص النتائج القرآنية؛ فإنّ الخطأ والاشتباه سيرافقه في تحديد القواعد، وإعلان الحقائق القرآنية، وسيكون كمن تتقاذفه المدارس في نواحي شتى ليس منها علوم الشريعة، وليس فيها علم التفسير، ومن الخصائص الأساسية التي حاول بعض الباحثين والمفسّرين طرحها في هذا الميدان: »

- القرآن هو الأصل التام لجميع العلوم.

- القرآن في نهاية الإحكام والإتقان.

- القرآن خالٍ من الزيادة والتكرار.

1 جلال العالم، قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدو أهله، (العدد 7780، جريدة الأيام، 06/01/1962م، <https://www.noor-book.com>)، ص: 51.

2 هرتويج هرشفيلد (1854 - 1934م) مستشرق وباحث يهودي ألماني، في غاية التعصّب ضدّ الإسلام، من آثاره: إسهامات في إيضاح الإسلام، وأبحاث جديدة في تأليف وتفسير القرآن. ينظر: نجيب العقيقي، المستشرقون، مصدر سبق ذكره، ج3، ص: 749.

3 محمود عبد الوهّاب فايد، التربية في كتاب الله، (ط05، دار الاعتصام، القاهرة، مصر، 1398هـ - 1978م)، ص: 52.

- القرآن كتاب لهداية البشرية.
- القرآن لا يحتمل فيه الخطأ مطلقاً.
- بيانات القرآن مبنية على الحق، ولا شيء غيره.
- مجازات القرآن لا تشبه المجازات في غيره؛ لأنها مبنية على الصدق.
- ليس بين ألفاظ القرآن ترادف¹.

ومن أمثلة مخالفة خصائص القرآن الكريم من حيث نظمه وجودة سبكه، وحفظه للغة العربية، وعدم مصادمته للحقائق العلميّة، وغير ذلك من خصائص عدّة خالفها تفسير آية واحدة ! ما فسّر به إسماعيل أحمد أدهم (توفي: 1359هـ)² قوله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّثَمَرٍ ۝۱۱﴾ [القمر: 11]، حيث قال: «وقد أثبت العلم أنّ السماء لا أبواب لها، وأنّ الماء إنّما يتساقط على الأرض بعد أن يتكاثف سحباً وبعد أن يعلو مُتَبَخِّراً من مياه الأرض، فهل هذا الاعتقاد تجديف؟ وهل يجب أن نعتقد أنّ للسماء أبواباً من فوقها بحار، إذا فتحت انهمر المطر، وإذا أقفلت أمسك عن الانهمار؟»³. فمع كون هذا التفسير إلحاداً في آيات الله، فهو مُصادم لخصائص القرآن جملةً وتفصيلاً، فالقرآن عربيّ مبين، ولا يحتمل الخطأ، وهو الحقّ المحكم المتقن، وبلاغته فاقت أيّ بلاغة، قال ابن جرّيّ (توفي: 741هـ): «﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّثَمَرٍ ۝۱۱﴾» [القمر: 11]، عبارة عن كثرة المطر فكأنّه يخرج من أبواب، وقيل فتحت السماء أبواب يومئذ حقيقة والمنهمر الكثير¹، وفسّرها البيضاوي (توفي: 791هـ) فقال: «وهو مبالغة وتمثيل لكثرة الأمطار وشدة انصبابها»²، وفسّرها

1 عبد الستار فتح الله سعيد، المدخل إلى التفسير الموضوعي، مصدر سبق ذكره، ص: 78.

2 إسماعيل أحمد أدهم: ولد في 1911/02/17م بمدينة الإسكندرية من أب تركي وأم ألمانية، تلقى دراسته الأولى في مصر، والقانونية بين مصر وتركيا، والعالية في روسيا، وظفر بها بالدكتوراه سنة 1933م، عُرف من أذكي العلماء الذين يشتغلون بالرياضيات العلميّة، وبتوغّله في دراسة التاريخ الإسلامي، وتأثره بالمدّ الشيوعيّ الإلحاديّ، من مؤلفاته: تاريخ الإسلام، علم الأنساب العربيّة، من مصادر التاريخ الإسلاميّ، انتحر في 1940/06/23. الزركلي، الأعلام، مرجع سبق ذكره، ج01، ص: 310. ومحمد عبد الغني حسن، التراجم والسّير، (ط01، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1375هـ - 1955م)، ص: 189. باختصار وبتصرّف.

3 محمد سيّد الكيلاني، ذيل الملل والتحل، (د.ط، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، مصر، 1381هـ - 1991م)، ص: 101.

1 ابن جرّيّ، التسهيل لعلم التنزيل، مرجع سبق ذكره، ج02، ص: 388.

2 البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد صبحي حسن حلاق ومحمد أحمد الأطرش، (ط01، دار الرشيد، دمشق، بيروت، 1421هـ - 2000م)، ج03، ص: 346.

النيسابوري (توفي: 850هـ) بقوله: « وأبواب السماء وفتحها حقيقة عند من يُجَوِّزُ لها أبواباً وفيها مياهاً. وعند أهل البحث والتدقيق هو مجاز عن كثرة انصباب الماء من ذلك الصّوب كما يقال في المطر الوابل ((جرت ميازيب السماء وفتحت أفواه القرب)). والباء للآلة نحو: فتحت الباب بالمفتاح، ونظيره قول القائل ((يفتح الله لك بخير))، وفيه لطيفة هي جعل المقصود مقدماً في الوجود والتقدير يقيض الله لك خيراً يأتي ويفتح لك الباب، ويجوز أن يراد فتحنا أبواب السماء مقرونة ﴿يَمْلَأُ مَنَاجِرَ﴾ منصب في كثرة وتتابع أربعين يوماً¹، وعلى هذا سار المفسرون في تفاسيرهم، ولم يجد الباحث لإسماعيل أحمد آدم سلفاً من أهل التفسير، بل ولا سلفاً من أهل اللغة، ولم يجد له علماً، فالرجل جاهل باللغة والبلاغة، أما اللغة فاعتقاده أنّ المراد بالسماء معنى واحد فقط؛ وهو السماء حقيقة، وغابت عنه معاني منها أنّ المراد بها في الآية العلوّ والارتفاع، وهو هنا الجو الذي يستقر فيه السحاب، وهذا المعنى مقبول جائز، قال زهير بن أبي سلمى واصفاً السماء بالسقف:

لَوْ نَالَ حَيٍّ مِنَ الدُّنْيَا بِمَنْزِلَةٍ أَفْقَ السَّمَاءِ لَنَالَتْ كَفَّهُ الْأُفْقَ²

وقال عوف بن الأحوص مازجاً بين صورتين للسماء: واقعية ومجازية ليقرب الدلالة:

هُمْ رَفَعُوكُمْ لِلَّسَّمَاءِ فَكِدْتُمْ تَنَالُونَهَا لَوْ أَنَّ حَيًّا يَطُورُهَا³

بل إنّ العرب تُسمّي المطر سحاباً، وتُعبّر بالسحاب دلالة على المطر، قال معاوية بن مالك:

إِذَا سَقَطَ السَّمَاءُ بِأَرْضٍ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَاباً⁴

ولا يمكن حصر السماء داخل الشعر الجاهلي في دلالة محدّدة، على أنّ ما يخرج به الباحث في

الشعر الجاهلي هو الدلالة الكبرى للسماء، وتعني السمو والعلو والارتفاع.

أمّا جهله بالبلاغة فلا أنّ الآية تضمّنت استعارة تمثيلية بتشبيه تدفق المطر من السحاب بانصباب أنهار انفتحت لها أبواب في السماء وشقّت لها الأرض شقّاً، وهو في البلاغة وجه معروف مألوف في لغة العرب، ولا تأنفه السليقة، ويقبله أصحاب الذوق والبدیع، ويعلمه النجباء من التلاميذ

1 نظام الدين القمي النيسابوري، غرائب القرآن ورجائب الفرقان، تحقيق: زكريا عميرات، (ط01، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1416هـ - 1996م)، ج06، ص: 218.

2 زهير بن أبي سلمى، ديوان زهير بن أبي سلمى، تحقيق: علي حسن ماعور، (ط01، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1408هـ - 1988م)، ص: 77.

3 المفضل بن محمد بن يعلى الضبي، المفضليات، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، (ط06، دار المعارف، بيروت، لبنان، د.س.ط)، ص: 177. يطورها: يقرها أو يحوم حولها، والمعنى: لو نالها أحد بشرف لالتصمها لعلو شرفكم ورفعته.

4 ابن منظور، لسان العرب، مصدر سبق ذكره، ج02، ص: 211.

فضلاً عمّن تصدر للتفسير.

وحسب المعنى الحقيقي بأنّ السماء فتحت أبواباً يومئذ حقيقة وانهمر منها الماء الكثير، فالمقام كان مقام عقاب وغضب كبير، والقصد كان الأخذ الشديد، وإبراز قدرة الله وقوته؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 20]، وكذا حقيقة أنّ الماء إنّما يتساقط على الأرض بعد أن يتكاثف سحباً وبعد أن يعلو مُتَبَخَّرًا من مياه الأرض، لا يتصادم مع انهمار الماء بكثرة في ذلك اليوم؛ لكأنّما فتحت السماء أبواباً من ماء، فلو قال مُفسِّر بأنّ تكاثف الماء في ذلك اليوم كان كبيراً، وأثبت ذلك بدراسة علميّة حديثة، فما وجه عدم تقبّل فتح الخالق أبواباً في السماء المخلوقة الطائفة؟! وتفجير أنهار في تلك الأبواب فتسيل شلالات على الأرض لتسريع تشكّل الطوفان، وتسريع العقوبة، لا يرفض هذا المعنى المستصاغ عقلاً ونقلاً إلّا مُلحد لا يؤمن بالله أصلاً، ومن هنا سمى الباحث هذا التفسير تحريفاً.¹

ولو أنّ مُفسِّراً بالمنهج الموضوعي انطلق بهذا أفكار دون اعتناء بخصائص القرآن؛ فلن يصل لأيّ نتيجة صحيحة، وستترامى به تلك الأفكار التي لا تمت للبيان والكشف بصلة، ولقلب التفسير تعتيماً، والبيان ضلالاً، والموضوعي موضوعاً.²

1 ابن جرّي، التسهيل لعلوم التنزيل، مرجع سبق ذكره، ص: 388.

2 موضوعاً: المقصود هنا هو الكلام الموضوع في مصلحات المحدثين.

أهم نتائج الفصل الأول

- 01- التفسير علم غايته المرجوة الاستفادة من القرآن الكريم بفهم وكشف وبيان وإيضاح معانيه بحسب الاستطاعة البشرية وأصوله العلمية.
- 02- تفسير القرآن الكريم هو الطريق إلى العمل بكتاب الله تعالى وتطبيقه كمنهج حياة ومن هنا برزت حاجة الأمة إليه.
- 03- أصول التفسير هي الميزان الذي يفصل التفسير الصحيح الأصيل عن التحريف الخاطيء الدخيل.
- 04- هناك قدر مشترك بين علمي أصول التفسير وأصول الفقه.
- 05- عرّف الباحث التفسير الموضوعي فقال: التفسير الموضوعي علم يبحث حسب المقاصد القرآنية بحسب الطاقة البشرية في موضوعات قرآنية لفظية أو معنوية تربطها صلات خاصة وفق منهجية خاصة من خلال سورة أو أكثر.
- 06- يوجد فارق زمني بين الممارسة الفعلية للتفسير الموضوعي وبين الإطلاقات التعريفية والتأصيلية المرتبطة به، وهو نوع مستقل بذاته ولا يدخل ضمن أنواع التفسير التحليلي.
- 07- الصحيح أنّ التفسير الموضوعي ينقسم إلى ثلاثة أنواع: السورة القرآنية، الموضوع القرآني، المصطلح القرآني.
- 08- هناك اختلاف في منهج البحث في التفسير الموضوعي ولكن لا يُعدم وجود حدّ مشترك بين مناهج الباحثين في هذا العلم.
- 09- قام الباحث بجمع أهداف التفسير الموضوعي جمعاً خاصاً به، وهي أهداف قابلة للتجسيد.
- 10- يوجد بين التفسير الموضوعي وتفسير القرآن بالقرآن حدود جامعة وأخرى فاصلة بينهما، وقد جمعها الباحث ورتبها.
- 11- قام الباحث بجمع ضوابط القول بالمناسبات في القرآن الكريم.
- 12- علم المناسبات يجتمع مع التفسير الموضوعي كما يتباين عنه، وعدم الخلط بينهما ممّا وجب التنبيه له.
- 13- للتفسير الموضوعي ضوابط لا يسع المفسّر إلّا معرفتها والالتزام بها للسلامة من الأخطاء، ومدار هذه الأخطاء على القصور في أهلية المفسّر نفسه، أو في تطبيقه للقواعد الحاكمة لهذا العلم.

الفصل الثاني

مداخل طه جابر العلواني إلى التفسير الموضوعي

المبحث الأول: مُنْطَلَقَات التفسير الموضوعي عند طه جابر العلواني

المطلب الأول: مؤهلات طه جابر العلواني لتفسير القرآن

المطلب الثاني: دوافع التفسير الموضوعي عند طه جابر العلواني

المطلب الثالث: معالم المنهج القرآني عند طه جابر العلواني

المبحث الثاني: مواقف لطفه جابر العلواني متعلقة بتفسير القرآن الكريم

المطلب الأول: مواقف العلواني من التراث التفسيري ومن بعض علوم القرآن

المطلب الثاني: إشكالية تعامل طه جابر العلواني مع السنة النبوية

المطلب الثالث: العلاقة بين القرآن الكريم والسنة النبوية عند طه جابر العلواني

المبحث الثالث: دعائم التفسير الموضوعي عند طه جابر العلواني

المطلب الأول: عوامل أساسية في المنهج التفسيري عند طه جابر العلواني

المطلب الثاني: أدوات التفسير الموضوعي عند طه جابر العلواني

المطلب الثالث: قواعد أساسية لتفسير القرآن الكريم عند طه جابر العلواني

الفصل الثاني: مداخل طه جابر العلواني إلى التفسير الموضوعي

قال تعالى: ﴿وَقَدْ رَبَّ أَدْخَلَنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجَنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء: 80] أي: وقل يا ربّ أدخلني إدخالاً مرضياً في كلّ ما أدخل فيه من أمر أو مكان، وأخرجني منه إخراجاً مرضياً¹، وقال طه جابر العلواني في سياق حديثه عن التفسير الموضوعي الذي يُريده، أنّ على المفسّر أن « يستخدم كلّ تلك المداخل ويتوسّل بكلّ تلك الوسائل ليكون القرآن الكريم المرجع الأساس في فهم القرآن المجيد ذاته، وفي فهم كلّ ما جاء يُعلّم البشريّة إيّاه ».²

إنّ ما يُسمّى بمداخل العلوم قضية مركزية في عملية بناء المعرفة، ومنفذ طبيعي في العلوم، ومطلب ضروري لا يمكن الاستغناء عنه؛ للحاجة التي تُلبّيها فكرياً وواقعياً، فهي أساس لمبدأ التدرّج المعرفي، والسير مع العقل البشريّ وهدايته، فالمرء لا يُمكنه استيعاب ما يفوق قدراته الذهنية والنفسية، ليس في مجال العلوم والمعاني فحسب، بل حتّى في مجالات أخرى تهتمّ بالإنسان جسماً وعقلاً وروحاً. وفي هذا الفصل أراد الباحث التنبيه إلى أهمية تحديد المداخل العلمية والفكرية عند طه جابر العلواني، تلك المداخل التي كانت منفذه لولوج علم التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ودعائمه التي بنى عليها وعلى غيرها مشروعه التفسيريّ، وهذا التّحديد هو محاولة من الباحث للمساهمة في بيان طرائق التطوير والبناء بصورة منهجية وكتّبة، ولتقديم رؤية ثاقبة، وقراءة شاملة لها، فالعلوم الإسلامية حافلة بالمداخل العلمية الرّصينة، التي لا تحتاج سوى الضبط والتّطبيق.

1 لجنة القرآن والسنة في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، مرجع سبق ذكره، ص: 421.

2 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 44 - 45.

المبحث الأول

مُنْطَلَقَاتُ التَّفْسِيرِ الْمَوْضُوعِيِّ عِنْدَ طه جابر العلوانيِّ

المطلب الأول: مُؤَهَّلَاتُ طه جابر العلوانيِّ لتفسير القرآن الكريم

المطلب الثاني: دَوَافِعُ التَّفْسِيرِ الْمَوْضُوعِيِّ عِنْدَ طه جابر العلوانيِّ

المطلب الثالث: مَعَالِمُ الْمَنْهَجِ الْقُرْآنِيِّ عِنْدَ طه جابر العلوانيِّ

المبحث الأول: مُنطلقات التفسير الموضوعي عند طه جابر العلواني

يحتاج المفسر ابتداءً إلى ما يُعرف بتاريخ العلوم وفلسفتها وتطورها وما يتصل بذلك، وربما يُقال أنه بحاجة إلى ما يُسمى عند علماء الإسلام بمبادئ كل علم كتعريفه، وموضوعه، وثمرته، وواضعه، وحكمه وأصوله، وقواعده، وضوابطه، ونحو ذلك، وكثيراً ما يتطرق العلماء لهذا الأمر في مُقدمات الكتب، ومطلع دروسهم وشروحهم.

وتمثل مُنطلقات المفسر مدخلاً ضرورياً للتفسير، وأرضية صلبة للبناء، وما لم تتأسس عند المفسر مبادئ الفرق وتطوره ومنهجه الكلّي قبل تصوّر مسأله وموضوعاته؛ وقبل الشروع في البيان وكشف المراد من كلام الله ﷻ، فإنه يُوشك أن يسقط وينهار جميع عمله، وقد يضرّ بذات العلم وأهله والمتلقّي عنه من حيث لا يحتسب !

ويُعَدُّ فكر طه جابر العلواني من أهمّ المواقع فوق الخارطة الفكرية باتّساعها وتشابكها، فهذا الفكر بأكمله دائر حول القرآن واستعادة حاكميته، ومُحاولة تحديد ملامحه بُغية وضع منهجيات لتدبره تتجاوز المنهجيات التراثية لتنتقل من منهجية القرآن المعرفية ذاتها ! ولأنّ منهجية التفسير ليست محض أداة بل هي جملة المفاهيم الأساسية التي تُؤطر النصّ من حيث طبيعته وحركته ووظيفته، فإنّ المشروع التّجديديّ العلواني لا ينطلق من لاشيء.

المطلب الأول: مؤهلات طه جابر العلواني لتفسير القرآن الكريم

إنّ الشّيء إذا عَظُم قدره شُدّد فيه، وكثرت شروطه، وارتقت آدابه، ولا شيء أعظم من التعامل مع النصّ القرآنيّ بغرض بيان مراد الله منه، ولا بدّ لمن يُريد تفسير القرآن الكريم من توقّر شروط وآداب تؤمّنه من الوقوع في الزّلل في الفهم، والانحراف في التّأويل، وبالنّظر في مدوّنات علوم القرآن، ومُقدّمات بعض كتب التفسير، ومدوّنات علم أصول الفقه، جمع الباحث جملة من الشّروط الواجب توقّرها في المفسر حتّى يتجاوز المنطوق إلى المفهوم، ومن أهمّ النّقاط المعتمدة للمفسر:¹

أولاً: صحّة الاعتقاد: سلامة المعتقد شرط لأيّ عمل مهما صَغُر ومهما عَظُم، وإذا كانت عقيدة المفسر صحيحة وسليمة وقويّة فإنّ كلّ شيء بعدها سيكون عن بيّنة وعلى هدى؛ فما بُني على الحقّ يُرجى أن يكون حقّاً، وما بُني على باطل فهو باطل قطعاً.

1 ذكر مناع القطّان مجموعة من الشّروط والآداب للمفسر، وقد استفاد الباحث من عناوينها، وزاد عليها، واجتهد رأيه، ثمّ نظر في مدى توقّرها في طه جابر العلواني. ينظر: مناع القطّان، مباحث في علوم القرآن، ط3، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربيّة السّعودية، 1421هـ - 2000م)، ص: 281 - 282. بتصرّف.

وقد أظهر العلواني حنقه على ما سمّاه تدخّلات المفسّرين ضمن الموروث التفسيري، وأضاف أنّه بالنظر والتتبّع نجد الاعتقاد على رأس هاته التدخّلات البشريّة التي وقفت حاجزاً بين المفسّر والقرآن ابتداءً، ثمّ استمرّت بين القرآن والقراء، فالعقيدة لها أثر كبير على صاحبها وعلى تفسيره، وموروثنا التفسيري يؤكّد أنّها حملت بعض المفسّرين على تحميل آيات القرآن الكريم ما لا تحتمله، ومن الدّخيل في التفسير في باب العقيدة نجد الإلحاد في آيات الله، والأخذ بالظاهر دون النظر إلى ما يليق وما لا يليق بالذات الإلهيّة، والتأويل الفاسد كالتفسير الباطنيّ والشيّعّي والمعتزليّ وغيرها.¹

تلقى طه جابر العلواني في مرحلته التعليميّة الأولى "العقيدة السنوسيّة" وهو كتاب على الطريّة الأشعرية، وكانت رسالته للدكتوراه حول كتاب "المحصول" للرازي الذي يُعتبر مرجعاً كبيراً في علم الكلام والاعتزال² وعموماً وفي العقيدة الأشعرية خصوصاً، ودرس أيضاً كتاب "العقيدة النسفيّة"³ والذي يعدّ من أهمّ المتون في العقيدة الماتريدية.⁴

و « عند الدّراسة العميقة لآراء الماتريديّ والأشعريّ في آخر ما انتهى إليه نجد ثمة فرقاً في التفكير وفيما انتهى إليه الإمامان، وأنّه بلا شكّ كان كلاهما يُحاول إثبات العقائد التي اشتمل عليها القرآن بالعقل والبراهين المنطقيّة، وأنّ كليهما كان يتقيّد بعقائد القرآن، بيد أنّ أحدهما كان يُعطي العقل

1 ينظر: طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 27، 40.

2 المعتزلة: فرقة كلاميّة ظهرت في أواخر العصر الأموي (بداية القرن الثاني الهجري) في البصرة وازدهرت في العصر العباسي. لعبت دوراً رئيسياً على المستوى الدّيني والسياسي. وغلبت على أصحابها النزعة العقلية فاعتمدوا على العقل في تأسيس عقائدهم وقدموه على النقل، وقالوا بالفكر قبل السّمع، ورفضوا الأحاديث، ومثّل الأصول الخمسة الخطّ العام لفكر المعتزلة: التوحيد، العدل، الوعد والوعيد، المنزلة بين المنزلتين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولا يعني هذا انعدام الخلاف بينهم. ينظر: إبراهيم مذكور، في الفلسفة الإسلامية، (ط01، دار إحياء الكتب العربيّة، حلب، سوريا، 1364هـ - 1947م)، ج02، ص: 36 - 38. بتصرف.

3 العقيدة النسفيّة كتاب على الطريّة الماتريدية وليس الأشعرية على الأرجح. ينظر: عادل نويهض، معجم المفسّرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، (ط03، مؤسّسة نويهض الثقافيّة للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، 1409هـ - 1988م)، ج01، ص: 304 - 305. ووليد بن أحمد الحسين الزبيديّ وغيره، الموسوعة الميسرة في تراجم أئمّة التفسير والإقراء والنحو واللغة، (ط01، مجلّة الحكمة، مانشيستر، بريطانيا، 1424هـ - 2003م)، ج02، ص: 1329.

4 الماتريدية: هي مدرسة إسلاميّة سنّيّة كلاميّة تنسب إلى إمامها ومؤسسها أبي منصور الماتريدي (توفي: 333هـ)، نصّت على أن أصل ما يبنى به الدّين وجهان: "أحدهما السّمع، والآخر العقل. ولقد انتشرت وكثر أتباعها في ما وراء النهر، وانتشرت فيما بعد في عهد الدّولة العثمانية في بلاد الشام ومصر وكثر أتباعها، ثمّ شاعت في البلاد التي ساد فيها المذهب الحنفيّ، وبخاصّة فيما وراء النهر، والهند وتركيا. ينظر: علي عبد الفتاح المغربيّ، إمام أهل السنّة والجماعة أبو منصور الماتريدي وآراؤه الكلاميّة، (ط02، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1430هـ - 2009م)، ص: 13 - 39. باختصار وبتصرف.

سلطاناً أكثر مما يعطيه الآخر»¹، ولعلّ السبب في هذا التداخل بين المدارس الكلامية هو جعل العقل أساساً لمعرفة العقيدة.

وقد وجد الباحث قولاً للعلواني هذا نصّه: « كان الأستاذ محمد عبده يُلقي دروس التفسير في الأزهر، ويكتب رسالة التوحيد؛ لتكون بديلاً عما كان يُدرس في الأزهر من شروح التفسيرية وحواشيها للتفتازاني وغيره، فيثور عليه علماء الأزهر، وتنشب معركة ضارية بينه وبين الشيخ عlish (توفي: 1299هـ)، الذي استطاع أن يكسب المعركة ضدّ الشيخ عبده بشكل أو بآخر، ويدفع الشيخ بعيداً عن الأزهر والتأثير فيه، فيكون انتصار الشيخ عlish انتصاراً لاتبّاه العالم التقليديّ على العالم المفكر الذي يجتهد أو يُحاول الاجتهاد»²، وهذا القول يكشف لنا عن أمرين: الأول: هو موقف العلواني من العقيدة، فهو يعتبرها كغيرها باباً من الأبواب التي يشملها الاجتهاد.

والثاني: موقفه مع التعصّب العقديّ فهو انتصر لمحمد عبده على أساس أنّه مُفكّرٌ مُتحرّرٌ، وليس تقليديّاً مُتعصّباً.

وخلال فترة عِقدٍ كاملٍ من الزمن؛ قضاها العلواني مُدرّساً بالمملكة العربية السعودية، وعاش في بيئة ذات عقيدة سلفية، صدر له كتابه (ابن تيمية وإسلامية المعرفة)، ومن جملة ما قال فيه: « وقد اشتملت رسالتنا هذه التي نقدّمها بإيجاز على أهمّ معالم توجّهات شيخ الإسلام، وتتلخّص بتبنيّ مذهب السلف في الاعتقاد القائم على توحيد الألوهية والربوبية والصفّات، ووصف الباري -تعالى- بكل ما وصف به ذاته جلّ جلاله من غير تعطيل ولا تأويل ولا تشبيه»³، وبذا يكون العلواني -وهو المشغوف بالاطّلاع- قد اطّلع على أصول العقيدة السلفية وعرفها كما عرف غيرها.

وكحوصله لهاته المصادر الاعتقاديّة المتعدّدة؛ تشكّل لدى العلواني تصوّره الخاصّ عن العقيدة، مُعتبراً إيّاها المعيار التقويميّ لكلّ مُقوّمات الشخصية المسلمة العقلية منها والنفسية؛ وانعكاسها على المعمار والفنّ والأدب لا ينبغي أن يقلّ عن انعكاسها على العبادة ومحاربيها، فهي الأساس الذي

1 أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهيّة، (د.ط، دار الفكر العربيّ، القاهرة، مصر، د.س.ط)، ج01، ص: 186.

2 طه جابر العلواني، التعليم الدينيّ بين التجديد والتجميد، (ط01، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، 1430هـ - 2009م)، ص: 22.

3 طه جابر العلواني، ابن تيمية وإسلامية المعرفة، (ط02، الدار العالمية للكتاب الإسلاميّ، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1415هـ - 1995م)، ص: 10.

لابدّ منه، ولا بدّ من سلامته كلّاً وجزءاً، ويظهر مدى تأثر طه جابر العلواني من تعدّد العقائد التي درسها أو درّسها من خلال:

أ- قلة الخوض في القضايا الاعتقاديّة: رغم كثرة مُراجعات العلواني إلّا أنّه لم يخض في مسائل الاعتقاد إلّا في النادر القليل؛ سواء ضمن مؤلفاته أو في مداخلاته ومحاضراته، وهو إذا خاض فيها فعلى عجل وخجل، لأنّه اختار نهج طريق الإصلاح الفكريّ باعتبار الأولويّة؛ تاركاً الإصلاح العقديّ والإصلاح السّياسي، وبرّر عدم اختياره طريق الإصلاح العقديّ بقوله: «أمّا العقيدة فهي بحمد الله راسخة في القلوب ثابتة في النفوس»¹، يقول هذا وهو المطلّع والدّارس للخلافات العقديّة الموجودة والمنتشرة في الأمّة، ويقول أيضاً: «ما من شيء يجب على المسلم اعتقاده بحيث لا يكفر إلّا وقد ورد في القرآن العظيم، سواء أكان من عناصر التّوحيد بأنواعه الثلاثة: توحيد الألوهيّة أو الرّبوبيّة، أو الصّفات، أو فيما يتعلّق بالنّبوّات والأنبياء والكتب السّماويّة السّابقة أو عالم الغيب واليوم الآخر والقضاء والقدر»²، ثمّ بيّن موقفه حول مصادر العقيدة بوضوح لا لبس فيه حين قال: «ولكن ما عُرف -بعد ذلك- بـ «(علم الكلام)» تجاوز في جهوده لبناء «العقيدة» أساليب ومناهج القرآن العظيم الذي هو المصدر الوحيد لها»³.

ولا خلاف على أنّ العقيدة توقيفيّة؛ فهي لا تثبت إلّا بدليل من الشّارع، ولا مجال فيها للرّأي والاجتهاد، ولا خلاف أيضاً أنّ القرآن الكريم مصدر للعقيدة، ولكنّ حصر مصادرها في القرآن وحده لا يصحّ، بل الصّواب أنّ مصادر العقيدة هي ما جاء في الكتاب والسّنّة، وهناك من العلماء من يُضيف الإجماع كمصدر ثالث للعقيدة ولكن بشروط، وكذا العقل الصّريح، والفطرة السّويّة. والإجماع يستند في حقيقته إلى كتاب الله ﷻ وسُنّة نبيّه ﷺ، ومسائل الاعتقاد الكليّة كلّها مُجمّع عليها، وأكثر مسائل الاعتقاد التفصيليّة محلّ إجماع بين الصّحابة والسّلف الصّالح، ولا تجتمع الأمّة في أمور العقيدة ولا غيرها على ضلالةٍ وباطلٍ، والإجماع الذي ينضبط هو ما كان عليه السّلف الصّالح؛ إذ بعدهم كثر الخلاف، وانتشرت الأمّة⁴.

وعن علاقة العقل بالعقيدة يقول أبو القاسم الأصبهانيّ (توفي: 535هـ): «أمّا أهل الحقّ فجعلوا الكتاب والسّنّة إمامهم، وطلبوا الدّين من قبلهم، وما وقع لهم من معقولهم وخواطهم عرضوه

1 طه جابر العلواني، أبعاد غائبة عن فكر وممارسات الحركات الإسلاميّة المعاصرة، مرجع سبق ذكره، ص: 57.

2 طه جابر العلواني، ابن تيمية وإسلامية المعرفة، مرجع سبق ذكره، ص: 24.

3 طه جابر العلواني، ابن تيمية وإسلامية المعرفة، مرجع سبق ذكره، ص: 24.

4 ابن تيمية، مجموع الفتاوى، مصدر سبق ذكره، ج13، ص: 157.

على الكتاب والسنة، فإن وجدوه موافقاً لما قبلوه، وشكروا الله حيث أراهم ذلك ووفقهم إليه، وإن وجدوه مخالفاً لهم تركوا ما وقع لهم، وأقبلوا على الكتاب والسنة، ورجعوا بالثّمة على أنفسهم؛ فإنّ الكتاب والسنة لا يهديان إلّا إلى الحقّ، ورأي الإنسان قد يرى الحقّ، وقد يرى الباطل، وهذا معنى قول أبي سليمان الدارانيّ، وهو واحد زمانه في المعرفة: ما حدّثني نفسي بشيءٍ إلّا طلبت منها شاهدين من الكتاب والسنة، فإن أنت بهما، وإلّا ردّدته في نحرها».¹

والفطرة السّويّة تهدي العبد إلى أصول التّوحيد والإيمان دون استدلالٍ أو برهانٍ، فالقلوب مفطورةٌ على الإقرار به سبحانه أعظم من كونها مفطورةٌ على الإقرار بغيره من الموجودات، كما قالت الرُّسل: ﴿إِنِّي أُلِّهِ شَكُّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: 10]، وكما قال رسول الله ﷺ: «يُولد ابن آدم على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرّانه أو يمجّسانه، كما تُنتج البهيمة جمعاء، هل تحسّون فيها من جدعاء؟² حتّى تكونوا أنتم تجدعونها، قالوا: يا رسول الله، أفرأيت من يموت منهم وهو صغير؟ قال: الله أعلم بما كانوا عاملين»³، يقول ابن القيم (توفي: 751هـ): «إذا ثبت أنّ في الفطرة قوّة تقتضي طلب معرفة الحقّ وإثارة على ما سواه، وأنّ ذلك حاصلٌ مركوزٌ فيها من غير تعليم الأبوين ولا غيرهما، بل لو فرض أنّ الإنسان تربّى وحده، ثمّ عقل وميّز، لوجد نفسه مائلةً إلى ذلك، نافرةً عن ضده، كما يجد الصّبيّ عند أوّل تمييزه، يعلم أنّ الحادث لا بدّ له من محدثٍ، فهو يلتفت إذا ضرب من خلفه؛ لعلمه أنّ تلك الضربة لا بدّ لها من ضاربٍ، فإذا شعر به بكى حتّى يقتصّ له منه، فيسكن، فقد ركز في فطرته الإقرار بالصّانع، وهو التّوحيد، ومحبة القصاص، وهو العدل.

وإذا ثبت ذلك ثبت أنّ نفس الفطرة مُقتضيةٌ لمعرفته سبحانه ومحبته وإجلاله وتعظيمه والخضوع له، من غير تعليم ولا دعاءٍ إلى ذلك، وإن لم يكن فطرة كلّ أحدٍ مُستقلّةً بتحصيل ذلك، بل يحتاج كثيرٌ منهم إلى سببٍ مُعينٍ للفطرة مُقوّ لها، وقد بيّنا أنّ هذا السّبب لا يحدث في الفطرة ما لم يكن فيها، بل يُعينها ويُذكرها ويُقوّيها.

1 أبو القاسم الأصبهانيّ، الحجّة في بيان المحجّة وشرح عقيدة أهل السّنة، تحقيق: محمّد بن ربيع بن هادي عمير المدخليّ، (ط2، دار الزّاية للنشر والتّوزيع، الرياض، السّعودية، 1419هـ - 1999م)، ج2، ص: 238.

2 البهيمة الجمعاء هي التي لم يذهب من بدنها شيء، والجدعاء المقطوعة الأذن. ينظر: ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، مصدر سبق ذكره، ج3، ص: 250.

3 متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، برقم: (1384). ومسلم في كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، برقم: (2659).

فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، يدعون العباد إلى موجب هذه الفطرة، فإذا لم يحصل مانع يمنع الفطرة عن مقتضاها، استجابت لدعوة الرُّسل ولا بدَّ، بما فيها من المقتضي لذلك ...»¹

ولكنَّ العقل والفطرة وإن كانا من دلائل التَّوحيد، إلَّا أنَّه لا تقوم الحجَّة على بني آدم إلَّا بإرسال الرُّسل، وإنزال الكتب، وقطع العُذر، ومن أوضح ما قيل في هذا؛ ما ذكره السَّفاريْن (توفي: 1188هـ) في قوله: «ومَّا يوضَّح ذلك أنَّ العقول لو كانت مُستقلَّة بمعرفة الحقِّ وأحكامه لكانت الحجَّة قائمةً على النَّاس قبل بَعْثِ الرُّسل وإنزال الكتب، واللَّازم باطلٌ بالنَّصِّ؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَا

كُتِّبَ لِلنَّاسِ حَقُّ نَبْعِ رُسُلًا﴾ [الإسراء: 15]»².

إنَّ الإجمال والتَّبسيط وعدم العناية بمسائل العقيدة مسلَّك فيه نظر، فالعقيدة أهمُّ الأمور وهي أصل الدِّين وأساس المِلَّة، وقد استطاعت العقيدة الصَّحيحة أن تُوحِّد الأُمَّة وتُقيم لها دولة كبيرة، وهي قادرة أن تُعيد لها مجدها وعزَّها ودولتها وحضارتها وعمرانها إذا عادت الأُمَّة إليها، ولو أنَّ العالم يستهلك عمره في الدَّعوة للتَّوحيد لكان عمره كلَّه قليلاً، ولنا في قصَّة نوح عليه السلام وغيره من الرُّسل العبرة والمثال، فالحاصل أنَّه يجب وجوباً مُؤكَّداً ألاَّ يُهْمَل تعليم العقيدة، وعلى المصلحين والدَّعاة واجب إيضاحها للنَّاس، وأن تكون الدُّروس والمؤلَّفات تعتني بها في الغالب؛ مع العناية بالأخلاق، والأحكام الأخرى، لا يُهْمَل هذا، ولا هذا، ولكن تكون العناية الكبرى بالعقيدة.

وللعلواني موقف من الرِّدَّة، وهو أنَّه لا يوجد في الإسلام حدٌّ للرِّدَّة³، ومع أنَّ المذاهب الفقهيَّة أجمعت على أنَّ عقوبة المرتدَّ هي القتل، إلَّا أنَّهم وضعوا لإقامة هذا الحدِّ شروطاً وضوابط وقواعد شديدة⁴، تُدلِّل على أنَّ إقامة الحدِّ ليس هدفاً لذاته، وإلَّا الهدف هو الحفاظ على عقد المجتمع المسلم من الانفراط والانحلال؛ فالدين الإسلامي لا يقبل أن يكون ألعوبة، يُدخل فيه اليوم، ويُخرج منه غداً

1 ابن قيِّم الجوزيَّة، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتَّعليل، تحقيق: زاهر بن سالم بلفقيه، (ط2، دار عطاءات العلم، الرياض، السَّعودية، 1441هـ - 2019م)، ج2، ص: 456 - 457.

2 محمَّد بن أحمد السَّفاريْن، لوامع الأنوار البهيَّة وسواطع الأسرار الأثريَّة شرح الدَّرة المضيئة في عقيدة الفرقة المرضيَّة، (ط3، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1411هـ - 1991م)، ج1، ص: 105.

3 ينظر: طه جابر العلواني، لا إكراه في الدِّين، (ط2، مكتبة الشُّروق الدَّوليَّة، القاهرة، مصر، 1427هـ - 2006م)، ص: 160.

4 ينظر: مالك بن أنس، الموطَّأ رواية مصعب الزَّهري المدني، تحقيق: بشار عوَّاد معروف ومحمود محمَّد خليل، (ط5، مؤسَّسة الرِّسالة للطباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، لبنان، 1434هـ - 2013م)، ج2، ص: 503 - 504. والشَّافعي في

الأُمِّ، (د.ط، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1410هـ - 1990م)، ج2، ص: 268. وابن قدامة المقدسي في المغني، مرجع سبق ذكره، ج3، ص: 09. والسَّرخسي في المبسوط، (د.ط، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1414هـ - 1993م)، ج10،

ص: 98 - 99.

على طريقة بعض اليهود الذين قالوا: ﴿آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكُفُّوا عَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران: 72].

والإسلام لا يُعاقب المرتد الذي لا يُجَاهِر بَرَدَّتْهُ، ولا يدعو إليها غيره، ولا يعمل على تكدير السلم العام للمجتمع المسلم، بل يدع عقابه إلى الآخرة إذا مات على كفره، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: 217]، وإنما يُعاقب المرتد المجاهر، وبخاصة الداعي للردة، الذي يعمل على محاربة الله ورسوله، ويسعى لتدمير المجتمع المسلم، وإحداث حالة من الاضطراب وعدم الاستقرار من خلال دعوته، فكان العقاب حماية لهوية المجتمع، وحفاظاً على أسس وحدته، ولا يُوجد مجتمع في هذه الدنيا إلا وعنده أساسيات لا يسمح بالنيل منها.

وقد اعتبرت سائر الأمم الخيانة للوطن وموالاة الأعداء وإفشاء الأسرار خيانة عظمى، ولم تقبل فكرة إعطاء المواطن حق تغيير ولائه الوطني لمن شاء، ومتى شاء، لأن في هذا هلاكها أو ضعفها، وهذا لا يخفى على العقلاء، وكذلك الحال في جريمة الردّة فهي أيضاً تغيير للولاء، وخيانة لله ﷻ ولرسوله ﷺ وللمؤمنين، وتبديل للهوية، وتحويل للانتماء، فالمرتد ينقل ولاءه وانتماءه من أمة إلى أمة أخرى، ومن دين إلى دين آخر، فهو يخلع نفسه من أمة الإسلام، التي كان عضواً في جسدها، وينضم بعقله وقلبه وإرادته إلى خصومها؛ يبيع دينه بعرض من الدنيا وينقلب على عقبيه، وهذا تماماً ما عبّر عنه النبي ﷺ بقوله: «التارك لدينه، المفارق للجماعة».¹

ب- موقف طه جابر العلواني من علم الكلام: نخض علم الكلام في الأصل للدفاع عن قضايا العقيدة، فأهله يُسمّونه علم التوحيد الذي يعتمد على الألفاظ المنطقية والأقيسة الكلامية، أي يعتمد على العقل، وقد انحصر الرأي حوله في موقفين: فريق هاجم هذا العلم وأمر بضرورة «الزجر عن الخوض في علم الكلام، وتعلّمه».²

1 متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الديات، (05/09)، برقم: (6878)، ومسلم في صحيحه، كتاب القسامة والمحاربن والقصاص والديات، (1302/03)، برقم: (1676) باختلاف يسير.

2 البغوي، شرح السنة، تحقيق: زهير الشاويش وشعيب الأرنؤوط، (ط2)، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1403هـ - 1983م، ج1، ص: 216.

وفريق آخر تبني هذا العلم وأسهم فيه، واعتبره أشرف العلوم وتعلّمه واجب؛ فهو علم أصول الدين وهدفه « حفظ عقيدة أهل السنّة وحراستها من تشويش أهل البدعة »¹، وبأنّه ليس متأثراً لكلّ من هبّ ودبّ، بل هو حكر على فئة من النّاس لها استعدادات وقدرات خاصّة تُمكنهم من هذا العلم علماً وعملاً.²

والذي ذهب إليه طه جابر العلواني في هذا الخصوص أنّ: « العقل -وحده- لا يُغني الإنسان كثيراً إذا لم يهده الوحي، وتنظم العلاقة بينهما بشكل سليم، فالعقل هو أداة الجمع بين القراءتين ووسيلته وبدونه لا يمكن أن يتمّ شيء من ذلك، وحين يظنّ الإنسان أنّ العقل نفسه مصدر للمعرفة يُولّدها من داخل الذات أو ينفرد العقل بقراءة واحدة فإنّ ذلك يعود عليه بأضرار كثيرة »³، ولخصّ موقفه الشّخصي من علم الكلام فقال: « ولكن ما عُرف -بعد ذلك- بـ «علم الكلام» تجاوز في جهوده لبناء «العقيدة» أساليب ومناهج القرآن العظيم الذي هو المصدر الوحيد لها، وبدأ يُعيد تقديم قضايا العقيدة وأركانها في قوالب فلسفيّة ولاهوتيّة وذهنّيّة باردة وجامدة، ولم يقتصر الأمر لدى بعض الكلاميّين على استعارة مصطلحات الفلسفة اليونانيّة في الدّراسات الكلاميّة «كالجوهر، والعرض، والجسم، والجوهر الفرد، والواجب العقليّ، والجائز العقليّ، والمستحيل العقليّ، والهيولى، والعلة، والطّبيعة، وغير ذلك» بل جاوزوا ذلك إلى اقتباس تلك الحوارات التّائهة الضّالّة، والمعاني الزّائفة حول الخالق والعالم والإنسان والنّبوة والغيب وغيرها ممّا حسم القرآن العظيم القول فيه ».⁴

لقد ردّ طه جابر العلواني الخوض في مسائل العقيدة بالطّرق الكلاميّة، غير أنّه في نفس العبارة انتصر لعقله فيما يخصّ مصادر العقيدة، فأنكر علم الكلام وأنكر معه جميع مصادر العقيدة الأخرى، وفي هذا فتح للباب أمام الملاحدة والحاقدين من القرآنيّين والمستشرقين والحدّاثيّين وغيرهم للطّعن في مصادر الإسلام.

1 ينظر: أبو حامد الغزاليّ، المنقذ من الضّلال، تحقيق: عبد الحليم محمود، (ط03، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1408هـ - 1988م)، ص: 336. وعامر النّجار، الخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة، (ط01، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1408هـ - 1988م)، ص: 09.

2 ينظر: الفارابي، إحصاء العلوم، تحقيق: عثمان أمين، (ط03، المكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، مصر، 1968م)، ص: 131 - 135.

3 طه جابر العلواني، ابن تيمية وإسلامية المعرفة، (ط02، الدّار العالميّة للكتاب الإسلاميّ، الرياض، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1415هـ - 1995م)، ص: 61 - 62.

4 المرجع السّابق، ص: 24. وطه جابر العلواني، إصلاح الفكر الإسلاميّ، (ط01، دار الهادي للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، 1421هـ - 2001م)، ص: 67 - 69.

ت- الردود والمناقشات في القضايا العقديّة: كما سبق بيانه فإنّ الإصلاح العقديّ ليس الخيار الأوّل للعلوانيّ، وهذا لا يعني عدم تناوله لمسائل العقيدة بالكلّيّة، ولكنّه قد يخوض فيها أحياناً، ومن ذلك ردّه على الرّازي في قضيّة إضعاف الدّليل السّمعيّ (النّقلي) مُطلقاً، مُعتبراً أنّ ما دعا إليه الرّازي ومن وافقه - ربط الأخذ بالدّليل النّقليّ بانتفاء المعارض العقليّ - جعل الكتاب والسّنّة من المصادر الثّانوية حتّى في مجال العقيدة، ووصف موقف الرّازي السّابق بالتّطرف في اعتماد العقل ودلائله وتقديمه على الدّليل السّمعيّ¹، وهذا الذي انتقده العلوانيّ على الرّازي قال عنه الإيجيّ²: « (الدّلائل الثّقليّة هل تُفيد اليقين) بما يُستدلّ بها عليه من المطالب أو لا (قيل: لا) تُفيد، وهو مذهب المعتزلة وجمهور الأشاعرة ... »³، وذكر السنوسي⁴ أنّ « من أصول الكفر التّمسك في أصول العقائد بمجرد ظواهر الكتاب والسّنّة من غير عرضها على البراهين العقليّة والقواطع الشّرعيّة؛ للجهل بأدلة العقول، وعدم الارتباط بأساليب العرب »⁵.

إنّ ألفاظ الشّارع محمولة على الاصطلاح الشّرعيّ، إن كانت المسألة شرعيّة، وإن كانت عُرفيّة فهي محمولة على العرف، وإن كانت لغويّة فينبغي حملها على الحقيقة اللّغويّة، ولا يجب البحث عن المجاز، قال في المراقي:

واللفظ محمول على الشّرعيّ إن لم يكن فمطلق العرفيّ
فاللّغويّ على الجليّ ولم يجب بحث عن المجاز في الذي انتخب

1 ينظر: طه جابر العلوانيّ، إسلاميّة المعرفة بين الأمس واليوم، مرجع سبق ذكره، ص: 24-25.

2 الإيجيّ: عضد الدّين عبد الرّحمن الإيجيّ الأشعريّ الشّافعيّ، ولد بإيج من نواحي شيراز (بلاد فارس)، وذهب السّبكيّ إلى أنّ الإيجيّ ولد سنة 680هـ وكان معاصراً له، له في علم الكلام: كتاب ((المواقف))، توفي مسجوناً بكَرْمَان سنة 756هـ. ينظر: السّبكيّ، طبقات الشّافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتّاح محمّد الحلّو ومحمود محمّد الطّناحي، (ط9، دار إحياء الكتب العربيّة، القاهرة، مصر)، ج10، ص: 46 - 47.

3 علي بن محمّد الشريف الجرجانيّ، شرح السيّد الشريف الجرجانيّ على المواقف للعضد الإيجيّ، مصدر سبق ذكره، ج01، ص: 154، 155.

4 السنوسيّ: (832هـ، 1428م - 895هـ، 1490م) محمّد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي التلمسانيّ الحسنيّ أبو عبد الله، محدث، متكلم، منطقيّ، مقرئ، مشارك في بعض العلوم، من مؤلّفاته: أمّ البراهين في العقائد، الحقائق في مصطلحات علم الكلام، وغيرها. توفي بتلمسان سنة 895هـ. ينظر: عمر رضا كحّالة، معجم المؤلّفين تراجم مصنّفي الكتب العربيّة، (مطبعة الرّقي، دمشق، سوريا، 1380هـ - 1960م)، ج12، ص: 132. واسماعيل باشا البغداديّ، هدية العارفين أسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين، (د.ط، وكالة المعارف الجليّة، استانبول، تركيا، 1955م)، ص: 216.

5 الدّسوقيّ، حاشية الدّسوقيّ على أمّ البراهين، (د.ط، دار إحياء الكتب العربيّة، القاهرة، مصر، د.س.ط)، ص: 217.

كذلك ما قابل ذا اعتلال ومن تأسس عموم وبقا من التأصل والاستقلال الإفراد والإطلاق مما يُنتقى¹

والغالب الذي هو الأكثر هو كون نصوص الكتاب والسنة ظواهر، وقد أجمع جميع المسلمين على أنّ العمل بالظاهر واجب حتى يرد دليل شرعي صارف عنه إلى المحتمل المرجوح، وعلى هذا كلّ من تكلم في الأصول، فتغير الناس وإبعادهم عن كتاب الله وسنة رسوله، بدعوى أنّ الأخذ بظواهرهما من أصول الكفر، هو من أشنع الباطل وأعظمه كما ترى، وأصول الكفر يجب على كلّ مسلم أن يحذر منها كلّ الحذر، ويتباعد منها كلّ التباعد، ويتجنب أسبابها كلّ الاجتناب، فيلزم على هذا القول المنكر الشنيع وجوب التباعد من الأخذ بظواهر الوحي.²

كما أنّ العلواني ردّ أيضاً على أهل الحديث، ووصف أخذهم بالصحيح من سنة النبي ﷺ في أركان العقيدة تطرفاً أثقل عناصر الاعتقاد بجملة غير قليلة من معتقدات أهل الكتاب، ثمّ بين أنّ ما يقصده هنا هو خبر الآحاد!³

ومسائل الاعتقاد تُؤخذ من القرآن الكريم، ومن الحديث الصحيح بقسميه؛ المتواتر⁴، والآحاد⁵، وهذا هو الذي كان عليه الصحابة ومن تبعهم بإحسان من العلماء، يقول ابن القيم (توفي: 751هـ) في ردّ عقليّ على كون حديث الآحاد من الأمور الظنيّة التي لا تُفيد القطع: « فهذا أمر لا يُنزع فيه عاقل، فقد يكون قطعياً عند زيد، ما هو ظنيّ عند عمرو، فقولهم: إنّ أخبار رسول الله الصحيحة المتلقاة بين الأمة لا تُفيد العلم، بل هي ظنيّة، هو إخبار بما عندهم، إذ لم يحصل لهم من الطرق التي استفاد بها العلم أهل السنة ما حصل لهم، فقولهم: لم يُستفد بهذا العلم، لم يلزم منها النصّ العام، وذلك بمنزلة الاستدلال على أنّ الواحد للشيء والعالم به غير واحد له ولا عالم به، فهو كمن يجد من نفسه وجعاً أو لذة أو حُباً أو بُغضاً، فينتصب له من يستدلّ على أنّه غير وجع ولا مُتألم ولا محب ولا

1 محمد أمين الجكني، مراقي السُّعود إلى مراقي السُّعود، تحقيق ودراسة: محمد المختار الشنقيطي، (ط1، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر، 1413هـ - 1993م)، ص: 136 - 138.

2 محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ج7، ص: 444.

3 طه جابر العلواني، ابن تيمية وإسلامية المعرفة، مرجع سبق ذكره، ص: 24.

4 الحديث المتواتر: ما رواه جمع عن جمع إلى منتهاه بحيث تحيل العادة تواطؤهم على الكذب. وردت تعريفات أخرى تختلف في تعبيراتها وتتقارب في معانيها. ينظر: أحمد بن محمد معبوط، الخلاف في الأدلة المتعلقة بمباحث السنة، (ط1، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1428هـ - 2007م)، ص: 87.

5 حديث الآحاد: ما انحط عن حدّ التواتر. الشيرازي، اللّمع في أصول الفقه، مرجع سبق ذكره، ص: 153.

مبغض، ويكثر من الشّبه التي غايتها أنّي لم أجد ما وَجَدْتُهُ، ولو كان حقّاً لاشتركتنا أنا وأنت فيه ! وهذا عين الباطل»¹.

كما وصف العلواني بعض غلاة الصّوفيّة بأنّهم « يتحدّثون في قضايا العقائد من مُنطلقات ((وحدة الوجود)) التي هي من مُخلفات العقائد الشّركيّة الوثنيّة وبقايا النّظرة المضطربة المختلّة الحلوليّة والاتّحادية إلى الإنسان، والرّؤية المضطربة للوجود، وأنّي لعقيدة تُبلى بكلّ هذه الإصابات وتضطرب كلّ هذا الاضطراب أن تنتج أفكاراً سليمة، أو تزوّد الإنسان برؤية صحيحة أو تصوّر سليم أو تدفعه إلى ممارسة فعل حضاريّ؟! »²، وهذا الكلام حقّ ولا ريب.

واعتبر التّأويل مُعضلة « خاصّة فيما يتعلّق بصفات الباري عزّ وجلّ وتأويل المتشابهات والتّصوص وما جرّته علينا من مُشكلات، هي كذلك قضية جدية بالاهتمام وتكثيف البحوث والدّراسات حولها»³، وقضيّة الجبر والاختيار عند العلواني « قضية من قضايا الفكر لا بدّ لها من معالجة، لا تزال تُثار اليوم وسُتثار غداً وبعد غد »⁴، ونظراً لاعتبار العلوانيّ قضية مُتعلّقة بأحد أركان الإيمان وبفرقة ضالّة* قضية فكريّة وليست عقديّة، وجب الاطّلاع على نظريته المنشئة لموقفه هذا، فالعلوانيّ ينظر إلى الجبر والاختيار على أنّه قضية سياسيّة روّج لها معاويّة رضي الله عنه حتّى يستقرّ له الملك وترضى به الرّعية قدراً محتوماً، وهذه النّظرة ليست بالأمر الجديد فقد قيلت قديماً واستهلكت بحثاً ولن تتأثّر أيّ فائدة من إعادة إحيائها ونشرها، وهي مجرد تهمة واحدة من ضمن عدّة تهم كُيلت لخلفاء بني أميّة.⁵

ث - عدم الأخذ بحديث الآحاد في المسائل الاعتقاديّة: قد أشار الباحث إلى موقف العلوانيّ من الأخذ بحديث الآحاد في باب الاعتقاد، وبين أنّه إذا لم يسلم الحديث المتواتر المعارض للقرآن الكريم عند العلوانيّ فلا يُستغرب رفضه الأخذ بخبر الآحاد.

1 ابن القيم، الصّواعق المرسلة على الجهميّة والمعلّطة، مرجع سبق ذكره، ج2، ص: 432 - 433.

2 طه جابر العلوانيّ، ابن تيمية وإسلامية المعرفة، مرجع سبق ذكره، ص: 26 - 27. باختصار.

3 طه جابر العلوانيّ، الأزمة الفكرية المعاصرة: تشخيص ومقترحات علاجية، مرجع سبق ذكره، ص: 37.

4 المرجع السّابق، ص: 37.

* ركن الإيمان هنا هو الإيمان بالقضاء والقدر، والفرقة الضالّة هي فرقة الجبريّة أو المجبرة؛ وهي فرقة كلاميّة تنتسب إلى الإسلام، وجوهر عقيدتها هو أنّها تؤمن بأنّ الإنسان مُسيّر وليس مُختيّر لأنّه لا قدرة له على اختيار أعماله. ينظر: ناصر بن عبد الكريم العقل، دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها، (ط01، دار إشبيلية، الرّياض، السّعودية، 1418هـ - 1997م)، ص: 260.

5 للمزيد ينظر: حمدي شاهين، الدّولة الأمويّة المفترى عليها دراسة الشّبهات وردّ المفتريات، (د.ط، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، جمهورية مصر العربيّة، 2001م).

وخبر الآحاد إذا تُلقي بالقبول يُفيد العلم والعمل حتّى في مسائل الاعتقاد، ومّا يدلّ على ذلك أنّ الله ﷻ أقام الحجّة على النّاس جميعاً بإرسال رجل واحد، رجل واحد يرسل إليه ملكٌ واحد، بل هل كانت الرّسل إلّا آحاداً؟! وحتّى لما طالب المشركون بالتّعزير بملكٍ بدل إرسال نبيٍّ واحدٍ لم يستجب الله ﷻ لهم، قال تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضُ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [هود: 12]، قال القرطبي: « أي: فلعلّك لعظيم ما تراه منهم من الكفر والتّكذيب تتوهم أنّهم يُزيلونك عن بعض ما أنت عليه، [وفي الآية إشارة إلى أنّه من أسباب تكذيبهم كونه واحداً فاحتاج بزعمهم إلى أن يجيء معه غيره ليصدّقوه فقالوا لولا] جاء معه ملك يُصدّقه ¹، والنّبيّ محمّد ﷺ أدرك هذا وعمل بمقتضاه، فكان يُرسل بالرجل إلى القوم ليُنذرهم وتقوم الحجّة على من أدّى إليهم، فلو لم يُفد إرسال آحاد الصّحابة العلم لم يكن فيه حجّة ولما أرسل ﷺ مبعوثاً واحداً، ومن ذلك بعثه لمعاذ بن جبل رضي الله عنه إلى أهل اليمن قائلاً له: « إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فليكن أوّل ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى ² ».

قال الشّافعي (توفي: 204هـ): « إن قال قائل: أذكر الحجّة في تثبيت خبر الواحد بنصّ خبر، أو دلالة فيه، أو إجماع، قلت له: أخبرنا سفيان عن عبد الملك بن عُمير عن عبد الرّحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه: أنّ النّبيّ ﷺ قال: «نُصِّرَ اللَّهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالِي فَحَفِظَهَا وَوَعَاها وَأَدَّاهَا، فَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ غَيْرِ فَقِيهِ، وَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ» ³، فلمّا ندب رسول الله إلى استماع

1 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التّركي وغيره، (ط1)، مؤسسة الرسالة للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، 1427هـ - 2006م)، ج11، ص: 80 - 81.

2 أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزّكاة، باب: لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة (529 / 01)، برقم: (1389)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: الدعاء إلى الشّهادتين وشرائع الإسلام (50 / 01)، برقم: (19). من حديث ابن عبّاس رضي الله عنهما.

3 أخرجه أحمد في مسنده، (467/35)، برقم: (21590)، والدارمي في السنن، المقدمة، باب الاقتداء بالعلماء، (01/302)، برقم: (235)، وسنن ابن ماجه، المقدمة، باب من بلغ علماً (84 / 01)، برقم: (230)، وسنن أبي داود، كتاب العلم، باب فضل نشر العلم (322 / 03)، برقم: (3660)، وسنن الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع (34 / 05)، برقم: (2656). وقال الترمذي: حديث حسن. وقال الألباني: صحيح، صحيح سنن ابن ماجه للألباني (01/94)، برقم: (188)، وعدّه السيوطي متواتراً في قطف الأزهار المنثّرة في الأخبار المتواترة، ص: (28). وذكره بلفظ: « نُصِّرَ اللَّهُ امراً سَمِعَ مَقَالِي فَوَعَاها، فَأَدَّاهَا إِلَى مَنْ لَمْ يَسْمَعْها، فَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ غَيْرِ فَقِيهِ، وَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ ». وذكر ستّة عشر صحابياً قاموا بروايته.

مقالته وحفظها وأدائها امرأً يؤدّيها، والمرء واحدٌ، دلّ على أنّه لا يأمر أن يؤدّي عنه إلّا ما تقوم به الحجّة على من أدّى إليه ...، لم أحفظ عن فقهاء المسلمين أنّهم اختلفوا في تثبيت خبر الواحد.¹

وقال السّمعي (توفي: 489هـ): « إنّ الخبر إذا صحّ عن رسول الله ﷺ، ورواه الثقات والأئمة وأسندوه خلّفهم عن سلفهم إلى رسول الله ﷺ وتلقّته الأئمة بالقبول، فإنّه يُوجب العلم فيما سبيله العلم. هذا قول عامّة أهل الحديث والمتقين من القائلين على السّنة، وإنّما هذا القول الذي يُذكر أنّ خبر الواحد لا يُفيد العلم بحال، ولا بُدّ من نقله بطريق التواتر لوقوع العلم به؛ شيء اخترعته القدرة والمعتزلة، وكان قصدهم منه ردّ الأخبار ... ولو أنصفت الفرق من الأئمة لأقروا بأنّ خبر الواحد يُوجب العلم، فإنّك تراهم مع اختلافهم في طرائقهم وعقائدهم يستدلّ كل فريق منهم على صحّة ما يذهب إليه بالخبر الواحد.²»

وقال ابن تيمية (توفي: 728هـ): « وخبر الواحد المتلقّى بالقبول يُوجب العلم عند جمهور العلماء من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد، وهو قول أكثر أصحاب الأشعريّ، كالإسفرانيّ وابن فورّك؛ فإنّه وإن كان في نفسه لا يُفيد إلّا الظنّ، لكن لما اقترن به إجماع أهل العلم بالحديث على تلقّيه بالتصديق كان بمنزلة إجماع أهل العلم بالفقه على حكم مُستندين في ذلك إلى ظاهر أو قياس أو خبر واحد؛ فإنّ ذلك الحكم يصير قطعياً عند الجمهور، وإن كان بدون الإجماع ليس بقطعيّ؛ لأنّ الإجماع معصومٌ³، كما نقل ابن القيم (توفي: 751هـ) انعقاد الإجماع على قبول خبر الآحاد في باب الاعتقاد.⁴»

ونقل ابن عبد البرّ (توفي: 463هـ) إجماع أئمة أهل السّنة والجماعة على أنّ خبر الآحاد حجّة في العقائد، حيث قال: « وكلّهم يدين بخبر الواحد العدل في الاعتقادات، ويُعادي ويُوالي عليها، ويجعلها شرعاً وحكماً وديناً في معتقده، على ذلك جماعة أهل السّنة⁵، وعلّق ابن تيمية (توفي: 728هـ) على هذا الإجماع الذي نقله ابن عبد البرّ فقال: « قلت: هذا الإجماع الذي ذكره في خبر

1 الشافعيّ، الرسالة، مصدر سبق ذكره، ص: 401-403، 458.

2 السّمعي، الانتصار لأصحاب الحديث، تحقيق: محمّد بن حسين بن حسن الجيزاني، (ط01، مكتبة أضواء المنار للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1417هـ - 1996م)، ص: 34 - 35.

3 ابن تيمية، مجموع الفتاوى، مصدر سبق ذكره، ج18، ص: 41.

4 ابن قيم الجوزيّة، الصّواعق المرسلة على الجهمية والمعتزلة، تحقيق: علي بن محمّد الدّخيل الله، (ط02، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص: 605.

5 ابن عبد البرّ، التمهيد في أصول الفقه، مصدر سبق ذكره، ج01، ص: 08.

الواحد العدل في الاعتقادات يؤيد قول من يقول: إنه يوجب العلم، وإلا فما لا يُفيد علماً ولا عملاً كيف يُجعل شرعاً وديناً يُوالي عليه ويُعادي؟¹

وحديث الآحاد إذا ثبتت صحته فإنه يأخذ حكم المتواتر من حيث وجوب الإيمان به والعمل بمقتضاه، قال ابن أبي العزّ الحنفي (توفي: 792هـ) في شرحه للعقيدة الطحاوية: «خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول عملاً به وتصديقاً له يُفيد العلم اليقيني عند جماهير الأمة، وهو أحد قسمي المتواتر، ولم يكن بين سلف الأمة في ذلك نزاع».²

وقال ابن حجر (توفي: 852هـ) في الفتح: «قد شاع عمل الصحابة والتابعين بخبر الواحد من غير نكير فافتضى الاتفاق منهم على القبول، ولا يُقال لعلهم عملوا بغيرها أو عملوا بها لكنّها أخبار مخصوصة بشيء مخصوص؛ لأننا نقول العلم حاصل من سياقها بأنهم إنما عملوا بها لظهورها لا لخصوصها».³

وبناءً على هذا؛ فإنه لا فرق في ذلك بين الأمور المتعلقة بالعقيدة أو غيرها من الأحكام العملية ما دام الحديث صحيحاً عن النبي ﷺ. قال في شرح الكوكب المنير: «ومنع قوم من قبول أخبار الآحاد مطلقاً، منهم: ابن أبي دؤاد⁴، وبعض المعتزلة، وبعض القدرية، والظاهرية، وكذلك الرافضة».⁵ والمسألة فيها خلاف مشهور ليس هذا محلّ الخوض فيه تفصيلاً، وقد اكتفى الباحث بنقل ما رآه راجحاً. والله أعلم.

ج- موقف العلواني من الفرق المنتسبة للإسلام: يقول العلواني: «... ولذلك اعتبرت الشيعة، والخوارج من أهل البدع، وصرّحت بذلك في أكثر من موضع من الكتاب (أدب الاختلاف

1 آل تيمية، المسودة في أصول الفقه، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (د.ط، مطبعة المدني، القاهرة، مصر، د.س.ط)، ص: 245.

2 ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، مصدر سبق ذكره، ص: 338.

3 ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، مصدر سبق ذكره، ج13، ص: 248.

4 ابن أبي دؤاد: هو أبو عبد الله أحمد بن أبي داود بن جرير بن مالك الإيادي القاضي، ولد سنة 160هـ وقدم به أبوه وهو حدث من بلدتهم قنسرين إلى دمشق فطلب العلم وصحب هياج بن العلاء السلمي من أصحاب واصل بن عطاء فصار إلى الاعتزال. اتّصل بالمأمون والمعتصم والواثق وكان مقرباً عندهم، وهو الذي حملهم على امتحان الناس بخلق القرآن، وتوفي ابن أبي دؤاد سنة 240 ببغداد مفلوجاً. ينظر ترجمته في: وفيات الأعيان (63/01 - 75). وتاريخ بغداد (141/04 - 156). ولسان الميزان (171/01). والمنية والأمل لابن المرتضى، ص: (0 - 9) و(8 - 36). والأعلام (120/01).

5 ابن النجار، شرح الكوكب المنير، تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حمّاد، (د.ط، مطبعة العبيكان، الرياض، السعودية، 1413هـ - 1993م)، ج2، ص: 365.

في الإسلام). ثم أكدت أن أهل السنة -وأقصد بذلك الأشاعرة- يقفون مقابل أهل الأهواء والبدع، وكان على أي كاتب يُريد أن يُضيّق الهوة بين الفرق، والطوائف المسلمة أن يُسوّي بين تلك الفرق، والطوائف، ويُضيّق الهوة، لا أن يعلن انحيازه من أول الأمر إلى طائفة منهم، كأن يدعوهم إلى التنازل عن مذاهبهم كلّها، والتخلي عن مقولاتهم جميعها، للانضمام إلى الطائفة التي هو منها، وهذا مخالف لأسلوب القرآن الكريم ... وكنت في ذلك منساقاً مع أطروحات علماء الفرق، وتحيّزاتهم -وذلك مما أحجل منه الآن- ولا أحب أن ينسب إلي، أو أنسب إليه¹.

هذا هو الموقف العام الذي انتهى إليه العلواني آخر عمره، ومع أنه ينبغي العمل على تأليف القلوب وجمع الكلمة ما أمكن، فإن الجماعة رحمة، والفرقة عذاب، جدير بالتذكير أن دور الكاتب - كما عبّر عنه المؤلف - هو بيان الحقّ بدليله والدفاع عنه، وأما السعي نحو التأليف وتضييق الهوة، فهو من لا إله إلا الله ينطلق وعندها ينتهي، وكلّ من دار في فلك هذه الكلمة الطيبة داعٍ إلى التأليف والجماعة، قال ﷺ: ﴿وَأَلَفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتُ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَفْتُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ

وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: 63]، يقول السّعديّ (توفي: 1376هـ):

« فاجتمعوا واثتلفوا، وازدادت قوتهم بسبب اجتماعهم، ولم يكن هذا بسعي أحد، ولا بقوة غير قوة الله، فلو أنفقت ما في الأرض جميعاً من ذهب وفضة وغيرهما لتأليفهم بعد تلك التفرقة الشديدة

﴿مَا أَلَفْتُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ لأنه لا يقدر على قلب القلوب إلا الله تعالى. ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَفَ

بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ومن عزته أن أَلَفَ بين قلوبهم، وجمعها بعد الفرقة كما قال تعالى:

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ

فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ [آل عمران: 103] «²، وليس

بالنسوية بين جميع الطوائف والفرق على علاقتها واختلافاتها المتصادمة، على أن السعي للتقريب واسع في باب المستحبات وفي بعض الأمور التي فيها الخلاف قوي ومعتبر، وهو لا يُنافي أهمية تربية الناس على الجادة، أما العذر عند مخالفة المعلوم من الدين بالضرورة أو مسائل الإجماع، وعذر الفرق التي حكم العلماء بضلالها، فنأتي ونلتمس لها الأعذار ونوفق بين الأقوال، فهذا المنهج لا يستقيم معه

1 طه جابر العلواني، من أدب الاختلاف إلى نبذ الخلاف، مرجع سبق ذكره، ص: 07.

2 عبد الرحمن بن ناصر السّعديّ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مرجع سبق ذكره، ص: 325.

دين، ولا تجتمع به أمة، وأي اجتماع وتآلف يُرجى إذا شُجّع الافتراق؟! اللهم إلا من باب ﴿بِأَسْمِهِمِ يَتَّبِعُهُمْ شَدِيدٌ مُحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ [الحشر: 14].

ومن نماذج تضيق الهوة بين الفرق؛ اعتقاد العلواني أن: « هؤلاء الشيعة إخواننا مسلمون مثلنا، قبلتنا واحدة، ديننا واحد، قرآننا واحد، نبينا واحد، مُتَّفِقُونَ على تحريم ما حرم الله، وإباحة ما أباح الله، وفرضية ما افترضه »¹، وهذه النظرة السطحية للتشيع نجدها بارزة في كتاباته ومقولاته، وفي تساهله في مدح الشيعة ومراجعهم كقوله: « وقد كان -والحق يُقال- لبعض أئمة إخواننا الشيعة ومُجْتَهِدِيهم دور أساسي في تلك الثورة الكبرى (ثورة العشرين) »²، ومن منطلق الأخوة الدينية بين السنة والشيعة رأى أن التعاون معهم أمرٌ مطلوبٌ، فسارع الشيعة للترويج لأفكار طه جابر العلواني وأطروحاته، وطبع مجموعة من مؤلفاته التي تُقَرِّب وتؤلّف بين الطرح السني والطرح الشيعي ك: إصلاح الفكر الإسلامي، مقدمة في إسلامية المعرفة، الأزمة الفكرية ومناهج التغيير، مقاصد الشريعة، الخصوصية والعالمية في الفكر الإسلامي المعاصر، نحو منهجية قرآنية معرفية: محاولات بيان المنهج التوحيدي للمعرفة، فهذه كلها كتب قامت بطبعها دار الهادي وهي أكبر دار نشر للكتب الدينية لدى الشيعة في لبنان.

يقول طه جابر العلواني: « إنني أنطلق من إيماني بالله -تبارك وتعالى- رباً وإلهاً واحداً مُتَفَرِّداً في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: 11]، أصفه -جل شأنه- بكل ما وصف به نفسه في كتابه، وأنزهه عن كل ما نزه عنه ذاته العلية في كتابه، من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تأويل ولا تجسيم لم يدلّ عليه دليل معتبر من كتاب الله أو سنة ثابتة، وذلك أساس التوحيد الذي أنطلق منه كله »³.

إن أفكار العلواني وآراءه في باب العقيدة لا تجري بنسق منطقي؛ فهو يميل إلى التيارات الإسلامية كلها، وهذا يجعل من مسألة تحديد مذهبه العقديّ جدّ صعبة، فهو وافق المعتزلة وغيرهم في مسألة ردّ خبر الآحاد في العقيدة؛ وزاد عليهم فوافق القرآنيين وغيرهم في ردّ السنة المتواترة إذا خالفت القرآن

1 كاظم أحمد ناصر المشايخي، الإمام أمجد بن محمد سعيد الزهاوي فقه العراقيين والعالم الإسلامي، (ط01، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هرنند، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، 1996م)، ص: 10 - 11. للمزيد ينظر: الفوارق بين السنة والشيعة، طه جابر العلواني، alwani.org، 2019/01، <https://www.google.com/>.

2 كاظم أحمد ناصر المشايخي، الإمام أمجد بن محمد سعيد الزهاوي فقه العراقيين والعالم الإسلامي، مرجع سبق ذكره، ص: 10 - 11.

3 المرجع السابق، ص: 10 - 11.

الكريم فيما يراه هو مخالفة! وردّ علم الكلام بسبب تقديم العقل ثمّ قدّم العقل لنفي أن تكون السنّة ولو كانت متواترة مصدراً ثانٍ للتشريع، واعتبر قضية تأويل صفات الباري مشكلة ثمّ وقع فيها ولم يتوسّع كما سيأتي بيانه، كما أنّه ليس بالرجل الصوّفي الطريقي؛ ولكنّه رجل متساهل مع التطرف الشيعي ويراه تنوعاً، وهذا ما يدعو الباحث للقول بأنّ العلواني رجل مسلم مؤمن من أهل السنّة والجماعة؛ دون الوصول لحكم قطعي حول مذهبه العقديّ.

ثانياً: **حسن القصد وابتغاء رضا الله ﷻ**: يُعتبر القصد نوعاً من الإرادة التي تبلغ في قوّتها درجة الاعتزام، والإرادة لا تكون عزمًا ما لم تكن جازمة، والمتأمل في كلام العلماء يلحظ أنّهم يذهبون إلى أنّ القصد أعلى درجة من العزم، فالعزم عندهم قد يكون على فعل في المستقبل، وهذا العزم قد يضعف أو يحول، أمّا القصد عندهم فلا يكون إلّا إذا كانت الإرادة جازمة مقارنة للفعل أو قريبة من المقارنة، ولهذا فإنّ العلماء يقولون: لا فرق بين النية والقصد، وكثير من العلماء يرى أنّ النية لا بدّ أن تقارن المنوي، وقال بعضهم بأنّ القصد والنية بمعنى واحد.¹

وبالتأمل في آيات القرآن نجد أنّ الآيات التي تتحدّث عن القصد والنية نادرة، فإنّه لا يُعثر للكلمة الثانية على وجود في كتاب الله، وما يُوجد من كلمات اللفظة الأولى قليل، والقرآن يُعبّر عن القصد والنية بألفاظ الإرادة، والابتغاء، وغيرهما، فمن النصوص القرآنية التي تتحدّث عن القصد والنية بلفظ الإرادة قوله تعالى: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [آل عمران: 152]، وقوله سبحانه: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعِشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: 28]، والمتأمل في هذين النصّين يدرك أنّ المراد بالإرادة هنا القصد والنية، والنصوص في ذلك كثيرة.

ومن الآيات المعبرة عن النية بلفظ الابتغاء قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة: 207]، وقوله: ﴿وَمَا تَرْضَيْنَ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾ [الإسراء: 28]، وغيرهما.

والآيات القرآنية الآمرة بالإخلاص والحائّة عليه كثيرة أيضاً، كقوله تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: 02]، وقوله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: 05].

1 ينظر: القراني في الذخيرة، ج1، ص20. والتّووي في المجموع، ج1، ص: 130. ومحمود عبد الرحمن عبد المنعم في معجم المصطلحات والألفاظ الفقهيّة، ج3، ص: 96. وابن القيم في بدائع الفوائد، ج3، ص: 190.

وقد استدلل العلماء بهاتين الآيتين، وأمثالهما على وجوب النية في العبادات، فإن الإخلاص عمل القلب، وهو الذي يُراد به وجه الله تعالى.¹

ويرى فريق من العلماء أنّ الأحاديث التي حثّ الرسول ﷺ فيها على إصلاح النية وتصنيفها استقاهما ﷺ من مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ [البينة: 05]، وقد فسّر جملة من أهل العلم الشاكلة في قوله تعالى: ﴿ قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكْرَتِهِ ﴾ [الإسراء: 84] بالنية.² وجميع الآيات الناهية عن الشرك تدلّ بدلالة التضاد دلالة أكيدة على وجوب تصفية النية وإصلاحها. والله أعلم.

وعمدّة الأحاديث النبوية في باب إصلاح النية؛ الحديث الذي يرويه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إنّما الأعمال بالنيات، وإنّما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يُصيّبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه »³، وهذا الحديث يدلّ على أنّ الأعمال لا تصحّ شرعاً ولا تُعتبر إلّا بالنية، وأنّ النية هي الفاصلة بين ما يصحّ وما لا يصحّ وكلمة (إنّما) وضعت للحصر، فهي تُثبت الشيء وتنفي ما عداه، فدلالته: أنّ العبادة إذا صحبتها النية صحّت وإذا لم تصحبها لم تصحّ، ومقتضى حقّ العموم فيها يُوجب إلّا يصحّ عمل من الأعمال الدينية: أقوالها وأفعالها، فرضها ونفلها، قليلها وكثيرها، إلّا بنية⁴، وهذا الحديث يدلّ أيضاً على أنّ الأعمال الشرعية تُوجد وتكون بالنيات.

وإذا كانت النية بالمقام الذي سبق بيانه، فهي تُشكّل مبحثاً مهماً في علم التفسير، وقد اعتنى بها مفسّرو القرآن الكريم، ورعوها حقّ رعايتها، فقد يكون الفعل من أعظم الطاعات إذا قصد به صاحبه وجه الله تعالى، وقد يكون هذا الفعل من أعظم الذنوب عند الله إذا قصد به صاحبه غير

1 ابن رشد القرطبي، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، تحقيق: ماجد الحموي، (ط01، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1416هـ - 1995م)، ج01، ص: 25 - 26. بتصرف.

2 ابن حجر، فتح الباري شرح البخاري، مصدر سبق ذكره، ج01، ص: 136.

3 متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، (09/01)، وفي كتابه الإيمان، (135/01)، برقم: (54)، وفي كتاب العتق، (160/05)، برقم: (2529)، وفي كتاب مناقب الأنصار، (752/11)، برقم: (6689)، وفي كتاب الحيل، (327/12)، برقم: (6953). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: إنّما الأعمال بالنية، برقم: (155).

4 عمر سليمان الأشقر، مقاصد المكلفين فيما يُتعبّد به لربّ العالمين، (ط01، مكتبة الفلاح، الكويت، دولة الكويت، 1401هـ - 1981م)، ص: 64.

وجه الله، كالمفسر يريد كشف مراد الله وهداية الخلق حقاً فهذا بأفضل المنازل عند الله، وإذا فعل ذلك لأي غرض آخر كان بشرّ المنازل عند الله ﷻ.

وإنّ الكلام في النية مُرتبط بأعمال القلوب ومعرفة مراتبها، وارتباطها بأعمال الجوارح فلا يصحّ عمل إلا بنية، والعمل الخالي من النية بمنزلة الجسد الخالي من الروح، ولهذا فإنّ العلماء اشتروا للنية التي بهذه المنزلة شروطاً نذكر المهمّ منها: »

الشّرط الأوّل: أن تتعلّق بمكتسب للتأوي فإنّها مُخصّصة، وتخصيص غير المفعول المكتسب المخصّص مُحال، ولذلك امتنع نية الإنسان لفعل غيره، لأنّه غير مكتسب له.

الشّرط الثّاني: أن يكون المعنى معها معلوم الوجوب -أي الوقوع- أو مضمون الوجوب، فإنّ المشكوك تكون النية فيه متردّدة، فلا تتعقد، لذلك لا يصحّ وضوء الكافر ولا غسله قبل اعتقاد الإسلام، لأنّه غير معلوم ولا مضمون.

الشّرط الثّالث: أن تكون النية مقارنة للمُنوي، لأنّ أوّل العبادات لو عُري عن النية لكان أوّلها مُتردّداً بين القرية وغيرها وأجزاء الصّلاة مبني على أوّلها وتتبع له، بدليل أنّ أوّلها إذا نوى فرضاً أو نفلاً أو قضاءً أو أداءً كان آخرها كذلك؛ وكذلك إذا نوى أوّلها متردّداً فلا تصحّ قرية¹.

وإذا أسقطنا هذه الشّروط على المفسر طه جابر العلواني، وجدنا أنّها تتعلّق بما قام به العلواني من تفسير وبيان لمعاني القرآن الكريم، وعمله هذا معلوم الوقوع فهو كتاب تفسير مطبوع، نسبته إليه مؤكّدة، وبقي شرط استحضار النية مقارنة لعملية التفسير، فذلك ممّا يعلمه صاحب النية وعلام النوايا ﷻ.

ولقد أجمع العلماء على أنّ محلّ النية القلب²، لأنّ النية: القصد والعزم على فعل الشّيء، ومصدر ذلك القلب، ولم يناع في هذا أحد إذ أنّه أمر مُتفق عليه بين العلماء، يقول ابن القيم (توفي: 751هـ): « إن الكلام في مسألة النية شديد الارتباط بأعمال القلب، ومعرفة مراتبها، وارتباطها بأعمال الجوارح، وبنائها عليها، وتأثيرها فيها صحّة وفساداً، وإنّما هي الأصل المراد المقصود، وأعمال الجوارح تبع ومُكمّلة ومُتمّمة، وأنّ النية بمنزلة الروح والعمل بمنزلة الجسد للأعضاء، الذي إذا فارقت

1 صالح بن غانم السّدّان، النية وأثرها، (ط01، مكتبة الخرجي، الرياض، السّعودية، 1404هـ - 1984م)، ج01، ص: 373.

2 مجموعة من المؤلّفين، موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي، (ط01، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، الرياض، السّعودية، 1439هـ - 2021م)، ص: 236.

الروح يموت، وكذلك العمل إذا لم تصحبه النية فحركة عابث، فمعرفة أحكام القلوب أهم من معرفة أحكام الجوارح، إذ هي أصلها وأحكام الجوارح متفرعة عليها».¹

وخلاصة القول: «أن مدار العبادة على الإخلاص فممتى تحقق الإخلاص صح العمل، فكل أعمال القربة قليلها وكثيرها مردّه إلى الإخلاص إذ لا وصول للسعادة إلا بالعلم والعبادة، فالتاس كلهم هلكى إلا العالمون، والعالمون هلكى إلا العاملون، والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم، فالعمل بغير نية عناء، والنية بغير إخلاص رياء، والإخلاص من غير صدق وتحقيق هباء».²

وفيما يخص العلواني فحسبنا ما وضعه من مقدمات لولوج القرآن الكريم، لنذكر قيمة النية عنده ونظرتة إلى مجالات استحضارها عند التعامل مع القرآن الكريم، عند القراءة كما عند التفسير، وهو قد نصّ على ما أوجبه على نفسه وعلى غيره عند ولوج رحاب القرآن، فجعله في النقطتين التاليتين: «

- **النقطة الأولى: موقع القارئ من الخطاب:** يجب أن يحدّد القارئ موقعه من الخطاب، ما موقعي أنا؟ هل جئت إلى القرآن الكريم طالب هداية، أم طالب تعبّد، أم طالب معرفة حكم، أم طالب معرفة سنن إلهية أم سنن اجتماعية، أم تاريخ أقوام، أم استنباط هداية؟ هذا التّحديد مهمّ جداً... فلا بدّ أن يحدّد القارئ هدفه من القراءة بدقّة، وهو ما نسمّيه بالنية: ((إنّما الأعمال بالنيّات)). والقراءة عمل، فلا بدّ من بناء النية والتّعرّض للتّطهير الإلهي، لعلّ القارئ يُصبح واحداً من أولئك المطهّرين الذين يستطيعون العروج إلى مسّ معاني القرآن الكريم.

- **النقطة الثانية: تنزيل القراءة على القلب:** تنزيل قراءتنا للقرآن على قلوبنا أمر في غاية الأهمية، لكي نحصل على ثمره القراءة، ولنحني فوائدها، فالقراءة بالعينين وتحريك اللسان دون إشراك فعلي للقلب لا تُؤدّي ما تُؤدّيه القراءة عندما يُنزل القارئ قراءته على قلبه مباشرة. وهذا النوع من القراءة يقتضي تيقّظ قوى الوعي الإنساني -كلّها- عند القراءة، وتحتاج إلى تدريب على ذلك، فيكون القلب هو المستقبل الأوّل لآيات الكتاب الكريم».³

إذن العلواني يُوجب استحضار النية الحسنة لولوج القرآن وقراءته، لأنّ قراءة القرآن عبادة والعبادة لا بدّ لها من نية، وهذا الحدّ مُجمّع عليه، وهو يرى ضرورة تنزيل القراءة التّدبريّة للقرآن على القلب؛

1 ابن القيم، بدائع الفوائد، مرجع سبق ذكره، ج3، ص: 224.

2 أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، مصدر سبق ذكره، ج4، ص: 350.

3 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 32 - 33. بتصرّف يسير.

فيكون القلب هو المستقبل الأول لآيات الكتاب الكريم، أي أنّ عمل القلب سابق للقراءة ومرافق لها، فالقلب وقراءة القرآن التدبريّة لا يفترقان، وتدبر القرآن وتفسيره عند العلواني سيان؛ يقول العلواني: « ولكنّ تفسير القرآن -الذي نُریده- فيه مزايا التفسير الموضوعي، ولكنه يستوعبها ويتجاوزها. فمرحلة النظر الموضوعي مرحلة يصعب أن يتخطّاها معنى تدبر القرآن الكريم وتأمله. لكن ((تفسير القرآن بالقرآن)) كما قلنا يتجاوز ذلك كلّ، فهو تفسير وتدبر وتأمل وتفكر وتعقل وتذكير وترتيل في القرآن المجيد ¹».

وعند التحدّث عن القرآن الكريم أوجب طه جابر العلواني استحضار عظمة الله، وعظمة القرآن المجيد، وخطورة الوحي الإلهي، وعصمته من أيّ شيء يعود عليه بأيّ نقد أو قدح أو إبطال، وعلى طالب العلم ألا يقرن القرآن بسواه ولا يُفاضل بينه وبين غيره، فالقرآن المجيد أولاً: هو الكتاب الذي لا ريب فيه: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝﴾ [البقرة: 02]، وثانياً: ليس بشرياً: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ۝﴾ [النساء: 82]. وثالثاً: تعهد الله بحفظه، فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝﴾ [الحجر: 09]، ونبّه إلى أنّ الكتب السابقة قد دخلها ما دخلها، وانحرف بها من انحرف؛ لأنّ عمليّات حفظها وسلامتها أوكلت إلى البشر: ﴿يَمَّا أَسْتَحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ۝﴾ [المائدة: 44].²

والأمر المؤكّد أنّ طه جابر العلواني، ذلك الأصولي المشرب والمنشأ، لا يخفى عليه وجوب استحضار النّيّة وحسن القصد لمن رام تفسير القرآن وأراد بيانه، والمخلص هو الذي لا يُبالي لو خرج كلّ قدر له في قلوب الناس من أجل صلاح قلبه مع الله ³، ولا يحبّ أن يطلع الناس على مثاقيل الذرّ من عمله، ويسعى لصفاء قلبه وسلامته من الهوى.

ثالثاً: السلامة من اتباع الهوى³: إنّ النّيّة الحسنة لا تكفي وحدها، ولا تُبرّر الأخطاء المنهجية وما ينتج عنها من أحكام غير صحيحة، وتصوّرات مشوّهة، ولقد كان وما يزال اتباع الهوى شرّاً وأساساً

* الكتاب الفلاني الذي يُقال عنه أصبح كتاب بعد القرآن هو صحيح البخاري، والذين نُقل عنهم هذا القول هم علماء الأئمة وخيارها، ومثل هاته العبارات والمواقف كثيراً ما عُتِب عليها العلواني، وجرّ لنفسه بسببها عداوات كان في غنى عنها، فما الضير في وصف صحيح البخاري بما وُصف به؟ وما الفائدة التي رجاها العلواني من عبارته السابقة؟ وما هكذا يُراجع التراث الإسلامي!

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 44.

2 عظمة القرآن، طه جابر العلواني، 21 أبريل 2024، <https://www.facebook.com/Taha.Al.Alwani/>

3 يقول ابن تيمية: (توفي: 728هـ): ... ولهذا كان من خرج عن موجب الكتاب والسنة من المنسوين إلى العلماء والعُباد يُجعل من أهل الأهواء كما كان السلف يُسمّونهم أهل الأهواء، وذلك أنّ كلّ من لم يتبع العلم فقد اتّبع هواه، والعلم بالدين لا يكون (214)

لكلّ بليّة، والذين اتّبَعوا أهواءهم مالوا إلى الرّأي المذموم فقالوا بما يخالف أسلم الفهوم وأصوب العلوم، وأولوا كلّ ما لا يتفق مع ما هم عليه ولو بالتكلف والتنطع الظاهر، « والمقصود أنّ مثل هؤلاء اعتقدوا رأياً، ثمّ حملوا ألفاظ القرآن عليه، وليس لهم سلف من الصّحابة والتّابعين لهم بإحسان ... ومن هؤلاء من يكون حسنَ العبارة، فصيحاً، ويدسّ البدع في كلامه وأكثر النَّاس لا يعلمون كصاحب الكشف ونحوه »¹، وفيما يخصّ العلواني فإنّ مسألة السّلامة من البدع أفسدتها أمور، واعترتها شوائب، يذكر الباحث منها:

01- الانتصار لبعض الآراء الاعتزالية: إنّ المنهج الفكريّ المتساهل الذي اختاره طه جابر العلواني، أوصله إلى الانتصار لبعض آراء المعتزلة، وجعله يبدو من بعض التّواحي مُكمّلاً لمذهب المعتزلة دون أن يأخذ بمبادئهم العقديّة، ومن ذلك:

أ- تقديس العقل وتقديمه على النقل²: كان القرآن هو الإمام الذي يُقتدى به، ولهذا لا يُوجد في كلام أحد من السّلف أنّه عارض القرآن بعقل ورأي وقياس³، والقرآن والخبر الصّحيح بعضهما مُضاف إلى بعض وهما شيء واحد في أحدهما من عند الله تعالى، وحكهما حكم واحد في باب وجوب الطّاعة لهما⁴، وأجل بين القيم (تويّ: 751هـ) فقال: « العقل الصّريح لا يتناقض في نفسه، كما أنّ السمع الصّحيح لا يتناقض في نفسه، وكذلك العقل مع السمع »⁵ لا يتعارضان إنّ هما صحّاً جميعاً.

ولكنّ غلبة النزعة العقليّة عند المعتزلة أبّت هذا التّرتيب، ورفضت تلکم العلاقة بين النقل والعقل، واستغنت عنهما بترتيب آخر وبرؤية أخرى، ومُنطلقهم مكانة العقل ومنزلته عندهم، ف« العقل هو أن يعرف بعض المقبّحات والمحسنات ولو لم يكن ثمة رسول ولا رسالة ... والحسن أو القبيح قد

إلاّ بهدي الله الذي بعث به رسوله ﷺ. ابن تيمية، الاستقامة، تحقيق: محمّد رشاد سالم، (ط01، جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية، الرياض، السّعودية، 1403هـ - 1984م)، ج02، ص: 224.

1 ابن تيمية، مقدّمة في أصول التفسير، مصدر سبق ذكره، ص: 86.

2 العقل عند أهل السنّة والجماعة هو الغريزة المدركة في الإنسان التي بها يعقل ويعلم، وهي فيه كقوّة البصر في العين. ينظر: عثمان بن علي حسن، منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد، (ط04، مكتبة الرّشد، الرياض، المملكة العربيّة السّعودية، 1418هـ - 1998م)، ج01، ص: 158 - 159.

3 ابن تيمية، الفرقان بين الحقّ والباطل، تحقيق: حمد بن أحمد العصلاّبي، (دون معلومات الطّبع)، ص: 236.

4 ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، مصدر سبق ذكره، ج01، ص: 98.

5 ابن قيم الجوزية، الصّواعق المرسلة على الجهميّة والمعطّلة، مرجع سبق ذكره، ج03، ص: 1187.

يُعرفان حتى من دون العلم بالأمر والنهي، والأمر والنهي¹، مع إنكارهم أشدّ الإنكار على من يجعل الحسن حسناً للأمر به، والقبيح قبيحاً للنهي عنه، فالشرع عند المعتزلة لا يعدو كونه مُقرراً لما رُكِب في العقول أصلاً، وأنه مجرد كاشف عن حسن الحسن وقبح القبيح لا أنه مُوجب للحسن أو القبح، يقول القاضي عبد الجبار (توفي: 415هـ): «واعلم أنّ التّهي الوارد عن الله ﷻ يكشف عن قبح القبيح لا أنه يوجب قبحه، وكذلك الأمر يكشف عن حسنه لا أن يوجبه».²

ثمّ بالغ المعتزلة في تمجيد العقل حتى جعلوه مُقدّماً في النّظر للتّوصّل إلى الأحكام الشرعية وأعطوه دوراً أولياً وسابقاً على الشرع، يقول أبو الحسين البصريّ (توفي: 436هـ)³: «أما التّوصّل إلى الأحكام الشرعية، فهو أنّ المجتهد إذا أراد معرفة حكم الحادثة فيجب أن ينظر ما حكمها في العقل؟ ثمّ ينظر هل يجوز أن يتغيّر حكم العقل فيها؟ وهل في أدلة الشرع ما يقتضي تقدّم ذلك الحكم أم لا؟ فإن لم يجد ما ينقله عن العقل قضى به، والشرط في ذلك: هو علمه بأنّه لو كانت المصلحة قد تغيّرت عمّا يقتضيه العقل لما جاز ألا يدلّنا الله تعالى على ذلك، فإن وجد في الشرع ما يدلّ على نقله قضى بانتقاله؛ لأنّ العقول إنّما دلّت على تلك الأحكام بشرط ألا ينقلنا عنه دليل شرعيّ».⁴

وفيما يخصّ ترتيب الأدلة الشرعية يقول القاضي عبد الجبار (توفي: 415هـ): أولها دلالة العقل، لأنّ به يميّز بين الحسن والقبح، ولأنّ به يعرف أنّ الكتاب حجة وكذلك السنّة والإجماع، وربّما تعجّب من هذا التّرتيب بعضهم، فيظنّ أنّ الأدلة هي الكتاب والسنّة والإجماع فقط، أو يظنّ أنّ العقل إذا كان يدلّ على أمور فهو مؤخّر، وليس الأمر كذلك، لأنّ الله لم يُخاطب إلا أهل العقل، ولأنّ به يُعرف أنّ الكتاب حجة، وكذلك السنّة والإجماع، فهو الأصل في هذا الباب.⁵ ومما هو جدير بالذكر، تأخير طه جابر العلواني لمصطلح الاعتقاد عن مصطلحات العقل كلّما دُكر معاً، كقوله: «التّركية

1 القاضي عبد الجبار، المجموع في المحيط بالتكليف، مرجع سبق ذكره، ص: 252.

2 المرجع السابق، ص: 254.

3 هو محمّد بن عليّ بن الطيّب، أبو الحسين البصريّ، من أئمة المعتزلة، أصوليّ متكلم، من تصانيفه: المعتمد في أصول الفقه، وشرح الأصول الخمسة، توفي سنة 436هـ. ينظر: الذهبيّ، سير أعلام النبلاء، مصدر سبق ذكره، ج17، ص: 587 - 588. وشذرات الذهب، مصدر سبق ذكره، ج3، ص: 259.

4 أبو الحسين البصريّ، المعتمد في أصول الفقه، اعتنى بتحقيقه: محمّد حميد الله وغيره، (ط01، المعهد العلميّ الفرنسيّ للدراسات العربيّة، دمشق، سوريا، 1383هـ - 1964م)، ج02، ص: 343.

5 القاضي عبد الجبار وآخرون، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تحقيق: فؤاد سيّد، (ط01، دار الفرائي، بيروت، لبنان، 1439هـ - 2017م)، ص: 139.

الشاملة التي تشمل العقل والتصور والرؤية والفكر والاعتقاد والسلوك وأنظمة التعامل والعلاقات»¹؛ وقوله: «يستمدّ التجديد حقيقته من إعادة تشكيل العقل السليم، ووصل ما انقطع بينه وبين كتاب الله، باعتباره المصدر المنشئ الوحيد مع الكون للفكر والمعرفة والعقيدة والشريعة والمنهاج»². وبعد هذا التفصيل الموجز لموقف من أبرز مواقف المعتزلة، باعتبارها الفرقة العقلية التي رفعت راية العقل، نأتي إلى تفصيل رأي العلواني في هذه المسألة وما يرتبط بها.

«انطلق العلواني من مقدمات عدّة، أوضح فيها أنّ رسول الله ﷺ لم يقيم بتفسير القرآن الكريم آية آية، وتحدّث أيضاً عن مسألة منع تدوين شيء مع القرآن غير القرآن، حتّى يكون ما سواه دائراً حوله، مرتبطاً به، بل وتطبيقاً عملياً له، وفهماً سليماً على أعلى المستويات فيه، وهذا لم يتوافر لأيّ نصّ آخر من النصوص المنزلة وغير المنزلة.

ثمّ نقل القول بأنّه لا يصحّ أن يكون كلّ ما قاله الصحابة في التفسير عن النبي ﷺ لوجهين: أحدهما: أنّ النبي ﷺ لم يثبت عنه من التفسير إلّا آيات قليلة، والثاني: أنّهم اختلفوا في التفسير على وجوه مختلفة لا يمكن الجمع بينها، وسماع جميعها من رسول ﷺ محال.

ليصل إلى إصدار الحكم الذي كان يُمهّد له بالمقدمات السابقة الذكر، فقال: إنّ في ذلك دلالة على أنّ المراد ألاّ تُحبس العقول في فهم محدّد مخصوص للقرآن لا تستطيع تجاوزه، بل يكون مجال الفهم والتأمّل في آياته لأولي الألباب مفتوحاً بشرط أن يتدبّروها»³، فحبس عقول من أتى بعد جيل الخيرية عن فهم كلام الله ﷻ أمر غير مشروع عند طه جابر العلواني، وتخصيص تفسير كلام الله بتفسير السلف وأقوالهم قول مردود عنده، والتزام الخلف بفهم السلف أمر يحتاج لإعادة النظر حسبه، فبلسان الحال لا بلسان المقال: هم رجال ونحن رجال، لذا فإنّ أعمال العقول لتفسير القرآن أمر مشروع ومطلوب، خاصّة في زمننا ووضعنا الحالي، ولكن هذا الأعمال بشرطين اثنين؛ أحدهما: تدبّر القرآن، والثاني: أن يكون التدبّر من أولي الألباب، فمن كان ذا لبّ سليم له أن يتدبّر ويُفسّر القرآن، لأنّه من ذوي الأهلية والكفاءة! هذا هو رأي طه جابر العلواني.

1 طه جابر العلواني، التوحيد والتزكية وال عمران، (ط01، دار الهادي، بيروت، لبنان، 1423هـ - 2003م)، ص: 119.

2 طه جابر العلواني، إسلامية المعرفة بين الأمس واليوم، مرجع سبق ذكره، ص: 20.

3 ينظر: العقل وموقعه في المنهجية الإسلامية، طه جابر العلواني، الفكر الإسلامي المعاصر، 1996/09/01م، <https://citj.org/>، ص: 15 - 16.

ولا شك أنّ أفضل ما في الإنسان عقله الذي ينسجم مع الوحي الإلهي، ومن ثم فقد قال ﷺ في الكافر، وقد قيل: ما أعقل فلاناً الكافر! فقال: «مه، إنّ الكافر لا عقل له»¹، فمهمة العقل التمييز بين النافع والضّار في الحال والمآل، وبه فضّل الله تعالى الإنسان وكرّمه عن بقية الحيوانات التي تزيد عنه قوّة وضخامة، لكنّها محكومة مُذلّة لهذا الإنسان الذي تميّز بهذه القوّة المفكّرة، قال الزّمخشريّ (توفي: 538هـ) عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَذْكُرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الرعد: 19]: «أيّ الذين عملوا على قضيات عقولهم؛ فنظروا واستبصروا»²، فأولو الألباب هم ذوو العقول السليمة الراجحة، التي تنظر ببصيرة فتميّز الحقّ عن الباطل، وليس كلّ عقل هكذا، قال الرّاعب (توفي: 502هـ): «وقيل في شأن اللبّ: هو ما زكا من العقل، فكلّ لبّ عقل وليس كلّ عقل لبّاً، ولهذا علّق الله -تعالى- الأحكام التي لا يُدرّكها إلّا العقول الرّكيّة بأولو الألباب»³؛ والتعليق للتفريق بين العالم والجاهل، فالنّاس لا يستوون في عقولهم كما لا يستوون في غيرها، فالله فضّل بعضاً على بعضٍ في ذلك، قال أبو السّعود (توفي: 982هـ): أولو الألباب هم «أصحاب العقول الخالصة من شوائب الخلل»⁴.

وههنا مسألة جدّ هامّة، وهي أنّ ما يُتوصّل إليه بالتّفكّر والتّدبر يُقال عنه معرفة، والعلم قد يُقال في ذلك وفي غيره⁵، كأن يُقال عن الأخبار، وهي «ما يُنقل بين النّاس أو ما تُخبر به عن نفسك وعن غيرك»⁶، فقد عرّف الرّاعب الأصفهانيّ (توفي: 502هـ) الخبر بأنّه «العلم بالأشياء المعلومة من جهة الخبر»⁷، وعن غيرها من الألفاظ التي تدلّ على المعرفة عن طريق النّقل كالنّبأ، والإلهام، والوحي الذي هو أعلاها.

1 عزاه القرطبي في تفسيره (73/17) إلى الحكيم الترمذيّ أنّه أخرجه بإسناده.

2 الزّمخشريّ، الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل، مصدر سبق ذكره، ص: 346.

3 الرّاعب الأصفهانيّ، مفردات غريب القرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 446.

4 أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم إلى مزايا الكتاب الكريم، مرجع سبق ذكره، ج 07، ص: 250.

5 الرّاعب الأصفهانيّ، الدّريعة إلى مكارم الشّريعة، تحقيق: أبو اليزيد العجميّ، (ط 01، دار الصّحوة، القاهرة، ودار الوفاء، المنصورة، مصر، 1405هـ - 1985م)، ص: 180.

6 محمّد ياس خضر الدّوريّ، دقائق الفروق اللّغويّة في البيان القرآنيّ، (د.ط، دار الكتب العلميّ، بيروت، لبنان، 1426هـ - 2005م)، ص: 28.

7 الرّاعب الأصفهانيّ، المفردات في غريب القرآن، مصدر سبق ذكره، ص: 141.

كما أنّ المعرفة في حدّ ذاتها قاصرة لاعتمادها على قوى الوعي ومدى تهيئتها، وبالتالي قد تكون المعلومات الواصلة عن طريقها غير دقيقة، فالمعرفة إذا كانت من عاقل بعيد عن الهوى والتعصّب تُفيد العلم غالباً، وإلا كانت غير تامّة.

ويقول طه جابر العلواني أيضاً: « منهجنا في التفسير هو التدبّر، وتفسير بعض القرآن ببعض الآخر ... والتدبّر هو التّفكّر فيما وراء الظّواهر، ومعرفة أدبار الأمور، وعواقبها، وما لا تراه العين للوهلة الأولى منها، فالقرآن خطاب مفتاحه التدبّر أي أن يُقبل القارئ المؤهل الذي هيّا قوى وعيه ووسائل إدراكه لتدبّر القرآن الكريم بعقل عمليّ لديه من المعرفة والاستعدادات ما يُعينه على تدبّر هذا الخطاب، ومعرفة المراد منه ¹، وقال أيضاً: « ... وعند ذلك لا يُمكن للشيطان أن يُقيم حججاً بين حكم القرآن وأنواره من جهة، وقوى الوعي الإنسانيّ من جهة أخرى، لذلك فإنّ التدبّر ضرورة لبناء العقل وإنماء قوى الوعي قرآنيّاً ²، وفي العبارتين وغيرها ممّا ذكره في مقدّمة تفسيره؛ كرّر العلواني ذكر مصطلح قوى الوعي، ولم يجد الباحث لهذا المصطلح المركب في علم التفسير أصلاً أو استعمالاً ممّن سبق، ولعلّه إلى علمي النفس والاجتماع أقرب، كما أنّ قوى الوعي حتّى لو كانت مستعدّة ليس بينها وبين القرآن حجاباً، لا يُمكنها إدراك القرآن مستقلّة بذاتها، قال ابن تيمية: « فإنّهم مُتفقون على أن ما جاء به الرّسول ﷺ لا تدركه كلّ النّاس بعقولهم، ولو أدركوه بعقولهم لاستغنوا عن الرّسول ³ ».

ب- الموقف من قاعدة التّصويب والتّحطّئة في العقيدة: يشتمل القرآن على ثلاثة أمور: توحيد وعقائد، توجيهات وأحكام، وقصص ومواعظ، وهي أمور ليست على حدّ سواء مع قاعدة التّصويب والتّحطّئة، وقد كان هذا التّفريق مذهباً للعلوانيّ إلى حين، فهذا هو يقول في آخر مُراجعاته: « اعتبرت أنّ المسائل الاعتقاديّة لا مجال للاجتهاد فيها، وتبيّنت في ذلك موقف الجمهور، في حين أنّ الجاحظ (توفي: 255هـ)، وعبيد بن الحسن العنبري (توفي: 168هـ) ⁴، وغيرهما من المعتزلة، كانوا يرون أنّ الاجتهاد لا ينحصر في الأمور الفروعيّة والعمليّة، بل يتعدّها إلى بعض المجالات الاعتقاديّة،

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 16.

2 المرجع السابق، ص: 19.

3 ابن تيمية، درء تعارض العقل مع النّقل، مرجع سبق ذكره، ج 05، ص: 297.

4 عبيد الله العنبري: هو عبيد بن الحسن بن الحصين بن مالك بن تميم التّميمي العنبري الفقيه، كان قاضي البصرة، سمع من داود بن أبي هند، وخالد الحذاء، وغيرهما، روى عنه عبد الرّحمن بن مهدي، وخالد بن الحارث، ومحمّد بن عبد الله الأنصاري، ومعاذ بن معاذ، قال عنه محمّد بن سعد: كان محموداً، ثقة، عاقلاً، روى له مسلم في صحيحه، ومن غرائب أنّه يجوز التّقليد في العقائد والعقليّات، وخالف في ذلك العلماء كافّة. توفي سنة 168هـ. ينظر: التّووي، تهذيب اللّغات، مرجع سبق ذكره، ج 01، ص: 441. والذهبي، ميزان الاعتدال، مرجع سبق ذكره، ج 03، ص: 05.

وأجروا في ذلك قاعدة كليّة "قاعدة التصويب، والتّخطة" وهو مذهب يستحقّ الدّرس، والعناية في زماننا هذا، للحدّ من اتّجاهات التّكفير السّائدة من بعض الفئات، والأحزاب الإسلاميّة.

ومن ثمّ فإنّ المذهب الذي نُسب إلى العنبريّ والجاحظ، ومن إليهما - وإن هاجمه الجمهور - مذهب يستحقّ أن يُنظر فيه، وأن يُدرس بعناية¹.

وتنصّ هذه القاعدة على: « الاعتقاد بإمكان خطأ المجتهد في اجتهاده وعدم إصابته الأحكام الشرعيّة الواقعيّة التي لا تتأثّر باجتهاد المجتهدين واستنباطهم؛ لاشتراكها بين العالم والجاهل، ويُقابله التصويب الذي يعني الاعتقاد بإصابة المجتهد وتعدّد الأحكام بعدد ما يتوصّل إليه المجتهدون في اجتهادهم². »

وبعبارة أبسط، التّخطة معناها إمكان خطأ المجتهد في اجتهاداته، والتصويب معناه عدم إمكان خطئه، وحين ننظر إلى الصّحابة والتّابعين ومن بعدهم ﷺ نجد الاجتهاد يشمل المجالين الفقهيّ والعقديّ، ونجد أنّ أكثر اختلافاتهم إنّما هي في المسائل الفقهيّة العمليّة، واختلافهم في المسائل العقديّة قليل جدّاً، يقول ابن حزم (توفي: 456هـ): « فأكثر افتراق أهل السنّة في الفتيا ونبد يسيرة من الاعتقادات³ »، ومسائل الاعتقاد أو العقليّات أو المسائل العلميّة على أنواع: »

النوع الأوّل: ما كان منها قطعاً كمسائل الإيمان بالله وبرسوله وصفاته والإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر خيره وشره، والجنّة حقّ والنار حقّ والكرسيّ حقّ والصّراط حقّ. فهذه المسائل الحقّ فيها، فمن أصابه أصاب الحقّ، ومن أخطأه فهو كافر⁴.

النوع الثّاني: مثل مسألة الرّؤية⁵، وخلق القرآن، وخروج الموحّدين من النّار، وما يُشابه ذلك، فالحقّ فيها واحد، فمن أصابه فقد أصاب، ومن أخطأ فهو مبتدع فاسق، لأنّه عدل عن الحقّ وضلّ،

1 طه جابر العلواني، من أدب الاختلاف إلى نبد الخلاف، مرجع سبق ذكره، ص: 16 - 17.

2 المرادوي، مقدّمة التّحجير شرح التّحرير في أصول الفقه الحنبليّ، دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن عبد الله الجبرين وغيره، (د.ط، مكتبة الرشد للنشر والتّوزيع، الرياض، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1421هـ - 2000م)، ج08، ص: 3932. ومحمّد رمضان المظفر، أصول الفقه، (ط02)، مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، لبنان، 1410هـ - 1990م)، ج03، ص: 133.

3 ابن حزم، الفصل بين الملل والأهواء والنحل، تحقيق: محمّد إبراهيم نصر وعبد الرّحمن عميرة، (ط02)، دار الجليل، بيروت، لبنان، 1416هـ - 1996م)، ص: 26 - 27.

4 الشّوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، مرجع سبق ذكره، ج02، ص: 227.

5 وهي رؤية الله ﷻ في الآخرة من قبل المؤمنين، ووقع فيها الخلاف فأثبتها أهل السنّة والجماعة بأدلة من القرآن والحديث، ونفاها المعتزلة، بأدلة عقليّة وتأوّل للآيات الشّريفة. ينظر: أبو حسن الحسن الأشعريّ، الإبانة عن أصول الديانة، مصدر سبق ذكره، ص: 38. واللمع في الردّ على أهل الزيغ والبدع، تحقيق: حسن الشّافعيّ، (ط01)، دار الحكماء للنشر، القاهرة، مصر،

وقيل يكفر»¹.

النوع الثالث: المسائل الفرعية العقدية كصفة الكرسي، وأيهما أسبق الميزان أو الحوض، مسألة رؤية الرسول ﷺ ربه ليلة المعراج، وتعذيب الميت ببكاء أهله عليه.²

ولا خلاف بين علماء الإسلام في وقوع الخطأ في أحكام العقل النظري³، إلا عند عُبيد الله بن الحسن العنبري⁴، سواء لم يكن لها ارتباط بالأحكام الشرعية كالاعتقاد بإمكان إعادة المعدوم وعدم إمكان إعادته، أو كان لها ارتباط كالاعتقاد بإمكان اجتماع الأمر والنهي وعدم إمكانه؛ لعدم معقولية إمكان شيء وعدمه معاً في آن واحد، لاستلزامه اجتماع الإمكان والامتناع في مورد واحد، وهو غير معقول.⁵

وأما عُبيد الله العنبري (توفي: 168هـ) وقوله بالتصويب في أحكام العقل النظري فقد ردّ عليه الآمدي (توفي: 631هـ) بأنه: «إن أراد بالإصابة موافقة الاعتقاد للمعتقد فقد أحوال وخرج عن المعقول... وإن أراد بالإصابة أنه أتى بما كُلف به مما هو داخل تحت وسعه وقدرته من الاجتهاد وأنه غير آثم، فهو ما ذهب إليه الجاحظ، وهو أبعد عن الأول في القبح، ولا شك أنه غير محال عقلاً، وإثماً النزاع في إحالة ذلك وجوازه شرعاً»⁶، وقد نقل ابن الحاجب الإجماع على هذا فقال: الإجماع

1442هـ - 2021م)، ص: 165 - 170. والباقلاني، الإنصاف في ما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، (ط2، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، مصر، 1421هـ - 2000م)، ص: 45 - 46. وخالد بن عبد الله بن محمد المصلح، شرح العقيدة الواسطية من كلام شيخ الإسلام بن تيمية، (ط1، دار ابن الجوزي، الدمام، المملكة العربية السعودية، 1421هـ - 2001م)، ج1، ص: 121.

1 الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، مرجع سبق ذكره، ج2، ص: 227.

2 ابن تيمية، مجموع الفتاوى، مصدر سبق ذكره، ج19، ص: 123.

3 ينظر: الغزالي، المستصفى من علوم أصول الفقه، مصدر سبق ذكره، ج: 02، ص: 209. وعلاء الدين عبد العزيز بن أحمد البخاري، كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البيروني، (ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ - 1997م)، ج04، ص: 24-25. والآخوند الخراساني، كفاية الأصول، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، (ط1، مطبعة مهر، قم، إيران، 1409هـ)، ص: 468، محمد سرور ومحمد كاظم خوانساري، مصباح الأصول، (ط1، مطبعة النجف، النجف، العراق، 1386هـ - 1965/1966م)، ج03، ص: 444.

4 نسبه إليه الغزالي في المستصفى. ينظر: الغزالي، المستصفى من علوم أصول الفقه، مصدر سبق ذكره، ج: 02، ص: 209. والآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، مصدر سبق ذكره، ج03، ص: 409.

5 أبو القاسم الخوئي، مصباح الأصول، مرجع سبق ذكره، ج03، ص: 444.

6 الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، مصدر سبق ذكره، ج03، ص: 409 - 410.

على أنّ المصيب في العقليّات واحد¹، خلافاً للجاحظ والعنبري في هذه المسألة²، وأشار بعضهم إلى أنّهما محجوبان بالإجماع قبلهما وبعدهما، وفي قولهما خروج عن حيّز العقلاء.³

فمن أي وجه رأى العلواني أنّ هذه القاعدة تستحقّ أن يُنظر فيها ؟ بل وأن تُدرس بعناية ! نقل ابن القيم (توفي: 751هـ) عن أبي عمرو بن الصّلاح (توفي: 643هـ) أنّه قال: « ومن تتبّع ما اختلف فيه العلماء، وأخذ بالرّخص من أقاويلهم: تزندق؛ أو كاد⁴، فهذا قيل فيمن تتبّع اختلافات العلماء ورخصهم، فكيف بمن تتبّع زلات أهل البدع ودرس باطلهم واعتنى بإحيائه بعد اندثاره ؟ وهو مع هذا كلّه مُخالف للإجماع !

ت- ردّ الحديث عند ظنّ تعارضه مع ظاهر القرآن: للمعتزلة رأي مُخالف في التّعامل مع السّنّة النبويّة بما ينسجم وأصولهم الفكريّة، فما كان مُوافقاً لها أخذوا به سواء أكان في الصّحيحين أو في غيرهما، وما كان مخالفاً لها أسقطوه، وعليه فليس للصّحيحين خصوصية معيّنة عندهم، وهم قد يذكرون حديث الصّحيحين على أنّه من أقوى أدلّة خصومهم، ويرفضون كلّ ما يصطدم مع أصولهم الخمسة ولا يقبلونه، بل إنّ الاعتداء على السّنّة وإنكار حجّيتها، والتّعدي على مكانتها من التشريع الإسلاميّ، من أهمّ القواعد الاعتزاليّة التي فرضت على أصحابها نهجاً مُعيّناً في النّظر إلى نصوص الشّريعة ليتمكّنوا من إثباتها⁵ وأهمّ معيار في رفض أحاديث الصّحيحين عند المعتزلة هو اصطدام قياس الغائب على الشّاهد بهذه الأحاديث⁶، ومن هذا النهج في التّعامل مع السّنّة إنكار غالب ما ورد من حديث عن رسول الله ﷺ بدعوى أنّها أحاديث آحاد.

1 شمس الدّين الأصفهانيّ، بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، تحقيق: محمّد مظهر بقا، (ط01، دار المدني للطباعة والنّشر والتّوزيع، جدّة، السّعودية، 1406هـ - 1986م)، ج03، ص: 304.

2 شمس الدّين الأصفهانيّ، بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، مرجع سبق ذكره، ج03، ص: 304. ويحي بن موسى الرّهونيّ، تحفة المسؤول في شرح مختصر منتهى السّؤل، دراسة وتحقيق: يوسف الأخضر القيم، (ط01، دار البحوث للدراسات الإسلاميّة وإحياء التّراث، دبي، الإمارات العربيّة المتّحدة، 1422هـ - 2002م)، ج04، ص: 254.

3 علي بن عبد الكافي السّبكيّ وولده عبد الوهّاب السّبكيّ، الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول لعلم الأصول، (ط01، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1404هـ - 1984م)، ج03، ص: 257. بتصرّف يسير.

4 ابن القيم، إغاثة اللّهبان من مصائد الشّيطان، مرجع سبق ذكره، ج01، ص: 228.

5 ينظر: القاضي عبد الجبار وأبو القاسم البلخيّ والحاكم الجشميّ، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تحقيق: فؤاد سيّد، (ط02، الدّار التّونسية للنّشر، تونس، والمؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1406هـ - 1986م). وابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، مصدر سبق ذكره، ص: 276.

6 قال الجرجانيّ (توفي: 392هـ): هنا طريقتان ضعيفان يسلكهما بعض المتكلمين في إثبات مطالبهم العقليّة... الطّريق الثّاني من دئيك الطّريقين الضّعيفين: قياس الغائب على الشّاهد، وإنّما يسلكونه إذا حاولوا إثبات حكم لله سبحانه، فيقيسونه على (222)

ولطه جابر العلواني منهج عقلي في الاعتداء على السنة وإنكار حجيتها والتعدي على مكانتها من التشريع الإسلامي، وهو يردّ أحاديث في الصحيحين فضلاً عن أحاديث الآحاد إذا كانت لا تقرّ له بما أَرادَه، فما كان منه إلا أن ردّها بزعم معارضتها للقرآن وللعقل، كما سيأتي بيانه في مبحث خاص.

ث- الموقف من الصحابة رضي الله عنهم: لم يكن عند المعتزلة حرج في الطعن في الصحابة رضي الله عنهم بل وفي أمّهات المسلمين، يقول مصطفى السباعي (توفي: 1384هـ): «ومنه نرى أنّ المعتزلة ما بين شاكّ بعدالة الصحابة منذ عهد الفتنة ك(واصل)، وما بين مُوقن بفسقهم ك(عمرو بن عبید)، وما بين طاعن في أعلامهم، مُتهم لهم بالكذب والجهل والنفاق ك(النظام)، وذلك يُوجب ردّهم للأحاديث التي جاءت عن طريق هؤلاء الصحابة بناءً على رأي واصل وعمرو ومن تبعهما»¹، ويقول رأس المعتزلة وإمامهم واصل بن عطاء (توفي: 131هـ): «فلو شهدت عندي عائشة، وعليّ، وطلحة، على باقة بقل، لم أحكم بشهادتهم»².

ولطه جابر العلواني مع الصحابة رضي الله عنهم مواقف عامّة، منها ما تعلّق بمسألة عدالتهم، فهو عند التطرّق لها في كتابه "إشكالية التعامل مع السنة النبوية" نقل جميع الأقوال لأهل السنة، والزيدية، والشيعة، وغيرهم، نقلها على اختلافها وتصادمها! ثم لم يرجّح منها قولاً، ولم يؤثّق الصحابة رضي الله عنهم، ولا هو كشف عمّا يراه موقفاً شخصياً له، بل اكتفى بإتباع ذلك بنقل كلام لابن حزم يُثبت إيمان الصحابة لا عدالتهم³، وكلام ابن حزم فيه ردّ على الخوارج والشيعة وغيرهم من الفرق التي حكمت بكفر الصحابة رضي الله عنهم، ولا يُعتبر ردّاً على من طعن في عدالهم، ولو أنّ العلواني اكتفى بنقل كلام أهل السنة لكان فيه العناية عن بقيّة الأقوال، بما فيها الكشف عن رأيه، أو لو أنّه نقل الإجماع على عدالة

الممكنات قياساً فقهياً، ويُطلقون اسم الغائب عليه تعالى لكونه غائباً عن الحواس، ولا بُدّ في هذا القياس بل في القياس الفقهّي مُطلقاً من إثبات علة مشتركة بين المقيس والمقيس عليه، وهو -أي هذا الإثبات- بطريق اليقين مُشكّل جدّاً؛ لجواز كون خصوصيّة الأصل الذي هو المقيس عليه شرطاً لوجود الحكم فيه، أو كون خصوصيّة الفرع الذي هو المقيس مانعاً من وجوده فيه، وعلى التّقديرين لا يثبت بينهما علة مشتركة. ينظر: الجرجاني، **المواقف للإيجي مع شرح الجرجاني**، مرجع سبق ذكره، ج01، ص: 186، 189-190.

1 مصطفى السباعي، **السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي**، (ط02)، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1396هـ - 1976م)، ص: 140.

2 **الذهبي، ميزان الاعتدال**، مرجع سبق ذكره، ج04، ص: 329.

3 نصّ كلام ابن حزم المنقول هو: نقول بفضل المهاجرين الأولين بعد عمر بن الخطاب ... ثمّ بعد هؤلاء أهل العقبة "الأنصار الذين بايعوا بيعة العقبة"، ثمّ أهل بدر، ثمّ أهل المشاهد مشهداً مشهداً، وأهل كلّ مشهد أفضل من المشهد الذي بعده حتّى يبلغ الأمر إلى الحديبية، فكلّ من تقدّم ذكره من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم إلى تمام بيعة الرضوان، فإنّنا نقطع على غيب قلوبهم أنّهم كلّهم مؤمنون. ينظر: طه جابر العلواني، **إشكالية التعامل مع السنة النبوية**، مرجع سبق ذكره، ص: 340 - 341.

الصَّحابة لكان قد أتى بالمطلوب، قال الجويني (توفي: 478هـ): « فَإِنَّ الْأُمَّةَ مُجْمَعَةٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يَسُوغُ الِامْتِنَاعُ عَنْ تَعْدِيلِ جَمِيعِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وما ذكره هذا السائل يُوجب التَّوَقُّفَ فِي تَعْدِيلِ كُلِّ نَفَرٍ مِنَ الَّذِينَ لَا يَسُوغُوا الْفِتْنُ وَخَاضُوا الْمَحَنَ، وَمَتَضَمَّنَ هَذَا: الْإِنْكَفَافُ عَنِ الرَّوَايَةِ عَنْهُمْ، وَهَذَا بَاطِلٌ مِنْ دِينِ الْأُمَّةِ، وَإِجْمَاعِ الْعُلَمَاءِ ».¹

ومنها موقفه من مسألة ضبط الصحابة، حيث نقل جواز وقوع النسيان منهم لبعض الأحاديث، وهذا أمر مسلم به، ولا يُعتبر قدحاً فيهم ﷺ، فالعصمة للأنبياء فقط، ثم عَقَّبَ بعبارة واحدة لم يزد عليها: « فَإِذَا كَانَ هَذَا حَالُ الصَّحَابَةِ فَكَيْفَ بغيرهم »²، ولا وجه لهذه العبارة ههنا، فغير الصحابة من رواة الحديث حالهم معروف، فهم كلهم خضعوا لنقد علم شهد بتفوقه البعيد قبل القريب، والعدو قبل الصديق، حتى قال أحد المستشرقين المنصفين: « إِنَّ الدُّنْيَا: لَمْ تَرِ وَلَنْ تَرَى أُمَّةً مِثْلَ الْمُسْلِمِينَ! فَقَدْ دُرِسَ بِفَضْلِ عِلْمِ الرِّجَالِ الَّذِي أَوْجَدُوهُ حَيَاةَ نِصْفِ مِلْيُونِ رَجُلٍ »³، فهل تأتي الشهادة بفضل علم الرجال من البعيد، ويُورد التشكيك ممن ينتسب للعلم الشرعي والتجديد؟!

والعلواني تبني ضد معاوية ﷺ موقفاً خاصاً؛ فهو نسب لمعاوية ﷺ نشر الجبر لحفظ ملك بني أمية! وكتب مُعلِّقاً على ثورة تونس الأخيرة: « من سيهرب بعد ابن عليّ [يقصد الرئيس التونسي زين العابدين بن عليّ] من الديكتاتوريين الذين احترق الشعب العربي ولادتهم وتصنيعهم منذ عهد معاوية بن أبي سفيان وولده يزيد »⁴، وهو بهذا القول وافق الشيعة والمعتزلة وخالف السواد الأعظم من السنة، فنحن أمام صحابيٍّ جليلٍ وحاكمٍ خيرٍ قال عنه ابن عمر ﷺ: « ما رأيت بعد رسول الله ﷺ أسود [أعلم بأمور السيادة والحكم] من معاوية، فقليل: ولا أبوك؟ قال: أبي عمر رحمه الله خير من معاوية، وكان معاوية أسودَ منه ».⁵

1 الجويني، البرهان في أصول الفقه، تحقيق: صلاح محمد عويضة، (ط01، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1418هـ - 1998م)، ج01، ص: 241.

2 طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنة النبوية، (ط01، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، 1435هـ - 2014م)، ص: 343. بتصرف.

3 مصطفى صبري، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، (ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1401هـ - 1981م)، ج4، ص: 59.

4 طه جابر العلواني، تأملات في الثورات العربية، (د.ط، مركز صناعة الفكر للدراسات والأبحاث، القاهرة، مصر، 2011م)، ص: 11.

5 الخلال، السنة، مرجع سبق ذكره، ج02، ص: 442. وابن عساكر، تاريخ دمشق، مرجع سبق ذكره، ج59، ص: 173.

وكان يجدر بمن اختار طريق إعادة صياغة الأمة والسعي للدفع بها إلى آفاق أرحب أن يحفظ لمعاوية رضي الله عنه حقه؛ وأن يحفظ للدولة الأموية حقها، تلك الدولة التي حققت إنجازات كبرى في مجالات الفكر والعلم والأدب، وشهدت قفزات هائلة في مجال الفتوحات ونشر الإسلام، وقدمت شخصيات فذة في ميدان الحرب والسياسة والإدارة، وقادت الأمة أكثر من تسعين عاماً بحدود ممتدة من الصين إلى فرنسا.

ج- الموقف المتعسف مع علماء الحديث: للمعتزلة موقف متعسف مع علماء الحديث ومنهجهم، وهم قد هاجموا حملة الحديث وطعنوا بهم، ولم يثقوا بمنهجهم، حيث رماهم الجاحظ بالتقليد واثمهم بالتكسب، وقلة الورع والزهد، ولم يرض عن منهجهم في التعامل مع السنة، وفي هذا يقول: « ولو كانوا يروون الأمور مع عللها خفت المؤنة، ولكن أكثر الروايات مجردة، وقد اقتصروا على ظاهر اللفظ دون حكاية العلة »¹، وأكثر ما تجلّى عدم الثقة بمنهج المحدثين والطعن بهم عند أبي القاسم الكعبي البلخي [توفي: 319هـ]²، حيث عقد كتاباً كاملاً أسماه: "قبول الأخبار ومعرفة الرجال"، طعن فيه بالمحدثين ومنهجهم في قبول الحديث وردّه، وعند الحاكم الجشمي (توفي: 493هـ)³ الذي حمل بشدة على المحدثين فقال عنهم: « هؤلاء يُسمّون أنفسهم بأنهم أصحاب الحديث، وأثم أهل السنة والجماعة، وهم بمعزل من ذلك، وليس لهم مذهب معروف ولا كتاب يُعرف منه مذاهبهم إلا أنهم مُجمعون على الجبر والتشبيه، ويدّعون أن أكثر السلف منهم، وهم براءٌ

1 ينظر: محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، مرجع سبق ذكره، ص: 128. والجاحظ، كتاب الحيوان، مصدر سبق ذكره، ج 01، ص: 339. وهذا التقدير هو الذي دفع ابن قتيبة [توفي: 276هـ] المعاصر للجاحظ إلى تأليف كتابه "تأويل مختلف الحديث"، وهو كتاب جاء ردّاً على رسالة تُظهر نقد المعتزلة للمحدثين، يقول ابن قتيبة في مقدّمة كتابه: أما بعد أسعدك الله بطاعته ... فإنك كتبت إليّ تُعلمني ما وقفت عليه من ثلب أهل الكلام أهل الحديث وامتھانهم وإسھابهم في الكتب بذهمهم، ورميهم بحمل الكذب ورواية المتناقض ... الخ. ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، تحقيق: محمد محي الدين الأصفر، (ط 02، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ومؤسسة الإشراف، الدوحة، قطر، 1419هـ - 1999م)، ص: 47.

2 عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي: هو أبو القاسم، يُعدّ شيخاً من شيوخ المعتزلة، له مقالات انفرادية بها، وقد عرفت عند أهل هذا الفن بـ "الكعبيّة" نسبة له، اهتمّ بعلوم الطبيعة والتاريخ والتفسير، والبحث عن أصل اللغة، والعروض، توفي سنة 319هـ بعد أن شغلت مؤلفاته مفكر عصره. ينظر: رشيد الخيون، معتزلة البصرة وبغداد، (ط 01، دار الحكمة لندن، بريطانيا، 1997م)، ص: 208، 290 - 300. ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، (ط 03، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، 1406هـ - 1986م)، ج 03، ص: 255.

3 هو الإمام الحاكم أبو سعد بن محمد بن كرامة الجشمي البيهقي الزيدي المعتزلي، ينتهي نسبه إلى محمد بن الحنفية بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولد سنة 413هـ، ونشأ بإقليم خراسان، من أبرز شيوخه القاضي عبد الجبار، من آثاره التهذيب في التفسير، عيون المسائل، وغيرهما، مات مقتولاً بمكة سنة 494هـ. ينظر: عدنان زرزور، الحاكم الجشمي المعتزلي ومنهجه في التفسير، (د. ط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د. س. ط)، ص: 65 - 120. باختصار.

من ذلك، ويُنكرون الخوض في الكلام والجدل، ويُعولون على التقليد وظاهر الروايات ... ولهم ترهات كثيرة ومن رجالهم ... أحمد بن حنبل ويحيى بن معين¹، وعدم الثقة بالمحدثين والزهد في علمهم ومنهجهم وُجد عند طه جابر العلواني كذلك، وسيأتي بيان ذلك.

فالْحاصل هو أنَّ العلوانيَّ اصطبغ بالصبغة الاعتزالية في جوانب عدّة، ويرجع ذلك لإنزاله العقل فوق منزلته، وإحاطته بتلك الهالة المزيّقة من التقديس والتعظيم والتّمجيد، وتعظيمه وتقديمه حيث يُطلب الانقياد والتّسليم، مع تأثره الواضح بالفكر العقلانيّ الحديث المتحرّر، ومُصاحبتة لأربابه وأهله في المعهد العالمي للفكر الإسلاميّ، كلّ ذلك خلق عنده آراء عقلية تزعم تطوير الدّين الإسلاميّ، والاقتراب به من مُواكبة الأمم والحضارة العصريّة.

02- طه جابر العلواني والاتّجاه العقلانيّ المعاصر: الاتّجاه العقلانيّ الإسلاميّ المعاصر هو

ذلك الاتّجاه الذي يقدّم العقل -في الجملة- على نصوص الشّرع عند توهم التعارض، يدعو إلى التّحديد والنّظر في الأحكام الشرعيّة حسب مُقتضيات العصر الحديث، وأصحاب هذا الاتّجاه هم ممّن يتبنّون المرجعيّة الإسلاميّة في الجملة.²

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ أصحاب الاتّجاه العقلانيّ المعاصر منهم من تشعر أنّ ما يقوم به صادر عن صدق نيّة ورغبة جادة في إحياء الدّين الإسلاميّ، ولكنّ التّوجّهات الفكرية الجديدة وتعظيم العقل عوامل أوقعتهم في الخطأ واضطراب التّصورات، ولعلّ الحماسة الزائدة وتعجّل القطاف سبب لاختصار أو تغيير أساليب الدّعوة والإصلاح حسبما يراه العقل البشريّ مناسباً وعمليّاً، وكان الأجدر تحديد مجالات استخدام العقل ومعرفتها، إذ أنّ عمله خارج مجالاته يُعرّضه للخطأ والزّيف والتّخبّط، فليس كلّ ميدان يُدركه العقل الذي مهما بلغ فإدراكه محدود يعتريه القصور في جانب من الجوانب، ولو كمل عقل أحدٍ ما أخطأ قطّ، وهذا محال عقلاً ونقلاً، فكلّ ابن آدم خطّاء.

ومتى ظلّ ظانّ بعقله القاصر وجود تعارض بين النّصّ الشرعيّ والعقل، أو ما يُسمّى بالحقيقة العلميّة، فَمَرَدُّ ذلك إلى أحد أمرين: إمّا فساد دلالة ما احتجّ به من النّصّ، إمّا بأن لا يكون ثابتاً عن المعصوم، أو لا يكون دالّاً على ما ظنّه، أو فساد دلالة به من القياس -سواء كان شرعيّاً أو عقليّاً-

1 الحاكم الجشميّ، عيون المسائل في الأصول، تحقيق ودراسة: رمضان يلدرم، (ط01، دار الإحسان للنشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، د.س.ط)، ص: 90.

2 ناصر العقل، الاتّجاهات العقلانيّة الحديثة، (ط01، دار الفضيلة، الرياض، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1422هـ - 2002م)، ص: 19. وعبد الرّحمن الرّبيديّ، مصادر المعرفة في الفكر الدّيني والفلسفيّ، (ط01، مكتبة المؤيّد، الرياض، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1412هـ - 1992م)، ص: 31.

بفساد بعض مُقدّماته أو كلّها لما يقع في الأقيسة من الألفاظ المحملة المشتبهة¹، وإذا كان الأمر كذلك، فإذا علم الإنسان بالعقل أنّ هذا رسول الله ﷺ، وعلم أنّه أخبر بشيء، ووجد في عقله ما يُنازعه في خبره، كان عقله يُوجب عليه أن يُسلّم موارد النزاع إلى من هو أعلم منه²، والأعلم من العقل هو الله ﷻ ورسوله ﷺ.

وعن أنواع العقل يقول ابن القيم (توفي: 751هـ): «العقل عقْلان، عقل غريزيّ طبعي، وهو أبو العلم ومُربيّه ومُثمره، وعقل مُكتسب مُستفاد، وهو ولد العلم وثمرته ونتيجته، فإذا اجتمعا في العبد فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، واستقام له أمره، وأقبلت عليه جيوش السعادة من كلّ جانب، وإذا فقد أحدهما أو انتقص، انتقص صاحبه بقدر ذلك»³.

ويُمثّل طه جابر العلواني امتداداً لمدرسة التجديد الدّينيّ -تجديد الفكر الإسلاميّ-⁴ التي وضع بذرتها في مصر منذ أكثر من مائة عام جمال الدّين الأفغاني (توفي: 1315هـ)، وسعى في نشرها تلميذه محمّد عبده (توفي: 1323هـ)، وما من فكرة دينيّة شاذّة تتعلّق بأصول الإسلام العقديّة والعملية برزت منذ ذلك التاريخ إلّا ونجد لها ارتباطاً -كبر أو صغر- بتلك المدرسة! وعلاقة العلوانيّ بهذه المدرسة يمكن معرفتها من خلال مدحه شيوخها وعدّه لهم في صفوف المُجدّدين، إضافة لترديده أفكارهم التي عُرفوا بها، وهي في جملتها تدور حول رميهم للسّابقين من العلماء بالجمود الفكريّ، والتّقليد والتّعصّب، وأنّ الأمّة تحتاج كي تنهض إلى فتح باب الاجتهاد الذي أغلقه السّابقون! كما أنّه يُردّد نتائج اجتهادات أولئك المُجدّدين، سواء في العقائد، كإنكار بعض الأحكام التي اتّفق عليها علماء العقيدة مثل رفع عيسى حيّاً ونزوله آخر الزّمان كعلامة من علامات السّاعة، ومجيء المهديّ، وغيرها، لذا عاش يدعو إلى المراجعات وتبنيّ مناهج جديدة في كلّ ما هو من الشّريعة!

ومع أنّ طه جابر العلوانيّ ليس بالذي يُمكن رميه بالعلمانيّة إلّا أنّ فكره الخاصّ وفكر المعهد العالميّ للفكر الإسلاميّ ككلّ، شكّلا حلقة وصل بين العلمانيّة الغربيّة والعالم الإسلاميّ.

1 عابد السّفياني، الثّبات والشّمول في الشّريعة، (ط01، مكتبي المنارة، مكّة المكرّمة، المملكة العربيّة السعوديّة، 1408هـ)، ص: 136 - 146.

2 ابن تيميّة، درء تعارض الثّقل مع العقل، مرجع سبق ذكره، ج01، ص: 141. وابن أبي العزّ الحنفّي، شرح العقيدة الطّحاويّة، مصدر سبق ذكره، ص: 219.

3 ابن القيم، مفتاح دار السّعادة، (د.ط، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، د.س.ط)، ص: 117. بتصرّف يسير.

4 تشكّل عبارة تجديد الفكر الإسلاميّ عنواناً بارزاً لدى مدرسة التّجديد العصريّة، للمزيد يُنظر المؤلّفات التّالية: "تجديد الفكر الإسلاميّ" لحسن التّراي، و"أين الخطأ" لعبد الله العليّلي، و"حوار لا مواجهة" لأحمد كمال أبو المجد، و"معالم المنهج الإسلاميّ" و"الإسلام وقضايا العصر" لمحمّد عمارة، ومؤلّفات طه جابر العلوانيّ، وغيرها من الكتب.

03- موقف العلواني من المدارس الحداثيّة في دعوى تاريخيّة النصّ القرآني¹: يقول طه

جابر العلواني: « وقد حاولت ذلك مع أركون ومع الجابريّ ومع نصر أبو زيد وأخيراً مع المهندس محمّد شحرور، ولم أجد الاستجابة المتوقّعة من أيّ منهم ولكلّ منهم أسبابه !! وأخشى على جهودهم أن تضيع في التفكير المجرد²، ومن هنا؛ انتقد طه جابر العلواني موقف المدارس الحداثيّة في دعوى تاريخيّة النصّ القرآنيّ، ورأى أنّ جميع المدارس الحداثيّة في موقفها من النصّ القرآنيّ خلطت خلطاً شديداً، وأخطأت في التفريق بين لسان القرآن واللسان العربيّ، وآمنت بفكرة التّأليف البشريّ للنصّ القرآنيّ، مُعتبرين القرآن الكريم مُنتجاً ثقافياً عربياً ! لذلك قادهم هذا التّصوّر الخاطي إلى القول بتاريخيّة النصّ القرآنيّ أي ارتباطه بفترة تاريخ نزوله، وأنّه لا علاقة للأجيال التي جاءت بعد تلك الفترة بالقرآن الكريم، وما كان عليهم أن يستمسكوا به؛ لأنّهم غير مخاطبين به أصلاً.

والادّعاء السابق الذّكر شبهة قديمة تطرّق إليها علماء أصول الفقه بعناوين مختلفة منها: "خطاب المعلوم"³، فنحن لم نكن موجودين في عصر الرّسالة، بل وُلدنا ونشأنا بعده، فهل يشملنا خطاب عصر الرّسالة أو لا يشملنا ؟ فالقائلون بالتّاريخيّة يرون أنّ جميع المسلمين بعد عصر النّبيّ ﷺ تبنّوا الإسلام على سبيل الخطأ، فهم غير مطالبين به، وليسوا مخاطبين بآياته، فلم يكفهم أنّهم نفّوا عالميّة الخطاب القرآنيّ والرّسالة الحمديّة له ﷺ، بل حصّروه في تاريخه أي تاريخ نزوله؛ لأنّهم تعلّموا أنّه لا بدّ من قراءة ذهن المؤلّف، ومعرفة لحظة الخطاب ومكانه، وما كان يدور في ذهن مؤلّفه، وثقافة الذين خوطبوا به، وما إلى ذلك ممّا هو مذكور في تلك المعارف التي أوجدت لدراسة نصوص الإنجيل والتّوراة أو ما يُسمّونه بالعهدين القديم والجديد المقدّسين !

فكلّ ما فعله أركون وشحرور وأبو زيد والطّيّب تزيني وغيرهم هو إسقاط ما تعلّموه على هذا الكتاب الكريم، وتوهّموا ما توهّموه، وكان كلّ همّهم أن يجعلوا القرآن نسبياً لا مطلقاً، وأنّه من تأليف

1 للاطّلاع أكثر ينظر: نصر حامد أبوزيد، نقد الخطاب الدّيني، ومفهوم النصّ دراسة في علوم القرآن، ومحمّد أركون، الإسلام، أوروبا، الغرب، رهانات المعنى وإرادات الهيمنة، والقرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الدّينيّ، ومؤلّفات محمّد عابد الجابريّ، ومحمّد شحرور، والطّيّب تزيني، وغيرها من المؤلّفات الحداثيّة.

2 القرآن الكريم والقراءات المعاصرة، طه جابر العلواني، دار المنظومة (مجلّة الكلمة، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، لبنان، 2011م)، ص: 139 - 146، <http://search.manadumah.com/record/760184>.

3 خطاب المعلوم هو الخطاب الموجه إلى الحاضرين، ويدخل فيهم غيرهم. نحو قوله ﷺ: ﴿يَبْنَىءُ آدَمَ قَدْ أَرْزَلْنَا عَلَيْكَ لِسَانَ يُورِي سَوْءَكُمْ وَرِيشًا وَلِيَأْشُ الْقَوِيُّ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ [الأعراف: 26]، فإنّه خطاب لأهل ذلك الزّمان، ولكلّ من بعدهم. ينظر: البرهان في علوم القرآن للزّركشي، (252/02). والإتقان في علوم القرآن للسيوطي، (115/03).

النبي ﷺ وليس كلام الله النازل على قلبه، فهي اتجاهات كنسيّة وتلموديّة، أسقطت على القرآن الكريم من قبل هؤلاء المترجمين.¹

رابعاً: الاعتماد على مصادر التفسير: إذا تأملنا في الشروط الثلاثة الأولى وجدناها مُوصلة للشّروط الرابع، فصحة العقيدة مع حسن القصد والسلامة من اتّباع الهوى تدفع المفسّر إلى الحرص على صحة مصادره التي يرجع إليها، ونوع المصدر ودرجة اعتماد المفسّر عليه يظهر معهما نوع التفسير الذي اختاره المفسّر، وتعضاه من إحداه أي قول جديد²، أو نقل أي قول باطل، فيبدأ أولاً بتفسير القرآن بالقرآن، ثم يطلب التفسير من السنّة النبويّة فإنّها شارحة للقرآن، فإذا لم يجد من السنّة يرجع لإجماع الصحابة والتابعين رضي الله عنهم، ولا يستغني عن لسان القرآن.

وقد أولى طه جابر العلواني تفسير القرآن جلّ اهتماماته، نظراً لما انتهى إليه من اعتقاد راسخ بضرورة العودة إلى النّبع الصّافي والمعين الأوّل، وبقينه بأنّ القرآن هو المحرك الرئيس لهذه الأمة، وأنّه لا نفوس لها من دون استلهاهم معانيه وهديه في حلّ المشكلات، فسعى إلى التّقريب بين المنهج والمنهجية المعرفية القرآنيّة، وحاول بيان دلالات الألفاظ في القرآن الكريم، وتثوير آياته، وسبر وحدته، بغية مداومة النّظر والتّفكّر والتّدبّر والتّبصّر، ليكون آيات لأولي النّهي والألباب.

وكان واضحاً في مقدّمة تفسيره، فكشف في غير ما موضع منها أنّ القرآن الكريم يُفسّر بعضه بعضاً، وأكّد على ضرورة بيان منهج رسول الله ﷺ الذي لم يزد على تفسير القرآن بالقرآن، والسير على وفق هذا المنهج القويم والنّسج على منواله، « فالقرآن الكريم هو المرجع الأساس في فهم القرآن الكريم ذاته، وفي فهم كلّ ما جاء ليعلّم البشريّة إيّاه، سواء تعلّق بالأحكام أو العبر أو السنن أو القوانين أو بناء الحضارات أو بناء العمران، وتحقيق التّزكية، وتحقيق التّوحيد، وبناء التّصوّر السّليم، وبناء المعتقد الصّحيح، كلّ ذلك تجده في القرآن الكريم ».³

1 ينظر: طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 13. ودعوى تاريخيّة القرآن، طه جابر العلواني، ملتي الانتصار للقرآن الكريم، 2015/03/25، <https://mtafsir.net/threads/>. بتصرف.

2 احتمالات من الأقوال المحدثّة نوعان: الأوّل: القول الحادث الذي تحمله الآية، ولا ينقض قول السّلف بالكلية؛ ويدخل في هذا ما ينقض بعضها دون بعض: هنا يجوز حمل الآية على المعنيين. والثّاني: القول الحادث الذي تحمله الآية لكنّه ينقض أقوال السّلف بالكلية: لا يصح هذا القول الحادث لأنّه يلزم منه أنّ معنى الآية كان مجهولاً عند جميع طبقات الأمّة. ينظر: مساعد الطيّار، التحرير في أصول التفسير، (ط4، مركز الدّراسات والمعلومات القرآنيّة بمعهد الإمام الشّاطبي، جدّة، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1439هـ - 2018م)، ص: 280 - 284. بتصرف.

3 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 45.

وتفسير القرآن بالقرآن خاضع حسب العلواني لمستوى الاتباع الدقيق والسليم لمنهج رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ رسم للصحابة رضي الله عنهم منهج الاتباع بدقة لا مزيد له من خلال تعليمهم تطبيق ما في القرآن الكريم عملياً، ومن خلال تفسير القرآن بعضه ببعض، وهذا هو حد التفسير بالنقل عند العلواني فيقول: « والذين تابعوا منهج رسول الله ﷺ وجدوه دائماً يفسر القرآن بالقرآن، ويُعين الناس على فهمه أدق فهم وأحسنه وأصلحه بهاتين الوسيلتين، تعليمهم العمل به، ولفت أنظارهم إلى أن بعضه يفسر بعضاً، وآياته يفسر كل منها الآيات الأخرى ».¹

فتعليم العمل بالقرآن هو السنّة النبويّة، وتفسير القرآن بعضه بعضاً هو تفسير القرآن بالقرآن، مع طهارة قوى الوعي ووسائل الإدراك لتدبر القرآن بعقل عمليّ لديه معرفة واستعدادات، أي أعمال الرّأي، تلکم هي مصادر التفسير عند طه جابر العلواني، أمّا القرآن والسنّة والرّأي فبَيَّنَّهَا، وأمّا المعرفة والاستعدادات فهي مؤهلات تتجدّد وتتبدّد، ومصادرها في عصرنا لا تكاد تُحصى وتُعدّ.

خامساً: العلم باللغة العربيّة وفروعها: بيان معاني القرآن الكريم بمدلول مفرداته وتراكيبه في لغة العرب من المصادر اللازمة لمن أراد أن يفهم القرآن، والنّظر في كتاب الله تعالى باعتبار هذا المصدر المعرفيّ يكون من وجوه: «

الوجه الأوّل: علم اللّغة اسماً وفعلاً وحرفاً؛ والحروف لقلّتها تكلم على معانيها النّحاة، فيؤخذ ذلك من كتبهم، وأمّا الأسماء والأفعال فيؤخذ ذلك من كتب اللّغة.

والوجه الثّاني: معرفة الأحكام التي للكلمة العربيّة من جهة أفرادها ومن جهة تركيبها؛ ويؤخذ ذلك من علم النّحو.

والوجه الثّالث: كون اللفظ أو التّركيب أحسن وأفصح؛ ويؤخذ ذلك من علم البيان والبدیع.²

وطه جابر العلواني قد بلغ في العلم باللغة العربيّة مبلغاً يُؤهّله - فيما يرى الباحث - لفهم ألفاظ القرآن ومعانيه، فهو درس علوم اللّغة العربيّة دراسة تقليديّة تجمع بين الحفظ والفهم، وتدرّج في ذلك، فاستهلّها بـ "متن الأجرومية" حفظاً ودراسةً، والآجروميّة تُعتبر أساس الدّراسات النّحويّة للمبتدئين في مبادئ علم اللّغة العربيّة، فقد أوجز صاحبها هذا الكتاب في خمسة وأربعين ومئة باب تناولت النّحو، والصّرف، والأصوات، والضّرورات الشّعريّة، وهي مباحث سهلة الحفظ تتعلّق بعلامات الإعراب،

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 18.

2 أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، (د.ط، دار الفكر للطباعة والنّشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1432هـ - 2010م)، ج01، ص: 14 - 15.

وتصريف الأفعال، وإعرابها، وأنواع المعربات من الأسماء، ثم درس "متن قطر الندى وبل الصدى"؛ وهو كتاب يتكوّن من أصل وشرح لنفس المؤلف، فالأصل هو متن قطر الندى وبل الصدى، والشرح هو شرح لنفس المتن، ويتضمّن معظم أبواب النحو بصورة قريبة من كتاب "شذور الذهب في معرفة كلام العرب" من حيث الطرح وترتيب العناوين إلّا أنّه أقلّ منه تفصيلاً، بما يجعله أنسب للقارئ والمتعلّم في أوسط مراحل التعليم، ودرس أيضاً كتاب "شذور الذهب في معرفة كلام العرب" الذي اشتمل على مجمل أبواب النحو، ودرس كذلك "البهجة المرضية"، وكتاب "البهجة المرضية" هو أشهر شروح الألفية على الإطلاق، وأكثرها شيوعاً في الآفاق، وقد اتسم بصعوبة ودقّة بالغة، وخفاء معانيه على أوائل النظّر، لأنّ ألفية ابن مالك كتاب يتعمّق في النحو بشكل أكبر ويُنصح به لمتخصّصي اللغة العربية، ودرس بعض الكتب التي تجمع بين النحو والصرف.

وكلّ ما درسه العلواني في اللغة العربية كان على يد عبد العزيز السامرائي صاحب الباع والصيت الكبير في علوم اللغة العربية، فلاشكّ أنّ العلواني قد تبحّر -مع شيخ مُتخصّص ومُولع باللغة العربية كما تشهد مؤلفاته- في علوم اللغة العربية وتفوّق في ذلك؛ وما تحرّجُه في فترة تقلّ عمّا يستغرقه أقرانه إلّا دليلاً على ذلك.

واعتبر العلواني خطوة بلورة معجم مفاهيمي قرآني من أهمّ خطوات إنجاز تفسيره للوصول لفهم القرآن بوحده البنائية كجملة واحدة، فكلّ المفاهيم التي يتحرّك فيها هذا الخطاب: التفسير، التدبر، الأمة، العمران، الدّعوة، وغيرها، حاضرة كمفاهيم قرآنية أعاد تعريفها، بل إنّ نقد العلواني لما أسماه الآليات التحزيبية مثل النّاسخ والمنسوخ، يقوم أيضاً على فكرة المعجم المفاهيمي القرآني.

إنّ المفهوم القرآني وفقاً لطله جابر لعلواني تمّ سجنه من قبل المفسّرين واللّغويين والفقهاء في دائرة الرّجز والشّعور الجاهليّ من كلام البدو ومنطقهم! وتناقلوا جيلاً بعد جيل، المعنى الضيق الذي التزموا به انطلاقاً من هذه الفرضية الخاطئة القائمة على اعتبار الحاكمية على لسان القرآن للغة العربية، ولقراءة الآيات وكأنّها كيانات مُستقلّة لا رابط بينها، في حين تأبى حاكمية القرآن هذا، فإنّه وإن كان بالإمكان الاستئناس بما ورد عن العرب من قريش ومن إليها ممّن نزل القرآن بلسانهم للحصول على مزيد من الفهم، يبقى القرآن متعالياً مستوعباً ومتجاوزاً.

ودعوى سجن المفهوم القرآني من قبل المفسّرين واللّغويين والفقهاء في دائرة الرّجز والشّعور الجاهليّ من كلام البدو ومنطقهم، غير مُسلم بها، فقد سبق البيان أنّ من ضوابط تفسير القرآن عند العلماء مراعاة اللغة التي نزل بها، واعتبارها طريقة من طرائق التفسير.

أما مسألة قراءة الآيات مُستقلة لا رابطة بينها، فحديث تفسير الظلم وغيره مما هو من قبيل التأصيل لتفسير القرآن بالقرآن، ولا يقول الباحث أنها تفسير موضوعي لدواعٍ منهجية، بل هي نصوص نبوية تلقاها الصحابة رضي الله عنهم وعندهم تلقاها التابعون رضي الله عنهم ثم المفسرون والفقهاء واللغويون، وهي نصوص صريحة مؤصلة لاعتبار ترابط الآيات وتناسبها عند تفسيرها، والحق أن هذه الدعوى تحتاج إلى بيّنة، والتسليم بصحتها فضلاً عن قبولها تأباه كتب التفسير ونقولات العلماء المختلفة عن وحدة النص القرآني من كل وجه.

سادساً: علم حقيقة الوحي وأصول العلوم المتصلة به وأنواعه: إن أيّ طريق يسلكه الفرد يحتاج توفر الوسائل التي تُعينه على الوصول، ووسائل المفسر التي لا يصل لرتبة المفسر إلا بتحصيلها هي جميع العلوم التي يحتاجها، وهي: »

- تعيين المبهم، وتبيين الحمل، وسبب النزول والنسخ: ويؤخذ ذلك من النقل الصحيح عن رسول الله وذلك من علم الحديث.

- معرفة الإجمال، والتبيين، والعموم، والخصوص، والإطلاق، والتقييد، ودلالة الأمر والنهي، وما أشبه هذا: ويختص أكثر هذا الوجه بجزء الأحكام من القرآن، ويؤخذ هذا من أصول الفقه، ومعظمه هو في الحقيقة راجع لعلم اللغة، ولكن تكلم فيه غير اللغويين أو التحويين ومزجوه بأشياء من حجج العقل.

- الكلام فيما يجوز على الله تعالى، وما يجب له، وما يستحيل عليه، والنظر في النبوة، ويختص هذا الوجه بالآيات التي تضمنت النظر في الباري تعالى، وفي الأنبياء، وإعجاز القرآن، ويؤخذ هذا من علم الكلام.

- اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص، أو تغيير حركة، أو إتيان بلفظ بدل لفظ، وذلك بتواتر وآحاد: ويؤخذ هذا الوجه من علم القراءات ¹.

وقد اشتمل القرآن الكريم على عدّة أنواع من العلوم، جعلها الزركشي في "البرهان" ثمانية وأربعين نوعاً، وأوصلها السيوطي في "الإتقان" لثمانين نوعاً، ثم ألف ابن عقيلة المكّي كتاب "الزيادة والإحسان"، فذكر فيه مائة وأربعة وخمسين نوعاً، وبذلك يكون قد جمع في كتابه موضوعات علوم القرآن التي ذكرها من سبقه في كتبهم، وقد أكد في مقدمته أنه استفاد من كتاب "الإتقان" للسيوطي فقال: « حداني ذلك إلى أن أحذو على منواله، وأنسج كتاباً على مثاله، فشرعت في هذا الكتاب،

1 أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، مرجع سبق ذكره، ج 01، ص: 15 - 17.

وأودعت فيه جلّ ما في الإتقان وزدت عليه قريباً من ضعفه من المسائل الحسان، واخترعت كثيراً من الأنواع اللطيفة والفوائد الشريفة، هذا على سبيل الإدماج والإجمال، ولو فصلتها لزادت على أربعمائة نوع¹، وهناك مصنّفات أخرى في مثل هذا النمط، ولكن هذه الثلاثة كتب هي الأمّهات.

وما أحوج المفسّر إلى معرفة النصّ، والظاهر، والجمل، والمبين، والعامّ، والخاصّ، والمطلق، والمقيّد، وفحوى الخطاب، ولحن الخطاب، ودليل الخطاب، وشروط النسخ، ووجوه التعارض، وأسباب الخلاف، وغير ذلك من علوم الأصول، وأمّا اللّغة فلا بدّ للمفسّر من حفظ ما ورد في القرآن منها، وأمّا النحو فلا بدّ للمفسّر من معرفته، وهو ينقسم إلى قسمين: أحدهما عوامل الإعراب، وهي أحكام الكلام المركّب، والآخر التصرّف وهي أحكام الكلمات من قبل تركيبها، وأمّا علم البيان: فهو علم شريف تظهر به فصاحة القرآن.²

ولا يبدو من خلال تتبّع السيرة الذاتية للعلواني أنّه من المتخصّصين في علوم القرآن عموماً، وعلم التفسير خصوصاً، ومع ذلك نجد له مؤلّفات ضمن علوم القرآن، وتفسيراً للقرآن بالقرآن، ويبرز له مع علوم القرآن موقف عامّ في قوله: «لو بذل الناس في تدبّر القرآن المجيد، ومحاولة فهمه جزءاً ممّا بذلوه ويبدّلونه في تعلّم العلوم الأخرى ومنها ما أسموه (علوم القرآن) - التي وضعوها بأنفسهم بحجة أنّها هي التي ستمهّد لهم السبيل لفهم القرآن - أقول لو بذلوا جزءاً من هذه الجهود مع القرآن الكريم ذاته، في تدبّره، وفي تلاوته حقّ التلاوة، أو في التفكّر فيه، والعمل على الوصول إلى مكنونه من داخله، وبأدواته، وبمنهجه، لنالهم خير كثير، ولتجنبوا كثيراً من السّلبات التي يشتكي منها المتخصّصون في كثير من تلك الجوانب، ولتغيّرت حال الأمة المسلمة، ولسعت نحو الحضارة، ولاستحقّت أن تكون أمة الشّهادة بحقّ، وأمة الوسطيّة بصدق»³، يقول العلواني هذا؛ مع علمه - وهو الأصولي - أنّه «لابدّ أن يكون مع الإنسان أصول كلّية يردّ إليها الجزئيات ليتكلّم بعلم وعدل، ثمّ يعرف الجزئيات كيف وقعت، وإلاّ فيبقى في كذب وجهل في الجزئيات، وجهل وظلم في الكلّيات، فيتولّد فساد عظيم»⁴.

1 ابن عقيلة المكيّ، الزيادة والإحسان في علوم القرآن، تدقيق: مصطفى مسلم وغيره، (ط01، مركز الدّراسات والبحوث، جامعة الشّارقة، الشّارقة، الإمارات العربية المتّحدة، 1427هـ - 2006م)، ج01، ص: 90 - 91.

2 ابن جزيّ، التسهيل لعلوم التنزيل، مرجع سبق ذكره، ص: 12. بتصرّف.

3 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 13.

4 ابن تيميّة، منهاج السنّة النبويّة، تحقيق: محمّد رشاد سالم، (ط01، مؤسّسة قرطبة للطباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، 1406هـ - 1986م)، ج05، ص: 83.

على أنّ طه جابر العلواني نفسه بذل جهوداً في نقد ومراجعة بعض علوم القرآن، وألّف مؤلفات استغرقت منه زمناً، وأخذت منه عمراً، فشغلته عن التواصل مع القرآن الكريم ذاته، وتدبره، وتلاوته حقّ التلاوة، أو التّفكّر فيه، والعمل على الوصول إلى مكنونه من داخله، بأدواته، وبمنهجه !

أمّا في الفقه فقد درس العلواني كتاب "الغاية والتّقريب" أو متن "غاية الاختصار" أو "متن أبي شجاع" أحد كتب الفقه على المذهب الشّافعيّ، أكثر صاحبه في مؤلّفه من التّقسيمات وحصر الخصال، لذلك اهتمّ به فقهاء المذهب فاعتنوا بشرحه ونظمه وتوضيحه حتّى عُدَّ أصلاً من أصول المذهب المهمّة، و"المقدّمة الحضريّة في الفقه الشّافعيّ"، وهي كتاب تميّز بوضوح أسلوبه، مع تدقيق وتحقيق في مسائله، ويعدّ من أهمّ المختصرات في الفقه الشّافعيّ لما اشتمل عليه من الضّوابط الفقهيّة، ثمّ انتقل إلى دراسة "مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح" وهو دليل في الفقه الحنفيّ، صغير حجمه غزير علمه، و"مختصر القدوريّ" وهو متن في الفقه الحنفيّ مُتداول بين الأئمّة الأعيان، ربّبه صاحبه على ثلاثة وستين باباً، بدأها بأبواب العبادات من طهارة وصلاة وختمها بالفرائض؛ ويذكر فيه خلاف أئمّة الحنفيّة ويقارن بينها.

ودرس في أصول الفقه "جمع الجوامع في أصول الفقه" لابن السّبكيّ الشّافعيّ وشروحه، جمع فيه مصنّفه أكثر من مائة مصنّف، وهو أحد أشهر كتب أصول الفقه عند أهل السنّة والجماعة، إضافة لما سبق، فإنّ تخصّص العلوانيّ في الدّراسات العليا هو علم أصول الفقه، وقد قام بدراسة وتحقيق كتاب "المحصول من علم أصول الفقه" للرازي، ثمّ عمل أستاذاً للفقه والأصول على المذهب الحنبليّ في كليّة الشّريعة بجامعة الإمام محمّد بن سعود من عام 1975 حتّى 1984م. ومع ما عُرف به من شغفه وميله للقراءة والمناقشة، نجد أنّ طه جابر العلوانيّ قد بلغ في علّميّ الفقه وأصول الفقه مبلغاً مُعتبراً لا يمكن إغفاله.

أمّا علم الحديث فلطه جابر لعلوانيّ موقف يتعلّق بطريقة التّعامل مع السنّة النّبويّة، وسيأتي بيانه مُفصّلاً لأنّه من المواقف التي تحتاج العرض والمناقشة والنّقد تفصيلاً.

والخلاصة أنّ طه جابر العلوانيّ اتّخذ مع علوم القرآن ومع التّعامل مع السنّة النّبويّة ومع اللّغة العربيّة مواقف تصطدم مع تفسير القرآن الكريم، وهو في اللّغة العربيّة والفقه وأصوله متمكّن وصاحب زاد معرفيّ يؤهّله في هذا الجانب من جوانب التّفكير.

سابعاً: دقّة الفهم التي تمكّن المفسّر من ترجيح معنى على آخر: لقد مضى على تدوين العلوم الإسلامية قرابة أربعة عشر قرناً، أورثت هذه القرون المتطاولة تراكمات معرفيّة ضخماً كما نراه الآن، ومن

الحقول التي زحرت بأعداد هائلة من المؤلفات مختلفة الاتجاهات ومتعددة المشارب حقل تفسير القرآن الكريم، ودقة فهم المفسر لهذا الموروث الكبير تُساعده على معرفة طريقة معالجة المفسرين للمعلومات، وآليات توظيفهم لها، وأشكال إبداعهم في صناعة العلم وصياغته، وهذه فوائد نفيسة جداً.

ومنهج تفسير طه جابر العلواني المبني على الفهم، والتدبر، والتأمل، والتفكير، والتعقل في القرآن الكريم، له رؤية جد واضحة مع تفسير القرآن الكريم، من شأنها ربط دقة فهم المفسر بعدة عوامل مساعدة، جمعها الباحث وربّتها فكانت في النقاط التالية:

01- الاستعداد وتهينة قوى الوعي أساس الفهم الدقيق للقرآن: إنّ دقة الفهم ووعي الخطاب القرآني ركن هام جداً للتفسير عند طه جابر العلواني، إن لم تكن التفسير كله، وهي بقدر ما تعتمد على تيسير الله ﷻ كتابه وجعله سهلاً للفهم والتدبر، « فهذا القرآن المجيد قد يسره الله ﷻ بفضله ورحمته للذكر، وجعله في متناول العقول والقلوب عندما تتطهر، بحيث تفسّر عقول وقلوب أولئك المتطهرين »¹، تتطلب استعدادات لدى القارئ أو المفسر، « فالقرآن ينغلق ويفتح حسب الاستعداد الإنساني وإقبال الإنسان عليه، وطهارة قوى وعيه »²، ومن أنواع تفسير القرآن بالقرآن التفسير بالرأي، بأن يعتمد المفسر اجتهاداً منه، إلى ربط آية بآية أخرى، وجعل إحداها تُفسّر الأخرى، « ففي ثنايا النصّ وفضاء الآية يعثر المتدبرون الغواصون على اللآلئ والجواهر عديمة النظير، وتتكشف مكوناته كذلك عبر العصور »³، وهذا يحدث عندما يبدأ وعي القارئ بالتفاعل مع القرآن الكريم للكشف عمّا بين يديه وما خلفه، ظاهره وباطنه، ونتيجة ذلك التفاعل الإجابة عن تساؤلات كثيرة تختلف تماماً عن التساؤلات التي يُثيرها أي خطاب آخر، وهذه الإجابة حتماً بقدر الطاقة البشرية العقلية، وهي ترجيح لها عن سواها من الإجابات المتبادرة، وهي تختلف من مفسر إلى مفسر، بل تختلف عند نفس المفسر باختلاف ما تستقبله قوى وعيه، « لذلك فإنّ التدبر ضرورة لبناء العقل وإنماء قوى الوعي قرآنياً »⁴.

02- طهارة قوى الوعي الإنساني: ولا يكفي عند طه جابر العلواني أن تكون مُستعداً مُقبلاً على القرآن الكريم لتدبره، وذلك أنّ « المتدبر » قد تلقى خطاباً فيه قول ثقيل متحدّ معجز ذي

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 24.

2 المرجع السابق، ص: 19.

3 المرجع السابق، ص: 25.

4 المرجع السابق، ص: 19.

مواصفات خاصّة لا يشاركه فيها أيّ خطاب آخر»¹، بل عليه أن يُطهّر قوى وعيه ووسائل إدراكه، «وعند ذلك لا يمكن للشيطان أن يُقيم حُجُباً بين حِكَم القرآن وأنواره من جهة، وقوى الوعي الإنسانيّ من جهة أخرى»²؛ يقول الطّبريّ (توفي: 331هـ) عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ (٥٥) وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ (٤٦) [الإسراء: 45-46]، «قوله تعالى ذكره: وإذا قرأت يا محمد القرآن على هؤلاء المشركين الذين لا يُصدّقون بالبعث، ولا يُقرّون بالثّواب والعقاب، جعلنا بينك وبينهم حجاباً، يحجب قلوبهم عن أن يفهموا ما تقرّؤه عليهم، فينتفعوا به، عقوبة منّا لهم على كفرهم. والحجاب هاهنا: هو السّاتر»³.

03- التّواصل الجيّد مع القرآن: يشير طه جابر العلواني «أنّ القرآن الكريم خطاب يمكن أن ينزل على القلب مباشرة فيشتبك مع قوى السّامع والمخاطب بشكل مباشر، ووعي القارئ المخاطب هو الذي سيستقبله. وحين يبدأ وعي القارئ بالتفاعل معه للكشف عمّا بين يديه وما خلفه، سوف يفرض هذا الخطاب القرآنيّ المتعالّي المتنزّل على ذهن المتلقّي تساؤلات كثيرة تختلف تماماً عن التّساؤلات التي يُثيرها أيّ خطاب آخر»⁴.

لقد ربط طه جابر العلواني دقّة الفهم بحسن تواصل المفسّر أو القارئ مع الخطاب القرآني، فمُرسل الخطاب واحد وهو الله ﷻ، ورسالته واحدة وهي القرآن الكريم، وموضوعاتها لا مُبدّل لها، وهي تدور حول قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥١) [الذّاريات: 56]، والمستقبل للرّسالة هما الإنس والجنّ، «وإذا لم يفعل الإنسان مع القرآن الجيّد، وما فيه من الحياة والنّور، فعليه أن يدرك أنّ ذلك ليس بناجم عن قصور في القرآن، بل هو ناجم عن "وقر" في آذان المستمع، والقارئ، أو "أكِنَّة" على قلبه تحول بينه وبين القرآن، أو بينه وبين تنزّله على قلبه، ...»⁵، وهذا التّفاعل الإنسانيّ مع الرّسالة الإلهيّة مُتعدّد مُتجدّد، وإجاباته مُتعدّدة مُتجدّدة، ينطلق ممّا هو ذاتيّ غريزيّ مع ما هو مُكتسب، وخاضع للتّراكم المعرفيّ، وهو بهذا محتاج حاجة مضطر إلى طرق

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 16.

2 المرجع السّابق، ص: 19.

3 الطّبريّ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصدر سبق ذكره، ج14، ص: 607 - 608.

4 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 17.

5 المرجع السّابق، ص: 11.

أخرى ومصادر سليمة للتفسير، تضبط مسارات الفهم وحدوده، وإلا فهكذا تفسير بالرأي المجرد لا بد أن يخضع للنظر والمناقشة والاختلاف حوله، خاصة مع وجود معوقات تحول بين القارئ والفهم، معوقات تزداد معها الحاجة لضوابط التفسير وقواعده وأصوله، أي الحاجة لعلوم التفسير وغيرها.

ودقة الفهم أو علم الموهبة كما سماه السيوطي (توفي: 911هـ) في كتاب الإتيان، هو الذي به يتمكن المفسر من ترجيح معنى على معنى آخر، وهذا علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم، كما ورد في الحديث الشريف: «من عمل بما علم ورثه الله تعالى علم ما لم يعلم»¹، وقد قال ابن أبي الدنيا (توفي: 281هـ): علوم القرآن وما يستنبط منها بحر لا ساحل له، فمعرفة هذه العلوم القرآنية ضرورية للمفسر لأنها بالنسبة له كالألة للصانع ولا يكون المفسر مفسراً إلا بتحصيلها.²

ومن دقة الفهم التسلح بالعلم، وهذا الحد متفق عليه، ولكل علم أصوله التي يبني عليها ويصح بها، وقواعده التي تدعمه ويرتكز عليها، وضوابطه التي تحفظه ويستنير بها، وهذا حد قد يتجاوزه البعض بحسب مقاصدهم، وثقتهم فيما عندهم، وفيما بلغوه من معرفة قد لا يربطها بالقرآن رابط، ولا تجمعها به مناسبة، وإذا أخطأ المفسر أول الطريق، وولج دونه زاد أو رقيق، فكيف يرجو السلامة من معوقاته، وبلوغ نهايته؟!

1 تقدم تخرجه.

2 ينظر: السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، مرجع سبق ذكره، ج 02، ص: 181

المطلب الثاني: دوافع التفسير الموضوعي عند طه جابر العلواني

إنّ كلّ كتاب مبنيّ على منهج وطريقة تُوصِل إلى غاية يُريدها المؤلّف، والأصل أنّ بين منهج الكتاب والغاية من التّأليف علاقة لا تنفك، وقد ذكر ابن خلدون أنّ: « النَّاسُ حَصَرُوا مَقاصِدَ التّأليفِ التي ينبغي اعتمادها وإلغاء ما سواها، فعَدَّوها سبعة:

أولها: استنباط العلم بموضوعه وتقسيم أبوابه وفصوله وتتبع مسائله، أو استنباط مسائل ومباحث تعرض للعالم المحقّق ويحرص على إيصاله بغيره، لتعمّ المنفعة به فيودع ذلك بالكتاب في المصحف، لعلّ المتأخّر يظهر على تلك الفائدة.

وثانيها: أن يقف على كلام الأولين وتآليفهم فيجدها مُستغلّقة على الأفهام ويفتح الله له في فهمها فيحرص على إبانة ذلك لغيره ممّن عساه يستغلّق عليه، لتصل الفائدة لمستحقّها، وهذه طريقة البيان لكتب المعقول والمنقول، وهو فصل شريف.

وثالثها: أن يعثر المتأخّر على غلطٍ أو خطأ في كلام المتقدمين ممّن اشتهر فضله وبُعْد في الإفادة صيئته، ويستوثق في ذلك بالبرهان الواضح الذي لا مدخل للشكّ فيه، فيحرص على إيصال ذلك لمن بعده.

ورابعها: أن يكون الفنّ الواحد قد نقصت منه مسائل أو فصول بحسب انقسام موضوعه ، فيقصد المطّلع على ذلك أن يتمّم ما نقص من تلك المسائل ليكمل الفنّ بكمال مسائله وفصوله، ولا يبقى للنقص فيه مجال.

وخامسها: أن تكون مسائل العلم قد وقعت غير مرتّبة في أبوابها ولا منتظمة، فيقصد المطّلع على ذلك أن يرتّبها ويهدّبها، ويجعل كلّ مسألة في بابها.

وسادسها: أن تكون مسائل العلم مفرّقة في أبوابها من علوم أخرى فيتنبّه بعض الفضلاء إلى موضوع ذلك الفنّ وجميع مسائله، فيفعل ذلك، ويظهر به فنّ ينظّمه في جملة العلوم التي ينتحلها البشر بأفكارهم.

وسابعها: أن يكون الشّيء من التّأليف التي هي أمّهات للفنون مطوّلاً مسهباً فيقصد بالتّأليف تلخيص ذلك، ... ، مع الحذر من حذف الضّروريّ لئلاّ يُخلّ بمقصد المؤلّف الأوّل.

فهذه جماع المقاصد التي ينبغي اعتمادها بالتّأليف ومراعاتها، وما سوى ذلك ففعل غير محتاج إليه وخطأ عن الجادّة التي يتعيّن سلوكها في نظر العقلاء»¹.

1 عبد الرحمن ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (تاريخ ابن (238)

إذا علم هذا واستبان، ثم عُرفت شخصية طه جابر العلواني وجهوده المختلفة التي استمرت حتى لقي ربه، تلك الجهود التي كانت تنطلق من واقع الأمة وبدافع الإصلاح والمراجعة والتجديد، وقد كان منها وعلى رأسها مشروع إعادة تفسير القرآن الكريم، فما هي الأسباب والدوافع التي دفعت طه جابر العلواني لتفسير القرآن الكريم؟

أولاً: الدوافع المتعلقة بظروف الأمة الإسلامية:

أ- **الوضع الحالي للأمة الإسلامية:** يقول العلواني: حين اضطربت السبل في زماننا هذا، وفرق الناس دينهم وصاروا شيعاً، ويئس كثيرون من إمكان إعادة بناء هذه الأمة ولمّ شملها والقضاء على فرقها بكتب التفسير ومناهج المفسرين الموجودة التي توارثناها، صار لا بدّ من حسم هذا الأمر، وتقديم بيان شاف للناس حوله، فاخترنا منهج رسول الله ﷺ ألا وهو "تفسير القرآن بالقرآن"، وربط سلوك وعمل سيدنا رسول الله ﷺ بالقرآن المجيد.¹

ومفتاح الحقيقة المعرفية العلوانية هو الكدح المعرفي لعقلٍ حاملٍ لهمّ أمته، بهدف الحفر المعرفي في سؤال مُركّب جدّ مهمّ: كيف انتهى المال بأمة القرآن إلى الانتقال من وضعية: خير أمة أخرجت للناس، إلى وضعية الوهن وتكالب الأمم عليها تكالب الأكلة على قصعتها، وتقليد من نهاها الله عن تقليدهم حذو القذة بالقذة، والتشرذم، وشدة بأسها على نفسها، وهوانها على خصومها، ونزع مهابتها من قلوبهم؟²

ب- **وجود الحاجة لتفسير القرآن الكريم:** إذا كان وضع الأمة الحالي هو ما هي عليه، أمة في مأزق حضاري، وكان التراث التفسيري لا يكفي علاجاً لها، والمنهج التفسيري النبوي وفق منظور العلواني هو العلاج الأوحّد والأنسب وهو غير مُفعّل كما يجب، يُضاف له الغش في المفاهيم والمصطلحات والحاجة لإعادة النظر فيها، في ظلّ هذا كلّ لا بدّ من إعادة تفسير القرآن الكريم للتهوض بالأمة الإسلامية. و « تجريده وتنقية معارفه من سائر آثار النسبية البشرية التي أحاطت بمطلقه، وحجبت أنواره، وأخضعته لوعيتها الذاتي، وحكمت عليه بتاريخانيته، وحكّمت بمُحكمه أيديولوجياتها وثقافتها وأعرافها وتقاليدها، وقاموسها اللغوي، فإذا لم تُجرّد «آيات الذكر الحكيم» من

خلدون)، مرجع سبق ذكره، ج01، ص: 731 - 732.

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 15.

2 السيّد عمر، جامع فقه الأمة رحيق الحقيقة المعرفية للعلامة طه جابر العلواني، (ط01، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2021م)، ص 09.

ذلك - كلاً-، وإذا لم نُعد قراءته بنور القراءتين المذكورتين في بداية نزوله وأوائل آياته ... وفي إطار وحدته البنائية فإننا لن نتمكن من فهمه معرفياً، ولن نتمكن من تحليل آياته وتثويرها واستنطاقها».¹

وليوضح العلواني الغاية والمقصود قال: «من هنا بدأت رحلتنا مع تدبر القرآن، ومحاولة فهمه من داخله واستجلاء أنواره من ثنايا آياته، والتعرض لأنواره ونفحاته من داخله، فوجدنا في ذلك خيراً كثيراً، ونعماً لا تحصى، تجعل القارئ المتدبر -إذا أحسن التدبر وتمرن عليه- أكثر وعياً بالقرآن وفهماً لسياقاته وإدراكاً لمعانيه واعتباراً بقصصه وأمثاله، وأقرب إلى الصواب في إدراك مقاصده وغاياته»²، وبذا أمسك بما يمكن وصفه بـ (المفتاح القرآني الكلي)، واستخدمه بصبر ومصابرة في تجويد صياغة سؤال الأمة، الذي هو بدوره سؤال البشرية كلها، بما أنّ أمة القرآن أمة مُخرجة للناس، وفي التنقيب عن مفاتيح نابغة من هذا المفتاح ومحكومة به، للحفر المعرفي في جذور وهن الأمة، وفي تردي الحالة الإنسانية في ظلّ استئساد حضارة الصورة الغربية المادية المعاصرة على حضارة الكلمة، وفي التمييز بين أعراض العلة وجراثومة المرض العمراني المعاصر، وفي استنباط وصفة قرآنية للتوبة النصوح وللتعافي والإقلاع العمراني الإسلامي من جديد.³

ويؤكد العلواني بما سبق أنّ تفسير القرآن مفتاح لعلاج وهن الأمة وتردي الحالة الإنسانية في ظلّ الواقع المعرفي والحضاري لباقي الأمم المتطورة المستأسدة، وهذا في حقيقته فقه للواقع وطرق علاجاته؛ وهو جانب من الجوانب وليس التفسير ككلّ، وما زال العلماء في كلّ عصر يأتي المتأخّر منهم بما لم يذكره المتقدم، ولا ينكر بعضهم على بعض في ذلك، وإلّا ينكرون أن يأتي المتأخّر بشيء يخالف ما اتفق عليه المتقدمون، لذا لدى الباحث في هذا الجانب ملحوظتان:

- القرآن الكريم كتاب أنزله الله تعالى لجميع الأمم ليجعل منها أمةً واحدةً بكتابٍ واحدٍ، فمراد الله تعالى هو أتباع منهجٍ سويٍّ واحدٍ في جميع العصور والأزمان، ولا ينبغي طرح السؤال لماذا منهج واحد وليست مناهج متعدّدة؟ لأنّ الله ﷻ لا يُسأل عمّا يفعل، ولأنّ ما اختاره الله هو الأحسن والأسلم والأصوب والأكمل يقيناً.

- اختلاف الواقع المعرفي والحضاري شيء؛ وطبيعة النفس البشرية شيء آخر، فجميع ما شرعه الله لنا في القرآن يتناسب ويتطابق مع نفس الإنسان في كلّ زمان ومكان، وعليه لا يتغيّر أمر الله

1 طه جابر العلواني، أزمة الإنسانية ودور القرآن الكريم في الخلاص منها، مرجع سبق ذكره، ص: 48.

2 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 27.

3 السيد عمر، جامع فقه الأمة رحيق الحقيقة المعرفية للعلامة طه جابر العلواني، (ط01، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2021م)، ص: 10.

تعالى بتغيّر الزمن أو الواقع، وإذا أخذنا بقول العلواني بتجدد القرآن في كلّ جيل ليتناسب مع الواقع المعرفي والحضاري، فهذا يعني أنّ القرآن يحتكم للزمان وللواقع وليس حاكماً لها وعليها.

ت- تحقيق التزكية الشاملة: لاشكّ أنّ مقصد القرآن الكريم هو إصلاح الفرد والمجتمع، ولهذا كانت التزكية مقصداً من مقاصد بعثة الرّسل عموماً؛ وبعثة النّبيّ محمد ﷺ على وجه الخصوص كما في قوله ﷺ: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: 164]، فالنّبيّ يدلّ المؤمنين على ما تزكو به النفوس، وتطهر به الأرواح، وتهذب به الأخلاق، وبهذا ترتقي المجتمعات ديناً ودنيا وفي جميع المجالات، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنِ يَشَاءُ﴾ [التور: 21]، قال ابن القيم: « فإنّ تزكية النفوس مُسلّم إلى الرّسل، وإتّما بعثهم الله لهذه التزكية وولّاهم إيتاها، وجعلها على أيديهم دعوة، وتعليماً وبياناً، وإرشاداً، لا خلقاً ولا إلهاماً، فهم المبعوثون لعلاج نفوس الأمم »¹، وبحسب العلواني تتحقّق التزكية من خلال « اللّجوء للقرآن الكريم وتفسير القرآن بالقرآن، واستنباط المشاريع الحضاريّة والاستخلافيّة والعماريّة، ومشاريع تزكية الإنسان وتزكية الحياة، أو ما يمكن تسميته بالتزكية الشاملة التي تشمل العقل والتّصوّر والرّؤية والفكر والاعتقاد والسلوك وأنظمة التّعامل والعلاقات »².

إذن فالتزكية « مصطلح ومفهوم قرآنيّ أساسي، يتّخذ موقعاً مُهمّاً ضمن منظومة القيم القرآنيّة؛ فالتزكية موضوعها الإنسان المستخلف، وهو موضوع الإصلاح في الواقع الإنسانيّ. إصلاح الفرد والجماعة والأمة، والإنسان مادّة وروح، والتزكية تشمل المادّة والروح، وأيّ حديث عن قضايا الإصلاح لا معنى له إلّا إذا تعلّق بالإنسان، واستهدف ترقّيته في مراتب التزكية، والتزكية هدف العمران ووسيلته، فهي ليست مسألة مشاعر وخلجات وخواطر نفسيّة، مقصورة على مستوى الإصلاح الفرديّ، بل تدخل في صميم البناء الاجتماعيّ والعمران البشريّ »³.

وفي ظلّ واقع الأمة المستخلفة الغناء، المتخلّفة في جميع المجالات، الهاجرة لتعاليم كتاب الله وهداياته، طرح العلواني مشروعاً تزكويّاً قرآنيّاً لينهض بالأمة فتحول إلى أمة تتزكى بالقرآن وتزكي بالقرآن، مشروعاً يبرز قيمة التزكي بالقرآن الكريم ودوره في صلاح الأمة وتقدّمها في جميع جوانب

1 ابن القيم، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، (ط01، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان)، ج02، ص: 300.

2 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 42.

3 فتحي حسن ملكاوي، منظومة القيم العليا: التوحيد والتزكية والعمران، (ط01، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هرنندن، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكيّة، 1434هـ، 2013م)، ص: 81.

الحياة، بدل البكاء أو التباكي على ما آلت إليه علاقة المسلمين بالقرآن الكريم، مشروعاً يسعى إلى قراءة النص القرآني قراءةً مختلفةً عما كان عليه المتقدمون من المفسرين، وقام بالدعوة إليه علانيةً من خلال مشروعه في الدراسات القرآنية وغيرها، وكان المنطلق مراجعة العلوم النقلية بالمنهجية القرآنية والتدقيق العلمي المنهجي الحديث، وذلك بالعودة إلى مبحث المقاصد القرآنية العليا، المبنية على الاستقراء التام لآيات الكتاب المحكمة، ولكل ما صحَّ عن رسول الله ﷺ، وتحويلها إلى قاعدة منهجية، وأصولاً كليةً قطعيةً يمكن أن تؤدي لغربة الموروث الإسلامي، أي أنه يرى أن القيام بالتخليفة والتصفية سابق للقيام بالتزكية والتحلية، والسمو بالنفس إلى كل خير وعمل صالح، لتصل إلى منازل المخلصين وملكوت الطائعين.

ويرد هنا مصطلح آخر هو التربية بالقرآن، أي التربية الشاملة القائمة في كل جانب منها على القرآن الكريم والمنبثقة أساساً من تعاليم الإسلام ومفاهيمه، فتتم تربية الأفراد وفق منهج متكامل وواضح على أخلاق القرآن، من خلال توجيههم ورعاية جوانب نموهم المختلفة بما ينسجم مع فطرتهم ويضمن لهم سعادة الدارين، فيحصل التعديل المأمول الذي يقود للتغيير والتنمية في السلوكات الإسلامية العامة، وكل تزكية تربية، وليست كل تربية تزكية، ولهذا اختار العلواني مفهوم التزكية لأنه مصطلح قرآني عام، اختصَّ الله ﷻ بتوفيق من يشاء من عباده إليه، والذي يظهر: «أن ما يتركي به العبد من إيمان وعمل في طاعة وترك لمعصية فإنه بفضل من الله»¹، والتزكية بمرتبة الإحسان فقد قال ﷻ: «...وزكى نفسه، فقال رجل وما تزكية النفس؟ فقال ﷻ: أن يعلم أن الله ﷻ معه حيث كان»²، وفي القرآن الكريم تكرر الإرشاد إلى التزكي وتتابع الحُصص على العمل بما فيه في آيات كثيرة، كل هذا لأنه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشَّمْس: 09]. والعلواني حين اعتبر التزكية الشاملة سبباً لتفسير القرآن الكريم سار على نهج السلف الصالح، وأصاب في دعواه؛ ففي تزكية المسلم والمجتمع المسلم والأمة الإسلامية بهدى القرآن الكريم الغنية عن غيره، وذلك أن القرآن الكريم هو نبع الخير والتزكية المطلقة في كل زمان وفي كل مكان ولجميع الأجيال والمجتمعات.

1 محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ج 08، ص: 542.

2 أخرجه الطبراني في المعجم الصغير، (334/01)، والبيهقي في السنن، (95/04)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (38/03) وقال: «وهذا إسناد صحيح، رجاله ثقات رجال مسلم غير عبد الله بن سالم وهو الزبيدي، وهو ثقة».

ثانياً: دوافع مُتعلّقة بعلم التفسير وعلوم القرآن:

أ- موقف العلواني من التراث التفسيري: يرى العلواني أنه بـ« إجلاء هذا التراث التفسيري المتنوع بمعرفة ما قدّمه للقرآن الكريم وللمخاطبين به -وهم البشرية كلّها- وجدنا أنّ هذا التراث على اتّساعه وتنوّعه وكثرة فوائده لم ينجح في استجلاء معاني القرآن الكريم، وبقي في هذا الكتاب الخالد كثير من العوالم التي قد يشعر الإنسان بأنّه لو خُلّي بينه وبين القرآن، يُراجعه ويُسأله ويتدبّر فيه ويتذكّر ويتعقّل لاستفاد من معانيه وتجليّاته وما فيه من نور وهداية أكثر من تدخلات المفسّرين، ولا نتردّد في أن نقول: إنّ بعض التّفسير قد وقفت حاجزاً بين القرآن والقراء، وربّما حرمت بعض التّفسير القراء من حسن استجلاء معاني القرآن العظيم ومحاولة التدبّر فيها وتعقّلها وتذكّرها ».¹

ولأنّ بعض التّفسير صارت عبئاً على القرآن، وكثيراً ما يستخدمها خصوم القرآن لإثارة شيء من البلبلة في صفوف المؤمنين الذين ليس لديهم معلومات كافية، يُؤكّد العلواني: « أنّ في مراجعات التراث ونقده -في نور هداية القرآن الكريم- وسيلة من وسائل التّجديد والاجتهاد وإعادة البناء الذي تُنادي به جميعاً، وعجزت كلّ الدّعوات المنادية به عن تحقيقه أو الوصول إليه »²، وأيضاً « لكي نتقدّم بالقرآن إلى العالم ونتحدّى النّاس به ».³

وبنفس الموقف عاب العلواني وجود المرويات الإسرائيليّة في كتب التّفسير، وعدّ ذلك منقصة لها، فقال: « في التّفسير يُمكن أن نجد الإسرائيليّات كأخطر نقطة ضعف أصابت هذا العلم وانعكست على كثير من علوم القرآن الكريم »⁴، يقول هذا رغم علمه أنّ سلف الأُمّة جوّزوا رواية الإسرائيليّات، وهم أعلم النّاس بالتّفسير، وأعظم المدافعين عن القرآن من كلّ تحريف أو تزيف أو سوء تفسير، أفلم يكونوا يعرفون خطر رواية الإسرائيليّات على التّفسير ؟

وقد طبّق الباحث قواعد المراجعة التي اقترحها العلواني لتأسيس علم المراجعات، طبّقها على مسألة الرّوايات الإسرائيليّة، فألفاها بعد الدّراسة؛ لا تحكم عليها عموماً بالخطر كما حكم العلواني، وإنّما تُوضّح مناسبات استعمال السّلف لها، وتُقسّمها بين مقبول ومردود ومُتوقّف فيه، وتُبيّن منهج السّلف في التّعامل معها.

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص 27.

2 المرجع السابق، ص 41.

3 طه جابر العلواني، أدب الاختلاف، (ط02، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتّحدة الأمريكيّة، 1991م)، ص: 67.

4 طه جابر العلواني، لا إكراه في الدّين، مرجع سبق ذكره، ص: 56.

ب- السعي لإعادة إحياء المنهج النبوي في تفسير القرآن: يرى العلواني أن منهج النبي ﷺ هو وحده المنهج الكفيل بحماية المقاصد، وتحقيق الأهداف، وتمكين خلف هذه الأمة من سلوك ما كان عليه سلفها وجيل التلقي، الجيل الخير من أبنائها، فيقول: « ولذلك عدنا إلى إحياء ذلك المنهج النبوي، وبذل كل الجهد والطاقة لبيان القرآن بالقرآن؛ لنحيي منهج رسول الله ﷺ، فنعلم الناس الكتاب بعد أن نتلوهم عليهم حق التلاوة، ونزكيهم به، فذلك المنهج هو المنهج الذي بُنيت هذه الأمة به، وعلى دعائمه قام عمرانها »¹، والمنهج النبوي في تفسير القرآن هو المنهج الحق ولا ريب، وقد حاول العلواني أن يحدد نوعه وطريقته ومصادره، وخُصص إلى أن النبي ﷺ أصل تفسير القرآن وسن أن ذلك لا يكون إلا بالقرآن نفسه، وبدأ وعمل به وعلمه الناس.

والحق أن في حصر العلواني لمصادر تفسير القرآن في تفسير القرآن بالقرآن مخالفة لمن سبق، وتضييق لواسع على من لحق، فبيان القرآن الكريم؛ مع بيان كيفية فهمه، هما الوظيفة الأساسية والمحورية للنبي ﷺ وقد فعل ذلك ﷺ على أكمل وجه، قال الشافعي: « وسن رسول الله مع كتاب الله وجهان: أحدهما: نص كتاب فاتبعه رسول الله كما أنزل الله. والآخر جملة، بيّن رسول الله فيه عن الله معنى ما أراد بالجملة، وأوضح كيف فرضها عاماً أو خاصاً، وكيف أراد أن يأتي به العباد، وكلاهما اتبع فيه كتاب الله ». ² وقال ابن تيمية: يجب أن يُعلم أن النبي ﷺ بين لأصحابه معاني القرآن كما بيّن لهم ألفاظه. ³

وليس بيان النبي ﷺ لألفاظ القرآن محلاً لبحتي، وذلك أن هذا العلم مُتعلّق بعلم القراءات وغيره، والنبي ﷺ بيّن لأصحابه ألفاظ القرآن بياناً تاماً كافياً⁴، كما أن بيان الألفاظ في حد ذاته ليس مقصوداً من طرف العلواني، بل مقصوده بيان معاني القرآن وطرق فهمه للعمل به والتحاكم إليه، وعليه قام الباحث باستقراء أساليب تعامل النبي ﷺ مع فهم القرآن وتفسيره، فتوصل إلى أنه ﷺ وظّف أساليب متعددة لتفسير القرآن الكريم، وظّفها في معرض البيان وفي معرض التعليم، وهي:

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص 15.

2 الشافعي، الرسالة، مصدر سبق ذكره، ص: 91.

3 ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، مصدر سبق ذكره، ص: 35. قال مساعد الطيار مُعقّباً على كلام ابن تيمية: وإن النتيجة التي يمكن أن تخلص إليها من جملة هذه الآثار: أن النبي ﷺ بيّن لهم من المعاني ما احتاجوا إليه. مساعد الطيار، شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، (ط02، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1428 هـ)، ص: 49.

4 الأدلة في هذا الباب متواترة متظافرة منها مثلاً: عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود، وسالم، ومعاذ، وأبي بن كعب. البخاري، فضائل القرآن (4999)، مسلم (6338). وفي هذا التوجيه النبوي دليل على اهتمام النبي ﷺ بتعليم أصحابه القراءة الصحيحة، وتأكيد على ضرورة أخذ القرآن عمّن توفّر فيه الحفظ والإتقان.

01- تفسير النبي ﷺ القرآن بالقرآن: ومثاله تفسير الظلم بالشرك، « فعن عبد الله بن

مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: 82] شق ذلك على الناس فقالوا: يا رسول الله أئنا لا نظلم أنفسنا؟ قال: إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13] ¹، وهذا النوع هو الذي اختاره العلواني وذكر له عدة أمثلة، وعدّه الفريد في بابهِ مُتجاهلاً أو مُتأولاً غيره على أنه موافقة أو اجتهدات وآراء للنبي ﷺ وليست تفسيراً، وقد جانب الصواب في هذا، وحجّر واسعاً.

02- تفسير النبي ﷺ القرآن بسنته: إن العرب أمة لا سابق عهد لها بكتاب، ولم يكن لهم

اهتمام بتاريخ الكتب والأمم السابقة، لذلك لم يكن لهم تلك الخبرة في التعامل مع الوحي الإلهي، وكانت تعرض للصحابة أو لبعضهم رضي الله عنهم بعض التساؤلات المتعلقة بفهم النص القرآني، والنبي ﷺ حي بينهم، فيعرضونها عليه رضي الله عنه ليبيّن لها، ومن ذلك:

- السؤال عن الأخبار الماضية: كسؤال الصحابة رضي الله عنهم للنبي ﷺ عن الأجل الذي قضاه موسى، الوارد في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾ [القصص: 29]، قالوا: أيّ الأجلين قضى موسى؟ ²

- السؤال عن الأمور المتعلقة بالحاضر: كالسؤال عن مُستقرّ الشمس الوارد في قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ [يس: 38]. ³

- السؤال عن الأمور المتعلقة بالمستقبل: كالسؤال عن المستثنى من قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [التل: 87] ⁴، وكدفع توهم التعارض بين معنى

1 متفق عليه، البخاري (6937)، مسلم (124). تقدّم تخریجه.

2 أخرجه البزار (381/09 - 382)، برقم: (3964)، والطبراني في الصغير، (79/02)، برقم: (815). قال البزار: « وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن أبي ذر إلا بهذا الإسناد: قتادة، عن عبد الله بن الصّامت، عن أبي ذر ». وقال الطبراني: « لم يروه عن أبي عمران إلا ابنه ». وقال الهيثمي في المجمع (88/07)، برقم: (11252): « رواه البزار، وفيه إسحاق بن إدريس، وهو متروك، ورواه الطبراني في الصغير والأوسط أطول من هذا، وإسناده حسن ». وقال السيوطي: « بسند ضعيف ». والحديث أورده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم: (1880) وحسنه بمجموع طرقه.

3 متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿تَرَجُّعُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ وقوله جل ذكره: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ (2703/06)، برقم: (6996)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: بيان الزّمن الذي لا يقبل فيه الإيمان (139/01)، برقم: (251).

4 أخرجه أبو يعلى في المطالب العالية، (3702). والحاكم في المستدرک، (253/02)، وأبو نعيم في صفة الجنة، (248)، (245)

آية وحديث نبوي، كالأشكال الذي وقع لعائشة رضي الله عنها في الجمع بين قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: 08]، وبين قول النبي صلى الله عليه وسلم: ليس أحد يُحاسب يوم القيامة إلا هلك، حيث قالت بعد أن سمعت هذا الحديث من النبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله، أليس قد قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوَفِّيَ كِتَابَهُ بِمِيزَانِهِ﴾ ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: 07 - 08]¹، وغير هذا من الأسئلة والإشكالات الواردة للنبي صلى الله عليه وسلم من الصحابة والتي كان غرضها الفهم والمعرفة والتعلم.

- أسئلة من أهل الكتاب ومن المشركين: وهي أسئلة بغرض الإنكار أو التحدي أو الاستهزاء في الغالب، ومن ذلك « ما جاء عن صفوان بن عسال رضي الله عنه أن يهوديين قال أحدهما لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا النبي نسأله، فقال: لا ثقل له نبي، فإنه إن سمعك تقول نبي كانت له أربع أعين، فأتينا النبي صلى الله عليه وسلم فسألاه عن قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى قِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ [الإسراء: 101]، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تنزوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تسرقوا، ولا تسحرُوا، ولا تمشوا بيريء إلى سلطان فيقتله، ولا تأكلوا الرِّبَا، ولا تقذفوا محصنة - أو قال -: ولا تفزوا من الزحف، وعليكم اليهود خاصة أن لا تعتدوا في السبت. فقَبَلَا يَدَيْهِ وَرَجَلَيْهِ وَقَالَا: نشهد أنك نبي، قال: فما يمنعكما أن تُسَلِّمَا؟ قالَا: إن داود دعا الله، أن لا يزال في ذريته نبي، وإنّا نخاف إن أسلمنا أن تقتلنا اليهود²».

والعلابي في تفسيره، (07/ 254)؛ من طريق عمر بن محمد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سأل جبريل عن هذه الآية: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصُوعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: 68]: "من الذين لم يشأ الله أن يصعقهم؟ قال: هم الشهداء". قال ابن كثير في تفسيره، (06/ 153) عن عمر بن محمد - بعد أن ساق الحديث من طريق أبي يعلى - غير معروف. وانظر: السلسلة الضعيفة للأباني، رقم: (3685).

1 متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه في العلم، باب من سمع شيئاً، (103) و(4939) في التفسير باب: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: 08]. و(6536 و6537) في الرقاق، باب: من نوقش الحساب عذب، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إثبات الحساب، برقم: (79 و80).

2 رواه الترمذي (3144) والتسائي (4078) وابن ماجه (3705) وصححه الحاكم (01/ 09) والبيهقي (08/ 166) كلهم من طرق عن شعبة، عن عمرو بن مرة، عن عبد الله بن سلمة، عن صفوان بن عسال، وإسناده ضعيف من أجل عبد الله بن سلمة المرادي الكوفي، لم يرو عنه إلا عمرو بن مرة، وأبو إسحاق السبيعي، قال فيه التسائي بعد أن أخرج هذا الحديث في "السنن الكبرى" (3527): "وهذا حديث منكر"، قال الحافظ ابن كثير في تفسيره تحت تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى قِسْعَ آيَاتٍ﴾ وهو حديث مشكل، وعبد الله بن سلمة في حفظه شيء، وقد تكلموا فيه، ولعله اشتبه عليه التسع الآيات بالعشر الكلمات، فإنها وصايا في التوراة لا تعلق لها بقيام الحجة على فرعون، والله أعلم. تفسير ابن كثير (05/ 125).

وقد ثبت عنه ﷺ إيضاحه لبعض ما ورد عن بني إسرائيل مثل الحِطَّة: «فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله: قيل لبني إسرائيل: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ فبدّلوا، فدخلوا يزحفون على أستاههم، وقالوا حبة في شعرة»¹، وغيره من الأحاديث الثابتة، وهذا من السنّة النبويّة فيقبل لثبوته عن النبيّ ﷺ لا غير.

والرّد على التّساؤلات وإزالة الإشكالات جانب من جوانب بيان النبيّ ﷺ للقرآن الكريم، وإنّما توسّع الباحث في ذكر أمثلته، لُيَبِّينَ اهتمام الصحابة رضي الله عنهم بفهم القرآن وسلوكهم الطّريق المناسب لذلك، وهناك جوانب أخرى للتفسير الثابت عن النبيّ ﷺ، يكون له فيه ﷺ جانب المبادرة؛ كبيان كفيّة العبادات والمعاملات، وكأخلاقه وتصرفاته واستجابته وسلوكه العامّ (قولاً وفعلًا وتقريراً)، وهذا كلّه يُوافق الأدلّة التي تدلّ على أنّ النبيّ ﷺ قد بيّن للنّاس ما نُزل إليهم بأمر من الله عزّ وجلّ، مثل قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: 44].

وغاية ما أراد الباحث بيانه بهذا التّفصيل؛ هو أنّ الأدلّة الواردة مُتظافرة على أنّ النبيّ ﷺ لم يسلك مع القرآن مسلكاً واحداً في التفسير، فهو لم يُفسّر القرآن بالقرآن فقط، بل عدّد المصادر ليسنّ لأمتّه الطّريقة المثلى لتفسير القرآن وفهمه، وبذلك يكون ﷺ بيّن اللفظ والمعنى والطّريقة والمصادر الأنسب لفهم وتفسير القرآن، وإدراك ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ويهدي إليه من يريد، ولكنّ العلوانيّ تجاهل كلّ هذا لموقف له مع السنّة النبويّة سيأتي تفصيله وبيانه.

03- تفسير الصحابة رضي الله عنهم في حياة رسول الله ﷺ: «عن عمرو بن العاص، قال: بعثني

رسول الله ﷺ عام (ذات السّلاسل)، فاحتلمت في ليلة باردة شديدة البرد، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، فتيّمت به، ثمّ صليت بأصحابي صلاة الصّبح، فلما قدمت على رسول الله ذكر ذلك له، فقال: يا عمرو، صليت بأصحابك وأنت جنب؟ قلت: نعم يا رسول الله، إنّني احتلمت في ليلة باردة شديدة البرد، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، وذكرت قول الله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء: 29] فتيّمت، ثمّ صليت، فضحك، ولم يقل شيئاً»²، وفي ضحك النبيّ ﷺ وسكوته إقرار لمسألتين،

1 متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾، برقم: (4479) ومسلم في صحيحه، كتاب التفسير، باب منه، برقم: (3015).

2 أخرجه الإمام أحمد في مسنده، (203/04)، برقم: (17845)، وأبو داود في سننه، كتاب الطهارة، باب إذا خاف الجنب البرد أتيتم، حديث: (334)، والدارقطني في سننه، (178/01)، حديث (12)، والحاكم في المستدرک، (01/285) حديث (129)، والبيهقي في السنن الكبرى، (225/01)، حديث: (1011)، وقد رواه البخاري في صحيحه معلقاً بصيغة التّمریض (01/132)، كتاب التيمم، باب إذا خاف الجنب على نفسه المرض أو الموت أو خاف العطش يتيّم، قال (247)

الأولى: إقرار وقبول لقيام عمرو بن العاص بتفسير القرآن، والثانية: إقرار بصحة وسلامة اجتهاده وتفسيره. والله أعلم.

وفي حديث تفسير الصحابة للظلم السابق ذكره، إقرار منه ﷺ لجواز اجتهادهم ﷺ لتفسير القرآن والسعي لفهمه، وتخطئة لهم فيما ذهبوا إليه، ثم بيانه المعنى الصحيح ومسلكه (تفسير القرآن بالقرآن)، والمراد هنا هو بيان أن الصحابة فسروا القرآن في عهد الرسول ﷺ ولم ينكر ذلك عليهم بل قبله منهم، فيكون حديث تفسير الظلم عظيم في هذا الباب، فهو وحده يصلح دليلاً لعدة مصادر للتفسير: تفسير القرآن بالقرآن وهو المعنى المراد كما بين رسول الله ﷺ، تفسير القرآن بالسنة لأن الصحابة ﷺ إنما سألوا النبي ﷺ حين سألوه وهم يريدون جواباً منه هو ﷺ، تفسير القرآن بأقوال الصحابة وهو الفعل الذي أقره رسول الله ﷺ، تفسير القرآن باللغة العربية وهو معنى الظلم المحتمل لغة الذي فهمه الصحابة ﷺ، فلم ينكر ﷺ عليهم اعتمادهم على اللغة العربية لفهم الآية وما كانوا ﷺ ليتجرؤوا على ذلك لولا علمهم المسبق ويقينهم بجواز ذلك.

04- تفسير القرآن باللغة العربية: إن اللغة العربية هي اللغة التي نزل بها القرآن على أحسن ما

تعرفه العرب من فنون الخطاب ودلائله، وقد وصف الله ﷻ القرآن بأنه بلسان عربي مبين؛ وهذا لحسن إفادته المعاني بمفردات وأساليب عربية فصيحة تدل على المراد دلالة بيّنة، ومما ورد عنه ﷺ في بيان معنى القرآن باللغة العربية:

- بيان المعنى اللغوي: فعن أم سلمة ؓ قالت: قلت يا رسول الله أخبرني عن قول الله ﷻ ﴿كَأَمْثَلِ

الَّذِينَ الْمَكْنُونِ ٣٣﴾ [الواقعة: 23] قال: صفاؤهن كصفاء الدر الذي في الأصداف الذي لا تمسه الأيدي.¹

ابن حجر في فتح الباري (541 / 01): « وإسناده قوي، لكنه علّقه بصيغة التمريض لكونه اختصره ». وصححه الألباني في إرواء الغليل (181 / 01).

1 أخرجه الطبراني في الكبير، (23 / 367 - 368)، برقم: (870) مطوّلًا، وابن جرير (22 / 304).

قال الهيثمي في الجمع، (07 / 119)، برقم: (11396): « رواه الطبراني، وفيه سليمان بن أبي كريمة، ضعّفه أبو حاتم، وابن عدي ». والحديث منكر. ينظر: خالد بن عبد العزيز الباتلي، التفسير النبوي مقدّمة تأصيليّة مع دراسة حديثيّة لأحاديث التفسير النبوي الصريح، (02 / 652). (أصل الكتاب: رسالة دكتوراه من جامعة الإمام بالرياض، ط01، دار كنوز إشبيلية للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1432 هـ - 2011 م).

- بيان غريب الكلام: كسؤال قطبة بن مالك رضي الله عنه عن معنى بُسُوق النّحلة الوارد في قوله تعالى: ﴿وَالنَّحْلَ بَاسِقَتٍ﴾ [ق: 10]، وقوله بعد سماع هذه الآية من النبي صلى الله عليه وسلم: فجعلت أرددها ولا أدري ما قال.¹

وعلى ما تمّ ذكره وبيانه، فإنّه ليس صحيحاً أن يُقال أنّ منهج النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير القرآن الكريم بالقول إنّما هو تفسير القرآن بالقرآن لا غير، بل فسّر صلى الله عليه وسلم القرآن بالقرآن كما فسّره غيره.

ت- الدّعوة إلى الارتباط بالقرآن الكريم وحده: بمفهوم المخالفة هذه دعوة لتغيير طريقة التعامل مع السنّة النبويّة، يُوضّح العلوانيّ هذا فيقول: « إنّ محاولتنا هذه لتفسير القرآن بالقرآن هي دعوة للمسلمين، بل إلى البشريّة كافّة أن ترتبط بالقرآن الكريم وحده وتعتمد عليه بمفرده، وأنّ تعلم يقيناً أنّه محفوظ بحفظ الله بنظمه وأسلوبه وبلاغته وفصاحته وإعجازه »²، ويضيف مؤكّداً أنّ المراد من قوله تعالى: ﴿لُتَبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: 44] لِيُبَيِّنَ للنّاس الكتاب بالكتاب تلاوةً وتعليماً، كما بيّنا في أكثر من موضع تقدّم.³

إنّ إضافة قرائن أخرى إلى ظاهر ما تضمّنته دعوة العلوانيّ المتكرّرة إلى الارتباط بالقرآن الكريم وحده، كتعريفه للنصّ على أنّه القرآن الكريم وحده، ونظرته إلى طريقة تعامل العلماء مع السنّة النبويّة على أنّها إشكاليّة، وطريقته في قبول السنّة أو ردها، ودعوته المستمرّة لمراجعة تراث الأمّة التفسيرية واعتباره حاجزاً بين الأمّة وبين فهم القرآن الكريم، مراجعة لا تكتفي بتنقيته ممّا علق فيه وهو ليس من الإسلام، ولكنّها مراجعة لإعادة البناء بما يتوافق مع القرآن الكريم، وكأنّها كانت تُخالفه ! وغيرها من دعوات التجديد والثّورة على الموروث العلميّ الإسلاميّ، كافية لفهم موقف العلوانيّ من السنّة النبويّة⁴، ولكنّه لم يكتف بالتلميح دليلاً على موقفه، بل صرّح به في غير ما كتاب ومناسبة.

ث- إظهار هيمنة الكتاب العظيم على العقل الإنسانيّ والواقع البشريّ: ظلّ طه جابر العلوانيّ يُرافع على أنّ القرآن المجيد بكونيّته يُمكن أن يبني ويُؤسّس الإطار الكونيّ الشّامل للفكر الإنسانيّ، ويصدّق على العلم ومنهجه ومنطقه ويهيمن عليه، ويوجّه الجهود الإنسانيّة بشكل جماعيّ لتطوير الأرض وإعمارها وإنماء ما فيها، ويُمكنّها من مُواجهة الأزمات العالميّة الرّاهنة والمستقبليّة، بحيث

1 أخرجه مسلم في "صحيحه" كتاب الصلاة، باب القراءة في الصّبح، برقم: (457).

2 طه جابر العلوانيّ، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 50.

3 طه جابر العلوانيّ، إشكالية التعامل مع السنّة النبويّة، مرجع سبق ذكره، ص: 171.

4 التعامل مع السنّة النبويّة من أهمّ ما قام العلوانيّ بمراجعتها، لذا سيأتي بيان موقفه من السنّة النبويّة في مبحث خاصّ.

يُصبح حملة الخطاب القرآني شركاء فاعلين في مسيرة العلم والحضارة، ومرجعيتهم كتاب الله ﷻ بدلاً من تكريس التبعية والتقليد للغرب.¹

ولهذا يرى العلواني أننا نحتاج « إلى تعلّم كيفية قراءة القرآن في كليته في تماثل وانسجام مع قراءة الكون الطبيعي في كليته، فهناك آيات طبيعية ماثلة يكشف العقل نظامها الكلي، وقوانين ارتباطها ووصولاً إلى منهجها، وكذلك الأمر مع آيات القرآن حيث يكشف نظامها الكلي ووحدة العضوية المنهجية »²، فالتبصر والوعي التام للقرآن الكريم وقوانينه، يُزود العقل الإنساني بالرؤية الواضحة بحريات الواقع الإنساني في الماضي والحاضر، ومُمكنه من تدبير وصياغة المستقبل، من أجل تحقيق النهوض الحضاري، لما لها من أبعاد معرفية ودلالات حضارية ونتائج علمية على حاضر الإنسان ومستقبله.

وتناول العلواني مفهوم الواقع في إطار محاولته للكشف عن منهج القرآن المجيد في إعادة بناء الأمة بما يؤسس لعلم جديد هو فقه الواقع، فالقرآن المجيد قد وجه إلى فقه الواقع وضرورة تحليله ودراسته وفهمه بما لا مزيد عليه، فهناك مئات الآيات الكريمة قد نبّهت إلى الواقع وأهميته وضرورة دراسته وتحليله؛ وما أسباب النزول وعلم المناسبات والسور والآيات التي قامت بتحليل الواقع المكّي والمدني والعالمي إلا نماذج تدلّ بكلّ أوجه الدلالة على فقه الواقع ودراسته.³

ثالثاً: دوافع متعلّقة بشخصية طه جابر العلواني الذاتية والعلمية

أ- مشروع طه جابر العلواني الخاص بالقرآن الكريم: إنّ كون نقد التراث عند طه جابر العلواني هو نقد معرفي يشغل على الأدوات، لا يعني في حقيقة الأمر أنّه قام بالتخلّص من هذه الأدوات ليضع محلّها أدوات حديثة ومُعاصرة مُنتقاة من التأويلات المعاصرة، بل تعني محاولة الخروج بمنهجية قرآنية كبديل عن المنهجيات التراثية والمعاصرة كليهما معاً، فالعلواني لا يقطع تماماً مع التراث الأصولي والتفسي والبلاغي الذي ينتمي له؛ هذا لأنّه يعتبر أنّ غلبة المناهج التجزيئية وشيوع الإسرائيليات في التفسير والعلاقة غير المنضبطة بين القرآن والسنة، والقرآن والكتب السابقة، والقرآن ولغة الشعر الجاهلي في هذه الآليات -مما يعني إهدار حاكمية القرآن-، لا يعني أبداً غياباً تاماً لفكرة الوحدة

1 ينظر مؤلفات طه جابر العلواني: معالم في المنهج القرآني، ص: 77 - 81. وحاكمية القرآن، ص: 22 - 24. والأزمة الفكرية المعاصرة: تشخيص ومقترحات علاج، ص: 42 وما بعدها.

2 طه جابر العلواني، الخصوصية والعالمية والفكر الإسلامي المعاصر، (ط 01)، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1424هـ - 2003م)، ص: 102.

3 طه جابر العلواني، معالم في المنهج القرآني، مرجع سبق ذكره، ص: 96 - 105.

البنائية للقرآن عن هذا التراث، لذا، فإنه اجتهد كثيراً في البحث عن ملامح وبقايا هذه الفكرة في التراث ليُعيد استثمارها من جديد داخل خطابه، وإذا كان لا يجد ما يُواصل فكرته في تراث الأصوليين وعلماء الكلام وجمهرة المفسرين، إلا أنه وجده عند البلاغيين و أصحاب البيان، في حديثهم عن «فلسفة التّحدّي» و«الإعجاز» و«نظرية النّظم» من الجاحظ إلى الجرجاني، بالإضافة لبعض الأفكار المنتشرة لابن العربي والرازي حول وحدة السّور وتناسبها الدّاخلي أو تناسب السّور في ترتيب المصحف، وهذا أكّد له أن هذه الفكرة على جدّتها فهي ليست مُختَرعة من طرفه، بل هي في نظره كانت قائمة ومُلازمة للقرآن، فهي و«نظرية النّظم» يُشكّلان حجر الزاوية في المنظومة الدّاخلية التي أودعها الله هذا الكتاب؛ بالرّغم من أن ولادتها كفكرة وكمبدأ منهجيّ جاء مُتَعَسِّراً.¹

إن هذا الإيمان بفكرة الوحدة البنائية من طرف طه جابر العلواني انقلب تصوّراً ثمّ اشتغالاً معرفياً بأدوات منهجية تنطلق من تعالي القرآن، بما يُؤكّد كون القرآن هو الأساس لنقد ومُراجعة التراث، وعليه أفضت الوحدة البنائية إلى فكرة المقاصد العليا الحاكمة للقرآن، أي الانتقال للحوار مع القرآن حول كلّ الإشكالات التي تتعلّق بعلاقة المسلم بذاته وبغيره، ثمّ علاقة الوحي المنظور بالوحي المسطور، ومن هنا انتقل إلى مدخل الجمع بين القراءتين، وهو مدخل محوريّ ودعامة أساس في بناء (المنهجية المعرفية القرآنية) التي تُحاول (قراءة المناهج القرآنية) اكتشافها وبلورتها كحلّ ومُخرج من الأزمة العالمية المنهجية، فتولّد من هذا مشروع إسلامية المعرفة، أي إعادة بناء علوم الأمة الإسلامية، تلك هي الخطوط العريضة لمشروع طه جابر العلواني التي دفعته دفعاً نحو تفسير القرآن الكريم.

ب- مؤهلات طه جابر العلواني لتفسير القرآن: اعتبر طه جابر العلواني أحد مُجدّدي العصر الذين ألفوا في الفقه ومقاصد الشريعة، والمنهج، وعلوم القرآن، وقد برز اهتمامه في دراساته بترسيخ قيمة النظرة التّجديدية في التعاليم الدّينية، من هنا عُدّ عند البعض باحث موسوعيّ، و « علم من أعلام الأمة الإسلامية المعاصرين ورواد المنظور الحضاريّ في علوم الأمة والعمران، وخاصة دراسات القرآن الكريم والعناية به، جمع بين الرّسوخ في العلم، والاطّلاع والمشاركة في العلوم الاجتماعية والإنسانية الحديثة ... ».²

1 ينظر: طه جابر العلواني، الوحدة البنائية للقرآن المجيد، مرجع سبق ذكره، ص: 22 - 61.

2 ماجدة إبراهيم عامر، قراءة في فكر أعلام الأمة: العطاء العلمي والفكري للدكتور طه جابر العلواني، (ط01، مركز الحضارة للدراسات والبحوث، القاهرة، مصر، 1445هـ - 2024م)، ص: 17.

وفعلاً أولى العلواني الدراسات القرآنية جلّ اهتمامه، نظراً ليقينه أنّ القرآن هو المحرك الرئيس لهذه الأمة، وبعد أن ألّف سلسلة من تسعة كتب تناول فيها دراسة القرآن الكريم داخلياً وخارجياً، وعالج فيها محاور رآها مهمّة لفهم القرآن الكريم، وهذه الكتب هي "أزمة الإنسانية ودور القرآن الكريم في الخلاص منها"، و"الجمع بين القراءتين: قراءة الوحي وقراءة الكون"، و"الوحدة البنائية للقرآن المجيد"، و"لسان القرآن ومستقبل الأمة القطب"، و"نحو موقف قرآني من النسخ"، و"أفلا يتدبّرون القرآن"، و"معالم في المنهج القرآني"، و"نحو موقف قرآني من إشكالية المحكم والمتشابه"، و"نحو منهجية معرفية قرآنية"، رأى نفسه مؤهلاً لتفسير القرآن الكريم.

وقد سبق بيان الباحث مؤهلات طه جابر العلواني في المطلب السابق، وجلّ المآخذ التي سُجّلت عليه فكرية منهجية أكثر منها علمية.

ت- مواجهة التحديات المعاصرة: يقول طه العلواني: «أنا رجل عملي، وحياتي علمني التفريق بين العمل والمثل»¹، لذا فإنّ هذا الداعي -فيما يرى الباحث- أقوى الدواعي وأهم الأسباب والبواعث التي حملت العلواني على خوض غمار التفسير وولوج ساحته من خلال باب اختصّ به نفسه وعبر مسلك سطره وتعجّل المسير عبره، مسلك بمفاهيم ومصطلحات ومناهج وأفكار يمكن وصفها بالثورة العلوانية التفسيرية ضدّ موروث الأمة التفسيرية وضدّ حاضرها الحضاري والفكري المتخلف، فهي هجمة ضدّ عدّة جهات بعدّة أنتجت أفكار ومراجعات ومفاهيم العلواني، ثورة البحث عن الخلاص الكلي، «وهذا الخلاص الكليّ يتعدّر أن تأتي به القومية العنصرية أو الطبقيّة أو الحزبية أو الطائفية أو الإقليميّة أو اللاهوتية المتعصّبة أو الليبرالية أو الجدلية المادية والصراع الطبقيّ والحتميات التاريخية، أو أيّ طرح حصريّ أو أحاديّ ذاتيّ التكوين، ولا يمكن أن تأتي به الديمقراطية والعولمة في طرحها الحاليّ... وليس هناك غير القرآن الكريم المحفوظ، المكنون، الهادي للتي هي أقوم يستطيع تحقيق هذين البعدين - معاً - أعني عالميّة الحلول والبدائل والمعالجات وشموليّة المنهج المعرفيّ...»².

ث- التأسيس لعلم بناء المفاهيم: مراجعة التراث الإسلاميّ ونقده تحتاج بمنظور العلواني إلى تنقيته ممّا علق به من غبش في بناء المفاهيم الإسلامية المحورية، التي صارت من فرط استقرار

1 التحديات التي تواجه هيمنة القرآن على التراث، طه جابر العلواني، بقلم: مجمّد عزّت، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، 27 سبتمبر 2020، <https://www.mominoun.com/articles/>.

2 طه جابر العلواني، أزمة الإنسانية ودور القرآن الكريم في الخلاص منها، مرجع سبق ذكره، ص: 47.

مضامينها، ومن حجّة من بنوها، بمثابة مسلّمات تعيد إنتاج معارف مزجاة، هي أحوج ما تكون إلى إعادة النّظر والبناء.

ولا يخفى على من تتبّع مؤلّفات العلواني ونشاطاته العلميّة، اعتباره أنّ إعادة بناء منظومة المفاهيم الإسلامية علم جديد يجب تأسيسه، فأمتنا -فيما يرى- تعيش أزمة مفاهيم وعليه يجب الشّروع في عملية مراجعات تأسيسية جذريّة لعلم جديد غايته التعريف بالأزمة المعرفيّة ومن ثمّ تحديد سبل الخروج منها، وهو لم يكتف بالتّنظير بل قدّم مفاهيم جديدة منها مفهوم تفسير القرآن بالقرآن، الذي اعتبره مفهوماً صحيحاً، ولكنّه بحاجة إلى مراجعة وضبط، ومرجعه الأوحد في بناء المفاهيم هو القرآن الكريم، وعليه يجب فهم القرآن أولاً لإعادة بناء المفاهيم الإسلامية من جديد.

ج- تفسير القرآن واجب عينيّ على العلواني: هذا ما اعتقده العلواني في نفسه، فصرّح به قائلاً: « ولذلك فقد وجدنا أنّ علينا واجباً عينيّاً وهو أن نقوم بما لم يقم به الآخرون، فنجتهد في تقديم القرآن للبشريّة كما أنزله الله على رسوله الكريم الذي حفظه بنظمه الداخليّ وأسلوبه وفصاحته وإعجازه من أن يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه »¹، ومّا هو معلوم أنّه لا ينبغي الإقدام على تفسير كتاب الله إلّا لمن توقّرت فيه شروط وآداب المفسّر.

المطلب الثالث: معالم المنهج القرآنيّ عند طه جابر العلواني

إذا كانت جميع النصوص تحتاج إلى تأسيس منهج للتعامل به معها، ألا يحتاج الخطاب القرآنيّ إلى منهج مضبوط وصارم يُحدّد للعقل البشريّ مساره عند تعامله مع القرآن الكريم؟ مُنطلقاً من هذا الإشكال، سعى طه جابر العلواني - المتوقّف على المؤهّلات وبدوافع مُتعدّدة - جاهداً للكشف عن معالم المنهج القرآنيّ المستنبط والمستخلص من القرآن الكريم نفسه (أو منهجيّة القرآن المعرفيّة)، وذلك لأنّه يعدّ « مفهوم المنهاج القرآنيّ من أهمّ المفاهيم القرآنيّة بعد التّوحيد »².

وفي هذا المطلب سيُعرّض حصيلة ما توصّل إليه طه جابر العلواني في هذا الجانب، وعلى رأس ذلك تعريفه للمنهج والذي ذكر فيه أنّه « يمكن تعريف المنهج أنّه وسيلة إلى قيادة العقل الإنسانيّ إلى الحقيقة، أو إلى ما يغلب على الظنّ أنّه الحقيقة »³، وفي هذا الإطار سيُقدّم الباحث الاهتمامات الأساسيّة لطله جابر العلواني في محاولته للكشف عن المنهج القرآنيّ.

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص 50.

2 طه جابر العلواني، معالم في المنهج القرآنيّ، مرجع سبق ذكره، ص: 28.

3 المرجع السّابق، ص: 27.

أولاً: المحدّدات المنهجية القرآنية المعرفية عند طه جابر العلواني:

يُعرّف طه جابر العلواني منهجية القرآن المعرفية على أنّها: « المنهج الذي يُقدّمه لنا القرآن المجيد في شكل مُحدّدات، ومن قوانين يُمكن استنباطها من استقراء آيات الكتاب الكريم تلاوةً وتدبراً وترتيباً وتنزيلاً وتفكيراً وتعقلاً وتذكّراً، ثمّ التعامل مع هذه المحدّدات تعاملًا يسمح لنا بأن نجعل منها محدّدات تصديق وهيمنة، وضبط لسائر خطواتنا المعرفية ¹، وحصر في كتابه "معالم في المنهج القرآني" هذه المحدّدات المنهجية القرآنية فيما يلي ²:

المحدّد الأول: التوحيد محور الرؤية الكلية القرآنية: اعتبر طه جابر العلواني التوحيد مدخل تفسيريّ ذو قابليات هائلة، وقدرات مُتنوّعة لتفسير آلاف الظّاهرات النفسية والسلوكية والنظميّة والمعرفية في مختلف المستويات، والتّفسير الذي يقدّمه القرآن المجيد يؤدّي إلى الفهم العميق لتلك الظّاهرات، ويجرّر تحريراً تامّاً من سلطان الكهانة والسّحر والشعوذة، ويؤسّس للعقلانيّة التّوحيدية.

كما اعتبر التّوحيد المقصد الأوّل من مقاصد القرآن العليا عند تفسير سورة الفاتحة، ذكر للتّوحيد أربعة أنواع: توحيد الألوهية، توحيد الربوبية، توحيد الأسماء والصفات، توحيد الحاكمية وهو حسب عائد لتوحيد الألوهية ³، والحاكمية هي حاكمية الكتاب بفهم بشريّ لا حاكمية إلهية ... وحاكمية القرآن المجيد نقلت الإنسان إلى أن يكون محكوماً بهذا الكتاب الذي يجعل المسؤولية عن الممارسة والتّطبيق قائمة على الفهم البشريّ والإدراك الإنسانيّ كلّ بحسبه ⁴.

وتقسيم التّوحيد المعروف عند العلماء من أهل السلف من المتقدّمين والمتأخّرين والمعاصرين، لم يذكروا فيه -توحيد الحاكمية- قسماً رابعاً للتّوحيد، بل قالوا بتقسيم التّوحيد إلى توحيد ألوهية، وربوبية، وأسماء وصفات، ولم يجعلوا -الحاكمية- قسماً رابعاً منه ⁵.

1 طه جابر العلواني، الجمع بين القراءتين قراءة الوحي وقراءة الكون، مرجع سبق ذكره، ص: 27.

2 ينظر: طه جابر العلواني، معالم في المنهج القرآني، مرجع سبق ذكره، ص: 82 - 89. باختصار.

3 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 55.

4 ينظر: طه جابر العلواني، من أدب الاختلاف إلى نبذ الخلاف، مرجع سبق ذكره، ص: 265 - 300.

5 ينظر: الفقه الأكبر لأبي حنيفة. والتّوحيد لابن منده. وجامع البيان للطبري. والعقيدة الطحاوية لأبي جعفر الطحاوي. وروضة العقلاء ونزهة الفضلاء لأبي حاتم البستي. والرّسالة لابن أبي زيد القيرواني. والإبانة عن شريعة الفرقة النّاجية ومجانبة الفرق المذمومة لابن بطّة العكبري. وسراج الملوك لأبي بكر الطرطوشي. والحجّة لأبي القاسم إسماعيل التيميّ الأصبهاني. وجامع الأحكام للقرطبي. وكتب ابن تيمية وتلاميذه. والتّوحيد لمحمد بن عبد الوهاب. وفتح القدير للشوكاني. وغيرهم.

وقد قسم الأشاعرة التوحيد إلى ثلاثة أقسام أيضاً: توحيد الذات، وتوحيد الصفات، وتوحيد الأفعال، قال كمال الدين ابن أبي شريف (توفي: 906هـ)¹: «التوحيد هو اعتقاد الوجدانية في الذات والصفات والأفعال»²، وقال الشهرستاني في "الملل والنحل": «وأما التوحيد فقد قال أهل السنة، وجميع الصفاتية³: إن الله تعالى واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته الأزلية لا نظير له، وواحد في أفعاله لا شريك له»⁴، أي اعتقاد أنه لا يوجد ذات مثل ذاته ﷻ، ولا يوجد لغيره صفات مثل صفاته، وأنه المتفرد بخلق الأشياء وإيجادها وليس لغيره أي دخل في خلق الأشياء وإيجادها، ولم يجعلوا توحيد الحاكمية نوعاً رابعاً.

ثم خالف وجاء بقسم رابع سمي توحيد الحاكمية كل من أبي الأعلى المودودي (توفي: 1403هـ)، وسيد قطب (توفي: 1386هـ)، وعبد الرحمن عبد الخالق (توفي: 1442هـ)، وطه جابر العلواني (توفي: 1437هـ)، وغيرهم.

والتقسيمان الأولان أقرب إلى الصواب، وأولى بالقبول، والله أعلم.

المحدد الثاني: الجمع بين القراءتين: يرى طه جابر العلواني أن المنهج القرآني يساعد في الكشف عن القراءة التجزيئية والمعضاة وتجاوزها إلى القراءة الجامعة و الجمع بين القراءتين قراءة الوحي وقراءة الكون، ومحدد الجمع بين القراءتين يربط بين الغيب والواقع ويُمكن من استخلاص مُحددات يُقرأ الواقع بها، ويُمكن من الصياغة الدقيقة لإشكاليات الواقع والعروج بها إلى القرآن المجيد في وحدته البنائية للوصول إلى هديه في معالجتها.

1 محمد بن محمد بن أبي بكر بن علي كمال الدين بن أبي شريف (822-906هـ / 1419 - 1501م)، فقيه من فقهاء الشافعية، عالم بالأصول، مفسر، متكلم، وُلد في القدس، رحل إلى القاهرة وأخذ عن علمائها كابن حجر وغيره، وسمع بالمدينة على الحب الطبري وغيره، وبمكة على أبي الفتح المراغي وغيره، من مؤلفاته: الإسهاد بشرح الإرشاد، والتاج والإكليل على أنوار التنزيل. ينظر: الضوء اللامع، ج2، ص: 234. وعبد الرحمن الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، (377/02-382). وابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، (01/08-13). والزركلي، الأعلام، (53/07). وعادل نويهض، معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، (ط3)، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، 1988م)، ج2، ص: 623.

2 ابن أبي شريف المقدسي، المسامرة شرح المسامرة في العقائد المنجية في الآخرة، تحقيق ودراسة: كمال الدين قاري وعز الدين معميش، (ط01، شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1425هـ - 2004م)، ص: 71.

3 هم جماعة كثيرة من السلف كانوا يثبتون لله تعالى صفات أزلية ولا يُفرون بين صفات الذات وصفات الفعل، ولما كانت المعتزلة تنفي الصفات والسلف يثبتون، سمي السلف صفاتية والمعتزلة معطلة. الشهرستاني، الملل والنحل، مصدر سبق ذكره، ج01، ص: 104.

4 المرجع السابق، ج01، ص: 55.

وهكذا سيكتشف العقل العلمي أنّ الجمع بين القراءتين على هذا المستوى الإدراكيّ كفيل بتقديم الحلّ الكافي والعلاج الشافي لأزمات هذا الواقع القائم على ما ذكرنا، لأنّ ذلك الحلّ بمستوى الأزمة، لا أقلّ منها ولا مُقارباً لها ولا مُقارناً لها، بل هو مُستوعب لها. ومما وجب التنبيه له وذكره ههنا، أنّ تقديم الحلول لمشكلات العصر وأزماته هي أبرز أهداف التفسير الموضوعي.

المحدّد الثالث: الوحدة البنائية للقرآن الكريم والاستيعاب الكوني: المراد بالوحدة البنائية عند طه جابر العلواني هو أنّ القرآن الكريم بكلّ سورة وآياته وأجزائه وأحزابه وكلماته يُعتبر جملة واحدة¹، لذا فهو يُؤكّد على أنّه ينبغي أن يجري التعامل مع القرآن الكريم باعتباره مصدر المنهجية الكونية، فلا تجوز تجزئته بحال، ولا يجري تجاوز شيء منه بحجة أنّه -حمّال أوجه- أو آية حجة أخرى -تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً-²، ولا ينبغي تصنيفه إلى محكم ومتشابه فكلّه محكم ﴿الرَّكَتُوبُ أُحْكِمَتْ أَيْنُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾ [هود: 01]، وكلّه يشبه بعضه بعضاً في إحكامه وإعجازه وتحديده والتعبّد به ولغته وأساليبه وهدايته وتأثيره، كما لا يجوز تصنيفه إلى محكم وشاذّ، وإلى ناسخ ومنسوخ، وغير ذلك ممّا يتداول الناس ولا يزالون يتداولونه حتّى يومنا هذا، فذلك كلّه مُنافٍ لإطلاقيته، مُنافٍ لوحدة البنائية، عائد على إعجازه بالتقّض.

والقرآن الكريم يضمّ ((منهجية كونية)) ويتميّز ((بوحدة البنائية)) في كلّ آياته وفي سورة كافّة، وهذه الوحدة تجعل من المحال أن يقع في القرآن تضارب أو اختلاف أو نسخ أو تعارض، وأنّ كلماته، بل وحروفه لا يمكن أن تكون ميداناً للتأويلات الشاذّة المتضاربة إذا تُلّي حقّ تلاوته.

1 طه جابر العلواني، الوحدة البنائية للقرآن المجيد، مرجع سبق ذكره، ص: 13.

2 نقل طه جابر العلواني أنّ قول (القرآن حمّال أوجه) منقول عن علي بن أبي طالب عليه السلام، وأنّه أوصى به ابن عباس عليه السلام، وذكر أنّ ممّن ذهب لهذا القول مقاتل وعكرمة وسواهما، وممّن نقله السيوطي وعدّه مدحاً للقرآن، والخطيب البغدادي، ثمّ قال العلواني: وسائر أسانيده فيها مقال، أمّا متنه ففيه الكثير ممّا يستدعي التّظنر. ينظر: طه جابر العلواني، معالم في المنهج القرآني، مرجع سبق ذكره، ص: 85 - 86. ولو أنّ العلواني اكتفى بما سبق ذكره، ولم يزد عبارة -تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً- لَبَانَ رأيه، ولعابَتْ شدّته، فكون القرآن حمّال أوجه، وأنّه مصدر تنوّع وثرَاء، وتعدّد قراءات القرآن هو تعدّد مستويات وليس تناقضاً، فكلماً أبحر المفسّر في النّصّ مُزوّداً بمعارف وخبرات إنسانية أعمق كلّما تبدّت له معانٍ أعمق في النّصّ، فالتفسير ابن بيئته، وهذا أمر واضح، ورأي معتبر. والله أعلم.

ثانياً: مُقَدِّمات لاستقامة المنهج عند ولوج القرآن الكريم:

يرى طه جابر العلواني أنّ هناك مُقَدِّمات يجب على القارئ أن يعيها في وُلوجه للقرآن الكريم، وهي مُقَدِّمات تُساعده على استقامة المنهج ووضوحه، وبروز معلمه، ووضوح طرقي بدايته ونهايته، ممّا يجعل سالكه مُستيقناً بأنّه على الهدى، آمناً من الوقوع في الضلال، ويستطيع الاطمئنان إلى أنّه بالغ الغاية، وواصل إلى المراد، ومدرك للبعية، ومن تلك المُقَدِّمات:¹

أ- موقع القارئ من الخطاب: يجب أن يُحدّد القارئ موقعه من الخطاب، ما موقعي أنا ؟ هل جئت إلى القرآن الكريم طالب هداية، أم طالب تعبد، أم طالب معرفة حكم، أم طالب معرفة سنن اجتماعية، أم تاريخ أقوام، أم استنباط هداية أم ماذا ؟ هذا التّحديد مهمّ جدّاً، ولا بدّ للقارئ أن يحدّد موقعه من القرآن الكريم وهو يلج إلى رحابه، ولا بدّ من أن يحدّد موقع الخطاب منه، ما علاقة القرآن به ؟ ... فلا بدّ أن يحدّد القارئ هدفه من القراءة بدقّة، وهو ما نُسمّيه بالنّيّة.

ب- تنزيل القراءة على القلب: القراءة بالعينين وتحريك اللسان دون إشراكٍ فعليٍّ للقلب لا تؤدّي ما تؤدّيه القراءة عندما يُنزل القارئ قراءته على قلبه مباشرة، وهذا النوع من القراءة يقتضي تيقّظ قوى الوعي الإنسانيّ - كلّها - عند القراءة، وتحتاج إلى تدريب على ذلك، بحيث تفيض القراءة من القلب إلى الجوارح، فيكون القلب هو المستقبل الأوّل لآيات الكتاب الكريم.

ت- حضارة الكلمة وحضارة الصّورة: يحتاج القارئ أن يدرك أنّ القرآن كلام الله، يقوم على الكلمة، وأنّ الحضارة التي أقامها هي حضارة كلمة، وهو مقابل حضارة الصّورة والتّمثال، والكلمة يستحيل توثيقها وإن وثّقها بعض النّاس، وحضارة الكلمة غير حضارة الصّورة أو المثال، فلحضارة الكلمة خصائصها، وللعقل المنتمي إلى حضارة الكلمة سمات وصفات لا بدّ للقارئ أن يكون على وعي بها ليحسن التّعامل مع تلك الكلمات ...

وكلمات القرآن الكريم ليست كأية كلمات عربيّة، وإنّما هي كلمات على مستوى عالٍ يرتقي إلى مستوى المفاهيم، وذلك للفرق الكبير بين الاستعمال الإلهيّ للغة والاستعمال البشريّ لها، فالاستعمال البشريّ للغة قد لا يحمل من ثراء المعاني ما يحمله الاستعمال الإلهيّ الذي أحاط بكلّ شيء علماً، والذي فصّل هذا الكتاب على علمه ﷻ، فالكلمة القرآنية إذاً:

- كلمة ترتقي لمستوى المفهوم، وعلى القارئ أن يدرك الفرق بين الاستعمال الإلهيّ للكلمة والاستعمال البشريّ لها.

1 ينظر: طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 31 - 37. بتصرّف يسير.

- القرآن الكريم هو أولى المصادر بتعريف كلمات القرآن الكريم نفسه.
- القرآن يجعل من الكلمة الواحدة غرفة في بناء أو لبنة في بناء تعطي فائدتها منفردة ومستقلة وفي الوقت نفسه تعطي جملة من الفوائد وهي داخل البناء.
- فوعي القارئ بهذا الأمر وعي له أهميته، وتظهر أهميته في عملية الفهم، أما الصورة فلها تناول آخر، ولها طرائق مختلفة في النظر إليها، والتكوين العقلي للمنتمي لحضارة الصورة - الحضارة المادية - والتوجه النفسي مختلف تماماً عن توجه المنتمي لحضارة الكلمة.

ث- لسان القرآن: يختلف لسان القرآن جملة عن أي لسان آخر بما فيه اللسان العربي، ويتمتع بمزايا منها صعوبة إخضاعه لأحكام الألسنيات¹، خاصّة المعاصرة التي تنطلق من عمليات دراسة النصوص وتفكيكها لتيسير تحليلها ... لقد كان من الممكن لو أنّ المسلمين جاوزوا تحلّفهم الذي هم فيه، أن يبنوا على تلك الدراسات ليكون لديهم علم ألسنيات مُلائم للتعامل مع القرآن الكريم بمزاياه، وبخصائصه كلّها، وأن يضيفوا على هذه الألسنيات وعلومها ومناهجها معارف ومناهج أخرى يمكن أن تجعل اللسانيات الإسلامية والعربية لسانيات مُتميّزة صالحة لخدمة الخطاب القرآني ولحمايته من تطوّل الذين لا يعرفون عنه الكثير.

ج- أسماء القرآن: من أهمّ الأمور التي تساعد القارئ على معرفة القرآن معرفة جيّدة وبناء ألفة معه، معرفة أسماء القرآن الكريم بمعانيها، ومعرفة صفاته بدلالاتها ... ومن شأنها أن تزيد في فهم القارئ وفي وعيه بأهميّة القرآن وإدراك عظمتها، ومن ثمة تهيئة النفس والعقل والقلب والوجدان لاستقبال محكم آياته قراءة أو استماعاً.

ح- معرفة معوّقات التدبّر: ذكر طه جابر العلواني العوائق التي تحول بين القارئ وفهم القرآن الكريم وتدبره، فعّد منها الذنوب، واتّخاذ أحكام مسبقة قبل التدبّر، وتعضية القرآن الكريم فيقرؤه على أنّه آيات منفردة فحسب، أو سور مُنفكة ومنفصلة عن بعضها بعضاً، وكذلك جهله بعادات القرآن

1 ما جعل اللسانيات علماً حديثاً هو إخضاع الظواهر اللغوية لمناهج البحث العلمي، خلافاً لما كان سائداً من قبل في الدراسات القديمة، وعلم اللسانيات: « العلم الذي يدرس اللغات الطّبيعية الإنسانيّة في ذاتها ولذاتها مكتوبة ومنطوقة كانت أم منطوقة فقط مع إعطاء الأسبقية لهذه الأخيرة، لأنّها مادة خام تساعد أكثر على التّحقّق من مدى فعالية أدوات بحث اللسانيّ المعاصر، ولأنّها لم تنل بعد ما تستحقّه العناية والدّرس، ويهدف هذا العلم أساساً إلى وصف وتفسير أبنية هاته اللّغات واستخراج القواعد العامّة المشتركة البشريّة بينها، والقواعد الخاصّة التي تضبط العلاقات بين العناصر المؤلّفة لكلّ لغة على حدّى ». عبد العزيز حليلي، اللسانيات العامّة واللّسانيات العربيّة (تعاريف-أصوات)، (ط01، منشورات دراسات سال، الدّار البيضاء، المغرب، 1999م)، ص: 11.

الكريم ولسانه الخاص به، وكذلك جهله بالمقاصد العليا الحاكمة للقرآن الكريم، وجهله بآثار مشكلة التأسخ والمنسوخ التي دخلت على الإسلام من توراة يهود... وكذلك غموض الغاية من التدبر، كل ذلك يؤثر على فكر المتدبر.¹ وما ذكره العلواني من بعض العوائق مما يوافقه عليها الباحث باستثناء وصف التسخ بالمشكلة، وهذا وصف سيناقش فيه.

ثالثاً: منهج طه جابر العلواني لولوج القرآن الكريم:

طرح طه جابر العلواني القرآن كبديل منهجيّ وحيد يؤسس لحلّ حضاريّ شامل مُتمثّل في مشروع -أسلمة المعرفة-، والذي عدّه الحلّ المنهجيّ الشّامل لأزمة الإنسانيّة الحاليّة، لذا سيكون من البديهيّ اختلاف منهجه لولوج القرآن الكريم عن غيره من المناهج، ومن أبرز دلائل منهج طه جابر العلواني الذي أسّسه بنفسه، نجد ما يلي:²

01- طه جابر العلواني من القرآن ينطلق وإليه يعود: يؤكّد العلواني في جميع كتبه ونشاطاته

العلميّة والدّعويّة أنّه « لا بدّ لنا من الارتباط بالقرآن الكريم، وربط مشاريعنا التّجديديّة والحضاريّة به بشكل وثيق، وإلاّ فقد تستمرّ حالة التّيه هذه التي نعيشها إلى فترات طويلة. وسوف نستمرّ ننتقل ونعود إلى النّقطة التي انطلقنا منها أو بدأنا منها في عمليّة تيه متّصلة لا تتوقّف »³، فالقرآن هو مصدر المنهج، وهو مستغن عمّا سواه، ولا يحتاج لغيره، وجميع ما سواه يستمدّ شرعيّته وصحّته منه. والقرآن منهج يسعى لبلورة فكرة (حاكمية الكتاب)، تلك الفكرة المركزيّة في البناء المفاهيمي والمنهجيّ، وتأسيس سمات القرآن المودّعة فيه التي تمنحه هذه الحاكمية، أي سمّيّ الوحدة البنائيّة وتُميّز لسان القرآن وكلمته، سواء في مواجهة التّراث التّفسيريّ وما ارتبط به من علوم، أو بتأصيلها انطلاقاً منه، وكذا بمواجهة ما يُعدّ قصوراً من قبل المنظومتين الحضاريتين؛ الإسلامية الموروثة والغربيّة المعاصرة المنحرفة، و« التّفسير الإنسانيّ -أيّاً كان علم المفسّر وجلال قدره- لا يمكن أن يكون أبينّ من القرآن الكريم ولا أوضح»⁴، بل يبقى القرآن الكريم هو المرجع الأساس نصّاً وتفسيراً، نصّاً من عند الله ﷻ وتفسيراً لفهم القرآن المجيد ذاته، وفي فهم كلّ ما جاء ليعلم البشريّة إيّاه.⁵

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 12.

2 استخرج الباحث هذه الوجوه من خلال استقراء وتحليل مقدّمة تفسير طه جابر العلواني. ينظر: المرجع السّابق، ص: 16 - 50.

3 المرجع السّابق، ص: 41.

4 المرجع السّابق، ص: 43.

5 المرجع السّابق، ص: 45.

02- البداية بالجمع بين القراءتين: أي قراءة الوحي وقراءة الكون، فالوحي يُنبّه إلى ما في الكون من عناصر ومؤثرات، وإلى ترابط الأسباب بالمسببات، وبين فعل الغيب في الواقع، وكيف يمكن رصد آثار هذا الفعل، وأين يبدأ الدور الإنسانيّ وأين ينتهي أو يتوقّف، والكون يساعد على فهم الوحي والوعي عليه وعلى قضاياه، وحسن قراءته، وكيفية استدعائه للحضور الدائم والشهود المستمرّ لترشيد المسيرة الكونيّة، وتحقيق أهداف وغايات الحقّ من الخلق، « إذا تبين هذا يتضح أنّ القراءتين في الوحي وفي الكون فريضتان، لأتّهما أمران إلهيان فيهما كلّ ما في الأمر الملزم من شروط وصفات، والجمع بينهما ضروريّ، إذ بدونه يقع الخلل ¹، من هنا كان ما سميناه ((منهجية القرآن المعرفية)) دعامة أساسية للجمع بين القراءتين، وضرورة معرفيّة وحضاريّة لا على المستوى الإسلاميّ وحده، بل على المستوى العالميّ - كلّ - للخروج من المأزق المعرفيّ المعاصر والأزمة الفكرية العالمية المعاصرة. ²

ويرى الباحث أنّ اعتبار القرآن منهجية معرفيّة اعتبار خاطئ من عدّة أوجه:

الوجه الأوّل: القرآن الكريم معرفة قائمة بذاتها أمّا المنهجية المعرفية فهي من وضع المفسّر أو المفكّر، وهو يضعها بالأساس لفهم القرآن الكريم لا لمزاحمته والارتقاء إلى عليائه.

الوجه الثّاني: هناك قراءة واحدة هي قراءة الكون، ودور الوحي هو فهم هذا الكون بطريقة يظهر معها مدى توافقهما ووحدة مصدرهما.

الوجه الثّالث: مشروع منهجية القرآن المعرفية قائم على بناء مفاهيم قرآنية جديدة تحلّ المشاكل بين النصّ القرآنيّ والعقل الإنسانيّ، مع أنّ وظيفة العقل لا تعدو عن الفهم والتحليل. ويجزم طه جابر العلوانيّ بأنّه سوف يتشكّل عبر منهجية الجمع بين القراءتين توحيد بين القراءتين حيث لا يكون هناك انقسام بين الغيب والطبيعة.

03- عالمية الأزمة تقتضي عالمية الحلّ: لن يُجدي مع عالمية الأزمة فكر المقاربات والمقارنات، بل هي بحاجة إلى اجتهد جماعيّ وعمل جماعيّ، « وإنّ قضية ((إسلاميّة المعرفة)) قضية منهجية كذلك، تقوم على اكتشاف العلاقة المنهجية بين الوحي والكون، وهي علاقة تداخل وتكامل منهجيّ تكشف عن استيعاب منهجية القرآن العظيم للكون وسننه وقوانينه وحركته ³».

1 طه جابر العلوانيّ، الجمع بين القراءتين قراءة الوحي وقراءة الكون، (ط01، مكتبة الشّروق الدّوليّة، القاهرة، مصر، 1428هـ - 2006م)، ص: 22.

2 المرجع السّابق، ص: 27.

3 طه جابر العلوانيّ، إسلاميّة المعرفة بين الأمس واليوم، مرجع سبق ذكره، ص: 19.

وإسلامية المعرفة التي نستطيع من خلالها -حسب العلواني- تقرير قواعد الإنتاج المعرفي القرآني - لأن القرآن عند طه جابر العلواني هو الحلّ الوحيد-، يجب أن ترسى على الدعائم التالية:¹

الدعامة الأولى: إعادة بناء الرؤية الإسلامية المعرفية القائمة على مقومات وخصائص التصور الإسلامي السليم، ليتضح ما يمكن اعتباره النظام المعرفي الإسلامي.

الدعامة الثانية: إعادة فحص وبناء قواعد المنهجية الإسلامية على ضوء المنهجية المعرفية القرآنية وعلى هدى منها، فإنّ أضراراً بالغة قد أصابت المنهجية نتيجة القراءات المفردة والتجزئية التي قرأت القرآن عضين ...

الدعامة الثالثة: بناء منهج للتعامل مع القرآن المجيد من خلال الرؤية المنهجية، وباعتباره مصدراً للمحتاج والشرعة والمعرفة ومقومات الشهود الحضاري والعمري، وقد يقتضي ذلك إعادة بناء وتركيب علوم القرآن المطلوبة لهذا الغرض، وتجاوز الكثير من الموروث في هذا المجال.

الدعامة الرابعة: بناء منهج للتعامل مع السنة النبوية المطهرة باعتبارها مصدراً لبيان المنهج والشرعة والمعرفة ومقومات الشهود الحضاري والعمري، والتأكيد دائماً على أنّ المصدر الوحيد المنشئ للأحكام هو القرآن العظيم، والمصدر الوحيد المبين للقرآن بياناً مُلزماً هو السنة.

ولقد تناقضت إسلامية المعرفة مع نفسها في اتّخاذ الإسلام كموقف إيديولوجي يُبين هويتها وفي نفس الوقت تعتبره معياراً موضوعياً، وهذا يتنافى مع القواعد العلمية المعتمدة مع مختلف الظواهر ممّا ينتج ذاتية في صياغة الرؤى الكونية الشاملة، بدلاً من العالمية والموضوعية التي تهدف إليها في عرضها لنفسها.²

04- استخلاص مُحدّدات يُقرأ الواقع بها من القرآن: وقد سبق ذكر المحدّدات المنهجية

القرآنية المعرفية عند طه جابر العلواني، أمّا قراءة الواقع من القرآن عند طه جابر العلواني « فيمثل (فقه الواقع)»، وهو يعني بالواقع ذلك المؤلّف المزيج المركّب من كلّ شيء أو شأن ذي علاقة بنا من وقائع طبيعيّة، وظواهر إنسانيّة واجتماعيّة ودينيّة ومؤثّرات حضاريّة وبيئيّة وتاريخيّة وفلسفيّة تُحيط بنا، فتُشكّل أفكارنا أو تُؤثّر فيها وتتأثّر -بعد ذلك- بها، وتُشكّل دواعي الحركة والسكون في أفعالنا، والواقع ذو وجود خارجي مُنفصل عنّا مهما كان لنا من تأثير فيه، ومهما يكن له من تأثير فينا «.³

1 ينظر: طه جابر العلواني، ابن تيمية وإسلامية المعرفة، مرجع سبق ذكره، ص: 67.

2 مشاريع إسلامية المعرفة... ماذا أنجزت؟ رؤية نقدية، خليل صالح الكردي، 2025/02/17، www.diae.net/16404.

3 طه جابر العلواني، معالم في المنهج القرآني، مرجع سبق ذكره، ص: 96. بتصرف يسير.

والواقع في المنظور الإسلامي بحسب طه جابر العلواني لا يمكن حصره في الوجود الحسي، بل هو منظومة دقيقة كاملة تبدأ بالفكر، ولا تنتهي عند الوجود الحسي الأولي للفعل الإنساني، وما يترتب عليه من أحداث وأشياء، بل يتجاوز ذلك إلى مرحلة التقييم والجزاء، لذا فهو يمرّ بالمراحل التالية: « المرحلة الأولى: مجرد فكرة بسيطة في الذهن يمكن إدراجها في إطار التأمل الأولي. المرحلة الثانية: التفاعل مع الفكرة حتى تتضح أبعادها. المرحلة الثالثة: التصوّر حتى تصير لتلك الأفكار صور واضحة في الذهن. المرحلة الرابعة: اكتساب تلك الصورة خصائص ومقومات تميّزها عن صور أو تصوّرات أخرى. المرحلة الخامسة: تفاعل الذهن مع تلك الصورة فيقتنع بها وينقلها إلى العقل. المرحلة السادسة: تطبيق منطق العقل على تلك الصورة، فيختبر سلامتها، ويطمئن إلى جدواها وفائدتها.

المرحلة السابعة: الانتقال إلى القلب ليربط عليها، ويحيطها بما يُثبتها فيه، فكأنّها حزمة تحتاج إلى رباط يُحيط بها ويحفظها من التفلّت، وهنا تُصبح عقيدة وإيماناً يقينياً. المرحلة الثامنة: صناعة الدواعي والدوافع والإرادات لدى الإنسان ليتحرّك في الكون بتلك الدواعي والدوافع والإرادات التي تُملئها وتحركها العقيدة والإيمان الراسخ. المرحلة التاسعة: تحويل القلب وقوى الوعي الإنساني والطبيعة الإنسانية هذه الدواعي والدوافع والإرادات إلى العقل مرّة أخرى ليقوم بإحداث حالة الوعي بها والعزم على التحرك لتحقيقها، أي تحويل الدواعي والدوافع والإرادات إلى عزائم ومقاصد يجري السعي لتحقيق وجودها في الخارج. المرحلة العاشرة: تحوّل الوجود الذهني والعقلي ثمّ اللفظي إلى وجود حسي ملموس بفعل إنساني شاركت الطبيعة بعناصرها ومنها الزمان والمكان في تهيئة الموقع المطلوب لوقوعه بتسخير إلهي، وتتجلّى فيه القدرة الإلهية المحيطة بذلك كلّ».¹

تلك عشرة كاملة، استقاهها الباحث وربّتها لتجلية مستويات مفهوم فقه الواقع عند العلواني ومراحلها، ولكشف اعتباره الكبير عنده، واهتمامه البارز به، ونسبته إليه، كيف لا وهو يُحاول تأسيس علم جديد فيقول: «إننا نعلم أنّنا نقوم بتأسيس ((علم جديد)) له مبادئه ومكوناته ومقاصده، ويمكن أن نطلق على هذا العلم ((فقه الواقع)) فلعلّها التسمية الأفضل والأقرب إلى وعينا»²، ثم أشار

1 طه جابر العلواني، معالم في المنهج القرآني، مرجع سبق ذكره، ص: 97. باختصار وتصرف.

2 المرجع السابق، ص: 99.

العلواني إلى أنّ هذا العلم نشأ في الفكر الغربي، ولكن هذا لا يعني أنّ الإسلام تجاهله، أو قلّ من شأنه أو لم يُحْتَمَ علينا دراسته بالدقّة الممكنة، بل إنّ القرآن الكريم قد وجّه إلى فقه الواقع.

وإذا كان القرآن والإسلام قد وجّها إلى دراسة فقه الواقع، وكان فقه الواقع علماً مُستقلاً، فكيف خفي هذا العلم على من سبق ولحق والقرآن قد وجّه إليه؟! وكيف عاش المسلمون قرونًا وهم يجهلون هذا العلم الهامّ؟ بل هل فعلاً خفي هذا العلم على علماء الأمة حتّى سبقهم الغرب إليه؟

والجواب يظهر من خلال معرفة ما هو المقصود بعلم الواقع، والذي هو معرفة واقع الناس وصلتهم بالشرع، إذ لا سبيل إلى إصلاحهم إلّا بذلك، والذي يطّلع على كتب وأقوال العلماء والفقهاء على اختلاف طبقاتهم، يكتشف مدى عنايتهم بفهم الواقع المؤثّر في الأحكام الشرعيّة؛ لأنّه واقع تُبنّى عليه الأحكام الشرعيّة، ولا بدّ للعالم من معرفته، ولهذا جعلوا له قواعد فقهية تضبطه.¹

وأما الواقع الذي لا يؤثّر في الأحكام الشرعيّة، فليس ضروريّاً كضرورة الأوّل؛ ولا يضرّ العالم إذا جهله، وهو من قبيل الثقافة والاطّلاع والمعرفة، والعلماء إنّما اهتمّوا بما يؤثّر في الأحكام الشرعيّة، وذلك من حفظ الله لهم لَمّا هم حفظوا دينه، فهم لم يجهلوا علم الواقع كما لم يُهمّلوه، كما أنّ من يتكلّمون في أمور الواقع كلّها، يُصيبون بعضاً ويخطئون بعضاً، وذلك لأنّ مبناهم قد يكون على الأخبار والأحداث والظنّ، وهذه الأخيرة غالب مصادرها من قطاع الإعلام، وإنّما مثل قطاع الإعلام كمثّل حاطب ليل، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشّعراء: 225-227].

يقول ابن القيم (توفي: 751هـ): «ولا يتمكّن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحقّ إلّا بنوعين من الفهم:

أحدهما: فهم الواقع والفقه فيه واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات والعلامات حتّى يُحيط به علماً.

1 وهذه القواعد هي: الأحكام تدور مع عللها، والفتوى تختلف باختلاف الزّمان والأحوال، والحكم على الشّيء فرع عن تصوّره. للمزيد ينظر: ص: محمد الزّحيلي، القواعد الفقهية وتطبيقاتها على المذاهب الأربعة، (ط01، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1427هـ - 2006م)، ص: 146، 199 - 253، 298، 314، 353، 403. أحمد الحجيّ الكردي، القواعد الفقهية الكلّية، (ط01، مركز الآسحون للتأصيل الشرعيّ ودار الطّاهريّة، الكويت، 1438هـ - 2017م)، ص: 59 - 62، 154، وقاعدة "الحكم على الشّيء حكم عن تصوّره" وتطبيقاتها في الفتاوى المعاصرة، لجنة مذاكرة مفتي ماليزيا، موقع المجلّة الإسلاميّة الدّوليّة القناطير، 2024/05/03، <https://al-qanatir.com/aq/article/view/614/565>.

والتّوَعُّ الثاني: فهم الواجب في الواقع، وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه أو على لسان قوله في هذا الواقع، ثمَّ يُطَبَّق أحدهما على الآخر؛ فمن بذل جهده واستفرغ وسعه في ذلك لم يُعَدَمْ أجريْن أو أجراً ...¹، فهذا عالم من علماء الإسلام قبل ظهور الغرب المتحضّر يُؤَصِّل لفقه الواقع ويربطه بدقّة الفهم، تلك الدقّة التي يُشترط ويُفترض توقُّرها عند المفتي والمفسّر والمفكّر ...

05- العروج إلى القرآن المجيد في -وحدته البنائية- للوصول إلى هديه: في طريقه نحو

تفسير القرآن الكريم؛ تعرّض طه جابر العلواني لمفاهيم الآية، والنسخ، والإحكام، والتشابه، والإجمال، والتفصيل، فاعتبرها مفاهيم تُمثِّل لبنات المنهج التأويلي الموروث، ودلالاتها لم تنشأ عبر استقراء النّصّ القرآني، بل تمّ فرضها فرضاً عليه من خارجه، فكانت سبباً رئيسياً لنشأة التراث التفسيري الذي لم يستوعب القرآن الكريم، بسبب عدم وقوف السّابقين على الدّلالة الحقيقيّة لها، فمهما ما صيغت إشكاليّات الواقع صياغة صحيحة، ثمّ يتمّ الولوج بها للقرآن، فإنّ إجابات القرآن لن تُعطي حلولاً ولن تُرضي آمالاً، والسّبب ليس في تشخيص المشاكل والأزمات، بل السّبب في النّظرة التجزيئية التي تقترح تقديم جرعات قرآنيّة علاجيّة مُتقطّعة، لا تُراعي الوحدة الكلّيّة للقرآن الكريم، وتعامل معه على أنّه أجزاء متفرّقات.²

ولهذا يُشدّد العلواني على أنّ فهم القرآن الكريم في وحدته البنائية وقراءته بالجمع بين القراءتين في إطار لسان القرآن وليس خارجه، وكلّ هذا مرهون بإعادة قراءة القرآن وتدبره، ووحدها القراءة الواعية التي تلتزم بالوحدة البنائية للقرآن، هي التي تساعد الإنسان المسلم في اكتشاف منهجيّة القرآن المعرفيّة.³

ووفقاً لطله جابر لعلواني، فإنّ الآيات القرآنيّة لا تُقسّم القرآن، بل هي تُشير لضرورة القراءة الكلّيّة له والتّحذير من تجزئته، وتفرض الانطلاق في قراءته من تحديد مفاهيمه ومقاصده العليا، وغاياته وقيمه التي هي ((أُمُّ الْكِتَابِ)) التي تعصمنا من الزّيف في فهمه⁴، ومن أجل إعطاء هدي قرآنيّ مُعالج ومُناسب لمواجهة الصّياغة الدّقيقة لإشكاليّات الواقع، دافع طه جابر العلواني عن فكرة وجود (وحدة بنائية) للقرآن في كتبه، ودفاعه هذا كان عبر طريقتين:

1 ابن القيم، إعلام الموقعين عن ربّ العالمين، مرجع سبق ذكره، ج 01، ص: 69.

2 ينظر: طه جابر العلواني، نحو موقف قرآني من إشكالية المحكم والمتشابه، (ط 01، مكتبة الشّرق الدّوليّة، القاهرة، مصر، 1430هـ - 2010م)، ص: 84 - 85. بتصرّف.

3 ينظر: طه جابر العلواني، الوحدة البنائية للقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 17.

4 طه جابر العلواني، نحو موقف قرآني من إشكالية المحكم والمتشابه، مرجع سبق ذكره، ص: 94.

الطريقة الأولى: محاولة تأسيس هذا المحدّد من داخل القرآن ومن داخل التراث الإسلاميّ، وهو ما حاول القيام به في كتابه ((الوحدة البنائية للقرآن المجيد))، وفي غيره من الكتب.

والطريقة الثانية: هي عملية نقد علوم القرآن التراثية انطلاقاً من كون هذه العلوم ليست مُسلّمات، وهي قد فوّتت إدراك هذه الوحدة كمُحدّد منهجيّ في القرآن، وتعاملت مع القرآن بعد تعصّبه وتجزّئه عبر مسائل مفاهيميّة ومنهجية تُكرّس هذا التقسيم للقرآن إلى مساحات المحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، وهذا هو ما تمّ في كتابه: "نحو موقف قرآنيّ من النسخ"، و"نحو موقف قرآنيّ من إشكالية المحكم والمتشابه"، و"نحو منهجية معرفيّة قرآنيّة"، وغيرها.

06- الانطلاق من الإيمان بوحدة السّورة: يرى العلوانيّ أنّ الإيمان بوحدة السّورة « مدخل

لا يختلف كثيراً عن مدخل -الوحدة البنائية-، لكنّ التّركيز فيه يكون على سورة واحدة يتّخذها القارئ المتدرّب بمثابة وحدة متميّزة، وهنا ينطلق في تدبّره باتجاه البحث عن عمودها، والأعمدة أو الأوتاد السّاندة، ونعني بذلك: أنّ لكلّ سورة موضوعاً أساسياً تأتي آياتها -كلّها- لتوضيحه وبيانه، وتحلية ما يتعلّق به، وتكون الموضوعات الأخرى دائرة حول ذلك الموضوع الأساسيّ تُعزّزه، وتزيد في بيانه وتوضيحه، فتكون بمثابة الأوتاد المساندة لعمود البيت ودعامته الكبرى ... »¹.

وهنا مسائل أوردها طه جابر العلوانيّ تتعلّق بإيمان المفسّر بوحدة موضوع السّورة، وقد تمثّلت هذه المسائل في:

- التّركيز على الوحدة البنائية في سورة واحدة.
- اتّخاذ القارئ المتدرّب هذه السّورة بمثابة وحدة متميّزة.
- انطلاق القارئ المتدرّب في تدبّره باتجاه البحث عن عمودها والأعمدة أو الأوتاد السّاندة.
- عمود السّورة هو موضوعها الأساسيّ.
- الموضوعات الأخرى تكون دائرة حول ذلك الموضوع الأساسيّ.
- ولا اعترض من طرف الباحث على جميع هذه المسائل، لأنّها مسائل منهجية داخلية ضمن اجتهادات المفسّر وآرائه، باستثناء مسألة القارئ المتدرّب -يعني المفسّر المتدرّب- الذي يتدرّب بالوحدة البنائية للسّورة ليصل لمستوى قارئ الوحدة البنائية للقرآن كلّ، وباب الأدب كباب الورع، يتفاوت فيه النّاس ويتفاضلون، ومنزلة التّفسير في دين الله ليست بالحلّ الذي يخفى على كلّ مُنصف عاقل، وتفسير القرآن ليس تدريباً ولا تمريناً، وما ينبغي له، بل هو أشرف العلوم وأفضلها، لا يقوم به

1 طه جابر العلوانيّ، الجمع بين القراءتين قراءة الوحي وقراءة الكون، مرجع سبق ذكره، ص: 36.

إلا من كان مؤهلاً مختاراً، لا يُعيقه حائل، وتفسير آية من كتاب الله كتفسير القرآن كله، وتقسيم المفسرين إلى مستوى متدرّب ومستوى آخر أعلى منه، تقسيمٌ شاذٌّ غريب، فالعلم بأصول العلوم المتصلة بالقرآن، ودقّة الفهم التي تمكّن المفسّر من ترجيح معنى على آخر، من شروط المفسّر لولوج عالم تفسير كلام الله ﷻ، ومن نظر إلى التفسير، وجده يتعلّق ببيان معاني كلام الله تعالى، وكلامه يشتمل على بيان العقائد والأحكام، وسيجزم بأنّ التفسير أشرف العلوم على الإطلاق، فهو جامع للعلم بالله، والعلم بأمّره، ولا ينبغي أن يكون ميدان تدريب.

فالقائل في تأويل كتاب الله الذي لا يدرك علمه إلاّ ببيان رسول الله ﷺ الذي جعل الله إليه بيانه، قائل بما لا يعلم وإن وافق قيله ذلك في تأويله ما أراد الله به من معناه، لأنّ القائل فيه بغير علم قائل على الله ما لا علم له به¹، سواء ولج القرآن قارئاً أو مُتدرّباً، والمقام مقام تكلف محض، فتفسير القرآن ليس فريضة على كلّ مسلم ومسلمة، ومن هنا شدّد فيه على من يتصدّى له برأيه أو بجهله.

07- التصنيف الموضوعي: يكشف طه جابر العلواني أنّه يُمكن بالمداومة على قراءة القرآن

وتدبّر أهمّ الموضوعات التفصيليّة التي تناولها، والتمرّين على تحديد موضوعات، وجمع الآيات التي تتعلّق بها بأحد الموضوعات، باستقراءها وتتبعها في آيات القرآن دون غفلة عن وحدته البنائيّة، ثمّ نبداً عمليّات التدبّر والتأمّل، ونحذف ونضيف، فيزداد فهمنا ووعينا بالقرآن المجيد.²

وهذا ما نصّ عليه العلواني حين كان يرى تفسير الموضوع القرآنيّ من خلال جمع الآيات التي تتعلّق بأحد الموضوعات، ممّا يزيد الوعي والفهم للقرآن الكريم، ثمّ تطوّر موقفه ليصبح موقفاً خاصّاً به، مُختلفاً عن مواقف غيره، حيث قال: «يقوم ((تفسير القرآن بالقرآن)) لا على الناحية الموضوعيّة كما ذهب إليه بعض المشتغلين بالتفسير، وقد ظنّوا أنّ ((تفسير القرآن بالقرآن)) هو أن تجمع الآيات التي تتعلّق بموضوع ما في موضع واحد، وتربط بينها وتنظر في تواريخ نزولها وأسباب النزول وما إلى ذلك حتّى تتضح لك معاني الموضوع. و((التفسير الموضوعي)) نوع من أنواع التفاسير المهمّة ولا شكّ، والمقرّبة إلى ما نحن بصددده ولا شكّ كذلك، ولكن ((تفسير القرآن بالقرآن)) الذي نريده فيه مزايا التفسير الموضوعي، ولكنّه يستوعبها ويتجاوزها³، وهاته الرسالة ستكشف هذا الاستيعاب، وذلك التّجاوز، بعد أن تحدّد مزايا التفسير الموضوعي عند طه جابر العلواني.

1 الطبريّ، جامع البيان في تفسير آي القرآن، مصدر سبق ذكره، ج 01، ص: 78 - 79.

2 طه جابر العلواني، الجمع بين القراءتين قراءة الوحي وقراءة الكون، مرجع سبق ذكره، ص: 39 - 40.

3 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 44.

08- تحديد المقاصد العليا الحاكمة للقرآن الكريم: والمقاصد جمع مقصد، والمراد بالمقصد

هنا المعنى والهدف، والغرض الذي قصده الشارع، فهو مقصد له، وهو مقصود له أيضاً، ومقاصد الشريعة الإسلامية تعني: «الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد... وهي أولاً وأخيراً مقاصد القرآن الكريم ومقاصد السنة النبوية، فليس هناك مقاصد للشريعة سوى مقاصد الكتاب والسنة، وكل ما هو خارج عن نصوص الكتاب والسنة وليس له نسب فيهما، فليس من مقاصد الشريعة في شيء»¹، ومراد الله في القرآن الكريم هو بيان ما يتم به حفظ مقاصد الدين، يقول الطاهر بن عاشور (توفي: 1393هـ): «مراد الله في كتابه بيان تصارييف ما يرجع إلى حفظ مقاصد الدين وقد أودع ذلك في ألفاظ القرآن التي خاطبنا بها خطاباً بيناً وتعبداً بمعرفة مراده والاطلاع عليه»².

ونصّ ابن عاشور أنّ أعظم وظيفة للمفسّر هي الوصول إلى كليّات التشريع وعاب على المفسرين انشغالهم بتقصّي معاني القرآن عن انتزاع كليّات التشريع³، وهذا ما قرّره الشافعي (توفي: 204هـ) في (رسالة الأصول) ونقله عنه الغزالي (توفي: 505هـ) في تقريره حقيقة أنّه لا ينبغي للمجتهد النظر في الأدلة الجزئية دون الالتفات للقواعد الكلية، إذ قد يفضي هذا إلى تضارب الجزئيات في الظاهر⁴. ويقترح طه جابر العلواني قراءة جديدة للمقاصد الكلية للشريعة، من شأنها إحداث النقلة المعرفية في الفكر الإسلامي المعاصر، فقدّم خمسة مبادئ يرى أنّها عوامل جوهرية وأساسية، مصدرها القرآن الكريم، وتمثّل منظومة المفاهيم المتماسكة والمترابطة، وهي تستوعب المقاصد الكلية، كما أنّها حدّدت في ضوء هموم العصر، وهذه المقاصد العليا الحاكمة التي وضعها العلواني هي: التوحيد، والعمران، والتزكية، والأمة، والدعوة⁵.

09- البحث في المناسبات: يقول طه جابر العلواني: حين نعلم إلى القراءة المتدبّرة بمراعاة

المناسبات فإنّه من الممكن التدرّب عليه بأن نأخذ سورة من تلك السور التي تعدّدت نجومها، وتنوّعت موضوعاتها، وكثرت معانيها، ثمّ نتبع آياتها آية بعد آية، ومجموعة بعد أخرى، ثمّ نتفكر في

1 أحمد الزيسوني، مقاصد المقاصد، (ط01، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، 1433هـ - 2013م)، ص: 11 - 07.

2 محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سبق ذكره، ج01، ص: 39 - 40.

3 المرجع السابق، ص: 17.

4 الشّاطبي، الموافقات، مصدر سبق ذكره، ج01، ص: 08.

5 ينظر: طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 81.

بدايتها ومسيرتها وانسيابها حتّى نبلغ خاتمها، ونعود من الخاتمة إلى البداية، وننظر في العلاقات بين اسمها وتسويرها لتكون سورة مستقلة، ثمّ علاقتها بما قبلها وما بعدها فسنتكشف شبكة من العلاقات بينها تجعلنا نشعر أنّها نزلت حين نزلت، وكأنّها نجم واحد، أو أنّها نزلت مرّة واحدة.¹

ومن خلال هاته الفقرة الوجيزة، أبان العلوانيّ فيما سطره بجلاءٍ عن أهميّة هذ العلم وعظيم الفائدة بمعرفته، ثمّ ذكر عدّة أنواع منه تمثّلت فيما يلي:

الأول: المناسبات في السّورة الواحدة: فذكر منها:

- المناسبة بين الآيات المتتابعة في السّورة.
- المناسبة بين الآيات المتباعدات في السّورة.
- المناسبة بين بدايتها وخاتمها.
- المناسبة بين السّورة واسمها.
- مناسبة آيات السّورة كلّها.

الثاني: المناسبات بين السّورتين: فذكر:

- مناسبة السّورة بما قبلها.
- مناسبة السّورة بما بعدها.

ولم يُورد العلوانيّ المناسبات العامّة التي يذكرها العلماء مطلقة في القرآن الكريم، وهي كثيرة جدّاً، كمناسبة بداية سور الحواميم ب: (حم)، وغيرها.

إنّ الارتباط بالقرآن الكريم وحده، وربط مشاريعنا التّجديدية والحضاريّة به بشكل وثيق، ثمّ ضرورة فقه الواقع، والعروج إلى القرآن الكريم في وحدته البنائيّة للوصول إلى هداياته، مع الإيمان بوحدة السّورة في ذاتها ومع أحواثها، وتصنيف الموضوعات القرآنيّة وتجاوزها، وتحديد مقاصد القرآن ورعايتها، والبحث في المناسبات وكشف شبكة العلاقات بين الآيات وبين السّور، كلّها نقاط هامّة ضمن المشروع الذي طرحه العلوانيّ، وكلّها نقاط بُني عليها التّفسير الموضوعي للقرآن الكريم.

1 طه جابر العلوانيّ، الجمع بين القراءتين - قراءة الوحي وقراءة الكون، مرجع سبق ذكره، ص: 42 - 43.

المبحث الثاني

مواقف لطفه جابر العلواني متعلقة بتفسير القرآن الكريم

المطلب الأول: مواقف طه العلواني من التراث التفسيري وبعض علوم القرآن

المطلب الثاني: إشكالية تعامل طه جابر العلواني مع السنة النبوية

المطلب الثالث: العلاقة بين القرآن الكريم والسنة النبوية عند طه العلواني

المبحث الثاني: مواقف طه جابر العلواني مُتعلّقة بتفسير القرآن

يقول طه جابر العلواني عن تجربته: « إنّ ذلك كلّه جعلني أنظر إلى أنّ (طه العلواني) الذي كتب "أدب الاختلاف" قبل ما يقرب من أربعين عاماً قد تغيّر، واهتدى بالقرآن الكريم إلى مواقف لم يُوصّله التّراث إليها، فأنا الآن صاحب منهج أدور مع القرآن حيث دار»¹.

ويقول الباحث: وكذلك تفسير القرآن الكريم يدور مع أصوله حيث تدور، أصول ذكرها ابن القيم (توفي: 751هـ) في قوله: « وتفسير النَّاس يدور على ثلاثة أصول: تفسير على اللَّفظ، وهو الذي ينحو إليه المتأخرون، وتفسير على المعنى، وهو الذي يذكره السلف، وتفسير على الإشارة والقياس، وهو الذي ينحو إليه كثير من الصّوفية وغيرهم»².

وفي هذا المبحث سيأتي ذكر لأبرز مواقف طه جابر العلواني التي لها علاقة بتفسيره للقرآن الكريم، أي أنّ الباحث لن يذكر جميع مواقف العلواني، بل سيذكر أهمّ ما ارتبط منها بالدراسة، وهي المواقف التي انعكست مباشرة على تفسيره، وقد حاول الباحث في هذه الرّسالة أن يدرس مواقف العلواني بكلّ موضوعيّة، فذكر آراءه ومواقفه بطريقة تسمح بإيصال المعلومة بصورة علميّة سليمة، أخذاً بعين الاعتبار التّداخل والتّرابط والتّناسب بين تفسيره ومؤلفاته، لذا لم يقتصر على تفسيره وحده في بيان مواقفه وآرائه، بل حاول تتبّع مواقف الفهم القرآنيّ عنده في تفسيره ومؤلفاته المتأخّرة.

المطلب الأوّل: مواقف طه جابر العلواني من التّراث التّفسيريّ ومع بعض علوم القرآن

اعتُبرت مواقف طه جابر العلواني عند تحييه تجديداً، ومنهجاً سديداً، ولكن إذا بحثنا عن المراد بالتّجديد عند أهل السنّة، وجدناه « إحياء معالم الدّين العلميّة والعمليّة التي أبانتها نصوص الكتاب والسّنّة وسلف الأُمّة »³، ووجدنا أنّ مصطلح التّجديد قد استعمل في الفكر الإسلاميّ أخذاً من الحديث الصّحيح: « إنّ الله يبعث لهذه الأُمّة على رأس كلّ مائة سنة من يُجدّد لها دينها »⁴، قال أبو الأعلى المودوديّ (توفي: 1399هـ) في سياق تفرقه بين المجدّد والمتجدّد: كلّ من أحيا معالم الدّين بعد طموسها، وجدّد حبله بعد انتقاضه فهو مجدّد، لا كلّ من أتى بطريق جديد ثمّ أمضاه بشيء من

1 طه جابر العلواني، من أدب الاختلاف إلى نبذ الخلاف، مرجع سبق ذكره، ص: 25 - 26.

2 ابن القيم، التبيان في أقسام القرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 51.

3 بسطامي محمد سعيد، مفهوم تجديد الدّين، (ط1، دار الدّعوة، الكويت، 1404هـ - 1984م)، ص: 14.

4 أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة، برقم: 4291، والحديث صحيح. صحّحه الألباني: السلسلة الصّحيحة، برقم: (599).

القوة والعزم.¹

وكموقف عام لطه جابر العلواني من التراث الإسلامي ينقل الباحث قوله المجمل: « وبالنسبة لي، فبعد تلك الجولة الطويلة مع التراث، وبعد أن تكونت لدي حاسة نقدية مُقلقة، لم تعد تسمح لي بأخذ شيء من ذلك التراث على أنه شيء من المسلّمات »²، وقال أيضاً: وهذا أمر في غاية الأهمية لا بدّ من التنبّه له لتجاوز ذلك الخطأ الذي هيمن على عقولنا فترات طويلة، وهو أنّ الاجتهاد إنّما يُلجأ إليه عندما لا يجد الفقيه نصّاً في الكتاب والسنة على حكم الواقعة أو النّازلة، وهذا نفسه فيه ما فيه، وكأنّ النظر في السنة باعتبارها المصدر المبين والموضح والتّطبيقي لا يحتاج إلى اجتهاد!!³

وكمواقف تفصيليّة يذكر الباحث ما يلي:

أولاً: مواقف لطه جابر العلواني من التراث التفسيري: تبني طه جابر العلواني مع التراث التفسيري مواقف عديدة، منها ما أفردّه بالتأليف، ومنها ما كرّره ونشره في بطون مؤلفاته، ومن هنا وجب النظر فيها ومعرفتها، لأنّها من أثقل المسائل التي حملها في حقيقته المعرفيّة مُرتحلاً لولوج تفسير القرآن الكريم، ومن أهمّ العوامل المحدّدة لمواقفه واختياراته التفسيرية، وقد تمثّلت تلك المواقف فيما يلي:

الموقف الأوّل: موقفه من اتجاهات التفسير: اعتبر طه جابر العلواني أنّ أمّتنا حاولت وقدمت خدمات جليلة للقرآن الكريم، ولكن تلك الخدمات يُمكن اعتبارها شكليّة، لأنّها اهتمّت بكتابة القرآن وقراءته وتجوّيده وزخرفة أوراقه، وفي طرق تناقله، وفي إحصاء كثير من الأمور الدّقيقة الدّائرة حوله!⁴ أمّا مضمون القرآن وما يدور داخله، فقال عنه العلواني: « لم تستطع -الأمة- بالرّغم من إعداد وكتابة ما يقرب من مليون دراسة وكتاب ورسالة أن تُقدّم لنا القرآن كما ينبغي أن يُقدّم باعتباره كتاب خلافة ودليل عمران، ومصدر تحقيق للشّهود الحضاريّ في هذه الحياة الدّنيا، فدراساتنا في علوم القرآن قد اتّسمت بكثير من القصور، ودخلت في بعضها قضايا خطيرة مثل دعوى النسخ،

1 أبو الأعلى المودودي، موجز تاريخ تجديد الدّين وإحيائه وواقع المسلمين وسبيل التّهوض بهم، ترجمة: محمّد كاظم سباق، (ط2، دار الفكر الحديث، بيروت، لبنان، 1386هـ - 1967م)، ص: 51 - 52. بتصرّف.

2 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 40.

3 طه جابر العلواني، لا إكراه في الدّين، مرجع سبق ذكره، ص: 57.

4 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 37. بتصرّف. وهذا الكلام قريب منه كلام محمّد شحرور: إذا فتحنا كتب التفسير وجدنا فيها كلّ شيء ما عدا التفسير. محمّد شحرور، السّنة الرّسوليّة والسّنة النّبويّة، (ط01، دار السّاقى، بيروت، لبنان، 2012م)، ص: 207.

وتعدّد الأحرف، والقراءات، خاصّة ما سُمّي بالقراءة الشّاذّة¹، ولهذا عدّد بناء اللاحقين من أبناء الأُمَّة على ما أسّس السّابقون أمراً ثانياً من أمور استجلاء معاني القرآن الكريم، ولكن هذا لا يعني - عنده - سلامة ما أسّسه السّابقون من عملية المراجعة والنّقد، فالمراجعة والنّقد عوامل تحمي المفسّر من أن يزيغ فهمه، خاصّة والعلواني يرى أنّه قد « سيطرت على اتّجاهات التّفسير منذ القدم مدرستان كبيرتان: مدرسة انطلقت مع الرّأي فحمّلت القرآن العظيم ما يحتمل وما لا يحتمل، وتجاوزت في الدّعوى على القرآن الحدّ ...

ومدرسة أخرى: جعلت الأثر وحده مُهيمناً على الفهم القرآنيّ، وما لم يكن فيه (أثر) أعطت الهيمنة فيه للقاموس اللّغويّ ليتحكّم وحده في تقديم معاني القرآن العظيم ...² »
إذن؛ فالعلواني لا ينظر بعين الرّضا لكلّ من التّفسير بالرّأي والتّفسير بالأثر، لأنّ المنهجية التي اتّبعها كلّ مدرسة؛ منهجية خاطئة بحسبه.

أمّا مدرسة الرّأي فقد سبق بيان أنّ الرّأي منه ما هو محمود، ومنه ما هو مذموم مردود، وهذا التّقسيم ضبط مسألة القول بالرّأي إجمالاً، فما من مُفسّر يستحضر هذا التّقسيم إلّا كان ميزانه الذي يزن به أقواله، ويصوّب به أخطاءه، وأمّا الأثر؛ فإنّ القيمة الكبرى لمقولات السّلف تتمثّل في دوراتها حول بيان المعنى دون توسّع، وتبيين المدلول السياقيّ وانشغالها بتقريره، ولو أنّنا ارتبطنا بها في التّفسير لحصلنا فوائد بالغة الأهميّة في انعكاسها على فنّ التّفسير، قد تُفضي إلى تجديد هذا العلم وإعادة تأسيسه، وتنحية الكثير من الإشكالات الماثلة في جسده، وتفسير السّلف عانى إهمالاً فلم يُدرّس بناؤه الدّاخليّ للكشف عن عبقرية من قاموا به.

وأما طغيان التّبيين اللّغويّ في ساحة التّفسير فهذه حقيقة، فاللّغة مصدر من مصادر التّفسير، وقد جعلها ابن القيم (توفي: 751هـ) قسماً بارزاً في التّفسير - كما مرّ في الرّسالة -، وهذا أمر لا تكاد تُخطئه العين في مُدوّنات التّفسير، وكيف صار التّبيين اللّغويّ أساساً في مسلك التّبيين، وإليه المرجع الرّئيس في الممارسة التّفسيرية، يقول الزّمخشريّ (توفي: 538هـ): « ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلّا رجلٌ قد برع في علّمين مُختصّين بالقرآن؛ وهما علم المعاني، وعلم البيان، وتمهّل في

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 37. بتصرّف يسير.

2 طه جابر العلواني، نحو منهجية معرفيّة قرآنية، مرجع سبق ذكره، ص: 145 - 146. وقريب من هذا قول أبو زيد الدّمهوري: هداية القرآن فُقدت بالمجادلات في الألفاظ والمذاهب، ومعانيه ومقاصده ضاعت بالروايات النّاسخة، والتّفسيرات المتحرّجة العقيمة. محمّد أبو زيد الدّمهوري، الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: ج.

ارتيادهما آونة، وتعب في التنقيح عنهما أزمته¹، وقال أبو حيان (توفي: 414هـ): « فعكفتُ على تصنيف هذا الكتاب، وانتخاب الصّفو واللّباب، أجيلُ الفكر فيما وضع النَّاسُ في تصانيفهم ... وأُضيف إلى ذلك ما استخرجته القوّة المفكّرة من لطائف علم البيان، المطّلِع على إعجاز القرآن، ومن دقائق علم الإعراب المُعَرَّب في الوجود أيّ إغراب، المقتنص في الأعمار الطّويلة من لسان العرب وبيان الأدب، فكم حوى من لطيفةٍ فِكْري مُستخرجها، ومن غريبةٍ ذَهْني مُنتجها، تحصّلت بالعكوف على علم العربيّة، والنّظر في التّراكيب النّحويّة، والتّصرّف في أساليب النّظم والنّثر، والتّقْلُب في أفانين الخُطْب والشّعْر »²، فتأمّل هذا، وتأمل رأي العلواني !

وما أسسه السّابقون من الأمور التي يُمكن قبولها أو ردّها، « وليس المطلوب قراءة جديدة للقرآن الكريم تعتمد على المقاربة أو التّأويل، بل لابدّ من قراءة تستنطق القرآن ذاته إجاباته الشّافية وحلوله لتحديات كلّ عصر وجيل وأسئلته، باعتباره الكتاب المنزل تبياناً لكلّ شيء إلى يوم القيامة ... أنّه لا يُعتبر تجديداً للدين أن نجد تراث أسلافنا، الذي يُمثّل خلاصة فهمهم وفكرهم، كما لا يُعتبر تحديداً تقليد الغرب ومتابعته في خطواته »³، وهذه العبارة ينطبق عليها وصف الجمع بين المتناقضات، أو الجمع بين الصّدّين، وإلاّ هل يستقيم الجمع بين تراث السّلف وحضارة الغرب في كفة واحدة؟! ثمّ ما هو هذا التّجديد الذي لا يُبنى على فهم السّلف، ومن أين يستمدّ شرعيّته؟ يُجيب العلواني الثّائر على الثّراث فيقول: « يستمدّ التّجديد حقيقته من إعادة تشكيل العقل السّليم، ووصل ما انقطع بينه وبين كتاب الله، باعتباره المصدر المنشئ الوحيد مع الكون للفكر والمعرفة والعقيدة والشّريعة والمنهاج »⁴، فماذا عن عقول وجهود من سبق؟ يُجيب طه جابر العلواني نفسه بأنّ كلّ « تلك الجهود حوّمت بالأمانة حول بعض شواطئ ذلك الكتاب المجيد، الكريم، المكنون، وقدمت شيئاً من الفوائد، ولكنّها قد قصرت عن الإلمام بمطلق الكتاب، إذ هيمنت نسبيّة البشر على ذلك المطلق وقيدته إلى مُدركاتها الظّرفيّة ومُحدّداتها الزّمانيّة والمكانيّة وسقوفها المعرفيّة، وقاسته على الكتب التي

1 الزّحشرّي، الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل، مصدر سبق ذكره، ج 01، ص: 02.

2 أبو حيان، البحر المحيط في التّفسير، مصدر سبق ذكره، ج 01، ص: 10.

3 طه جابر العلواني، إسلاميّة المعرفة بين الأمس واليوم، مرجع سبق ذكره، ص: 20. وبنفس المنطق نادى سامر إسلامبولي في كثير من كتبه إلى الاكتفاء بالقرآن كونه المصدر التشريعيّ الوحيد، ولا يلتفت إلى فهم أو تطبيق مجتمع ما في زمن مُعيّن للشّرع الإلهي؛ لأنّ الحجة كامنة بالتّصّ الإلهي فقط، فالنّصّ حجة بنفسه، وما يُثبت النّصّ هو الصّواب، أمّا فهم المسلمين سابقاً للشّرع فهو فهم نسبيّ، ولا يصحّ جعله برهاناً، يقضي على ما يستجدّ من فهم للنّصّ. جمال بن أحمد هاجر، القرآنيون العرب وموقفهم من التّفسير، (د.ط، دار الفكر الإسلاميّ، القاهرة، مصر، د.س.ط)، ص: 176 - 127.

4 طه جابر العلواني، إسلاميّة المعرفة بين الأمس واليوم، مرجع سبق ذكره، ص: 20.

سبقت من بعض الوجوه، فأدى ذلك إلى ظهور تفسيرات متضاربة، وتأويلات متناقضة، وفقه مختلف ...¹، والحقيقة أنّ الفكر العقلانيّ والتّيار الحداثيّ وغيرهما، هم الذين قاسوا الكتاب المحفوظ على ما سبقه من الكتب المحرّفة، وعلى الغرب العصريّ المنحرف، وأظهروا أقوالاً مُتناقضة، وتفسيرات مُتهافتة، وعداوة لمن سبق لا يُفسّرُها إلّا شعورهم بالنقص أو غلّ عظيم.

الموقف الثاني: التراث التفسيريّ المتنوّع لم ينجح في استجلاء معاني القرآن الكريم: يرى العلوانيّ أنّه قد « بقي في هذا الكتاب الخالد كثير من العوالم التي قد يشعر الإنسان أنّه لو خُلّي بينه وبين القرآن، يُراجعه ويُسأله ويتدبّر فيه ويتذكّر ويتعقّل لاستفاد من معانيه وتجليّاته وما فيه من نور وهداية أكثر بكثير ممّا استفاده من تدخّلات المفسّرين »²، أي أنّنا أمام تفسير غير صالح لزماننا، وإن كانت كتب التفسير قائمة وموجودة بفعل وضوح مُنطلقاتها ورهاناتها، ووجود ملامح تُميّزها عن غيرها، ممّا يجعل لها موقعاً خاصّاً، ولكنّها بحاجة إلى تدخّلات المعاصرين، وضمن مشروع إصلاح الفكر الإسلاميّ الذي حمل لواءه طه جابر العلوانيّ بمعيّة المعهد العالميّ للفكر الإسلاميّ -بالموزة مع الحداثيّين والقرآنيّين والعقلانيّين المعاصرين-، وفي إطار وعينا الحاليّ، وضع العلوانيّ استراتيجية للتعامل مع التراث مبنية على الدّعائم التالية:³

01- التمييز بين الوحي المنزل وبين التراث البشريّ: ويكون هذا التمييز -حسب العلوانيّ- نتاجاً للنقد والمراجعات، التي تُعدّ الفكر البشريّ فكراً نسبياً، بخلاف المصادر الموحاة التي هي مُطلقة ومُهيمنة هيمنة مستمرة إلى يوم الدين، والرّسول ﷺ قدّم منهجيّة للتّأسي والاتباع، وكلّ فهم بشريّ عدا فهم النّبيّ المؤيّد بالقرآن الكريم عرضة للمراجعة والنقد على الدّوام، وعليه يجب عرض قضايا التراث على القرآن الكريم لتحديد موقعها منه هل هي متوافقة مع ثوابته أم متعارضة ؟ وهل يقبلها

1 طه جابر العلوانيّ، أزمة الإنسانية ودور القرآن الكريم في الخلاص منها، (د.ط، دار الشّروق، القاهرة، مصر، 2005م)، ص: 33 - 34. يقول صبحي منصور: التّفاسير كلّها لو غارتمات وكلام مُبهم وعقيم وغير مفهوم ! ينظر: تفسير كامل، أحمد صبحي منصور، 2020/08/01، www.ahl-alquran.com.

2 طه جابر العلوانيّ، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 27. وقريب من هذا قول عدنان الرّفاعي: ما أضيف لاحقاً من روايات وتفسيرات وتأويلات، لا تخرج عن كونها محمولة بعربات التّاريخ، فحتّى لو كانت صحيحة مائة بالمائة، فإنّها لا تتعدّى تفاعل الأجيال السابقة مع النّصّ القرآنيّ ... واعتبارها معياراً لإدراك دلالات كتاب الله تعالى، هو تحجيم دلالات النّصّ القرآنيّ عند سقف لا يتجاوز العتبة الفكرية لتلك الأجيال. ينظر: عدنان الرّفاعي، محطّات في سبيل الحكمة الفارق بين السّنة الشّريفة وروايات الأحاديث، (د.ط، مركز الذّكر للدراسات الإسلاميّة، د.س.ط)، ص: 111.

3 ينظر: طه جابر العلوانيّ، إصلاح الفكر الإسلاميّ، (ط01، دار الهادي للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، 1431هـ - 2001م)، ص: 121 - 122. بتصرّف واختصار.

القرآن الكريم أم يرفضها ؟ وهل أنشأها الكتاب الكريم المصدر المنشئ أو أمّا أنشئت خارجه واتخذت من آياته شاهداً ومعصداً ؟ لأن إنشاءها انطلاقاً من القرآن يجعلها قادرة على الاستجابة لقواعد التصديق والهيمنة القرآنية والاستيعاب والتجاوز، وللإجابة على هاته التساؤلات وجب إعادة دراسة تراثنا البشري وفهمه وقراءته قراءة نقدية تحليلية كما قام القرآن بمراجعة تراث الأمم السابقة.¹

02- إعادة دراسة تراثنا وفهمه وقراءته قراءة نقدية تحليلية: إن تراثنا الإسلامي تراث خصب ومتنوع وغني جداً، وقد أثبت فاعليته وقدراته في الماضي ... وإذا وصفنا تلك المناهج التي أنتجت ذلك التراث بمقتضى ضوابطها، فإن الضوابط في تلك المناهج أنتجت في ظلّ سقوف معرفية ارتبطت بأزمته وأمكنته، وكانت متفوقة على سواها قَبْلاً، أما اليوم، وبعد بلوغ المنهجية ما بلغته فليس من السهل اختراقها أو تحدّيها بتلك المناهج البشرية التراثية التي أنتجت بمقتضاها علوم القرآن والتفسير والحديث ونحوها²، ولكي نتقدّم بالقرآن إلى العالم ونتحدّى الناس به نحن في حاجة إلى مراجعة تراثنا في علوم القرآن لتنقيته ممّا لحق به أو أُضيف إليه، ومُحاكمته إلى القرآن المجيد ذاته للتصديق عليه ... وبعضه الآن صار يُشكّل عُبْئاً على القرآن³، وحينما كشف طه جابر العلواني عن أساليب تعامل المسلمين مع تراثهم في الوقت الحاضر، جعله ضمن ثلاثة دوائر هي: دائرة الرّفْض المطلق، ودائرة القبول المطلق، ودائرة التّلفيق الانتقائي العشوائي، وبعد الحكم عليها بأنّها دوائر لا تُحقّق التّواصل مع التّراث، وتعجز عن تحقيق القطيعة معه حين يجب إحداث القطيعة، أي التعامل معه بنوع من المحاملة والحياء، أو التعصّب والميل إليه كلّ الميل، قام بالدعوة إلى القراءة النّقدية التحليلية المبنية على دراسة وفهم للتّراث الإسلامي، ومنه الموروث التّفسيري، وهذه دعوة صادرة عن رجل أكاديمي، يؤمن بضرورة معالجة القضايا الدّينية ضمن دوائر البحث الأكاديمي المتعمّق، ويُدرِك دلالات دعوته وأبعادها، ويُدرِك أهداف منهج الدّراسة النّقدية والدّراسة التحليلية.⁴

1 ينظر: طه جابر العلواني، حوارات مع القرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 31 - 40.

2 طه جابر العلواني، معالم في المنهج القرآني، مرجع سبق ذكره، ص: 123 - 124.

3 طه جابر العلواني، أدب الاختلاف في الإسلام، (ط01، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر، 1405هـ - 1985م)، ص: 67.

4 التّقد المراد هنا هو الحكم الذي يُميّز الصّحيح من الفاسد، الذي « يُساهم عملياً في تبرير موقف واستبدال رأي بآخر، مع ما لذلك من تأثير إيجابي أو سلبي على الخطاب السائد أو المهيمن ». إدوارد سعيد بين النّقد الدّيني والنّقد العلماني، إسماعيل العثماني، ترجمة: فخري صالح، مقال بمجلة: فكر ونقد، دار النّشر المغربية، الدّار البيضاء، العدد: 03، ديسمبر 1999م، ص: 129.

أما التّحليل فهو أحد الأساليب البحثية التي تُستخدم بهدف التّوصّل إلى استنتاجات للنّص بعد تفكيكه. بلقاسم سلاطينية وحسان الجليلي، منهجية العلوم الاجتماعية، (دار الهدى للنّشر، الجزائر العاصمة، الجزائر، 2004م)، ص: 27.

ويدرك العلواني قبل هذا وذاك؛ أنّ الحضارة الأوروبية وما تفرّع عنها هي النموذج الزّاهن « الذي استطاع بذل أقصى درجة من الجهد للبحث عن الحقيقة بالطريقة الإنسانية، بعد رفض كل حقيقة قبلية مُعطاة سلفاً، بعد خيبة الأمل التي أصابت الوعي الأوروبي من حقائقه المعطاة سلفاً ... فعندما اكتشف الأوروبي حجم التّفريط وآفاق غفلة سلفه الذي لم يراعي الأمانة وفّرط فيها، أعاد البحث عن الحقيقة المتمثلة في كلمة الله الصادقة وكلمة الوحي الحقّ، وهذا البحث يتطلّب تطهير صورة الوحي التي خلقها الوعي الأوروبي السّالف، ثمّ يتطلّب بعد ذلك بيان أين توجد هذه الصّورة ».¹

فهل اكتشف العلواني أنّ سلفنا فرطوا في حفظ الدّين وضيّعوا الأمانة ؟ أم هل اكتشف أنّهم كانوا في غفلة عن حقائق الدّين الإسلاميّ ؟ على أنّ ما اكتشفه الأوروبيون حقّ، ولو لم يكتشفوه لاستمروا في غفلتهم، وشتان بين التّراث الإسلاميّ والتّراث الأوروبيّ، ليسا سواء، فهذا دين حقّ وذاك محض هوى مُتّبِع وضلال مُبين، قال الله ﷻ: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ (٧٧) ﴿

[المائدة: 77].

والعقل العمليّ المقاصديّ -حسب العلواني- مُؤَهَّلٌ لإجراء هذه القراءة النّقديّة التحليليّة للتّراث الإسلاميّ، وهو عقل يعتمد على « الفكر الذي لا يأخذ بأيّ إقرار دون التّساؤل أولاً عن قيمة هذا الإقرار، سواء من حيث مضمونه (نقد داخليّ)، أو من حيث أصله (نقد خارجيّ)، ومن استعمالاته النّقد التّاريخيّ الذي ينقسم إلى نوعين: نقد خارجيّ ينصبّ على الوثائق لتحديد صحتّها، ونقد داخليّ بتحليل النّصوص والوثائق ومقابلتها ببعضها البعض »²، وهذا بذاته وصفاته ما دعا إليه طه جابر العلواني، نقد وتحليل، وبذا يكون قد دعا لاستعمال النّقد التّاريخيّ مع التّراث الإسلاميّ.

ويعتبر تحليل الخطاب بأنّه محاولة للتّعرف على معنى مضمون المتن (النّصّ) الذي يتّضح من خلال السّياق، حيث يُضمّن المتن بداخله أكثر من هدف ومعنى، كما له المرجعيّة والمصادر التي يشتقّ منها موافقه، وتوجّهاته، كما يتطلّب تحليل الخطاب استرجاع الظروف التي أدّت إلى إنتاجه، فبذلك يُطبّق التّحليل على كلّ أنواع الخطاب بغرض التّوصّل إلى تحليل ما هو مُبهم والبحث خلف السّطور في الخطاب المكتوب (المتن) وعملية تحديد المعنى لا تتكوّن من القراءة الأولى والمباشرة للخطاب بل بالقراءات المتعدّدة للمتن. أحمد أوزي، تحليل المضمون ومنهجية البحث، (د.ط، الشركة المغربيّة للطباعة والنّشر، الرّباط، المغرب، 1993م)، ص: 14.

1 حسن حنفي، ظاهرات التّأويل في تفسير وجودي للعهد الجديد، (ط01، مكتبة التّأفّدة، 2006م)، ص: 34 - 35. بتصرّف.

2 لالاند، موسوعة لالاند الفلسفيّة، (ط02، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، 2001)، ج01، ص: 238.

03- بناء منهج للتعامل مع التراث الإسلامي: وهذا تحصيل حاصل للنقطة السابقة، وإعادة الدراسة تحتاج منهجاً للتعامل مع هذا التراث الهائل بمنطق الجمع بين القراءتين: قراءة الوحي وقراءة الكون، وبقواعد إسلامية المعرفة أو المنهج التوحيدي للمعرفة أو إسلامية العلوم الاجتماعية، أو توجيه العلوم الطبيعية وجهةً إسلامية، أو التأصيل الإسلامي للعلوم.

هذا وإنّ للأصوليين، والفقهاء، والمفسرين، والمحدثين، وغيرهم من أهل الاصطلاح نماذجهم المعرفية الخاصة بأهل كل فنّ، وهم يختارون بانتقائية كبيرة في المعاني اللغوية واستعمالات العرب ما ينسجم ونماذجهم المعرفية ويُعزّز مواقفهم من ذلك المصطلح، ولذلك كان الاستقراء ضرورياً¹، وبناء منهج للتعامل مع الموروث الذي خلفوه مشروع تجديدي ضخم وجب تجسيده ميدانياً.

ومن أجمل ما قيل ردّاً على أصحاب مثل هاته الدعاوى؛ ما قاله مصطفى صادق الرافعي (توفي: 1356هـ): «لم أقرأ إلى يوم الناس هذا في معنى هذا (الجديد) كلاماً يبلغ أن يُصوّر منه برهان أو تُؤلّف منه قضية صحيحة، وكلّ أقاويلهم ترجع إلى ثلاثة أبواب: جديدة، ومجدّد، ولنجدّد، فأما الأوّل فهو عندهم تقبيح القدم والزّاية عليه والتّغير منه، وأما الثّاني فهو العائب والشّاتم والمهزّئ، وأما باب قولهم (ولنجدّد) فهو لا يزال إلى الآن مقصوراً على قول كلّ واحدٍ منهم للآخر (ولنجدّد)»².

الموقف الثالث: بعض التّفسير وقفت حاجزاً بين القرآن والقراء: دون أن يُعمّم الحكم، يقول العلواني «وربما حرمت بعض التّفسير القراء من حسن استجلاء معاني القرآن العظيم، ومحاولة التدبّر فيها وتعقلها وتذكّرها»³، ولا شك أنّ العمل البشريّ مظنة التّقصّ حتّى مع الحرص، وكون بعض التّفسير تقف حاجزاً بين القرآن والقراء فإنّه يُغني عنها التّفسير التي لا تقف موقف الحاجز، وإذا اعتري عملاً نقص، فهل تُراجع العلوم الذي يقع ضمنها ذاك العمل أم نراجع العمل نفسه؟ ثمّ إنّ سبب ظهور الاتجاهات المنحرفة في التّفسير هو ميل أصحاب هذه التّفسير عن أصول وضوابط وقواعد التّفسير المتّفق عليها عند جمهور المسلمين، وتأويلهم النّصوص على حسب أهوائهم، وبما يتّفق مع عقائدهم وآرائهم الباطلة، الأمر الذي أثر سلباً على الموروث التّفسيريّ.

1 طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السّنة النبوية، مرجع سبق ذكره، ص: 105.

2 مصطفى صادق الرافعي، تحت راية القرآن المعركة بين القديم والجديد، راجعه واعتنى به: درويش الجويدي، (د.ط، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1423هـ - 2002م)، ص: 51.

3 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 27. بتصرّف.

وقد قام بعض الباحثين بدراسة مناهج المفسرين في بحوث قيّمة، جمعت الأخطاء، وبيّنت الصّواب، وأسدت النّصح، وأزالت الحاجز، كما انبرى بعض المختصّين؛ فميّزوا الاتجاهات المنحرفة في التفسير - كالشّيعية والخوارج والمعتزلة وغلاة الصّوفيّة - عن غيرها، كما سلّطوا الضّوء على الانحرافات التفسيرية في العصر الحديث، وذلك من حفظ الله لمعنى كلامه المبين، وكان على طه جابر لعلواني رصد الانحرافات السابقة والناشئة في تفسير القرآن الكريم، وتتبع أصحابها والرّد العلميّ عليهم، وليس الدّعوة إلى مراجعة العلوم الدّينية كلّها !

وجميع المواقف السابقة قد يكون لطفه جابر العلواني في بعضها جانب من الصّواب، وقد يوجد مجال للاعتذار له، ولكنّ غالبها ممّا لا يُسلّم له بها، وممّا يحتاج للاستقراء وللدراسة النّقديّة التحليليّة المستعجلة، هذا مع شدّة زائدة عنده، لو استبدلها ببعض اللّين والترّفق لكان في ذلك خير كثير.

ثانياً: مواقف خاصّة لطفه جابر العلواني مع بعض علوم القرآن:

الموقف الأوّل: موقف طه جابر العلواني من علم أسباب النّزول: يقول طه جابر العلواني وهو يحدّد طبيعة علاقة الخطاب القرآنيّ بأسباب النّزول: الخطاب القرآنيّ مُنفتح على حركة الزّمان في عصر النّبوة وما بعده، ذو قدرة خارقة معجزة على استيعاب تلك الحركة وتجاوزها، فإنّنا لسنا مضطّرين للقول بالنّسخ، أو ملاحظة تواريخ النّزول أو أسبابه فيما يتجاوز الاستثناس، لأنّ نزول القرآن منجّماً لم يكن ليربط تلك النّجوم القرآنيّة ببيئة ذلك العصر بل لتكوين الأمة القطب النّموذج بها، وإبراز معالم منهج التّكوين دون تقييد بذلك الواقع المبارك¹، فهي علاقة استثناس فقط²، أي أنّ المفسّر له أن يستأنس بسبب النّزول عند تفسير القرآن الكريم، على ألاّ يتجاوز ذلك.

وسبب النّزول هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدّثة عنه أو مبيّنة لحكمه أيّام وقوعه³، ولأنّ الآيات كلّها نزلت ورسول الله ﷺ حيّ فهي كلّها تدخل ضمن الحديث النّبويّ، قال ابن جرّيّ (توفي: 741هـ): « وأما الحديث فيحتاج المفسّر إلى روايته وحفظه لوجهين: الأوّل: أنّ كثيراً من الآيات قد نزلت في قوم مخصوصين، ونزلت بأسباب قضايا وقعت في زمن النّبيّ ﷺ من الغزوات والنّوازل

1 طه جابر العلواني، نحو موقف قرآنيّ من النّسخ، (ط01، مكتبة الشّرق الدّوليّة، القاهرة، مصر، 1428هـ - 2007م)، ص: 64.

2 الأنيس الذي يُستأنس به واستأنست به وتأسست به إذا سكن إليه القلب ولم ينفر، والإستثناس هو عبارة عن الأنس الحاصل من جهة المحالسة، وهو خلاف الاستيحاش، وقد يكون بمعنى الاستعلام. الفيومي، المصباح المنير، مصدر سبق ذكره، ص: 10. والكفويّ، الكلّيات، مصدر سبق ذكره، ص: 115.

3 محمّد عبد العظيم الزّرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 89.

والسُّؤالات، ولا بدّ من معرفة ذلك ليعلم فيمن نزلت الآية وفيما نزلت ومتى ...

الثاني: أنّه ورد عن النبي ﷺ كثير من تفسير القرآن، فيجب معرفته لأنّ قوله ﷺ مُقدّم على أقوال الآخرين، وأمّا القصص فهي من جملة العلوم التي تضمّنها القرآن فلا بدّ من تفسيره، إلّا أنّ الصّوريّ منه ما يتوقّف التفسير عليه، وما دون ذلك فيستغنى عنه¹.

وطه جابر العلوانيّ تعامل مع هذا النّوع من الحديث -الذي يتّصل بحادثة أو جواب عن سؤال لرسول الله ﷺ كان سبباً لنزول القرآن الكريم- ضمن مشروعه الخاصّ بالمراجعات، وكان رأيّه أنّ أسباب النّزول تتجدّد مع تحدّد الزّمان والمكان والظّروف، فلا هي توقفيّة ولا هي متوقّفة.

وموقف العلوانيّ من أسباب النّزول له تأثيره على موقفه من النّسخ، أو ربّما العكس هو الصّحيح، موقفه من النّسخ هو ما فرض عليه التّعامل مع علم أسباب النّزول بنوع من التّردّد والتّوجّس، « فإنّ النّاسخ يُبنى على معرفة تاريخ النّزول لأنّ المتأخّر ناسخ للمتقدّم »².

الموقف الثاني: موقف طه جابر العلوانيّ من علم النّاسخ والمنسوخ: وأمّا النّسخ فهو يتعلّق بالأحكام لأنّها محلّ النّسخ إذ لا تنسخ الأخبار، ولا بدّ من معرفة ما وقع في القرآن من النّاسخ والمنسوخ ... وقد صنّف النّاس في ناسخ القرآن ومنسوخه تصانيف كثيرة³.

والموقف الخاصّ لطله جابر العلوانيّ من النّسخ هو اعتبار كلّ من علم النّاسخ والمنسوخ إشكاليّة وموضوعاً يجب معالجته، ولهذا ألف ضمن سلسلة دراساته القرآنية كتاب "نحو موقف قرآنيّ من النّسخ"، وهو كتاب استعرض فيه الأقوال الواردة حول معنى النّسخ وحكمه، وخلص إلى أنّه « يمكن القول بأنّ جميع الآيات التي وردت مادّة «نسخ» فيها، لا يُراد بها تلك المعاني التي ذهب الأصوليون والمفسّرون واللّغويّون إليها، بناء على ما سبق إلى الأذهان واستقرّ فيها من معاني اصطلاحية: (رفع حكم بحكم، أو إبطال حكم متقدّم بمتأخّر، أو بيان انتهاء مدّة حكم)، وما إلى ذلك »⁴، ليحكم بأنّ « القول بالنّسخ وبالطّريقة التي سار عليها المتأخّرون من علماء الأصول والقرآن والتّفسير تطرح تساؤلات في غاية الخطورة، ولذلك فلا بدّ من التوقّف عن الأخذ به أو قبوله بأيّ حال من الأحوال »⁵، كما اعتبر أنّه « جدير بالمسلم أن يعلم المعوّقات التي تحول دون تدبّره للقرآن المجيد، ومنها: ... اتّخاذ أحكام

1 ابن جزّي، التّسهيل لعلوم التّنزيل، مرجع سبق ذكره، ص: 11.

2 المرجع السّابق، ص: 11.

3 المرجع السّابق، ص: 10 - 11.

4 طه جابر العلوانيّ، نحو موقف قرآنيّ من النّسخ، مرجع سبق ذكره، ص: 15.

5 المرجع السّابق، ص: 95.

مسبقة قبل التدبر، وتعضية القرآن الكريم فيقرؤه على أنه آيات منفردة فحسب، أو سور منفكة ومنفصلة عن بعضها بعضاً، وكذلك جهله بعادات القرآن الكريم ولسانه الخاص به، وكذلك جهله بالمقاصد العليا الحاكمة للقرآن الكريم، وجهله بأثار مشكلة النسخ والمنسوخ التي دخلت على الإسلام من تورا يهود، وكذلك غموض الغاية من التدبر¹، وكل دعاوى النسخ، سواء بالكتاب أو بالسنة، حكم بأنها دعاوى عارية عن الصحة، ولقد ذكر العلواني فيما سبق نقله من مواقفه مع النسخ عدة مسائل هي:

- النسخ عند اليهود: زعم طه جابر العلواني أن القول بالنسخ وفد إلى المسلمين عبر اليهود على وجه من وجوه التقليد، ونحن إذا نظرنا إلى موقف اليهود من النسخ وجدناه في تيه وشتات لما ينته، و « لقد اتفق اليهود على شيء واحد هو أن الشريعة الإسلامية لم تنسخ شريعتهم، ولكنهم يفترون فيما عدا هذه القضية إلى ثلاثة فرق، لكل منها موقفها الخاص من النسخ:

الفرقة الأولى: الشمعوونية؛ نسبة إلى شمعون بن يعقوب: تقرر أن النسخ لا يجوز عقلاً، ولم يقع سمعاً. والفرقة الثانية: العنانية؛ نسبة إلى عنان بن داود: ترى أنه لا بأس بالنسخ في حكم العقل، لكنه لم يقع. والفرقة الثالثة: العيسوية؛ نسبة إلى أبي عيسى إسحاق بن يعقوب الأصفهاني: تذهب إلى أن النسخ جائز في حكم العقل، وأنه قد وقع فعلاً².

فكما هو واضح فرقتان يهوديتان من أصل ثلاث قالت بجواز النسخ عقلاً، وإحدى هاتين الفرقتين أكدت وقوعه فعلاً، ومقصد اليهود جد واضح؛ وهو إثبات ما اتفقوا عليه من عدم نسخ القرآن للتورا، أما ما اختلفوا عليه فهو خلاف من أجل الخلاف ولا ثمرة له، لأنهم يتبعون شريعة منسوخة قطعاً، قال أبو بكر الجصاص (توفي: 370هـ) في الفصول في الأصول: « من ينكر النسخ فريقان: أحدهما: اليهود، والآخر: فريق من أهل الملة من المتأخرين، لا يُعتد بهم ... وإنما القصد الكلام في أصول الفقه، إلا أنه لما عرض فيه القول بالنسخ أحببنا ألا نُخلية من جملة تدل عليه، وعلى بطلان قول من أبي ذلك من الفرقة التي تنتحل دين الإسلام، ثم ضاهت اليهود في امتناعها من تجويز نسخ الشريعة، فنقول بعد مقدمة القول في جواز النسخ في الجملة: إن الفرقة المنكرة للنسخ من أهل الصلابة، قد خالفت الكتاب، والآثار المتواترة، واتفاق السلف والخلف جميعاً فيما صارت إليه من هذه

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 12.

2 مصطفى زيد، النسخ في القرآن الكريم، (ط03، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، 1408هـ - 1987م)، ج01، ص: 30 - 31.

المقالة «¹، والعجب كل العجب من مقالة العلواني، فالعلماء يجمعون بين موقف اليهود والنّافين للنسخ من أهل القبلة، على أنّه موقف يرفض النسخ، وطه جابر العلواني يجمع بين موقف القائلين بالنسخ من أهل القبلة وموقف اليهود ! بل النسخ عنده منقول عن اليهود ومأخوذ عنهم، لذا تدخل لحماية الأمة الإسلامية فقال: « وأرأينا أن نحمي العقول المؤمنة من أن تذهب نهباً للإسرائيليات والأكاذيب والموضوعات والمعلقات والمراسيل، وما أحاط بما دوّن ممّا سمّي بعلوم القرآن مثل النّاسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، وما إلى ذلك »²، ومن تدخلاته لحماية الأمة من خطر النسخ خصيصاً، دراسته لمصطلح النسخ في تفسيره وخروجه بنتيجة نهائية قطع فيها بأنّ النسخ في القرآن يعني نسخ أمة بني إسرائيل بالأمة الإسلامية، ولا يحتمل النسخ غير هذا المعنى.³

وكيف لا يحتمل النسخ غير هذا المعنى والعلماء ذكروا وجوهاً قويّة محتملة أخرى، ولعلّه يصدق في العلواني قول القائل: « ومن الناس من يظنّ أنّ النسخ رفع الحكم وهذا جهل مفرط، وذلك لأنّ ما ثبت من الأحكام لا يجوز رفعه لأنّه يدلّ على البداء، وإنّما يدلّنا النسخ أنّ الحكم المنسوخ لم يكن مُراداً في هذا الوقت »⁴، قال القرطبي (توفي: 671هـ) في تفسيره: « أنكرت طوائف من المنتمين للإسلام المتأخّرين جوازه، وهم محجوجون بإجماع السلف السّابق على وقوعه في الشريعة، وأنكرته أيضاً طوائف من اليهود، وهم محجوجون بما جاء في توراتهم بزعمهم ... »⁵.

وقال ابن الجوزي (توفي: 597هـ): « انعقد إجماع العلماء على هذا -يعني أنّ في القرآن منسوخاً- إلّا أنّه قد شدّ من لا يلتفت إليه، فحكى أبو جعفر النّحاس (توفي: 338هـ) أنّ قوماً قالوا: ليس في القرآن ناسخ ولا منسوخ ! وهؤلاء قوم لا يُقرّون؛ لأنّهم خالفوا نصّ الكتاب، وإجماع الأمة، قال الله عزّ وجلّ: ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا ﴾ [البقرة: 106] »⁶.

وقال الشوكاني (توفي: 1250هـ): « اتّفق أهل الإسلام على ثبوته سلفاً وخلفاً، وهو جائز

1 الجصاص، الفصول في الأصول، تحقيق: عجيل جاسم النجمي، (ط2، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة الكويت، 1414هـ - 1994م)، ج2، ص: 215.

2 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 50.

3 المرجع السّابق، ص: 163 - 166.

4 الجصاص، الفصول في الأصول، مصدر سبق ذكره، ج2، ص: 200.

5 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سبق ذكره، ج2، ص: 302.

6 ابن الجوزي، نواسخ القرآن، تحقيق: محمّد أشرف الملباري، (ط01، المجلس العلمي لإحياء التّراث الإسلامي، المدينة المنورة، المملكة العربيّة السّعودية، 1404هـ - 1984م)، ص: 84.

عقلاً، ولم يخالف في ذلك أحد، إلا من لا يُعتدّ بخلافه، ولا يؤبه بقوله¹.

فهذه بعض نقولات الإجماع من علماء أجلاء تثبت وقوع النسخ كما تثبت بطلان القول بعدمه، وإن كان إنكار طه جابر العلواني لوقوع النسخ في القرآن ثمرة للتردّد والتّوجّس من علم أسباب النزول، فإنّ إنكار وقوع النسخ في القرآن سبب مُباشر لإنكار علم المحكم والمتشابه لما بينهما من رابط قويّ.

الموقف الثالث: موقف طه جابر العلواني من علم المحكم والمتشابه²: المحكم ما عُرف المراد منه إمّا بالظهور وإمّا بالتأويل، والمتشابه ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة، وخروج الدّجال، والحروف المقطّعة في أوائل السّور³، قال القرطبيّ (توفي: 671هـ): هذا أحسن ما قيل في المتشابه⁴، ويُنسب هذا القول إلى أهل السنّة على أنّه المختار عندهم⁵.

وأشار طه جابر العلواني في كتابه "نحو موقف قرآنيّ من إشكاليّة المحكم والمتشابه" إلى العلاقة التي بين النسخ وموضوع المحكم والمتشابه، فنقل ما ذكره بعض العلماء بأنّ: المحكم هو النَّاسخ، والمتشابه هو المنسوخ، ونقلوه عن ابن عبّاس، وابن مسعود رضي الله عنهما، وقال: قد علمت موقفنا من القول "بالنسخ"، ونفي وقوعه في القرآن المجيد⁶، وقيل: المحكم هو ما لم يُنسخ⁷، وبنفس الطّريقة عرض أقوال العلماء وأدلّتهم وتعريفهم، وعزا نشوء إشكاليّة المحكم والمتشابه إلى المذهبيّة والفرقيّة والمباحث العقديّة، وإلى الإفراط في التفسيرات اللّغويّة، فتحكيم العقل والرّواية واللّغة كلّها كانت سبباً في التباس مفهوم المحكم والمتشابه، وتوصّل إلى أنّ القرآن بلاغ للناس مُحكم كلّ، والتّشابه فيه هو خاصيّة لهذا البلاغ الذي نزل متدرّجاً، ومع ذلك فإنّه يتميّز بالانسجام الدّاخليّ من حيث النّظم، والأسلوب والبلاغة والفصاحة والتّحدّي، مع تباعد فترات النزول، وهذا ما لا يمكن أن يتوافر لكلام بشريّ، فبقدر ما نحتاج للقرآن الكريم يُعطينا، وتتجدّد عطاءاته.

1 الشّوكانيّ، فتح القدير الجامع بين فنيّ الرّواية والدّراية من علم التّفسير، مرجع سبق ذكره، ج 01، ص، 126.

2 للاطلاع على ما ذكره الباحث لبيان موقف العلوانيّ من المحكم والمتشابه، ينظر: طه جابر العلوانيّ، نحو موقف قرآنيّ من المحكم والمتشابه، (د.ط، دار السلام للطباعة والنّشر والتّوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، 2010م).

3 ينظر: القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سبق ذكره، ج 04، ص: 09 - 10. والسيوطيّ، الإنثقان في علوم القرآن، مصدر سبق ذكره، ج 02، ص: 299.

4 القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سبق ذكره، ج 04، ص: 10.

5 الرّزقانيّ، مناهل القرآن في علوم القرآن، مرجع سبق ذكره، ج 02، ص: 291.

6 طه جابر العلوانيّ، نحو موقف قرآنيّ من المحكم والمتشابه، مرجع سبق ذكره، ص: 09.

7 ابن جزّي، التّسهيل لعلوم التنزيل، مرجع سبق ذكره، 10.

وهذا الذي ذهب إليه العلواني من أن القرآن كله مُحْكَم مُتَقَن لا يتطرق إليه الخلل والنقص، وهو كله متشابه آياته يُشبه بعضها البعض (نفي التشابه الذي هو ضد الاختلاف)؛ ليس داعياً لرد آية قرآنية تصف القرآن بأن بعضه مُحْكَم وبعضه متشابه، قال عَلَيْكَ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: 07]، وكان يكفيه ويُغنيه «نقل قول أهل السنة بأن المحكم ما عُرف المراد منه، والمتشابه ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة، وخروج الدجال، وظهور يأجوج ومأجوج، وغيرها، أو قول الأصوليين بأن المحكم ما لا يحتمل إلا وجهاً واحداً، والمتشابه ما يحتمل أكثر من وجه، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه، أو المحكم الذي يُعمل به، والمتشابه الذي يؤمن به ولا يُعمل به، وهو قول ابن عباس وعكرمة وقتادة رضي الله عنه، أو المحكم الذي استقل بنفسه ولم يحتاج لبيان، والمتشابه ما لا يستقل بنفسه ويحتاج إلى بيان، وهو قول الإمام أحمد، أو المحكم ما اتضح دليله، والمتشابه ما يحتاج إلى تدبر، أو المحكم ما تضمن حكماً، والمتشابه ما تضمن أخباراً وقصصاً، أو المحكم ما كانت دلالاته راجحة كالتص، والظاهر، والمتشابه كالمحمل والمؤول والمشكل»¹، فهذه أقوال تستقيم مع الذي قال به العلواني، ويمكن جمعها مع ما توصل إليه، فلا تناقض بينها، وما من داع يدعو لنفيها جميعاً، والحكم على علم المحكم والمتشابه بأنه إشكالية، وبأنه خطأ وقع فيه المتأخرون وبعض المتقدمين كمجاهد، مجاهد الذي نقل عنه البخاري في كتاب التفسير من الجامع الصحيح كثيراً من التفسير، مجاهد الذي قال: «عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات، أقف عند كل آية، أسأله فيم نزلت، وكيف كانت»².

وفيما يخص الحروف المقطعة؛ فلم يخض العلواني مع الخاضعين في تفسيراتها، مُنطلقاً من كون القرآن كله مُحْكَم، وكله متشابه، وربطها بنعمتي التعلم والبيان، والتميز عن الحيوان، وفي هذا يقول: «ولكن الكلمة اختصرت الطريق، والكلمة مبنية على أحرف، إذن الهمزة، الراء، طس، يس، حم كل هذه الأحرف هي عبارة عن تنبيه مُسبقٍ تبتدئ السورة به لُتُبْهَك أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِلَى أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَنْعَمَ عَلَيْكَ بِأَعْظَمِ نِعْمَةٍ مَيَّرَكَ عَنْ الْحَيَوَانَ وَجَعَلْتَكَ سَيِّدًا لِلطَّبِيعَةِ، أَلَا وَهِيَ نِعْمَةُ الْقُدْرَةِ عَلَى تَقْطِيعِ الصَّوْتِ إِلَى كَلِمَاتٍ تُؤَلَّفُ مِنْ هَذِهِ الْأَحْرِفِ، فَعَلَّمَكَ الْبَيَانَ وَعَلَّمَكَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ، وَعَلَّمَكَ كَيْفَ تَكْتُبُ وَتُسْتَخْدَمُ الْقَلَمَ، وَكَيْفَ تَحْفَظُ عُلُومًا وَمَعَارِفَ وَفَنُونًا

1 فهد الزوي، دراسات في علوم القرآن الكريم، (ط14، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1426هـ - 2005م)، ص: 511 - 512. بتصرف.

2 ابن حجر، تهذيب التهذيب، مرجع سبق ذكره، ج10، ص: 42.

وحضارةً وتنقل ثقافةً بهذه الأحرف، كل هذا ما كان من الممكن أن يحدث لو لم يخلق الله ﷻ لدى الإنسان هذه القدرة على تقطيع الصوت إلى أحرف¹، وهذا الكلام عدّ المراد من الحروف المقطّعة معلوماً، وهو كلام يُعتبر من الفوائد، ولا بأس من الإضافة في هذا الباب، لأنّه لا يُعتبر تفسيراً، وإمّا بيان فائدة مجيئها على هذه الصورة، والعلوانيّ بهذا وافق السّواد الأعظم من المفسّرين²، وفارق سبيل من قال بأنّها أسماء السّور بلا دليل، ومن عدّها أسراراً أو زُموزاً أو أسماءً أو غير ذلك من التّأويلات.³ وقد انقسمت أقوال العلماء في الحروف المقطّعة إلى قولين أساسيين:

الأوّل: أنّها من المتشابهة أو من الغيب الذي استأثر الله بعلمه.

الثاني: أنّ المراد منها معلوم، وقد أشار الزّركشيّ أنّهم ذكروا فيها ما يزيد على عشرين وجهاً، منها البعيد ومنها القريب.⁴

يقول ابن قتيبة (توفي: 276هـ): «ثمّ قد يُقال لكلّ ما غمض ودقّ مُتشابه وإن لم تقع الحيرة فيه من جهة الشّبه بغيره، ألا ترى أنّه قد قيل للحروف المقطّعة في أوائل السّور: مُتشابه، وليس الشكّ فيها والوقوف عندها لمشاكلتها غيرها، والتباسها بها».⁵

ولا يختلف موقف العلوانيّ من المبهم والواضح عن موقفه من المحكم والمتشابه⁶، والمبهم كما قال محمّد بن أبي بكر الرّازي (توفي: 666هـ): «اسم مفعول مُشتقّ من الإبهام وهو الخفاء، يُقال: ليل بَهِيم، لخفاء ما فيه من الرّؤية، وأنّهم الكلام إبهاماً أي لم يُبيّن، واستبهم عليه الكلام إذا استغلق. كما يُقال: أمر مُبهم: إذا كان مُلتبساً لا يُعرف معناه»⁷، والمبهم في الاصطلاح: عرفه السّهيلى (توفي:

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 93 - 94.

2 الرّأي الذي يختاره الباحث هنا ويراها راجحاً هو ما ذهب إليه جمهور المفسّرين من أنّ هذه الحروف هي أسماء للحروف التي رُكّبت منها كلمات القرآن وجملة وآياته وسوره، وكأنّ الله ﷻ يتحدّى العرب ويقول لهم: القرآن مُكوّن من هذه الحروف التي بها تتخاطبون، وتنظّمون شعركم وتتركم، وتدوّنون بها أيامكم وتواريخكم، فإن كنتم صادقين في أنّ القرآن من اختلاق محمّد ﷺ وليس من عند الله، فأتوا ولو بمثل أقصر سورة منه، وقول العلوانيّ قريب من هذا القول كما هو بيّن. للمزيد ينظر: الباقلاني، إعجاز القرآن، ص: 68 - 69. والرّخشي، الكشف، ج1، ص: 95 - 97. والرّازي، مفاتيح الغيب، ج2، ص: 08. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص: 37 - 38.

3 ينظر: عبد القادر أحمد بدران، جواهر الأفكار ومعادن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار، تحقيق: زهير الشاويش، (ط01، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1420هـ - 1999م)، ص: 50.

4 الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، مرجع سبق ذكره، ج1، ص: 173.0.

5 ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 120.

6 نحو تجديد الخطاب القيمي، طه جابر العلواني، مارس 2019، ص: 18. <https://alwani.org/wp->

7 محمّد بن أبي بكر بن عبد القادر الرّازي، مختار الصّحاح، مرجع سبق ذكره، ص: 27.

518هـ) بقوله: « ما تضمنه كتاب الله العزيز من ذكر من لم يُسمَّه الله فيه باسمه العلم، من نبي، أو ولي، أو غيرها، آدمي، أو ملك، أو بلد، أو كوكب، أو شجر، أو حيوان له اسم علم، قد عُرف عند نقلة الأخبار، وغيرهم من العلماء الأخيار »¹، زاد ابن جماعة (توفي: 733هـ) على تعريف السهيلي: أو عَدَدٍ لم يُحدِّد، أو زمنٍ لم يُبيِّن، أو مكانٍ لم يُعرف، وغيرها.²

ومثال العلم المبهم: قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ [النجم: 05]، فالضمير في ﴿عَلَّمَهُ﴾ المراد به: جبريل عليه السلام.³

ومثال العدد المبهم: قوله تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرْدَتْ أَنْ أَعْيِبَهَا وَكَانَ رَآءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: 79] قيل: كان عددهم سبعة، وفي الكشف: عشرة.⁴

ومثال الزمن المبهم: قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَرَّكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ [الدخان: 03] المراد بهذه الليلة: هي ليلة القدر.⁵

ومثال المكان المبهم: قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَنُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: 98] والمراد: قرية نينوى.⁶
يقول الباحث: والنفوس مُتَشَوِّقَةٌ إلى معرفة مثل هذا، فمن رام الاطلاع على ذلك، فإن من العلماء من أفردوا مبهمات القرآن بمؤلفات خاصة.⁷

1 السهيلي، التعريف والإعلام فيما أبهم من الأسماء والأعلام في القرآن الكريم، تحقيق: عبد الله النقرات، (ط01، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1401هـ - 2001م)، ص: 50.

2 ابن جماعة، غرر البيان لمبهمات القرآن، دراسة وتحقيق: عبد الجواد خلف، (د.ط، دار قتيبة، كراتشي، باكستان، د.س.ط)، ص38.

3 ينظر: ابن عسكر، التكميل والإتمام لكتاب التعريف والإعلام، تحقيق: حسن إسماعيل مروة، (ط01، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1418هـ - 2018م)، ص: 399.

4 ينظر: السهيلي، التعريف والإعلام فيما أبهم من الأسماء والأعلام في القرآن الكريم، مرجع سبق ذكره، ص: 191. والزنجشيري، الكشف، مصدر سبق ذكره، ج02، ص: 495.

5 ينظر: ابن عسكر، التكميل والإتمام لكتاب التعريف والإعلام، مرجع سبق ذكره، ص: 367.

6 ينظر: السهيلي، التعريف والإعلام فيما أبهم من الأسماء والأعلام في القرآن الكريم، مرجع سبق ذكره، ص: 135.

7 مثل: الاستدراك على التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام للشامي. وصلة الجمع وعائد التذييل لموصول كتابي الإعلام والتكميل للبلنسي، وقد جمع في كتابه بين كتابي السهيلي وابن عسكر، كما ينقل من مبهمات ابن جماعة، وتفسير الزنجشيري، وتفسير ابن عطية. ومباحث في مبهمات القرآن الكريم لعبد الجواد خلف، وغيرها.

الموقف الرابع: موقف طه جابر العلواني من علم القراءات: يقول طه جابر العلواني: علوم القرآن دخلت فيها قضايا خطيرة منها تعدد الأحرف، والقراءات، خاصة ما سُمّي بالقراءة الشاذّة¹، ولأنّها قضايا خطيرة اتّخذ معها موقفاً قال فيه: « على أنّ لنا من القراءات موقفاً نُعدُّ فيه رسالةً خاصةً مفادها أنّ هذه القراءات أذن رسول الله ﷺ ببعضها لأولئك الذين لم تكن ألسنتهم لينة طريّة بالقرآن المجيد كأولئك الذين لا يستطيعون نطق الصّاد فيستبدلونّها (زايّاً أو سيناً)، أو لا ينطقون الحاء، فيستبدلونّها (عيناً أو هاءً)، إلى غير ذلك ممّا ورد وكان المفروض أنّ هذه الرّخصة النبويّة تنتهي بوفاة رسول الله ﷺ بعد العرضتين الأخيرتين اللّتين سبقتا وفاته ﷺ بأيّام²، وهذا قول فيه شبهة القول بتاريخيّة القراءات، لأنّها أفعال تأثّرت بالزّمان والظّروف، وفكرة تاريخيّة النّصّ بالأساس « تُحاول تفهّم إنتاج الحقيقة وترتبط بمقولة تأثر مفهوم النّصّ بالأرضيّة التاريخيّة، والظّروف والحقائق الثّقافيّة والتّاريخيّة لعصر ظهور النّصّ³، وقطعاً لدابر الشّبهة أكّد العلواني على إطلاق القرآن، فقال: « إنّ القرآن المجيد كتاب مُطلق وخطاب عالمي وكونيّ في الوقت نفسه، واستمرار تفصيله وفق مناسبات النزول قد يُوهم البعض بأنّه تاريخيّ مرتبط ببيئة النزول كما يستدلّ بعض المستشرقين⁴».

وسعيّاً منه لغلق باب الخلافات والمنازعات في قضيّة القراءات ! يقول العلواني: « فأردنا أن نُقدّم للنّاس كتاب الله كما أجمعت الأمّة عليه في عهد الإمام الشّهِيد أمير المؤمنين عثمان بن عفّان رضي الله عنه الذي وضع حدّاً لتلك الاختلافات والمنازعات، وتجاوز تلك الآثار والأحاديث التي أدّت إلى اختلاف النّاس في أحرف وكلمات⁵، وعلى هذا؛ فلا يُنتظر من العلواني توظيف القراءات في تفسيره، ولا حتّى مجرّد الاستئناس بها، لأنّه حكم بمرحليّتها وتاريخيّتها وبإلغائها بعد العرضتين الأخيرتين للقرآن.

والغريب أنّ العلواني يُريد غلق باب الخلاف بعد أن استقرّ أمر الأمّة على قراءة القرآن بالقراءات العشر ورواياتها المشهورة ! وحسبُ الباحث أن يذكر بأنّ الإجماع حاصلٌ على أنّه لم يُحفظ من القراءات المتواترة والثّابتة إلّا ما روى عن القراء العشرة دون غيرهم، وأنّ ما زاد على ذلك شاذٌّ لا

1 ينظر: طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 38.

2 طه جابر العلواني، إشكاليّة التعامل مع السّنة النبويّة، مرجع سبق ذكره، ص: 215.

3 حسن علي مطر، تاريخيّة القرآن عند نصر حامد أبو زيد لأحمد الواعظي، قراءة نقدية فاحصة، (مجلة دراسات معاصرة، مؤسّسة دلتا للباعة والنّشر، بيروت، لبنان، 2012م)، العدد: 27، ص: 234.

4 أسئلة واستشكالات حول ما يعرف بعلم القراءات"، طه جابر العلواني، 20 فيفري 2010، ص: 07، <https://alwani.org/wp-content/uploads/>.

5 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 50.

يثبت به قرآن¹، يقول أحمد سعيد محمد: « بيد أنه ههنا أمراً ينبغي التنبيه إليه؛ إذ طالما ندّ عن مسلك الموجهين في هذا المجال القول بأبلغية قراءة على أخرى، أو الترجيح بينها بما يؤهم في بادئ النظر بتدافع القراءات في المعنى، أو إسقاط الأخذ ببعضها، ولم يكد يسلم من ذلك إلا قليل منهم، وذلك المسلك وإن كان يجوز على تسّمح فيما بين القراءات الشّواذ، لكونها كما يقولون أقوى في الصّناعة من جهة أقيستهم في العربيّة، وأقلّ تحرّجاً من جهة ذوقهم في النظر إلى معانيها، فهو غير مرضيٍّ فيما بين القراءات المتواترة². »

ووجوب التزام الرّسم العثمانيّ وتحريم مخالفته هو مذهب جمهور العلماء، بل حكى أبو عمرو الدّاني (توفي: 444هـ) الإجماع على ذلك، فقال بعد أن ذكر وجوب التزام الرّسم العثمانيّ وتحريم مخالفته: « ولا مخالف في ذلك من علماء الأمة وبالله التّوفيق³. »

والقراءات ممّا لا يستغني عنه المفسّر إذا ما أراد استنباط الأحكام لأنّ القرآن بقراءاته هو المرجع الأساس لذلك وما بعده كلّ بيان له وفرع عنه، وبالجملة لا يستغني عنها أيّ باحث عن الحقيقة وأيّ باحث عن العلم الصّحيح لأنّ القرآن الكريم بقراءاته الثّابتة هو المصدر الموثوق الذي اجتمعت عليه كلمة المسلمين باختلاف مشاربهم، وهو في الوقت نفسه الكتاب الوحيد الذي ثبت كونه كلام الله المحفوظ من أيّ تبديل أو تغيير، وحقّته قائمة على كلّ باحث على الحقيقة إلى قيام الساعة، ويذكر العلماء لتعدد القراءات فوائد منها: «

- التّسهيل والتّخفيف على الأمة، فإنّ لكلّ قوم لغةً ولهجةً يصعب عليهم التّنحّي عنها، وتعدّد القراءات يُمكنهم من اختيار ما يُوافقهم.
- أنّ في تعدّدها كمال الإعجاز مع جمال الإيجاز، وذلك أنّ القراءتين في الآية الواحدة بمنزلة الآيتين، وذلك يُغني عن التّكرار والتّطويل.
- أنّ تعدّدها يُيسّر حفظ القرآن بجميع حروفه وقراءاته، فأية واحدة تحفظ مع ضبط قراءتها أيسر

1 ينظر: منجد المقرئين ومرشد الطالبين لابن الجزري (ص: 24 و72). وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر لعبد الغنيّ الدميّاطي (ص: 09). والقواعد والإشارات في أصول القراءات للرّضا الحمويّ (ص: 30). والبحر المحيط للسّروجي (209/02-210). ومناهل العرفان في علوم القرآن للرّزقانيّ (441/01). والقراءات القرآنية تاريخها، ثبوتها، حجّتها، وأحكامها لعبد الحليم قابة (ص: 187).

2 أحمد سعيد محمد، التّوجيه البلاغيّ للقراءات القرآنية، (ط02، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، د.س.ط)، ص: 30. وهذا الكتاب الماتع فيه تفصيل لتأويلات العلماء للقراءات بوجوه التّغاير التي يقع بها الاختلاف في القراءة، ينظر: ص: 17 - 19.

3 أبو عمرو الدّاني، المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، مرجع سبق ذكره، ص: 28.

بكثير من حفظ مجموعة آيات.

- أن تعددها حفظ للأمة لغتها ولهجات قبائلها بشكل ضمن معه عدم ضياع هذه اللغة التي تشرّفت بجعل الله إياها وعاءاً لكلامه العظيم.

- أنها كانت سبباً في جمع الأمة على لسان واحد، وذاك من أعظم عوامل الوحدة بين الأمم، ولا شك أن عزّ الأمم مرهونٌ بتوحد أفرادها وجماعاتها على كلمة سواء.

- أن تنوعها مرجع لا يستغني عنه المفسر إذا أراد تفسير القرآن، لأنّ أول ما يُفسّر به القرآن نفسه لأنّه كلام منزل وهو أدرى بما يريد، ولا يستغني عنه النحويّ واللغويّ، لأنّ القرآن أوثق مصادر اللغة وأصحّها وأفضلها وأولاها، فهو كلام خالق اللغات وهادي البشرية إليها»¹.

الموقف الخامس: موقف طه جابر العلواني من رواية الإسرائيليات: جدير بالذكر أنّه « ليس من شكّ في أن هؤلاء الذين أكثروا من نقل الإسرائيليات وغيرها من الأخبار وضعوا الشوك في طريق المشتغلين بالتفسير، وذهبوا بكثير من الأخبار الصحيحة بجانب ما رووه من قصص مكذوبة وأخبار لا تصحّ»²، فالشيء مهما كان، إذا زاد عن حدّه انقلب إلى ضده، «فرواية الإسرائيليات الصحيحة الثابتة صحتها بتصديق القرآن لها وحديث رسول الله ﷺ، التي لم ير الرسول في روايتها بأساً، هي الحكاية القصصية التي تحكى على سبيل الاستئناس والتسلية والترفيه، وإشباع الشوق الفطري في النفس الإنسانية إلى استماع الغريب والعجيب المثير، وكذلك لاستخلاص العبرة من هذه القصص»³، هذا هو حدّ روايتها المقبول المنقول المعقول.

وعن رواية الإسرائيليات في التفسير، يقول طه جابر العلواني: « وفي التفسير يُمكن أن نجد الإسرائيليات كأخطر نقطة ضعف أصابت هذا العلم في بداية تدوينه، وتغلّغت فيه، وانعكست على كثير من علوم القرآن الكريم التي بقيت متداولة منذ عصر التدوين، وصحيح أن أسلافنا قد بذلوا جهوداً جبّارة لمقاومتها ... »⁴، وقد أعطى البعض لأنفسهم صلاحية توقيع الأحكام عن ربّ

1 ينظر: النّشر في القراءات العشر لابن الجزري (35-52). والبرهان في علوم القرآن للزركشي (339/01). والإتقان في علوم القرآن للسيوطي (279/01). والقراءات وأثرها في علوم العربية لمحمد سالم محيسن (39-37/01). ومناهل العرفان للزرقاني (190/1). والقراءات أحكامها ومصادرها لشعبان محمد إسماعيل (ص: 39-46).

2 محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، مرجع سبق ذكره، ص: 37.

3 عبد الله أبو السعود بدر، تفسير الصحابة، (ط01)، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1421هـ - 2000م)، ص: 75.

4 طه جابر العلواني، لا إكراه في الدين، مرجع سبق ذكره، ص: 56.

العالمين وتوكيد كثير من شرائع الإصر والأغلال¹، وصلاحيّة تجاهل نسخ حالة بني إسرائيل جملة وتفصيلاً ليؤكدوا أنّ شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد ناسخ، ولتصبح هذه قواعد بعض علمائنا الأصولية...²، ويضيف العلواني مُنكراً ومُنقداً قاعدة (شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد ناسخ)، مُعتبراً ذلك توقيع باطل فيه كثير من الإصر والأغلال.

وهذا النقد من طه جابر العلواني لتوظيف السابقين للإسرائيليات؛ يغلب عليه الإجمال في التناول ومهاجمة إيراد الروايات الإسرائيلية وتوظيفها، دون بيان لأطر التوظيف لهذه المرويات والمنهج الذي حَكَمَ مَنْ قاموا بتوظيفها، وكيفيات ذلك، ومسالكه عندهم؛ قال ابن تيمية (توفي: 728هـ): «ولكنّ هذه الأحاديث الإسرائيلية تُذكر للاستشهاد لا للاعتقاد»³، فالإسرائيليات وظفها السلف مادّة استشهادية فقط ولا يُعتقد مضمونها، فهي ممّا لا يُعلم صدّقه من كذبه؛ وبالتالي فغاية المفسّر أن يَسْتَشْهَدَ بها على أمرٍ مُقرّرٍ عندنا لا أن يَسْتَدِلَّ بها؛ لأنّها مادّة يتعذّر إمكان التأسيس تبعاً لها، وكذلك لا يُعتقد بصحّة مضامينها، إلّا ما عَلِمْنَا صحّته، وبالمجمل فإنّ الإسرائيليات «يُعتضد بها ولا يُعتمد عليها»⁴، والسلف تُدرس بحالات توظيفهم لها ومنهجهم في ذلك، لا الإنكار عليهم وتخطئتهم جملة وتفصيلاً.

إنّ الإسرائيليات تحتاج إمعان النظر فيما يتعلّق بمنهج وطريقة سلف الأئمة في روايتهم لها وليس في أصل روايتهم لها، بمعنى أنّه يجب ابتداءً عدم الحكم على فعل السلف أنّه مردود، فإنّ الباحث الذي يقول أنّ في رواية الإسرائيليات خطر على التفسير سيسهل عليه ضرب الأمثلة وحشدها، بينما الباحث الذي يسعى للبحث في منهج السلف عند استعمال الإسرائيليات في التفسير -مع علمهم بخطرهما وخطر أهل الكتاب- سيحتاج للكثير من الوقت والجهد والصبر؛ وهذا ليقوم -فيما يرى الباحث- بـ:

1 المقصود شرائع اليهود والنصارى مصداقاً لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَإِذْ بَيْنَ أَمْثَالِهِمْ وَعِزُّوهُ وَنَصْرُوهُ وَاتَّبِعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف: 157].

2 طه جابر العلواني، أبعاد غائبة عن فكر وممارسات الحركات الإسلامية المعاصرة، (د.ط، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، د.س.ط)، ص: 50.

3 ابن تيمية، مقدّمة في أصول التفسير، مصدر سبق ذكره، ص: 42. وله كلام في تقسيم الإسرائيليات في نفس الصّفحة فلينظر لأنّه كلام نفيس.

4 ابن تيمية، مجموع الفتاوى، مرجع سبق ذكره، ج: 01، ص: 343.

- جمع جميع المرويّات الإسرائيليّة جمعاً شاملاً ثمّ تمييز الدّخيل فيها. وهو ما يسمّيه العلواني تحليلاً.
 - فرز مرويّات كلّ مفسّر على حدة، وهو ما يسمّيه العلواني تفكيكاً.
 - ترتيب المرويّات حسب نوعها، إذ أغلبها ضمن القصص، وهو ما يسمّيه العلواني تدقيقاً.
 - تمييز الموافق لشرعنا من المخالف له، فما كان موافقاً فلا يُعتدّ به لأنّ في شرعنا الغنية والكفاية، وإذا ذُكر فيذكر للاستئناس به ولإقامة الحجّة على أهله المخالفين له، وهو ما يسمّيه العلواني تركيباً.
 - ما كان من الإسرائيليات مخالفاً لشرعنا فعلياً محاولة معرفة طريقة تحمّل كلّ مفسّر لها، وكيفية أدائه لها، للوصول إلى رؤية منهجية واضحة لقواعد روايتهم لها واستدلالهم بها والخلاف الحاصل بينهم، فلا يُتصوّر أنّ من جعلوا قواعد العلوم وأسّسوها أن يهملوا ذلك عند التعامل مع أشرف العلوم وأرفعها، وهو ما يسمّيه العلواني تركيباً أيضاً.
 - النّظر في مسألتي الاعتماد والاستئناس، أي تحديد درجة وقيمة اعتماد المفسّر عليها ؟ واستنطاقها لتحديد المخارج المنهجية لما يمكن أن يصادف مع البحث، وهو ما يسمّيه العلواني بناءً.
- فإن تمّ هذا؛ تمكّنا من الوصول لأمرين: الأوّل فرز المرويّات الإسرائيليّات والحكم عليها، والثاني فهم منهج السّلف وتحديد موقفهم من الإسرائيليّات في التّفسير بدل تحطّقتهم بالجملة، والإنكار عليهم كأثمّ لا علم لهم ولا فهم !
- الموقف السادس: رفض إخضاع لسان القرآن لقواعد اللغة العربيّة:** أكّد طه جابر العلواني أنّ نظم القرآن يقوم على دعائم كثيرة لا يُمكن لكلام البشر أن يشتمل عليها كلّها في وقت واحد، وعاب على المفسّرين إخضاع لسان القرآن لقواعد العرب وبيان معانيه، ولم يلاحظوا الفوارق بين لسان العرب ولسان النّبي ﷺ ولسان القرآن، فقال: « صحيح أنّ القرآن الكريم قد نزل بلسان عربيّ مبين، كما تؤكّد الآية: ﴿وَلَقَدْ نَزَّلْنَاهُ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾ [الشّعراء: 192-195]، بل إنّ قد يسّره -تبارك وتعالى- بلسان رسول الله ﷺ وهو أفصح من نطق بالضّاد ... ومع ذلك فقد لجأ جمهرة المفسّرين إلى الاعتماد على المنحى اللّغويّ الذي يعتمد القاموس اللّغويّ، والبحث في كلام العرب لمعرفة معهودهم، دون الالتفات الكافي إلى خصائص ((لسان القرآن)) ومزاياه، فقد تأثّرت مقولات كثير من أئمّة التّفسير من مختلف المذاهب بمدلولات اللّغة المستقرّة في عقولهم ونفوسهم، وتأوّلوا تبعاً لها مفردات القرآن المجيد ... »¹.
- وعاب طه جابر العلواني على المفسّرين إلباسهم مفردات القرآن معانٍ لا يحتملها السّياق،

1 طه جابر العلواني، نحو موقف قرآني من المحكم والمتشابه، مرجع سبق ذكره، ص: 14.

فترتب على ذلك مُشكلات عقديّة، وفقهيّة كثيرة، مع إضاعة نفائس الأوقات في تأويلها، وحملها على مُختلف المحامل، « فلم يكن غريباً -والحال كذلك- أن نجد في هذه التّفاسير من يذهب إلى أنّ هناك أحرفاً زائدة لا تُفيد دلالة مُعيّنة ... ممّا جعل الفخر الرّازي أن يحمل عليهم في بداية تفسيره لسورة الحجر¹، ثمّ دعا لفهم العلاقة بين لسان القرآن الكريم العربيّ ولسان العرب بقراءة شموليّة تكاملية تعتمد على معهود القرآن، لا على معهود اللّغويين والبلغاء والنّحاة والأصوليين، ولا على تتبّع كلام العرب وأشعارهم.

وقد جرّه هذا الموقف إلى الدّعوة لإعادة بناء وتحديد المفاهيم بشكل عامّ، فجوهر كافّة مؤلّفاته لا يخلو من ذكر تأسيس علم جديد سمّاه علم بناء المفاهيم الإسلامية قرآنيّاً.²

المطلب الثاني: إشكالية تعامل طه جابر العلواني مع السّنة النّبويّة

إنّه لا أفضل لمن يروم تحديد أمور دين هذه الأمة من القرآن الكريم سبيلاً لذلك، فطارق باب القرآن بصدق يناله ما فيه من الحقّ، ومن ذلك الحقّ المبين اقتران السّنة النّبويّة مع القرآن الكريم لا يفترقان، ومن فرق بينهما فقد أضاع الطّريق من أوّله، وسلك مسالك ليس بينها مسلك التّجديد، فمن سبل التّجديد الاعتناء بتفسير القرآن من قبل أشخاص لهم معرفة وحكمة ودراية بتفسير هذا الكتاب الكريم، وبمنزلة السّنة النّبوية المصدر الثاني للتّشريع.

وطه جابر العلواني اعتبر السّنة النّبويّة مجرّد « مصدر لبيان المنهج والشرعة والمعرفة ومقومات الشّهود الحضاريّ والعمريّ »³، وهي ليست مصدراً للتّشريع، وأكّد على أنّه « فرق كبير بين انشغال لطلب بيان والانشغال بها على سبيل الاستعاضة عن القرآن، والاكتفاء بها بحجّة اشتغالها أو تضمّنها للقرآن أو بأية حجّة أخرى »⁴، لذا ألّف ضمن مشروعه للمراجعات والإصلاح الفكريّ كتابه "إشكالية التّعامل مع السّنة النّبويّة"، وكشف فيه عن مواقفه المخالفة والمختلفة عن موقف أهل السّنة المشهور، ولا يخفى علاقة السّنة النّبويّة بتفسير القرآن الكريم، لذا وجد الباحث نفسه مُلزماً بتصفّح هذا الكتاب الذي ناقش فيه مُؤلّفه المسائل التّالية:

المسألة الأولى: النّبوة ومقام الأنبياء: سعى العلواني مدفوعاً بفكرة تحرّكه، وملتزماً بقضيّة تصوّرها خلافيّة وتحتاج إلى البحث والتّأصيل، فانطلق كما نادى دائماً من القرآن الكريم ليعالج مسألة النّبوة

1 طه جابر العلواني، نحو موقف قرآنيّ من المحكم والمتشابه، مرجع سبق ذكره، ص: 15.

2 ينظر: السيّد عمر، جامع فقه الأئمة، مصدر سبق ذكره، ص: 42 - 111.

3 طه جابر العلواني، ابن تيمية وإسلامية المعرفة، مرجع سبق ذكره، ص: 67.

4 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 23.

لإيجاد الاختلاف بينها وبين الرسالة، أكان هذا الاختلاف من ناحية الشكل أو الوظيفة أو المقام أو غيرها، ليرشد الناس إلى الطريقة الواجب التعامل والنظر بها إلى النبوة أو إلى الرسالة، فقام بصياغة مراحل أحداث الإنسانية من لدن آدم عليه السلام، محاولاً حصر التحوّلات التي حصلت وفهم جوانب الحاجة لمبعث النبي أو الرسول، فبيّن أنّ هدف النبوة والرسالة هو تحقيق استخلاف الإنسان على الأرض ليقوم بحق الأمانة وواجب العمران، وأنّ النبوة «مقام اصطفاء إلهي وليس اكتساباً، وهو مقام علم ودعوة وقيادة للناس، ويجوز على النبي ما يجوز على الإنسان تماماً، وعصمته إرادية ليست ربّانية، ويملك حقّ الاجتهاد كونه عالماً، والرسول مقام تكليف لتوصيل رسالة الله إلى الناس ليس له من الأمر إلاّ التلاوة والتبليغ، ومن ثمّ لا يحقّ له الاجتهاد في نصّ الرسالة، وهو معصوم»¹.

وطه جابر العلواني شرح هذا التعريف بأنّ الرسالة التشريعية وحيّ يُنزله الله على رسول من رسله، أمّا ما ينزل على النبيّ فليس فيه تشريع جديد، إنّما هو اتباع وتبليغ تشريع رسول سبقه، وبذا تكون النبوة «مقاماً علمياً، وبذا يكون النبيّ رسولاً تابعاً»².

ولا يتوافق القرآن الكريم مع طرح العلواني من عدّة أوجه، فقد ذكر بعض الأنبياء بلفظ نبيّ ولفظ رسول كما في حقّ نبيّنا محمد صلى الله عليه وآله حيث قال الله عزّ وجلّ: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ۝٤٠﴾ [الأحزاب: 40]، وفي حقّ موسى عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۝٥١﴾ [مريم: 51]، فقد اجتمع في نبيّين من أولي العزم وصفاً النبوة والرسالة معاً، فهل قاما بتبليغ تشريع جديد بوصف الرسالة؟ أم اجتهدا فاتّبعوا وبلغوا تشريع رسول سبقهم بوصف النبوة؟! بل إنّ القرآن وصف يوسف عليه السلام بأنّه رسول وهو الذي كان على ملّة إبراهيم عليه السلام!

إنّ ما ذكره العلواني تعريفاً لمقام النبوة نقلاً عن رشيد رضا³- ثمّ لم يأخذ به!-؛ تعريف له أدلّته

1 طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السّنة النبويّة، مرجع سبق ذكره، ص: 31.

2 المرجع السابق، ص: 29.

3 وهو تعريف رشيد رضا للنبيّ بقوله: وهو عندنا -النبيّ- من أوحى الله إليه وحياً، فإن أمره بتبليغه كان رسولاً، فكلّ رسول نبيّ، وما كلّ نبيّ رسول. طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السّنة النبويّة، مرجع سبق ذكره، ص: 26. نقلاً عن: رشيد رضا، الوحي المحمّديّ، (د.ط، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1426هـ - 2005م)، ص: 28. للمزيد حول الفرق بين النبيّ والرسول ينظر: تفسير البيضاوي (133/4). وتفسير القرطبي (298/7). وتفسير التّسفي (108/3). وفتح القدير للشوكاني (461/3). والنبوّات (ص: 281). والتفريق المختار من طرف الباحث أنّ الرسول هو من بُعث إلى قوم مخالفين فدعاهم إلى دين الله، سواءً دعاهم بشرع جديد أو بشرع من قبله، والنبيّ: هو من بُعث إلى قوم موافقين فأقام فيهم دين الله.

التي منها: قول الله ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج: 52]، ووجه الاستدلال أنه عطف بالواو فقال: ﴿مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ والعطف بالواو يقتضي المغايرة؛ مغايرة الذات أو مغايرة الصفات، أي أن الصفة التي صار بها رسولا غير النعت الذي صار به نبيا، مع تحقق أن الجميع وقع عليهم الإرسال، ومنها حديث التفريق بين عدد الأنبياء وعدد الرسل¹، ولكنه فرق لا يتعدى الأمر بالتبليغ من عدمه، قال ابن تيمية (توفي: 728): «النبي هو الذي يُنبئ الله، وهو يُنبئ بما أنبأ الله به، فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه؛ فهو رسول، وأما إذا كان إنما يعمل بالشرعية قبله، ولم يُرسل هو إلى أحد يُبلغه عن الله رسالته؛ فهو نبي وليس برسول، قال - تعالى -: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَعَّى أَتَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ [الحج: 52]؛ فذكر إرسالا يعم النوعين، وقد خص أحدهما بأنه رسول، فإن هذا هو الرسول المطلق، الذي أمره بتبليغ رسالته إلى من خالف الله؛ كنوح، وقد ثبت في الصحيح أنه أول رسول بُعث إلى أهل الأرض، وقد كان قبله أنبياء كشيث، وإدريس²، وقبلهما آدم كان نبيا مكلما³، ولا رسول قبله؛ بل لا إنسان قبله، وكذلك وافقت دعوته دين الله، فلم يكن الشرك في ابن آدم قد ظهر بعد.

أما قول العلواني عن النبوة بأنها مقام علم ودعوة وقيادة للناس، ويجوز على النبي ما يجوز على الإنسان تماما، وعصمته إرادية ليست ربانية، وبملك حق الاجتهاد كونه عالما، فهذا الكلام يحتاج للمراجعة والنقد والتصحيح، إذ ساوى فيه مقام النبي مع العالم الداعية القائد المجدد؛ وجعله مثل أي إنسان عبقرى، لا عصمة له في التبليغ إلا بقدر إرادته وحرصه⁴، وله أن يجتهد كغيره فيصيب ويخطئ،

1 عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: قلت: يا رسول الله كم وفاء عدة الأنبياء؟ قال ﷺ: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جمعا غفيرا. رواه أحمد في المسند (05/265)، والطبراني في الكبير (08/127)، برقم: 7871، كلهم من طريق معان بن رفاعه عن علي بن يزيد عن القاسم، وقد ضعف ابن كثير الثلاثة، التفسير (01/554)، وقال الهيثمي: مداره على علي بن يزيد وهو ضعيف. مجمع الزوائد (01/159)، وانظر أيضاً (03/115) وصححه الألباني: المشكاة (03/1599).

2 مسألة أن شيث وإدريس بُعثا قبل نوح عليه السلام مسألة خلافية بين العلماء وليس هذا محل إثارتها ومناقشتها.

3 ابن تيمية، النبوات، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، (ط02، مكتبة أضواء السلف، الرياض، السعودية، 1420هـ - 2000م)، ص: 714 - 715.

4 الصواب أن جميع الأنبياء معصومون فيما يتعلق بتبليغ الرسالة، ومن الكبار بعد النبوة، وقد تقع منهم الصغائر أو الخطأ الاجتهادي، ولكن لا يُقرُّون عليه فيأتيهم التنبيه من الله لاستدراك الأمر والتوبة عليهم. وقد أجمعت الأمة على عصمة الأنبياء من الخطأ في التبليغ ومن الكبار. ينظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض (02/123 و171). ومجموع الفتاوى لابن تيمية (10/289)، وجامع أحكام القرآن للقرطبي (01/308). وإرشاد الفحول إلى علم الأصول للشوكاني (293)

وهذا المفهوم للنبوة مُقدّمة لخطر آخر أعظم وأحلك، حين يقول العلواني: « وبناءً على هذا التّفريق؛ نستطيع أن نقول: إنّ نبوة محمد للعرب، ورسالته للنّاس جميعاً، أمّا بعد موته، فقد توقّفت فاعليّة مقام النبوة، واستمرّ مقام الرّسول الذي تمثّل في الرّسالة ذاتها، فكانت الرّسالة للنّاس جميعاً دون النبوة »¹، فهل كان العرب مُوافقين للنبي ﷺ يوم بُعث فأقام فيهم دين الله بشرع من قبله؟ أم أنّه لم يأتمّ بشرع جديد؟ والعلواني - بسبب موقفه هذا - مؤاخذ بأمور لها تداعياتها التّالية:

01- حصر اجتهادات الرّسول في الأمور التّنظيميّة والسياسيّة: وهذا يعني سلبه الاجتهاد

في الأمور الشرعيّة، وهو سلب دون أيّ مُوجب شرعيّ أو عقليّ، حيث جعل العلواني الاجتهاد مُهمّة نبويّة حصراً، والرّسول لا يجتهد إطلاقاً، ولهذا حصر اجتهادات الرّسول في الأمور التّنظيميّة والسياسيّة²، وجعلها اجتهادات شخصيّة لا علاقة لها بالاستنباطات الشرعيّة، بخلاف النبي الذي يستنبط الأحكام من نصوص الشّرع الذي سبقه وكُلف ببلاغه، وهذا ما خالف فيه العلواني جمهور الأصوليين الذي نصّوا على أنّ الرّسول يجتهد في استنباط أحكام التّوازل والحوادث إذا لم ينزل عليه فيها وحياً، إلّا أنّه معصوم في ذلك باتّفاق.³

إنّ الدّافع الذي قاد العلواني لتبني هذا القول هو النّتيجة التي كان يُريد الوصول إليها، فسلب الاجتهاد من الرّسول ﷺ مُقدّمة ومدخل لنفي كون السنّة النبويّة مصدراً ثانٍ للتّشريع، فلو أنّ مقام الرّسول يسمح بالاجتهاد في الأحكام الشرعيّة لكان ثبوتها بسبب اجتهاده لا بسبب القرآن الكريم، وعندها يكون ما ثبت باجتهاده تشريعاً، وسيكون للرّسول محمد ﷺ حقّ التّشريع، وهذا ما يُخالف رأي العلواني ويُسقطه القهقري.

02- أُسس تفرّقه بين مقام النبوة ومقام الرّسالة: رأى طه جابر العلواني أنّ مقام النبوة

مُرتبط بشخص النبي نفسه مثل النبي هارون، بينما مقام الرّسول صاحب الرّسالة مُرتبط بالرّسالة، فإذا

(98/01). وأضواء البيان للشّنقيطي (650/04).

1 طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنّة النبويّة، مرجع سبق ذكره، ص: 32. باختصار.

2 تُعدّ الحروب من الأمور التّنظيميّة والسياسيّة، والتّفصيل بينها وبين الأحكام الشرعيّة هو المحكيّ عن الجبائين [وهم أتباع أبي عليّ؛ محمد بن عبد الوهّاب الجبائيّ شيخ المعتزلة (توفي: 303هـ)] وجماعة أئمّ جؤزوا اجتهاده ﷺ في أمور الحرب دون الأحكام الشرعيّة. ينظر: الطّوسي، العُدّة في أصول الفقه، تحقيق: محمد رضا الأنصاري، (ط01، مطبعة ستارة، قم، إيران، 1417هـ)، ج02، ص: 743. والإسفرائيني، التّبصير في الدّين وتمييز الفرقة النّاجية عن الفرق الهالكة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، (ط01، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1403هـ - 1983م)، ص: 84 - 86.

3 ينظر: الأمديّ، الإحكام في أصول الأحكام، مصدر سبق ذكره، ج04، ص: 177. والإيجي، شرح العضد على مختصر المنتهى الأصولي، (ط01، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1424هـ - 2004م)، ج03، ص: 583.

مات الرسول لا تتأثر الرسالة، لاستمرار وجودها وفصلها عن شخص الرسول مثل الرسول موسى والتوراة، ثم رتب بناءً على هذا التفريق أموراً ثلاثة:
الأول: أن نبوة محمد للعرب، ورسالته للناس جميعاً.

الثاني: رسالة محمد ﷺ مُتمثلة في القرآن الكريم، وليست مُتمثلة في الحديث النبوي، بدليل أن القرآن يُجمع عليه والسنة مختلف في قبولها ورفضها.

الثالث: كل خطاب موجه للنبي ﷺ صراحة أو ضمناً، فهو خطاب تعليمي توجيهي للأحسن والأفضل والحل الأمثل للظرف الراهن، وليس تشريعاً، ودعا العلواني للتفرقة بين الخطاب الذي يبدأ بـ((قل))، فما كان من الأحكام أو بالطاعات فهو خطاب للرسول وما كان من التوجيه والتعليم فهو للنبي.¹

ومن يتأمل ما ذهب إليه العلواني يعجب، حيث أنه بعد أن نفى عن السنة استقلالها بالتشريع، زاد على ذلك؛ فأخرج الخطاب القرآني الموجه للنبي ﷺ عن حيز التشريع، لأنه بحسبه توجيهياً تعليمياً وليس تشريعياً!

وبناءً على مذهب العلواني هذا؛ فقله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝﴾ [الإخلاص: 01] آية لا تتعلق بالأحكام فهي موجهة للنبي لا للرسول، وعليه هي مجرد توجيه وتعليم للأحسن والأفضل للظرف الراهن، فلا تكون تشريعاً!

ومادامت الأحكام التشريعية خطاباً خاصاً للنبي فإن فاعليتها وحكمها تزول بموت النبي، وبالتالي لا تكون تشريعاً، ومادامت ليست تشريعاً فهي عند العلواني من النوع الثاني للخطاب، أي تعليمياً وتوجيهياً، وبذا يُصبح الخطاب القرآني تعليمياً وتوجيهياً وليس تشريعاً!

ولو أن العلواني حرص على الإتيان بما يدل على صحة التفرقة بين الخطاب القرآني للنبي وللرسول لما وصل إلى هذا الطرح المتهافت، طرح دفع به للقول أن المخاطب في القرآن الكريم بالأحكام التشريعية هو الرسول ﷺ، حتى لو كان اللفظ المستخدم من الله ﷻ هو النبي ﷺ، فأَي خلط وخطب ولبس هذا؟! وما الحاجة له من الأصل؟!²

المسألة الثانية: مهام النبي الرسول محمد ﷺ: لخصها طه جابر العلواني فيما يلي: التلاوة، والتبليغ، والبيان، والنصح، وتعليم الكتاب والحكمة، وتركية الناس بهذا القرآن، وتعليم الاتباع، وتعليم

1 طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنة النبوية، مرجع سبق ذكره، ص: 32 - 33. بتصرف.

2 ينظر: المرجع السابق، ص: 33.

الاقتداء به، والاهتداء بهديه، وتعليمهم التّأسي به، الهيمنة، وتفصيل ما قاله فيما يلي:

- **التلاوة¹**: تلاوة القرآن الكريم تمنح الإنسان فرصة تدبر المعاني لتفتح أمامه آفاق النظر والفكر لقراءة الكون ودراسة الواقع ومنهجه وحركته، «أما قراءة القرآن في كليته فتُمثل قراءة الكون الطبيعي في كليته، فهناك آيات طبيعية ماثلة يكشف العقل نظامها الكلّي وقوانين ارتباطها وصولاً إلى منهجها، وكذلك الأمر مع آيات القرآن حيث يكشف نظامها الكلّي ووحدتها العضوية المنهجية، ولعلّ هذا يفسّر إعادة ترتيب رسول الله ﷺ لآيات الكتاب الكريم توقيفاً ليتخذ الكتاب صفته المنهجية بأمر إلهي²».

- **التبليغ**: هو مهمة وتكليف يتجاوز التطوع، فالأنبياء يُبلغون الرّسالات كاملةً، لتحقيق مقصد الحقّ منها ووضع الناس في إطارها الكامل، وتبليغ الرّسالة قام به النبي ﷺ بتنزيلها عملياً وتطبيقها أمام الصحابة ﷺ وتعليمهم كيفية تبليغها في حياته وبعد موته، فمهمة الرّسل والأنبياء عبر تاريخ البشرية هي تبليغ الوحي الرّباني للنّاس، كما في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ [النحل: 35]، وقوله ﷻ: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرُّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ [التّغابن: 12]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: 67]، فوظيفة النبي ﷺ البلاغ وتبليغ الوحي الرّباني، وليس البلاغ فحسب، بل البلاغ المبين³، يقول السّعديّ في تفسيره عن البلاغ المبين: «البلاغ المبين الذي يحصل به توضيح الأمور المطلوب بياها⁴».

- **بيان القرآن للنّاس**: بيان النبي ﷺ للقرآن الكريم عبّر عنه العلواني بأنّه البيان الذي يجعلهم على بينة دون اختلافات تضادّ بينهم في فهمه، ومنحهم قدرة التّطبيق والتّأسي، ولا يعني وقوع الخلاف من الاتّباع وجود التّقصير من المبين، بل التحريف والانتحال والتّأويل يقع رغم قوّة البيان ووضوحه، فيقف له العلماء ورثة الأنبياء ويعيدون تقديم القرآن صافياً مُنقى من ذلك كلّ، أي أنّه بيان لا تشريع

1 ينظر: طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السّنة النبوية، مرجع سبق ذكره، ص: 44 - 47. باختصار.

2 طه جابر العلواني، أبعاد غائبة عن فكر وممارسات الحركات الإسلامية، مرجع سبق ذكره، ص: 67. باختصار.

3 ينظر: طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السّنة النبوية، مرجع سبق ذكره، ص: 47 - 48. باختصار.

4 عبد الرحمن السّعديّ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ط01)، مؤسسة الرّسالة للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت لبنان، 1423هـ - 2002م)، ص: 694.

فيه، فالنبي ﷺ وظيفته تنتهي عند البيان عن الله ولا يمكنه التشريع مع الله¹، وكأنّ هذا الكلام طرق سمع ابن عبد البر فردّ قائلاً: «البيان منه ﷺ على ضربين:

الأول: بيان المحمل في الكتاب العزيز، كالصلوات الخمس في مواقيتها وسجودها وركوعها وسائر أحكامها، وكيانه لمقدار الزكاة ووقتها وما الذي يؤخذ منه من الأموال، وكيانه لمناسك الحج. وبيان آخر: وهو زيادة [حكم] على حكم الكتاب، كتحريم نكاح المرأة على عمّتها وخالتها... وقد أمر الله ﷻ بطاعته واتباعه أمراً مطلقاً مجملاً لم يُقيّد بشيء، ولم يقل: ما وافق كتاب الله كما قال بعض أهل الزيغ².

وإذا تبين أنّ السنّة النبويّة وحيّ إلهي، فهذا لا يمنع من وجود فرق بينها وبين القرآن الكريم، وهو أنّ القرآن كلام الله تعالى، نزل بلفظه إلى النبي ﷺ، أمّا السنّة فقد لا تكون من كلامه تعالى، بل من وحيه فقط، ولا يلزم أن تُوحى بلفظها، بل بالمعنى والمضمون.

- **النصح:** مهمّة النصح الأمين للأمة لتحقيق مصالح الأفراد الخاصة والمصلحة العامّة ككلّ، ولا شكّ أنّ الدين هو النصيحة بمفهومها النبويّ، فعن تميم الداريّ رحمه الله قال: «قال رسول الله ﷺ: الدّين النصيحة». قلنا: لمن؟ قال: لله وليّ كتابه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامّتهم³، وهذا الحديث فيه أمران يتعلّقان بموضوع الدّراسة: الأول: هو النصيحة لكتاب الله ﷻ، والتي تتحقّق بالإيمان المطلق بأنّ القرآن الكريم كلام الله تعالى الذي نزل به جبريل الطيّب على محمد ﷺ، مع شدّة حُبّه وتعظيمه وتقديره، والتّصديق الجازم بما فيه ولما يدعو إليه، وتلاوته وعدم هجره، والاعتبار بما فيه من المواعظ، والتّفكّر فيما فيه العجائب، وتعلّمه والعمل به، ونشر علومه، والدّعاء إليه، والدّبّ والدّفاع عنه، والثاني: هو النصيحة للرّسول ﷺ، وتكون بالإيمان بنبوّته، وتعظيم حقّه وتوقيره، ولا يُجعل دعاؤه كدعاء غيره ولا سنّته كسنّة غيره، وتصديقه في كلّ ما جاء به واتباعه، وتنفيذ ما دعا إليه وبه أمر، والانتفاء عمّا نهى عنه وزجر، واقتفاء هديه وسنّته، وجعله الأسوة والإمام، ومُوالاة من والاه من عباد الله المؤمنين، ومُعاداة من عاداه من أتباع إبليس من الكفرة والمنافقين، وبثّ دعوته، ونشر شريعته، ونفي التّهمة عنها، وبالجملة فالنّصيحة لرّسول الله ﷺ تكون بالشّهادة المكتملة الأركان أنّه رسول الله،

1 ينظر: طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنّة النبويّة، مرجع سبق ذكره، ص: 48 - 50. باختصار.

2 ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبو الأشبال الزهيري، (ط01، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربيّة السّعودية، 1414هـ - 1994م)، ج02، ص: 1189 - 1190.

3 أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدّين النصيحة (01/74) برقم: (55).

شهادةً تُؤتي أكلها كل حين، في التفسير كما في غيره.¹

- **تعليم الكتاب والحكمة:** قد سبق الإشارة إلى رأي العلواني في تعليم معاني القرآن الكريم وحصره في بيان القرآن بالقرآن نفسه، وتعليم الكتاب يكون بالجمع بين العلم بألفاظه ومعانيه والعمل بمقتضاه، أمّا فيما يخصّ تعليم الحكمة؛ فالحكمة عنده ليست السنّة النبويّة.²

إنّ الله ﷻ كلف النبي ﷺ تعليم أمته أمرين: الكتاب والحكمة، ولا يمكن أن تكون الحكمة المقرونة في عدّة آيات بالكتاب هي نفسها الكتاب، فإنّها معطوفة عليه، ومقتضى العطف المغايرة، كما لا يمكن أن تكون شيئاً آخر غير السنّة لأنّها عطف على الكتاب، فهي من جنسه في مصدره وغايته، يقول الشافعي (توفي: 204هـ): « فذكر الله الكتاب وهو القرآن، وذكر الحكمة، فسمعت من أرضي من أهل العلم بالقرآن يقول: الحكمة سنّة رسول الله ﷺ ». ³

- **تزكية الناس:** تزكيتهم بهذا القرآن؛ وتكون بتزكية نفوسهم وعقولهم وحياتهم كلّها -نظماً وتشريعات وعلاقات- والتزكية عند العلواني من مقاصد القرآن الخمسة العليا والحاكمة، وهو يقرّها بالتقوى، أي أعمال العباد وظواهرهم التي تعكس بواطنهم وسرائرهم، والتزكية مفهوم قرآنيّ أساسي، تعدّدت الآيات التي تُشير إليه، فاتخذ موقعاً مهماً ضمن منظومة القيم القرآنية؛ فالتزكية موضوعها الإنسان المستخلف المكلف، أي موضوع الإصلاح في واقع الإنسان، إصلاح الفرد الذي يقود لإصلاح الجماعة والأمة، ولأنّ الإنسان مادّة وروح، فالتزكية لا بدّ لها أن تشمل المادّة والروح، وألا تقتصر على مشاعر وخلجات وخواطر نفسيّة، وأيّ إصلاح لا معنى له إلّا إذا استهدف ترقية الإنسان في مراتب التزكية جسداً وروحاً، فبالتزكية يتحقّق العمران، وبالتزكية تُبنى الأمة، وبالتزكية يُربّى الدعاة فتنتشر الدعوة، وكلّ هذا ينطلق من التوحيد، إذن التزكية عند العلواني تدخل في صميم البناء الاجتماعي والعمران البشري ولا تكون إلّا بالقرآن.⁴

- **تعليم منهج الاتّباع:** وليس أيّ اتّباع؛ بل الاتّباع السليم المعتمد على العلم لا على الهوى والظنّ والتعصّب والتقليد، اتّباع يعتمد على الملاحظة والدليل والحجّة لا على تقليد الأشخاص لشخصهم أو لجاههم أو لغيره، واتّباع الرّسل تسري عليه نفس مفردات منهج الاتّباع القرآنيّ المقترح -التّحرّي فيما يطرح من قضايا-، وهذا التّحرّي يكون بالعقل البشري، ولا مجال البتّة للاستعانة بعلوم من سبق

1 ينظر: طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنّة النبويّة، مرجع سبق ذكره، ص: 50 - 51. باختصار.

2 ينظر: المرجع السابق، ص: 52.

3 الشافعي، الرسالة، مصدر سبق ذكره، ص: 78.

4 ينظر: طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنّة النبويّة، مرجع سبق ذكره، ص: 52 - 53. باختصار.

لأنها علوم أمم منسوخة بكتاب الأمة المُخرجة، ويكفي إعمال العقل في النقل الذي هو القرآن الكريم المسطور وفي الكون الكبير المنظور للوصول إلى إدراك الحقيقة المطلقة، أما الاستعانة بما ورد عن مُتقدمي علمائنا فهي استعانة يكون فيها مجالاً لمناقشتهم، وقد يتوجب ذلك إذا خالف رأيهم الوحدة البنائية للقرآن، بل يُراجع حتى الحديث النبوي إذا خالف القرآن الكريم دون النظر لصحة سنده، ثم للمتبع بعد عرض وتحليل ومناقشة النتائج التي توصل لها حرية الاختيار، إذ لا إكراه في الدين ولا حد للردة (من ارتد لا يُقتل) ¹!

أما بخصوص النبي محمد ﷺ فهو مأمور باتّباع ما أنزل إليه، والذين آمنوا به مأمورون أيضاً باتّباع ما أنزل إليه مع التفكير والتدبر في الأمر، فكلاهما مأمور باتّباع القرآن الكريم، ولم يُشر العلواني إلى ضرورة اتّباع المؤمنين للنبي ﷺ، مع أنّ الله ﷻ أشار إلى نيل رضاه باتّباع من هم دون مقام النبوة في قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ١٠٠﴾ [التوبة: 100]. بل أمر رسوله ﷺ باتّباع ملّة إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ١٢٣﴾ [النحل: 123]، وقد أمر الله ﷻ باتّباع نبيه محمد ﷺ فقال سبحانه: ﴿وَاتَّبِعُوا لِمَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ [الأعراف: 158] « وهذه الآية الكريمة مُعلّمة بشرف هذه الأمة على العموم في كلّ مَنْ آمَنَ بالله تعالى، وأقرّ برسالة النبي ﷺ، ثم هم يتفاوتون بعد في الشرف، بحسب تفاوتهم في حقيقة الاتّباعية للنبي ﷺ » ²، وأخبرنا أنّ لنا فيه أسوة حسنة فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21]، وأعلمنا أنّ محبة الله لنا ومغفرته لذنوبنا تكون باتّباعه ﷺ فقال ﷻ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٣١﴾ [آل عمران: 31].

- تعليم الاقتداء به ﷺ: القدوة هي الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتّباع غيره، والاقتداء يحمل معاني الاتّباع في التعامل مع الحجج والأدلة المقدّمة من قبل القائد الذي يطلب الاقتداء به، سواء أكان نبياً أو داعياً للخير أو نحوه، وهو يعتمد على تقييم الأدلة المطروحة، وقوة حجّيتها في الدرجة

1 ينظر: طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنّة النبوية، مرجع سبق ذكره، ص: 53 - 56. باختصار.

2 عبد الرحمن الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: علي محمد عوض وغيره، (ط01، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1418هـ - 1997م)، ج01، ص: 579.

الأولى قبل الاقتداء بأي إنسان، وخلاف هذا هو اتباع الهوى.¹

- **الاهتداء بهديه ﷺ**: الاهتداء يختص بما يتحرّاه على طريق الاختيار، إمّا في الأمور الدنيوية أو الأخروية، والإنسان لا يستطيع أن يهدي أحداً إلّا بالدعاء، ولما كانت الهداية والتعليم تقتضيان شيئين: تعريفاً من المعرّف، وتعرفاً من المعرّف، وبهما تتم الهداية والتعليم، فإنّه متى حصل البذل من الهادي والمعلّم، ولم يحصل القبول صحّ أن يقال لم يَهْد ولم يُعَلِّم اعتباراً بعدم القبول، وصحّ أن يقال هدى وعلم ببذله.²

- **تعليم التأسّي به ﷺ**: التأسّي هو الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتباع غيره إن حسناً وإن قبيحاً، وإن ساراً وإن ضاراً³، وقيل هو أن يفعل صورة ما فعل النبي ﷺ على الوجه الذي فعل؛ لأجل أنّه فعل⁴، وورد استعمال لفظ (الأسوة) في القرآن الكريم في ثلاث مرّات وفي موضعين، الموضع الأوّل في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِكْرًا﴾ [الأحزاب: 21]، وهذه آية نزلت في معركة الأحزاب وفيها حثٌّ على الجهاد والصبر عليه، والتأسّي برسول الله ﷺ في ظل تلك الظروف الصعبة، والموضع الثاني في قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كُفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا اسْتَفِيرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْرُكَ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ وَإِنَّا عَلَىكَ تَوَكَّلُونَ وَإِلَيْكَ أَنبَاؤُنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾⁵ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ⁶ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن بَنَوٰهُ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفِيُّ الْكَرِيمُ⁷ [الممتحنة: 04-06]، وتكرار لفظ الأسوة لتأكيد الإيجاب وليبيان أنّ هذه الأسوة لمن كان يرجو الله، واليوم الآخر، وأيضاً أنّهم كما يتأسّى بهم في تبرئتهم من الكفار كذلك يتأسّى بهم في دعائهم وابتهاهم⁸، وعلى رأي

1 ينظر: طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السّنة النبوية، مرجع سبق ذكره، ص: 58 - 60. باختصار.

2 ينظر: المرجع السابق، ص: 60 - 64. باختصار.

3 الزاغب الأصفاهني، المفردات في غريب القرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 76.

4 جعفر بن الحسن، معارج الأصول، (د.ط، مطبعة سيّد الشهداء العظمى، قم، إيران، 1403هـ)، ص: 117.

5 التكرار من أهمّ الظواهر الأسلوبية في اللغة العربية عموماً وفي القرآن الكريم على وجه الخصوص، وهناك ألفاظ قريبة منه نحو الإعادة والتوكيد، ليس هذا محلّ بيان الفرق بينها، والتكرار كما عرّفه الزركشي: «وحيث عُدّ اللفظ أو مرادفه لتقرير معنى». الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مصدر سبق ذكره، ج3، ص: 09.

6 ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سبق ذكره، ج13، ص: 513 - 515.

العلواني في تعليم معاني ألفاظ القرآن الكريم وحصرها في بيان القرآن بالقرآن نفسه، فاستعمال لفظ الأسوة قرآنيّاً كان في أمرين، أولها الجهاد والصبر عليه، والثاني البراءة من المشركين والدعوة لدين التوحيد، أي الأمر بعقيدة الولاء والبراء، وكلا الأمرين يتعلّقان بأداء واجب ديني، وقد «اختلف في الاتّساء برسول الله ﷺ هل هو على الإيجاب أو التدب، أو هو على الإيجاب حتّى يقوم دليل الاستحباب أو هو على العكس، والصّواب أنّه فيما هو واجب واجب وفيما هو مُستحبّ مستحبّ»¹، والأعم الأغلب من الأصوليين ذهبوا إلى أنّ الآية الشريفة تدلّ على وجوب التّأسي بالنبي ﷺ في الترك مثل التّأسي به في الفعل، سواء بسواء²، ووجه ذكر الباحث لما سبق حول الأسوة هو أنّ العلواني - كما يُفهم من كلامه - يكتفي بالتّأسي بالنبي ﷺ دون الاتّباع له.

يقول طه جابر العلواني عن التّأسي برسول الله ﷺ: إنّ القرآن الكريم اشتمل على الخير الكثير ولاشكّ، ولهذا على المؤمن التزوّد بمنهاجية التعامل معه لتجسّد أمامه القيم القرآنية والتعاليم الربّانية، منهاجية تؤكّد له أنّ تلك التعاليم عمليّة في مقدور البشر تطبيقها والقيام بها، منهاجية تتميز بالأفضليّة وبتمام البيان ووضوح أنواع التطبيق، فلا تلبس عليه السّبيل، ولا تختلط عليه الأفهام، إنّ هذه منهاجية لا يُمكن إلّا أن تكون سنّة الرّسول ﷺ، فالسنّة هي الموضحة لجميع نواحي القدوة منهاجية ومنهاج التّأسي السليم، التّأسي الذي يقوم على النظر في أقوال وأفعال المتأسي به على أنّها كلّها مُسبّبة ومُعَلّلة ومقرّنة بحكم وحكمة، فينظر إلى الجزئيات على أنّها أمور يُمكن أن تُدرس وتُحلّل، وعلى أنّها إذا انتظمت صارت قوانين كليّة تُمكن المتأسي من البحث في الغايات والمقاصد في الأفعال والأقوال.³

- **الهيمنة بالقرآن على تراث النّبوات:** تراث النّبوات تعرّض للتّحريف والتلاعب، فكان من مهام القرآن الكريم التّصديق والهيمنة على الكتاب كلّ، من خلال إعادة قراءة تراث الأنبياء والمرسلين قراءة قرآنية ربّانية لا تحريف فيها ولا تلاعب، قراءة أعادت تقديمه صادقاً مُنقى مصقّى، قراءة تنقل حقائق الواقع والمآل، وقد تكفّل الله ﷻ بحفظ القرآن الكريم ولم يكله لغيره، فهو المرجعيّة البشريّة الخاتمة

1 أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، (ط03)، راسم للدعاية والإعلان، جدة، المملكة العربيّة السّعودية، 1410هـ - 1990م)، ج03، ص: 257.

2 ينظر: ابن العربي، المحصول في أصول الفقه، تحقيق: حسين البدري، (ط01)، دار البيارق للطباعة والنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، 1420هـ - 1999م)، ص: 109. وابن برهان البغدادى، الوصول إلى الأصول، تحقيق: عبد الحميد علي أبو زنيد، (د.ط، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربيّة السّعودية، 1983م)، ج01، ص: 370.

3 ينظر: طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنّة النّبوية، مرجع سبق ذكره، ص: 64 - 66.

والمهيمنة، وهو كذلك مُهيمن على السُّنة ومصدق عليها.¹

إنَّ طه جابر العلوانيَّ كلَّما تحدَّث عن القرآن الكريم انتصر لرأيه؛ وبَيَّن أنَّ السُّنة اجتهاد وفهم وليست مصدرًا للتَّشريع، وبهذا الخصوص فقد « حكى الإجماع الرَّازي وابن حزم على أنَّه يجوز للنبيِّ ﷺ أن يجتهد فيما يتعلَّق بمصالح الدُّنيا وتدبير الحروب ونحوها؛ مثل عزمه ﷺ على ترك تلقيح ثمار المدينة وكذلك مصالحة غطفان على ثلث ثمار المدينة، ومنزل الجيش يوم بدر ونحو ذلك، وأمَّا اجتهاده في الأحكام الشرعيَّة والأمور الدينيَّة فقد اختلفوا في ذلك على مذاهب:

المذهب الأوَّل: ليس له ذلك لقدرته على النَّص بنزول الوحيِّ.

المذهب الثاني: أنَّه يجوز له أن يجتهد في الأحكام الشرعيَّة والأمور الدينيَّة وإلى هذا ذهب جمهور أهل العلم، واحتجَّوا بأنَّ الله سبحانه خاطب نبيِّه ﷺ كما خاطب عباده، وضرب له الأمثال، وأمره بالتدبُّر والاعتبار، وهو أجلُّ المتفكرين في آيات الله، وأعظم المعترين بها. وإذا جاز لغيره من الأمة ممَّن هو أهل لذلك أن يجتهد -بالإجماع- مع كونه مُعرَّضاً للخطأ، فَلأنَّ يجوز لمن هو مُؤيَّد بالوحيِّ ومعصوم عن الخطأ بالأوَّل.²

المذهب الثالث: الوقف عن القطع بشيء من ذلك، وزعم الصَّيرفي في « شرح الرِّسالة » أنَّه مذهب الشافعيِّ، لأنَّه حكى الأقوال ولم يختَر منها شيئاً، واختيار هذا القاضي أبو بكر الباقلانيِّ والغزاليِّ.³

المسألة الثالثة: دلالة مفهوم السُّنة النبويَّة: يرى العلوانيُّ أنَّ سنة وسيرة رسول الله محمد ﷺ تُمثِّل كلَّ سنن وسير الأنبياء الذين سبقوه، فهي السُّنة الكبرى والسَّيرة الشَّاملة، فكما أنَّ القرآن خلاصة الوحيِّ الإلهيِّ، فالسُّنة خلاصة سنن الأنبياء وتجاربهم مع أقوامهم، وعليه اعتبر السُّنة مفهوماً وليست مُصطلحاً، أي يمكن أن يُشارك مُفردة السُّنة مُفردة أو مُفردات أخرى في التَّعبير عن المعنى نفسه، مثل

1 ينظر: طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السُّنة النبويَّة، مرجع سبق ذكره، ص: 66 - 68.

2 إذا اجتهد النبيُّ ﷺ في حكم فإن كان صواباً أُقِرَّ عليه، وإن كان خطأ لم يُقَرَّ عليه ونزل الوحي مُبيِّناً ذلك، والأمثلة على ذلك كثيرة منها اجتهاده ﷺ في أسارى بدر وأخذه الفداء منهم، فنزل قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُفْخَمَ فِي الْأَرْضِ ﴾ [الأنفال: 67]. ونحو اجتهاده ﷺ في إذنه للمنافقين في التَّخلف عن غزوة تبوك، فنزل قوله تعالى: ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الْإِذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَذِبِ ﴾ [التوبة: 43]. فعاتبه على ما وقع منه، ولو لم يكن عن اجتهاده وكان ذلك بالوحيِّ لم يعاتبه. وبهذا تبَيَّن أنَّ للنبيِّ ﷺ أن يجتهد في الأحكام الشرعيَّة التي لا نصَّ فيها، فإذا أُقِرَّ على اجتهاده من الله ﷻ فالواجب اتِّباعه ولا يجوز العدول عنه بحال، وعلى هذا فكلَّ ما ثبت ممَّا ورد عنه ﷺ حق لا مربة فيه وهو مُنزَّلٌ بوحيٍّ أو مُصدَّقٌ بوحيٍّ. ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سبق ذكره، ج 07، ص: 210 - 211.

3 الشُّوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحقِّ من علم الأصول، تحقيق: سامي بن العربي، (ط01، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربيَّة السَّعوديَّة، 1421 هـ - 2000 م)، ج 01، ص: 1045 - 1049. بتصرف.

مُفردات الاجتهاد والتّجربة وغيرهما، وبأنّها ليست مُصطلحاً فلا يُمكن إعمال قاعدة ((لا مشاحاة في الاصطلاح معها))، وبعد التّفكيك وإعادة البناء بناءً مفاهيمياً دقيقاً سيُسلّم أنّ السّنة مفهوم قرآنيّ جرّه الانحراف وحوّله إلى مصطلح عقليّ¹.

ويقول أيضاً: « هذا وإنّ للأصوليين، والفقهاء، والمفسرين، والمحدثين، وغيرهم من أهل الاصطلاح نماذجهم المعرفيّة الخاصّة بأهل كلّ فنّ، وهم يختارون بانتقائيّة كبيرة في المعاني اللّغويّة واستعمالات العرب ما ينسجم ونماذجهم المعرفيّة ويعزّزوا مواقفهم من ذلك المصطلح²، ولا ريب أنّ لكلّ فنّ من الفنون لغته الخاصّة ومُصطلحاته الكاشفة عن مفاهيم ومعاني موضوعاته، وقضيّة تحديد المصطلحات والمفاهيم من القضايا الخادمة لمبدأ التّصوّرات، التي لا يصحّ الدّخول في بحثٍ ما دون الدّراية بها؛ حتّى يُمكن الوصول إلى نتيجة مُقنعة في الموضوع محلّ البحث؛ إذ الحكم على الشّيء فرعُ تصوّره، وعليه كان المعنى الاصطلاحيّ هو المعنى الذي يصطلح أهل كلّ فنّ على جعله تعريفاً، ثمّ إنّ ضرورات العلم الشرعيّ المتخصّص ومقتضياته استوجبت نُشوء هذه اللّغة القائمة على العُرف الخاصّ والاتّفاق والمواضعة بين أصحاب كلّ فنّ أو علم في مجال تخصّصه، والعلماء يُرجّحون بعض المعاني الاصطلاحيّة على غيرها؛ لكونها أقرب إلى المعنى اللّغويّ من غيرها؛ لا على الانتقاء وتعزيز المواقف كما يرى العلواني.

وبعد مناقشة مُختلف تعاريف السّنة النّبويّة، وبعد عرض التسلسل التاريخيّ لاستعمالاتها وإيرادات القرآن لها، قام العلواني بعمليّة التّفكيك وإعادة البناء بناءً مفاهيمياً دقيقاً، فخلص إلى أنّ السّنة النّبويّة « تعني طريقة النّبي ﷺ في تطبيق القرآن المجيد في واقع الحياة، أي القرآن مُجسّداً في صورة بشر³، ونفي فكرة الثّنائيّة التشريعيّة المسيطرة طيلة قرون والموهمة بأنّ للدين مصدرين هما القرآن والسّنة، إذ ليس ثمة إلاّ مصدر واحد مُشرّع وهو القرآن وحده، فما هي منزلة السّنة من القرآن حسب طه جابر العلواني؟⁴

المسألة الرابعة: منزلة السّنة من القرآن الكريم: انتقد العلواني الأدلّة النّقليّة التي أسّس عليها الأصوليون القدامى مشروعية السّنة باعتبارها مصدراً ثانياً للتّشريع في الإسلام، وخلاصة ما توصّل إليه وأكّده هو نفي أنّ تكون السّنة النّبويّة نصّاً فقال: « نخلص من كلّ ما تقدّم على التّأكيد على

1 ينظر: طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السّنة النّبويّة، مرجع سبق ذكره، ص: 93 - 118.

2 المرجع السابق، ص: 105.

3 المرجع السابق، ص: 131.

4 المرجع السابق، ص: 150 - 155.

ضرورة إفراد القرآن المجيد لمفهوم النصّ، وعدم إشراك أيّ شيء آخر معه فيه»¹، وبنى على ما سبق أنّه مادامت ليست نصّاً فهي ليست مصدراً مستقلاً للتّشريع، فقال: «وينبغي على ذلك: أنّ هذه السنن -التي نحن مُطالبون بالأخذ بها وحيّاً- هي ذاتها السنن التي لها أصول تشريعية في القرآن الكريم، وما ليس له أصل في الكتاب يُمكن تجنيبه على أساس الإفادة منه في مجالات أخرى، كالحكمة، أو توجيه قابل للتطبيق، أو اعتبارات أخرى، لكن ليس له الصّفة التشريعية الموحاة»²، أي أنّ «السنّة النبوية هي المصدر المبيّن على سبيل الإلزام خلافاً للاجتهاد والقياس وما تفرّع عنهما»³، وهو مع هذا الحصر، لا يعني السنّة بالمطلق بل السنّة بمفهومها عنده، ذاك المفهوم الذي يرى «القرآن حافظ للسنّة والسيرة بحيث لو فقد الإسناد فإنّ القرآن كفيّل بالتنبية إلى السنّة والدلالة عليها، ومن هنا فإنّ حفظها الحقيقي يعتمد على القرآن المجيد، وكلّ ما ورد عن مُتقدّمي علمائنا ممّا يدلّ على خلاف هذا فإنّه ممّا يستحقّ النقاش»⁴، أي يستحقّ المراجعة وتصحيح المفهوم.

والحقيقة أنّ العلواني بهذا التّقسيم المبني على العرض على القرآن⁵، هيّا التّربة لاكتساب القرآنيين المعاصرين الجرأة والمرجعية⁶، وذلك بما تنبّاه من انتقاص الكتب المتقدّمة في الحديث والفقه والتّفسير

1 طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنّة النبوية، مرجع سبق ذكره، ص: 130.

2 المرجع السابق، ص: 155.

3 المرجع السابق، ص: 158.

4 المرجع السابق، ص: 92.

5 لقد استند الكثير ممّن تبني هذا المنهج في التّصحيح والتّضعيف إلى ما أثير عن الصّحابة رضي الله عنهم في ذلك، خاصّة ما ورد عن عائشة رضي الله عنها، وعُمدتهم في ذلك ما جمعه الزّركشي في جزء ستماء "الإصابة فيما استدرّكه عائشة على الصّحابة"، وإنّ ما ذكره الزّركشيّ بعضه غير ثابت سنداً، وبعضه الآخر كان مجرّد فتاوى للصّحابة خالفوا فيها الأحاديث لعدم معرفتهم بها فصحّحت فتواهم، وبعد هذا وذاك تصفوا عدّة أحاديث رواها الصّحابة عن النّبي ﷺ فأُنكرت عليهم. ينظر: الأعظمي، منهج التقد عند المحدثين، (ط3، مكتبة الكوثر، الرياض، المملكة العربية السّعودية، 1410هـ - 1990م)، ص: 77.

6 من أمثال: محمّد توفيق صدقي، وإسماعيل أدهم، وأحمد زكي أبو شادي، ومحمّد أبو زيد الدّمهوري، ورشيد خليفة، وإسماعيل منصور، ومحمّد شحرور، ومحمّد عابد الجابري، وسامر إسلامبولي، ونيازي عز الدّين، وعدنان الرّفاعي، وأحمد صبحي منصور، محمّد كمال المهدي، وغيرهم، وهؤلاء كلّهم ردّدوا نفس الشّبهات والافتراءات حول السنّة النبوية، ودعوا إلى اعتبار القرآن هو المصدر الوحيد للتّشريع. ينظر: محمد توفيق صدقي، الإسلام هو القرآن وحده، مجلة المنار، ج9، ص: 51. وإسماعيل أحمد أدهم، من مصادر التاريخ الإسلامي، ص: 05. وجمال بن أحمد هاجر، القرآنيون العرب وموقفهم من التّفسير، ص: 10 و126 - 129 و137 - 139 و162 - 165. خادم حسين الهي بخش، القرآنيون وشبهاتهم حول السنّة، ص: 18. وعائشة عبد الرّحمن (بنت الشّاطي)، قراءة في وثائق البهائية، ص: 324 - 343. وجمال البنا، السنّة ودورها في الفقه الجديد، ص: 37 - 42. وعدنان الرّفاعي، محطّات في سبيل الحكمة، ص: 111 - 112.

وغيرها، بحجة رفع لواء الإصلاح والتجديد (هذه الحجة المتفق عليها بينهم)، وهو بهذا يوافق كلام القرآنيين والعلمانيين والزنادقة والخوارج وغيرهم.

قال ابن القيم (توفي: 751هـ): «ولو ساغ ردّ سنن رسول الله ﷺ لما فهمه الرجل من ظاهر الكتاب لردّت بذلك أكثر السنن، وبطلت بالكلية، فما من أحد يُحتجّ عليه بسنة صحيحة تُخالف مذهبه ونخلته إلا ويمكنه أن يتشبّث بعموم آية أو إطلاقها، ويقول: هذه السنة مخالفة لهذا العموم والإطلاق فلا تُقبل»¹، ولذلك فإنّ قضية محاكمة الأحاديث إلى القرآن يكون فقط في معرفة معانيها، واستقامة العمل بمقتضاها، أمّا بخصوص التّحقّق من صحتها وقبولها، كمقياس عامّ لذلك وبشكل مُستمرّ، فأمر مُغاير منهجياً، بل يأباه الواقع، ولهذا قال الإمام الشافعيّ (توفي: 204هـ): «وأنّ قول من قال: تُعرض السنة على القرآن فإن وافقت ظاهره وإلا استعملنا ظاهر القرآن وتركنا الحديث جهل»².

ولا يعني هذا أنّ المحاكمة إلى القرآن ليس لها دور في التّصحيح والتّعليل، بل إنّ دورها يكون بارزاً في بعض المجالات التي تقتضيها سيما عندما ينفرد راوٍ، أياً كان هو، بشيء غريب لا يعرفه أحد، لا رواية ولا عملاً، يتعيّن عرضه على القرآن ثمّ السنة ثمّ الإجماع، على أنّ التّفرد بهذا الشكل كافٍ لردّ ما تفرد به الراوي، فبمخالفته أصلاً من هذه الأصول الثلاثة يجزم الناقد بأنّه مردود، وأنّه خطأ في نسبته إلى النبي ﷺ، أو كذب فيه.

ثمّ إنّ اللّجوء إلى المحاكمة إنّما هو في الخاصّ القليل من الحديث كما أفاده الشافعيّ (توفي: 204هـ) بقوله: «ولا يُستدلّ على أكثر صدق الحديث وكذبه إلا بصدق المخبر وكذبه إلا في الخاصّ القليل من الحديث، وذلك أن يُستدلّ على الصدق والكذب فيه بأن يُحدّث المحدث ما لا يجوز أن يكون مثله أو ما يُخالفه ما هو أثبت وأكثر دلالات بالصدق منه»³، وهذا بعينه ما عمل به سيّدنا عمر رضي الله عنه في صدد حديث ذكرته فاطمة بنت قيس رضي الله عنها: «أن لا نفقة ولا سُكنى للمطلّقة تطليقاً بائناً، حين رده قائلاً: لا نترك كتاب الله وسنة نبيّنا ﷺ لقول امرأة لا ندري لعلّها حفظت، أو نسيت، لها السُكنى والنفقة، قال الله ﷻ: ﴿لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ

1 ابن القيم، الطّرق الحكمية في السياسة الشرعية، مرجع سبق ذكره، ج 01، ص: 187.

2 الشافعيّ، اختلاف الحديث، مصدر سبق ذكره، ج 08، ص: 596.

3 الشافعيّ، الرسالة، مصدر سبق ذكره، ص: 399.

بِفَحْشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ» [الطلاق: 01]¹، ويجدر التنبّه والتنبّيه هنا إلى أمرين اثنين، الأول أنّه « لا سبيل إلى وجود خبر صحيح مخالف لما في القرآن أصلاً »²، والثاني: أنّ هذا المقياس لا يُمكن النظر فيه واستخدامه إلا لأهل العلم، ممّن عُرف بسعة علمه، وحدّة فهمه، ومعرفة دلالات النصوص، وإلا فإن أكثر الناس لا يُمكنه معرفة ذلك، وهذا ما أوقع كثيراً منهم في توهم التعارض بين بعض النصوص. ومن هاته المنطلقات عرّف العلواني السّنة بأنّها البيان التّطبيقي للقرآن الكريم بناء على اجتهاد النبي ﷺ، وفسر قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنَّمَا وَحْيٌ مُّبِينٌ﴾ [النجم: 03-04] بـ: وما ينطق محمد بهذا القرآن عن هواه، ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ أي ما هذا القرآن إلا وحي من الله يُوحيه إليّ³، ولكن ما يمنع أن يكون البيان التّطبيقي والاجتهاد النبوي بوحى رباني أو أقله بتوجيه ورعاية وتصويب رباني؟ إنّ الله ﷻ لم يقل وما ينطق بالهوى، لأنّ نُطقه عن الهوى أبلغ، فإنّه يتضمّن أنّ نُطقه لا يصدر عن هوى وإذا لم يصدر عن هوى فكيف ينطق به؟ فتضمّن نفى الأمرين؛ نفى الهوى عن مصدر النطق ونفيه عن نفسه، فنطقه بالحقّ ومصدره الهدى والرّشاد لا الغي والضلال، ثمّ قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا وَحْيٌ مُّبِينٌ﴾ فأعاد الضمير على المصدر المفهوم من الفعل، أي ما نطقه إلا وحي يوحى، وهذا أحسن من قول من جعل الضمير عائداً إلى القرآن، لأنّه يعمّ نُطقه بالقرآن الكريم والسّنة التّشريعية وأنّ كليهما وحي يوحى، وكليهما نصّ شرعيّ، وهذا المعنى قويّ صائغ، لأنّه قد صحّ عنه ﷺ أنّه قال: « ألا إليّ أوتيت الكتاب ومثله معه »⁴، وقوله ﷺ: « أوحى إليّ أنّكم تُفنون في قبوركم »⁵، وقوله ﷺ: « إنّ الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتّى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد »⁶.

1 أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطلاق، باب المطلقة ثلاثاً لا نفقة لها، (04/198)، برقم: (1480).

2 ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، مصدر سبق ذكره، ج2، ص: 81.

3 ينظر: طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السّنة النبوية، مرجع سبق ذكره، ص: 93 و131 و148 و149.

4 أخرجه أبو داود في السّنة: باب لزوم السّنة، برقم: (4605)، والترمذي في سننه، كتاب العلم، باب (10)، برقم: (2666) وإسناده صحيح. وقال الترمذي: حسن، وأخرجه أحمد (06/08)، وابن ماجه في المقدمة برقم: (13) بالفاظ متقاربة وقال الألباني: صحيح. صحيح سنن أبي داود للألباني، (03/117 - 118)، برقم: (4604).

5 متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس، (01/55) برقم: (86)، ومسلم في صحيحه، كتاب الكسوف، باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف، (02/624)، برقم: (905) من حديث أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما به.

6 أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة ونعيمها، باب الصّفات التي يعرف بها في الدّنيا أهل الجنّة وأهل النار، (2865)، برقم: (64).

المسألة الخامسة: الموقف من علوم الحديث: لا يختلف موقف العلواني مع علوم الحديث عن موقفه العام من التراث الإسلامي؛ ولا عن موقفه الذي سبق ذكره من مفهوم ومنزلة السنة النبوية، فهو يرى أن « كل هذه القضايا تجعل من الضروري إعادة النظر في علوم الحديث المتوارثة في ضوء كل ما تقدّم، والعمل على وضعها في الإطار السليم بتحقيق التواصل بين قضاياها، وإخضاعها للتحليل، والتّحقيق، والنقد، والتفكيك، وإعادة التركيب »¹، ليس هذا فقط؛ بل تعداه للحكم على أهل الحديث المعاصرين فاعتبرهم « مُقلّدون تقليداً كاملاً في التوثيق والتّضعيف، وألفاظ التّصحیح، والتّضعيف، وألفاظ الجرح والتّعديل، فهم لا يختلفون عن مُقلّدة المذاهب ولكن هذه مذاهب في الأسانيد والمتون أو مذاهب في الدّراية والرّواية... »²، ثمّ دعا إلى « تجريد وتنقية معارف وحيه - القرآن الكريم - من سائر آثار النسبية البشرية التي أحاطت بمُطلقه، وأخضعته لوعيتها الدّاتي، وحكمت عليه بتاريخانيّتها، وحكمت بمحكمة أيديولوجيّتها وثقافتها وأعرافها وتقاليدها، وقاموسها اللّغوي... »³، وبهذا يُمكن فهم الموقف العام والخاصّ لطله جابر العلواني من علوم الحديث والمتمثّل في أمرين:

الأول: ضرورة إعادة النظر في علوم الحديث المتوارثة: والعمل على وضعها في الإطار السليم بتحقيق التواصل بين قضاياها، وإخضاعها للتحليل، والتّحقيق، والنقد، والتفكيك، وإعادة التركيب، أي مراجعة علوم الحديث وعدم قبولها كما نُقلت إلينا، ولكنّ مناهج تدقيق المتون وتوثيق الرّجال التي وضعها علماء السنّة؛ كقيلة بدحض هذه الشّبهات الواهية، كتطور بحوث الأئمة أثناء تدوينهم للسنّة إلى علوم هي قَمّة ما وصل إليه الفكر البشريّ - هي ما تسمّى بعلم أصول الحديث -، وكتعدّد أنواعها التي منها: علم الجرح والتّعديل، علم معرفة الصّحابة ﷺ، علم تاريخ الرّواة، علم معرفة الأسماء والكنى والألقاب، علم معرفة علل الحديث، وغيرها من العلوم التي عيّنت بتنقية السنّة النبويّة من الوضع وخلّصتها من قصص التّاريخ، ومبالغات الوعاظ، ومن طعن الجاهلين.

والثاني: عدم التّقليد في الدّراية والرّواية: أي تغيير طريقة التّعامل مع المتون والأسانيد، لأنّ «القرآن حافظ للسنّة والسيرة بحيث لو فُقد الإسناد فإنّ القرآن كفيل بالتّنبيه إلى السنّة والدّلالة عليها»⁴، ومن باب أولى التّنبيه على المتن والدّلالة عليه، لأنّ السنّة عند العلواني قرآنيّة، فما يُبلّغه الرّسول ﷺ ويأمر به ممّا يمكن استنباطه من الآيات القرآنيّة، وليس المقصود أنّ الرّسول ﷺ جاء

1 طه جابر العلواني، إشكالية التّعامل مع السنّة النبويّة، مرجع سبق ذكره، ص: 185.

2 المرجع السابق، ص: 217.

3 طه جابر العلواني، أدب الاختلاف في الإسلام، مرجع سبق ذكره، ص: 48.

4 طه جابر العلواني، إشكالية التّعامل مع السنّة النبويّة، مرجع سبق ذكره، ص: 92.

بأحكام وتشريعات مختلفة عما جاء به القرآن الكريم، وهذا المفهوم هو عين مفهوم القرآنيين وغيرهم عن السنة النبوية، وهو الهدم ثم البناء على شفا جرف هار؛ يتبعه انخيار للسنة سنداً ومتناً وحجةً.

المسألة السادسة: حجية الإخبار بالسنة؛ بين نقد السند ونقد المتن: يُعتبر السند تتبع سلسلة رواة الأحاديث وصولاً إلى النبي ﷺ والتأكد من أنهم قد رأوا بعضهم فعلاً وأنهم عدول ثقات، أما المتن فهو النظر في محتوى الحديث ذاته، و« لا يُماري مسلم مؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله بها إذا ثبت صدورها عنه ﷺ، لكنّ الجدل الذي دار بعد ذلك وما يزال دائراً هو في حجية الإخبار بالسنة، أياكون الإخبار بسنة حجة يأخذ مثل حكم السنة ذاتها في الواقع وفي نفس الأمر أم لا ؟ »¹، وبحسب العلواني لم يكن هذا هو المنهج الذي ثبت عليه أهل الحديث، وهذا قاده إلى ما يلي:

أولاً: الحكم على أهل الحديث بالتعصب والتحزب: يقول العلواني: « ولكن تحوّل أهل الحديث إلى حزب بكلّ ما تعني الكلمة من معان يواجه حزب الرأي أيضاً بكلّ ما تحمل الكلمة من معان، وطرح قضية العلاقة الوثيقة بين كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في ظلّ التجاذب بينهما حولها لساحة معركة يترشق الحزبان، فتبّنى حزب أهل الحديث مرويات تحتاج إلى مراجعة دقيقة في أسانيدھا ومتونها، لتؤكد أنّ عرض الحديث على كتاب الله مطلب الزنادقة والمنافقين والفسّاق، ومن إليهم... »²، وهو بهذا حكم على أهل الحديث والتمس العذر لغيرهم ممّن طاهم النّقد، فهاجم ودافع في فقرة واحدة.

ثانياً: الدّعوة لدراسة الإسناد والمتن دراسة نقدية تحليلية شاملة: وقد دعا لإجراء هذه الدّراسة بناء على رؤيته على أنّه ثمة إشكالية في التعامل مع السنة النبوية توارثتها الأمة، مُعتبراً ذلك إشكالاً وخطأً وجب تصحيحه، فقال: « ولا يمكن الخروج من هذا الإشكال دون إعادة النظر والقيام بدراسة نقدية تحليلية شاملة لمنهجية الإسناد، ومنهجية مقاييس نقد المتن وعلاقتها بالسقف المعرفي التاريخي الذي انبثقا في ظلاله، ورصد تطوّر هاتين المنهجيتين ».³

ثالثاً: الدّعوة إلى ضرورة عرض السنة النبوية على القرآن الكريم: يرى العلواني أنّ السنة ظنيّة الثبوت، ولا يُمكن الجزم بما هو صحيح منها وما هو ضعيف، ومُنطلقه في هذه المسألة مبني على أنّ « الذي لا شكّ فيه أنّ عملية جمع السنة كانت ثمرة جهود هائلة، لكنّها تبقى في النهاية عملية بشرية احتمالية وظنيّة، ولا يستطيع أحد أن يجزم أنّ هذه الطّريقة قد أحاطت بكلّ نصّ صحيح، ولا أنّها

1 طه جابر العلواني، حوار حول الإخبار بالسنة النبوية، (د.ط، مركز نماء للبحوث والدراسات، الرياض، السعودية، د.س.ط)، ص: 235.

2 طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنة النبوية، مرجع سبق ذكره، ص: 217.

3 المرجع السابق، ص: 184.

منعت كلّ خبر ضعيف، ومن هنا فكيف يمكن الالتزام بما هذا شأنه ؟¹، وبهذا يعترف العلواني بأنّ جمع السنّة عمل جماعيّ، ثمّ هو مع هذا يُغفل قواعده وقوانينه المنبثقة من عدّة أنواع من علوم الحديث، والشاملة لكلّ أوجه احتمال القوّة أو الضّعف في جوانب الحديث كافّة؛ سنداً ومتناً؛ شمولاً دقيقاً متناسقاً يشكّل نظريّة نقدية كاملة، ومن هنا اعتبرت أحكام المحدثين سليمة واضحة الحجّة بينة المحجّة، لأنّ منهجهم النّقديّ لم يكن منهجاً شكليّاً.

ويواصل العلواني بيان ما يريده من إثبات أنّ السنّة الصحيحة لها في القرآن أصل، فيحشد لذلك ما اعتقده موافقاً له من كلّ النواحي وردّ ما رآه ضعيفاً من أقوال العلماء، ليخلص إلى أنّ عرض السنّة على القرآن مبدأ وفكرة سليمة.²

رابعاً: اتّخاذ موقف من العدالة والضبط: عند تعرّضه لذكر مسألة هامّة تتعلّق بعدالة الصحابة، لم يُظهر أيّ اعتبار لمكانة الصحابة ﷺ أو أدنى غيرة عليهم، « إذ أنّه بدأ بذكر الخلاف في عدالة الصحابة، وترك الأمر، ولم يُرجّح شيئاً »³، بل نقل أقوالاً متناطحة حول ثبوت عدالتهم من عدمه، وجعلها أقوالاً في مرتبة سواء ! دون بذل ولو حرفاً واحداً يُشير أو يُلمّح إلى قطعية عدالتهم ﷺ ! هذا مع أنّ « الأمة مُجمعة على أنّه لا يسوغ الامتناع عن تعديل جميع أصحاب رسول الله ﷺ ».⁴

أمّا مسألة ضبط الصحابة ﷺ: فقد أشار العلواني إليها إشارة سريعة دون توسّع، وذكر جواز وقوع النسيان عليهم، عازياً ذلك إلى الإمام ابن خزيمة، « وهذا لا إشكال فيه، فالصحابة بشر كسائر البشر، يعترفهم الخطأ والسهو والنسيان، ولكن مراد الدكتور أكبر من هذا ! إذ المراد التشكيك بالسنّة النبويّة، وحفظ الأمّة لها، وهذا ليس تقوُّلاً على الدكتور، بل أشار إلى شيء من ذلك؛ فقال عقب هذه المسألة: ((فإذا كان هذا هو حال الصحابة؛ فكيف بغيرهم؟)) ... وبالجملّة؛ فالصحابة عموماً أهل ضبط لا يطعن في ذلك أحد من أهل العلم »⁵، وإذا كان هذا هو موقف العلواني من عدالة وضبط الصحابة ﷺ، وهم القمّة والمنتهى في هذا الباب، فموقفه من غيرهم ممّن هم دونهم لن يكون

1 طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنّة النبويّة، مرجع سبق ذكره، ص: 276.

2 ينظر: المرجع السابق، ص: 167-174.

3 أحمد جمال أبو سيف، دراسة حديثة تحليلية نقدية لكتاب (إشكالية التعامل مع السنّة النبويّة)، (ط01، جمعية مركز الإمام الألباني للدراسات والأبحاث، عمّان، الأردن، 1439هـ - 2018م)، ص: 199.

4 الجويني، البرهان في أصول الفقه، تحقيق: صلاح محمّد عويضة، (ط01، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1418هـ - 1998م)، ج01، ص: 241.

5 أحمد جمال أبو سيف، دراسة حديثة تحليلية نقدية لكتاب (إشكالية التعامل مع السنّة النبويّة)، مرجع سبق ذكره، ص: 202.

أخفّ، ولعلّ هذا الموقف من جملة دراسته النقدية التحليلية التي دعا إليها، ووسيلة هامة لتوظيف نظرية السنّة القرآنية التي تبناها.

خامساً: اختلافات أحكام النقاد على الرواة: عقد العلواني لهذا عنواناً خاصاً: علم الجرح والتعديل، وعلم الرجال؛ بين التقييد المنهجي، والاجتهاد الذاتي¹، ومضمون ما تناوله في ثنايا هذا العنوان غير البريء، هو أنّه بعد أن قسم طريقة الحكم على الراوي إلى نوعين: طريقة منهجية واجتهاد ذاتي، تناول حال الناقد وحال الراوي بما يجزم أنّ الأصل في التعامل مع الجرح والتعديل وقواعده هو الرّيبة والشكّ وعدم الاطمئنان!²

المطلب الثالث: العلاقة بين الكتاب والسنّة عند طه جابر العلواني وأثرها³

ما يُطلق عليه بالسنّة التشريعية لا تحتاج -حسب العلواني- لمتابعة سلسلة هائلة من الإجراءات التي قد يُنفق فيها الباحث سنوات للوصول إلى تصحيح خبر واحد، بل يكفي عرضها على القرآن فيُصدّقها أو يُكذّبها بيسر وسهولة، أي أنّ الحديث الذي صحّت روايته وسلم متنه، يحتاج أن يكون له أصل قرآنيّ يُقدّم ويُقبل وإلا فلا، ولهذا رفض أحاديث في الصحيحين مثل قوله ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، ثُمَّ حُرِّمَتْ عَلَيَّ دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ، وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»⁴، لأنّه يُناقض مائتي آية في كتاب الله تعالى من المحكمات التي تنصّ على حرية الاعتقاد، وحرية الدين، منها قوله: تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: 256].⁵

1 طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنّة النبوية، مرجع سبق ذكره، ص: 345.

2 ينظر: نفس المرجع السابق، ص: 345 - 358.

3 ينظر: طه جابر العلواني، بالتعاون مع مركز نماء للبحوث والدراسات بالرياض، حوار حول الإخبار بالسنّة النبوية، (قرطبة للبحوث والدراسات والتنمية، القاهرة، مصر)، ص: 30 - 45. بتصرف.

4 متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب ﴿إِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ ذَوِیْ غَفْلَةٍ﴾ [التوبة: 05]، (14 / 01)، برقم: 25، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، (53 / 01)، برقم: 20.

وقد خرّج العلواني هذا الحديث ثمّ قال: فهذا الحديث ورد من طرق عديدة؛ لكنّ طريقاً واحداً منها لم تخل من مدّلس، أو مرسل، أو مطعون فيه على نحو، أو آخر، وقد حقّقت ذلك وحقّقه غيري، ووصلت إلى أنّ هذا الحديث لو قُبِل، فسيؤدّي إلى مخالفة مائتي آية. طه جابر العلواني، من أدب الاختلاف إلى نبذ الخلاف، مرجع سبق ذكره، ص: 20 - 22.

5 للمزيد حول حكم الرّدة عند العلواني ينظر: طه جابر العلواني، لا إكراه في الدين، مرجع سبق ذكره، فهذا الكتاب فيه مباحث تُبرز طريقة تعامل العلواني مع الأحاديث النبوية.

فكما نعلم فالقرآن المجيد والسنة النبوية لا تُعدّ تراثاً، بل هي منبع ومُنطلق وأصل للتراث¹، ومن هنا يبرّر العلواني موقفه من السنة فيقول: «ولاشك أن هدي مختلف عن هدف الليبراليين وغيرهم، فإذا فهم البعض من بعض نتائج ما أفعال الهدم، أو ظنّ أنه قد يؤدّي إليه، فهو الهدم لإعادة البناء لا الهدم الجرد من أجل الهدم، والهدف المستهدف مّي إنما هو لإعادة الأمة إلى مرجعيّتها في الكتاب والسنة النبوية الصحيحة المرتبطة به ارتباطاً لا ينفصم»²، وبذا شهد العلواني نفسه بوجود هدم في منهجه هذا، فما الفرق بين منهجه الهدام هذا ومنهج من قاسموه جناية هدم السنة النبوية بنية عدم إعادة البناء؟ وغير الليبراليين الذين لمح إليهم العلواني ولم يذكرهم، والذين وافقوا الليبراليين أهدافهم فيما يتعلّق بدم السنة النبوية هم المعتزلة، والقرآنيون³، والمستشرقون⁴، والحداثيون⁵، والعقلانيون⁶، وغيرهم.

أثر موقف العلواني: جميع ما ذكر من كلام العلواني حول ضرورة الارتباط بالقرآن الكريم وحده، مع

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 40.

2 طه جابر العلواني، حوار حول الإخبار بالسنة النبوية، مرجع سبق ذكره، ص: 29.

3 القرآنيون: هم فرقة معاصرة تدعو للاقتصار على القرآن وحده في أمور الدنيا والآخرة، وأنّ السنة النبوية ليست بحجة في الدين فلا مجال لإقحامها فيه. ينظر: خادم حسين إلهي بحش، القرآنيون وشبهاتهم حول السنة، (ط02)، مكتبة الصديق للنشر والتوزيع، الطائف، المملكة العربية السعودية، 1421هـ - 2001م)، ص: 57.

4 الاستشراق: مصطلح أو مفهوم عام يطلق عادة على اتجاه فكري يُعنى بدراسة الحياة الحضارية للأمم الشرقيّة بصفة عامة، ودراسة حضارة الإسلام والعرب بصفة خاصّة. وزان عدنان محمد، الاستشراق والمستشرقون، (رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 1404هـ - 1984م)، ص: 15. والمستشرق هو: كل من تجرّد من أهل الغرب إلى دراسة بعض اللغات الشرقية كالفارسية والتركية والهندية والعربية، وتقصّي آدابها طلباً لعرفه شأن أمة أو أمم من حيث أخلاقها وعاداتها وتاريخها وديانيتها أو علومها. السامرائي، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، (ط01)، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1403هـ - 1982م)، ص: 107.

5 الحداثيون أو العصرانيون: ظهرت القراءات الحداثيّة للنصّ القرآني من رحم ما يمكن أن نسمّيه فكر أنصار الحداثة في النصف الثاني من القرن الماضي، وهم يتعاملون معه على أنّه نصّ تراثيّ كغيره من النصوص الأدبيّة، ويستعيرون مناهج لا صلة لها بعلم التفسير، لإخضاع النصّ القرآني لها، وتكون النتيجة هي التّيل من قدسيّة النصّ القرآني، أو محاولة وقف تطبيقه بادعاء انتهاء صلاحيّته وقدرته من حيث الزّمن على مسايرة الواقع الحاضر. محمّد عبد الفتاح عمار، القراءات الحداثيّة للنصّ القرآني، (ط1)، مركز ليفانت للدراسات الثقافية والنشر، الإسكندرية، مصر، 1442هـ - 2021م)، ص: 113-112-07. بتصرف.

6 العقلانيون المعاصرون: هو ذلك الاتجاه الذي يقدّم العقل في - الجملة - على نصوص الشّرع عند توهم التعارض، ويدعو إلى التّجديد والتّظنر في الأحكام الشرعيّة حسب مقتضيات العصر الحديث، وأصحاب هذا الاتجاه هم ممن يتبنّون المرجعيّة الإسلاميّة في الجملة. سعيد بجاد مصلح العتيبي، موقف الاتجاه العقلانيّ المعاصر من النصّ الشرعيّ، (ط02)، دار الوعي للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1434هـ)، ص: 09.

بيانه الصريح لموقفه من العلاقة بينه وبين السنة، يُوحى أنه يجتمع بوجه من الأوجه مع طوائف عدّة فيما سمّاه بالهدم؛ طوائف لها موقف يكاد يكون واحداً من السنة النبوية.

والباحث ليس بصدد الحديث عن تاريخ هذه الفرق والجماعات ونشأتها، وإنما بحثي يدور حول نظرتهم ومواقفهم القديمة والمعاصرة من السنة النبوية وعلاقتها بالقرآن الكريم، وهل هي مصدر تشريعيّ مستقلّ أم تابع للقرآن الكريم؟ أم أنّها ليست مصدراً أصلاً؟ وهل يمكن تفسير القرآن الكريم بها؟ وفيما وافقها العلواني وتأثّر بها؟ وفيما حصل الخلاف بينهم؟ على أنّ للخوارج القدامى موقف من السنة بسبب موقفهم من الصحابة رضي الله عنهم، قد أهمله الباحث لأنّه موقف زال واندثر.¹

أولاً: موقف المعتزلة من السنة النبوية: أمّا المعتزلة فهم فريقان في التعامل مع السنة، فريق متشدّد بنى موقفه من السنة على احتمال الكذب فيها، وعلى ذلك لا يصحّ العمل بها ولا الأخذ بمقتضاها، وحقّتهم «أنّه يجوز أن تجتمع الأمة على الخطأ، فإنّ الأخبار المتواترة لا حجة فيها»²، وأنّ «الخبر المتواتر مع خروج ناقله عند سامع الخبر عن الحصر، ومع اختلاف همم الناقلين واختلاف دواعيها - يجوز أن يقع كذباً»³، ويلزم من هذا أنّ أيّ أمرٍ تواتر واجتمعت عليه الأمة فهو محلّ للشكّ فيه والريبة، وأيّ دين هذا الذي يُبنى على الشكّ والريبة؟ بل أيّ إيمان يبقى بدون اليقين المطلق؟

وللوصول إلى هذا اليقين المفقود بسبب هذا المنقول المشكوك فيه بزعمهم؛ لابدّ من بديل جديد، لابدّ من حجة يصحّ بها الإيمان ويزيد، حجة يقينية؛ هذه «الحجة التي لا تثبت إلّا بخبر عشرين فيهم واحد من أهل الجنة أو أكثر، ولا تخلو الأرض عن جماعة هم أولياء الله معصومين، لا يكذبون ولا يرتكبون الكبائر فهم الحجة لا التواتر. [واستدلّوا] على أنّ العشرين حجة بقول الله تعالى: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَادِقُونَ يَقْلِبُوا مَا نَتَيْنَ﴾ [الأنفال: 65]»⁴.

إنّ حقيقة مذهب المعتزلة إسقاط المتواتر ليسقط ما دونه، فهم أسقطوا السُنن المتواترة عن رسول صلّى الله عليه وآله، ورفعوا خبر الأولياء المعصومين الذين لا يحتاجون لرواة ولا إلى أسانيد بل يُرسلون الأحاديث إرسالاً، أي أنّهم عطّلوا نُصوصاً شرعية، هذا دون أن تُغفل مسألة الحكم على المعين من

1 ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، مصدر سبق ذكره، ج13، ص: 112.

2 عبد القاهر البغدادي، أصول الدين، (ط01، مدرسة الإلهيات بدار الفنون التوركية، استنبول، تركيا، 1346هـ - 1928م)، ج01، ص: 11.

3 عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، دراسة وتحقيق: محمد عثمان الخشت، (د.ط، مطبعة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، مصر)، ص: 143.

4 الشَّهرستاني، الملل والنحل، مرجع سبق ذكره، ج01، ص: 67. عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، مصدر سبق ذكره، ص: 116.

أهل القبلة بدخول الجنة وما فيه من التَّأَلِّي على الله، فمن عقيدة أهل السنة والجماعة أنَّهم لا يشهدون لِمُعَيِّن بجنة ولا بنار، إلَّا من شهد له الله وَعَلَى أو النَّبِيِّ ﷺ بذلك، ولكن يرجون للمحسنين لإحسانهم وطاعتهم، ويخافون على المسيئين لذنوبهم وإساءتهم، هذا من حيث التَّعَيِّن، أمَّا من حيث العموم؛ فيقولون كلُّ مؤمن مات على الإيمان في الجنة، وكلُّ كافر مات على الكفر في النَّار.¹

وفريق آخر من المعتزلة أهون شراً، أنكروا بعضاً من أخبار الآحاد، وقد جرَّهم إنكارهم لها إلى إنكار عدَّة قضايا في مجال العقيدة والفقه، ثمَّ أعملوا عقولهم فأنكروا ما اصطدَّم بأصولهم مثل سؤال الملكين في القبر والشَّفاعة لأهل الكبائر، ليصلوا إلى نفي رؤية الله من طرف أهل الجنة مع تصريح القرآن بإثباتها، وهم إمَّا وصلوا إليه بعد أن استدرجهم الشَّيطان من نفي إلى نفي، من نفي بعض السنة النبوية وصولاً لنفي بعض آيات القرآن الكريم، والمعتزلة يقع عليهم وزر ما قالوا ووزر من تبعهم واستغل مقالاتهم، فهاجم السنة النبوية وغيرها ممَّا سمَّاه تراثاً إسلامياً.²

يقول محمد عمارة وهو من رواد العقلانية العصرية: « ويُسلَّم الكثيرون بأنَّ المعتزلة هم فرسان العقلانية في حضارتنا »³، والعلواني ربَّما حدَّر من أقوال المعتزلة ثمَّ هو يأخذ بها !⁴ فهو له مواقف مع السنة لا تختلف عن مواقف المعتزلة، ومع نفيه أنَّه مُنكر للسنة فهو يردّها ردّاً صريحاً، بناءً على منهجه في القبول والردِّ، كإنكاره لنزول عيسى بن مريم عليه السلام وميله للصَّلب؛ رغم استقرار عقيدة المسلمين عليه ورغم تواتر حديث النزول⁵، وإنكاره خروج المهدي المنتظر وعدّه مجرد خرافة من الخرافات⁶، فمهديّ السنة ومهديّ الشيعة عنده سواء ! واتَّهام السنة بأنَّهم يعتقدون أنَّ المهديّ نبيّ ! والحقيقة أنَّ

1 ينظر: كتاب الإيمان لابن أبي شيبه. وكتاب الإيمان للقاسم بن سلام. والمنهاج في شعب الإيمان لأبي عبد الله الحلي. وشعب الإيمان للبيهقي. والدَّر التَّضيد في إخلاص كلمة التَّوحيد للشوكاني. وغيرها من كتب العقيدة.

2 ينظر: عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، مصدر سبق ذكره، ص: 180. وابن حجر، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، مصدر سبق ذكره، ج16، ص: 360. والسيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، ج01، ص: 73.

3 أحمد بن محمد اللّهيبي، تجديد الدِّين لدى الاتِّجاه العقلاني الإسلامي المعاصر، (ط01، مكتبة البيان، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1432هـ)، ص: 10.

4 للاطلاع على مواقفه كلّها ينظر: أرشيف الدكتور طه، أكاديمية العلواني للدراسات القرآنية، <https://alwani.org/>

5 عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْثَمَ حَكَمًا عَدْلًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخَنَازِيرَ، وَيَضَعَ الْجَزِيَّةَ، وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ ... الحديث. أخرجه البخاري (3448)، ومسلم (155).

6 أمر المهدي معلوم، والأحاديث فيه مستفيضة، بل متواترة متعاضدة، وقد حكى غير واحد من أهل العلم تواترها، وتواترها تواتر معنوي، لكثرة طرقها، واختلاف مخرجها وصحابتها ورواتها وألفاظها، ينظر: أشراف الساعة للغفيلي، ص: 84.

المسلمون شرقاً وغرباً يؤمنون أنّ محمداً ﷺ هو خاتم النبيين فلا نبي بعده، وهذا الزعم من العلواني خطأ فيه وجانب الصواب، كما أنّه ردّ عدّة أحاديث أخرى في العقيدة وغيرها، بناء على قاعدته في تصحيح الأحاديث وردّها، والتي قال فيها: « من حقّي ألا أقبل أحاديث ما قد يكون صحّ سندها عند غيري، لكنّي اكتشفت في السند عيباً، أو صحّ متنها عند آخرين ونقدت المتن واكتشفت به عيباً، وفقاً للمنهج الأصولي [السنة القرآنية]، كما فعلت في حديث الرّدة؛ حديث (من بدل دينه فاقتلوه) درست جميع طرقه، وكما درست طرق حديث (لا يجلّ دم امرئ مسلم إلّا بإحدى ثلاث)، وكما درسنا حديث (ستفترق أمتي على بضع وسبعين شعبة) ¹، وأضاف في موضع آخر: « اعتمدت على أحاديث ثبت عندي - بعد الدّراسة الحديثيّة الناقدة - أنّها تُعارض القرآن الكريم، وقد اتّفق المحدثون على ردّ ما يعارض "القرآن الكريم"، وكذلك سائر علماء المسلمين، ومنها حديث: أمرت أن أقاتل الناس حتّى يقولوا لا إله إلّا الله ² ». ³

والذي ينبغي تأكيده هو أنّ العلواني ليس من أهل الاختصاص في هذا الفنّ الصّعب حتّى يقبل ويردّ الحديث وفقاً للصّنع الحديثيّة ! هو ليس محدّثاً، وطريقة دراسته وتعامله مع السنة عامّة لا على قواعد المحدثين، طريقته تقسيم السنة إلى قسمين: سنة لها أصل في القرآن الكريم يجب الأخذ بها وعدّها وحياً، وسنة ليس لها أصل لا يحقّ الأخذ بها إلّا من باب الفائدة والحكمة، ومنطقه هذا سيتمّ نفي سنن تشريعية كثيرة. ⁴

قال ابن القيم (توفي: 751هـ): « أَحْكَامُ السُّنَّةِ الَّتِي لَيْسَتْ فِي الْقُرْآنِ إِنْ لَمْ تَكُنْ أَكْثَرَ مِنْهَا، لَمْ تَنْقُصْ عَنْهَا، فَلَوْ سَاعَ لَنَا رَدُّ كُلِّ سُنَّةٍ زَائِدَةٍ كَانَتْ عَلَى نَصِّ الْقُرْآنِ لَبَطَلَتْ سُنُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُلُّهَا إِلَّا سُنَّةَ دَلَّ عَلَيْهَا الْقُرْآنُ » ⁵، ولا يخفى أنّ السنة شرع من الله ﷻ، كما أنّ الكتاب شرع منه ﷻ، وقد قال ﷻ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكُمْ إِلَّا رِجَالًا مِّنْكُمْ فَخُذُوا مِنَّمَا نَهَيْكُمْ عَنْهُ فَأَنذَرُكُمْ ﴾ [الحشر: 07]، وأمر سبحانه باتباع رسوله ﷺ في غير موضع في القرآن، فهذا بمجرد يدّل على أنّ السنة الثابتة عنه ثبوتاً على حدّ ثبوت الكتاب العزيز حكمها حكم القرآن في النسخ وغيره. ⁶

1 طه جابر العلواني، مشروع مراجعة التراث الإسلامي، <https://al-maktaba.org/book/>.

2 سبق تخريج هذا الحديث.

3 طه جابر العلواني، من أدب الاختلاف إلى نبذ الخلاف، مرجع سبق ذكره، ص: 19 - 22.

4 مثل تحريم الجمع بين المرأة وخالتها أو عمّتها. رجم الزّاني المحصن، تحريم قتل مسلم بكافر، وغيرها.

5 ابن القيم، إعلام الموقعين، مصدر سبق ذكره، ج2، ص: 309.

6 الشّوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحقّ من علم الأصول، مرجع سبق ذكره، ج01، ص: 813.

وقد يَرِدُ هنا أنه ثمة خلاف واقع بين فريقين من العلماء، والجواب أنه خلاف لفظي؛ فكل منهما يعترف بوجود أحكام في السنة لم تذكر في القرآن، ولكن الفريق الأول -وهو الجمهور- يُسمّيه استقلالاً، والفريق الآخر لا يُسمّيه استقلالاً، وإنما يُسمّيه بياناً، وأدخله تحت قواعد القرآن الكريم وأقرَّ بحجّيته، ووجوب العمل به.¹

وكذلك يأخذ العلواني بعموم: ﴿وَاللَّهُ يَعَصُّكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: 67]؛ ولذلك فهو يؤمن بعصمة النبي من السحر ويردّ الحديث الوارد في هذا²، لأنّ القرآن قد خصّ السحر بالنفي فقال ﷺ: ﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ [الإسراء: 47]، بل هو يُنكر السحر جملةً وتفصيلاً³، وله إنكارات أخرى لعدّة أحاديث صحيحة، فمن تتبّع حواراته ونشاطاته ومؤلفاته سيجد أحاديث صحيحة كثيرة ردّها العلواني لمخالفتها عقله؛ لأنّه يستحيل مخالفتها للقرآن الكريم.

ثانياً: موقف القرآنيين من السنة النبوية⁴: عن المقداد بن معدي كرب أنّ رسول الله ﷺ قال: «يوشك أن يقعد الرجل متكبّاً على أريكته، يُحدّث بحديث من حديثي، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرّمناه، ألا وإن ما حرّم رسول الله مثل ما حرّم الله»⁵، لقد أخبر النبي ﷺ في هذا الحديث عن شيء قبل أن يقع بأنّه سيقع في المستقبل، وهذا من دلائل نبوّته، والحديث أحسن تعريف لأيّ قرآني، وأفضل ردّ على ما يدّعيه،

1 ينظر: عبد الغني عبد الخالق، حجية السنة، مرجع سبق ذكره. فقد فصل القول وأجاد تأصيل المسألة وبينها البيان الكافي.

2 عن عائشة رضي الله عنها قالت: سحر رسول الله ﷺ رجل من بني زريق، يُقال له: لبيد بن الأعصم، حتّى كان رسول الله ﷺ يُخيل إليه أنّه كان يفعل الشيء وما فعله، حتّى إذا كان ذات يوم -أو ذات ليلة- وهو عندي، لكنته دعا ودعا، ثمّ قال: يا عائشة، أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيتني فيه؟ أتاني رجلان، فعقد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ فقال: مطبوء، قال: من طبّه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: في أيّ شيء؟ قال: في مشط ومشاطة، وجفّ طلع خلة ذكر. قال: وأين هو؟ قال: في بئر ذروان. فاتّاه رسول الله ﷺ في ناس من أصحابه، فجاء فقال: يا عائشة، كأنّ ماءها نفاعه الحناء، أو كأنّ رؤوس نخيلها رؤوس الشياطين. قلت: يا رسول الله، أفلا استخرجته؟ قال: قد عافاني الله، فكربت أن أنور على الناس فيه شراً فأمر بما قد فُتنت. متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، (5763)، ومسلم في صحيحه، (2189).

3 ينظر: طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 153 - 162.

4 ينظر: خادم حسين إلهي بخش، القرآنيون وشبهاتهم حول السنة، مصدر سبق ذكره، ص: 209 - 235.

5 أخرجه أحمد في مسنده، (39/ 302)، برقم (23876). وابن ماجة في سننه في المقدمة، باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتعليق على من عارضه، (06/01)، برقم: (13). وأبي داود في سننه، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، (04/ 200)، برقم: (4605). والترمذي في سننه، أبواب العلم، باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ: (05/ 37)، برقم: (2663). وقال الترمذي: حديث حسن. وقال الألباني: صحيح. صحيح سنن ابن ماجة للألباني (01/ 21)، برقم: (13).

فالحديث من جوامع كلمه ﷺ.

والقرآنيون المعاصرون وثبوا على السُّنة في مرحلة مُبكرة من مراحل عصر التنوير كما اتَّفَق على تسميته، فبدأت الدَّعوة إلى نقض السُّنة والاعتماد على القرآن، فبعد أن تأثَّروا بما تربَّوا عليه من فلسفات ومذاهب فكرية ومدارس نقدية غربية، حاولوا تطبيقها على الدين الإسلامي ضاربين عرض الحائط كلَّ الثَّواب التي استقرَّ الدين عليها، مُعتمدين في ذلك على شُبَّهات السَّابِقين، وأوهام المعاصرين، مع نزعات ذاتية إلى الشَّهرة في كثير من الأحيان، فقاموا بالتَّوجَّه إلى نقض السُّنة ومحاربتها، مُدَّعين غيرهم على الدين ودفاعهم عن القرآن العظيم، وأنَّهم إمَّا يُحاولون إزالة ما لصق به على مدار السنين، ممَّا يصفونه بأنَّه ليس من الدين، وكذلك يقول طه جابر العلواني.

والقرآنيون هم القائلون بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه من حلال حلَّلناه، وما وجدنا فيه من حرام حرَّمناه، وهم من الفرق الضَّالة الهدَّامة التي ظهرت في أوساط الأُمَّة الإسلاميَّة، وهي فرقة من صنيع الإنجليز ولخدمة المستشرقين وإن جهلت ذلك أو تجاهلته، بدأت حركتها بالهند وباكستان في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ثمَّ انتقلت إلى البلدان الإسلاميَّة¹، وما تزال تُزاوَل أنشطتها الهدَّامة وأدعاءاتها الكاذبة، مُستغلَّة جميع الوسائل المتاحة لها، تلکم الأنشطة التي لا هدف لها سوى إثبات وجوب ترك وإهمال السُّنة النبويَّة، وعدم اعتبارها مصدراً ثانٍ للتَّشريع، والاكتفاء بالقرآن الكريم وحده مصدراً للتَّشريع في الدين الإسلامي، بحجَّة أنَّ القرآن اشتمل على الدين كلَّه جملةً وتفصيلاً، وهو كافٍ لبيان أمور الدين وأحكام الشريعة، ويرفضون كلمة تفسير القرآن، باعتبار القرآن الكريم مُيسر للذكر والتدبر، ولهم شُبَّهات توهموها حججاً وأدلة لما ذهبوا إليه، وفي هذه أيضاً وافقهم العلواني، ومن شُبَّهات القرآنيين أنَّ:

01- القرآن هو وحده الكتاب الذي أوحى للنبي ولا مبدل لكلماته: وطالما المؤمن

يكتفي بالله ربّاً فهو أيضاً يكتفي بكتاب الله في الهداية والتَّشريع، يقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: 51]، والملاحظ أنَّ الآيات الكريمة التي تحضُّ على الاكتفاء بالله ربّاً، وعلى الاكتفاء بالقرآن كتاباً جاءت كلّها بأسلوب الاستفهام الإنكاري، أي الإنكار على من يتَّخذون أولياء وأرباباً مع الله، والذين يتَّخذون كتباً أخرى مع كتاب الله، وهو الحق لا ريب، وما عداه ظنٌّ، والسُّنة ليست وحياً إلهياً محفوظاً، وهي من الظنِّ ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ

1 ينظر: جمال بن محمد بن أحمد هاجر، القرآنيون العرب وموقفهم من التفسير، (ط01، دار التفسير، جدّة، السَّعودية، 1436هـ - 2015م)، ص: 79 - 80.

شَيْئًا [116:1]، وهي اجتهاد وتصرف نبوي بمقتضى البشرية وبحسب درجة الخبرة والدكاء²، وتتحكم فيها الظروف والأحوال، ومترتبة بالزمان والمكان، وهي آراء قد يُصيب النبي ﷺ فيها كما قد يُخطئ، بخلاف القرآن المحفوظ والصالح لكل زمان ولكل مكان، والذي لا خطأ فيه، فهو كله حق وصواب، وعلى باقي الأمة بعد النبي ﷺ التحليل والتحریم بالاعتماد على القرآن الكريم وحده، تماماً كما فعل النبي ﷺ، وتاماً كما يقول العلواني.

إنّ مشكلة القرآنيين الأساسية مع السنّة النبوية عموماً - كما يفهم من ظاهر منطوقهم فهم قليلاً ما يؤلفون - ، ومع حديث « لا نبيّ بعدي »³ خصوصاً، وإن هم لقّوا وداروا بمسائل الاكتفاء بالنور الذي أنزل، وأنّ الكتاب ما فرط في شيء، وأنّ الرسول هو الوحي، والسنّة هي القرآن، وغيرها من الحجج الواهية، ولربّما لو لم يقل النبي ﷺ هذا الحديث لما كان لهم وجود بهذا الشكل، ولسلم من غيظهم ومن غلّهم عليه ﷺ، ولتأولوا قوله تعالى: ﴿وَحَاقَهُمُ الْكِبِيرُ﴾ [الأحزاب: 40] بزينة وخيار الأنبياء، ثمّ لفتحوا باب ادّعاء التّبوة على مصراعيه، لذا فإنّ مثلهم في قولهم بأنّ السنّة ليست وحيّاً، كمثّل فرعون لعنه الله: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَأْتِيَهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى الْعُلَيْنِ فَأَجْعَلَ لِي صَرْحاً لَّكِي أَطْلُعُ إِلَيْهِ إِلَهَ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [القصص: 38]، قال ابن كثير: «يُخبر تعالى عن كفر فرعون وطغيانه وافتراءه في دعوى الإلهية لنفسه القبيحة - لعنه الله -، وذلك لأنّه دعاهم إلى الاعتراف له بالإلهية، فأجابوه إلى ذلك بقلة عقولهم وسخافة أذهانهم، يعني: أنّه جمع قومه ونادى فيهم بصوته العالي مُصرّحاً لهم بذلك، فأجابوه سامعين مطيعين، وذلك لأنّ فرعون بنى هذا الصّرح الذي لم يُر في الدّنيا بناءً أعلى منه، إنّما أراد بهذا أن يظهر لرعيّته تكذيب موسى فيما زعمه من دعوى إله غير فرعون؛ ولهذا قال: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (٣٨) أي: في قوله إنّ ثمّ ربّاً غيري، لا أنّه كذّبه في أنّ الله أرسله؛ لأنّه لم يكن يعترف بوجود الصّانع»⁴.

1 كذا في كتاب "القرآن وكفى مصدراً للتّشريع الإسلامي"، والآية رقم: 116 من سورة الأنعام هي: ﴿وَلَنْ تُلَاقِيَهُمْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَكْفُرُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ (٣٣)، أمّا قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تُلَاقِيَهُمْ فِي الْأَرْضِ يَكْفُرُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ (٣٣) فورد في الآية رقم: 68 من سورة التّجم، أقرّاني لا يحفظ القرآن؟! أحمد صبحي منصور، القرآن وكفى مصدراً للتّشريع الإسلامي، (ط01، الانتشار العربي، بيروت، لبنان، 2005م)، ص: 14 - 17.

2 أحمد صبحي منصور، القرآن وكفى مصدراً للتّشريع الإسلامي، مرجع سبق ذكره، ص: 41 - 59.

3 متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل، برقم: (3455)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب: وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء، الأوّل فالأوّل، برقم: (1842).

4 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سبق ذكره، ج10، ص: 463 - 464.

ويقول الباحث: وكذلك يُخبر النبي ﷺ عن القرآنيين وطغيانهم وافتراءاتهم في دعوى الاجتهاد والفهم لأنفسهم القبيحة، فأجابوا إلى ذلك بقلّة عقولهم وسخافة أذهانهم، وذلك لأنّ عقولهم القاصرة دعتهم لاتباع أهوائهم فأجابوها سامعين طائعين، فبنوا ذلكم الصّرح المباشر للقرآن الكريم، وظنّوا أنّه لم يفهم أحد مثل فهمهم، بناء عالٍ يقفز بهم من فهم كلام الخلق إلى فهم كلام خالق الخلق دون الحاجة لفهم سيّد الخلق ﷺ، فضلاً عن غيره، وهم بهذا يُضمرون تكذيب النبي ﷺ فيما زعمه أنّه أوتي القرآن ومثله معه، ولهذا أوردوا الشبهة الثانية، أي أنّهم لا يُكذّبون إرسال الله للنبي ﷺ في ذاك الزّمن الذي مضى وزال، ولكنهم لا يعترفون بأنّ للنبي ﷺ مكانة خاصّة عند الله ﷻ، مكانة خاصّة في الدّنيا بأن قرن اسمه ﷺ مع اسمه ﷻ في الشّهادتين، وبأن رفع له ذكره وقدره وسنّته ﷺ، فهو القدوة وهو الأسوة وهو المتبوع بحق لا غيره، وله مع هذا مكانة خاصّة في الآخرة، والقرآنيون يحسدون النبي ﷺ على ما آتاه الله من فضله، يحسدونه على هذه الخصوصية التي منّ الله بها عليه، والتي استحقّها ﷺ فناها.

إنّ القرآنيين يُريدون سياسة الأمة بعقولهم، يُريدون رفع مقامات عقولهم وذواتهم لمنزلة القداسة، وهم في الحقيقة مُدّعون للنّبوة لا للرّسالة، فلو ادّعوا الرّسالة للزمهم الإتيان بكتاب مثل القرآن، ولن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، أو أن يقوموا بتحريف نصّ القرآن، وهنا ستلفظهم الأمة لفظاً كبيراً، ويخيب مسعاهم ومسعى من وراءهم، وهم جميعاً لا يُريدون هذا، وصدق رسول الله ﷺ في التّنبية إلى أنّ دور النبي سياسة الأمة بالوحي، فمن رام هذا بعده ﷺ فهو مُدّع كاذب أفاك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنّه قال: « كانت بنو إسرائيل تُسوّسهم الأنبياء، كلّما هلك نبيّ خلفه نبيّ، وإنّه لا نبيّ بعدي »¹، وهؤلاء يُريدون أن يكونوا بنفس مقام النبي ﷺ ! أليست الدّعوة لترك العمل بالسّنة النّبويّة دون ترك القرآن الكريم، مُطالبة بمهام النّبوة كاملة ؟ مُطالبة بالتّخلية بين عقولهم وبين الوحي الرّبانيّ، فالسّنة حاجر بينهم وبينه، وحاجر بينهم وبين الأمة الإسلامية، أليس هذا ادّعاء للنّبوة بتسرّ مفضوح ؟ لقد ادّعى فرعون الألوهيّة علانيّة وأراد القضاء على موسى عليه السلام وطريقته: ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ [النّازعات: 24]، فأغرقه الله ﷻ في البحر، وادّعى هؤلاء النّبوة خفية، ويريدون القضاء على السّنة النّبويّة جهرّة، ولسان حال كلّ قرآنيّ يقول: أنا نبيّكم المختار، فأغرقهم الله في بحر الهوى فهم فيه يعمهون، ولا يُجاري عماهم، ويُصنّف من مستواهم، إلّا وحي مُسيلمة الكذاب، إذ أنّ فهمهم للقرآن وقرآن مُسيلمة على قدر سوء، تشابحت قلوبهم ومشكّاتهم.

02- ومنها أنّ النبي ﷺ - في الأصل - لم يجعل سنّته مصدراً للتشريع: فما على الرسول إلاّ البلاغ، وقام ﷺ بنقل هذا للصّحابة رضي الله عنهم ورتّبهم عليه، وهذا هو الذي فهموه منه ﷺ وهذا ما طبّقوه، فلما جاء التّابعون ابتدعوا اعتبار السنّة مصدراً مع القرآن الكريم، ثمّ تبعهم من بعدهم وعملوا بهذه البدعة السيّئة على حدّ زعمهم.¹

وحقّ إنّ لم يجعل النبي ﷺ سنّته مصدراً للتشريع كما يزعم القرآنيون، فقد جعلها الله ﷻ، قد جعلها القرآن الكريم، ألم يقل الله ﷻ في القرآن الكريم: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِن هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: 03-04] ؟ قال أبو حامد الغزالي (توفي: 505هـ): «وقول رسول الله ﷺ حجة؛ لدلالة المعجزة على صدقه، ولأمر الله تعالى إيانا باتّباعه، ولأنّه لا ينطق عن الهوى، إنّ هو إلاّ وحي يوحى، لكنّ بعض الوحي يُتلى فيسمّى كتاباً، وبعضه لا يُتلى، وهو السنّة»²، وعلى فرض أنّ الآية خاصّة بالقرآن الكريم دون السنّة النبويّة، فقد قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ [الحاقة: 44-46]، قال السّعديّ (توفي: 1376هـ): «فإنّ هذا ظنّ منهم بما لا يليق بالله وحكمته فإنّه لو تقول عليه وافترى ﴿بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ الكاذبة، ﴿لَاخْذَنَامُهُ بِالْيَمِينِ﴾³، وهو عرق مُتّصل بالقلب، إذا انقطع، مات منه الإنسان، فلو قُدّر أنّ الرسول - حاشا وكلاً - تقول على الله لعاجله بالعقوبة، وأخذه أخذ عزيز مُقتدر، لأنّه حكيم، على كلّ شيء قدير، فحكمته تقتضي ألاّ يُمهّل الكاذب عليه...»³.

ومعلوم عند القرآنيين أنّ الله ﷻ لم يقض على النبي ﷺ لأنّه ما نطق إلاّ بالوحي، فإن قالوا إنّّه ﷺ تقول على الله ﷻ وخالفه، لزمهم أن يقولوا بنزول العقاب الرّبانيّ عليه، وإن قالوا بنزول العقاب لزمهم القول بنزول العقاب الموعود به؛ والذي هو بنصّ الآية القتل والهلاك، وللزمهم إثبات ذلك في حقّ النبي ﷺ، وأتّى لهم إثبات قول لم يقل به أحد ؟ ومن سيصدّق دعواهم من المسلمين - وهم لا يستهدفون غير المسلمين - ؟ إنّ الكساد الدّعويّ بسبب البضاعة المغشوشة الثّالفة، وحيثما التفت القرآنيون يُحاط بهم ويؤتون من كلّ جانب دُحوراً، ولولا الجهل في الأمّة لما قالوا بما يقولون، فمقالاتهم

1 أحمد صبحي منصور، القرآن وكفى مصدراً للتشريع الإسلامي، مرجع سبق ذكره، ص: 25.

2 أبو حامد الغزالي، المستصفى من علم أصول الفقه، تحقيق: محمّد سليمان الاشقر، (ط01، دار الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1417هـ - 1997م)، ج01، ص: 246.

3 عبد الرحمن السّعدي، تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنان، (ط01، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1423هـ - 2002م)، ص: 885.

ليست بمقالات الإسلاميين.

فإن قالوا لم يتقول ﷺ على الله ﷻ لزمهم اتباع النبي ﷺ وطاعته طاعة مطلقة، فإذا لم يفهم القرآنيون هذا الأصل العظيم من القرآن الكريم، مع كل هذا الوضوح والبيان، إذ تكرر كثيراً ذكره وتقريره من الله ﷻ في محكم التنزيل، فلعدم فهم غيره من باب أولى وأكد، والحق أن ادعاءاتهم ليست بريئة، وليست عن سوء فهم وما ينبغي لها أن تكون، بل هي عن سوء قصد وعن قصد بمكر سيء، ﴿أَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ لَا يَبْحِثُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: 43].

03- ومنها أن النبي ﷺ نهى عن كتابة السنة: فقال ﷺ: « لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحاه، وحدّثوا عني ولا حرج ... »¹، ونحن لا نتبع محمداً ﷺ كشخص وإنما نتبع النور الذي أنزل معه أي القرآن²، وأن عهد تدوين السنة النبوية اقترن بعهد افتراق الأمة وهوانها، وهذا ليس بالصدفة، بل هذا يدل أن الغاية من جمع السنة هي تفريق الأمة ! وإلا فالصحابه -بزعمهم- لم يدونوا السنة وانصرفوا عنها للقرآن الكريم، وأن الأمة الإسلامية كانت مجتمعة متألّفة قوية؛ حتى قام نفر من الفرس والأعاجم الحاقدين على الإسلام وأهله (البخاري ومسلم وغيرهما من علماء الحديث) بوضع كتب السنة كيداً للأمة وتفرقة لصقها!³

إن خلط الحقّ بالباطل سبيل المفترين المدلسين، وهو طريقة المفلسين، إذ كيف يُحتج على ترك السنة النبوية بالسنة نفسها؟! والجواب هو انعدام نص صريح الدلالة في القرآن الكريم يُحرّم كتابة السنة النبوية أو يُشير مجرد الإشارة إلا ترك تدوينها، والعلماء الذين شرحوا هذا الحديث الذي استدّلوا به، لم يقولوا بمقالة القرآنيين ولا هم فهموا فهمهم السقيم، قال النووي (توفي: 676هـ) في معرض شرحه للحديث السابق: « وكان التّهي حين خيف اختلاطه بالقرآن فلمّا أمن ذلك أذن في الكتابة، وقيل: إنّما نهى عن كتابة الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة؛ لئلا يختلط، فيشتبه على القارئ في صحيفة واحدة ».⁴

والقرآن وحى الله بلفظه ومعناه بخلاف السنة، ثم إن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يحفظون سنة النبي ﷺ بطرق متعدّدة؛ فمنهم من كان يحفظ بعقله وذاكرته، ومنهم من كان يدون في الصّحف والكتب،

1 أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرفاق، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم، (04/ 2298)، برقم: (3004).

2 أحمد صبحي منصور، القرآن وكفى مصدراً للتشريع الإسلامي، مرجع سبق ذكره، ص: 66 - 137.

3 جمال البنا، السنة ودورها في الفقه الجديد، (د.ط، دار الفكر الإسلامي، القاهرة، مصر، د.س.ط)، ج 01، ص: 41.

4 النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (د.ط، دار الخير، 1416هـ - 1996م)، ج 18، ص: 419.

ونهي النبي ﷺ اقتصر على الكتابة والتدوين دون الحفظ والتحديث، أي أنه لم يقصد ترك حفظ السنّة وإتّما قصد ترك الكتابة فقط، فقد كان للعرب حافظّة قويّة جداً، وتخصيص القرآن الكريم بالتدوين زمن النبي ﷺ - في البداية فقط - خوفاً من الخطأ فيه، فالقرآن توقيفي لا يجوز فيه الرواية بالمعنى؛ بخلاف السنّة النبويّة التي يجوز فيها الرواية بالمعنى على أصحّ القولين، فعن مسروق عن عبد الله¹ قال: « حدّث حديثاً فقال: سمعت رسول الله ﷺ، ثمّ أرعد وأرعدت ثيابه، فقال: أو شبه ذا أو نحو ذا »²، والمتّبع للأحاديث يجد أنّ الصحابة - أو أكثرهم - كانوا يروون بالمعنى، ويُعبّرون عنه في كثير من الأحاديث بعباراتهم، وأنّ كثيراً منهم حرص على اللفظ النبوي، خصوصاً فيما يُتعبّد بلفظه، كالشّهاد، والصّلاة، وجوامع الكلم الرّائعة، وتصرّفوا في وصف الأفعال والأحوال وما إلى ذلك.³

وقد « قال جمهور السّلف والخلف من الطّوائف منهم الأئمّة الأربعة: (يجوز بالمعنى في جميعه إذا قطع بأداء المعنى)، لأنّ ذلك هو الذي تشهد به أحوال الصحابة والسّلف، ويدلّ عليه روايتهم القصّة الواحدة بألفاظ مختلفة »⁴، وقد كان هذا هو الأمر، فلمّا ظهر التدوين صار « ليس لأحد أن يُغيّر لفظ شيء من كتاب مصنّف ويثبت بدله فيه لفظاً آخر بمعناه، فإنّ الرواية بالمعنى رخص فيها من رخص لما كان عليهم في ضبط الألفاظ والجمود عليها من الحرج والنّصب، وذلك غير موجود فيما اشتملت عليه بطون الأوراق والكتب؛ ولأنّه إن ملك تغيير اللفظ فليس يملك تغيير تصنيف غيره »⁵، وهذا الكلام هو عين الأمانة العلميّة عند النّقل والرواية.

وقد بيّن الباحث مسألة جواز الرواية بالمعنى لدحض حجّة القرآنيّين ومزاعمهم، فلو لم تكن السنّة مصدراً للتّشريع لما اختلف السّلف في حكم الرواية بالمعنى، ولما كان لخلافهم أيّ معنى، لأنّ ما لا ينبني عليه حكم شرعيّ، لا عبرة بالخلاف فيه، فلمّا تحرّروا في الرواية بالمعنى دلّ ذلك أنّهم عاملوها على أنّها وحي، والذين تجوّزا لم يحتجّوا للقول بالجواز على أنّها ليست وحيّاً، بل لهم أدلّة أخرى ليس

1 هو عبد الله بن مسعود.

2 أخرجه ابن سعد في الطبقات، (185/03). والطبراني في المعجم الكبير، (09)، برقم: (8622). وابن عبد البر في الجامع، (462/01). والشّاشي في مسنده، (130/02)، برقم: (668)، والخطيب في الجامع، (658/01)، برقم: (1021).

3 أحمد شاكر، الرواية بالمعنى وضوابطها وأثر ذلك في الحكم الشرعيّ، أرشيف ملتقى أهل الحديث، المكتبة الشّاملة الحديثة، ص: 473.

4 السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النّواوي، مرجع سبق ذكره، ج 01، ص: 533.

5 ابن الصّلاح، علوم الحديث، تحقيق وشرح: نور الدّين عتر، (ط 03، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية)، ص: 214.

ضمنها ما ذهب إليه القرآنيون، ولو كان قولاً صائغاً لما غفلوا عنه، ولقالوا به ﷺ.

وأما القول بكره الصحابة ﷺ لرواية الحديث فليس صحيحاً، فالصحابة كانوا يخشون رواية الحديث وبهابون من ذلك فعلاً، لعلمهم أنّ مقام الحديث من مقام صاحبه ﷺ، ومن أين تأتي الجرأة لمن عجزوا عن إعمال البصر للنظر لوجه النبي ﷺ وهو أحبّ الخلق إليهم، أن يعملوا ألسنتهم في نقل خبره؟! فعن عمرو بن العاص ﷺ في مرض موته قال: «وما كان أحدٌ أحبَّ إليَّ من رسول الله ﷺ، ولا أجلَّ في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملاً عينيّ منه إجلالاً له، ولو سئلت أن أصفه ما أطق، لأنّي لم أكن أملاً عينيّ منه، ولو متّ على تلك الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة»¹، وهذا الحال لم يستقلّ به أفراد منهم؛ بل كان هذا هو حال الصحابة ﷺ أفراداً وجماعة، فعن أسامة بن شريك ﷺ² قال: «أتيت رسول الله ﷺ فإذا أصحابه عنده كأنّ على رؤوسهم الطير»³.

إنّ درجة توقير وتعظيم الصحابة ﷺ للنبي ﷺ فوق ما تتصوره العقول السليمة، فأنت لعقول خربة مريضة أن تستوعبه؟! ومع هذا الأدب الجمّ وُجد من الصحابة من كان يكتب الحديث النبويّ، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ، قال: «كنتُ أكتبُ كلّ شيءٍ أسمعُه من رسول الله ﷺ أريدُ حفظه، فنَهَنِي قُرَيْشٌ، وقالوا: أَتَكْتُبُ كلّ شيءٍ تسمعه ورسول الله ﷺ بشرّ يتكلّم في الغضب والرّضا؟! فأمسكْتُ عن الكتاب، فذكرْتُ ذلك لرسول الله ﷺ، فأومأ بإصبعه إلى فيه، فقال: اكتب؛ فوالذي نفسِي بيده، ما يُخرُجُ منه إلّا حقٌّ»⁴، ولولا تدوينه في الكتب لدرس في الأعصر الآخرة، فما بال القرآنيين لا يقولون بالحقّ، وإذا كان الصحابة ﷺ يخافون الكذب على رسول الله ﷺ وهم أهل الصدق، فإنّ القرآنيين يحبون الكذب على جميع الخلق وهم من أكذب الخلق، يكذبون بداية ونهاية، قولهم كذب، وحججهم كذب، ودينهم كذب، ظلمات بعضها فوق بعض.

وأما زعمهم أنّ رواة السنّة أعاجم دخلوا الإسلام ليكيدوا للأمة، ولم يجدوا غير السنّة النبويّة

1 أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله، برقم: (121).

2 أسامة بن شريك الثعلبيّ: قال عنه البخاريّ له صحبة، روى حديثه أصحاب السنن وأحمد وابن خزيمة وابن حبان والحاكم. ينظر: ابن حجر العسقلانيّ، الإصابة في تمييز الصحابة، مصدر سبق ذكره، ج 01، ص: 29 - 30.

3 أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب فضل النفقة في سبيل الله، برقم: (2842).

4 أخرجه أحمد في المسند، (57 / 11 - 58)، برقم: (6510)، و (406 / 11)، برقم: (6802)، وأبو داود في سننه، كتاب العلم، باب في كتاب العلم، (318 / 03)، برقم: (3646). والحاكم في مستدركه، (105/01) وصححه، وأقرّه الذهبيّ، وقال الحافظ في الفتح (207/01): إنّ طريقه يُقوَّى بعضها بعضاً. وقال الألبانيّ: صحيح. صحيح سنن أبي داود للألبانيّ، (408 / 2)، برقم: (3646).

سبيلاً لذلك، فهي كما قيل « رمتني بدائها وانسلت »¹، فكيف يُتهم أصحاب الكتب السنّة - منها صحيح البخاريّ أصحّ كتاب بعد القرآن الكريم، والذي تلقّته الأمة بالقبول - بالكيد للإسلام، وتفريق الأمة؟! كيف يُتهم من تتبّعوا كلّ كبيرة وكلّ صغيرة عن رسول الله ﷺ فنشروها ودوّنوها؟! ثمّ أين ظهرت الطائفة القرآنيّة أوّل ما ظهرت؟ ومن أين انتشرت؟ لقد « تسرّبت فكرة إنكار السنّة جملة وتفصيلاً في القرن الثالث عشر الهجريّ إلى بعض البلدان العربيّة وغير العربيّة من الدّراسات الاستشراقيّة، واتّخذت شكلاً مُنظّماً في شبه القارّة الهنديّة منذ أوائل هذا القرن [القرن العشرين]، فظهر في الهند وباكستان جماعة تُنادي بعدم الاحتجاج بالسُنّة في الأمور التشريعيّة »²، في الهند وفي باكستان إذن! فالأعاجم هم من أظهروا ونشروا مقالات القرآنيّين الشّاذّة، ولأنّ السّحر غالباً ما ينقلب على السّاحر؛ تُهمّة التّأمر ثبتت على القرآنيّين بمنطقهم، لأنّ الطائفة القرآنيّة المعاصرة ظهرت في بلاد العجم وهي تحت حكم الإنجليز، وهي مؤامرة أصلها الاستشراق، وغايتها التّأمر على أمة الإسلام وتفريق المسلمين، وهذا هو الحقّ البين الأكيد، وبخلاف تامّ لفترة وظروف ظهور القرآنيّين، فإنّ الكتب السنّة جُمعت والأمة الإسلاميّة قويّة علماً ومكانة وسيادة وقوّة وحضارة، فهل رضيت الأمة جمعاء بهذا العبث المزعوم وهي التي كانت أمة غنيّة بالعلماء والأتقياء؟!

وأما ما تعلّق ببداية جمع السنّة وتدوينها، فإنّ العرب الأفحاح الصّرحاء هم أوّل من سنّ جمع السنّة وتدوينها في المدوّنات والمسانيد والكتب، وكان أوّلهم الإمام مالك في موطّئه، وتبعه الحميديّ وابن حنبل في مُسنديهما، ثمّ تبعهم غيرهم، ولكنّ الأدهى والأمرّ أنّ جامعي الكتب السنّة ليسوا كلّهم أعاجم، فمُسلم والترمذيّ وأبو داود وعرب، ولا فرق عندنا بينهم وبين غيرهم من المحدثين العجم، ولكنّا نذكر هذا ليتبين أنّنا لم نجد للقرآنيّين لا فهماً ولا علماً، استحوز عليهم الشّيطان فأنطقهم بما يُخالف كلّ منقول وكلّ معقول، فلا هم التّاريخ والأنساب علموا، ولا منهج الاستدلال السّليم وظّفوا، شُبّهات لا أساس لها ولا بنيان، شُبّهات سوّقوا لها وسحروا بها أعين الجهلاء، ولكنّهم أعظموا الفرية فعظمت زلّاتهم، وتوالى سقطاتهم، وانكشفت عوراتهم ﴿ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَحَرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ [طه: 69].

1 هو مثل عربيّ له قصّة، ومعناه عيّرتني بعبثي فيها وذهبت، أو ألصقت بي تهمّة هي صاحبها وغادرت. ينظر الميدانيّ، مجمع الأمثال، تحقيق: محمّد محي الدّين عبد الحميد، (ط01، مطبعة السنّة المحمّديّة، القاهرة، مصر، 1374هـ - 1955م)، ج01، ص: 286.

2 خادم حسين إلهي بخش، القرآنيّون وشبهاتهم حول السنّة، مصدر سبق ذكره، ص: 11

04- ومنها أن الاحتكام إلى السنة شرك وكفر¹: ومُنطلقهم هو كون السنة ليست وحياً، وأن جعل طاعة النبي ﷺ وطاعة الله ﷻ سواء شرك واضح، فلا إله إلا الله تعني لا طاعة إلا لله. والرد هنا من كلام الله ﷻ إن كانوا لله مطيعين، وبالقرآن مؤمنين، فقد أمر ﷻ في أكثر من ثلاثين آية بطاعة رسوله ﷺ، وبين فيها جميعاً أنه ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيفًا ۖ﴾ [النساء: 80]، وليس بعد قول الله ﷻ قول: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: 17].

05- ومنها أن لهم ظهيراً في مقالاتهم: لهم من يشد العضد ويكثر العدد ويزيد السواد والمداد، لهم حلفاء وأحزاب ضد السنة النبوية، وفي هذه صدق القرآني وهو كذوب، ولكن من هؤلاء الذين وافقوهم القول أو بعضه، ولننظر إن كان مثل هؤلاء يؤخذ عنهم دين، أو هل يؤخذ عنهم مجرد خبر؟ فأما سلف القرآنيين فهم المعتزلة والخوارج وأي فرق الخوارج، الخوارج الذين خرجوا على الصحابة ﷺ، وأما من شايعهم من المعاصرين فهم معتزلة العصر والمستشرقون والحداثيون والعقلانيون والليبراليون والعلمانيون والمنافقون، وآخرون يدعون إسلامية موقفهم -منهم العلواني- بينهم وفاق وشقاق، إن لم يكن نفاق، وهذا الجمع كافٍ لكل ذي عقل ليراجع نفسه، فيبادر للتوبة والأوبة إن كان من الصادقين، وجميع من سبق مُتوَعِّد بقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: 03].

وطه جابر العلواني مع هذه الطائفة المنكرة للسنة على كلمة سواء في بعض قبيح آرائهم، واختلف معهم في بعض آخر، ولكن نتيجة أقوالهم جميعاً واحدة، وهي التنصيص على عدم اعتبار السنة مصدراً ثانٍ للتشريع، والاكتفاء بالقرآن الكريم مصدراً وحيداً لا ثاني له، وخلافهم كان في درجة ومكانة تصنيف السنة النبوية، وفي طريقة اعتبارها والتعامل معها، فالقرآنيون يريدون إلغاء السنة ودلالاتها بالكليّة، ومن يُنكر السنة يُنكر البيان، ومن أنكر البيان ألغى القرآن، أما العلواني فيريد اختيار ما وافق عقله وفهمه، وطرح الباقي جانباً، فهو لا يعتمد على حكم المحدثين على الحديث، وإنما يحكم عليه مُعْتَمِداً على نفسه بعرض السنة على القرآن.

ثالثاً: موقف المستشرقين من السنة النبوية: مقصود الباحث هنا هم المتعصبون منهم، الذين ينطبق عليهم قوله ﷻ: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: 32]، أصحاب النزعة العنصرية الفوقية التهجمية في نظرهم للشرق،

1 أحمد صبحي منصور، القرآن وكفى مصدراً للتشريع الإسلامي، مرجع سبق ذكره، ص: 159.

الذين يؤمنون بتبعية الشرق للغرب، الذين يُسوّقون لأطروحات تُعَرِّض مصادر الإسلام للتحريف والتزييف والتزوير ! والذين لديهم عقدة جفاء اتجاه النبوة والوحي ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرَمَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزحرف: 31]، فعندهم عدم تقبل مفضوح لاختصاص الشرق بالنبوة ونزول الوحي، ومن ثم سخرُوا جهودهم وأوقاتهم لإسقاط البعد التعبدي للسنة النبوية، وسلخوا لأجل ذلك طرقاً ملتوية متعددة تمثلت في:

01- التشكيك بصحة رسالة النبي ﷺ ومصدرها الإلهي: فجمهورهم يُنكر أن يكون الرسول نبياً موحى إليه من عند الله -جل شأنه-¹، [بل] زعم بعضهم أن محمداً هو المسيح الدجال²، وهم حينما يُشكِّكون الأمة في الذي حمل إليها دينها، يختصرون الطريق على أنفسهم ويُثقلون الجهود، فكما يعلمون أن أقصر طريق للتربية هو القدوة والرمز ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيمَهُدْهُمْ أَقْتَدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام: 90]، يُدركون أيضاً أن أقصر طريق لصرف الناس عن الإسلام هو نفي نبوة محمد ﷺ، ثم خلق قدوة أخرى لهم، والباحث لا يسعى هنا لإثبات دلائل نبوته ﷺ ولكن لبيان بضاعة القوم المزجاة، وحيلهم الواهية، إذ لا يمكن لأي مؤمن صادق في إيمانه أن يتقبل هذا الإفك المردود، فمن تلقفها فإنما هو كمن قال ﷺ عنهم: ﴿ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور: 11 - 12].

02- التقليل من شأن السنة النبوية: واعتبارها مجرد « جوهر العادات، وتفكير الأمة الإسلامية قديماً، فهي العادة المقدسة والأمر الأول »³، وهي ليست وحياً، وليست ما صدر عن النبي ﷺ من غير القرآن من قول أو فعل أو تقرير، ولا عصمة لها ولا حكمة فيها، فنفوا عنها القدسية والخصوصية، فهي مجرد عادات، والعادة هي « الأمر المتكرر سواء أكان ذلك قولاً أو فعلاً أو اعتقاداً،

1 مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون (ما لهم وما عليهم)، (د.ط، دار الوراق للنشر والتوزيع، د.ب، د.س)، ص: 25 - 26.

2 سالم علي البهنساوي، السنة المفترى عليها، (ط03، دار الوفاء، المنصورة، مصر، دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع، الكويت، 1409هـ - 1989م)، ص: 15.

3 عجيل جاسم النشمي، المستشرقون ومصادر التشريع الإسلامي، (ط01، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1404هـ - 1984م)، ص: 81 - 82.

صادراً من الفرد أو الجماعة»¹، وهذا التعريف فيه إهدارٌ لمعنى السنّة النبويّة وقيمتها، وطمسٌ للمفاهيم، فالعادات نسبيّة من حيث مكانتها وقبولها وممارستها وانتشارها، وحكمها غير حكم السنّة، وههنا وافقهم العلواني الفكرة وخافلهم في المضمون.

وتعريف السنّة على أنّها عادة²، أو بالأحرى سنّة عادة، فيه دلالة على أنّ القوم درسوا الإسلام، وأنهم يتصرّفون بانتقائيّة حذرة وبحيث كبير، فالعلماء قسموا السنّة من حيث الحجّيّة إلى قسمين، سنّة عادة وسنّة عبادة، فسنّة العادة هي «ما يفعله الناس أو الشّخص على حكم العقل مرّة بعد مرّة من غير تكلف، وعلى هذا فإنّه ليس من العادة ما استمرّ عليه الناس تطبيقاً لنصّ شرعيّ»³، فما فعله ﷺ انسجاماً منه مع العادات العربيّة، كرعيّ الغنم، فهذه عادة عربيّة لا بأس من فعلها ولا بأس من تركها، وما فعله ﷺ من عمل له علاقة بجبلته وبذوقه فهذه أيضاً ليس لها علاقة بالأمر التّعبديّ، فقد كان ﷺ يحبّ تقبيل الأولاد، وقد نجد بعض الناس يكرهون ذلك، فلا نقول خالفوا السنّة ! لأنّ التّقبيل في أصله ليس عبادة، بل قد يكون في اتّباع عادة النّبي ﷺ مخالفة لسنّته، كإطالة شعر الرّأس للرجال بنيّة التّعبّد، وقد تتحوّل العادة إلى عبادة بالنّيّة الحسنة، كالغسل والعمل وزيارة الأقارب والدّبح والتّوم ونحوها، وبالمحمل سنّة العادة لا إلزام فيها، ولم تُكلف باتّباع الرّسول ﷺ فيها، والمسلم فيها مُخَيَّر بين الفعل والتّرك.⁴

بينما سنّة العبادة طاعة وخضوع لله تعالى على جهة التّعظيم والتّسليم، وهي مُلزّمة ثابتة لا تُغيّر لحكمها، وهي التي نصّ العلماء على أنّها المصدر الثّاني للتّشريع، وهذه السنّة هي المستهدفة، وهي ما سعى المستشرقون إلى تعطيل العمل بها من خلال إلحاقها بسنّة العادة، ولو صدقوا لفرّقوا بين ما ورد عنه ﷺ على سبيل العادة أو العبادة كما فرق الصّحابة رضي الله عنهم من علماء الأئمّة، ولما قاموا بالتّدليس والتّحريف وتغيير المفاهيم والتّلاعب بها، فهذه حيلة العاجز، ومن تربّى على التّحريف وألفه،

1 أحمد فهمي، العرف والعادة في رأي الفقهاء، (د.ط، مطبعة الأزهر، القاهرة، جمهورية مصر العربيّة، 1947م)، ص: 10

2 وطه جابر العلواني عرّفها بأنّها البيان التّطبيقيّ للقرآن الكريم بناءً على اجتهاد النّبي ﷺ، ونفى فكرة الثّنائيّة التّشريعيّة إذ ليس ثمة إلّا مصدر واحد مُشرّع وهو القرآن وحده، وهو مع هذا؛ لا يعني السنّة بالمطلق بل السنّة بمفهومها عنده.

3 محمّد رواس قلنجي وغيره، معجم لغة الفقهاء، (ط03، دار الثّفائس للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، 1416هـ - 1996م)، ص: 269.

4 ينظر: ابن رجب، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، مصدر سبق ذكره، ص: 09. والسيوطي، الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشّافعيّة، تحقيق: محمّد حسن إسماعيل الشّافعي، (ط01، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1419هـ - 1998م)، ج01، ص: 40 - 41. والنّووي، صحيح مسلم بشرح النّووي، مصدر سبق ذكره، ج11، ص: 248.

وَاتَّبَعَ دِيناً مُحَرَّفًا وَقَبْلَهُ، لَا عَجَبَ أَنْ يَكُونَ الْكَذِبَ وَالْحَيَانَةَ لَهُ سُنَّةَ عَادَةٍ، وَلَرَبَّمَا سُنَّةَ عِبَادَةٍ، فَهُوَ يَدَّعِي الْإِصْلَاحَ وَالنَّقْدَ الْعِلْمِيَّ، وَغَايَتُهُ التَّبْشِيرُ وَإِضْلَالُ النَّاسِ، وَلَكِنْ هِيَ هِيَ هِيَ، وَمِثْلُهُ يُقَالُ لَهُ: أَثْبَتَ الْعَرْشَ ثُمَّ انْقَشَ.¹

03- التشكيك في ثبوت السنة تدويناً وصحةً: والتعلل بالوضع فيها من أجل مناهضتها، فقالوا: « لا نستطيع أن نعزوا الأحاديث الموضوعة للأجيال المتأخرة وحدها، بل هناك أحاديث عليها طابع القدم، وهذه إما قالها الرسول ﷺ أو هي من عمل رجال الإسلام القدامى »²، و« إنَّ أكبر جزءٍ من أسانيد الأحاديث اعتباطي، ومعلوم لدى الجميع أنَّ الأسانيد بدأت بشكلٍ بدائي، ووصلت إلى كمالها في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، وكانت الأسانيد كثيراً لا تجد أقلَّ اعتناء. وأيُّ حزبٍ يريد نسبة آرائه إلى المتقدمين، كان يختار تلك الشخصيات ويضعها في الإسناد »³، و« إذا كانت سلسلة الإسناد مُتَّصِلة، وكان كلُّ فردٍ من أفرادها عدلاً -من وجهة نظرهم- فحينئذٍ قبلوا الحديث وصاروا شرعاً واجباً، ولا يمكن -بسبب الإيمان- السؤال عن متن الحديث؛ لأنَّه وحيٌ إلهي، فلا يُقبل أيُّ نقدٍ تاريخيٍّ »⁴، ومثَّلت مؤلفات «آجناس جولدتسيهر»⁵ أبرز نقدٍ للحديث النبويِّ بلا منازع في القرن التاسع عشر، ثمَّ تبَّنى شكوكه مستشرقون آخرون.⁶

إنَّ في التنكُّر لجهود العلماء التي بُذلت لتنقية الحديث الصحيح من غيره، مع تجاهلِ تِلْكَ القواعد البالغة الدقَّة في التَّحْقِيقِ والتَّحَرِّيِّ، مُغالطة تنمُّ عن عقدة الشُّعُور بالنقص والحقْد، فعدم قابليَّة التسليم بأنَّ المسلمين سبقوا وأسَّسوا لعلوم كان غيرهم أولى بالسَّبق إليها، بالنَّظر إلى تاريخ النُّبُوتِ،

1 مثل تاريخيٍّ سائر يُقال عند كثرة الدَّعَاوى التي لا تستند إلى دليل واضح ولا إلى حجةٍ بيَّنة، ومعناه أنَّك تحتاج قبل النَّقْش أن يكون العرش ثابتاً، فلو نقشت العرش وهو غير ثابت فقد يسقط أو يتحطَّم ويذهب نقشك هباءً.

2 عجيل جاسم النَّشْمِي، المستشرقون ومصادر التشريع الإسلامي، مرجع سبق ذكره، ص: 95.

3 مكتب التَّربِّيَّة العربيَّة لدول الخليج، مناهج المستشرقين في الدِّراسات العربيَّة الإسلاميَّة، (د.ط)، المنظمة العربيَّة للتَّربِّيَّة والثقافة والعلوم، تونس، 1985م)، ج 01، ص: 83.

4 أكرم ضياء العمري، موقف الاستشراق من السِّيرة والسُّنة النبويَّة، (<https://www.noor-book.com/>)، تاريخ النَّشْر: 2004/09/25، ص: 43.

5 آجناس جولدتسيهر: المستشرق الكبير، المجريِّ الأصل اليهوديِّ الدِّين، ولد في عام 1850م، وتوفي عام 1921م، أُلِّف عن الإسلام: العقيدة والشَّريعة في الإسلام، الظاهرية ومذهبهم وتاريخهم، دراسات إسلامية، مذاهب المسلمين في تفسير القرآن. ينظر:

اجناس جولدتسيهر، العقيدة والشَّريعة في الإسلام، ترجمة وتعليق: محمَّد يوسف موسى وغيره، مرجع سبق ذكره، ص: ح- ط.

6 مثل: ليون كاتاني، وهانري لامس، وجون وانسبرو، وباتريشا كرون، ومايكل كوك، وغيرهم. ينظر: مكتب التَّربِّيَّة العربيِّ لدول الخليج، مناهج المستشرقين في الدِّراسات العربيَّة الإسلاميَّة، مرجع سبق ذكره. وعجيل جاسم النَّشْمِي، المستشرقون ومصادر التشريع الإسلامي، مرجع سبق ذكره.

يؤكد أنّ حظّ النفس هو الغالب، ولا يُمكننا إنكاره، وكان الأولى بمن يدّعي اتّباع المنهج العلميّ البحث، أن يتحلّى بالعدالة والنزاهة والإنصاف، فمن تصدر للبحث في مناهج غيره، وإصدار الأحكام عليها، ومن يعرف الحقّ ثمّ يردّه ويخصمه، وتظهر له دلائله ثمّ يدفعها ويتعمى عنها، اتّباعاً لهواه، وعصبيّة لدينه الذي يشهد عليه بأنّه مُحَرَّف، مُتَوَعَّد بقوله ﷺ: ﴿سَاصِرِفُ عَنْ ءَايَتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ ءَايَةٍ لَا يُؤْمِنُوهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغِي يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: 146]، وقد سبق بيان تشكيك العلواني في المتن.

أمّا ما تعلّق بالإسناد فقد تأسّس لأجله علم الجرح والتعديل، علم قائم بذاته، علم لم يُعرف له مثيل فيمن سبق، وأمّا المتن ونقده، فقد صنّف الزركشي كتاباً في "استدراكات عائشة على الصحابة"، وجميع هذه الاستدراكات في "نقد المتن"، وكذلك فعل عمر ومعاوية وغيرهما، والصحابة اختلفوا في مسألة الرواية بالمعنى، حفاظاً على نصّ المتن، وهو خلاف يعلمه كلّ من درس علم الحديث، فهل جهل هذا المستشرقون؟ وقد أُولِيَ علم العلل "متن الحديث" عناية خاصّة؛ حتّى كان موضوع هذا العلم هو الحديث الذي ظاهر إسناده الصّحّة، وكان العلماء يُضعّفون الحديث -أحياناً-¹ والسند صحيح جيد، ويقولون: "منكر المتن"، "شاذ"، "مضطرب"، "غريب"، "فيه ظلمة"، "يقشعر منه الجلد"، "لا يطمئن له القلب"، "فيه نكارة"، وغير ذلك من العبارات، يقول ابن الصّلاح (توفي: 643هـ): «قولهم: «هذا حديث صحيح الإسناد أو حسن الإسناد»، دون قولهم: «هذا حديث صحيح أو حديث حسن»، لأنّه قد يُقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولا يصحّ، لكونه شاذّاً أو مُعلّلاً»²، والأحاديث الموضوعية يُستدلّ على وضعها من المتن قبل الاستدلال من السند؛ لأنّ أكثر الكذّابين كانوا يسرقون الأسانيد، وكذلك شاركهم طه جابر العلواني هذه الفكرة.

وما نشأت المذاهب الفقهيّة والاختلافات بين المذاهب -في مُعظمها- إلّا بسبب نقد المتن وفهمه؛ وهذا بعد ثبوت النصّ وصحّة الإسناد، بل إنّ اتّباع المذهب الواحد تتباين أنظارتهم تبعاً لفهمهم للمتن وتفسيره، فقط الظاهرية هم من تمسّكوا بظاهر النصّ.

1 قال ابن تيمية: فإنهم - أئمة الحديث - أيضاً يضعفون من حديث الثقة الصدوق الضابط أشياء تبين لهم أنّه غلط فيها، بأمور يستدلّون بها، ويسمّون هذا "علم علل الحديث"، وهو من أشرف علومهم، بحيث يكون الحديث قد رواه ثقة ضابط وغلط فيه. ابن تيمية، مجموع الفتاوى، مصدر سبق ذكره، ج13، ص: 352.

2 ابن الصّلاح، معرفة أنواع علوم الحديث، مرجع سبق ذكره، ص: 38.

إنّ الحديث الصحيح المجمع عليه هو « ما اتصل بإسناده بالعدول الضّابطين، من غير شذوذ ولا علة¹ »، فهل جهل هذا المستشرقون؟ كيف يجهلونه وكتب علم "مصطلح الحديث" مملوءة بالقواعد الدّالة على اعتناء وحرص علماء الأئمة بالحديث سنداً ومتناً، ولو أنّ قصد المستشرقين كان نزيهاً، لما حملوا هذا العلم ما يُنكره، فلمّا تبين قيام الحجّة، ووضوح الدّليل، وصحّة البرهان بسلامة منهج علم الحديث، وسلامة منهج البحث العلميّ الحديث النّزيه، تأكّد أنّ الاستشراق حرباً وليس تبشيراً، وشهادة هؤلاء المستشرقين الضّالّين المضلّين تُسقطها شهادة أخرى تُخالفها، شهادة شاهد من أهلها، فقد قال هنري لاوس: « ... ولما انتشر الصّحابة في البلاد بعد الفتوح، أخذ النّاس عنهم الحديث، وتناوله القُصاص، ووضع بعضهم أحاديثاً وقصصاً، فانبرى لهم من العلماء رجال ميّزوا بين الصحيح والموضوع، وردّوا ما دسّه الوضّاعون، وكانت نتيجة ذلك تدوين الكتب السّنة المعتمدة² »، ومُنبرهاً قال آخر من عليّة القوم: « إنّ الدّنيا: لم تر ولن ترى أئمةً مثل المسلمين ! فقد دُرس بفضل علم الرّجال الذي أوجدوه حياة نصف مليون رجل³ ».

04- التّرويج لفكرة اعتبار الحديث المصدر الثّاني للتّشريع بعد القرآن جاءت مُتأخّرة:

وهكذا أهل الباطل لا يهدأ لهم بال ولا يستقرّ لهم قرار، كلما تُسفت شُبّهة مرّوا لأختها، والرّدّ على هذه الشّبّهة المشتركة مع غيرهم -مثل طه جابر العلواني- مبسوط في غير هذا المحلّ، ولكن لا مانع من نقل بعض ما قاله العلماء عن حُجّية السّنة النّبويّة، قال ابن عبد البرّ (توفي: 463هـ): « أصول العلم الكتاب والسّنة⁴ »، ثمّ فصّل هذا الأصل تفصيلاً تراه في محله، وقال ابن حزم (توفي: 456هـ): « فلم يسع مُسلماً يُقرّ بالتّوحيد أن يرجع إلى غير القرآن والخبر عن رسول الله ﷺ، ولا أن يأبى عمّا وجد فيهما، فإن فعل ذلك بعد قيام الحجّة عليه فهو فاسق، وأمّا من فعله مُستحلاً للخروج عن أمرها ومُوجباً لطاعة أحد دونهما فهو كافر لا شكّ عندنا في ذلك⁵ ».

1 ابن الملقّن، المقنع في علوم الحديث، تحقيق: جاويد أعظم عبد العظيم، (رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الكتاب والسّنة، كليّة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أمّ القرى، مكّة المكرمة، المملكة العربيّة السّعودية، 1403هـ)، ص: 03.

2 أحمد بن حجر آل بوطامي، الإسلام والرّسول في نظر منصفى الشرق والغرب، (ط03، مطابع قطر الوطنيّة، الدّوحة، قطر، 1398هـ)، ص: 157.

3 مصطفى صبري، موقف العقل والعلم والعالم من ربّ العالمين وعباده المرسلين، (ط02، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، لبنان، 1401هـ - 1981م)، ج04، ص: 59.

4 ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، مرجع سبق ذكره، ج02، ص: 41.

5 ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: أحمد شاكّر، (د.ط، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان)، ج01، ص: 99.

رابعاً: موقف الحداثيين من السنّة النبويّة: أسّس الحداثيون فكرهم على جرف هارٍ، بعد أن آمنوا بأنّ الهوية التي منحها لهم الغربي صائبة، وأنّ التاريخ الصحيح هو ما يرويه الآخر، لذلك نظّروا لمنظومة فكرية، وهم يحاولون جهدهم تحويلها إلى واقع، بهدف النهضة والتّقدّم، ورأوا أنّه « لم يعد ممكناً اليوم أن نتكلّم عن الاستشراق والمستشرقين كما كنّا نفعل حتّى السبعينات من القرن العشرين، وذلك من أجل رفضهم وإدانتهم والإعراض عن إنتاجهم العلميّ، بل يجب علينا أن نقوم بترجمة أهمّ الأعمال المتخصصة للدراسات الإسلاميّة والتي يُنتجها هؤلاء المستشرقون الأكاديميون بالذات، وذلك كي نتمكّن من مناقشتها على أسّس علميّة موضوعيّة لا على أساس إيديولوجي وعقائدي »¹، وهكذا نادى الحداثيون إلى ضرورة الاعتماد على الفكر الغربيّ كأساس منهجيّ علميّ جادّ، وصارت مشكلتهم مع التراث الإسلاميّ، فتعاملوا معه بالزاميّة التّجديد ورفض التّريديد، التّجديد بمفهوم التّغيير الشّامل وفق النّمودج الغربيّ، وليس بمعنى الإحياء، التّجديد على قاعدة -نحن رجال وهم رجال- بدءاً من رسول الله ﷺ، وهم مع هذا ﴿بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: 14].

وسيل الحداثة والتّجديد العرم لا يُراعي إلّا ولا ذمّة، لا مقام رسالة ولا نبوّة ولا غيرهما، وحتّى إذا تمّ -من بعضهم- قبول اعتبار السنّة النبويّة نصّاً، فلا يمكن « تحويل السنّة النبوية -النصّ الثّانوي- إلى نصّ مشرّع لا يقلّ أهميّة في دلالاته التشريعية عن النصّ الأوّل [القرآن الكريم] »²، فهو العليّة من جهته لم يأمر بجمعها كما فعل مع الوحي «(الكتاب)» وكذلك الأمر مع الخلفاء الرّاشدين، فقد فهموا أنّها كانت نتيجة تعامل مع واقع مُعيّن في ظروف معيّنة³، وإذا كانت السنّة نصّاً ثانوياً ثانياً، فإنّ اجتهادات الأجيال المتعاقبة من العلماء والفقهاء والمفسّرين تُعدّ نصوصاً ثانوية أخرى من حيث هي شروح وتعليقات...⁴، على أنّ هناك من الحداثيين من قال: «في الواقع أنّ الأحاديث النبويّة والإماميّة هي في الأصل إنتاج جماعيّ لا فرديّ»⁵، أي أنّها صناعة الأجيال التّالية لعهد النّبوة فلا اعتبار لها.

1 محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الدينيّ، ترجمة وتعليق: هاشم صالح، (ط02)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2005م)، ص: 09

2 نصر حامد أبو زيد، الإمام الشافعيّ وتأسيس الأيديولوجيّة الوسطيّة، (مؤسسة هنداوي، يورك هاوس، شيبث ستريت، وندسور، المملكة المتّحدة، 2023م)، ص: 36 و108 و189.

3 محمد شحرور، الكتاب والقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 546.

4 نصر حامد أبو زيد، الإمام الشافعيّ وتأسيس الأيديولوجيّة الوسطيّة، مرجع سبق ذكره، ص: 22 - 23.

5 محمد أركون، الفكر الأصولي واستحالة التّأصيل، ترجمة: هاشم صالح، (ط01، دار الساقبيّ، لبنان، بيروت، 1999م)، ص: 200.

إنّ الذي فعله النبي ﷺ في القرن السابع في شبه جزيرة العرب هو الاحتمال الأوّل لتفاعل الإسلام مع مرحلة تاريخية معينة وليس الوحيد وليس الأخير¹، [و]الإمام الشافعيّ هو الذي صاغ كلّ الأدلّة ... للتدليل على أنّ السنّة مصدراً ثانٍ من مصادر التشريع، وليس كلام الشافعيّ ولا أدلّته يقيناً مُطلقاً معلوماً من الدين بالضرورة²، فكلّ أمر قاله النبي ﷺ في أمور لم يرد ذكرها في الكتاب بتاتاً، وقال فيها هذا ممنوع وهذا مسموح، فمعناها أنّها أحكام مرحليّة وحدود مرحليّة لا علاقة لها بحدود الله³، وهذه ليست دعوة إلى « نزع صفة الوحيّ عن النصوص، ولا إلى إلغاء شحنتها التقديسيّة، ولا إلى إزالة آثار معانيها الروحية بالنسبة للمؤمنين »⁴، [ف]ليس هناك ما هو مُقدّس إلّا كلمات الله المباشرة من كتابه الحكيم، وما بلغه عنه رسوله الكريم⁵، [و]هكذا نفهم أنّ السنّة النبويّة هي اجتهاد النبي ﷺ في تطبيق أحكام الكتاب من حدود وعبادات وأخلاق آخذاً بعين الاعتبار العالم الموضوعي الذي يعيش فيه ... وفي هذا كان الرسول الأسوة الحسنة لنا إلى يوم الدين⁶، أي أنّ سنّة الرسول ﷺ هي منهجه في الاجتهاد لفهم القرآن حسب الظروف المحيطة، وليست لا أفعالاً ولا أقوالاً ولا تقريراً، بل هذا فهم خاطئ عشش في الأمة طيلة قرون مضت، فصارت ذليلاً بعد أن كانت صداراً، وهذا الكلام الأخير هو نفس كلام طه جابر العلوانيّ.

وهذا الكلام على علّاته يُعتبر عند البعض تجديداً وتنويراً، وما هو عند التطبيق إلّا الإفراط في التطبيع مع الغرب، دعوة إلى الانسلاخ عن التاريخ والتراث الإسلاميّ، لأنّه -بزعمهم- تراث مُظلم لا إضاءات فيه، والتّور قادم من الغرب، فهو الأسوة الحسنة، ويُمكن تكرير تجربته الحضاريّة.

إنّ مواقف الحداثيّين من السنّة النبويّة وإن كان ظاهرها التّعّدّد والاختلاف، فهي عند التّعامل معها موقف واحد، إذ جميعهم طوى صفحتها واعتبرها في حكم العدم، سواء كانت وحياً أم لم تكن، وسواء كانت مصدراً للتّشريع أم لم تكن، وسواء كانت مُعتبرة أم لم تكن، وسواء اغتبر محمد ﷺ نبياً رسولاً أم قائد ومُصلح عظيم، في جميع الحالات لا فرق، فهي إمّا في حكم اللاشيء، وإمّا في حكم المؤوّل المعنى، وإمّا في منزلة التاريخ المرحليّ الغابر الذي لا يعنينا بأيّ وجه من الأوجه.

1 محمد شحرور، الكتاب والقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 549.

2 نصر حامد أبو زيد، الإمام الشافعيّ وتأسيس الأيديولوجيّة الوسطيّة، مرجع سبق ذكره، ص: 51.

3 محمد شحرور، الكتاب والقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 552.

4 محمد أركون، الفكر الإسلاميّ قراءة علميّة، ترجمة: هاشم صالح، (ط01، مركز الإنماء القوميّ، بيروت، لبنان، 1987م)، ص: 33.

5 تركي الحمد، السياسة بين الحلال والحرام: أنتم أعلم بأمور دنياكم، (ط01، نهضة مصر للطباعة والنشر، ص: 78.

6 محمد شحرور، الكتاب والقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 553.

إنّ أهل العلم قديماً وحديثاً، لم يُساووا بين القرآن الكريم والسنة النبوية إلى حدّ التّطابق، فهم اعتبروا السنة هي المصدر الثاني للتّشريع، كما اعتبرها بعضهم، وهي في المنزلة التالية للقرآن الكريم، وإن أنكرها جُلُكم، وقد استمدّت قُدسيّتها وأهميّتها من القرآن الكريم نفسه، فهي في غنى عن آرائكم وآراء غيركم، باعتبارها الشّارحة له والمفسّرة لأحكامه، وما حفظها وتدوينها وصيانتها؛ إلّا تبع لحفظ القرآن الكريم، ولذلك حتّى النّبي ﷺ على حفظها وتبليغها، ومن ذلك قوله ﷺ: «نَضَرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ، فَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهِ لَيْسَ بِفَقِيهِ»¹، فلا أنتم سمعتم، ولا أنتم حفظتم، ولا أنتم بلّغتم، ولا أنتم فقهتم!

وأهل العلم لم يعتبروا محمداً ﷺ مجرّد شخصيّة فذّة، وقائد عظيم، ورجل دولة، وعسكريّ بارع، وحاكم عادل، ومفكّر مُبدع، وعبقريّ فيلسوف، وعالم واسع الاطلاع، ومُشرّع مُتمرّس، وأديب لا يُضاهي، وصاحب التجربة الرّائعة، وغيرها من الأوصاف التي ركنتم لها نقلاً عن غيركم، فقط تحبباً لوصفه بالنّبي الرّسول، ولو كنتم مُنصفين صادقين لكانت هاته الصّفات وغيرها دليلكم إلى نبوّته ورسالته، ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: 46].

خامساً: موقف العقلانيّين المعاصرين من السنة النبوية: يُعتبر الموقف من النّص الشّرعيّ الأصل المنشئ للآراء والاجتهادات، وبمجرّد الاطلاع على مؤلّفات العقلانيّين المعاصرين نجد الكثير منهم يردّ السنة النبوية الصّحيحة بزعم أنّها تتعارض مع القرآن الكريم أو مع العقل أو مع المصلحة، وقد مثلت المنار المدرسة العقلانيّة وحملت رايّتها.

وتجدر الإشارة إلى أنّ عرض موقف المدرسة العقلانيّة الحديثة من السنة النبوية ليس كعرض موقف من سبق، فمن سبق لا خلاق لهم ولا كرامة، أمّا هؤلاء فمنهم من ينتسب إلى العلم الشّرعيّ، ومنهم من تصدّر للدّعوة، ومنهم أهل الفكر والثّقافة، وهم جميعاً مُنتشرون في المؤسّسات العلميّة والتعليميّة والإعلاميّة، وهم ممّن يحسن بهم الظّنّ ويُرجى لهم الخير.

ومن تلاميذ مدرسة المنار البارزين محمّد الغزاليّ (توفي: 1416هـ)، وقد أكّد ذلك بنفسه فقال: «وأنا أحد تلامذة (المنار) والمستفيدين من تفسيره»²، وقال عن زوادها: «إنّ الرّجال الثلاثة: جمال الدّين ومحمّد عبده ومحمّد رشيد رضا قادة الفكر الواعي الذّكيّ في القرن الأخير»³،

1 تقدّم تخرجه.

2 محمّد الغزاليّ، مقالات محمّد الغزاليّ، جمع: عبد الحميد حسّانين حسن، (ط04)، دار نهضة مصر للطباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، (2005م)، ج03، ص: 16.

3 محمّد الغزاليّ، علل وأدوية، (د.ط، مطابع الشروق، القاهرة، مصر، د.س.ط)، ص: 90.

وأضاف قائلاً: « وقد بذلت مدرسة المنار جهوداً متصلة لتصحيح المعرفة الدينيّة، فحاربت التقليد المذهبيّ الجامد كما حاربت الأحاديث الضعيفة وضبطت داخل الهداية القرآنيّة الأحاديث الصّحاح، وطاردت قضايا كلاميّة، وتضليلات سياسيّة¹، وهو بهذا انتسب لها وزكاها وزكى زوادها.

وما دفع الباحث لاختيار محمّد الغزاليّ (توفي: 1416هـ) -نموذجاً للمدرسة العقليّة المعاصرة- بالإضافة إلى شهرته وبصمته التي لا تُنكر، علاقته بالمعهد العالميّ للفكر الإسلاميّ عموماً، فقد عرض عليه المعهد رئاسة المجلس العلميّ لمكتب المعهد في مصر، فوافق من مُنطلق رؤيته أنّ « المعهد وفكره امتداداً حقيقياً لمسيرة الحركة الإصلاحية، وتمّ التفاهم على جدول زمنيّ يعود الشيخ فيه إلى مصر، ليكون رئيس المجلس العلميّ لمكتب المعهد فيها، وواحداً من أبرز مستشاريه وموجهي مسيرته، وقد كان (المجلس العلميّ) لمكتب المعهد في القاهرة يضمّ نخبة من المفكرين، لا على مستوى مصر وحدها، بل على مستوى أعمّ وأشمل ... وفي هذه المرحلة أعدّ الشيخ دراساته القيّمة في كنيّة التعامل مع القرآن، وكنيّة التعامل مع التراث الإسلاميّ، وقضايا الفنون وموقف الإسلام منها، وكثير من القضايا الأخرى. وصدر له عدد من الكتب المهمّة هي: كيف نتعامل مع القرآن والسنة النبويّة بين أهل الفقه وأهل الحديث، والتفسير الموضوعي، وتراثنا الفكريّ في ميزان الشرع والعقل، وما يقرب من ألف محاضرة ومقالة كبيرة وصغيرة².

ثمّ علاقته بطه جابر العلوانيّ بوجه خاصّ، والتي « بدأت في وقت مُبكر من أيّام دراسته في الأزهر واستمرّت حتّى وفاة الشيخ رحمه الله³، وقد نشر العلوانيّ مقالة في مجلة إسلاميّة المعرفة تحت عنوان: شيخنا محمّد الغزاليّ رحمه الله وصفحات من حياته، وفي هذا الوصف إشارة من العلوانيّ إلى انتسابه للشيخ الغزاليّ، وتلميح إلى مدى تأثر العلوانيّ بمنهجه، خاصّة في مسألتي إحياء الفكر الإسلاميّ الصّحيح وكنيّة التعامل مع القرآن والسنة النبويّة.

لقد حدّد الغزاليّ (توفي: 1416هـ) قواعد عامّة للحكم على الحديث صحّة وضعفاً، قبولاً ورفضاً، فقال: « إنّ أيّ حديث يخالف روح القرآن، أو نصّه، فهو باطل من تلقاء نفسه⁴، وقال: « إنّ الحكم على الحديث الدينيّ لا يُؤخذ من حديث واحد مفصول عن غيره، وإنّما يُضمّ الحديث إلى الحديث، ثمّ تُقارن الأحاديث المجموعة بما دلّ عليه القرآن، فإنّ القرآن هو الإطار الذي تعمل

1 محمّد الغزاليّ، الغزو الثقافيّ يمتدّ في فراغنا، (د.ط، مطابع الشروق، القاهرة، مصر، د.س.ط)، ص: 37.

2 محمّد الغزاليّ، مقالات محمّد الغزاليّ، مرجع سبق ذكره، ص: 06.

3 طه جابر العلوانيّ، شيخنا محمّد الغزاليّ رحمه الله وصفحات من حياته، مجلة إسلاميّة المعرفة، العدد: 07، ص: 02.

4 محمّد الغزاليّ، هذا ديننا، (ط05، دار الشروق للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1421هـ)، ص: 210.

الأحاديث في نطاقه لا تعدوه»¹، وكأنّ كلام الغزاليّ (توفي: 1416هـ) هذا طرق سمع الشاطبيّ (توفي: 790هـ) فردّ عليه قائلاً: «التعارض إمّا أن يعتبر من جهة ما في نفس الأمر، وإمّا من جهة نظر المجتهد، إمّا من جهة ما في نفس الأمر مغير ممكن بإطلاق»²، فيبقى الممكن هو الاحتمال الثاني فقط.

والذي قاله الغزاليّ عن الحكم على صحّة الحديث وضعفه لم ينفرد به، بل هو منهج قالت به مدرسة المنار، وهو قول طه جابر العلوانيّ، «ولما انتشرت ظاهرة ردّ الحديث بزعم معارضة نصّ القرآن، وصارت مطيّة يسهل ركوبها، حذّر القرضاويّ من التوسّع في دعوى معارضة الحديث للقرآن دون أن يكون لذلك أساس صحيح»³.

لقد كشف العصر الحديث عن اتجاهات متعدّدة المشارب والأهداف، اتّجاهات جمعتها المغالاة في تقديس العقل وجعله مصدراً يسبق غيره للمعرفة، ولأنّ المصائب لا تأتي فرادى، عانت السنّة النبويّة من الاتّجاه العقلائيّ الإسلاميّ بقدر مُعاناتها من غيره، وبحجّة معارضتها للقرآن الكريم! قال ابن القيم (توفي: 751هـ): «ولا يمكن الرّدّ على أهل الباطل إلّا مع اتّباع السنّة من كلّ وجه، وإلّا إذا وافقها الرّجل من وجه، وخالفها من وجه، طمع فيه الخصوم من الوجه الذي خالفها فيه، واحتجّوا عليه بما وافقهم فيه من تلك المقدمات المخالفة للسنّة، ومن تدبّر عمّة ما يحتجّ به أهل الباطل على من هو أقرب إلى الحقّ، وجد حجّتهم إنّما تقوى على من ترك شيئاً من الحقّ الذي أرسل الله به رسوله، وأنزل به كتابه، فيكون ما تركه من الحقّ حجّة للمبطل عليهم... فالسنّة حصن الله الحصين من دخله كان من الآمنين، وصراطه المستقيم الذي من سلّكه كان من الواصلين، وبرهانه المبين الذي من استضاء به كان من المهتدين، فمن وافق مُبطلاً على شيء من باطله جرّه بما وافقه منه إلى نفي باطله»⁴، ويتأكّد هذا حين تقرأ لعلمانيّ ليبراليّ «أنّ من المساهمات الإصلاحية الإسلامية تأصيلها بعض موضوعات الفكر الليبراليّ»⁵، وقد قال عمر بن الخطّاب رضي الله عنه: من أقام نفسه مقام التّهمة فلا يلومنّ من أساء به الظّنّ.⁶

1 محمد الغزالي، السنّة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، مرجع سبق ذكره، ص: 118.

2 الشاطبيّ، الموافقات، مرجع سبق ذكره، ج4، ص: 294.

3 ينظر: يوسف القرضاويّ، كيف نتعامل مع السنّة النبوية، (ط02، دار الشروق للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1423هـ - 2002م)، ص: 119.

4 ابن قيم الجوزيّة، الصواعق المرسلة على الجهميّة والمعتلّة، مصدر سبق ذكره، ص: 1255.

5 عبد الإله بلقيز، العرب والحداثة، (ط01، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، لبنان، 2007م)، ص: 83.

6 الخرائطيّ، مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها، (ط01، مكتبة الرشد، الرياض، السّعودية، 1427هـ-2006م)، ص: 477.

المبحث الثالث

دعائم التفسير الموضوعي عند طه جابر العلواني

المطلب الأول: عوامل أساسية في المنهج التفسيري عند طه جابر العلواني
المطلب الثاني: أدوات عملية استجلاء معاني القرآن عند طه جابر العلواني
المطلب الثالث: قواعد أساسية لتفسير القرآن الكريم عند طه جابر العلواني

المبحث الثالث: دعائم التفسير الموضوعي عند طه جابر العلواني

انطلاقاً من عرض المباحث السابقة يتضح جلياً أنّ طه جابر العلواني اهتم بكلّ الجوانب المتعلقة بمرحلة ما قبل ولوج القرآن الكريم، ويظهر من خلال استقراء تفسيره وبعض كتبه؛ استعانتة بدعائم ووسائل أساسية يركز عليها في تفسيره، ويرسم من خلالها رؤية كليّة ينطلق منها، ويسير في حدودها، ومن هنا برزت للعلواني مجموعة من العوامل والأدوات والقواعد الأساسية لتفسير القرآن بالقرآن تفسيراً يستوعب التفسير الموضوعي ويزيد عليه.

وسيعمل الباحث على تحديد جميع دعائم التفسير الموضوعي عند طه جابر العلواني، ليشعر بعدها في دراسة التفسير الموضوعي في تفسيره عن بيّنة وعلم، وسيّضح معها مدى استعانتة واعتماده على مشروعه، وكيفية توظيفه لدعائمه، ودرجة التزامه بها.

المطلب الأول: عوامل أساسية في المنهج التفسيري عند طه جابر العلواني

يُعدّ كتاب تفسير القرآن بالقرآن لطله جابر العلواني تجربة تحتاج الكشف عن كلّ ما يتعلّق بها، وذلك أنّها تجربة جديدة لها مقوّمات خاصّة بها، فلم يكن العلواني من نوع المفسّرين الذين مارسوا التفسير بتلقائيّة، دون أن يحدّد ويميّز ما يريد، لذا ينبغي قراءة تفسيره بإمعان، بعيداً عن أيّ أفكار مُسبقة، وفي إطار بُعديه الزماني والمكانيّ.

وللوقوف بدقّة وتفصيل على جوهر هذا التفسير، لم يُغفل الباحث ميزة من أهمّ ميزات هذا التفسير، وهي العوامل الأساسية ذات الفاعليّة المباشرة في منهجه التفسيريّ، والتي رعاها طه جابر العلواني حقّ رعايتها، لأنّها الأسباب المؤثّرة، والقوى والمواد التي تُحدّث تغييراً، وهذه العوامل هي:

العامل الأول: القرآن هو النّبيّ المقيم بين البشريّة: استهلّ طه جابر العلواني مقدّمة تفسيره بقوله: « ثمّ أمّا بعد: فإنّ القرآن الكريم قد يسّره الله للذكر، وجعله نبياً مقيماً، يُخاطب به الأحياء، كما يُخاطب به من هم في حكم الأموات ليعثّ فيهم الحياة، ويوجد فيهم حقيقتها »¹، فالقرآن « يقوم مقام النّبوات كلّها ومقام النّبيّين كافّة، وهو في البشريّة الآن بمثابة النّبيّ المقيم بين ظهري النّاس، يستطيعون العودة إليه والرجوع إليه في كلّ حين ... »²، وهذا سيقود العلواني للاستغناء بالقرآن عن غيره، وهو إذا وظّف السنّة النّبويّة فلا تُها سنّة قرآنيّة، لها أصل في القرآن الكريم، وللدّعوة إلى الاعتقاد اليقينيّ « أنّ القرآن المجيد جعله الله تبارك وتعالى فينا بعد رسوله، وبعد ختم النّبوة ليكون النّبيّ المقيم

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 11.

2 المرجع السابق، ص: 49.

والرسول الخالد»¹.

إنّ للقرآن أوصافاً كثيرةً وصفه الله تعالى بها، فالقرآن كلامه، وهو سبحانه أعلم بكلامه وما يستحقّه من الأوصاف، ووصفه بها رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، وفضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله تعالى على عباده. يقول طه جابر العلواني: « وقد وصف الله ﷻ كتابه الكريم بأوصاف كثيرة، تقارب الأربعين وصفاً ... وما أكثر الأحاديث التي وصفت القرآن، ودارت حول الآيات التي وصف القرآن الكريم نفسه بها »²، ونحن فعلاً عندما نتحدث عن صفات القرآن وكذلك أسمائه، نعتمد ونستند في تحديد الاسم أو الصفة، على قول المولى ﷻ في كتابه المنزل، وعلى ما صحّ عن نبيه ﷺ، ولا نستند في ذلك على الروايات والآثار أو توصيف المخلوق له، فهل وجد العلواني ضمن هذه الأوصاف وصف القرآن بأنّه نبيّ مقيم؟!

إنّ الله ﷻ هو من خصّ الأنبياء برتبة النبوة العلية، وهو ﷻ من منحهم تلك الوظيفة السنية، وهو ﷻ من اصطفاهم واختارهم من بين سائر عباده ليقوموا بتلك الخدمة المرضية، ومن تمام الأجر لهم دوام الفضل عليهم، قال ﷻ: « إذا مات ابنُ آدمَ انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقةٍ جارية، وعلمٍ يُنتفعُ به، وولدٍ صالحٍ يدعو له »³، فهل يوجد علم يُنتفع به كعلم الأنبياء؟!

يقول ابن القيم (توفي: 751هـ): « فقد بيّن الله - سبحانه - على لسان رسوله بكلامه وكلام رسوله جميع ما أمره به، وجميع ما نهى عنه، وجميع ما أحله، وجميع ما حرّمه، وجميع ما عفا عنه، وبهذا يكون دينه كاملاً كما قال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾ [المائدة: 03] »⁴، فالقرآن كتاب تشريع بالأساس، والدّين الإسلاميّ من حيث التشريع والعبادات تمّ وكمل، والنبيّ ﷺ أدّى الرسالة وبلّغ الأمانة، ومن هنا؛ فوظيفة المجدّد إحياء الدّين ليعود كما كان يوم شهد الله له بهذا الكمال والتّمام، وليس اتّخاذ القرآن نبيّاً، يرجع إليه كلّ حين، مع أنّ الرجوع إلى القرآن من أسما المطالب، والفزع إليه عمل صائب، ولكنّه رجوع وفزع وفق الأصول والقواعد والضوابط، وعلى رأس ذلك كلّ حفظ مقام النبوة.

1 طه جابر العلواني، حوارات مع القرآن، (ط01، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والرحمة، القاهرة، مصر، 1435هـ - 2014م)، ص: 46.

2 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 21.

3 أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، برقم: (1631).

4 ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين، مرجع سبق ذكره، ج01، ص: 250.

العامل الثاني: القرآن كتاب مطلق¹ كوني: يقول طه جابر العلواني وهو يصف القرآن الكريم: « ولكن هذا القرآن كتاب مطلق كونيّ معادل للكون وحركته، مُستوعب لهما، لا يُحيط به تفسير ولا تأويل -ولو تضافرت عليهما الجهود- بل يُحيط الله وحده ﷻ به²، ويؤمن العلواني بأن القرآن الكريم أخذ صفة الإطلاق التام، فأياته وأحكامه تأخذ حكم العموم، ولا تخصيص فيها، وأما كونيّته وعده كتابا يعادل الكون المنظور فلأنّه « الكتاب الكونيّ، وليس ثمة كتاب كونيّ في الوجود سواه الآن ... والذي لا تعبير عن مراد الله تعالى سواه³. »

ولقد وعت الأمة المسلمة وحفظت توجيهات كتاب ربّها بضرورة النظر والتفكير والتدبر والبحث في الكون، فتفاعلت مع هذه التوجيهات والهدايات الربّانية، فالكون كتاب مفتوح وعامل إيجابيّ في تدعيم الإيمان وتثبيت ركن العقيدة، ولذا وجدنا من علمائنا من جمع بين الحُسنيين، فيجمع العالم بين علوم الدّين وعلوم الدّنيا، ويرع فيهما ويكون له السّبق، فأحسنوا وأبدعوا.

ووجه كون القرآن كتاباً كونيّاً عند طه جابر العلواني، بل الكتاب الكونيّ الوحيد الذي لا يُوجد سواه، هو أنّ « القرآن المجيد قد تعامل مع الكون من جميع جوانبه، فقد تعامل معه باعتباره لا متناهيّاً في كبره واتّساعه وتوليده وصيرورته وفقاً لقوانين تجعله رغم ذلك محدّداً مسخّراً خاضعاً لسلطان الله ﷻ وعلمه ﷻ المحيط به، كما تعامل القرآن مع الكون باعتباره لا متناهيّاً في صغره كذلك والذي يصل إلى حدّ التّلاشي بعد الانتهاء من أداء الدّور في الحياة، والفرق بين الإنسان والطّبيعة في الاستخلاف وحمل الأمانة، وإلاّ فهو لم يفارقها في كونه خُلق منها وإليها يعود، ومنها يخرج للحياة مرّة أخرى⁴. »

والبحث عن حقائق الكون في نظر القرآن مُهمّة الإنسان مادام على ظهر الأرض، لأنّه وسيلته إلى معرفة أمور دينه ودنياه، ولهذا أمدّ الله الإنسان بسلطان الحسّ والعقل، ليتبيّن له الحقّ في شأنه كلّ، قال تعالى: ﴿ سَرِّهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [فصلت: 53]، ولهذا شدّد العلواني على ضرورة انتهاء الأُمَّة عن هجرها للقرآن الكريم، هجر المعنى لا هجر اللفظ، ودعا إلى ضرورة الحوار مع القرآن حواراً مباشراً ومستمرّاً، وتبني المنهج القرآنيّ القائم أساساً

1 يقول طه جابر العلواني: أمّا المطلقات فهي ثلاث: القرآن، والإنسان، والكون. وذلك لأنّ المراد بالمطلق: الحقيقة الدّائمة المستمرة التي لا تبديد إلّا في أجل يُحدّده الخالق -جل شأنه-. طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 329.

2 المرجع السابق، ص: 26.

3 المرجع السابق، ص: 40.

4 طه جابر العلواني، معالم في المنهج القرآنيّ، مرجع سبق ذكره، ص: 118 - 120. باختصار.

على التحلية والتحلية.

العامل الثالث: توظيف العقل عملياً لتدبر القرآن الكريم: لا يخفى من خلال الاطلاع على تفسير العلواني، مدى الاهتمام الذي يُعطيه للعقل، فهو يريد من العقل أن يكون عملياً، بحيث « يُقبل القارئ المؤهل الذي هيأ قوى وعيه ووسائل إدراكه لتدبر القرآن الكريم بعقل عملي لديه من المعرفة والاستعدادات ما يُعينه على تدبر هذا الخطاب، ومعرفة المراد منه»¹، ولتوظيف العقل في عملية تدبر الخطاب الإلهي، اقترح العلواني في العبارة السابقة ما يلي:

أ- إقبال القارئ المتدبر على القرآن الكريم: يُسمي طه جابر العلواني المفسر قارئاً²، ويُسمي التفسير تدبراً، أي أنه يرى المفسر قارئاً مُتدبراً، وهذا يدفع الباحث للتركيز على علاقة القراءة بعلم التفسير، وهل فعلاً يُسمى القارئ مُفسراً؟ والظاهر أنه ثمة خلط بين مفهومي القراءة والتلاوة عنده، « فكل تلاوة قراءة وليس كل قراءة تلاوة، والآيات القرآنية التي ورد فيها لفظ التلاوة تُوضح هذا المعنى الدقيق، وأن التلاوة مصطلح ديني يعني اتباع آيات القرآن الكريم، اتباعاً عقلياً يقتضي التدبر له والعمل به»³.

يقول الفيروزآبادي (توفي: 817هـ) عن سبب تسمية القرآن قرآناً: « ومنه سُمي القرآن لأنه يجمع السور فيضمها، وقيل: سُمي به لأنه جُمع فيه القصص والأمر والتهوي والوعد والوعيد، أو لأنه جامع ثمرة كتب الله المنزلة، أو لجمعه ثمرة جميع العلوم »⁴، فالقرآن جامع لثمرة جميع العلوم، وهو يجمع ولا يفرق، وكذلك القراءة في أصلها اللغوي تأتي بمعنى الضم والجمع، وهي بمعنى ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل⁵، واصطلاحاً هي علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة⁶، ولم تأت بمعنى التدبر.

ب- تهيئة قوى الوعي لتفسير القرآن الكريم: لقد استخدم مصطلح الوعي في التفكير

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 16.

2 جاء في المعجم الوسيط أن معنى قرأ: تنسك وتفقه، والقارئ هو المتنسك، والقراء: الناسك المتعبد. ينظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مرجع سبق ذكره، ص: 722.

3 ينظر: الزاغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مصدر سبق ذكره، ص: 75.

4 الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، (ط03، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، مصر، 1416هـ - 1996م)، ج04، ص: 263.

5 الكفوي، الكليات، مرجع سبق ذكره، ص: 703.

6 ابن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ج01، (د.ط، مكتبة القدسي، القاهرة، مصر، 1350هـ - 1931م)، ص: 03.

الفلسفي ليس فقط للدلالة على الوعي بالذات، بل على الذات الواعية نفسها مقابل الموضوع الذي تكون الذات على وعي به¹، وهذه الاستعمالات في مجالات الحياة المختلفة تفرض الانتباه الكبير عند استعمال هذا المصطلح الديني والتفسي والاجتماعي والفلسفي، وغير هذا، ولقد تمّ تحديد قوى الوعي عند العلواني وسيأتي بيّانها، وأمّا الآن؛ بيان طرائق تهيئة قوى الوعي لدى المفسّر.

ومن طرائق تهيئة قوى الوعي التي اشترطها طه جابر العلواني للتدبّر، طهارة قوى الوعي بتنزيه العقل عن كلّ ما يعلق به من شوائب الانحراف عن الفطرة السليمة، وعن الوظيفة الأصلية والسامية له، فالمفسّر المتدبّر يجب أن يكون في حالة من اليقظة والقدرة على الفهم والإدراك العقليّان لما في القرآن، ومعرفة ما وراء الظواهر، وهنا بمقتضى الاضطرار ستبرز الاحتمالات، ويبرز الصواب والخطأ. في حين أنّ المخاطب - بالخطاب القرآني - يتّجه للبحث عن دور له في ذلك الخطاب يُعمل فيه ذهنه وخياله، ويُمارس فيه نشاطه الإنساني².

وقد أورد العلواني في هذه العبارة الوجيزة عدّة طرائق لتهيئة قوى وعي المفسّر لولوج القرآن الكريم، فذكر ما يمكن ترتيبه فيما يلي:

- طهارة قوى الوعي بتنزيه العقل من الانحراف عن فطرته السليمة.
- لزوم الوظيفة الأصلية والسامية للمفسّر والحذر من مجافاتها.
- ممارسة النشاط الإنسانيّ المبنيّ على أعمال الذهن والخيال.
- اليقظة والقدرة على الفهم والإدراك العقليّان.
- معرفة ما وراء الظواهر أي معرفة باطن القرآن.
- مراعاة البروز الاضطراريّ للاحتتمالات الصّائبة أو الخاطئة.

والذي شدّ الباحث من جملة هاته الطرائق، وهي كلّها طرائق تجلب الانتباه لكونها تعتمد على مجرّد العقل الإنسانيّ اعتماداً مُفرطاً، على أساس اشتراط تنزيه العقل من الانحراف عن الفطرة السليمة! وكأنّ خطأ المفسّرين مُرتبط فقط بعدم انحرافهم عن الفطرة!

قلت: الذي شدّ الباحث هو آخر ما ذكره العلواني من عبارة: « بمقتضى الاضطرار ستبرز الاحتمالات، ويبرز الصواب والخطأ »، والاحتمالات في التفسير نظريّة لها دعاها وروادها، بل إنّ التفسير الاحتماليّ نفسه يمكن اعتباره نوعاً من التفسير، لذا فإنّه بمقتضى الاضطرار يجب مناقشة هذا

1 ميخائيل إنورد، معجم مصطلحات هيقل، ترجمة وتعليق: إمام عبد الفتاح إمام، ص: 126.

2 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 17. بتصرف.

القول لطله جابر العلواني، فالاحتمال في التفسير بابٌ خطير في القول على الله بغير علم إذا هو بُني على مجرد الرأي.

والاحتمال في الاصطلاح اتّسع الأمر لقبول عدّة وجوه من التأويل¹، قال السيوطي (توفي: 911هـ) في الإتيان ما نصّه: « كلّ لفظ احتمل معنيين فصاعداً فهو الذي لا يجوز لغير العلماء الاجتهاد فيه، وعليهم اعتماد الدلائل دون مجرد الرأي، فإن كان أحد المعنيين أوضح وجب الحمل عليه إلّا أن يقوم الدليل على إرادة غيره، وإذا تساوى والاستعمال فيهما حقيقة لكن في أحدهما لغويّة، أو عرفيّة، وفي الآخر شرعيّة، فالحمل على الشرعيّة أولى، إلّا أن يدلّ الدليل على إرادة اللغويّة ... ، وأبرز ما يُمكن استنباطه من هذا الكلام النفيس هو أنّ:

- احتمال اللفظ ذاته لأكثر من معنى، أو دلالة لغويّة، أو معنويّة، أو شرعيّة.
- كلّ لفظ يحتمل من المعنى وجهين من الاحتمال فأكثر، وبهذا يخرج الاحتمال عن مفهوم الاختلاف بنوعيه، ويخرج أيضاً عن زيادة قول حادث.
- مظانّ الاحتمالات الاجتهاد، فتقلّ في المحكم وتكثر في المتشابه.
- الاجتهاد ليس لكلّ أحد لا يُفرّق بين دلالات الألفاظ ومقاصدها، ولكن هو لمن علم المحكم والمتشابه، وبلغ من العلم قدراً كبيراً.
- عدم صرف المعاني والدلالات عن ظواهرها إلى الاحتمالات إلّا في حال توافر القرائن والدلائل، وليس لمجرد الرأي وتهيئة قوى الوعي.
- الحمل على المعنى الظاهر واجب، وهو مع ذلك قد يختلف باختلاف المجتهدين وقدراتهم، وهذا اختلاف مقبول. وغير المقبول هو التّركيز على طلب معرفة ما وراء الظواهر.
- المعاني والمدلولات تدور مع الأدلّة والقرائن لا مع مجرد اليقظة والقدرة على الفهم والإدراك العقليّان.

- احتمال تساوي المعاني والدلالات، ولهذا صورتان؛ الصّورة الأولى: تساوي المعاني والألفاظ حقيقة ومجازاً، فتحمل عليهما معاً حتّى يترجّح أحدهما على الآخر، والصّورة الثانية: أن تكون المعاني والدلالات حقيقة لكن في أحدهما لغويّة، أو عرفيّة، وفي الآخر شرعيّة، فالأولى حمله على الشرعيّة،

1 أحمد بن إسماعيل الكوراني، الدّر اللوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: سعيد بن غالب كامل المجيدي، (د.ط، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السّعوديّة، 1429هـ - 2008م)، ج4، ص: 243.

إلا أن يدلّ الدليل على غير ذلك».¹

فلاحتمال عند المفسرين -فيما يرى الباحث- وسط، وهو في درجة دون الإجماع وفوق الاختلاف؛ ففي الإجماع لا احتمال في نفس الأمر لثبوت الإجماع، وعند المفسر لوجوب عدم مخالفة الإجماع، وفي الاختلاف فلاحتمال يرجع لأسبابه المعروفة والمعقولة والتي ترتبط بالنص واللغة، وهي أسباب كانت موجودة عند المتقدمين، فإن كان خلاف تنوع فالواجب إعمال الجمع بين المعاني والدلالات، وإن كان خلاف تضاد فهو يحتاج إلى التّرجيح بينها، أمّا فيما يخص الآيات التي تحتمل احتمالاً يُجيزه النصّ، ولا تعارض بين الأقوال في معانيها؛ فقد يُقبل أن تكون مُحتملة للقولين، ولعلّ ذلك من أوجه إعجاز القرآن الكريم، ودليل على دوام حفظ الله ﷻ له. والله أعلم.

وجعل طه جابر العلواني للوعي قوانين ثلاثة يُمكنها إيقاظ كوامن المفسر إن هي لامست إمكانات الوعي، فثُرّشه للوحي الهادي، وهذه القوانين هي: «الفكر، والعقيدة السليمة، والجمع بين القراءتين، والفكر عبارة عن حركة الذهن وجولاته فيما هيّاه النظر من المقدمات المدركة، حسية كانت أم شرعية، أم عقلية أم عرفية أم لغوية، لتحصل من خلال ذلك على معقول أو مُدرك لا تجده بذاته بارزاً أو ظاهراً في أية مُقدمة من تلك المقدمات، أي أنّ الفكر هو القوة القادرة على الإجابات السليمة عن سائر الأسئلة التي تواجه الإنسان.

ومن خصائص هذه الأمة أن يقوم بناؤها على ((رؤية كلية)) ثمّ عقيدة دينية، فعن العقيدة تنبثق أفكارها، وعليها يقوم نموذجها الكلّي، وكلّ ما يتفرّع عنه من نماذج جزئية، وإليها تستند منهجيتها، وشريعتها، وعلى دعائمها تنهض حضارتها، وتبني ثقافتها وتقدّم مفاهيمها وتنشأ علاقاتها...

والجمع بين القراءتين بمستوياته الثلاثة (قراءة كتاب الوحي، قراءة كتاب الكون، قراءة الكتابين معاً) يكشف عن قوانين الحركة الاجتماعية والتاريخية والسنن الإلهية في الكون والإنسان، في الأفراد والجماعات، في النظم والعلاقات، في الثقافات والحضارات»²، فالوعي -حسب العلواني- يقوم على عقل وعقيدة يقرأ بهما الإنسان القرآن والكون معاً، والعقيدة حسبه راسخة في القلوب.

ت- تجنيد العقل المقاصدي: انطلق طه جابر العلواني في مشروعه القرآني لإعادة بناء الأمة وعمرانها؛ من ضرورة بناء العقل المقاصدي التّعليليّ القادر على اكتشاف ضوابط الوحي، ومقاصد الشرع، وسنن الكون، وقوانين الخلق، لأداء مهمّة الاستخلاف، والقيام بأمانة الابتلاء، وتحقيق

1 السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مرجع سبق ذكره، ج2، ص: 61. بتصرف.

2 طه جابر العلواني، نحو منهجية معرفية قرآنية، مرجع سبق ذكره، ص: 102 - 108. باختصار.

العرمان والشهود الحضاري¹.

وإذا كان العقل المقاصديّ التعليليّ هو العقل الذي يُدرك أنّ « غرض المفسّر بيان ما يصل إليه أو ما يقصده من مراد الله تعالى بآتمّ بيان يحتمله المعنى ولا ياباه اللفظ من كلّ ما يوضّح المراد من مقاصد القرآن، أو ما يتوقّف عليه فهمه أكمل فهم أو يخدم المقصد تفصيلاً وتفرّيعاً »²، فهذا أمر، أمّا إذا كان العقل هو الأساس الذي يُعتمد عليه في فهم القرآن، بحجّة أنّ رسول الله ﷺ لم يقيم بوضع تفسير للقرآن خارج عمله به - سبق نقل قول العلوانيّ هذا-، وترك باب التفسير مفتوحاً تلجّه العقول بقوى وعيها، فهذا الأمر مردود، فنحن بالعقل؛ نجد أنّ المفسّر لأيّ كتاب لا يُبين إلّا ما غمض من ذلك الكتاب، أمّا ما كان واضحاً في نفسه ولا يحتاج لبيان فلا يحتاج إلى شرح، على أنّه كما قال ابن تيمية (توفي: 728هـ): « يجب أن يُعلم أنّ النبي ﷺ بيّن لأصحابه معاني القرآن كما بيّن لهم ألفاظه »³، علم هذا من علمه وجهله من جهله.

وحاول طه جابر العلوانيّ رسم حدود لتوظيف العقل عند تفسير القرآن الكريم، من خلال حصّره للمقاصد العليا الحاكمة للقرآن، ودعوته لتفسير القرآن في ضوء وحدته البنائية، وتوظيف مدخل الجمع بين القراءتين، وبالسنة القرآنية، وبرؤية شاملة نظّر لها بإسلامية المعرفة، كلّ هذا دون مُسلّمات ثرائية تُضاف مع القرآن، مع فتح إمكانية النقد والمراجعة الشاملة للتراث الإسلاميّ !

ث- توظيف المعرفة والاستعدادات: إنّ المؤمن عندما يُداوم على التدبّر تنشأ عنده ملكة عظيمة وهي حبّ التفكير، والتعرّف على الأشياء وفهمها، وبالتالي يُدع في المجالات الأخرى، فيسعى للمعارف ولأن يكون مستعدّاً لكلّ لقاء ولكلّ جلسة مع القرآن الكريم، ويوظّف ما منّ الله عليه به من معرفة، وما أكسبه من استعدادات مختلفة للتدبّر، فيكون التدبّر مُتطلباً للمعرفة والاستعداد ابتداءً، ثمّ مُنشئاً لها بتحريك العقل وتوظيف طاقاته، وتنمية مهاراته في البحث وبالبحث، انتهاءً.

والتفاعل الكبير بين أفكار المتدبّرين مع كتاب الله تعالى، ولو كانوا من سلك العلوم الأخرى، أمر جليّ، وأثمر الإبداعات، والتّاريخ يشهد لعلماء المسلمين وما قدّموه للبشريّة من علوم وفنون، كالكيمياء، والرياضيات، والطّب، والحساب، والفلك، وغيرها من العلوم، فكتاب الله به مفاتيح الخير كلّها، فيا سعادة من تدبّره وعمل به.

1 اسماعيل الحسيني، مقاصد الشريعة والاجتهاد في المغرب الحديث، (د.ط، الرابطة المحمدية للأبحاث، الرباط، المغرب، 2010م)، ص: 05.

2 محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سبق ذكره، ج 01، ص، 39 - 41.

3 ابن تيمية، مقدّمة في أصول التفسير، مرجع سبق ذكره، ص : 35.

ج- التدبّر: التدبّر يعني النظر في عاقبة أو منتهى الشيء¹، وهو مأخوذ من النظر في دبر الأمور، جاء في التعريفات: « التدبّر عبارة عن النظر في عواقب الأمور، وهو قريب من التفكير، إلا أنّ التفكير تصرف القلب بالنظر في الدليل، والتدبّر تصرفه في العواقب »²، وزاد الشوكاني (توفي: 1250هـ) أنّ التدبّر استعمل في كل تأمل³، وبذا يكون التدبّر تفكير في خواتيم الأمور المعنوية لتنظيمها وتقييمها وتقويمها، ويكون بينه وبين التفكير والتأمل حدّ جامع، ولكنه حدّ لا يصل لدرجة الترادف.

والتدبّر المأمور به في القرآن عامّ، يشمل المؤمنين، والمنافقين، والكافرين، فالخطاب القرآني استهدف الجميع، ومعلوم أنّه لا يستفيد العبد من القرآن الكريم ما لم يتدبّره ويتمعن في معانيه، ثمّ يُحوّل هذا التدبّر إلى عمل ومنهج حياة، وأوّل الأعمال الإيمان به، قال السيوطي (توفي: 911هـ): « وتُسَنُّ القراءة بالتدبّر والتفهم فهو المقصود الأعظم، والمطلوب الأهمّ، وبه تشرح الصدور، وتستنير القلوب »⁴، لأنّ من تدبّر القرآن كان دافعاً له للعمل.

وعرّف طه جابر العلواني التدبّر بأنّه التفكير فيما وراء الظواهر، ومعرفة أدبار الأمور، وعواقبها، وما لا تراه العين للوهلة الأولى منها، فالقرآن مفتاحه التدبّر أي أن يُقبل القارئ المؤهل الذي هيأ قوى وعيه ووسائل إدراكه لتدبّر القرآن الكريم بعقل علمي لديه من المعرفة والاستعدادات ما يُعينه على تدبّر هذا الخطاب، ومعرفة المراد به⁵، وهذا التعريف حوى جملة من الأمور تفصيلها فيما يلي:

- النظر فيما وراء الظواهر، ومعرفة أدبار الأمور، وعواقبها، وما لا تراه العين للوهلة الأولى منها: أمّا معرفة أدبار الأمور وعواقبها، وما لا تراه العين للوهلة الأولى منها، فهو قريب من تعريف الجرجاني (توفي: 392) السابق الذكر، باختلاف يسير لا يُؤثّر في المعنى، وأمّا النظر فيما وراء الظواهر، فهو النظر في الباطن، لا على الطريقة الباطنية، فطه جابر العلواني أنكر التفسير الصوفي الباطني، والنظر يشمل النظر في آيات الله المشهودة، والنظر في آيات الله المكتوبة، والنظر في سننه في الأمم السابقة.

- أن يُقبل القارئ المؤهل: وأهليّة المفسّر تتطلب أن تتوفّر فيه شروط وآداب المفسّر، هذا هو الأصل، وإقباله يكون بالوقوف مع الآيات وترديدها، فبالترديد يتذوق المؤمن معنى الآية، وأنّه يعيش معها، قال ابن القيم (توفي: 751هـ): « فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبّر لاشتغلوا بها عن كل ما

1 ابن منظور، لسان العرب، مصدر سبق ذكره، ج 04، ص: 268.

2 الجرجاني، التعريفات، مرجع سبق ذكره، 54.

3 الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، مرجع سبق ذكره، ج 01، ص: 581.

4 السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مرجع سبق ذكره، ج 01، ص: 140.

5 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 16.

سواها، فإذا قرأه بتفكير حتى إذا مرّ بآية، وهو يحتاج إليها في شفاء قلبه كرّرها، ولو مائة مرّة ولو ليلة، فقراءة آية بتفكير وتفهم خير من قراءة ختمه بغير تدبّر وتفهم، وأنفع للقلب، وأدعى إلى حصول الإيمان، وذوق حلاوة القرآن»¹.

والإقبال يكون أيضاً بصرف القلب عن موانع التدبّر، وتعتبر الذنوب من أخطر الأشياء التي تحول بين المسلم والتدبّر، فكلما كثرت الذنوب اسودّ القلب وابتعد عن التدبّر في آيات الله جلّ وعزّ، قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: 14]، قال الحسن ومجاهد: «الران: هو الذنب على الذنب حتى تُحيط الذنوب بالقلب وتغشاه فيموت»²، وتعتبر الغفلة عن سماع القرآن كذلك، فالقلب الحيّ يُكثر صاحبه من سماع القرآن ويظلّ يتذوّقه، ولكن الغفلة الدائمة، وعدم الاستماع إلى كلام الله والابتعاد عنه، لاشكّ أنّه يُسبّب فجوة بين القلب والقرآن، ويقول ربّك في وصف هؤلاء: ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [ما يأتينهم من ذكرٍ من ربّهم يُحَدِّثُ إِلَّا أَسْمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ] (٢) لَاهِيَةَ قُلُوبِهِمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ (٢) [الأنبياء: 01-03]، فالقلوب اللاهية لا يكون منها الاستماع الحقيقي والمطلوب، وحتى لو حصل الاستماع بالأذن فلا فائدة منه، لأنّه لا يتعدّاه، وكذلك تُعتبر أمراض القلوب حائلاً ومانعاً عن تدبّر القرآن، ومن أخطرها الحسد، والحقد، والرياء، والعجب، وسوء الظنّ، والجدال، والتكبر، والظلم، وغيرها من الأعمال التي تحول دون خشوع القلب وصفائه لتلقّي القرآن الكريم.³

- الذي هيأ قوى وعيه ووسائل إدراكه لتدبّر القرآن الكريم: قوى وعي المفسّر هي السمع والبصر والفؤاد، ووسائل الإدراك منها تحسين التلاوة، والقراءة بالليل، والإنصات عند سماعه، والفهم للمعاني، والتّرديد للآيات المؤثّرة، ومعرفة أساليب القرآن، وغيرها، وقراءة القرآن بتدبّر تحتاج إلى جوّ مناسب وهدوء أعصاب، وراحة بال، أمّا القراءة في وجود عوامل مؤثّرة داخلية أو خارجية ليست هي القراءة التّدبريّة المرجوة، وقد تكون قراءة نافعة لصاحبها بما يناله من ثواب وأجر، ولكنّ انتفاعه بها بما فهمه وتعلّمه يبقى في دائرة المفقود أو الموهود.

1 ابن القيم، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، راجعه: بكر بن عبد الله أبو زيد، (ط01، دار ابن عقّان للنشر والتوزيع، العقريّة، المملكة العربيّة السّعودية، 1416هـ - 1996م)، ج01، ص: 192.

2 الرّازي، مفاتيح الغيب، مصدر سبق ذكره، ج31، ص: 86.

3 محمّد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ج04، ص: 691 - 693.

- تلافي معوقات القراءة والوعي بمقدماتها¹: سبق حصر مقدمات الولوج للقرآن الكريم ومعوقات تفسيره عند طه جابر العلواني من طرف الباحث، وهي بلا شك عوامل لها تأثيرها الفعال على عملية تفسير القرآن ونتائجها، ومن هنا عدّها الباحث عاملاً من العوامل الأساسية للتفسير عند طه جابر العلواني.

والمتدبر في واقعنا المعاصر ليعجب من الخلل الكبير في فهم أو عدم فهم القرآن الكريم، فإذا نظرنا إلى عدد الحقاظ لكلام الله وجدنا جمّاً غفيراً، فمنهم من يحفظ القرآن كاملاً، ومنهم من يحفظ نصفه، أو ربعه، ولكن التدبر والفهم له لا يكاد يُذكر، وارتفاع عدد الحقاظ خير لا يُنكر، ومن يسعى لذلك ويقف عليه ممن يُذكر ويُشكر، ولكن حين يُصبح الواقع لا يُفرّق فيه بين حافظ القرآن وغيره من عوام الناس، وجب حصر المعوقات وتلافيها، والعلم بما يُعين على فهم القرآن وتدبره وتعاطيها.

ومن أهمّ المعوقات التي يرى الباحث أنّها تقف حائلاً أمام تدبر القرآن الكريم:

01- عدم فهم حقيقة القرآن الكريم: إذ يعتقد البعض أنّ القرآن الكريم كتاب بركة فقط، والقرآن

فعلاً كتاب مبارك بشهادة من أنزله، قال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ

أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام: 92]، لكنّه كتاب فهم وعمل وتدبر، قال عبد الرحمن السلمي: «

حدثنا الذين كانوا يُقرئونا القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما، أنّهم كانوا إذا تعلّموا

من النبي ﷺ عشر آيات لم يُجاوزوها حتّى يتعلّموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلّمنا القرآن،

والعلم، والعمل جميعاً»²، ولهذا كانوا يبقون مدّة في حفظ السورة، أمّا حالنا فهو كما قال الحسن

البصري (توفي: 110هـ): «إنّ هذا القرآن قد قرأه عبید وصبيان لا علم لهم بتأويله، لم يأتوا الأمر

من قبل أوّله، قال الله ﷻ: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (٢٩)

[ص: 29]، وما تدبر آياته إلّا باتّباعه، أمّا والله ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتّى إنّ

أحدهم ليقول: قد قرأت القرآن كلّه فما أسقط منه حرفاً واحداً، وقد والله أسقطه كلّه، ما يرى له

القرآن في خلق ولا عمل، حتّى إنّ أحدهم ليقول: والله إنّّي لأقرأ السورة في نفس، لا والله ما هؤلاء

بالقرآن ولا بالعلماء ولا الحكماء ولا الورعة، ومتى كانت القراءة هكذا أو يُقال مثل هذا، لا كثر الله

1 ينظر: طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 31 - 32.

2 الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصدر سبق ذكره، ج 01، ص: 80، إسناده صحيح متصل.

في الناس مثل هؤلاء !¹.

02- الزّهد في تعلّم علوم القرآن: معرفة ما يحوي القرآن من عقائد وأحكام، وحلال وحرام، وأخبار وقصص، أمر مطلوب لحفظ الدّين وبيضة المسلمين، ولو أنّ المدارس القرآنيّة المنتشرة في كلّ مكان تُعنى مع عنايتها بتحفيظ القرآن الكريم، بفهمه وتدبّره والعمل به عناية أكبر، إذ تعني بتعليم علوم القرآن حالياً، ولكن الذي يقصده الباحث هو وضع برامج متكاملة، ومتابعة ومرافقة صارمة لها، وتقييمها وتقويمها، فالأمة لا تحتاج إلى نُسخ جديدة من القرآن، بل الأمة الآن أحوج ما تكون إلى نُسخ بشريّة حيّة تربّت على القرآن، وتخلّقت به، تفهم القرآن، وتعمل بالقرآن، وتسير وفق منهج القرآن.

فوائد تدبّر القرآن الكريم: عدّ طه جابر العلواني فوائد التدبّر، فذكر أنّ التدبّر: »

- يُعين على تدبّر الخطاب القرآنيّ، ومعرفة المراد به.
 - ضروريّ ليقوم بقيادة القارئ للتفاعل مع الخطاب القرآنيّ، ومعرفة دوره بالنسبة له.
 - يجعل القارئ وجهاً لوجه في مواجهة الخطاب فيستدعي التاريخ وآفاق الفهم، ويؤسّس للعلاقة مع الخطاب القرآنيّ.
 - يجعل القارئ يبحث عن المعنى الذي ينشأ نتيجة تفاعله مع الخطاب لا عن المعنى الكامن أو المكنون فيصبح المعنى آنذاك أثراً ثمّكن ممارسته لا موضوعاً يُمكن تحديده.
 - يجعل القرآن شفاء لما في الصّدور، وهدى ورحمة وموعظة ونوراً وبصائر، لا تشحذ أسماع المتدبّرين فحسب بل تمنحها قدرة التّمييز.
 - ضرورة لبناء العقل وإنماء قوى الوعي قرآنيّاً.
 - يهيئ الإنسان وقواه العاقلة لتلك المهام العظيمة التي تنتظر الإنسان في هذه الحياة.
 - يحقّق التّوحيد والتّدبّر بالتّركية، والتّخلّي بالعمران، وإقامة بناء الأمة وحسن القيام بالدّعوة، ودون ذلك تكون القراءة هدرمة²، ويكون الاستماع قليل الأثر³.
- قلت: ومن فوائد التدبّر نبيل رضى الله عنك، وأتباع هدي المصطفى ﷺ، والقيام بعبادة عظيمة.

1 الزّحشري، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التّأويل ، مصدر سبق ذكره، ج04، ص: 92.

2 هدرمة: الهدرمة سرعة الكلام والتّحليط فيه، وهدرمة الكلام: وهو الإكثار والتّوسّع فيه، وهدرَم القرآن: أسرع في قراءته لا يتدبّر معانيه. ابن فارس، لسان العرب، مصدر سبق ذكره، ج15، ص: 46.

3 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 16 - 19. باختصار.

العامل الرابع: الزّمان والمكان والحضارة: تقوم تغذية العقل باستمرار على عاملي الزّمان والمكان، فمرور الوقت كفيّل بمنح العقل معارف جديدة تُضيف إلى منهجه لبنات تكون كاشفة لما كان خفياً في فترة سابقة أو معاصرة من فترات الفكر الإسلامي والإنساني، ومحيط المفسّر عامل يؤثّر فيه ولا بدّ، فالمفسّر إنسان، والإنسان ابن بيئته كما هو معلوم ومُقرّر، وقد أدرك العلواني هذا فقال: «القراءة ذات علاقة وثيقة بالزّمان والمكان، فالزّمان الذي يقرأ القارئ القرآن فيه، والمكان الذي يقرأ به، كلاهما له أثره في عملية القراءة، واختيار نوعيّتها وكيفيّتها، والحصول على النتائج المتوخّاة منها»¹، وعليه اختار التفسير الموضوعي كنوع يقرأ به القرآن، ووظف التدبّر كيفيّة لفهمه، للحصول على نتائج علاجية لواقع الإنسانية جمعاء.

والقرآن الكريم كتاب «تتكشّف مكنوناته كذلك عبر العصور، بحيث تبدو كأنّها لم تنزل إلّا في تلك الفترة، وعلى أهل ذلك العصر، وهذه الدّلالة ذات مستويات مُتعدّدة كذلك، فمنها: دلالة ما يذكر على ما يقدر، مثل تقدير القول، وتقدير الموصوف والصفّة، وما شابه ذلك من فنون وجوانب التقدير، ومنها دلالة السّياق وذلك مستوى يُدرّك بالتدبّر»²، لذا اعتبر العلواني أنّ «كلمات وجمل وعبارات القرآن آيات في كلمات، والإجابات التي تتكشف عبر العصور بتكشف وظهور حاجات الأمم والعصور، وأسئلة ومسائل الحياة وأزماتها، فكأنّ المعاني تنزل مع بروز الأزمات والمشاكل والأسئلة... فإنّ أيّ عصر تالّ وأيّة بيئة أخرى يُمكن أن تجعل من أسئلتها أسباب نزول للمعاني الجديدة التي تنطوي الآيات عليها، ولا تبخل بتقديمها لمن يحتاجها»³، ومعنى هذا أنّ أسئلة كلّ عصر إلى يوم القيامة قابلة لأن تكون أسباب نزول جديدة.

والحقّ أنّ ما يستجدّ من مسائل الحياة وأسئلتها وأزماتها تُقاس على مثيلاتها من الوقائع التي هي أسباب نزول، وتُعتبر من الفوائد والأمثلة المتكرّرة، لا سبب نزول جديد، ولا تفسيراً أو قولاً جديداً حادثاً، بل هو نموذج إضافيّ جادت به ظروف الحياة ومُستجدّاتها، فحرب غزّة الأخيرة مثلاً، وما شهدته من تكالب للأحزاب على إخواننا الغزيّين، هل تلك الحرب تُصنّف كسبب نزول جديد لسورة الأحزاب؟! نعم يُمكن معالجة أزمة غزّة بالقرآن الكريم من خلال استنطاقه ليمنحنا حلولها أو طريقة التّعامل معها، ولكن لا يُمكننا أن نأتي عند تفسير سورة الأحزاب أو غيرها فنقول: سبب نزولها

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 31.

2 المرجع السابق، ص: 25.

3 طه جابر العلواني، الوحدة البنائية للقرآن المجيد، (ط01، مكتبة الشّرق الدّوليّة، القاهرة، مصر، 1427هـ - 2006م)، ص: 24 - 25.

العدوان الصهيوني على قطاع غزة، وتحالف الأحزاب من اليهود والنصارى والمنافقين وغيرهم على المجاهدين في غزة !

وزمان طه جابر العلواني الذي هو زماننا المعاصر، شهد ظهور وانتشار التفسير الموضوعي، والمكان الذي هو بيئة المفسر؛ صار فيه العالم الحديث قرية صغيرة لا يخفى على من فيها خافية، مما اعتاد الناس معرفته، فمشكلاته وأزماته وحضاراته وواقعه، كلها لكأَنَّها في نفس المكان، فقد تم اختصار الزمان والمكان، ومن هنا اختار العلواني اللون الموضوعي لتفسيره، وسعى ليزيد عليه ويستوعبه، ولا غرابة في سعيه هذا، فالتفسير الموضوعي نوع ما زال ينضج ولما يكتمل، ولا يزال العلماء والمفسرون والباحثون في زيادة فيه حتى اليوم.

العامل الخامس: البعد الغيبي في تركيب الكون ومصيره: يحتاج العالم ليخرج من أزمته الفكرية والحضارية لإدراك البعد الكوني بمعناه الغيبي في تركيب الوجود ومصيره، فالمهمة كبيرة ومتسعة باتساع الكونية وبدايتها الجمع بين القراءتين، وغايتها إسلامية المعرفة البشرية، وكل رفض لما يسمونه بالغيبيات أو الماورئيات هو رفض لقراءة الوحي القراءة الكونية باسم الله خالقاً، والتي تجعل الغيبيات والماورئيات كجزء أساس في المنهج، لا باعتبارها مسلمات تستدعي الإيمان بها فقط، ولكن باعتبارها دليلاً على وجود كوني أكبر مما تدل عليه القراءة.¹

ويرى العلواني أن المخرج من الوضع الحالي بمختلف مستوياته، هو إدراك البعد الغيبي الإلهي للقرآن الكريم، والسعي لالتقاء الغيب والشهادة في قراءة بشرية موحدة، وهذا البعد هو « الذي يحيط بالقارئ وبالقراءة وبمنهجها، فإذا صادف القارئ لطفاً من الله - تعالى - وعنايته وتوفيقه فقد يوفق في قراءته، قد يصل بهذه القراءة إلى كثير من مكنون القرآن الكريم، ولذلك فإن الله - تبارك وتعالى - قال: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (٧٨) [الواقعة: 79]، وهنا الآية تُشير إلى عملية الوصول إلى المعنى، وليس اللمس الحسي كما ذهب إلى ذلك بعض الفقهاء، وإنما مس المعنى المكنون والوصول إليه ²، فالتاريخ ليس نتاج صراع يجحد الدور الإلهي، بل نتاج تفاعل بين رعاية ربانية وبين الوحي المنزل والإنسان والكون.³

1 طه جابر العلواني، إسلامية المعرفة بين الأمس واليوم، مرجع سبق ذكره، ص: 30. باختصار

2 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 31.

3 طه جابر العلواني، أبعاد غائبة عن فكر وممارسات الحركات الإسلامية المعاصرة، مرجع سبق ذكره، ص: 17.

العامل السادس: المقاصد القرآنية العليا الحاكمة: ركّز طه جابر العلواني على هذا العامل ضمن مشروعه الإصلاحية والتجديدي، من منطلق أنّ مقاصد القرآن العليا الحاكمة وحدها التي يمكن أن تقود أيّ تجديد حقيقي للأمة، ومنطلق ارتباط عمل العقل البشريّ بها، وكان العلواني قد بدأ تصوّره لمنظومة المقاصد باعتبارها مقاصد ثلاثة؛ التّوحيد والتّركية والعمران، كما هو عنوان أحد كتبه: "التّوحيد والتّركية والعمران؛ محاولات في الكشف عن القيم والمقاصد القرآنية الحاكمة"، لكن في الفترة الأخيرة من حياته أضاف لهذه المقاصد مقصدي (الأمة) و(الدّعوة).¹

ولعلّ أهمّ الاختلافات بين ما يُثيره الخطاب القرآنيّ، وأيّ خطاب آخر غير الخطاب القرآنيّ، ما قد يُثار من تساؤلات حول ما في ذهن مُرسل الخطاب من مقاصد وغايات أو مطامع يطمع أن يطلب المرسل إلى المرسل إليه القيام بها، في حين أنّ المخاطب -بالخطاب القرآنيّ- يتّجه للبحث عن دور له في ذلك الخطاب يُعمل فيه ذهنه وخياله، ويُمارس فيه نشاطه الإنسانيّ²، ومن خلال تحديد الدّور المحوريّ للمرسل إليه، يظهر ارتباط المقاصد بالتّفسير في كون القرآن هو المصدر الرّئيسي لتعيين المقاصد الكلّية، ومن القرآن استنبطت الكثير من الأحكام والعلل الجزئية، ومن القرآن استخلص علماء الأصول القواعد الفقهيّة الكلّية، ودليل هذا هو وضعهم لكلّ قاعدة ما يدلّ عليها من القرآن. وفيما يخصّ التّفسير الموضوعيّ، فقد سبق ذكر تعريف مصطفى مسلم للتّفسير الموضوعيّ بأنّه: «علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر»³، وتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية يستلزم بالضرورة تحديد هاته المقاصد القرآنية، وإلاّ كيف سيتمّ تناول القضايا حسب المقاصد دون معرفة وكشف هاته المقاصد التي وُضعت شرطاً؟ ومن هنا يُعتبر تحديد المقاصد القرآنية هدفاً للتّفسير الموضوعيّ لما بينهما من التّداخل والتّرباط.

ويرى الباحث أنّ المقاصد الكلّية قرّرها المفسّرون السّابقون، واعتمدوا في ذلك على نصوص قرآنية مُتضافرة مع نصوص نبويّة صحيحة، نصوص بلغت بتلك المقاصد التي وضعوها درجة القطعيّة، حتّى أصبح من شروط المفسّر العلم بها وعدم القفز عليها أو إهمالها، كما ازدادت حاجتنا اليوم لحسن استخدامها في ظنّيات الدّلالة؛ لا سيما في هذا الزّمن الذي ولج فيه التّفسير من لا علم له بأساسيات الدّين، فضلاً عن أساسيات علم التّفسير.

1 ينظر: طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 19.

2 المرجع السّابق، ص: 17.

3 مصطفى مسلم، مباحث في التّفسير الموضوعيّ، (ط03، دار القلم، دمشق، سورّة، 1421هـ - 2000م)، ص: 16.

المطلب الثاني: أدوات عملية استجلاء معاني القرآن عند طه جابر العلواني

يعتمد المفسر على وسائل وأدوات مختلفة في سبيل استخلاص واستجلاء معاني الخطاب القرآني، وهذه الوسائل قد تكون داخلية أو خارجية، يقول طه جابر العلواني: «وهذا ما يجعل عملية استجلاء معاني القرآن باستقراء تامّ أمراً قد تنوء به العصبية من العلماء. فالقرآن -مع مزاياه وخصائصه وصفات الكمال فيه وحسن نظمته، وسموّ بلاغته، وعلوّ فصاحته، وتيسير الله ﷻ له- يبقى في حالة من السّموّ تجعل عملية استجلاء معانيه بشكل قريب من الكمال عملية تحتاج -أول ما تحتاج- إلى ما يلي»¹:

أولاً: القرآن الكريم نفسه: يؤكّد العلواني أنّ القرآن الكريم كتاب تامّ كامل، وفي هذا تنبيه إلى أنّه كتابٌ مُصدّقٌ لما بين يديه، ومُهمّينٌ عليه، ومُشتملٌ على تراث النبّوات كلّها، وحاملٌ لهدايات الأنبياء والمرسلين جميعاً، وهذا المرتكز يمتلكه المفسر من خلال إدامة الصّلة بالقرآن الكريم، فمن لا يربطه بالقرآن رابط أثنى له تفسير القرآن بالقرآن؟! لذا أكّد العلواني على « الحاجة لإدامة الصّلة بالقرآن الكريم، وجعلها الأمر الأوّل الذي يلزم المفسر لاستجلاء معاني القرآن بشكل قريب من الكمال، ومحاولة فهمه واستجلاء أنواره من ثنایا آیاته، والتّعرّض لأنواره ونفحاته من داخله »²، ومن أراد تفسير القرآن بالقرآن تفسيراً موضوعياً فإنّ هناك شروطاً خاصّة بذلك، منها جمع ما تکرّر من الآيات المترابطة في موضوع واحد، والنّظر في الغرض الذي سيقت له، ومعرفة ظواهر الآيات وبواطنها، ومعرفة القراءات المتواترة، وغير ذلك من الشّروط التي سبق بيّناها.

ثانياً: المُختارات من التّراث التّفسيريّ وغيره: أي بعض التّراث يصلح وسيلة يُستعان بها ويُرتكز عليها؛ لا كلّها، وعبر طه جابر العلواني عن ذلك بعبارة: بناء اللاحقين من أبناء الأُمّة على ما أسّس السّابقون، فهو بناء جديد على أساسات قديمة، أي أنّ البناء القديم يتمّ هدمه ليُعاد البناء من جديد بتصميم ومُخطّط يتلاءم مع مُستجدات العصر والواقع، البشريّة منها والماديّة، المحليّة والعالميّة، بما يُمكن الإنسان من الوفاء بالعهد، والقيام بمهام الاستخلاف، وأداء حقّ الأمانة، والقيام بمقتضيات العمران، وبالتالي النّجاح في اختبار البلاء.

وعدّ العلواني بناء اللاحقين من أبناء الأُمّة على ما أسّس السّابقون وسيلةً ثانيةً، مُرجعاً هذا الاعتبار إلى العوامل التّالية: »

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 26.

2 المرجع السّابق، ص: 26.

- عمليّات تفسير القرآن الكريم كانت شغل المسلمين الشّاغل عبر العصور في مختلف الأجيال، ولا يُنكر أنّ المسلمين بذلوا الكثير في صدد تفسير القرآن الكريم، وبذلوا جهوداً مُتتابة في التفسير والتأويل.

- القرآن كتاب مُطلق كونيّ معادل للكون وحركته مُستوعب لهما، لا يُحيط به تفسير ولا تأويل، - ولو تضافرت عليهما الجهود- بل يُحيط الله وحده ﷻ به.¹

والعاملان السّابقان كشفّا حدود استعانة طه جابر العلوانيّ بالتّراث التّفسيّريّ ونظرته الحذرة إليه، تلك النّظرة المعبر عنها بقوله: « وحين يأتي أهل عصر من العصور ليقولوا أنّ فهمنا البشريّ للقرآن الكريم هو الفهم الوحيد فإنّ ذلك يعني أنّهم قد أعلنوا هيمنة فهمهم ذلك على القرآن العظيم وعارضوا هيمنته المطلقة وإعجازه الدّائم المستمرّ، وحولوه إلى جانب من جوانب تراثهم يأخذ النّاس منه ويتركون »²، وهذا الكلام يتّجه أوّل ما يتّجه نحو عصر الصّحابة والتّابعين وأتباعهم ﷺ، أهل القرون الثلاثة المفضّلة، فهم من دعوا إلى الوقوف حيث وقفوا، وهم من اعتبر العلماء اتّباع فهمهم أمراً مُلزماً.

إنّ التّقيّد بفهم السّلف فيما أجمعوا عليه، أمر لا يجوز مخالفته، قال ابن مسعود ﷺ: « إنّ الله نظرَ في قلوب العباد، فوجد قلب محمّد خير قلوب العباد، فبعثه برسالته، ثمّ نظر في قلوب العباد بعد قلب محمّد، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فاختارهم لصُحبة نبيّه ونُصرة دينه؛ فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسنٌ، وما رآه المسلمون قبيحاً فهو عند الله قبيحٌ ».³

وقال ابن عبّاسٍ ﷺ للخوارج: « أتيتكم من عند أصحاب النّبيّ ﷺ: المهاجرين والأنصار، ومن عند ابن عمّ النّبيّ ﷺ، وعليهم نزل القرآن؛ فهم أعلمُ بتأويله منكم ».⁴

1 طه جابر العلوانيّ، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 26. بتصرف.

2 طه جابر العلوانيّ، نحو منهجية معرفيّة قرآنيّة، مرجع سبق ذكره، ص: 144.

3 أخرجه أحمد في المسند (3600). والطّيالسي في المسند (ح 246)، وابن الأعرابي في المعجم، برقم: 861. والخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه، (1/ 422). وحسنه موقوفاً الألبانيّ في تخريجه لشرح الطّحاوية، ص: 470. وأورده الهيثمي في الجمع (1/ 177)، وقال: رواه أحمد والبزار والطّبراني في الكبير ورجاله موثقون. وقال أحمد شاكراً في تعليقه على المسند: إسناده صحيح.

4 أخرجه النسائي في الكبرى، كتاب خصائص علي، باب ذكر مناظرة عبد الله بن عباس الحنظلي، واحتجّاه فيما أنكره على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، برقم: 8522. والحاكم في المستدرک، كتاب قتال أهل البغي، برقم: (2656)، وكتاب اللّباس، برقم: 7368، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يُخرّجاه، ووافقه الذهبيّ، وصحّحه الهيثمي في مجمع الزوائد، (06/ 239 - 241).

ثم جاءت هذه النصيحة النفيسة من عمر بن عبد العزيز: « قِفْ حيث وقف القوم، وقُلْ كما قالوا، واسكُتْ عما سكتوا؛ فإنهم عن علمٍ وقفوا، وببصرٍ نافذٍ كَفُّوا، وهم على كشفها كانوا أقوى، وبالفضل لو كان فيها أخرى، فليُنْ كان الهدى ما أنتم عليه فلقد سبقتموهم إليه، ولئن قُلتم: حَدَثْ بعدهم، فما أحدثه إلا من سلك غير سبيلهم ورَغِبَ بنفسه عنهم، وإنهم هُم السَّابِقُونَ، ولقد تكَلَّمُوا منه بما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي، فما دَوَّهم مَقْصَرٌ ولا فَوْقَهُم مَحْصَرٌ، لقد قَصَرَ عنهم قومٌ فَجَفُّوا، وطَمَحَ آخرون عنهم فَغَلَّوا، وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم¹ ».

ومعنى هذه الآثار ظاهرٌ بَيِّنٌ، فالمقصود بها أَنَّ الفهم الصَّحيح لنصوص الكتاب والسُّنة؛ هو الفهم الذي كان عليه الصَّحابة رضي الله عنهم بمجموعهم لا ببعض أفرادهم، وما اتَّبَعَهُم عليه التَّابعون وأتباعهم، وأنَّ فهمهم لا يُخالف الكتاب والسُّنة، وأنَّ كلَّ فهمٍ للكتاب والسُّنة يُخالف ما كانوا عليه بمجموعهم، فهو فهمٌ خطأ، وليس المراد أَنَّ الصَّحابة والتَّابعين لهم فهمٌ خاصٌّ خارجٌ عن مُقتَضيات الكتاب والسُّنة، وأنَّ هذا الفهم مَصْدَرٌ آخر من مصادر الاستدلال، مُستَقِلٌّ عن الكتاب والسُّنة.

ولقد نصَّ علماء التفسير منذ القديم فيما نقله الزركشي (توفي: 794هـ) على شروط كثيرة لا بدَّ من مراعاتها عند تفسير القرآن، أجمَلوها في أربعة شروط هي: « أ - الأخذ بما صحَّح عن النَّبي صلى الله عليه وسلم من أحاديث في التفسير.

ب - الأخذ بقول الصَّحابيِّ وخاصة فيما لا مجال للاجتهاد فيه، كالأمور الغيبية والناسخ والمنسوخ. واختلف في الأخذ بقول التَّابعيِّ.

ت - الأخذ بمطلق اللُّغة مع الاحتراز عن صرف الآيات عن غير معناها الحقيقيِّ أو إلى غير مرادها.

ث - الأخذ بما يقتضيه الكلام ويدلُّ عليه الشرع² ».

واستمرَّ العمل بهذا المنهج كحدِّ يُعرف به الرأْي الممدوح من الرأْي المذموم، إلى أن ظهرت مناهج جديدة تغلَّغت في عقول بعض المفكرين داخل العالم الإسلامي، ومنهم طه جابر العلواني، وغيره من رُواد ومنتسبي المعهد العالمي للفكر الإسلامي³.

1 أخرجه أبوداود أول كتاب السُّنة، باب لزوم السُّنة، برقم: (4612)، والآجوري في الشريعة، (930 / 02).

2 الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مرجع سبق ذكره، ج 02، ص: 156 - 161. بتصرف واختصار.

3 ويذكر الباحث منهم محمَّد أبو القاسم حاج حمد الله (1941 - 2004م)، وهو كاتب ومفكر سوداني، عمل مستشاراً علمياً للمعهد العالمي للفكر الإسلامي في واشنطن، فمن يطَّلِع على مؤلفاته كالعالمية الإسلامية الثانية، والمنهجية المعرفية القرآنية سيلاحظ تشابهاً في العنوان والمضمون مع مؤلفات طه جابر العلواني، فكلاهما يدعو للجمع بين القراءتين، وإسلامية المعرفة، والوحدة البنائية للقرآن، ومنهجية معرفية قرآنية جديدة، وتجاوز التفسير التراثي من مناهج وأدوات تحليلية بحجة أنَّها تمثِّل فترة العالمية

ففي العامل الأول إقرار منه بالجهود المبذولة عبر العصور لتفسير القرآن الكريم، وفي العامل الثاني حُكْمٌ منه على تلك الجهود المبذولة - بأسلوب غير مباشر - بأنها لم تنجح في استجلاء معاني القرآن الكريم، ولكنه حُكْمٌ إلى حين، فهذا هو العلواني بعد أسطر معدودات من مقالته السابقة يقول: « وحين حاولنا إجلاء هذا التراث التفسيري المتنوع بمعرفة ما قدمه للقرآن الكريم وللمخاطبين به - وهم البشرية كلها - وجدنا أنّ هذا التراث - على اتساعه وتنوعه وكثرة فوائده - لم ينجح في استجلاء معاني القرآن الكريم، وبقي في هذا الكتاب الخالد كثير من العوالم التي قد يشعر الإنسان بأنه لو خُلِّي بينه وبين القرآن، يُراجعه ويُسأله ويتدبر فيه ويتذكر ويتعقل لاستفاد من معانيه وتجلياته وما فيه من نور وهدايته أكثر بكثير مما استفاده من تدخلات المفسرين¹. »

وسبب هذا التردد هو موقف العلواني من التراث الإسلامي ككل، ذاك الموقف الذي حتم عليه القول بأنّ التراث التفسيري سيكون وسيلة ومُوقِّماً يعتمد عليه في تفسيره، ولكن ليس اعتماداً مُطلقاً، بل سيغلب الطابع الانتقائي في استعمالاته له، فدون أن يُعمّم الحكم، يقول العلواني: « وربما حرمت بعض التفسيرات القراء من حسن استجلاء معاني القرآن العظيم، ومحاولة التدبر فيها وتعقلها وتذكرها²، ولم يحرم بعضها الآخر ذلك.

ويضيف العلواني أنّ من حدود الأخذ عن الغير، إدراك المفسر لمقتضيات المعرفة والعلوم التي يحتاجها، تلك « المعرفة التي لا تقوم على التلقي والتلقين وحدهما، بل على الأخذ عن الغير -أيضاً- من سابقين ولاحقين بالمراجعة والمطالعة وقراءة الكتب وكتابتها وتناقل الخبرات والمعارف بين البشر، وعدم الزهد في المعرفة من أيّ وعاء خرجت، والتعامل المنهجيّ معها، وفي ذلك تنبيه على ((وحدة البشرية)) وضرورة استفادة اللاحق بميزات السابق من المعرفة والخبرات والتجارب، والتواصل معها³، تواصلًا في نطاق محدود طبعاً، على أنّ التواصل والاستفادة من الخبرات المختلفة أمر مطلوب، فالناس يتفاوتون في العلم وفي فهم النصوص.

ويرى الباحث أن دافع طه جابر العلواني لهذا الموقف، هو معرفته المسبقة بأنّه يستحيل عليه

الإسلامية الأولى، والأخذ بمحددات منهجية جديدة تلائم الفترة الزمنية الحالية، فنحن دخلنا مرحلة العالمية الإسلامية الثانية ! ينظر: مؤلفات أبو القاسم حاج حمد: العالمية الإسلامية الثانية، أبستمولوجية المعرفة الكونية: إسلامية المعرفة والمنهج، منهجية القرآن المعرفية، القرآن والمتغيرات الاجتماعية والتاريخية.

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 27.

2 المرجع السابق، ص: 27. بتصرف.

3 طه جابر العلواني، الجمع بين القراءتين - قراءة الوحي وقراءة الكون، مرجع سبق ذكره، ص: 20 - 21.

تفسير القرآن بالقرآن بالاعتماد على القرآن والسنة القرآنية والرأي ولسان القرآن فقط، بل لابد من التزود والاستفادة من مخزون التراث التفسيري ولكن وفق اختياراته وخياراته، وبهذا وضع نفسه في سعة من الأمر، وفتح المجال لنفسه ليختار ويستعمل الميراث والجهد التفسيري لغيره كدعامة موثوقة، متى ما شاء؛ ومتى ما اضطرّ إلى ذلك، دون أن يُعاب عليه ذلك.

قال ابن القيم (توفي: 751هـ): « والمقصود تفاوت الناس في مراتب الفهم في النصوص، وأن منهم من يفهم من الآية حكماً أو حُكْمين، ومنهم من يفهم منها عشرة أحكام أو أكثر من ذلك، ومنهم من يقتصر في الفهم على مُجَرَّد اللَّفْظ دون سياقه ودون إيمائه وإشارته وتنبهه واعتباره، وأخص من هذا وألطف ضمّه إلى نص آخر مُتعلّق به؛ فيفهم من اقترانه به قدراً زائداً على ذلك اللفظ بمفرده وهذا بابٌ عجيبٌ من فهم القرآن لا يتنبّه له إلا النادر من أهل العلم؛ فإنّ الذّهن قد لا يشعر بارتباط هذا بهذا وتعلّقه به، وهذا كما فهم ابن عباس رضي الله عنه من قوله: ﴿وَحَمَلَهُ وَفَصَلَّهُ ثَلَاثُونَ شهراً﴾ [الأحقاف: 15] مع قوله: ﴿وَالْوَلَدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ﴾ [البقرة: 233] أنّ المرأة قد تلد لستّة أشهر، وكما فهم الصّديق رضي الله عنه من آية الفرائض في أوّل السّورة وآخرها أنّ الكلاله من لا ولد له ولا والد ¹، وما دام الناس في الفهم مُتفاوتون، فهم عن فهم غيرهم لا يستغنون، وإليه محتاجون.

ثالثاً: الجمع بين القراءتين: قد يُستشكل وجه عدّ الباحث الجمع بين القراءتين كمعلم هامّ من معالم المنهج القرآني عند طه جابر العلواني، ثمّ إعادة ذكرها ضمن وسائل وأدوات التفسير الأساسية عنده، ولكن ما فرض ذلك على الباحث هو عناية طه جابر العلواني بالجمع بين القراءتين، فهو عدّها مدخلاً لتفسير القرآن، ثمّ هو كشف في مواضع عدّة أنّها مرتكز أصلي للتفسير، فهي عنده غاية ووسيلة، غاية يدعو إليها، ووسيلة يُوظّفها، ورأى أنّ قراءة القرآن الكريم ينبغي أن تكون قراءة بالخلق، وقراءة بمتراكم المعرفة وبالوحي النازل، فالقرآن يُعلّم الجمع بين قراءتين أو أكثر، وهذا التّوجيه القرآني كان مع أوّل آياته التي نزلت، يقول العلواني: « في الآيات الخمس -الأولى نزولاً من القرآن الكريم- أمرٌ بقراءتين ... إنّ كلّ قراءةٍ من القراءتين لها خصائصها التي تستمدّها من صلة الموصول. فالقراءة الأولى في قول الله ﷻ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: 01]، قراءة يستعين الإنسان في ممارستها باسم الله ((الخالق))، والخلق بالنسبة لهذا القرآن المتلقّي لهذا القول الثّقيل يبدأ من علق: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: 02]، والعلق قطعة من الدّم ثمّ تطوّرت، أمّا القراءة الثّانية فهي قراءة

1 ابن القيم، إعلام الموقعين عن ربّ العالمين، مرجع سبق ذكره، ج 01، ص: 267.

بالقلم: ﴿ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ ﴾ [العلق: 04-05] ... «¹.

وجميع القراءات السابقة للقرآن الكريم (من تفسير، وعلم عقيدة أو توحيد، وعلم وفقه وأصول، وعلوم عربية) كانت وسائل لتكوين مختلف العلوم الشرعية النقلية المعروفة حالياً، فالقراءات المتعددة، والمقاربات المتنوعة للقرآن الكريم - القديمة منها والحديثة - كانت دعائم تكوين المعارف والعلوم، وكلها ذات ارتباط وثيق بالقارئ نفسه، فللقارئ رؤيته الكلية وتصوره ودوافعه ودواعيه ومؤثرات أخرى كثيرة من بيئته وثقافته وحضارته وقدراته ونواياه وغاياته وسائر المؤثرات الأخرى، وللقارئ دور كبير في تحديد نوعية القراءة التي يقرأ القرآن الكريم بها.²

وكما يفهم من مشروع العلواني، هناك كتابان تجب قراءتهما معاً: كتاب مُنْزَلٌ متلوّ مُعْجَز وهو القرآن الكريم، وكتاب مخلوق مفتوح وهو هذا الخلق والكون والتجارب البشرية فيه، ومنه التعامل مع الإنسان نفسه، وذلك لن يكون دون توظيف الجمع بين القراءتين وفق منهجية القرآن المعرفية، يقول طه جابر العلواني: « من هنا كان ما سميناه منهجية القرآن المعرفية، دعامة أساسية للجمع بين القراءتين، وضرورة معرفية وحضارية لا على المستوى الإسلامي وحده، بل على المستوى العالمي كله، للخروج من المأزق المعرفي المعاصر، والأزمة الفكرية العالمية المعاصرة ».³

فالقراءة قراءتان، وكلّ قراءة منهما تُعين الأخرى، فهما قراءتان مُتكاملتان، ولا بدّ للإنسان القارئ أن يجمع بينهما، ليتمكّن من تحصيل الهداية والرشد، وتكامل القراءتان حين تتمّ قراءة الوحي لفهم العالم والتعامل معه، وتتمّ قراءة العالم لفهم الوحي والتعامل معه، وهذا الكلام نظرياً؛ كلام معقول مقبول، فالوحي من الله نزل، والكون صنع الله الأجل، وما لم يُجسّد هذا النظري عملياً، يبقى الحكم عليه سابق لأوانه.

رابعاً: فقه الواقع والقراءة العصرية للقرآن الكريم: إنّ الزّمان والمكان ينتقلان من البنى الاجتماعية العميقة في وعي الفرد وشُعوره إلى مساراته الوجودية وحياته اليومية، فلا تخفى العلاقة بين الزّمان والمكان ومدى وعي المفسّر وتفاعله مع عناصر العالم الواقعي، فهذا يحميه من الشعور بالاستقلال عن البيئة المحيطة به، يقول طه جابر العلواني: « والقراءة ذات علاقة وثيقة بالزّمان والمكان، فالزّمان الذي يقرأ القارئ القرآن فيه، والمكان الذي يقرأ القارئ به، كلاهما له أثره في عملية

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 27 - 28.

2 مرجع سبق ذكره، ص: 30. بتصرّف.

3 طه جابر العلواني، الجمع بين القراءتين: قراءة الوحي وقراءة الكون، مرجع سبق ذكره، ص: 27.

القراءة، واختيار نوعها وكيفيةها، والحصول على النتائج المتوخاة منها، وهناك البعد الغيبي الإلهي الذي يُحيط بالقارئ وبالقراءة وبمنهجها، فإذا صادف القارئ لُطفاً من الله - تعالى - وعنايته وتوفيقه فقد يُوفق في قراءته، وقد يصل بهذه القراءة إلى كثير إلى مكنون القرآن الكريم».¹

إنَّ اهتمام العلماء بأحوال الناس من عناصر الفهم السليم التي تُعين المفسر على الوقوف على الأحوال الاجتماعية وما يؤثر فيها، وكيفية تلقّيها للخطاب وفق ما تمرّ به وتعرض له، وهي من الأدوات التي يحتاج المعاصرون اليوم إلى توجيه مزيد من الاهتمام بها في ظلّ التطوّرات الإنسانيّة والأحوال الاجتماعية التي يمرّ بها العالم، فالتفسير الذي لا يخدم قضايا عصره لا يُعدُّ تفسيراً كما يُشير إلى ذلك سعيد حوى (توفي: 1409هـ) في قوله: «وأما بالنسبة للتفسير، فإذا لم تخدم قضية الإيمان فيه عصرنا المادّي الشّهواني، فكأنّ المفسر لم يفعل شيئاً».²

والاختلاف بين المفسرين في فهم النصّ القرآنيّ وتوجيهه، له أيضاً مُسوّغات مختلفة المتعلقة تارة بالنصّ القرآنيّ... والمتعلقة تارة أخرى بشخصيّة المفسر والفروق الذاتيّة بين المفسرين في امتلاك وتفعيل أدوات فهم النصّ القرآنيّ، والمتعلقة تارة ثالثة بالواقع الذي يعيشه المفسر وقدرته على ربط النصّ القرآنيّ بهذا الواقع المعيشي وقدرته على استنطاق الآيات على ضوء المشكلات الواقعيّة التي يحياها في سبيل الكشف عن حقيقة من حقائق الحياة.³

خامساً: قوى الوعي المتاحة: يرى طه جابر العلواني أنّ «القرآن وهو يُقدّم ((أدلة الخلق على الحق)) يُقدّم لنا مجموعة من قوانين وسنن كونيّة ثابتة⁴، لا تحتاج البشريّة للكشف عنها سوى استخدام الوسائل التي أتاحها الخالق العظيم ﷺ لنا من سمع وبصر وفؤاد بالفاعليّة المطلوبة، فهي قوى وعي قائمة فينا»⁵، ومن هنا تبين مقصود العلواني بمصطلح قوى الوعي الذي لم يُعرّفه، ولم ينقل لنا تعريفاً له، رغم ميله لإعادة بناء وتعريف المصطلحات والمفاهيم القرآنيّة، وبالرغم من أنّه استعمله في تعريفه

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 31.

2 سعيد حوى، الأساس في التفسير، (ط01، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، 1405هـ - 1985م)، ج01، ص: 13.

3 أثر الواقع في فهم النصّ القرآنيّ عند المفسرين، جهاد محمد فيصل النصيرات، مكتبة عين الجامعة، 2025/03/02، <https://ebook.univeyes.com/>، ص: 02.

4 قد يتوهم البعض أنّ المقصود هنا بالسّنن الكونيّة الثابتة الإعجاز العلميّ أو التفسير العلميّ للقرآن، ولكنّ المقصود هنا هو العكس تماماً، فالعلوانيّ يرمي إلى أنّ القرآن يدرك ويستوعب جميع سنن الكون ويتجاوزها، فلو كان مُساوياً لها لاستغنى الناس بها عنه. ينظر: طه جابر العلواني، معالم في المنهج القرآنيّ، مرجع سبق ذكره، ص: 117 - 118.

5 طه جابر العلواني، معالم في المنهج القرآنيّ، مرجع سبق ذكره، ص: 117 - 118.

للتفسير والتدبر وهما عنده أمر واحد ! ولكن ههنا اتضح لنا مقصوده من قوى الوعي، فالسمع والبصر والفؤاد عند طه جابر العلواني تمثل قوى وعي لدى المفسر، والذي يبدو للباحث ويكاد يجزم به هو أن العلواني اعتمد على الآيات القرآنية التي ذكر الله فيها علامات عدم الوعي، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَفْئِدَةٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: 179]، ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بَطُونٍ أَمْهَلَتْكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل: 78]، ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: 36]، فالغفلة، وعدم العلم بالكلية، أو علم البعض وجهل البعض الآخر، كلُّها ضمن حدود عدم الوعي.

ومما لاشك فيه أن المعلومات تصل إلى العقل عن طريق الحواس، ثم يقوم العقل بمعالجتها والاستنتاج منها، وهذه الحواس هي: السمع والبصر والشم والذوق واللمس، وبها يتم إدراك المعلومات، وقد ذكر العلواني منها السمع والبصر، ثم قفز إلى المعالج المستنتج الذي هو العقل، وأغفل ذكر الشم والذوق واللمس لقلة أثرها في عملية التدبر التي بنى عليها تفسيره، وفيما يأتي بيان مختلف استخدامات القرآن الكريم لألفاظ السمع والبصر والفؤاد:

- **السمع:** عزف الجرجاني (توفي: 392هـ) السمع بأنه «قوة مودعة في العصب المفروش في مقعر الصَّماخ تدرك بها الأصوات بطريقة وصول الهواء المتكيف بكيفية الصوت إلى الصَّماخ»¹، والسمع سبيل الفهم، وللسمع دلالات ومعانٍ كثيرة في القرآن الكريم²، ولكن الذي له علاقة بتدبر القرآن هو السمع الذي بمعنى فهم القلب، وسماع جارحة الأذن مع الفهم، ويرى المعجم النفسي أن السمع مرتبط بالإدراك وحدوده ومداه، ويتأثر بالزيادة والنقصان، وفقاً لما يتعرض له من ظواهر مرضية وأعراض سلبية كالتسيان، وعدم الانتباه وشدة المؤثرات.³

- **البصر:** قال ابن فارس (توفي: 395هـ): «الباء والصَّاد والراء أصلان: أحدهما العلم بالشيء؛ يُقال هو بصير به، ومن هذه البصيرة: البرهان، وأصل ذلك كله وضوح الشيء»⁴، فالعلم بالشيء

1 الجرجاني، التعريفات، مصدر سبق ذكره، ص: 161.

2 جعل لها صاحب البصائر خمسة معانٍ قرآنية هي: الإفهام، وإجابة الدعاء، وفهم القلب، وسماع جارحة الأذن، سماع الحق جلَّ جلاله المنزه. ينظر: الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مرجع سبق ذكره، ج3، ص: 259 - 260.

3 أسعد رزوق، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، (ط4)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1412هـ - 1992م)، ص: 390.

4 ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مصدر سبق ذكره، ج01، ص: 253.

إذا كان جلياً يُسمى بصراً، وقد استعملت مادة (بصر) في القرآن كثيراً، ودارت معانيها حول الإدراك بحاسة البصر وهي العين، والإدراك بالبصيرة وهي القلب أو العقل¹، فمما ورد في القرآن الكريم حول البصر بالعين؛ قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: 78]، وقوله: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً﴾ [مريم: 42]، فالْبَصَرُ بالعين هنا جاء بمعنى الإبصار الذي يتميز بوضوح الشيء، ومما ورد في القرآن عن البصر بالقلب؛ قوله ﷻ: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَزَكَهُمْ فِي ظُلُمَةٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: 17]، وقوله: ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: 198]، وقوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْى وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يونس: 43]، فهذه الآيات ورد فيها البصر بمعنى العلم بالشيء، وجميع الآيات السابقة ورد فيها ذكر ثلاث مستويات: النظر ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾، والإبصار ﴿لَا يُبْصِرُونَ﴾، والرؤية ﴿وَتَرْتَهُمْ﴾، والثلاث مستويات جمعها قوله تعالى: ﴿وَتَرْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾، أي: «شاهدوه بأبصارهم لكنهم حُجبوا عن رؤيته ببصائر أسرارهم وقلوبهم فلم يُعَتَدَ برؤيتهم»²، فالنظر باعث للتأمل والتفكير والتدبر في الشيء ومعانيته بدقة، وبهذا يحصل الإبصار المتميز بالوضوح؛ إما بالعين وإما بالقلب، ثم تتحقق الرؤية وهي العلم به يقيناً، وللرّاغب الأصفهاني كلام مائع في هذا الباب.³

– **الفؤاد:** الفؤاد هو القلب، والقلب وظيفته التعقل، وارتباط القلب بحاستي السمع والبصر أشد من ارتباطه بغيرهما من الحواس، يقول ابن القيم (توفي: 751هـ): «إنّ وصول الغذاء منهما أكمل وأقوى من سائر الحواس الأخرى، وانفعاله عنهما أشد عن غيرهما، ولهذا تجد في القرآن اقترانه بهما أكثر من اقترانه بغيرهما، بل لا يكاد يقرن إلّا بهما أو بأحدهما»⁴، وقد اختلف العلماء في محلّ العقل وماهيته،

1 للمزيد حول معاني مادة (بصر) ينظر: الرّاغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مصدر سبق ذكره، ص: 49. ومحمد محمد داود، معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، (د.ط، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2008م)، ص: 134.

2 أبو القاسم القشيري، لطائف الإشارات، تحقيق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، (ط02، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1428هـ - 2007م)، ص: 374.

3 ينظر: الرّاغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مصدر سبق ذكره، ص: 208 - 209.

4 ابن القيم، مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين، مرجع سبق ذكره، ج02، ص: 132.

والعقل نقيض الجهل، ويعني العلم بالشيء، قال ابن فارس (توفي: 395هـ): « العين والقاف واللام أصل واحد مُنْقَاسٌ مُطَرَّدٌ، يدلُّ عَظْمُهُ على حُبْسَةٍ في الشيء أو ما يُقَارِبُ الحَبْسَةَ، من ذلك العقل، وهو الحابس على ذميمة القول والفعل»¹، وحيثما يدعو القرآن إلى التفكير والتعقل فإنه يُشير إلى العقل الغريزي، كقوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُون لَهُمْ قُلُوبٌ بِهَا ﴾ [الحج: 46]، وحين يمدح القرآن الكريم العلم والعلماء، فإنه يشير إلى العقل المكتسب، كقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ [العنكبوت: 43]، فالعقل مصدر للعلم ولا بد، ولكنه ليس المصدر الوحيد، بدليل قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُون لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج: 46]، فالآية جمعت بين العقل والسمع والبصر مصادر للعلم، قال الشوكاني (توفي: 1250هـ): « ومعنى ﴿ فَتَكُون لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾ أنهم بسبب ما شاهدوا من العبر تكون لهم قلوب يعقلون بها ما يجب أن يتعقلوه، وأسند التعقل إلى القلوب لأنها محلّ العقل، كما أنّ الآذان محلّ السمع، وقيل إنّ العقل محلّه الدماغ ولا مانع من ذلك، فإنّ القلب هو الذي يبعث على إدراك العقل وإن كان محلّه خارجاً عنه، ﴿ أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ أي ما يجب أن يسمعه مما تلاه عليهم أنبياءهم من كلام الله، وما نقله أهل الأخبار إليهم من أخبار الأمم المهلكة، ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ ﴾ أي أبصار العيون، ﴿ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ أي ليس الخلل في مشاعرهم، وإنما هو في عقولهم، أي لا تُدرك عقولهم مواطن الحق ومواقع الاعتبار»²، وهم إنّما أدركوا مواطن الحق ومواقع الاعتبار بالسمع والبصر وليس بالعقل. وقد فرّق الراهب الأصفهاني (توفي: 502هـ) بين العقل واللّب من جهتي العموم والخصوص، فالعقل هو القوّة المهيّأة لقبول العلم، وأمّا اللّب فهو العقل الخالص من الشوائب، وسُمّي بذلك لأنّه خالص ما في الإنسان من معانيه، وقيل هو ما زكى من العقل، فكلّ لبّ عقل وليس كلّ عقل لبّاً.³

والله ﷻ يُعطي من قوّة الفهم إنساناً ما لا يُعطيهِ لآخر، كما أعطى الخضر عليه السلام فهماً لم يُعطه لموسى عليه السلام، قال الفيروزآبادي (توفي: 817هـ) عن قصّة الخضر عليه السلام: « وذلك إمّا بأن جعل الله له من فضل قوّة الفهم ما أدرك به ذلك، وإمّا بأن ألقى ذلك في روعه، أو بأن أوحى إليه وخصّه

1 ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مصدر سبق ذكره، ج4، ص: 69.

2 الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، مرجع سبق ذكره، ج3، ص: 459-460. باختصار.

3 الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مصدر سبق ذكره، ص: 577 و 733. بتصرّف.

به»¹، فهذه ثلاثة طرق يهب الله بها الفهم لمن يشاء من عباده.

وعى القارئ: وأمّا مُصطلح الوعي مُنفرداً؛ فإنّ له أصل واستعمالات في القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ [الحاقة: 12]، بمعنى تحفظها وتنتفع بما تحفظ، وقوله: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ [الانشقاق: 23] أي يحفظون من الحفظ.² وله أيضاً استعمالات في السّنة النبويّة منها: حديث أبي بكرة رضي الله عنه قال: «خطبنا النّبيّ صلّى الله عليه وآله يوم النّحر، قال: أتدرون أيّ يوم هذا؟ -وقال في آخره-: اللهم اشهد، فليبلغ الشاهد الغائب، فربّ مُبلّغ أوعى من سامع، فلا ترجعوا بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»³، وحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت النّبيّ صلّى الله عليه وآله يقول: «نظر الله امرئاً سمع منّا شيئاً فبلغه كما سمع، فربّ مبلّغ أوعى من سامع»⁴ يعني ربّما شخص يسمع الحديث ويحدّث به غيره ويكون غيره هذا الذي حدّثه به أفقه للحديث منه، وفي الحديث الثّاني أشار صلّى الله عليه وآله إلى أمرين هامّين هما التّبليغ والوعي.

ويُعرّف الوعي في المعجم الموسوعيّ بأنّه «معرفة تُرافق عواطفنا وأفعالنا، وهو يُكوّن مجمل إحساساتنا وإدراكاتنا، والواقع الدّاتيّ لهذه الإدراكات والإحساسات، وهو يُنظّم معطيات حواسنا وذاكرتنا، ويحدّد موقعنا في الزّمان والمكان، وهو المعرفة التي تُرافق فاعلية الفكر وتجعلها ماثلة أمام نفسه»⁵، والوعي بهذا التعريف يُراعي العواطف، والأفعال، الأحاسيس، والمدركات، والواقع الدّاتيّ، والإطارين الزّمانيّ والمكانيّ، ومرافقة الفكر.

كما يُعرّف الوعي في أنسب التعريفات لما نحن بصددّه بأنّه: «انجّاه عقليّ انعكاسيّ يُمكن الفرد من الوعي بذاته وبالبيئة المحيطة به بدرجات مُتفاوتة من الوضوح والتّعقيد، ويتضمّن ذلك وعي الفرد بالوظائف العقليّة والجسميّة، ووعيه بالأشياء وبالعالم الخارجيّ، وإدراكه لذاته فرديّاً وكعضو في

1 الفيروزآبادي، بصائر ذوي التّمييز في لطائف الكتاب العزيز، مرجع سبق ذكره، ج4، ص: 222.

2 أحمد مختار عمر، المعجم الموسوعيّ لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته، (ط01، مؤسسة سطور المعرفة، الرياض، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1423هـ - 2002م)، ص: 1166 - 1167. بتصرّف يسير.

3 متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب قول النّبي صلّى الله عليه وآله: «لا ترجعوا بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»، برقم: (7078). ومسلم في صحيحه، كتاب القسامة والمحاريب والقصاص والديات، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، برقم: (1679) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

4 سبق تخريجه.

5 نوريير سيلاوي وآخرون، المعجم الموسوعيّ في علم النّفس، ترجمة: وجيه أسعد، (د.ط، منشورات وزارة الثّقافة، دمشق، الجمهوريّة العربيّة السّوريّة، 2001م)، ص: 1431.

جماعة»¹، فدلالات هذا التعريف الأخير تؤكد النقاط التالية:

- الوعي نشاطٌ عقليٌّ يتطلب جهداً للقيام به، وهو بقدر الطاقة البشرية.
- موضوع الوعي مزدوج يُعنى بالذات كما يُعنى بالإطار الخارجي لها، فهو شامل.
- الوعي ليس قاصراً على الأمور الواضحة بل يتناول الأمور التي لها قدر من التعقيد.
- الوعي بالشيء الواحد قد تتعدد اعتباراته.

إذن فالوعي معرفة مُتجددة متطورة، فوعي الأمس ليس بالضرورة ووعي اليوم، ووعي الصبي ليس كوعي البالغ، وهكذا، والوعي غير متوقف وغير ثابت وغير مستقر، يزيد ويبدل، ويؤكّد من كلّ مسألة آلاف المسائل، ينتقي بعضها بعد علمها جميعاً، وهو إمّا واعي شخصي يُعطي حلولاً للمشكلة الواحدة وينتقي الأنسب، وجمعي يتعامل مع كلّ جديد وحادث، فمثلاً أثناء تفسير القرآن الكريم يتعامل المفسّر مع النص القرآني، فكّلما أنهى تفسير آية معيّنة؛ فهناك آلاف الكلمات والجمل تصلح أن تحلّ بديلة عمّا اختاره المفسّر من كلمات وعبارات، بل تظهر أفكارٌ يمكن استبدال فكرة المفسّر بها باعتبارها وعياً سابقاً، فتتكوّن بهذا آراء مختلفة صادقة نسبياً، وكاذبة نسبياً، وقد تخضع للأهواء والمزايدة، وكلّ يُدلي بدلوه على أنّه الرّأي الصّائب أو رأي صائب.

كلّ هذا دون إغفال أنّ الوعي قابل للاستلاب والتّوجيه باستخدام أساليب ووسائل ودعايات وتيارات دينية أو سياسية أو إعلامية متعدّدة، لذا فإنّ المنصف يعلم هذا من نفسه فيحذّره، ويُنَبِّه عليه غيره ويحذّره، وفي هذا قال عبد الرّحيم البيساني (توفي: 596هـ) للعماد الأصفهاني (توفي: 597هـ): «إنّه قد وقع لي شيء وما أدري أوقع لك أم لا؟ وها أنا أخبرك به، وذلك أنّي رأيت أنّه لا يكتب أحدٌ كتاباً في يومه إلّا قال في غده: لو غيّر هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يُستحسن، ولو قُدّم هذا لكان أفضل، ولو تُرك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النّقص على جملة البشر»²، ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: 22].

على أنّ الوعي القرآني يُنتج لحركة التّاريخ فوائد على مسيرة الفرد والأمة لا تُنكر، ذكرها ابن خلدون (توفي: 808هـ) في مقدّمته في النقاط التالية: «
أولاً: القدرة على الإبداع والفعل الحضاريّ.

1 محمد علي محمّد وآخرون، قاموس علم الاجتماع، (ط01، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، 1413هـ - 1993م)، ص: 422.

2 مرتضى الزبيدي، إتحاف السادة المتّقين بشرح إحياء علوم الدّين، (د.ط، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، د.س.ط)، ج01، ص: 04.

ثانياً: القدرة على التحليل والنقد التاريخي.

ثالثاً: الإحساس بتقلبات الأحوال والظروف.

رابعاً: الإحساس بحتمية انتصار الحق.

خامساً: العمران كلّ من بداوة وحضارة وملك وسوقة له عمر محسوس كما أنّ للشخص الواحد من أشخاص المكونات عمراً محسوساً¹.

وظاهر كلام العلواني هو أنّ تدبر القرآن -والذي هو التفسير عنده لا يختلفان- يلزمه نشاط العقل انطلاقاً من جملة ملكاته واستعداداته ومكتسباته؛ والتي يُنمّي بها قوى الوعي قرآنيّاً، ويُساعد بها على الفهم والإدراك، وهذه القوى تتناول الأمور التي لها قدر من التعقيد -كمسائل الغيب والعقيدة- ممّا لا تراه العين في الوهلة الأولى، لذا قد تتعدّد اعتبارات ذلك بين ذات المفسّر والعالم من حوله، «وقد أطلق القرآن العقل البشريّ من عقّاله بمنهج النّظر الذي جاء به، وحرّره تحريراً تامّاً من سلطان الكهانة والسّحر والشعوذة، وقاده لمعرفة الطّبيعة وغيرها ممّا يهّم الإنسان معرفته، ومنحه الشّجاعة التّامة والجرأة، والثّقة بنفسه من خلال دعوته للعقل بأن يتفكّر ويتدبّر، ويتذكّر ويفقه ويصير، ويتعقّل، ويُعلّم ويتعلّم، ويعرف، ويُدرّك، ودربه على ألاّ يتهيب اقتحام أقطار السّماوات وحبكها، وفجاج الأرض وطبقاتها، ولا ظلمات أعماق البحار والمحيطات وتضاريسها، وألاّ يتردّد في بناء وعي عقليّ وإدراك منطقيّ تسدّده وتهديه وتُرشده أنوار الوحي وهدايته ... وبذلك أسّس القرآن للعقلانيّة التّوحيدية²»، ولا وحي عند طه جابر العلواني غير القرآن الكريم.

ورداً على مثل هذا الكلام قال الواحدي (توفي: 486هـ): «ولما كان كلام الله تعالى أشرف المعلومات، كان العلم بتفسيره وأسباب تنزيله ومعانيه وتأويله، أشرف العلوم، ومن شرف هذا العلم وعزّته في نفسه أنّه لا يجوز القول فيه بالعقل والتدبّر، والرّأي والتّفكّر، دون السّماع والأخذ عمّن شاهدوا التّنزيل بالرواية والنقل. والنبي ﷺ فمن بعده من الصّحابة والتّابعين قد شدّدوا في هذا حتّى جعلوا المصيب فيه برأيه مُخطئاً³».

1 ابن خلدون، مقدّمة ابن خلدون، مصدر سبق ذكره، ج2، ص: 46.

2 طه جابر العلواني، معالم في المنهج القرآني، (ط1، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، 1431هـ - 2010م)، ص: 83.

3 الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، مرجع سبق ذكره، ج1، ص: 47.

المطلب الثالث: القواعد الأساسية لتفسير القرآن الكريم عند طه جابر العلواني

يقول السيوطي (توفي: 911هـ): « القاعدة تجمع فروعاً من أبواب شتى، والضابط يجمع فروع باب واحد »¹، وعليه فإنّ الضابط التفسيري أضيق من نطاق القاعدة التفسيرية²، وبهذا الاختلاف تُصرف الضوابط عن معناها العام الذي يُرادف معنى القاعدة إلى معناها الخاص الذي هو دون القاعدة وأخصّ منها³، والذي يُريد الباحث الإشارة إليه هنا؛ هو أنّ القاعدة أعمّ من الضابط وتختلف عنه رغم تداخلهما.

القاعدة الأولى: القرآن لا يحتاج إلى تفسير: قد يُتَعَجَّب من إيراد الباحث هذه القاعدة وجعلها على رأس القواعد الأساسية، ثمّ نسبتها إلى طه جابر العلواني؛ ذلك المفكر المفسّر، بالإضافة إلى أنّ معناها يُخالف ما قام به العلواني من تفسير للقرآن الكريم، إذ كيف يُفسّر القرآن من يرى أن القرآن لا يحتاج إلى تفسير؟!

ولإزالة هذا التعجّب، ننقل كلام العلواني ونربط بعضه ببعض لفهم مقصوده، يقول طه جابر العلواني بعد بيانه لما ذهب إليه الفريقان من العلماء، فريق أوّل ضمّ الكثير من أهل العلم ذهب إلى أنّ القرآن لا يحتاج إلى تفسير، وأنّ حياة رسول الله ﷺ وخلقه وسائر تصرفاته هي تفسير عمليّ له. وفريق ثانٍ قال بأنّ القرآن جاء بلغة مُتحدّية للخلق كافّة، فهي لغة مُتعالية، لا يسهل على كثير من البشر فهمها ومعرفتها إذا لم تُفسّر لهم وتُشرح، وأنّ الشرح والتفسير لا ينافي كونه مُبيناً وبيّناً، ليقول: « ولكنّ سلوك رسول الله ﷺ وعدم قيامه بوضع تفسير للقرآن خارج عمله به يُؤيّد ما ذهب إليه الأولون »⁴، وبرّر العلواني اختياره لما ذهب إليه الفريق الأوّل بما ورد في كتاب التفسير من صحيح البخاريّ -حوالي ثمانية وثمانين حديثاً- ولو فسّر رسول الله ﷺ القرآن لكان عدد أحاديث التفسير مُساوياً لعدد آيات القرآن الكريم -أي ستة آلاف ومائتين وثمانية وثلاثين حديثاً-، وعليه توصل إلى أنّ القرآن لا يحتاج إلى التفسير بالمعنى الاصطلاحيّ، ويكفي تفسير القرآن بالقرآن! ثمّ يُضيف العلواني: « وإذا كان المتأخرون قد أقبلوا على ممارسة التفسير وتفنّنوا في أنواعه

1 السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، (ط01، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1422هـ - 2001م)، ج01، ص: 13.

2 علي أحمد النّدوي، القواعد الفقهيّة مفهومها، نشأتها، تطوّرها، دراسة مؤلّقاتها، أدلّتها، مُهمّتها، تطبيقاتها، (ط04، دار القلم، دمشق، سوريا، 1418هـ - 1998م)، ص: 46. بتصرّف.

3 مولاي عمر بن حماد، علم أصول التفسير محاولة في البناء، (أطروحة لنيل دكتوراة الدولة، كلّية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمّديّة، المغرب، 1423هـ - 2002م)، ص: 181.

4 ينظر: طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 13 - 15.

لأسباب مختلفة، ففسّروا بالمأثور والمعقول واللغات، وبرزت أنواع من تفاسير الفرق والمذاهب والتفاسير الباطنية وما إليها، فذلك عمل الخلف لا يُحتجُّ به فيقوم دليلاً على ضرورة التفسير أو حاجة القرآن الكريم إليه ¹، ومن خلال هذه القاعدة رأى العلواني أنّ القرآن لا يحتاج إلى التفسير بالمعنى الاصطلاحي، أي أنّه لا يقبل تفسيره بنصوص من خارجه، ويكفي الأجيال التي جاءت بعد جيل التلقي تفسير القرآن بالقرآن، تفسيراً ذاتياً، لأنّ القرآن يُفسّر بعضه بعضاً.

وحتى يُؤصّل ويُعلّل لهذه القاعدة، يقول العلواني: «... والذين تابعوا منهج رسول الله ﷺ وجدوه دائماً يُفسّر القرآن بالقرآن، ويُعين الناس على فهمه أدقّ فهم وأحسنه وأصلحه بهاتين الوسيلتين، تعليمهم العمل به، ولفت أنظارهم إلى أنّ بعضه يفسّر بعضاً، وآياته يفسّر كلّ منها الآيات الأخرى.

... فاخترنا منهج رسول الله ﷺ ألا وهو "تفسير القرآن بالقرآن"، وربط سلوك وعمل سيّدنا رسول الله ﷺ بالقرآن المجيد، ليعلم الناس أنّ رسول الله ﷺ كان يتلو على الناس الكتاب ويعلمهم العمل بآياته، وتطبيق ما جاء به، وتحويله إلى ممارسة حياتية، ولذلك عدنا إلى إحياء ذلك المنهج النبوي، فهو وحده المنهج الكفيل بحماية المقاصد، وتحقيق الأهداف، وتمكين خلف هذه الأمة من سلوك ما كان عليه سلفها وجيل التلقي الخيّر من أبنائها ²، إذن تفسير القرآن بالقرآن هو المنهج النبوي الدائم الذي كان رسول الله ﷺ يُمارسه بنفسه، ويُعلّمه لغيره، بل ويُعينهم على تعلّمه، وهو نوعان: عملي ونظري، فالعملي من خلال ربط السلوك والعمل بالقرآن الكريم، والنظري من خلال ربط الآيات بعضها ببعض حتى تكون تفسيراً لبعضها البعض.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: هل كان منهج رسول الله ﷺ التفسيري معلوماً عند المفسرين السابقين أم أنّه ممّا خفي عليهم؟ وهل خالف المفسّرون منهج رسول الله ﷺ التفسيري عن علم أم عن جهل؟ ففي الإجابة عن هذين السؤالين فهم وحكم على منهج العلواني التفسيري، وقد سبق بيان الباحث أنّ منهج رسول الله ﷺ لم يكن مُجرّد تفسير القرآن بالقرآن، بل كان يُفسّر بالسنة، أو بإقرار الصحابي على تفسيره، أو باللغة العربية.

القاعدة الثانية: نظم القرآن هو حافظ القرآن وحارسه الأمين: يقول العلواني: ومع التّحدّي والتّيسير جعل الله له حافظاً من داخله، يحرسه من أيّ تغيير أو تبديل أو تحريف، وذلك نظمه

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 15.

2 المرجع السابق، ص: 15.

الداخلي. فنظم القرآن هو حافظه وحارسه الأمين و((نظم القرآن)) يقوم على دعائم كثيرة لا يمكن لكلام بشر أن يشتمل عليها -كلها- في وقت واحد. نذكر دعامة من هذه الدعائم، هي وفرة الإفادة وتعدد الدلالة وتنوعها مع وجازة الآية واشتمالها على أدق وجوه البيان وأجمل أنواع البديع.¹

فآيات القرآن الكريم المكنون والعبارات والجمل التي يشتمل عليها لها مستويات متعددة من الدلالة، فلها دلالة بحسب الوضع اللغوي وتركيب الجمل، وهي مستوى من الدلالة يشاركها فيه الكلام العربي كله، ولها دلالة صيغ بلاغية، وهي على مستويات عليا ووجوه كثيرة ... وفي سائر الأحوال فإنّ هناك وفرة في الدلالة لا يستطيع أبلغ البلغاء وأفصحهم أن يقارب أيّ مستوى من مستويات دلالاتها الوفيرة على أنواع من المعاني لا تقع تحت حصر، وذلك هو الإطلاق الذي يتفرد لسان القرآن به عن كلّ ما سواه، فكلّ ما سواه داخل في دوائر النسبية، أمّا هو فمطلق مستوعب متجاوز لكلّ ما عداه من كلام البشر، ومنهم الأنبياء والمرسلون.²

وقد تكفل الله سبحانه بحفظ القرآن لفظاً ومعنى. قال تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: 42]، وقد دلّت الآيات المحكمات بسائر أنواع الدلالة على حفظ القرآن لفظاً، وقد تظافر النظم مع الوحدة البنائية للقرآن، بالإضافة إلى وسائل أخرى ظاهرة وكامنة فيه على نفي الباطل عن القرآن، وعصمته في لفظه، وحفظه في معانيه.³

لقد تبوّط طه جابر العلواني رؤية نقدية شاملة للعلوم الإسلامية التي بُنيت حول الخطاب القرآني، معتبراً أنّ المنهجية التي تأسست عليها تلك العلوم والمعارف متعارضة مع لسان القرآن الكريم، وهذا خلق نوعاً من الفصام بين الاعتقاد النظري بأنّ الخطاب القرآني خطاب إلهي معجز ومهيمن على ما سواه، وبين الاستحضار الفعلي لهذا الاعتقاد عند التعاطي معه، وعليه دعا العلواني إلى بناء منهجية للتعامل مع القرآن المجيد مُستمدّة من القرآن ذاته -فللقرآن منهجه ومنطقه ولسانه- ومن ثمّ تتمكّن من استخلاص منهجية معرفية قرآنية كونية تستوعب الكون وحركة الإنسان فيه، فلسان القرآن يختلف عن اللسان العربي، ويتمتع بمزايا مختلفة.

إنّ نظرة العلواني السابقة؛ مبنية على أنّ التفسير لا يمكن أن يحتكره عصر واحد، لذا فهو يرى أنّ هذه العلوم الموروثة كرسّت هيمنة نسبية البشر على مطلق الكتاب، وقيدته إلى مدركاتها اللغوية

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 21.

2 المرجع السابق، ص: 24 - 26.

3 المرجع السابق، ص: 26.

والظرفية ومحدداتها الزمانية والمكانية وسُقوفها المعرفية، وقاسته على معهود اللسان البشريّ فحكمت نواقصه عليه، وقاسته على الكتب التي سبقته استناداً إلى تصوّر أنّ هناك تشابهاً بين بعض موضوعات وقضايا الخطاب القرآنيّ والكتب السابقة عليه؛ فُعِيّت هيمنته عليها؛ ممّا فتح الباب أمام تراث لاهوتيّ بشريّ مُحافٍ للقرآن، ومُتصادم مع العقل، ران على فهمنا للخطاب القرآنيّ؛ وما جاء الخطاب القرآنيّ إلّا ليُطهّر الكتب السابقة منه، وعُيّب بُعد العالمية في الخطاب القرآنيّ، وحُصر في دائرة ضيقة كما لو كان خطاباً قومياً مُنحصراً في قوم أو محيط جغرافيّ مُحدّد أو فترة تاريخيّة مُعيّنة.

وليس في القرآن ما لا يُمكن فهم معناه؛ يقول العلواني: « فالقرآن لا يحتاج إلى التفسير بالمعنى الاصطلاحيّ، ويكفي للأجيال التي جاءت بعد جيل التلقي تفسير القرآن بالقرآن، فالقرآن يُفسّر بعضه بعضاً »¹، فعربية لسان القرآن تُعدّ لازماً من لوازم الوحدة البنائية للقرآن الكريم وتيسيره وبيانه؛ والقول بوجود ألفاظ أعجميّة أو مُعرّبة فيه يعني أنّ المرجعيّة اللسانية للقرآن الكريم باتت مُشتتة، ما يجعل الغموض والالتباس صفة لصيقة بالقرآن الكريم، والقول بوجود ألفاظ غير عربيّة في القرآن الكريم وتحديدًا بلغات الكتب السابقة عليه مقصد آخر، فذلك يفتح الباب أمام القول ببشريّته واقتباس بعض ما فيه من الكتب السابقة، وعلى الجانب الآخر لا تعني عربيّة لسان القرآن أنّه لسان قوميّ فهو خطاب للعالمين.

واختار طه جابر العلوانيّ أنّ الأميّة التي عنها القرآن تُوصف بها الأمم التي لم يُرسل لها رسول أو ينزل عليها كتاب، حيث كان هذا الوصف في مُقابل أهل الكتاب، وهو وصف زال عن رسول الله ﷺ وعن العرب بنزول القرآن الذي خاطب أولاً العرب ليُهيّئهم لحمل هذا الخطاب إلى الأمم الأميّة الأخرى²، فهو لم يأخذ اللّغة العربيّة بما تحويه من مضامين مُرتبطة بثقافة العرب، وإنّما أخذ لسانه من اللسان العربيّ ما أراد، وطوّعه لمضامينه ونظمه وبنائه وتجاوزّه، فلسانه مُفارق للسان العرب ولألسنة البشر جميعاً، فقد برئ من نواقص اللسان البشريّ، وإلّا فأين الإعجاز وأين التحدّي، وهو إلى ذلك لسان وليس لغة، لأنّه هداية للعالمين من غير العرب، وسهل عليهم تعلّمه وفهمه، ولكن القرآن لم يقف عند هذا الحدّ، بل أخرج اللّغة العربيّة من إطارها القوميّ الضيّق إلى آفاق العالمية حتّى أصبحت اللّغة العربيّة مدخلاً للانتماء إلى ثقافة وحضارة لا إلى قوميّة.³

1 طه جابر العلوانيّ، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 15.

2 ينظر: المرجع السابق، ص: 29 - 30.

3 للمزيد ينظر: طه جابر العلوانيّ، لسان القرآن ومستقبل الأمة القطب، (ط01، مكتبة الشروق الدوليّة، القاهرة، مصر، 1427هـ - 2006م).

وفرق العلواني بين عربيّة القرآن واللّسان العربيّ فقال: « ومن هنا نستطيع أن نتيّن أنّ الرّزيّة الأولى كانت حين تمّ إسقاط أحكام اللّسان العربيّ البشريّ المتداول على القرآن ... ممّا يفتح الباب لتجميع المفاهيم والمصطلحات والكلمات القرآنيّة وإعطاء الفرصة لكلّ مُفسّر أو فقيه أن يختار أو ينتقي المعنى الذي يرغبه فيضيع المنهج، ويصبح القرآن لا يتحكّم فيه نظمه وأسلوبه وعاداته ... بل يحكمه القاموس العربيّ القائم على كلام البدو ومنطقهم ».¹

القاعدة الثالثة: ليس في القرآن نسخ: اعتبر طه جابر العلواني: « اجتهادات علماء القرآن بوضع خصائص ومواصفات مُحدّدة لما نزل في مكّة وما نزل في المدينة ليست قطعيّة، وإنّما هي مواصفات قامت بناءً على اجتهادات وملاحظة إنسانيّة قابلة للقبول وللرفض ولا بدّ من ملاحظة ذلك وأخذه بنظر الاعتبار »²، والإنصاف يقتضي أن يُذكر أنّ العلماء حتّى وإن اختلفوا، فقد اعتنوا بتحقيق المكيّ والمدنيّ عناية فائقة، فتتبعوا القرآن آية آية، وسورة سورة، لترتيبها وفق نزولها، مُراعين في ذلك الزّمان والمكان والخطاب، لا يكتفون بزمن النزول، ولا بمكانه، بل يجمعون بين الزّمان والمكان والخطاب، وهو تحديد دقيق يُعطي للباحث المنصف صورة للتحقيق العلميّ في علم المكيّ والمدنيّ، وهو شأن علمائنا في تناولهم لمباحث القرآن الأخرى.³

والعلوانيّ يعلم أنّ معرفة المكيّ والمدنيّ لا يخلو من فوائد تستدعي الحاجة الوقوف عليها في مواطن عدّة، وبخاصّة الأحكام منها، وما يتّصل بالنّاسخ والمنسوخ، وهو ما كان حاضراً لدى أهل الاختصاص، وعبر عن ذلك النّحاس (توفي: 338هـ) بقوله: « إنّما نذكر ما أنزل بمكّة لأنّ فيه أعظم الفائدة في النّاسخ والمنسوخ، لأنّ الآية إذا كانت مكّيّة، وكان فيها حكم، وكان في غيرها حكم غيره نزل بالمدينة، علّم أنّ المدنيّة نسخت المكيّة »⁴، وإنّما ذكر الباحث ما سبق؛ لأنّ فيه بيان طريقة من طرق ردّ العلوانيّ للنسخ، فحتّى القرآن المكيّ والمدنيّ غير مُسلّم به عنده !

وقد يُعالج القرآن ذات القضيّة في مواضع مُتعدّدة منه ولكنّه في كلّ موضع يتناولها من زاوية مُختلفة ليُحقّق غاية تتكامل مع مقاصده الكلّيّة العليا، وعلى ذلك فلا تنازع بين تلك النّصوص في محلّ الورود؛ هذه إذن هي استراتيجية الخطاب القرآنيّ، من هنا تعجّب طه جابر العلوانيّ وثار على قضيّة النسخ، مُعتبراً أنّه لولا حفظ الله للقرآن لفتحت مقولة النسخ أبواب التّحريف والوضع على

1 طه جابر العلوانيّ، معالم في المنهج القرآنيّ، مرجع سبق ذكره، ص: 78.

2 أسئلة واستشكالات حول ما يُعرف بـ"علم القراءات"، طه جابر العلوانيّ، مرجع سبق ذكره، ص: 08.

3 ينظر: الزّركشيّ، البرهان في علوم القرآن، مرجع سبق ذكره، ج 01، ص: 197.

4 النّحاس، النّاسخ والمنسوخ، مصدر سبق ذكره، ص: 214.

متن القرآن المجيد ما كانت لتتعلق، ورأى أن قضية النسخ في القرآن لا تعني أبداً إبطال بعض آيات القرآن أو إزالتها أو إبدال بعضها مكان بعض، بل على العكس من ذلك تعني تثبيت القرآن المجيد كله في مقابل أي محاولة للنيل منه أو التشويش عليه أو التشكيك فيه أو الحيلولة دون الإيمان به والصد عنه، بل هي تعني نسخ الشرائع السابقة، حتى لا تكون الرسالة الخاتمة مجرد رسالة لاحقة وإنما رسالة مهيمنة.¹ كما حذر من آثار « مشكلة النسخ والمنسوخ التي دخلت على الإسلام من تورا يهود، وأصبحت مصدراً للتنازع بين المسلمين والاختلاف فيما بيننا ».²

القاعدة الرابعة: القرآن كله مُحكم وكله مُتشابه ولا مُبهم فيه: عند معالجة طه جابر العلواني لهذه الإشكالية - حسب رأيه - جعلها في المحاور التالية: «

- سبب الإشكالية: حيث رأى أن إشكالية المحكم والمتشابه دارت حول آية من سورة (آل عمران)، وهي قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذْكُرُونَ أُولَئِكَ أَلَبَسَ ﴿٧﴾﴾ [آل عمران: 07]، والتي تقول بأن القرآن فيه آيات مُحكمات وأخر متشابهات، أما سائر الآيات القرآنية ففيها وصف القرآن كله بالإحكام وكله بالتشابه؛ بما لا يُشير إلى تعارض بين الصفتين، فهو كله مُحكم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ بَيِّن لا التباس فيه ولا اشتباه، وهو كله يُشبه بعضه بعضاً لا اختلاف فيه ولا تناقض.

- سبب ورود الآيات: رجع طه جابر العلواني في تفسير آية (آل عمران) إلى سياق الورد وعلاقته بالقرآن ككل، وفي إطار الوحدة البنائية؛ حيث وردت في سياق مناقشة التصاري من أهل الكتاب بعد أن فرغت سورة البقرة من مناقشة اليهود، وذلك يجعل السياق يشي من بداية السورة بأن التشابه يُقصد به التشابه بين الكتب المنزلة في تحديد أركان العقيدة وأصول الشريعة، وهذا ما أكدده القرآن في غير موضع، وأما المحكمات فهي الآيات التي انفرد القرآن بها، أي التي تُثبت خصوصية الرسالة الخاتمة عما سبقها، أي أن المحكم والمتشابه في آية (آل عمران) ليس وصفاً لبعض آيات القرآن في مقابل البعض الآخر، وإنما وصف لها في مقابل ما سبق القرآن من الكتب السماوية.

- قدسية القرآن الكريم: لا يستقيم أن يصف القرآن نفسه بأنه كله مُحكم وكله مُتشابه على نحو مُتلازم، ثم يعود فيستخدم ذات الصفتين على نحو مُتقابل بأن تكون الأولى صفة لبعض آياته والثانية

1 للمزيد ينظر: طه جابر العلواني، نحو موقف قرآني من النسخ، مرجع سبق ذكره.

2 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 12.

صفة للآيات الأخرى، دون الرجوع إلى قرائن السياق وإلى علاقة هذه الآية بسائر البناء القرآني، والذي ينفي ويسقط التصورات القائلة بأنّ في القرآن غموض والتباس، أو أنّه حمّال أوجه، فالمشكلة -بحسب طه جابر العلواني- فيمن يُفسّر القرآن، في فهمه وفي منهجه في التفسير، وفي العوامل المؤثرة في إدراكه ووعيه، لا في القرآن ذاته، فالتسبيّة ذهنيّة؛ أي في ذهن القارئ للقرآن الكريم، سواء أكان فقيهاً أو مُفسراً أو غير ذلك، وليست في ذات الخطاب القرآني، فلماذا نُسقطها على القرآن، وننسب إليه ما فينا من نقص بشريّ وهو مُنزّه عنه؟! ¹.

وما قيل عن قاعدة المحكم والمتشابه هو نفسه تكرر عند طه جابر العلواني مع المبهم والواضح، فالقرآن لا يشتمل على المبهم غير المفهوم، وهو كلّ واضح عند العلواني.

القاعدة الخامسة: حاكميّة القرآن الكريم: طبقاً لطله جابر العلواني؛ فإنّ القاعدة الأساس التي ينهض عليها مشروعه القرآني؛ هي حاكمية القرآن المجيد بوصفه وحده النصّ والمصدر المطلق والمنشئ، وهذا يعني أنّه حاكم ومُهيمن على ما سواه، فكلّ ما سواه نسبيّ، سواء أكان المصدر المبين الذي يتكامل معه في المرجعية (السنة النبويّة القرآنيّة حصراً)، أو ما دونه من وسائل وأدوات للفهم والمقاربة، وهذا ليس فرضاً خارجاً عن القرآن، وإنّما هو ما بيّنه وأكّده القرآن الكريم ذاته، ولهذا الحاكمية لازمين رئيسين؛ الأول: أنّ القرآن يجب أن يُقرأ بالاحتكام إلى القرآن ذاته، وهذا يعني أنّ للقرآن منهجه ومنطقه وسننه وأساليبه وعاداته؛ والتي يجب أن تُستقرأ لتكون هي الحاكمية على أيّ محاولة لفهمه. والثاني: أنّ حاكمية القرآن المجيد تقتضي أن يكون مُستوعباً للزمان والمكان ومُتجاوزاً لهما ومُهيماً عليهما، فهو كتاب كونيّ معادلٌ موضوعيّ للكون وحركته، ومُستوعب لهما، وقادر على استيعاب الصيرورة التاريخيّة، فهو لا يتعلّق تعلّقاً مباشراً وتامّاً وناشئاً بأيّة إشكالية جزئيّة؛ وهذا بدوره يقتضي أن يكون مُتضمناً لناظم ينتظم دلالاته ومعانيه ومقاصده، وهو المنهجية المعرفيّة القرآنيّة.²

القاعدة السادسة: لا يختصّ بتفسير القرآن أيّ جيل: عالج طه جابر العلواني اختلاف السقف المعرفيّ من عصر إلى عصر وتأثيره على قراءتنا للقرآن الكريم بعمق واستفاضة، وذلك باعترافه بتأثير تلك العوامل على قراءتنا للقرآن الكريم سواء في العصور السابقة أو عصرنا الحاليّ، لا كما يُنكر

1 ينظر: طه جابر العلواني، نحو موقف قرآني من إشكالية المحكم والمتشابه، مرجع سبق ذكره.

2 لا يخلو مؤلّف من مؤلّفات طه جابر العلواني عن تناول مسألة حاكميّة القرآن الكريم. ينظر: مؤلّفات طه جابر العلواني: تفسير القرآن بالقرآن -في مقدّمته-، نحو منهجية معرفيّة قرآنيّة، الجمع بين القراءتين قراءة الوحي وقراءة الكون، الوحدة البنائيّة للقرآن الكريم، لسان القرآن ومستقبل الأمة القطب، نحو موقف قرآني من النسخ، نحو موقف قرآني من إشكالية المحكم والمتشابه، معالم منهجية في التدبر والتدبير، معالم في المنهج القرآني.

البعض الذين أضفوا صفة المطلقية على أفهام نسبية سابقة، واحتكار الفهم الصحيح وما تبعه من تعالٍ وإقصاء، لذا اكتفى طه جابر العلواني في التفسير بالقرآن والسنة، بوصف القرآن المصدر المنشئ، والسنة المصدر المبين.

ويقدم طه جابر العلواني رؤيته للعلاقة بين السنة والقرآن والمتمثلة في أن كليهما يُشكّل الإطار المرجعي للإسلام، فبينهما تكامل ووحدة بنائية، فهما ليسا مصدرين منفصلين تُسقط السنة من الإطار المرجعي كما يذهب القرآنيون، أو لتوضع في درجة مُزاحمة للقرآن الكريم، بأن تجعل المصدر الثاني للتشريع (أي مُنشئاً)، وعليه لا بدّ من قراءة السنة النبوية في وحدتها البنائية الداخلية، وفي وحدتها البنائية مع القرآن الكريم.

وهاته القاعدة عليها مدار تفسير طه جابر العلواني ومنهجه، فهو يرى أنّه لا بدّ أن تنضبط قراءة القرآن المجيد بمنهج من أهمّ معالمه تحرّر العقول والأقلام والجهود، وأن يُقرأ قراءة شمولية تتجاوب مع وحدته البنائية، فللوحدية البنائية دور كبير في فهم مقاصد القرآن المجيد ومعانيه، لأنّ الخطاب القرآني حينما يبني قيمة من قيمه أو يُشيد مقصداً من مقاصده؛ فإنّه يقوم بذلك بأجمعه، وكلّ آياته وسوره تدخل في تكوين ذلك المقصد أو تلك القيمة، ولكن من مواقع مختلفة، وبتكامل وتشابك مع سائر مقاصده وغاياته.

ولابدّ من الوصول إلى القراءة الجامعة؛ أي الجمع بين القراءتين قراءة الوحي وقراءة الكون، فيقرأ القرآن في وحدته البنائية ويُقرأ الكون في وحدته العضوية في ضوء استيعاب القرآن للكون وحركته؛ فالوحي يُنبّه إلى ما في الكون من عناصر ومؤثرات، وإلى ترابط الأسباب بالمسببات، وفعل الغيب في الواقع، وكيف يُمكن رصد آثار هذا الفعل، وأين يبدأ الدور الإنسانيّ وأين ينتهي أو يتوقّف، والكون يُساعد على فهم الوحي وحسن قراءته وكيفية استدعائه للحضور الدائم والشهود المستمر لترشيد المسيرة الكونية، وتحقيق غايات وأهداف الحقّ من الخلق، كلّ ذلك يناله القارئ بالتدبّر.

وعلى القارئ للقرآن الكريم « أن يستدعي التاريخ وآفاق الفهم، ويُؤسّس للعلاقة مع الخطاب. إنّ "التدبّر" يجعل القارئ يبحث عن المعنى الذي ينشأ نتيجة تفاعله مع الخطاب لا عن المعنى "الكامن أو المكنون" فيصبح المعنى -آنذاك- "أثراً" تمكّن ممارسته لا "موضوعاً" يمكن تحديده »¹، ولكن يجب عليه أن يعرف أنّه « من معوّقات تدبّر القرآن الكريم الذنوب، واتّخاذ أحكام مسبقة قبل التدبّر، وتعضية القرآن الكريم فيقرؤه على أنّه آيات مُنفردة فحسب، أو سور مُنفكة ومُنفصلة عن

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 19.

بعضها بعضاً، وكذلك جهله بعادات القرآن الكريم ولسانه الخاص به، وكذلك جهله بالمقاصد العليا الحاكمة للقرآن الكريم، وجهله بآثار مشكلة التأسخ والمنسوخ التي دخلت على الإسلام من تورا يهود، وأصبحت مصدراً للتنازع بين المسلمين».¹

ولقد آمن العلواني بمفهوم الفتح، ولكن ليس بالمعنى الصوفي، بل بالمعنى الفكري التدبري، الذي يعني طهارة القوى الواعية في الإنسان وجاهزيتها لاستقبال المعاني القرآنية بعد أن كانت مغلقة أو مكنونة، فالتدبر عنده ضروري لأنه يقوم بقيادة القارئ للتفاعل مع الخطاب القرآني، ومعرفة دوره بالنسبة إليه.

القاعدة السابعة: التركيز على المحددات المنهجية للقرآن الكريم: جعل العلواني للقرآن الكريم ثلاث محددات منهجية يمكن من خلالها الكشف عن منطق القرآن الكريم، وهي التوحيد، والجمع بين القراءتين، والوحدة البنائية للقرآن الكريم، ورأى أن هناك مؤثرات تُشكل الخلفية المعرفية والإدراكية لقراءة القرآن الكريم، لا تتفاوت فقط من عصر إلى عصر، ولكنها تتفاوت أيضاً في العصر الواحد طبقاً لمحددات أخرى مجتمعية وفردية وطبقية وفكرية، ولا يمكن التقليل من تأثيرها أو توهم إمكانية التجرد منها، لأنها تصوغ تحيزات وتصورات ونماذج مسبقة تُوجّه قراءتنا للقرآن الكريم، والمهم أن لا يشغل القارئ عقله وفكره بتلك الأمثلة والنماذج، بل عليه أن يركز على المحددات المنهجية والقضايا الفلسفية المثارة، فالمنهج هو قضية هذا الكتاب، ومحددات المنهج وأبعاده هي صلبه.²

ولكن كيف يمكن العلم بصحة المنهج دون النظر في الأمثلة والنماذج؟ لذا فإن ما يراه الباحث خلاف ما قال به العلواني، فالواجب دراسة وتمحيص وتتبع الأمثلة والنماذج لأن صحة المنهج مرهونة بصحتها.

وبخصوص العلاقة بين منهجية القرآن والمنهج التجريبي يقول طه جابر العلواني: «إننا لا نسلط المنهج العلمي التجريبي النسبي على القرآن المجيد، بل نرجع فهمنا وثنائنا واجتهادنا في معاني القرآن واستنباطنا إلى منهج القرآن ذاته، وهو منهج يستوعب المنهج التجريبي ويتجاوزه؛ فالهيمنة للقرآن ومنهجه على كل ما عداه، فالقرآن يستوعب المنهج العلمي، ويُطهره، ويُعالج أزمته ويُخرجه منها، ويرقى به، ثم يهيمن عليه، ويبني على مُعطياته كما فعل مع ثراث من قد سبق ... والقرآن -وحده- الذي يستطيع تخليص الاتجاهات العلمية والضوابط المنهجية وإعادتها إلى جادة الهدى والحق من

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 12.

2 ينظر: طه جابر العلواني، معالم في المنهج القرآني، مرجع سبق ذكره، ص: 82 - 88. باختصار.

جديد لتحقيق عالميّة القيم»¹، ومن هذا المنطلق ينبغي أن يجري التعامل مع القرآن الكريم باعتباره مصدر المنهجية الكونية؛ فلا تجوز تجزئته بحال، ولا تجاوز شيء منه بتوهم التعارض أو التّقدم أو النّسخ أو الغموض وما إلى ذلك من تصنيفات وتوصيفات أقحمت على القرآن.

القاعدة الثامنة: التّخلية والتّحلية: أي تصفية التّفسير من الدّخيل والتّعامل معه فقط بالأصيل، والأصيل عند العلواني القرآن نفسه والسّنة القرآنية، وما جادت به قوى وعيه، واختياراته، يقول طه جابر العلواني: «إنّ على حملة القرآن القيام بواجب "التّخلية ثمّ التّحلية" التّخلية: نعي بها تنقية تراثنا في علوم القرآن وغربلته، ونقده نقد الصّياريف² بـ "المنهج القرآني" ذاته»³.

ومن خلال التّخلية والتّحلية تُعالج هموم الوسط العقديّ والفكريّ الذي يتوجّه إليه الخطاب، حيث أنّ الرؤية التّفسيرية لطله جابر العلواني محصورة في تدبّر القرآن، وتفاعل المفسّر مع النصّ القرآنيّ ومع الوسط من حوله، ليحوّلها في اتجاه قيم الإسلام ومبادئه النّقيّة الصّافية، وفي اتجاه الاستخلاف والعمران.

1 معالم في المنهج القرآنيّ، طه جابر العلواني، الرّابطة المحمّدية للعلماء، 2016/03/28،

<https://www.arrabita.ma/blog>

2 الصّياريف: الصّراف والصّيرف والصّيرقي: النّقاد من المصارفة وهو التّصرّف، والجمع صيارف وصيارفة، فأما قول الفرزدق:

تنفي يداها الحصى في كلّ هاجرة *** نفي الدّراهم تنقاد الصّياريف

فعلى الصّورة لما احتاج إلى تمام الوزن أشبع الحركة ضرورة حتّى صارت حرفاً. ابن منظور، لسان العرب، مصدر سبق ذكره، ج09، ص: 190.

3 معالم في المنهج القرآنيّ، طه جابر العلواني، الرّابطة المحمّدية للعلماء، 2016/03/28،

<https://www.arrabita.ma/blog>

أهم نتائج الفصل الثاني

- 01- لم تكن مشكلة طه جابر العلواني علمية، فهو يمتلك المؤهلات العلمية لتفسير القرآن الكريم، ولكنه لم يكن من المفسرين الذين يتعاملون مع القرآن الكريم من خلال منظومات السابقين.
- 02- يعتقد طه جابر العلواني أن علوم القرآن حجت علمية الخطاب القرآني وبالتالي بذل جهوداً في مراجعتها، وأنشأ رؤية فكرية ومنهجية خاصة به، تتجاوز التعامل التقليدي مع القرآن الكريم إلى بناء منهجية جديدة تخدم كتاب الله.
- 03- تعددت دوافع طه جابر العلواني لتفسير القرآن الكريم، فكان منها ما هو متعلق بظروف الأمة الإسلامية، وما هو متعلق بعلوم القرآن وعلم التفسير وما ارتبط به من علوم، وما هو متعلق بشخصيته وفكره، لذا أسس منهجه الخاص به للتعامل مع القرآن الكريم بمعالم محددة.
- 04- اعتزى فكر طه جابر العلواني العقلاني شوائب أفسدت سلامة منهجه من الاصطباغ بآراء مخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة، وجعلت مواقفه متشددة مع بعض العلوم كعلم الحديث، وعلوم القرآن، وعلم التفسير.
- 05- لا يخفى أثر ومخاطر التوجه الفكري الذي اختاره طه جابر العلواني، فهو قد نجح في إفراز ردة فعل كبيرة في الفكر الإسلامي المعاصر، تمثلت في إثارة الشكوك حول التراث الإسلامي، وحول أي توجه فكري يطالب بالتجديد.
- 06- أثمرت جهود طه جابر العلواني رؤية تفسيرية تجديدية للنظر في آيات القرآن الكريم وسوره بمنظار الوحدة البنائية -الوحدة الموضوعية-، وبغاية فهم وخدمة المقاصد العليا للقرآن الكريم.
- 07- ذكر العلواني أن عنايته ستكون بالتفسير الموضوعي للسورة القرآنية، مع عدم إغفال التفسير الموضوعي للموضوع القرآني، ولم يأت على ذكر المصطلح القرآني.
- 08- حرص العلواني على تهيئة المقومات والوسائل التي تساهم في الرفع من كفاءته، وتُعزز من قيمة تفسيره، قبل الوصول لمرحلة ولوج القرآن الكريم وتفسيره تفسيراً موضوعياً.
- 09- أكد العلواني أنه يسعى لتفسير القرآن الكريم تفسيراً يستوعب التفسير الموضوعي ويزيد عليه.
- 10- دعا العلواني للقراءة التدبرية للقرآن الكريم بمراعاة المناسبات، معتبراً المناسبة علم يكشف عن شبكة العلاقات بين الآيات والسور ومدى ترابطها.

الفصل الثالث

دراسة التفسير الموضوعي عند طه جابر العلواني

المبحث الأول: دراسة مصادر التفسير الموضوعي عند جابر العلواني

المطلب الأول: دراسة الاعتماد على مصادر التفسير الأوليّة

المطلب الثاني: دراسة المصادر من كتب التفسير وعلوم القرآن

المطلب الثالث: دراسة المصادر من كتب السنّة والسيرة وعلوم الحديث والشروح

المطلب الرابع: دراسة المصادر من كتب العلوم الأخرى

المبحث الثاني: تطبيقات التفسير الموضوعي عند طه جابر العلواني

المطلب الأول: التفسير الموضوعي للسورة القرآنية عند طه جابر العلواني

المطلب الثاني: التفسير الموضوعي للموضوع القرآني عند طه جابر العلواني

المطلب الثالث: التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني عند طه جابر العلواني

المبحث الثالث: القيمة العلميّة للتفسير الموضوعي عند طه جابر العلواني

المطلب الأول: خصائص التفسير الموضوعي عند طه جابر العلواني

المطلب الثاني: ضوابط التفسير الموضوعي عند طه جابر العلواني

المطلب الثالث: التجديد والخطأ في التفسير الموضوعي عند طه جابر العلواني

الفصل الثالث: دراسة التفسير الموضوعي عند طه جابر العلواني من خلال كتابه "تفسير القرآن بالقرآن"

في هذا الفصل سيقوم الباحث بدراسة التفسير الموضوعي عند طه جابر العلواني من خلال تفسيره، وهو فصل يتكوّن من ثلاثة مباحث، أولها مبحث يُعنى فيه الباحث بدراسة مصادر طه جابر العلواني، فمصادر المفسّر هي موارده التي يعتمد عليها، وجزء هامّ من بضاعته التي يُسوّقها ويعرضها للقارئ والباحثين، والمبحث الثاني يُعنى بدراسة تطبيقات الوحدة الموضوعية من طرف طه جابر العلواني على جميع أنواع التفسير الموضوعي، السّورة القرآنية، والموضوع القرآني، والمصطلح القرآني، والمبحث الثالث يستخلص فيه الباحث القيمة العلمية للتفسير الموضوعي عند طه جابر العلواني من خلال تفسيره، فيميز التّجديد المقبول عن الخطأ المردود.

المبحث الأول

دراسة مصادر التفسير عند طه جابر العلواني

المطلب الأول: دراسة الاعتماد على مصادر التفسير الأولية

المطلب الثاني: دراسة المصادر من كتب التفسير وعلوم القرآن

المطلب الثالث: دراسة المصادر من كتب السنة والسيرة وعلوم الحديث والشروح

المطلب الرابع: دراسة المصادر من كتب مختلف العلوم الإسلامية واللغة العربية وغيرها

المبحث الأول: دراسة مصادر التفسير عند طه جابر العلواني

من الضروريّ دراسة المصادر الأولى¹ والكتب والمؤلفات التي اعتمد عليها طه جابر العلواني في تفسيره؛ باعتبارها مقدّمة لا بدّ منها لدراسة تفسيره الموضوعي، خاصّة عند العلم بأنّه عدّ «الدخول بأحكام مُسبقة من مُعَوّقات تدبّر القرآن وتفسيره»²، وأنّه غير مسموح له أخذ شيء من التّراث على أنّه شيء من المسلّمات، فدخوله إلى القرآن بأحكام مُسبقة سوف يجعله يقرأ بطريقة من يفرض على القرآن معاني قد لا يحتملها نصّه، أي أنّه لن يُعامل التّراث مُعاملة من له السّبق والتّأسيس، «فما كان في القرآن دلالة عليه فإنّه يُقبل، وما لم يكن فلا بدّ من الحذر الشّدِيد منه»³.

وعمل الباحث في هذا المبحث هو الاطّلاع على المادّة العلميّة في مصدرها مباشرة، ثمّ عرض أهمّها من جهة استعانة المؤلّف بها في التفسير الموضوعي، وذلك من جهة نوع العلوم وتخصّصها، وكيفيّة استفادته وإفادته منها، وكذا بيان طريقة ترجيحه بين الآراء؛ وطريقته في التّقْد؛ وسائر ما يتّصل بمنهجه وما يكشف عن شخصيّته؛ وما يُجَلّي أهميّة مصادره في تحديد المعنى وفي ترجيح الأحكام.

المطلب الأوّل: دراسة الاعتماد على مصادر التفسير الأولى

إنّ تفسير القرآن بالقرآن أحسن مصادر وطرق التفسير وأولى وجوه التّرجيح بين الأقوال وأقواها، فالتفسير الذي تؤيّد آيات قرآنيّة مُقدّم على غيره، وتقديمه لا يعني البتّة إهمال باقي الطّرق والمصادر، بل هي تُكَمِّل بعضها بعضاً، ولكن القرآن يبقى الأفضل والأوّل وفي الطّليعة.

أولاً: تفسير القرآن بالقرآن: أطلق طه جابر العلواني على تفسيره اسم "تفسير القرآن بالقرآن" كما كان يُنادي دائماً، وفسر القرآن بالقرآن في كثير من المواضع، وهذا أعلى مقامات التفسير، وله في ذلك طرق وأوجه مختلفة:

01- التعامل مع المبهّمات: إنّ العلوانيّ ينفي أن يكون في القرآن مُبهّمات⁴؛ وهو قد تعامل

معها كما تعامل معها العلماء، فأبقى المبهّم الذي لم يدلّ الدليل على تعيينه لا من كتاب ولا من

1 المصادر الأولى هي المصادر التي اعتمد عليها الصّحابة ﷺ لتفسير القرآن الكريم، وهي: القرآن، والسّنة، وأقوال السّلف، واللّغة، والإسرائيليات، وصارت باقية لمن جاء بعدهم بما فيها آراءهم وأقوالهم، ولا يدخل فيها الكتب والمؤلفات فقد ظهرت بعدهم. مساعد الطيّار، التحرير في أصول التفسير، مرجع سبق ذكره، ص: 39.

2 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 32.

3 المرجع السّابق، ص: 407.

4 يُفضل العلوانيّ استعمال مفهومي "الإحكام والتفصيل" بدلاً من "الإجمال والبيان"، وينفي عن القرآن الجحد صفة الإجمال بمعنى الإهمال وعدم الوضوح الذي وصف به الأصوليون به بعض آياته. ينظر: المرجع السّابق، ص: 88 - 89.

سنة ولا من أقوال الصحابة رضي الله عنهم على إجماعه، لاعتقاده أنه لو كان فيه فائدة لتمّ بيانه، فهو عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ [البقرة: 35]، قال: « هنا بدأت مرحلة الإعداد والفحص والكشف عن قدرات آدم للقيام بمهام الاستخلاف ومواجهة الشيطان، وعدم الخضوع له بأي شكل من الأشكال، فهذا الخليفة الذي سينزل إلى الأرض أُعطي نوعاً من المصل مثل التطعيم، حيث أخضع لاختبار لكي يُحَفِّز عنده قوى المناعة، فاختبر وأمر بالآلا يقرب الشجرة، ولكن الشيطان استطاع أن يُزهِمَهما ...¹ »، فقد فسّر المبهمة بالمبهمة، الشجرة بالشجرة، ولم يخض مع الخائضين، ثم عمّم موقفه عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُعْلَمُ هَذَا اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: 35] فقال: « ... فالله ﷻ قد جعلها آية للرجل نفسه كما جعلها للناس، فقصته كقصّة أهل الكهف، وقصّة الملاء من بني إسرائيل الذين قال الله لهم: ﴿مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ [البقرة: 234]، وقصّة البقرة، وقصّة إحياء الطير لإبراهيم عليه السلام التالية لهذه القصّة، كلّها دالة على قدرة الله -تعالى- التي تخضع لها المسخرات كلّها². »

ومن أشكال تعامله مع المبهمات أن يُبين مُبهماً ببيان وارد في موضع آخر، سواء في القرآن وهو المراد هنا، أو في باقي المصادر النقليّة الأخرى³، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: 59] بل ولا: ﴿مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ: 03]، هذا هو اللوح المحفوظ كما في سورة البروج⁴، محفوظ من كلّ ما يمسّ قدسيته، وقد أشير إليه في آيات أخرى، منها قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: 39]، والآيات: ﴿مَرْفُوعَةٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ [يأيدى سفره: 14] ﴿كِرَامٌ بَرَرُوا﴾ [نزل الإنسن ما أكفره: 17] ﴿مِنْ أَيْ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [من نطفة خلقه فقد رده: 11] [عبس: 14-19]، وفي سورة يس قال: ﴿فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس: 12]، والمراد به ((اللوحة المحفوظ))؛ لأنّه الأصل المحفوظ، ومنه ينزل الله الملائكة بالروح من أمره؛ أي: بالوحي، كما في الآية: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 115.

2 المرجع السابق، ص: 361.

3 للمزيد حول أنواع المبهمة ينظر: خالد بن عثمان السّبت، قواعد التفسير جمعاً دراسة، مرجع سبق ذكره، ج 02، ص: 721.

4 يقصد قوله تعالى: ﴿فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ [البروج: 22].

فَاتَّقُوا ﴿٢﴾ [النحل: 02] «¹، فالكتاب المبين، وأم الكتاب، والإمام المبين، والصّحف المكرمة،

كلّها مبهمات بيّنها قوله تعالى: ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ ﴿٢٢﴾ [البروج: 22].

وعدم خوض العلواني في بيان المبهمات فيه حصر لتركيز المتلقي وتوجيه له ليهتمّ بالموضوع الرئيسي، وما يدخل في نطاقه من موضوعات جزئية، وعدم تشتيت اهتماماته في مسائل فرعية، والإعراض عن الخوض في المبهمات باب يخدم التفسير الموضوعي.

02- حمل المجمل على المبين: وفيما تعلق بحمل المجمل على المبين²، فقد كان بيان العلواني للمحمل على نوعين: البيان المتصل، وهو المجمل الذي يأتي تفسيره وبيانه بعده متصلاً مباشرة، سواء كان في الآية نفسها أو في آية مستقلة بعدها، فلم يغفل العلواني هذا النوع ووظفه كلّما ورد في القرآن الكريم، كيف لا وهو يُفسّر القرآن بالقرآن، ومن ذلك عند تفسير قوله تعالى: «وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ» [البقرة: 187] حتى يتبين ضياء الصّباح من سواد الليل، بظهور الفجر الصّادق «³، فقوله تعالى: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ بيان لقوله تعالى: ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ﴾ أي بيان لما قبله، فَبَانَ بذلك أنّ الخيط الأبيض هو وضوح بياض النهار من سواد الليل الذي هو الخيط الأسود⁴، وهذا ما قال به العلواني دون أن يلتفت للأقوال الأخرى.

والبيان المنفصل؛ وهو البيان الذي يقع منفصلاً في آية أخرى⁵، وفي هذا النوع قد يُفسّر العلواني الآية بآية أو بآيات أخرى، فعند تفسير قوله تعالى: «﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاحة: 07] استدعى قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجَبَيْنَا إِذْ أَنْتَلَىٰ عَلَيْهِمُ آيَةُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ ﴿٥٨﴾ [مریم: 58]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصّٰدِقِينَ وَالشّٰهَدَاءِ وَالصّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ ﴿٦٦﴾ [النساء: 69]، ثم قال: ومن هنا تُصبح الأوصاف الواردة في سورة الفاتحة أوصافاً

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 366.

2 كل ما يتعلق بالمسائل القطعية الاعتقادية لا يُحمل فيها، وقد جاء بيانها في القرآن والسنة بياناً شافياً لا لبس فيه، مع بيان أدلتها وطرق معرفتها. ينظر، الشاطبي، الموافقات، مرجع سبق ذكره، ج 03، ص: 366 - 375.

3 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 205.

4 ينظر: الرّازي، مفاتيح الغيب، مرجع سبق ذكره، ج 05، ص: 118 - 120.

5 ينظر: محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ج 01، ص: 13 - 14 و 20 - 21.

تُثبت أنّ المؤمنين قد اكتسبوا المعرفة ثمّ الإيمان واليقين بما بذلوه من جهد، وبفضل من الله ونعمة يسّر لهم ذلك، فألهم كلمة الإيمان واليقين ... ، إلى أن قال: وما أحكمته سورة الفاتحة فصلّته وبَيّنته بدايات سورة البقرة من صفات هؤلاء -أي اليهود والنصارى-¹.

وقد يُفسّر الآية بما يُقابلها ويرتبط معها من القرآن الكريم من غير أن يزيد تفسيراً من عنده أو نقلاً عن غيره، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ [الأنعام: 48] قال: « إنّ الرّسل هم رسل الله وأنبيأؤه، فالله من يُحدّد مهمّاتهم وحدودها ووسائلها، وقد جعل الله مهمّاتهم مُنحصرة في ((الدّعوة مصحوبة بالتبشير والإنذار))، وفي قدرة الله المطلقة -لوشاء- أن يُنزل عليهم آيات تظلل أعناق أمهم خاضعة لها: ﴿إِنْ شَاءَ نُنْزِلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [الشّعراء: 04] لكنّ ذلك نوعاً من الإكراه لهم. وقد سبقت كلمة الله أن يأتمن الإنسان على ((حرية الاختيار)). وللمحافظة على حرية الإنسان فقد قصر مهام المرسلين على دعوة الناس مع الإنذار والتبشير. فلا ينبغي لأحد من البشر أن يتوقّع من الله -جلّ شأنه- أن يفرض الإيمان بالرّسل وما ينزل عليهم، لأنّه ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 256]، ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِرْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: 29]، ﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الزّين: ٤٨] والذين كَذَبُوا بِمَا نَزَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغُتَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأنعام: 48-49] ²، فهنا جعل العلواني أوجهاً للترابط بين الآيات، فربط التبشير والإنذار مع عدم الإخضاع والإكراه، ليكون إيماناً عن رغبة وتصديق، وربطهما مع المشيئة والرغبة من باب التلازم والموافقة.

ومثاله أيضاً قوله: « ويأتي قوله جلّ شأنه: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الروم: 31]؛ ليدلّ على ذلك، ويُشير إليه، فيكون المراد أنّ نواة الأمة المسلمة بقيادة رسول الله ﷺ مُطالبون جميعاً بأن يكونوا مُنيبين لله راجعين إليه باستمرار، لا يغفلون عن ذكره، و﴿إِذَا مَسَّهْمُ ظَلِيفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: 201]، وأنابوا إلى ربهم مرّة أخرى وهم يتحلّون بالتّقوى دائماً، فقد ألزموها كلمتها واستقاموا على الطّريقة،

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 78 - 80. بتصرّف واختصار.

2 المرجع السابق، ص: 361.

حتى صارت التقوى لهم ملكة وشعاراً وداراً¹.

03- بيان المعنى العام: وقد يُبيّن المعنى العامّ ثمّ يُحيل إلى تفسير آيات أخرى للتفصيل، فعند

تفسير قوله تعالى: ﴿يَسْحَرَكْ﴾ [طه: 207] يريد به أن يُبيّن استعلاءه وكبريائه وعدم ضعفه أمام ما بين يدي موسى من وسائل، فكأنّ موسى لا يملك إلّا السحر وهو لديه ما يُماثله، بل قد يتفوّق عليه، فقال بأعلى صوته: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ سِحْرٍ مِّثْلَهُ﴾ [طه: 208]، يُطل سحره ويحفظ ملكنا ممّا نحن فيه، ﴿فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى﴾ [طه: 208] «²، وقد أحال في الهامش إلى تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَزَّلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مَلِكٍ سُلَيْمَنٌ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا...﴾ [البقرة: 102] بقوله: فليرجع إليه، ومّا يجب ذكره هنا؛ أنّ طه جابر العلواني يُنكر السحر جملة وتفصيلاً، ويعتبره مجرد تأثير على مُخيّلة الإنسان، مثله مثل ألعاب الخفّة، والفرق بينهما أنّ السحر يتطلّب تدريباً أطول وخفّة زائدة.³

04- الاستعانة باللغة العربية: وقد يُبيّن المراد منها وفق ما يظهر له من المعاني اللغويّة،

ويستعين بالقرآن ليؤيّد ما اختاره في تفسير الآية، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُؤْفِكُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [التور: 52]، كلمة الدين أتت بمعانٍ عديدة في كتاب الله، قال تعالى: ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: 04]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا فِي مَقَامٍ مَّآجَاءَهُمْ أُولَٰمُ بَيْنًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ إِلَهَهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: 19]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: 05].

فإذن التعريف الأوّل للدين هو: اليوم الآخر، يوم القيامة.

التعريف الثاني: هو الإسلام بمفهومه الشّامل بما أنزله الله من علم في كلّ آياته.

التعريف الثالث: عبادة الله بإخلاص وإقامة الصّلاة وإيتاء الزّكاة ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: 05].

وهذه التعريفات للدين مُتقاربة ولها مضمون واحد، شأنها شأن كلّ كلمات القرآن الكريم التي

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 905.

2 المرجع السابق، ص: 470.

3 المرجع السابق، ص: 144 – 162، 470.

تعددت معانيها في كتاب الله، فهي في الحقيقة ليست بمعانٍ متعدّدة، وإنما يُسلّط عليها الضّوء من زاوية مختلفة، وكما سبق أن بيّنا هذه الخصيصة القرآنيّة في "الإحصان" ...¹، واستفادة العلواني كانت من جهة بيان المعنى القرآني، والمثال هنا يرتبط بالتفسير الموضوعي للمصطلح القرآني، وهو يتعداه إلى نوعيه الآخرين كما سيأتي في مستقبل هذه الدّراسة.

05- بيان الأحكام الفقهيّة: وقد يذكر الحكم الفقهي الذي اختاره ويذكر الأقوال الأخرى

وينتصر لرأيه، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: 193] الفتنة هنا - وفي سورة الأنفال - هي الإكراه على تغيير الدّين، وهي مقاتلة الكافرين المؤمنين على إيمانهم إرادة إكراههم على ترك هذا الإيمان، ﴿وَيَكُونُ الَّذِينَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: 193]، وفي الأنفال: ﴿وَيَكُونُ الَّذِينَ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: 39]. أي يكون الخضوع كلّ لأمر الله، وأمر الله هو أنّه لا إكراه في الدّين، فإن قيل إنّ الفتنة هي الكفر، قلنا هذا خطأ لأنّ المعنى يصير آنذاك: حتّى لا يكون كفر، وهذا هو عين معنى الإكراه في الدّين الذي حرّمه الله على نفسه وعلى المؤمنين، بقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: 256]، ولا يجوز القول بإنهاء حكم نصّ قرآنيّ بنصّ حكم نصّ قرآنيّ آخر إلّا إذا تعدّر الجمع بينهما، ولأنّ الجمع إعمال للنّصّين والإنهاء إبطال لأحدهما، ولا يقبل إنهاء نصّ قرآنيّ قطعيّ لا داعي لإبطاله والتأويل والفهم ممكن ومُحتَمَل، وقد أمكن الجمع بتفسير الفتنة بأنّها الإكراه في الدّين، ومن ثمّ إعمال النّصّين بغير موانع، إذ لا يمنع مانع ولا يُنازع مُنازع في أنّ الإكراه في الدّين فتنة، فلا عذر إذاً لقائل بالإنهاء الذي يُسمّونه نسخاً لقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: 256] «²، فعالج مصطلح الفتنة من خلال استدعاء ثلاث آيات لينصر الحكم الذي اختاره.

ومثاله أيضاً؛ عند تفسير قوله تعالى: « وقد كان للعلماء كلام حول هذه الآية: ﴿ثُمَّ مَحَلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: 33]، فمنهم من رأى أنّ محلّ الذّبح منى، وليس مكّة، والآية تقول: ﴿ثُمَّ مَحَلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: 33]، ونقول الأصل كما جاء في الآية أنّ الذّبح في مكّة وفي الحرم، إلّا أنّهم لما استقذروا الذّبح في الحرم بسبب ما يُخلّفه من قاذورات ودماء وخلافه نتيجة هذه العمليّة، فرُئي أن يجعلوا الذّبح بعيداً عن الحرم حتّى يظلّ نظيفاً، ولذلك جاء في الحديث

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 718 - 719.

2 المرجع السّابق، ص: 220.

الشريف: "منى كلّها منحَر" ¹، وهذا لا يمنع الأصل، وهو أن يكون الذّبح في الحرم، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ هَذِيَا بَلِغَ الْكَعْبَةِ ﴾ [المائدة: 95] ².

06- الرّبط بين الآيات والتحليل: وقد يربط بين الآيات ليحلّل معانيها، كقوله عند تفسير قوله تعالى: « ﴿ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ [الأنعام: 01] نجدها قد أفادت تقرير وحدة الحقيقة وربطت ذلك بنوع من الصّيرورة، التي تجعلها بمثابة النّهر الجاري، يُصيب منها من يُوقّقه الله -جلّ شأنه- بقدر ما يشاء له: ﴿ كَلَّا تُمَدُّ هَتُولَاءُ وَهَتُولَاءُ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ [الإسراء: 20]، وإذا صحب الإيمان بوحدة الحقيقة -في ذاتها وعنده ﷻ- وعي وفهم يقينان الإنسان من الشّعور أو الإحساس المغرور بأنّ الإنسان يُمكن له أن يمتلك الحقيقة ويُحيط بها، فلا شيء في ذلك، ولكن حين يتوهّم الإنسان المحدود النّسبي أنّ لديه قدرة على امتلاك الحقيقة والإحاطة بها كما هي، في ذاتها ونفسها، فإنّ ذلك سيدفعه -لا محالة- إلى الاستعلاء على كلّ من يُخالفه؛ لأنّه سينظر إليه على أنّه تجاوز الحقّ إلى الضّلال، وأنّه تجاوز الحقيقة إلى نقيضها، ومن ثمّ فقد يُؤدّي ذلك به إلى تكفير وتجريم ذلك الذي جاوز الحقّ الذي يعرفه إلى الضّلال، وأخطأ الحقيقة وجاوزها ونأى عنها؛ وألا تثريب على النّاس إذا نظروا إلى الحقيقة في إطار نسبيّتهم فلم يُحيطوا بها علماً ³، وهنا ربط العلواني آية سورة الأنعام بآية سورة الإسراء، فربط موضوع الإيمان بموضوع الوعي والفهم، ليصل إلى الحكم بأنّ هذا الرّابط يقي من الغرور، وخلال تحليله تطرّق لوهم امتلاك الحقيقة المطلقة الذي قد يُصيب بعض النّاس فيدفعهم للتّكبر والاستعلاء، ثمّ الحكم على الغير بالضّلال والكفر، فيكون بهذا قد أخطأ الوعي والفهم، وأخطأ الحكم على ذاته، وأخطأ الحكم على غيره، والسبب هو وهم امتلاك الحقيقة، ولو أنّ هذا المستكبر المتعالي على غيره يطلب الحقيقة في إطار نسبيّته فيخطئها؛ لأنّ ممكن عذره وعدم الإلقاء باللائمة عليه.

وقد يذكر مثيل الآية وما يتطابق معها، فعند تفسير قوله تعالى: « ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ (١) مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ تُحَدِّثُ إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ (٢) لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ ﴾ (٣)

1 أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحجّ، باب ما جاء أنّ عرفة كلّها موقف، برقم: (1218).

2 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 576.

3 المرجع السابق، ص: 335.

[الأنبياء: 01-03] ... ويُشبهه هذا الإعلان المزلزل -الذي بدأت به السورة- قوله تعالى: ﴿أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ① وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَعِزٌّ ② وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ ③ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ④ حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ الْتُذْرُ ⑤ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكْرٍ ⑥ [القمر: 01-06] ①، ويكتفي بهذا الحدّ تفسيراً للقرآن بالقرآن ليعمل الرّأي بعد ذلك.

وله أساليب أخرى في إيراد الآية مُفسّرة للأخرى، فالعلواني تمسك بأيّ وجه يُمكنه من الرّبط بين الآيات القرآنيّة حتّى يستغني عن باقي المصادر ويُثبت أن القرآن كلّهُ يُفسّر بعضه بعضاً، وقد كانت استعانته خادمة للموضوع الذي هو بصدد دراسته دون أن يتوسّع فيه، أو يجيد عنه. ثانياً: تفسير القرآن بالسّنة النبويّة: كما أشار وأكّد دائماً، وباعتبارها المصدر المبيّن للقرآن الكريم، فإنّ من مصادر العلواني في تفسيره السّنة النبويّة التي لها أصل في القرآن، وهو قد استشهد بها وأوردها للأغراض التفسيرية التّالية:

01- بيان مدلول الآية: فعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ ① [البقرة:

207] قال: «ومن رأفته -تعالى- بهم ما رواه أنس رضي الله عنه عن النّبي صلى الله عليه وآله وسلم يرويه عن ربّه قال: (إذا تقرب العبد إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإذا تقرب إليّ ذراعاً تقربت منه باعاً، وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة)²، وما رواه ابن عباس رضي الله عنه، عن النّبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: (إنّ الله كتب الحسنات والسيّئات، ثمّ بين ذلك، فمن له عنده عشر حسنات فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإنّ همّ بها وعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن همّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإنّ هو همّ بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة)³ ④، فجعل الحديثين نموذجين عن رافة الله بالعباد، فاستعان بالسّنة النبويّة شارحة للآية ومبيّنة لمدلولها.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ ① [طه: 82]، استدعى العلواني أكثر من عشرين آية، كلّها ترتبط بمواضيع المغفرة، والتّوبة، والإيمان، والعمل الصّالح، والهداية، لتفسير القرآن بالقرآن، ثمّ ختم ذلك باستدعاء حديث نبويّ فقال: «... فهنا يُعلّمنا

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 498.

2 أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب التّوحيد، باب ذكر النّبي صلى الله عليه وآله وسلم وروايته عن ربّه، برقم: (7536).

3 أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب الرّقائق، باب من همّ بحسنة أو بسيئة، برقم: (6491).

4 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 231.

المولى القدير أنّ التّوبة ليست عملاً قلبياً فقط، وإّما هي سلسلة أعمال تبدأ بالشّعور بالندم والحزن - كما سبق وأشرنا- ثمّ التّوقّف عن فعل ذلك الفعل، وتجديد الإيمان الذي نقص قبل وأثناء المعصية، وهذا يُبيّن لنا قول رسولنا الكريم ﷺ: "لا يزي الزّاني حين يزي وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق السّارق حين يسرق وهو مؤمن" ¹ ... ².

02- تسهيل الفهم بزيادة توضيح المعنى: ومن ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْمَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 224] ... والبار إذا صدر عن من يبرّهم ما يُرّعه قد يُبادر إلى اليمين ليُقسم على ألا يبرّهم مرّة أخرى، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتِلْ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التور: 22]، فقد "كان فيمن حدّث الحديث رجل كان يعوله أبو بكر، فحلف أبو بكر أن لا يصله، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَلَا يَأْتِلْ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ [التور: 22] إلى آخر الآية، قال أبو بكر: بلى، فوصله." ³ ولذلك -كما في الحديث- "من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليأتها وليكفر عن يمينه." ⁴ «⁵، وهنا لم يكتف العلواني ببيان المعنى بل سعى للوصول إلى درجة الفهم الذي يُثمر علماً وعملاً.

03- تأييد وترجيح ما يذهب إليه: كما صنع مع موضوع العبوديّة، وذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: 118] ... إذ إنّ اسم الله عظيم ويستدعي مبدأ ((التعمة والشكر والحمد)) والخالق الذي ذلّل هذه الأنعام ورزقها الإنسان،

1 أخرجه التّسائي في سننه، (65/08)، برقم: (4872). وعبد الرّزاق في مسنده، (416/07)، برقم: (13686)، وعبد الله بن أحمد في السنّة، (351/01)، برقم: (754) بنحوه. وابن أبي شيبة في الإيمان، (ص: 29)، برقم: (61) وقال الألباني: إسناده صحيح موقوفاً.

2 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 479 - 480. بتصرّف.

3 أخرجه أحمد في المسند، رقم: (27071)، وهذا لفظه وأصله في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها، وذكره ابن كثير في تفسيره (271 / 03) وقال: رواه البخاري معلقاً مجزوماً به وكذلك ابن أبي حاتم وابن جرير، أحمد (367 / 06).

4 أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب نذب من حلف يميناً فرأى غيرها خير منها أن يأتي الذي هو خير ويكفر عن يمينه، (ص: 678)، برقم: (1650).

5 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 255 - 256.

ويُصبح الأكل آنذاك عبادة وسبيلاً إليها، ولعلّ سيّدنا رسول الله ﷺ كان يُنبّه إلى هذه المعاني وهو يقول: ((ولست بنافق نفقة تبتغي بها وجه الله إلّا أجرك الله بها حتّى اللّقة تجعلها في في إمرأتك))¹، فمشاعر الرّبوبيّة والعبوديّة هي التي تُهيمن على أدقّ ما في الحياة من نُظم، ومنها نظام الأُطعمة²، فاستعان بالحديث لِيُبيّن أنّ أي عمل يقوم به العبد ابتغاء وجه الله يقبله عبادة، ولو كان هذا العمل أكلاً وشراباً.

04- بيان ما لا يُعلم إلى بالتّقل وليس للرأي أو العقل إليه سبيلاً: فعند تفسير سورة الحجّ، وفي سياق حديثه عن كونها سورة مكّيّة أم مدنيّة، قال: « كما أنّ الدّخول في ذكر عدد الآيات المكّيّة وعدد الآيات المدنيّة في كلّ سورة، لم يعد له أثر كبير بعد التّرتيب لآيات الكتاب في العرضتين الأخيرتين، فقد قطع ذلك الكلام عن أسباب النّزول وأماكنها إلّا في أضيق الحدود».³

05- بيان سبب النّزول في أضيق الحدود: من ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ﴾ [الأنبياء: 98]، نقل عن الطّبريّ (توفي: 310): « وحين نزلت هذه الآية قال عبد الله بن الزّعبريّ "أنا أخصم لكم محمّداً، فقال: يا محمّد أليس فيما أنزل الله عليك ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ﴾»، قال: نعم، قال: فهذه النّصارى تعبد عيسى، وهذه اليهود تعبد عُزيراً، وهذه بنو تميم تعبد الملائكة، فهؤلاء في النّار، فأُنزل الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: 101]⁴، ثمّ عبّ مباشرة بعد القصّة بالقول: وبقطع النّظر عن قصّة ابن الزّعبريّ وما فيها، فإنّ قريشاً كانت تعبد الأصنام والآية دالة على أنّ الله -جلّ شأنه- سيُلقي بهم

1 أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب قول النّبي ﷺ: اللَّهُمَّ امض لأصحابي هجرتم، (748/01) حديث رقم: (3936).

2 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 403.

3 استدللّ العلوانيّ في الهامش على العرضتين الأخيرتين بحديث أبي هريرة ؓ أنّ قال: كان يعرض على النّبي ﷺ القرآن كلّ عام مرّة، فعرض عليه مرّتين في العام الذي قبض فيه، وكان يعتكف كلّ عام عشراً فاعتكف عشرين في العام الذي قبض فيه. أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب كان جبريل يعرض القرآن على النّبي، (994/01)، برقم: (4998). ينظر: طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 554.

4 أخرجه الحاكم في المستدرک، (385 / 02)، وابن جرير في التفسير، (97/17)، والواحدي في أسباب النّزول، (ص: 206)، وابن حجر في موافقة الخبر الخبر، (172 / 02)، وقال ابن حجر: هذا حديث حسن، وابن كثير في البداية والنهاية، (89-88 / 03)، وقال عنه في تحفة الطّالب، رقم: (235): مشهور في كتب التفسير والسّير والمغازي.

وبأصنامهم في جهنم يوم القيامة»¹، وما يفهم من كلام العلواني بعد نقل الحديث، أنه إنما ذكرها للاستئناس بها ليس إلا، وإلا فإن رأيه الخاص هو ما ذكره تعقيباً بعد ذكر القصة.

ومن ذلك أيضاً؛ عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: 255]، وسبب نزول الآية حين نتأمله نستطيع أن نقرر مطمئنين أنها لا تدع مجالاً لكثير من الأقوال التي زعمت نسخها أو فسرتها بما لا يتناسب وعمومها، عن ابن عباس قال: "كانت المرأة تكون مقلاتاً، فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوّد، فلما أُجلت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار، فقالوا: لا ندع أبناءنا، فأنزل الله ﷻ: ﴿فَدَبَّبَنَ الرُّشْدِمِنَ النَّبِيِّ﴾ [البقرة: 256]".² وعن ابن عباس -أيضاً- قال: "نزلت هذه الآية في رجل من الأنصار من بني سالم يُقال له الحصين، كان له ابنان نصرانيان، وكان هو مسلماً فقال للنبي ﷺ: ألا أستكرهما؟ فإيهما قد أيا إلا النصرانية، فأنزل الله الآية".³ وفي رواية أنه حاول إكراههما، فاختصموا إلى النبي ﷺ فقال: فقال: يا رسول الله أيدخل بعضي النار وأنا أنظر؟ ولم يأذن له رسول الله ﷺ في إكراههما على الإسلام. وفي رواية عن سعيد بن جبير أن النبي ﷺ قال: "عندما نزلت هذه الآية: قد خيّر الله أصحابكم، فإن اختاروكم فهم منكم، وإن اختاروهم فهم منهم"⁴،⁵ فعالج موضوعي النسخ وحكم الردّة مستعيناً بالسنة النبوية.

06- بيان حكم الحديث وعدم جواز التفسير به: فعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَوْا أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ...﴾

الآيات [الحج: 52 - 54]، أورد حديث الغرائق⁶ ثم قال: والحق أن جميع هذه الروايات روايات باطلة

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 548. بتصرف يسير.

2 أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في الأسير يكره على الإسلام، (2682/04)، رقم: 317. قال أبو داود: الْمَقْلَاتُ التي لا يعيش لها ولد، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود، (8/16): إسناده صحيح على شرط الشيخين.

3 تفسير الطبري (4/548)، من طريق ابن حميد عن سلمة عن ابن إسحاق بلفظه، وفيه محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف، وابن إسحاق عن ابن حميد عن سلمة عن ابن إسحاق بلفظه، فسند ضعيف.

4 أخرجه البيهقي في الكبرى، (314/09)، رقم: (18640)، وسعيد بن منصور في التفسير من سننه، (957/03)، رقم: (428)، وابن جرير (548/04) مراسلاً، وهو صحيح إلى مرسله سعيد بن جبير.

5 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 289.

6 أن النبي ﷺ كان يقرأ في الصلاة عند مقام إبراهيم ﷺ فنعس فقال: أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى، تلك الغرائق العلى، عندها الشفاعة ترجى، فلما سمع كفار مكة أن لاهتهم شفاعة فرحوا، ثم رجع النبي ﷺ فقال: أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى، أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنْثَى تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَى. عزاه السيوطي في الدر المنثور (367/04) لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي العالية، وقد ذكر لها السيوطي طرقاً كثيرة وكلها مرسله ومنقطعة، وقد نقد هذه القصة كثير من النقاد. ينظر:

إسرائيلية، أدخلها أناس من أولئك الذين يُخلطون بين تراث بني إسرائيل وأحاديث رسول الله ﷺ، وكلّها يردها القرآن الكريم جملة وتفصيلاً، وما رده القرآن بهذه الطريقة ما كان ينبغي لسائر مُحدثينا ومُفسّرينا أن يُسوّدوا به كلّ تلك المصاحف، بل لا أدري كيف استساغ المسلمون أن يُردّوها جيلاً بعد جيل¹، والحقّ أنّ سبب ودافع المفسّرين لرواية قصّة الغرائق منه ما هو نفس ما دفع العلواني لروايتها، وتسويد ستّ صفحات في تفسيره وترديدتها، وذلك السبب هو كما قال العلواني نفسه هو « تكذيبها »²، فروايتهم لها كانت من باب:

عرفت الشرّ لا للشرّ ولكن لتوقيه
ومن لا يعرف الشرّ من الناس يقع فيه³

ومنه ما هو تقرير لصحّة القصّة وثبوت حصولها، « فقصّة الغرائق قد اختلف العلماء فيها على أقوال يمكن أن نجعلها في قولين، قول يُجيز وقوعها على ما ورد عن السلف في بيان هذه القصّة، وهؤلاء العلماء حين قرّروا صحّتها، ذهبوا يؤوّلون ويوجّهون الأقوال، مع ما يتناسب مع القول بالعصمة، ولذا كثرت أقوالهم في المسألة.

وقول يمنع أصالة وقوع مثل هذه القصّة، وطعنوا في الروايات الواردة عن السلف، وحكموا بعدم ثبوتها، مع مخالفتها من جهة أخرى للنصوص النقليّة، والحجج العقليّة، وهؤلاء سلّموا من كلّ الأقوال الموجهة، لنفي التعارض بين صحّة القصّة، وقضيّة العصمة⁴، فتبيّن ممّا سبق أنّ ما أنكره العلواني من محاذير اتّجاه القصّة يُوافق ما أورده بعض المفسّرين، وإنكاره عليهم فيه إنكار على نفسه، لأنّ بعضهم أبطلها من الأساس، وهذا هو رأيه ورأي الباحث أيضاً، وبعضهم حملها على ما يتناسب ومقام النبوة.

الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ للقاضي عياض (80 / 02)، ولباب التأويل في معاني التنزيل للحازن (261 / 03)، وعصمة الأنبياء، للرازي، ص (83)، ونصب المجانيق لنسف قصة الغرائق، للألباني، ص (35 - 36). (الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص 314 - 322).

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 592. بتصرّف.

2 المرجع السابق، ص: 592.

3 أبو فراس الحمداني، ديوان أبي فراس الحمداني، شرح: خليل الدويهي، (ط 02، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1414هـ - 1994م)، ص: 352.

4 ينظر: مازن بن محمّد بن عيسى، آراء السمعانيّ العقديّة، (رسالة دوكرته في العقيدة، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، أم درمان، السودان، العام الجامعي: 1437هـ - 2016)، ص: 284.

06- بيان اسم السّورة: فعند تفسير سورة الفاتحة قال: «... ولم يثبت في السّنة الصّحيحة من أسمائها إلّا فاتحة الكتاب، والسّبع المثاني، وأمّ القرآن، وأمّ الكتاب»¹، ثمّ استدلّ على كلّ اسم بحديث مُستقلّ.²

07- بيان فضل السّورة: وذلك عند تفسير سورة الفاتحة³، ولم يورد لباقي السّور التي فسّرها أيّ فضائل !

وإيراد اسم السّورة وذكر فضلها من الخطوات المنهجية الخادمة للتفسير الموضوعي الكشفية. **ثالثاً: تفسير القرآن بأقوال السلف:** لم يجعل العلواني تفسير الصحابة والتابعين وأتباعهم رضي الله عنهم مصدراً من مصادر تفسيره، ولكن مع هذا لم يخلّ تفسيره من بعض التّقولات عنهم، فتارة يُورد آثارهم:

01- لبيان المكي والمدني: وهذا من منهج التفسير الموضوعي، ومن ذلك عند مطلع تفسير سورة الحجّ قال: «وقال أبو حيّان: هذه السّورة مكّية إلى ﴿هَذَا خُصْمَانِ﴾ [الحجّ: 19] إلى تمام ثلاث آيات، قاله ابن عباس ومجاهد. وعن ابن عباس -أيضاً- إنّهن أربع آيات إلى قوله: ﴿عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الحجّ: 09]، وقال الجمهور: منها مكّي ومنها مدنيّ، قلت -العلواني-: والظاهر من آياتها كلّها أنّها نزلت في مكّة، وهذا هو الأليق بها في عرضها واتّصال آياتها وموضوعاتها، ووحدتها، والسّياق يؤيّد ذلك ويقيّيه»⁴، ولم يستنكف العلواني أن يُخالف ابن عباس رضي الله عنه، ومجاهد، والجمهور ! وأن يفعل ذلك مباشرة بعد نقل أقوالهم.

02- لتبني أقوالهم وشرحها وبيان أوجهها: فعند تفسير قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: 05]، قال: «... ولذلك حين سأل الإمام مالكا عن معنى استواء الرّحمن على العرش؟ قال رحمه الله مقولته الشهيرة: "الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة"⁵، فالاستواء كمفهوم لغويّ مُتداول مفهوم لدى العرب ويعلمه كلّ عربيّ من اللّغة

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 51 - 52.

2 ينظر: المرجع السابق، ص: 51 - 52. في الهامش.

3 ينظر: المرجع السابق، ص: 53 - 55.

4 المرجع السابق، ص: 553.

5 الشّهستانيّ، الملل والنحل، ج 01، ص: 93. وابن عبد البرّ، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ج 06، ص: 130 و 138. وابن نصر المالكيّ، شرح عقيدة أبي محمّد عبد الله بن زيد القيروانيّ، ص: 28. والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، ج 01، ص: 186. وابن العربيّ، المسالك شرح موطأ مالك، ج 03، ص: 452. والقاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ج 02، ص: 39. والآلوسيّ، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسّبع المثاني، ص: 53. (390)

العربية¹، لكن كيفية الاستواء مما استأثر الله - تعالى - بعلمه؛ ولذلك فإن السؤال تزد لا يليق بمؤمن أن يسمح لفضوله بأن يجره إلى البحث عنه ...»²، ثم واصل العلواني يشرح مقولة الإمام مالك.

ولكن ينبغي التمييز بين إطلاقات معاني الاستواء في حق الخالق ﷻ، وفي اللغة العربية، وفي شأن المخلوق؛ فلا يُطلق من المعاني والأوصاف في حقه ﷻ إلا ما يليق بما ورد به النص من كتاب، أو سنة صحيحة، أو إجماع، أما تجاوز ذلك والتوسع فيه، فقد يجز صاحبه للاصطدام بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: 11]. قال ابن العربي (توفي: 543هـ): «للاستواء في كلام العرب خمسة عشر وجهاً ما بين حقيقة ومجاز؛ منها ما يجوز على الله فيكون معنى الآية، ومنها ما لا يجوز بحال؛ وهو إذا كان الاستواء بمعنى التمكن والاستقرار والاتصال والمجاورة، فإن شيئاً من ذلك لا يجوز على الباري تعالى، ولا تضرب له الأمثال في المخلوقات»³.

وقد يُظن أن طه جابر العلواني آمن بالمعنى وفوض كيفية الاستواء من خلال ما نُقل من كلامه السابق، ولكن ليس هذا هو اعتقاده، ولا هو الوجه الذي بيّنه. يقول طه جابر العلواني: «وأضاف إليها - سبحانه - قوله: ﴿عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾ [طه: 05]، ليقدم شيئاً غيبياً مجهولة حقيقته

والبيهقي، كتاب الأسماء والصفات، باب الرحمن على العرش استوى، ص: 379، وفي الاعتقاد إلى سبيل الرشاد، ص: 119. وابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج13، ص: 379. وأبو نعيم، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج06، ص: 325-326. وابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، ص: 180-181. وبمجموع هذه الروايات والنقول يتبين أنها مقالة ثابتة عن الإمام مالك، وقد قالها حقاً، فلم يطعن أحد من أهل العلم - فيما اطلع عليه الباحث - في نسبتها إليه، ولم يتعرض أحد للطعن في سندها. قال الذهبي عنها: هذا ثابت عن مالك، وتقدم نحوه عن ربيعة شيخ مالك، وقد وجد غير واحد من العلماء من نسب هذا القول إلى ربيعة الرأي، شيخ مالك. الذهبي، مختصر العلو، ص: 141. وابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ج06، ص: 130. والبيهقي، كتاب الأسماء والصفات، باب الرحمن على العرش استوى، ص: 379. وابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج13، ص: 491. ونسبها القرطبي وابن حجر إلى أم المؤمنين أم سلمة ؓ. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج07، ص: 140-141. وابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج13، ص: 491. والمشهور أنها من قول الإمام مالك. والله أعلم.

1 الاستواء أتى في لغة العرب بعدة معان؛ الشيء: اعتدل وتوسط. واستوى الرجل: بلغ أشده؛ قيل بلغ أربعين سنة، وقيل ثمان وعشرين. واستوى الأمير إلى بلد كذا: قصد إليها بالاستواء. واستويت فوق الدابة، وعلى ظهر الدابة: علوته. واستوى على ظهر دابته: أي استقر. وكان فلان مُقبلاً على فلان ثم استوى عليّ وإليّ يُشاقني: أي أقبل إليّ وعليّ. فالاستواء بمعنى الاعتدال والتوسط، وبلوغ الأشد، والقصد، والعلو، والاستقرار، والإقبال. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ص: 2163-2164. والفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص: 1297. والزاغ الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص: 439 - 440.

2 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 451 - 452.

3 ابن العربي، المسالك في شرح موطأ مالك، مرجع سبق ذكره، ج03، ص: 452.

للإنسان، ومع ذلك فهو لا يخرج عن قهر الله - تعالى - وجبروته، فالقادر على خلق ذلك كله وإيجاده والهيمنة عليه قادر على أن يُنزل هذا القرآن على قلب نبيّه، فإنّ عادة الملوك - حين يستوون على عروشهم بعد الاستيلاء عليها - ينامون ويغفلون، أمّا الله الرحمن الرحيم فإنّ حيّ قيّوم¹، فعقيدته أنّ الاستواء لا يخرج عن القهر والغلبة والإيجاد والهيمنة²، وأنّ الاستواء تمّ بعد الاستيلاء³، أي استيلاء واستواء، ولازم الاستيلاء كما قال ابن حجر (توفي: 852هـ): «أنّه كان مُغالباً فيه - أي العرش - فاستولى عليه بقهر من غلبه؛ وهذا مُنتف عن الله سبحانه»⁴، ولهذا قال ابن بطال: «فأمّا من جعل الاستواء بمعنى القهر والاستيلاء فقول فاسد، لأنّ الله تعالى لم يزل قاهراً غالباً مُستولياً»⁵. ثمّ إنّ الاستيلاء على الشّيء في اللّغة العربيّة لا يأتي إلّا مقروناً بالمضادّة والمغالبة، «فعن ابن الأعرابي⁶ أنّه أتاه رجل فقال له: ما معنى قول الله عزّ وجلّ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: 05]، قال ابن الأعرابي: هو على عرشه كما أخبر، فقال الرّجل: يا أبا عبد الله؛ إنّما معناه: استولى. فقال ابن الأعرابي: ما يُدريك؟ العرب لا تقول استولى على الشّيء حتّى يكون له مضادّ، فأَيُّهما غلب فقد استولى»⁷.

والسياق هنا عن موضوع استواء الرّب على العرش؛ وهو الذي سُئل عنه الإمام مالك، وقال فيه مقالته، وهو موضوع آية سورة طه، وقد ثبت بالسّنّة كما ثبت بالقرآن، ومن ذلك قول النّبي ﷺ: «إنّ الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه: إنّ رحمتي سبقت غضب»⁸، وهذا الحديث وغيره

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 452 - 453. باختصار.

2 ذكر القرطبي أربعة عشر قولاً في تحديد معنى الاستواء، فضعّف أقوالاً منها وانتقد بعضها. ينظر: القرطبي، الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، (ط01، دار الصّحابة للتّراث، طنطا، مصر، 1416هـ - 1995م)، ج02، ص: 122.

3 في حدود ما قام به الباحث من جهد لتتبّع هذا القول - الاستواء بعد الاستيلاء -، لا يُوجد من سبق العلواني لهذا الجمع عند تفسير قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: 05].

4 ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، مصدر سبق ذكره، ج13، ص: 49.

5 ابن بطال: شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبو تميم ياسر، (ط02، مكتبة الرّشد، الرّياض، السّعوديّة، 1423هـ - 2003م)، ج10، ص: 448.

6 محمّد بن زياد بن الأعرابي الهاشمي: إمام زمانه في اللّغة، ولد سنة 150هـ وتوفي بالكوفة سنة 231هـ، له عدّة مصنّفات كثيرة في اللّغة والشّعر وتاريخ القبائل. ينظر: الذّهبي، سير أعلام النّبلاء، مرجع سبق ذكره، ج10، ص: 687-688.

7 ابن منظور، لسان العرب، مرجع سبق ذكره، ص: 2164.

8 أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التّوحيد، باب "وكان عرشه على الماء" وهو ربّ العرش العظيم، برقم: (7422).

استدلّ به العلماء على علوّ الله ﷻ واستوائه على عرشه.¹

03- لتأييد وترجيح ما يذهب إليه: فعند دراسته لموضوع النجوى عند تفسير قوله تعالى:

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: 83] ، نقل العلواني عن ابن كثير: « كان بين النبي ﷺ واليهود مودعة، وكانوا إذا مرّ بهم الرجل من أصحاب النبي ﷺ جلسوا يتناجون بينهم، حتى يظنّ المؤمن أنّهم يتناجون بقتله أو بما يكره المؤمن، فإذا رأى ذلك خشيتهم فترك طريقه عليهم، فنهاهم النبي ﷺ عن النجوى، فلم ينتهوا وعادوا إلى النجوى، فأنزل الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ النَّبِيَّ يَتْلُونَ الْآيَاتِ وَالْحُكْمَ وَيُؤْتُونَ لِمَا يُؤْتِيهِمْ وَأُولَئِكَ يَرْجَوْنَ وَرَحْمَتَ اللَّهِ وَسِعَتْ كُلًّا﴾ [البقرة: 136] ». ²

ولبيان معنى اسم السّورة عند تفسير قوله تعالى: ﴿طه﴾ [طه: 01] ... ولذلك قال سعيد بن جبير -فيما نقله عنه بعض المفسرين-: إنّ السّورة افتتحت باسمه "الطيب الطاهر الهادي"، مُرجّحاً أنّ "طه" اسم من أسمائه ﷺ، وقد يُرّجح ذلك أنّها لم ترد بصيغة الأحرف المقطّعة لا كتابة ولا قراءة، فلم ترد "طاء هاء" ولم تُوصل فيما بعدها، بل وردت كأثما نداء لمنادى ذلك اسمه «³»، ثمّ ساق الخلاف بين العلماء في تفسيرها، واعتمد السياق وسيلة للترجيح واختيار أحد الأقوال، فقال: « ومهما قيل فيها فإنّ السياق يُشبه أنّها نداء لرسول الله ﷺ وخطاب لتنبيهه إلى ما يأتي بعده، وقد يُرّجح ذلك ما نقلناه عن سعيد بن جبير أنّها اسم من أسماء رسول الله ﷺ وسلطانه، بوصفه اسماً مقترناً بنفي صفة الشقاء عن رسول الله ﷺ بهذا القرآن الذي يستحيل أن يكون مصدر شقاء له وما ينبغي له وما يستطيع أحد أن يجعله كذلك ».⁴

وفي موضوع تحصيل المنافع الدنيويّة في الحجّ عند تفسير قوله تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ [الحج: 28] في هذه الآية دليل على جواز التجارة في الحجّ، روي عن ابن عباس أنّه قال: "المنافع التجارة"⁵، وقال مجاهد: "التجارة وما يرضي الله من أمر الدنيا والآخرة"⁶، وقد نصّ الفقهاء على أنّ

1 البيهقي، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد: باب القول في الاستواء، ص: 118. وابن منده، كتاب التوحيد، ج 03، رقم الحديث: 649، ص: 190. الذهبي، مختصر العلوّ، ص: 141.

2 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 138.

3 المرجع السابق، ص: 445.

4 المرجع السابق، ص: 445.

5 أبو حيّان، البحر المحيط في التفسير، مرجع سبق ذكره، ج 07، ص: 205.

6 الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصدر سبق ذكره، ج 03، ص: 280.

التجارة جائزة للحاج من غير كراهة، إذا لم تكن هي المقصودة من السفر ... وظاهر قوله تعالى: « **وَأَطِيعُوا أَلْبَاسَ الْفَقِيرِ** » [الحج: 28] وجوب إطعام الفقراء من الهدايا، وبهذا الظاهر أخذ الشافعية، فأوجبوا إطعام الفقراء منها، وقال أبو حنيفة: إنه مندوب؛ لأنها دماء نسل، فتتحقق القرية فيها بإراقة الدّم، أمّا إطعام الفقراء فهو باق على حكمه العام¹.

04- وقد يُورد الآثار لا لأغراض في التفسير، ولكن توضيحاً للمعنى أو دعماً لما ذهب

إليه: فعند تفسير قوله تعالى: « **قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ** » [الأنبياء: 69]، عالج مسألة السبب والعلّة في أصول الفقه، فنقل التعريفات، وناقش الأشاعرة والماتريدية والمعتزلة وغيرهم فيما عدّه حساسية زائدة اتجاه التعليل، وبعد أن بيّن بالأدلة أنّ الله عزّ وجلّ ورسوله ﷺ والصّحابة رضي الله عنهم علّلوا الأحكام، كان من ضمن ما ذكر، ما نقله عن الطبري (توفي: 310هـ): « عن سعيد بن جبير: "قال بعث عمر بن الخطاب إلى حذيفة بعدما ولاه المدائن وكثر المسلمات، إنّه بلغني أنّك تزوّجت امرأة من أهل المدائن من أهل الكتاب، فطلقها، فكتب إليه لا أفعل حتّى تُخبرني أحلال أم حرام، وما أردت بذلك؟ فكتب إليه: لا بل حلال، ولكن في نساء الأعاجم خلافة، فإن أقبلتم عليهنّ غلبنكم على نسائكم، فقال الآن، فطلقها»². »³

ومثاله أيضاً عند تفسير قوله تعالى: « **أَوِ الْطِفْلِ الَّذِي لَمْ يَظْهَرْ وَأَعْلَىٰ عِزَّتِ النِّسَاءُ** » [النور: 31]، ... قال الحسن: هؤلاء وإن اشتركوا في جواز رؤية الزينة الباطنة فهم على أقسام ثلاثة ... والحرمة الثالثة: هي للتابعين غير أولى الإرية من الرجال، وكذا مملوك المرأة فلا بأس أن تقوم المرأة الشابة بين يدي هؤلاء في درع وخمار صفيق بغير ملحفة ... »⁴.

ومثاله أيضاً عند تفسير قوله تعالى: « **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِيَّ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ** » [السجدة: 23] ... فكيف يتخذهم قومك مراجع لهم يستفتونهم في شأنك وشأن رسالتك؟! وهو ما أغضب (حبر الأمة وترجمان القرآن) عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فقال: يا معشر المسلمين، كيف تسألون أهل الكتاب وكتابتكم الذي أنزل على نبيّه ﷺ أحدث الأخبار بالله تقرؤونه لم يشب؟ وقد حدّثكم الله أنّ أهل الكتاب بدّلوا ما كتب الله، وغيروا بأيديهم

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 572 - 573.

2 الطبري، تاريخ الطبري، (588 / 03).

3 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 531. بتصرف.

4 المرجع السابق، ص: 741.

الكتاب، فقالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلاً، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم؟ ولا والله ما رأينا منهم رجلاً قطّ يسألكم عن الذي أنزل إليكم¹ «²، وهذا الإيراد انتصار من العلواني لموقفه من الإسرائيليات ولم يكن غرضه تفسيري.

05- اعتراضاً عليها وردّاً لها: فعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تُطْعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ

يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [الأنعام: 116]، يقول مجاهد في معنى الظنّ: كلّ ((ظنّ)) في القرآن فهو يقين، وهذا يشكل بكثير من الآيات «³، ثمّ ذكر العلواني كلاماً للزركشي فيه تفرقة بين الظنّ على معنيين، الأوّل بمعنى اليقين وهو ما اتّصل بـ ((أنّ)) المشدّدة؛ وهو محمود مثاب عليه، ومثاله: ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ ﴿٢٠﴾﴾ [الحاقة: 20]، والثاني بمعنى الشكّ وهو ما اتّصل بـ ((أنّ)) المخففة؛ وهو مذموم متوعّد عليه، ومثاله: ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ ﴿١٢﴾﴾ [الفتح: 12]، وعلّق عليه قائلاً: والقرآن الكريم قد أغنانا عن هذا الخلط، فألفاظ القرآن مفاهيم كبرى، فليقين ألفاظه ومفهومه، وللظنّ ألفاظه ومفاهيمه، فلا داعي يدعو لإيجاد هذا التداخل الذي ذكره، والتعميم الذي حاولوه، وخلص إلى أنّ السياق هو الذي يُحدّد المراد من الألفاظ، ويُنبّه على القصد الإلهي⁴، يقول هذا مع أنّ الزركشي (توفي: 745هـ) استعان أيضاً بالسياق لتحديد معنى الظنّ!

ولم يقدّر العلواني بالنقل ثمّ مناقشة أقوال السلف رحمهم الله، ولا النقل عنهم رحمهم الله ثمّ تحكيم عقله في النقولات عنهم - فإذا وجد الكلام المنقول ضعيفاً أو خطأً نبّه لخطئه وضعفه -، وإذا وجده مُحتملاً في تفسير الآية أشار إلى احتمال الآية للمعنى أو تركه دون تعقيب، لم يفعل ذلك كلّ، وقد كان مُقيلاً مُقتصدًا في الرواية عن السلف والاعتماد على آرائهم.

رابعاً: تفسير القرآن باللغة العربية: وقد يُفسّر العلواني اعتماداً على المعاني اللغويّة، كبيان معنى مصطلح الرّبّ عند تفسير قوله تعالى: ﴿﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾﴾﴾ [الفاتحة: 02]⁵، ومفهوم

1 أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشّهادات، باب لا يُسأل أهل الشّرك عن الشّهادة وغيرها، برقم: (2685).

2 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 934.

3 المرجع السابق، ص: 401.

4 المرجع السابق، ص: 401. بتصرّف.

5 ينظر: مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مرجع سبق ذكره، ج 02، ص: 459.

مصطلح الغفلة عند تفسير قوله تعالى: « ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: 01]¹، ومصطلح

الخصم عند تفسير قوله تعالى: « ﴿هَٰذَانِ خَصَمَانِ أَحْصَمُوا فِي رِيحِهِمَا﴾ [الحج: 19].²

وقد استعمل طه جابر العلواني اللغة العربية بشكل مُوسَّع لشرح الألفاظ والغريب، فلم يخل تفسير لأي سورة قرآنية من النّقول والتّعريفات.

المطلب الثاني: المصادر من كتب التفسير وعلوم القرآن وأثرها

أولاً: مصادره من كتب التفسير: استفاد العلواني من عدّة مؤلّفات، وقد ربّتها الباحث حسب مادّة المفسّر الموظّفة، فكان التقسيم التالي:

أ- مصادره من كتب التفسير بالمأثور وأثرها:

01- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس لابن عباس (توفي: 68هـ): استفاد منه عند وصف سورة الفاتحة، فنقل عن تفسير ابن عباس أنّها: مدنيّة ويقال مكّيّة!³ وعند وصف سورة السّجدة، نقل عن تفسير ابن عباس أنّ عدد حروفها: ألف وخمسمائة وثمانية عشر!⁴، ووصف السّورة خطوة قال بها أرباب التفسير الموضوعي واتفقوا عليها.

ويقول الباحث: أيعقل النّقل مرتين فقط من تفسير ابن عباس، إحداهما في الصّفحة رقم: (51)، ومضمونها مكّيّة سورة الفاتحة أو مدنيّتها، ثمّ هو نقل بلا ترجيح أو توضيح، والثّانية جاءت في الصّفحة رقم: (921) حول عدد حروف سورة السّجدة، وترك جميع تفسيرات حبر الأمة وترجمان القرآن؟! فلو نقل العلواني فقط تفسيرات ابن عباس للقرآن بالقرآن، أو أنّه لم ينقل أصلاً بدل نقل لا ترجيح فيه، فهل يوجد في القرآن غير المكّي والمدني؟! ثمّ نقل عدد حروف سورة يعرفه كلّ من يطّلع على المصحف ويعرف العدّ! ثمّ إنّ هذا النّقل عن ابن عباس جاء قليلاً جدّاً، نقلاً في تفسير عدد صفحات التفسير الخالصة فيه تنتهي عند الصّفحة (937)!!

02- جامع البيان عن تأويل القرآن لابن جرير الطبري (توفي: 310هـ): يُعتبر تفسير ابن جرير من أقوم التّفسير وأشهرها، كما يُعتبر المرجع الأوّل عند المفسّرين الذين عنوا بالتفسير التّقلي، وإن كان في الوقت نفسه يُعتبر مرجعاً غير قليل الأهميّة من مراجع التفسير العقلي، نظراً لما فيه من

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 499.

2 المرجع السابق، ص: 568.

3 المرجع السابق، ص: 51.

4 المرجع السابق، ص: 921.

الاستنباط، وتوجيه الأقوال، وترجيح بعضها على بعض، ترجيحاً يعتمد على النظر العقلي، والبحث الحرّ الدقيق.¹

وهذا الذي اعتُبر المرجع الأوّل في التفسير النّقلي كما في العقلي؛ زهد فيه طه جابر العلواني، فرجع إليه أربع مرّات فقط؛ أولاً عند بيان معاني التّجَم²، وهي استفادة لغويّة لبيان معنى مصطلح النّجم، وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ [البقرة: 36] ... وهنا يبلغ القرآن غاية العظمة فلا يُلقى اللّوم على حوّاء ولا يُلقيه على آدم، بينما نجد أنّ التّوراة المحرّفة قد ألقت الأمر على حوّاء وجعلتها المسؤولة، وأساطير كثيرة جدّاً تقول: إنّ إبليس لما أراد أن يدخل الجنّة، ليسترلّ آدم وحوّاء عليهما السلام، فدخل في جوف الحيّة، فلما دخلت الحيّة الجنّة خرج إبليس من جوفها وأغرى حوّاء، وحوّاء أغرت آدم.

هذه كلّها قصص وأباطيل ...³، وهذه القصّة رواها الطّبريّ (توفي: 310هـ) في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ [البقرة: 36]، فقال: «فحكى عن وهب بن منبّه في ذلك ما حدّثنا به الحسن بن يحيى، قال أخبرنا عبد الرزاق، قال أخبرنا عمر بن عبد الرحمن بن مُهَرَّب، قال سمعت وهب بن منبه، يقول: لما أسكن الله آدم وذريّته -أو زوجته- الشّكّ من أبي جعفر: وهو في أصل كتابه «وذريّته»- ونهاه عن الشّجرة، وكانت شجرة غصونها مُتشعّب بعضها في بعض، وكان لها ثمر تأكله الملائكة لخلدهم، وهي الثّمرة التي نهى الله آدم عنها وزوجته، فلمّا أراد إبليس أن يستزلهما دخل في جوف الحيّة، وكانت للحيّة أربع قوائم كأنّها بُحَيّة، من أحسن دابة -خلقها الله - فلمّا دخلت الحيّة الجنّة، خرج من جوفها إبليس، فأخذ من الشّجرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته، فجاء بها إلى حوّاء ...⁴

وبعد أن ذكر هذه الرواية عن ابن عبّاس رضي الله عنه، قال أبو جعفر [الطّبريّ]: وقد رويت هذه الأخبار -عمّن روينها عنه من الصّحابة والتّابعين وغيرهم- في صفة استزلال إبليس عدوّ الله آدم وزوجته حتّى أخرجهما من الجنّة. وأولى ذلك بالحقّ عندنا ما كان لكتاب الله مُوافقاً. فأما سبب وصوله إلى الجنّة حتّى كلّم آدم بعد أن أخرج الله منها وطرده عنها، فليس فيما

1 محمد حسين الدّهبي، التفسير والمفسرون، (ط 07، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، د.س.ط.)، ج 01، ص: 149.

2 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 91 - 92.

3 المرجع السابق، ص: 115.

4 أخرجه عبد الرزاق في التفسير (75/02) وعن طريقه الطّبريّ في تفسيره (525/01) برقم: (742) وإسناد القصّة مرسل وهي من الإسرائيليات، ينظر: تفسير ابن كثير (355/01). والإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص: 178.

رُوي عن ابن عباس ووهب بن منبه في ذلك معنى يجوز لذي فهم مُدافعتُه، إذ كان ذلك قولاً لا يدفعه عقل ولا خبر يلزم تصديقه من حجة بخلافه، وهو من الأمور الممكنة. والقول في ذلك أنه وصل إلى خطابهما على ما أخبرنا الله جلّ ثناؤه؛ وممكن أن يكون وصل إلى ذلك بنحو الذي قاله المتأولون، بل ذلك -إن شاء الله- كذلك، لتتابع أقوال أهل التأويل على تصحيح ذلك»¹.

فتأمل تصرف الطبري مع مرويات طريقة وصول إبليس للجنة، فهو ابتداء نظر إلى المعنى فوجده ممّا لا يُدافع عقلاً ولا نقلاً؛ فالرواية مُمكنة الحصول وليست من المستحيلات، وهي عند المفسرين - بخلاف المحدثين - رواية صحيحة، فحكم أنّها -إن شاء الله- صحيحة.

ومعلوم عناية الطبري بأمر الإسناد وهي عناية فائقة، وقد التزم بذكر الأسانيد في جميع الأقوال التي أوردتها في تفسيره، والذي يتأمل يجد الطبري قد ذكر نحو أكثر من ثمانية وثلاثين ألف رواية مُسندة في تفسيره؛ ما بين حديث وأثر، قال ابن حجر: «أكثر المحدثين في الأعصار الماضية من سنة مائتين وهلمّ جرّاً، إذا ساقوا الحديث بإسناده، اعتقدوا أنّهم برئوا من عهده»²، أي كما هو مُقرّر في أصول الحديث؛ أنّ من أسند فقد أعذر³، أي أنّه قد حمّلك البحث عن رجال السند ومعرفة مبلغهم من العدالة أو الجرح، فهو بعمله هذا قد خرج من العهدة.

بينما نجد تصرف العلواني معها مخالفاً للطبري، فالعلواني مهّد برواية التّوراة الحرفيّة تحيئة لما هو آت، ثمّ استبق القصة بوصفها أنّها أسطورة، ليحكم عليها وعلى غيرها أنّها قصص باطلة، ولم ينقل من غيره حكم عليها بهذا الحكم، كما أنّه لم ينقلها من مصدر آخر، ولكنّه بنقلها عن الطبري كأنّه يقول: بلى؛ يُوجد من يُدافع هذه القصة، وأنا واحد منهم⁴، وقد وُجد من المفسرين من يروي الإسرائيليات ثمّ يُبين أنّه لا سند لها، أو يُحاول تصحيح ما فيها من أخطاء وإيجاد مخرج لقبولها، أو يأخذ منها بعضها ويترك بعضاً، والأولى -حسب الباحث- تركها لأنّها:

أولاً: لا فائدة ترجى من ورائها.

ثانياً: قد تُضيف إلى القرآن ما ليس منه.

ثالثاً: تُعطي مجالاً للمستشرقين وأذناهم للطعن في القرآن الكريم، وانتقاد السلف فيما يُنسب إليهم

1 الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصدر سبق ذكره، ج01، ص: 561 - 562. بتصرف يسير.

2 ابن حجر، لسان الميزان، مرجع سبق ذكره، ج03، ص: 74.

3 يقول طه جابر العلواني: ونحن نقول: من أسند إذا لم يكن على علم بكلّ واحد من رجال السند وبعدهاته وبوجود كلّ ما يُوثّقه فلن يكون معذوراً أمام الله. طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 158.

4 ينظر: طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 115 - 116.

من أباطيل.

رابعاً: تجعل كثيراً من العامة يتناقلونها، فأغلب العوام يميلون للقصص والقصصين، وزاد الأمر في هذا الزمن الأخير، فصارت تُستغلّ لإنتاج الأفلام والمسلسلات، وصار مجال ترويجها مُتاحاً، ونسبتها وروايتها من أمّهات الكتب حيلةً وتغريراً.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِئُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: 189]: حين سألت اليهود رسول الله ﷺ عن الهلال: لماذا يبدأ صغيراً ثم يكبر حتى يتكامل بدرّاً ثم يصغر وهكذا. أمر الله رسوله ﷺ أن يجيبهم بقوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِئُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: 189]¹، وعند تفسير قوله تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ [الحج: 28] وقال مجاهد: التجارة وما يرضي الله من أمر الدنيا والآخرة.²

واكتفى العلواني بهذا الحدّ من النُّقولات عن الطبري، نقل في المعاني اللغوية للتجم واختار قولاً واحداً، ونقل من الإسرائيليات وحكم عليه بالبطلان على القصّة دون تخريجها، ونقل في مسألتين فقهيتين إحداها عن الأهلة، والثانية عن عبادة الحج، وهذا ما يجعل تفسير الطبري لم يحظ بحظٍ وافر من الاعتماد عليه، ومؤكد لن يكون له الأثر الكبير في تفسير العلواني.

03- الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدّي (توفي: 486): التزم الواحدّي رحمه الله منهجاً أشار إليه في مقدّمة كتابه بقوله: إنّه جمعه وسيطاً بين البسيط والوجيز، ومن هنا نستطيع أن نقول إنّ كتابه ((الوسيط)) كتاب جامع للتفسير بالمأثور عن النّبّي ﷺ والصّحابة والتابعين رضي الله عنهم، وأيضاً لا يخلو الكتاب من آراء لأهل الرّأي وأصحاب المعاني فيما كان يستأنس به الواحدّي من توضيح آيات الذكر الحكيم، فيمكن أن نقول أنّ كتابه كتاب جامع بين التفسير بالمنقول والمعقول، أو بعبارة أخرى بين الرّواية والدراية.³

وتجدر الإشارة إلى أنّ العلواني استعان في تفسيره بهذا الكتاب، وهو يعلم أنّه «قد أجمع أهل العلم بالحديث أنّ التعلّي يروي طائفة من الأحاديث الموضوعات... ولهذا يقولون هو كحاطب ليل، وهكذا الواحدّي تلميذه، وأمّثالهما من المفسّرين: ينقلون الصّحيح والضعيف»⁴، ومما نقله عن

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 208.

2 المرجع السابق، ص: 572.

3 الواحدّي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، مرجع سبق ذكره، ص: 21.

4 ابن تيمية، منهاج السنّة النبويّة في نقض كلام الشيعة والقدرية، تحقيق: محمّد رشيد سالم، (ط1، 01، جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية، السّعودية، 1406هـ - 1986م)، ج07، ص: 12.

الواحدي عند تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَكَادُمُ أَنْبَتْهُمْ بِأَسْمَاءِهِمْ ﴾ [البقرة: 33]، وسمى كلّ شيء باسمه وألحق كلّ شيء بجنسه¹، فنقل عنه رأيه من رصيده الشخصيّ.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ [البقرة: 45] قال: "﴿ وَاسْتَعِينُوا ﴾ [البقرة: 45] اطلبوا المعونة على أموركم ﴿ بِالصَّبْرِ ﴾ [البقرة: 45] (الحبس للنفس على ما تكره) ﴿ وَالصَّلَاةِ ﴾ [البقرة: 45] أفردا بالذكر تعظيماً لشأنها، وفي الحديث "كان النبي ﷺ إذا حزبه شيء صلى"³، وقيل الخطاب لليهود لما عاقهم الشره وحبّ الرئاسة عن الإيمان ﴿ وَإِنَّهَا ﴾ [البقرة: 45] أي الصلاة ﴿ لَكَبِيرَةٌ ﴾ [البقرة: 45] (ثقيلة) قال الحسن والضحاك ﴿ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ [البقرة: 45] (السّاكنين إلى الطّاعة).⁴ قلت: جميع ما بين قوسين من تفسير الواحدي⁵، والباقي تصرف من العلواني؛ ولم يُشر إليه.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَبْنَى إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [البقرة: 47] يا ذرية يعقوب تذكروا نعمتي الكثيرة عليكم، واشكروني عليها، وتذكروا أنّي فضلتكم على عالمي زمانكم بكثرة الأنبياء، والكتب المنزلة كالّتوراة والإنجيل.⁶

والواحدي عند تفسيره قوله تعالى ﴿ يَبْنَى إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [البقرة: 47] لم يزد على قوله تقدّم تفسيره⁷، والمقصود تقدّم تفسير نفس النصّ في الآية رقم (40) من سورة البقرة، أي أنّ الواحدي لما تكرّرت نفس الآية لم يتغيّر تفسيره لها، ولم يُشر إلى سبب التّكرار وعلته ولا إلى حكمته ومقصود الله منه، وتلك الأهميّة لم يُهمّلها الطّاهر بن عاشور (توفي: 1393هـ) عند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَبْنَى إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 114.

2 أي: نزل به أمر شديد.

3 أخرجه أحمد في مسنده، (38/ 330)، برقم: (23299)، وأبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب وقت قيام النبي ﷺ من الليل، (02/ 485)، برقم: 1319، وإسناده ضعيف، لجهالة محمد بن عبد الله ويقال: محمد بن عبيد أبو قدامة والحديث حسنه الألباني لشواهده. ينظر: صحيح سنن أبي داود، (05/ 65).

4 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 122.

5 الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، مرجع سبق ذكره، ج 01، ص: 131.

6 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 122.

7 الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، مرجع سبق ذكره، ج 01، ص: 132.

﴿البقرة: 47﴾، حيث قال: «أعيد خطاب بني إسرائيل بطريق النداء مماثلاً لما وقع في خطابهم الأول لقصد التكرير للاهتمام بهذا الخطاب وما يترتب عليه، فإن الخطاب الأول-الذي في الآية رقم: (40) من سورة البقرة- قصد منه تذكيرهم بنعم الله تعالى ليكون ذلك التذكير داعية لامثال ما يرد إليهم من الله من أمر ونهي على لسان نبيه ﷺ، غير أنه لما كان الغرض المقصود من ذلك هو الامتثال كان حقّ البلاغة أن يُفضي البليغ إلى المقصود ولا يُطيل في المقدمة، وإنما يلم بها إلاماً ويُشير إليها إجمالاً تنبيهاً بالمبادرة إلى المقصود على شدة الاهتمام به، ولم يزل الخطباء والبلغاء يعدّون مثل ذلك من نباهة الخطيب ...»¹، وقد كان الأولى بالعلواني نقل مثل هذا الكلام الذي يربط بين الآيتين، ويكشف جانباً من الوحدة الموضوعية بينهما، ويبرز أيضاً أهمية التكرار.

04- تفسير الراغب الأصفهاني (توفي: 502هـ): إن الناظر في تفسير الراغب الأصفهاني يلحظ تنوعاً في المصادر العامة، إضافة إلى رصيده الشخصي ومصادره الخاصة من أقوال الحكماء والأدباء والمتكلمة والمتصوفة، وكذلك من الأمثال العربية والأقوال المأثورة. إن هذا التنوع والشمول في مصادر الراغب يُشير إلى المنهج الذي ارتضاه في تفسيره، وهو منهج الجمع بين التفسير بالمأثور والتفسير بالمعقول.² وقد استفاد العلواني من تفسير الراغب من خلال الإيرادات الآتية:

لتعريف مفهوم الضالين عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: 07]³، وهو نفس تعريف الضلال في "المفردات"⁴، والكتاب الأخير أولى في النقل منه في باب التعريفات.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 151-152]. نقل في الهامش: «قال الراغب: ما مع ما بعده مصدر، أي كإرسالنا، والكاف فيه مُتعلّق بقوله ﴿وَلَا أَنْتُمْ نَعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ إذا أنتم إئتتمتم في أمر القبلة وخشيتم الله دون الناس، أتم عليكم كلمته كنعمته بإرسال رسول هكذا تنبيهاً بأن النعمة في بعثته (ودعائه العام

1 محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مرجع سبق ذكره، ص: 482.

2 الراغب الأصفهاني، تفسير الراغب الأصفهاني، دراسة وتحقيق: عادل بن علي الشدي، (ط01، مدار الوطن للنشر، الرياض، السعودية، 1424هـ - 2003م)، ص: 139 - 140. باختصار.

3 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 79.

4 ينظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 297 - 299.

إلى دين مخالف لدينهم، ووعدهم أنّه سيظهر دينه على الأديان كان) أعظم من تغيير القبلة «¹، ما بين قوسين ثابت في تفسير الراغب، وسقط في تفسير العلواني، وهو تصرف منه لم يُشر إليه، والنقولات السابقة كانت من جنس الاستفادة اللغوية، مع بعض من الرصيد المعرفي للراغب.

وعند دراسته لمفهوم الأمانة عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلَقَى الشَّيْطَانُ فِي﴾ [الحج: 52] قال: «قال الراغب: قال: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ فأجيب إلى مُلتمسه بقوله: ﴿لَا يَتَأَلَّ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 124] لكنّه تعالى بيّن أنّه قد يكون من ذرّيته ظالم، وبيّن أن الإمام يتحمّل العهد، والظالم لا عهد له، فإذا لا إمامة له، «²، ثمّ أضاف في المتن: وفيها تنبيه له السكّان إلى أنّ ذرّيته سيكون فيها ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات، ولن يكونوا -جميعاً- صالحين للإمامة.³

وعند تفسير قوله تعالى: «﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾» [الحج: 54] وليزداد الذين أوتوا علم الشرع والإيمان به إيماناً وعلماً، بأنّ ما يقوله الرّسل والأنبياء إنّما هو الحقّ المنزّل من عند الله، وإنّ الله ليتولّى المؤمنين دائماً بعنايته في المشاكل التي تمرّ بهم، فيهديهم إلى معرفة الطريق المستقيم فيتبعونه «⁴، وفي التّقلين الأخيرين اعتماد على تفسير من الرّصيد المعرفي الشّخصي للراغب الأصفهاني.

05- زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (توفي: 597هـ): اعتمد ابن الجوزي في تفسيره منهج التفسير بالمأثور، «وكان مُعوّله في تفسير الآي على ما أثر عن رسول الله ﷺ من الأخبار، ثمّ ما نُقل عن الأفاضل من علماء الصّحابة، ثمّ ما روي عن خلفهم من جلة التابعين والأئمة المجتهدين، وكان قد أُلّم أيضاً بمشهور القراءات وأطراف من شواذّها، ونقل توجيهها في العربيّة عن أئمة هذا العلم، وهو يُفسّر مُفردات القرآن، كما استعرض آراء الصّحابة والتابعين والأئمة المجتهدين في المسائل الفقهيّة المختلف فيها».⁵

واعتمد العلواني على تفسير ابن الجوزي مرّة واحدة لمعالجة موضوع السحر عند تفسير قوله

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 183.

2 المرجع السابق، ص: 600.

3 ينظر: المرجع السابق، ص: 600.

4 المرجع السابق، ص: 602.

5 ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: زهير الشاويش، (ط01، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع والمكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1423هـ - 2002م)، ص: 06. بتصرّف.

تعالى: « **وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُوا الشَّيَاطِينُ** » [البقرة: 102] قالت يهود المدينة ألا تعجبون من محمد يزعم أنّ ابن داوود سليمان كان نبياً، والله ما كان نبياً بل كان ساحراً¹، وبالعودة إلى تفسير ابن الجوزي نجد النص الكامل حوى التالي: « قوله تعالى: **وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُوا الشَّيَاطِينُ** في سبب نزولها قولان: أحدهما: أنّ اليهود كانوا لا يسألون النبي عن شيء من التوراة إلاّ أجابهم، فسألوه عن السحر وخاصموه به، فنزلت هذه الآية، قاله أبو العالية، والثاني: أنّه لما ذكر سليمان في القرآن قالت يهود المدينة: ألا تعجبون ... » الحديث²، وبهذا يتضح أنّ هذا النقل متعلّق بسبب النزول، وبأنّ العلواني اقتصر على ذكر القول الثاني دون الأوّل، والقول الأوّل يتعلّق بمسألة اليهود عن السحر، ولعلّ هذا ما جعله يصرف النظر عن نقله، ثمّ هو مع هذا الاختصار والاختصار لم يُخرِج الحديث ولم يذكر درجته³.

06- تفسير القرآن الكريم لابن القيم (توفي: 751هـ): اكتملت ملامح المنهج التفسيري عند أهل السنّة بظهور ابن القيم، وضربه بسهم وافر في تفسير القرآن الكريم نظرياً وتطبيقياً، ومن أهمّ ملامح تفسيره الذي جُمع من بطون مؤلفاته؛ النقل القائم على اصطفاء أصحّ الأخبار والآثار التي جاوزت قنطرة الدّراسة الاصطلاحية المستفيضة، واستناداً إلى أقوال النبي ﷺ، ثمّ الصحابة رضي الله عنهم، ثمّ كلّ من توقّرت فيه أهلية النظر لكتاب الله، واللغة العربية، والعقل القائم على الرّأي المحمود، والدّوق القائم على الباطن الصّالح⁴، ومما نقله العلواني من تفسير ابن القيم، عند تفسير قوله تعالى: **لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ** ﴿٣٧﴾ [البقرة: 273] ولتحديد أوصاف أهل التّعفف، نقل عن ابن القيم وتصّرف في النصّ المنقول دون تنبيه لذلك⁵.

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 149.

2 ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، مرجع سبق ذكره، ص: 78.

3 الحديث أخرجه ابن جرير في جامع البيان (358 / 01): ثنا ابن حميد ثنا سلمة ثنا ابن إسحاق به، وسنده ضعيف لأنه معضل، وشيخ الطبري محمد بن حميد الزّازي قال فيه البخاري في "التاريخ الكبير" (69 / 01): فيه نظر، وسلمة بن الفضل الأبرش؛ صدوق كثير الخطأ؛ كما في التقريب (318 / 01).

4 ينظر: صبري المتولي، منهج أهل السنّة في تفسير القرآن الكريم (دراسة موضوعية لجهود ابن القيم التفسيرية)، (ط2)، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، 2002م)، ص: 347 - 350.

5 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 302. وقد تمّ حذف بعض الكلام خلال عملية النقل، ولم يذكر المؤلّف ذلك بل تأكّد منه الباحث برجوعه للمصدر. ينظر: ابن القيم، تفسير ابن القيم، ص: 171 - 172.

07- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (توفي: 774هـ): قال أحمد شاكر في مقدّمة كتاب ((عمدة التفسير)) مجملاً منهج ابن كثير في تفسيره: « وقد حرص الحافظ ابن كثير على أن يُفسّر القرآن بالقرآن أولاً، ما وجد إلى ذلك سبيلاً، ثمّ بالسنة الصحيحة، التي هي بيان لكتاب الله، ثمّ يذكر كثيراً من أقوال السلف في تفسير الآي »¹، ومن هنا عُدّ تفسير ابن كثير من أشهر الكتب التي دُوّنت في التفسير بالمأثور، ونقل العلواني عن ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَفُتِنُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة: 83]، بعد أن قال: اختاروا الكلمة الطيبة، ولكنهم -بالرغم من ذلك- كانوا يأتون رسول الله ﷺ والمؤمنين، ويختارون لخطابهم الكلمات الملتبسة، ثمّ نقل عن ابن كثير قوله: "كان بين النبي ﷺ وبين اليهود مودة، وكانوا إذا مرّ بهم رجل من أصحاب النبي ﷺ جلسوا يتناجون بينهم، حتّى يظنّ المؤمن أنّهم يتناجون بقتله أو بما يكره المؤمن، فإذا رأى المؤمن ذلك خشيه فترك طريقه عليهم، فنهاهم النبي ﷺ عن النجوى، فلم ينتهوا وعادوا إلى النجوى، فأنزل الله: تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يُعَادُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِلَهِ وَالْعَدْوَنَ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُكُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فَيَنْتَسِلُونَ الْمَصِيدَ ﴾ [المجادلة: 08] "، وختم العلواني بنسبة هذا القول، فقال: روي هذا عن مجاهد ومقاتل بن حيان²، وهذا الأثر جمع تفسير القرآن بالقرآن بتفسير آية البقرة بآية المجادلة مع السنة النبوية، والحديث الوارد من أسباب النزول، ومن أقوال السلف فيما نقل عن مجاهد ومقاتل، وهما من التابعين، ويُشير الباحث أنّ صيغة روي عند المحدثين؛ فيها تلميح لضعف الرواية، والاستفادة هنا كانت لزيادة بيان المعنى وتجليته. ونقل عند تعرّضه لقصة الغرائق في الهامش: « قال ابن كثير: "قد ذكر كثير من المفسرين ههنا قصة الغرائق، وما كان من رجوع كثير من المهاجرة إلى أرض الحبشة ظناً منهم أنّ مشركي قريش قد أسلموا، ولكنّها من طرق كلّها مُرسلة، ولم أرها مُسندة من وجه صحيح والله أعلم"، والضعف في قصة الغرائق ليس في كونها مُرسلة فقط، بل لما في متنها من التّكارة المخالفة لصريح القرآن من عصمة نبيّه ﷺ فيما يبلغه عن الله تعالى من الوحي. وقد توسّع الألباني في التّكلم عن بطلانها وشدة ضعفها في كتابه: "نصب المجانيق لنسف قصة الغرائق" فليراجع³. كذا علّق على كلام ابن كثير.

1 أحمد محمّد شاكر، عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير، (د.ط، تراث الإسلام، تراث الإسلام 03، د.س.ط)، ص: 05.

2 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 138.

3 المرجع السابق، ص: 592.

وفي المسائل والمعاني اللغوية أورد العلواني نقولات لبيان تعريفات أصناف البشر الثلاثة في قوله

تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ٥٧﴾ [الفاتحة: 07].¹

وضمن مجال استفادة العلواني من الرأي الشخصي لابن كثير، نقل تعريفه لمفهوم الحمد في قوله

تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٢١﴾ [الفاتحة: 02]²، ومعنى التّضحية في سبيل الله عند تفسير

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ

اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ ٥٨﴾ [الحج: 58].³

08- الدّر المنثور للسيوطي (توفي: 911هـ): ذكر المشرف على نشر كتاب الدّر المنثور في

مُقدمته؛ أنّ الدّر المنثور هو الكتاب الوحيد الذي اقتصر على التفسير بالمأثور، فلم يُخلط بالروايات

التي نقلها شيئاً من عمل الرأي كما فعل غيره، ونقل السيوطي في تفسيره الروايات المختلفة في

القراءات المتعددة للآية الواحدة كما وردت عن الصحابة وأشهر المقرئين، وأضاف إلى ذلك كله

شذرات لغوية مُتفرقة نثرها بين تضاعيف الكتاب⁴، وقد استعان العلواني بهذا السفر مرتين، إحداهما

عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: 256]، وكانت استعانة بسبب النزول، لأنّه

كما يرى العلواني، سبب النزول ههنا يمنحه الطمأنينة لاتخاذ القرار بصرف النظر عن باقي الأقوال،

خاصّة القول بالنسخ⁵، والثانية عند مطلع سورة الحج، وفي معرض حديثه عن المكي والمدني منها⁶،

فهما نقلا عن سبب النزول وعن المكي والمدني، ويخدمان التفسير الموضوعي بمختلف أنواعه.

09- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين الشنقيطي (توفي: 1393هـ):

يقول محمد الأمين الشنقيطي (توفي: 1393هـ): واعلم أنّ من أهم المقصود بتأليفه أمران: أحدهما:

بيان القرآن بالقرآن لإجماع العلماء على أنّ أشرف أنواع التفسير وأجلّها تفسير كتاب الله بكتاب الله،

... والثاني: بيان الأحكام الفقهية في جميع الآيات المبيّنة بالفتح في هذا الكتاب.¹

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 79.

2 المرجع السابق، ص: 60.

3 المرجع السابق، ص: 603.

4 السيوطي، الدّر المنثور في التفسير بالمأثور، (د.ط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1432/1433هـ - 2011م)، ج 01، ص: 07 - 08.

5 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 289.

6 المرجع السابق، ص: 553.

1 محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح آي القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ج 01، ص: 08.

واستفاد العلواني من تفسير الشنقيطي عند ذكره لمعنى (طه) في قوله تعالى: ﴿طه﴾ [طه: 01] نقل عن الشنقيطي (توفي: 1393هـ) ما يلي: «وقال بعضهم: إنّ "الطاء" من الطهر، أراد - جلّ شأنه - أن يقول له: "يا طاهراً أو يا مُطَهَّراً" من الذنوب، و"الهاء" من الهداية أي يا هادياً إلى علام الغيوب»¹، وهو نقل مُوهم بتوافق رأي العلواني مع رأي الشنقيطي، والقول بأنّ (طه) اسم من أسماء النبي ﷺ يخالف لرأي الشنقيطي، فهذا نصّ كلام الشنقيطي كاملاً: «وفي قوله ﴿طه﴾ أقوال أخر ضعيفة، كالقول بأنّه من أسماء النبي ﷺ، والقول بأنّ الطاء من الطهارة، والهاء من الهداية يقول لِنبيّه: يا طاهراً من الذنوب، يا هادي الخلق إلى علام الغيوب، وغير ذلك من الأقوال الضعيفة. والصواب إنّ شاء الله في الآية هو ما صدّرنا به، ودلّ عليه القرآن في مواضع أخرى.

والذي اختاره الشنقيطي تفسيراً للفظ (طه) واضح من قوله: أظهر الأقوال فيه عندي أنّه من الحروف المقطعة في أوائل السور»²، وبهذا يكون ما نقل من تفسير الشنقيطي نقلاً مُوهماً، وهو نقل يتعلّق ببيان معنى اسم السورة ضمن مقدّمة التفسير الموضوعي لسورة طه.

10- مختصر تفسير ابن كثير لمحمد علي الصابوني (توفي: 1424هـ): ما قيل عن تفسير ابن كثير يُقال عن مُختصره، والاستفادة من المختصر وترك الأصل تبقى عند الضرورة، كأن يُفقد الأصل مثلاً، فكيف والصابوني نفسه يقول: «ولما كان تفسير العلامة ابن كثير رحمه الله -على ما فيه من مزايا كريمة- لا ينتفع منه إلّا الخاصّة من العلماء... ممّا تجعل الفائدة منه قاصرة على فئة مخصوصة من طلبة العلم الشرعي»³، والمفسّر الأصل أنّه أحد الإثنين، إمّا عالم وإمّا طالب علم، كما أنّ التقل من الأصل هو الأصل. والله أعلم.

وقد استعان العلواني بمختصر الصابوني عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: 78] أي يكذبون⁴، نقل العلواني كلمة واحدة بنصّها لبيان المعنى.⁵

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَتِّلُونَكُمْ﴾ [البقرة: 190]، نقل في

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 445.

2 محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ج4، ص: 399 - 400. بتصرف

3 محمد علي الصابوني، مختصر تفسير ابن كثير، (ط07، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، 1402هـ - 1981م)، ج01، ص: 08.

4 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 134 - 135.

5 ينظر: محمد علي الصابوني، مختصر تفسير ابن كثير، مرجع سبق ذكره، ج01، ص: 82.

الهامش قول الصّابوني: « هذه أول آية نزلت في القتال بالمدينة، فلمّا نزلت كان رسول الله ﷺ يُقاتل من قاتله ويكفّ عمّن كفّ عنه، حتّى نزلت سورة براءة، كذا قال ابن أسلم، حتّى قال: هذه منسوخة بقوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ [التوبة: 05] وفي هذا نظر، لأنّ قوله: ﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكَ﴾ [البقرة: 190]، إنّما هو تهييج وإغراء بالأعداء الذين همّتهم قتال الإسلام وأهله، أي كما يُقاتلونكم فاقتلوهم أنتم، كما قال: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْبَلُونَهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ [البقرة: 191] أي لتكون همّكم مُنبعثه على قتالهم كما همّتهم مُنبعثه على قتالكم وعلى إخراجهم من بلادهم التي أخرجوكم منها قصاصاً¹، ولا أحسب هذا النّقل يبعد عن إنكار النّسخ، بما يتوافق مع موقف العلواني.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ [البقرة: 258] وهو في قوّة قوله: هل رأيت مثل الذي حاجّ إبراهيم في ربّه؟ ولهذا عطف عليه بقوله: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوسِهَا﴾ [البقرة: 259]، فكلاهما دالّة على قدرة الله -تعالى- التي تخضع لها المسخّرات كلّها²، وهذه استفادة من اجتهاد ابن كثير ورأيه في موضوع الحاجة.

ب- مصادره من كتب التفسير بالرأي المحمود وأثرها:

01- مدارك التنزيل وحقائق التّأويل للنسفي (توفي: 537هـ): اعتبر محمّد حسين الذهبي تفسير النسفي من التفسير بالرأي الجائز، وقال: « هذا التفسير اختصره النسفي -رحمه الله- من تفسير البيضاوي ومن الكشف للزّحشري، غير أنّه ترك ما في الكشف من الاعتزالات وجرى فيه على مذهب أهل السنّة والجماعة، وهو تفسير وسط بين الطّول والقصر ... »³.

وقد استفاد العلواني من آراء قالها النسفي بما فتح الله عليه، ومن ذلك عند تفسير قوله تعالى: « ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: 24] لما أرشدهم إلى الجهة التي منها يتعرّفون صدق النّبي ﷺ، قال لهم: فإذا لم تُعارضوه وبأنّ عجزكم ووجب تصديقه فآمنوا وخافوا العذاب المعدّ لمن كذب وعاند، وفيه دليل على إثبات النّبوة صحّة كون المتحدّى به مُعجراً والإخبار بأنهم لن يفعلوا وهو غيب لا يعلمه إلّا الله »⁴.

وعند تفسير قوله تعالى: « ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 218 و 219. تكرر نقل نفس العبارة في الصّفحتين !

2 المرجع السابق، ص: 293 - 294. باختصار.

3 محمّد حسين الذهبي، التفسير والمفسّرون، مرجع سبق ذكره، ج 01، ص: 216.

4 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 106.

رَجِيمٌ ﴿١٨٢﴾ [البقرة: 182] نقل في الهامش: « قال الإمام النّسفي في تفسيرها: ﴿فَمَنْ خَافَ﴾ [البقرة: 182] عَلِمَ، وهذا شائع في كلامهم، يقولون: أخاف أن ترسل السماء ويريدون الظنّ الغالب الجاري مجرى العلم، ﴿مِنْ مُوصٍ﴾ [البقرة: 182] ميلاً عن الحقّ بالخطأ في الوصية ﴿أَوْ إِنَّمَا﴾ [البقرة: 182] تعمّداً للحيثف ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة: 182] بين الموصى لهم وهم الوالدان والأقربون بإجرائهم على طريق الشرع ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: 182] حينئذ، لأنّ تبديله تبديل باطل إلى حقّ، فذكر - تعالى - من يبدل بالباطل، ثمّ ذكر من يبدل بالحقّ، ليعلم أنّ كل تبديل لا يؤثم ». ¹ وقد اختار العلواني هنا قولاً وترك آخر.

ومن وجوه الاستفادات اللّغويّة، نقل عنه عند تفسير قوله تعالى: « ﴿إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ﴾ [البقرة: 132] هو معطوف على إبراهيم داخل في حكمه، والمعنى ووصى بها يعقوب بنيه أيضاً ﴿يَبْنِي﴾ [البقرة: 132] على إضمار القول: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ لَكُمْ الَّذِينَ﴾ [البقرة: 132] أي أعطاكم الدّين الذي هو صفوة الأديان وهو دين الإسلام ووفّقكم للأخذ به ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة: 132] فلا يكن موتكم إلّا على حال كونكم ثابتين على الإسلام فالنّهي في الحقيقة عن كونكم على خلاف حال الإسلام إذا ماتوا ²، وعند تفسير قوله تعالى: « ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ [الحج: 23]، جمّع أسورة جمّع سوارٍ ﴿مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ [الحج: 23] ³.

02- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي (توفي: 606هـ): رجع العلواني إلى تفسير الرازي واستقى منه في تفسيره، واستبق ذلك في مقدّمة تفسيره حين قال عن الرازي (توفي: 606هـ) بأنّه « هو من هو في علمه وجلال قدره وتفسيره الذي يُعدّ موسوعة معرفيّة في هذا المجال ⁴.

وقد أورد ذكره كثيراً في تفسيره الأمر الذي يدلّ على مقدار تقديره له واهتمامه به، أمّا اعتماده على تفسيره، فقد نقل عنه سبع نقولات في جوانب متعدّدة، لبيان معاني الآيات كما في سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [البقرة: 47]،

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 200.

2 المرجع السابق، ص: 173.

3 المرجع السابق، ص: 569.

4 المرجع السابق، ص: 39.

« ويقول الرّازي عند تفسير قوله تبارك وتعالى: ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: 47] اعلم أنّه تعالى إنّما أعاد هذا الكلام مرّة أخرى تأكيداً للحجّة عليهم وتحذيراً من ترك اتّباع محمّد ﷺ ثمّ قرنه بالوعيد، وهو قوله ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا﴾ [البقرة: 48] كأنّه قال: إن لم تطيعوني لأجل سوائف نعمتي عليكم فأطيعوني للخوف من عقابي في المستقبل¹.

ولبيان حكم شرعيّ عند تفسير قوله تعالى: «﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ [البقرة: 106]، قال في الهامش: ولقد التفت بعض المفسّرين إلى ضعف الاستدلال بهذه الآية على وقوع النسخ، منهم الإمام الرّازي: الذي ذكر في تفسيره أنّ الاستدلال بقوله تعالى: ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ [البقرة: 106] على جواز النسخ ووقوعه -أيضاً- ضعيف: لأنّ "ما" هنا تفيد الشّروط والجزاء، كما أنّ قولك: "من جاءك فأكرمه" لا يدلّ على حصول الجيء، بل على أنّه متى جاء وجب الإكرام، فكذا هذه الآية لا تدلّ على النسخ، ولكن متى حصل النسخ وجب أن يأتي بما خير منه، والله أعلم²، فهو نقل مرّة أخرى لدعم موقفه في موضوع النسخ وليس لهدف تفسيريّ.

على أنّ الرّازي ممّن وافقوا جمهور العلماء في وجود النسخ وأقسامه وأنواعه، ولكن بطريقته هو التي تعتمد على تعاضد الأدلّة، وثبوت الحجج في إثبات النسخ أو نفيه عن الآيات المنسوخة، فالرّازي صاحب منهج واضح في قضيّة النسخ جعله موافقاً لمن سبقوه، وناقداً لهم أحياناً، وهكذا العلماء يهتدون بالأدلة ويقفون عند البراهين³.

ولبيان سبب النزول عند تفسير قوله تعالى: «﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْرِضُوا﴾ [البقرة: 222]»⁴، وعند تعرّضه لذكر سبب نزول سورة طه استفاد منه أيضاً⁵.

ولبيان معنى اصطلاحيّ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾

1 فخر الدّين الرّازي، تفسير الفخر الرّازي المشهور بالتفسير الكبير و مفاتيح الغيب، (ط01، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 1401هـ - 1981م)، ج03، ص: 55.

2 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 156.

3 ينظر: الرّازي: مفاتيح الغيب، مرجع سبق ذكره، ج01، ص: 244 - 246.

4 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 252.

5 المرجع السابق، ص: 445.

[الحج: 03] استفاد منه في تعريف الجدال¹، وإحالة للمزيد عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَايَأُ

النَّاسُ إِلَيَّ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (١٩) ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (٢٠) [الحج: 03]

عند تناوله لموضوع عالمية الإسلام، وانقسام البشرية ما بين أمة الإجابة (المؤمنون) وأمة الدّعوة (الكافرون)، أحال للمزيد إلى تفسير الرّازي². فكانت استفادات تخدم مواضيع قرآنية متعدّدة.

03- البحر المحيط في التفسير لأبي حيّان الأندلسي (توفي: 754هـ): أشار أبو حيّان إلى

طريقته في التفسير فذكر أنّه يبدأ بشرح المفردات، مع الاعتناء بالمناسبات، وذكر ما يرد من الأقوال في نسخ الآية أو عدمه، والعناية بعلوم اللّغة، والترجيح بين الأقوال دون الاكتفاء بذكرها، وتجنّب تكرار الكلام والاكتفاء بما تقدّم مع الإحالة على الموضوع الذي سبق التكلّم فيه عن اللفظة أو الجملة أو الآية، وإن عرض تكرار فلمزيد من الفائدة، ويتعرّض للمسائل الفقهيّة، أمّا في مسائل أصول الفقه فيتعرّض لذكرها إشارة إليها وإحالة إلى كتب الأصول، وأنّه يحمل اللفظ على ظاهره، ويُحيل مسائل العقيدة إلى كتب أصول الدّين الأشعريّة، ويردّ على المعتزلة وغيرهم، وختم كلّ جملة ببيان ما فيها من البلاغة، ثمّ يقوم بتلخيص مضمون الآيات، وقد فعل ذلك إلى غاية الآية رقم (252) من سورة البقرة؛ وكأنّه أراد وضع النموذج لمن يأتي بعده، وكان ملتزماً بالتفسير النبوي لا يتخطّاه، وفي الغالب لا يُورد الروايات والأقوال الإسرائيليّة، ولا يخوض فيما لا علاقة له بالآية، ويبحث المكّي والمدني³.

وقد استفاد العلواني من تفسير أبي حيّان في معرض حديثه عن المكّي والمدني في سورة الحج؛

عند تفسير قوله تعالى: ﴿هُذَانِ خَصِمَانِ اِخْتَصِمُوا فِي رِيبِهِمَا فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ

مِنْ فَوْقٍ رُءُوسِهِمْ الْحَمِيمُ﴾ (١٩) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢٠) وَلَهُمْ مَقْلِعٌ مِنْ حَدِيدٍ (٢١) كَلَّمَا أَرَادُوا أَنْ

يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٢٢) [الحج: 19-22]⁴، وعند ذكر مناسبة سورة

الحجّ لما قبلها وما بعدها⁵، ولم يشير إطلاقاً إلى أنّه تصرّف في المادة العلميّة، مع أنّه فعل ذلك في التّقلين الأخيرين⁶.

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 560.

2 المرجع السابق، ص: 588.

3 أبو حيّان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، مرجع سبق ذكره، ج01، ص: 103 - 104. باختصار.

4 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 553.

5 ينظر: المرجع السابق، ص: 554.

6 للتأكّد ينظر: أبو حيّان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، مرجع سبق ذكره، ج06، ص: 324.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَفَعَهُمْ﴾ [الحج: 28] ... رُوي عن ابن عباس أنّه قال: «المنافع التجارة»¹، كذا قال العلواني؛ وكذا عند الطبري (توفي: 310هـ): «عن ابن عباس: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَفَعَهُمْ﴾ قال: هي الأسواق؛ وعن مجاهد عن ابن عباس قال: التجارة»²، أمّا في البحر المحيط: «قال ابنُ عباس وغيره: من المنافع التجارة»³، والفرق بين العبارتين واضح، فما ذكره العلواني فيه تقييد بينما ما ذكره أبو حيان فيه إطلاق، وهي استفادة من مصدر أولي -تفسير السلف-.

04- غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين القمي النيسابوري (توفي: 850هـ): اختصر النيسابوري هذا من التفسير الكبير للفخر الرازي، وضمّ إلى ذلك بعض ما جاء في الكشاف وغيره من التفاسير، وما فتح الله عليه من الفهم لحكم كتابه، وضمّنه ما ثبت لديه من تفاسير سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين، وهو إذ يختصر كلام الفخر الرازي، أو يقتبس من تفسير الكشاف أو غيره، لا يقف عند النصّ وقوف من يجمد عند النصوص ويرى أنّها ضربة لازب عليه فلا يعترض ولا يتصرّف، بل نجده حراً في تفكيره، مُتصرِّفاً فيما يختصر أو يقتبس، فإن وجد فساداً نَبّه عليه وأصلحه، وإن رأى نقصاً تداركه فأتمّه وأكملّه⁴، وقد استفاد منه العلواني مرّة واحدة، وهي عند تفسير قوله تعالى: «﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيحٍ﴾» [الحج: 31]: إن كان تشبيهاً مُرَكَّباً فمعناه من أشرك بالله فقد أهلك نفسه غاية الإهلاك، وذلك بأن صوّر حاله بصورة من خرّ من السماء فاخترطفته -أي استلبته- الطير، ففترّق مزعاً؛ أي: قطعاً من اللحم في حواصلها، أو بحال من خرّ فعصفت به الرّيح حتّى هوت به في بعض المطاوح السّحيقة البعيدة. وإن كان مُفَرَّقاً، فقد شبّه الإيمان في علوّه بالسّماء، والذي تركه فأشرك فقد سقط منها، والأهواء التي تُورّع أفكاره بالطير المتخطفة، وفي المثل الآخر شبّه الشيطان الذي يطرح به في وادي الضلالة بالرّيح التي تهوي بالأشياء في المهوي المتلفة»⁵. فهي استفادة لغويّة بلاغيّة مُطعّمة برأي وفهم النيسابوري، وذلك عند معالجته لموضوع الشّرك بالله تعالى.

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 572.

2 الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصدر سبق ذكره ج16، ص: 520.

3 أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، مرجع سبق ذكره، ج06، ص: 338.

4 محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، مرجع سبق ذكره، ج01، ص: 229 - 230.

5 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 575.

05- تفسير الجلالين المحلي (توفي: 864هـ)¹ والسيوطي (توفي: 911هـ): يُعدّ تفسير الجلالين من أشهر التفاسير وأجلّها، وقد نال ثناء كثير من العلماء والمحققين في مختلف العصور، وقد قال عنه الزرقاني: «أما تفسير الجلالين فكتاب قيم سهل المأخذ إلى حدّ ما، مُختصر العبارة كثيراً، تداوله طبقات مُختلفة من أهل العلم وغيرهم، والعجيب أنّ كثيراً من فطاحل العلماء كانوا يختارونه لأعلى دراسة عُرفت في التفسير كمادّة أساسيّة يدورون حولها ويستلهمون وحيها»²، ورجع العلواني لتفسير الجلالين في سبعة عشر موضعاً، كلّها في سورتي البقرة والحجّ، وهذا لبيان المعاني اللغويّة بوضع الألفاظ المؤدّية لمعانيها في اللغة إزاءها، وهذا ما دفع العلواني إلى اللجوء إليه بعدد مرّات يفوق غيره، فهذا التفسير يُسّعه في تفهّم معاني الألفاظ القرآنيّة ويدلّه على المراد من آيات الله دون عناء كبير، وبأوجز العبارات وأوضحها، ومن ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ أَتَشْتَبِدُونَ لِذِي هُوَ أَذْفَ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْيَظُوا مَضَرًا﴾ [البقرة: 61] دار دُلكم وخضوعكم وعبوديّتكم ﴿فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ﴾ [البقرة: 61] من النّبات ﴿وَضُرِبَتْ﴾ [البقرة: 61] جُعِلَتْ ﴿عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾ [البقرة: 61] الدّل والهوان ﴿وَالْمَسْكَنَةُ﴾ [البقرة: 61] أي أثر الفقر من السّكون والجزّيّ فهي لازمة لهم وإن كانوا أغنياء لزوم الدّهر المضروب لسكّته ﴿وَبَاءُوا﴾ [البقرة: 61] رجعوا ﴿بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ [البقرة: 61] أي الضّرب والغضب ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: 61] كزكرياء ويحيى عليهما السلام ﴿يَغْيِرَ الْحَقُّ﴾ [البقرة: 61] أي ظلماً ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: 61] يتجاوزون الحدّ في المعاصي، وكرّره للتأكيد) «³، وما بين قوسين هو الذي نقله من تفسير الجلالين، ورّكبه مع كلامه في سياق واحد.⁴

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿أَنْ لَا تُشْرَفَ فِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْنِي﴾ [الحجّ: 26] من الأوّثان

1 جلال الدّين محمّد بن أحمد المحلي الشافعي: ولد بمصر سنة 791هـ، وكان آية في الدّكاء، وله كتب جيّدة مثل شرح القواعد لابن هشام، وشرح التّسهيل لابن مالك، وأجلّ كتبه التي لم تكتمل تفسير القرآن من أوّل الكهف إلى آخر القرآن، وتوفي سنة 864هـ. ينظر: ابن العماد الحنبلي، شذرات الدّهب، مرجع سبق ذكره، ج07، ص: 303 - 304.

2 الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، مرجع سبق ذكره، ج01، ص: 534 - 535. بتصرّف. ومعلوم أنّ الزرقاني عالم أزهرّي، وهو هنا ينقل معلومة من محلّها.

3 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 129.

4 ينظر: جلال الدّين المحلي وجمال الدّين السيوطي، قرآن كريم بتفسير الإمامين الجلالين، تحقيق: شعبان محمّد إسماعيل، (د.ط، شركة الشّمرلي للطّبع والنّشر والأدوات الكتابيّة، مصر، د.س.ط)، ص: 10.

﴿لِّلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ﴾ [الحج: 26] المقيمين به ﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج: 26] جمع رাকع وساجد: المصلين¹.

ولإيراد ما يحتمله اللفظ أو السياق من وجوه، دون تحديد المبهم القرآني، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: 260]، أخذ عن الجلالين: «﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: 260] (بكسر الصاد وضمها، أملهنَّ إليك وقطعنَّ واخلطنَّ لحمهنَّ وريشهنَّ) ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ ﴿[البقرة: 260] مِّنْ جِبَالِ أَرْضِكَ ﴿مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ﴾ [البقرة: 260] إِلَيْكَ ﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ [البقرة: 260] سَرِيعًا ﴿وَأَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: 260] لا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ ﴿حَكِيمٌ﴾ [البقرة: 260] فِي صُنْعِهِ»²، فالجلالان لم يُعيِّنا نوع الطيور، ولا لونها، ولا جنسها، وجميع ما أُبْهِم عنها، ولا بدَّ أنَّ السبب عدم وجود أثر يُسوِّغ أي قول يُزيل الإبهام، والعلواني لم يشر إلى عدم تعيينهما للمبهم، لعدم إيمانه بوجود أي مبهم في القرآن، وأنَّ القرآن كله واضح، وأنه لا فائدة تُرجى من وراء البحث فيه.

ويشير الباحث إلى أنه قد تكرر من العلواني إدخال كلامه بكلام غيره بشكل يعسر تمييزه إلا بالرجوع للمصدر والمقارنة.

06- تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (توفي: 1393هـ): إلى جانب التفسير بالمأثور، أسس الطاهر بن عاشور جزءاً من تفسيره على الرأي، وأوضح ذلك في مقدمة تفسيره فقال: «اعلم أنه لا يُعَدُّ من استمداد التفسير، الآثار المروية عن النبي ﷺ، في تفسير آيات، ولا ما يُروى عن الصحابة في ذلك، لأنَّ ذلك من التفسير لا من مدده، ولا يُعَدُّ أيضاً من استمداد التفسير ما في بعض آي القرآن من معنى يُفسَّر بعضاً آخر منها، لأنَّ ذلك من قبيل حمل بعض الكلام على بعض، كتخصيص العموم وتقييد المطلق وبيان المحمل وتأويل الظاهر ودلالة الاقتضاء وفحوى الخطاب ولحن الخطاب، ومفهوم المخالفة»³، وقال أيضاً: «من أجل ذلك التزمت أن لا أغفل التنبيه على ما يلوح لي من هذا الفن العظيم في آية من آي القرآن كلما ألهمته بحسب مبلغ الفهم وطاقته التدبّر. وقد

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 571.

2 المرجع السابق، ص: 294. ما بين قوسين لم ينقله المؤلف وهو ثابت في المصدر. ينظر: جلال الدين المحلي وجمال الدين السيوطي، القرآن الكريم بتفسير الإمامين الجلالين، مرجع سبق ذكره، ص: 37.

3 محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير من التفسير، مرجع سبق ذكره، ج1، ص: 27.

اهتمت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز ونكت البلاغة العربية وأساليب الاستعمال، واهتمت أيضاً ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض¹، فهو تفسير بلاغيّ وبيان لغويّ. وقد استفاد العلواني من تفسير ابن عاشور في تسعة مواضع مختلفة، منها ما هو:

من تفسيره بالرأي والاجتهاد الشّخصي وذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [البقرة: 204] ومعنى يشهد الله على ما قلبه أنّه يقرن قوله وظاهر توّده بإشهاد الله تعالى على أنّ ما في قلبه مطابق لما في لفظه، ومعنى إشهاد الله حلفه بأنّ الله يعلم أنّه لصادق، وإنّما أفاد ما في قلبه معنى المطابقة لقوله لأنّه لما أشهد الله حين قال كلاماً حلواً تعيّن أن يكون مدّعياً أنّ قلبه كلسانه قال تعالى: ﴿يُخْلَفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ﴾ [التوبة: 62]².

«ولبيان وجوه الإعجاز ونكت البلاغة العربية وأساليب الاستعمال، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿أَخْصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ [الحج: 19] ومعنى ((في ربّهم)) أي: في شأنه ووحدانيّته وصفاته، فالكلام على حذف مضافٍ ظاهر، والنّصّ الأصليّ ليس فيه جملة "ووحدانيّته" بل هذه إضافة من تصرّف العلوانيّ دون إشارة منه لذلك.

ولبيان المناسبة عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [الحج: 24]، ... وقد ذكر بعضها في قوله تعالى: ﴿دَعْوَتُهُمْ فِيهَا سُبْحَنَكَ اللَّهُمَّ وَحَيْثُ هُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأَخِرَ دَعْوَتُهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: 10]، وفي قوله: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [الزمر: 74]. ويسمعونها من ملائكة ربّهم الذين يستقبلونهم عند دخولهم الجنّة بأطيب الأقوال، بدلاً من المناداة بالويل والثبور والحسرة والندامة التي يُردّدها أولئك الذين خاصموهم في ربّهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ [٢٣] سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: 23-24] وهذا أشدّ مناسبة بمقابلة ما يسمعه أهل النار في قوله: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الحج: 22]³. وللعلوانيّ تصرّف

1 محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير من التفسير، مرجع سبق ذكره، ج 01، ص: 08.

2 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 228.

3 المرجع السابق، ص: 568 - 569.

بَيِّنُ فِي الْمَادَّةِ الْعِلْمِيَّةِ الْأَصْلِيَّةِ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَشِرْ لِذَلِكَ الْبَيِّنَةِ.¹

ولتحرير مسألة من مسائل أصول الفقه، حيث أحال العلواني إليه، وذلك بعد أن عرض أدلة القائلين بمسألة (شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد في شرعنا ما ينسخه)²، وموقف ابن عاشور (توفي:

1393هـ) الذي حكاه عند حديثه عن المراد بالخصمين في قوله تعالى: ﴿حَصَمَانِ بَعْنَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ﴾ [ص: 22]، هو أنّ في الآية دليل شرعيّ على أنّ « ما يجري في شرع من قبلنا يصلح دليلاً لنا في شرعنا إذا حكاه القرآن أو سنة النبي ﷺ ولم يرد في شرعنا ما ينسخه »³، وهو رأي مخالف لرأي العلواني الذي يرى أنّ شرع من قبلنا منسوخ لاختلاف خصوصية الشرائع، وعالمية الشريعة الإسلامية.⁴

وللمناقشة والردّ، ومنه عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ [الحج: 15] في ردّ للعلواني على ابن عاشور (توفي: 1393هـ) قال: « والعجب من ابن عاشور -مع جلالة قدره- أنّه قال في هذه الآية الكريمة [الحج: 15]: "موضع هذه الآية غامض ومفادها كذلك"، ونحن لا نرى غموضاً، لا في الموقع ولا في المدلول والمفاد، أمّا الموقع فهو موقعها الدقيق حيث وضعها ﷻ في مقدّمة نجم التّمكن لرسول الله ﷺ وكتابه الكريم؛ وأمّا في مفادها ومدلولها فقد كان واضحاً بحسب ما بيّناه، ممّا لا يخفى على الشّيخ ابن عاشور رحمه الله »⁵، والفهم أرزاق وفضل من الله.

وغالب استعانة العلواني بتفسير ابن عاشور كانت عند تفسير سورة الحجّ، مع إحالة مُنعزلة في سورة الأنعام، وقد غلب على هذه الاستعانة بيان وجوه الإعجاز ونكت البلاغة العربية وأساليب الاستعمال، مع نقل آراء شخصيّة للطاهر بن عاشور وتبنيها أو مناقشتها وردّها.

ت- مصادره من كتب التفسير بالرأي المذموم وأثرها:

01- تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري (توفي: 538هـ): يقول ابن خلدون توفي: 808هـ): « ومن أحسن ما اشتمل عليه هذا الفن من التفسير كتاب الكشاف للزمخشري من أهل خوارزم العراق، إلّا أنّ مؤلّفه من أهل الاعتزال في العقائد، فيأتي بالحجّاج على مذاهبهم الفاسدة حيث تعرّض له في آي القرآن من طرق البلاغة، فصار بذلك للمحقّقين من أهل السنّة انحراف عنه، وتحذير للجمهور من مكانه، مع إقرارهم برسوخ قدمه فيما

1 ينظر: محمّد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مرجع سبق ذكره، ج17، ص: 234.

2 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 382.

3 محمّد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مرجع سبق ذكره، ج24، ص: 238.

4 ينظر: طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 383.

5 ينظر: المرجع السابق، ص: 566.

يتعلّق باللسان والبلاغة، وإذا كان الناظر فيه واقفاً مع ذلك على المذاهب السنيّة، مُحسناً للحِجاج عنها، فلا جرم أنّه مأمون من غوائله، فلتغتتم مطالعته لغرابة فنونه في اللسان»¹، وقد رجع العلواني إلى الكشف في مواضع ثلاثة، عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: 102] استعان به لتفسير كلمة "زُرْقًا"²، وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [المؤمنون: 97] تعريف الهمز³، وهما استفادتان لغويتان.

واستفاد منه أيضاً في بيان سبب النزول عند تفسير قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: 39]، فنقل قوله: «فحذف المأذون فيه لدلالة يقاتلون عليه ﴿بَأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾ [الحج: 39] أي بسبب كونهم مظلومين، وهم أصحاب رسول الله ﷺ: كان مشركو مكة يؤذونهم أذى شديداً، وكانوا يأتون رسول الله ﷺ ما بين مضروب ومشجوج، يتظلمون إليه، فيقول لهم رسول الله ﷺ: ((اصبروا فإنّي لم أؤمر بالقتال))، حتّى هاجر فأنزلت هذه الآية⁴، وهي أول آية أذن فيها بالقتال بعد ما نهى عنه في نيف وسبعين آية⁵»⁶.

فهما استفادتان لغويتان، وأخرى عن سبب النزول، ولا حِجاج فيها عن مذهب المعتزلة الفاسد وعقيدتهم المنحرفة.

ث- مصادره من كتب التفسير الصوفيّ الإشاري وأثرها:

01- تفسير القشيريّ المسمّى لطائف الإشارات للقشيريّ (توفي: 465هـ): يقول القشيريّ (توفي: 465هـ): «وكتابنا هذا يأتي على ذكر طرف من إشارات القرآن على لسان أهل المعرفة، إمّا

1 ابن خلدون، مقدّمة ابن خلدون، مصدر سبق ذكره، ص: 491.

2 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 485.

3 المرجع السابق، ص: 661.

4 الزمخشري، الكشف، مصدر سبق ذكره، ج03، ص: 160.

5 قال ابن حجر في الكافي الشاف: لم أجده هكذا. ثم قال: وهو منتزع من أحاديث أقرّبها ما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق بكير بن معروف، عن مقاتل بن حيان في قوله ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾: وذلك أنّ مشركي مكة كانوا يؤذون المسلمين بمكة، فاستأذنوا النبي ﷺ في قتالهم بمكة فنهاهم؛ ليمتنح بذلك النبي ﷺ عن ذلك، فلما خرج النبي ﷺ إلى المدينة أنزل عليه ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾. وذكر الطبري عن الضحاك: أنّ الصحابة استأذنوا رسول الله ﷺ في قتال الكفار إذ آذوهم واشتطوا عليهم بمكة قبل الهجرة غيلة وسراً، فأنزل الله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [٢٨]، فلما هاجروا أطلق لهم قتلهم وقتالهم، فقال: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾ الآية. ينظر: تفسير الكشف ومعه الانتصاف ومشاهد الإنصاف والكافي الشاف (03/160).

6 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 583.

من معاني مقولتهم، أو قضايا أصولهم، سلكنا فيه طريق الإقلال خشية الملal «¹، ويُعتبر كتاب لطائف الإشارات من أشهر كتب القشيري، كما أنّه يُعدّ من أهمّ الكتب الأصول التي يعتمد عليها الصّوفيّة فيما يتعلّق بالتفسير الإشاري واستنباط الأسرار الخفية من ظواهر الألفاظ.

وقد استعان العلواني باللطائف مرّة واحدة عند تفسير آية الكرسي، فنقل كلام القشيري كاملاً²، وهو كلام لا يرى الباحث ما يقدر فيه، فهو تصرّف من القشيري في الألفاظ والعبارات بما يعكس قدرته على الوصف والتعبير، وقوّة بيانه، تبقى فقط مسألة اعتبار الاشتقاق في اسم الله، فهذه المسألة اختلف فيها العلماء، والذي ذهب إليه القشيري وتبعه عليه العلواني هو رأي الجمهور³، قال حافظ الحكمي (توفي: 1377هـ)⁴: «واختلفوا في كونه مُشتقاً أو لا؛ ذهب الخليل وسيبويه وجماعة من أئمة اللغة والشافعي والخطابي وإمام الحرمين ومن وافقهم إلى عدم اشتقاقه؛ لأنّ الألف واللام فيه لازمة، فتقول: يا الله، ولا تقول: يا الرحمن؛ فلولا أنّه من أصل الكلمة لما جاز إدخال حرف النداء على الألف واللام، وقال آخرون: إنّهُ مُشتقٌّ. واختلفوا في اشتقاقه إلى أقوال؛ أقواها: أنّه مُشتقٌّ من أَلَه يَأَلُهُ إلهة، فأصل الاسم: الإله، فحُذِفَت الهمزة، وأُدغِمَت اللام الأولى في الثانية وجوباً، فقول: الله، ومن أقوى الأدلة عليه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: 03]، مع قوله ﷻ: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ﴾ [الزحرف: 84]، ومعناه ذو الألوهيّة التي لا تنبغي إلّا له، ومعنى أَلَه يَأَلُهُ إلهة: عَبْدٌ يَعْبُدُ عِبَادَةً، فالله المألوه، أي: المعبود، ولهذا الاسم خصائص لا يُحصيها إلّا الله ﷻ، وقيل إنّهُ هو الاسم الأعظم «⁵، وسواء كان اسم الله مُشتقاً أم غير مُشتقّ فإنّه اسم علم على ذاته ﷻ المعبود بحق؛ فلا يُطلق على غيره، وهذا الحدّ مُتفق عليه.

1 القشيري، لطائف الإشارات، (ط02، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1428هـ - 2007)، ج01، ص: 05.

2 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 284 - 285.

3 ينظر: ابن القيم، الصّواعق المرسلة على الجهميّة والمعظلة، مرجع سبق ذكره، ج02، ص: 681.

4 حافظ بن أحمد بن عليّ الحكمي، أحد علماء السّعوديّة، ولد يوم 24 رمضان 1324هـ (1924م)، وتوفيّ يوم 18 ذي الحجة 1377هـ (1958م) بمكة المكرمة. من مؤلفاته: دليل أرباب الفلاح لتحقيق فنّ الاصطلاح، والجوهر الفريدة في تحقيق العقيدة، النور الفاضل من الوحي في علم الفرائض، وغيرها، خاصّة من المنظومات. ينظر: حافظ الحكمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، (ط03، دار ابن القيم للنشر والتوزيع، الدمام، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1415هـ - 1995م)، ج01، ص: 11 - 26. باختصار.

5 ينظر: المرجع السابق، ج01، ص: 66 - 67.

02- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة (توفي: 1224هـ): وهو تفسير جمع

فيه ابن عجيبة بين التفسير الظاهر والباطن كما صرح في مقدمته: « وقد ندبني شيخي محمد البوزيدي أن أضع تفسيراً يكون جامعاً بين تفسير أهل الظاهر، وإشارة أهل الباطن »¹، واستفاد منه العلواني مرةً وحيدة عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَنْ أَلْفِكَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدْ كَرِهَ﴾ [الحج: 39] وعد لهم بالنصر، وتأكيد لما مرّ من الوعد الكريم بالدفع، وتصريح بأنّ المراد ليس مجرد تخليصهم من يد المشركين، بل بغلبتهم وإظهارهم عليهم. وتأكيد به بكلمة التحقيق اللام لمزيد تحقيق مضمونه، وزيادة توطين نفوس المؤمنين.²

ولم يستفد العلواني من التفسير الإشاري استفادات تخدم تفسيره الموضوعي، لا من حيث عدد النقول وحجمها، ولا من حيث نوعها وأثرها، فقد كانت أقرب لبيان المعاني اللغوية منها للطائف التفسير ونكته.

ج- مصادره من كتب التفسير الفقهي وأثرها:

01- أحكام القرآن لأبي بكر الجصاص (توفي: 370هـ): يُعدُّ هذا التفسير من أهم كتب

التفسير الفقهي خصوصاً عند الحنفية، لأنّه يقوم على تركيز مذهبهم والترويج له، والدفاع عنه، وهو يعرض لسور القرآن كلّها، ولكنه لا يتكلم إلا عن الآيات التي تتعلق بالأحكام فقط، وهو - وإن كان يسير على ترتيب السور - مُبَوَّب كتبويب الفقه، وكلّ باب مُعَنون بعنوان تندرج فيه المسائل التي يتعرّض لها المؤلّف في هذا الباب³، وقد استفاد منه العلواني عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنٌ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِإِذْنِ هَارُونَ وَهَارُونَ وَكَافَرُوا...﴾ [البقرة: 102]، فنقل ملخصاً - من ثمانية أسطر - لتسع صفحات جسّدت رأي الجصاص في السحر⁴، وهو رأي مُتوافق مع رأي المؤلّف المتمثّل في كون السحر مجرد حيل وتأثيرات على مخيطة الإنسان، وأنّ رسول الله ﷺ لم يُسحر.

1 أحمد ابن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، (ط03، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1430هـ - 2010م)، ج01، ص: 19.

2 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 583.

3 محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، مرجع سبق ذكره، ج02، ص: 324.

4 ينظر: طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 146.

02- تفسير آيات الأحكام لمحمد علي السائيس (توفي: 1396هـ): « من المراجع المعاصرة المهمة في كتب الأحكام إذ حوى جلّ آيات الأحكام، فتناول المؤلف من خلال الآية استعراض الأحكام فيها، واعتمد منهجيات التفسير كافة، ومن ناحية الأحكام فنجدّه يعتمد على كتاب الإمام القرطبي وعلى الإمام الجصاص؛ إضافة إلى ابن العربي، ومن الناحية الفقهيّة المذهبيّة فإنّه يسرد آراء المذاهب ويصرّح في كثير من الأحيان بالمراجع التي اعتمدها. وقد حوى الكتاب كثيراً من الآيات والأحاديث والأقوال من آراء المفسرين والفقهاء واللّغويين وأوجه القراءة ... »¹.

وقد اعتمد عليه العلواني عند تفسير قوله تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَلْبَاسَ الْفَقِيرِ ٣٨﴾ [الحج: 28]²، استفاد منه لبيان ما ذكر من أحكام في الآية، وعند تفسير قوله تعالى: ﴿فَكَأَنَّمَا خَرَزِمٌ أَلْسَمَاءٌ فَتَخْطِفُهُ الطَّيْرُ﴾ [الحج: 31] فاجتمعت عليه الطيور الجارحة، فمزقته، وذهب كلّ منها بقطعة منه، فتمّ بذلك هلاكه³، وهذه استفادة في غير الأحكام.

ح- مصادره من كتب تفسيرات اللّجان العلميّة وأثرها:

01- المنتخب في تفسير القرآن الكريم للجنة القرآن والسنة في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في القاهرة: هذا التفسير من إعداد لجنة من جهابذة العلماء وفطاحل الباحثين والمفكرين، وتميّز بملاءمة حجمه وعظم فائدته وشموله لما يهمّ المسلم العابد أو الدارس لتفسير كتاب الله العظيم، في أصدق صورة، وأبلغ عبارة، وأقدس معنى، فهو يقدّم المعاني القرآنيّة ويوضّح إعجاز القرآن الكريم من جميع وجوهه. دون ما تفصيل لوجوه البلاغة أو مواقع الإعراب ومواضع الإعجاز، بعيداً عن الخلافات المذهبيّة، والمصطلحات الفنيّة والحشو والتّعقيدات اللفظيّة⁴، وقد تمّ تفسير آيات العقيدة وفق مذهب الأشاعرة في الاعتقاد⁵.

واستفاد منه العلواني اثنتي عشرة مرّة؛ كلّها عند تفسيره لسورة البقرة، منها قوله عند تفسير قوله

1 ينظر: محمد علي السائيس، تفسير آيات الأحكام، تحقيق: ناجي سويدان، (د.ط، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2002م)، ص: 06 - 07.

2 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 572 - 573.

3 المرجع السابق، ص: 575.

4 لجنة القرآن والسنة في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في القاهرة، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، (ط08، دار الثقافة، الدوحة، قطر، د.س.ط)، ص: أ - ح.

5 ينظر بعض الأمثلة: المرجع السابق، ص: 456 و758 و779 و824.

تعالى: ﴿وَلَكُم فِي الْأَرْضِ مَسْكَنٌ وَمَنْعٌ إِلَى حِينٍ﴾ [البقرة: 36]: « ليس فيها خلود وهي دار امتحان ودار ابتلاء، وهنا تبرز الحكمة في كلّ هذه المرحلة، مرحلة الخلق، (وأحسن آدم هو وزوجته بخطئهما وظلمهما لأنفسهما، فألهم الله تعالى آدم كلمات يقولها للتوبة والاستغفار) ﴿فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتَيْنِ﴾ [البقرة: 37] وقد بيّن الكلمات التي تلقّاها آدم من ربه قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: 23]. وقد أنعم الله -تبارك وتعالى- على آدم ﴿فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتَيْنِ﴾ [البقرة: 37]، (فقالها، فتقبل الله منه وغفر له لأنّه كثير القبول للتوبة، وهو الرحيم بعباده الضّعفاء)¹.

وبعد عودة الباحث إلى المصدر وجد نصّ تفسير الآية رقم (37) من سورة البقرة كما يلي: « ﴿فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتَيْنِ﴾ [البقرة: 37]، وأحسن آدم هو وزوجته بخطئهما وظلمهما لأنفسهما، فألهم الله تعالى آدم كلمات يقولها للتوبة والاستغفار، فقالها، فتقبل الله منه وغفر له لأنّه كثير القبول للتوبة، وهو الرحيم بعباده الضّعفاء ».² فالعلواني نقل مع التصرّف بالزيادة دون أدنى إشارة لذلك.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا اللَّهَ كَمَنْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٌ غَلَبَتْ فِئَةٌ كَثِيرَةٌ يَأِذِنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 249] فلما خرج بهم طالوت قال لهم: إنّ الله مُختبركم بنهر تمرّون عليه في طريقكم فلا تشربوا منه إلّا غُرْفَةً، فمن شرب منه أكثر من ذلك فليس من جيشنا ولا من جمعنا لخروجه عن طاعة الله، ولن يصحبي إلّا من لم يشرب منه أكثر من غُرْفَةٍ، فلم يصبروا على هذا الاختبار وشربوا منه كثيراً إلّا جماعة قليلة، فاصطحب هذه القلّة الصّابرة واجتاز بها النهر، فلما ظهرت لهم كثرة عدد عدوّهم.³ أخذ الجزء الذي ناسب تفسيره وأهمّل الباقي، والآية فيها مُبهمات كاسم النهر وموقعه، والذين شربوا منه، وغيره، وقد أهملت لجنة علماء الأزهر الخوض فيها، وتبعها العلواني في ذلك.

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 116.

2 لجنة القرآن والسنة في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في القاهرة، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، (ط08، دار الثقافة، الدوحة، قطر، د.س.ط)، ص: 10.

3 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 280.

02- التفسير الميسر لنخبة من العلماء: هذا التفسير من إعداد نخبة من العلماء وتحت إشراف صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، وليس من إعداد وحده، والإشراف غير الإعداد كما هو معلوم، ولست أدري لماذا نسبته العلواني لصالح آل الشيخ، مع أنه في جميع الطبّعات يُذكر أنه تفسير من إعداد نخبة من العلماء، وصالح آل الشيخ كتب مقدّمة التفسير بصفته وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد؛ وبصفته المشرف العام على مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف وقتئذٍ، وليس بصفته صاحب التفسير، فنسبته إليه نسبة خاطئة.

ومن خلال ما ذكر من شروط لإعداد هذا التفسير يظهر جلياً أنه تفسير بالمأثور¹، وقد استفاد منه العلواني ثمانية عشر مرة، كأكثر تفسير استفاد منه، لإيراد معنى الآية مباشرة دون الحاجة إلى الأخبار، بعبارة مختصرة سهلة، مع إبراز الهداية القرآنية ومقاصد الشريعة، ومن ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿يُخَذِّعُونَ اللَّهَ وَلَٰذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البقرة: 09] تحدّث عن خوف المنافقين من الناس أكثر من خوفهم من الله، ثم استشهد بقوله تعالى: ﴿لَأَن تَشُدَّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الحشر: 13] «والمعنى: لخوف المنافقين وخشيتهم إياكم -أيها المؤمنون- أعظم وأشدّ في صدورهم من خوفهم وخشيتهم من الله، وذلك بأنهم قوم لا يفقهون عظمة الله والإيمان به، ولا يرهبون عقابه»².

وقد قام العلواني بإدخال كلامه في كلام غيره مع بعض التعديل عند تفسير قوله تعالى: «الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ» [البقرة: 22] إنّ قراءة كتاب الله المنظور وهو الكون يُعمّق الإيمان في قلوب الباحثين عن الحق، فلتتأمل البشريّة هذه الأرض التي جعلها الله (ربكم) الذي جعل لكم الأرض) بساطاً؛ لتسهل حياتكم عليها، والسّماء مُحكمة البناء، وأنزل المطر من السحاب فأخرج لكم به من ألوان الثّمرات وأنواع النّبات رزقاً لكم، فلا تجعلوا لله نظراء في العبادة، وأنتم تعلمون تفردّه بالخلق والرّزق، واستحقاقه العبوديّة»³.

1 ينظر: نخبة من العلماء، التفسير الميسر، (ط02، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1430هـ - 2009م)، ص: ز - ح.

2 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 99.

3 المرجع السابق، ص: 104. ما بين قوسين حذفه العلواني وهو مثبت في الأصل. ينظر: نخبة من العلماء، مرجع سبق ذكره، ص: 04.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: 70]: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحج: 70] أي: كَيْفَ يَخْفَى عَلَيْهِ مَا تَعْمَلُونَ وَمَعْلُومٌ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ بِاللَّهِ أَنَّهُ يَعْلَمُ كُلَّ مَا يَخْدُثُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ [الحج: 70] الْمَوْجُودَ فِيهِمَا ﴿فِي كِتَابٍ﴾ [الحج: 70] فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: 70] أي: عِلْمُهُ بِجَمِيعِ ذَلِكَ عَلَيْهِ يَسِيرٌ.¹

وقد كان غالب استعانة العلواني بهذا التفسير عند تفسيره لسورة البقرة، بينما استفاد منه لتفسير سورة الحج في موضعين من ثلاث آيات فقط، وبهذا يكون قد استفاد من تفسيري المنتخب والميسر لتفسير سبعة وعشرين آية من سورة البقرة، كلها لبيان المعنى، بعيداً عن الخلافات والاستطرادات.

خ- مصادره من التفسيرات المعاصرة الفردية وأثرها:

01- تفسير القرآن الحكيم ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (توفي: 1354هـ): يُمثّل تفسير المنار مدرسة في التفسير، وهذه المدرسة لها إمامها، ولها أتباعها، ولها أسسها التي تقوم عليها؛ « فإمام المدرسة: محمد عبده، وأول أتباعه: محمد رشيد رضا، ومن بعده: محمد مصطفى المراغي، ومحمد فريد وجدي، ومحمود شلتوت، وعبد العزيز جاويش، وعبد القادر المغربي، وأحمد مصطفى المراغي، وغيرهم، وقال رجال هذه المدرسة بالوحدة الموضوعية في القرآن، وعدّوها أساساً في فهمه وتفسيره، وهم يختارون في التفسير ما يلتئم مع السياق، ولهذا ربّما استعرضوا آراء المفسرين السابقين في تفسير كلمة قرآنية، ورفضوها لمخالفتها لهذا الأساس². ووجه كونه تفسيراً فردياً رغم اشتراك محمد عبده ورشيد رضا في تأليفه، هو عدم وجود النّية المسبقة للاشتراك في عملية تأليفه؛ واستقلال أحدهما عن الآخر عند قيامه بالتفسير، واختلاف زمن تفسير كلّ منهما، وكونه تفسيراً جمعه رشيد رضا منفرداً. وقد استقى العلواني من تفسير المنار عند تحديد المفاهيم اللّغوية لكلّ من الاستعانة³، والهداية⁴ عند تفسير سورة الفاتحة، ومفهوم الإيمان⁵، واليقين⁶ عند تفسير مطلع سورة البقرة.

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 606.

2 فهد بن عبد الرحمن الزومّي، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، مرجع سبق ذكره، ص: 222-233. باختصار.

3 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 70.

4 المرجع السابق، ص: 71.

5 المرجع السابق، ص: 96.

6 المرجع السابق، ص: 97.

وعند تفسير قوله تعالى: « ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: 04] أي القرآن: وقال في الهامش: انظر ما جاء في تفسير المنار: «وجملة القول: إنّ الإيمان بما أنزل إلى النبي ﷺ هو الإيمان بالدين الإسلامي جملة وتفصيلاً، فما علم من ذلك بالضرورة ولم يخالف فيه مخالف يعتدّ به، فلا يسع أحداً جهله، فالإيمان به إيمان، والإسلام لله به إسلام، وإنكاره خروج من الإسلام ... ولم يرض الإمام مالك من الخليفتين: المنصور، والرّشيد أن يحملا النّاس على العمل بكتبه حتّى الموطأ».¹

وقام العلواني بالتّعقيب بعد النّقل من المنار، فعند تفسيره قوله تعالى: « ﴿وَالْآخِرَةُ هُمْ يُوَفُّونَ﴾ [البقرة: 04]، فسرها ثمّ أعقب ذلك بكلام رشيد رضا التّالي: «ويُعرف اليقين في الإيمان بالله، واليوم الآخر بآثاره في الأعمال والسلوك والأخلاق والتّصرّفات».²

ولتبني ما يُعتبر من فقه الواقع، فعند تفسير قوله تعالى: « ﴿قَدْ دُعِ لَنَا رَبِّكَ يُخْرِجُ لَنَا مِمَّا تُنَبِّئُ الْأَرْضُ﴾ [البقرة: 61] نقل سياق حديثه عن الحرّية والعبوديّة قول صاحب المنار: «كما كان بعض العبيد يرجعون باختيارهم إلى خدمة سادتهم في أمريكا، بعد تحريرهم كلّهم ومنع الاسترقاق بقوة الحكومة؛ لأنّهم ألفوا تلك الخدمة والعبوديّة، وصارت العيشة الاستقلالية شاقّة عليهم».³ وقد يدعم رأيه بنقل ما يُوافقه، فقد نقل فقرة نسبها لرشيد رضا عن السّحر وطبيعته، ولكنّه لم يُبيّن المصدر.⁴

وقد ينقل منه وجه البلاغة اللّغويّة، فعند تفسير قوله تعالى: « ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [البقرة: 210] بعد أن فسّر الآية، نقل في الهامش عن صاحب المنار فقال: «ثمّ بيّن تعالى غاية الوعيد المشار إليه في الاسمين الكريمين فقال: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ [البقرة: 210] وقد غيّر الأسلوب بالالتفات عن الخطاب والأمر إلى الحكاية عن الزّالين عن صراط الله بضمير الغائب، والحكمة في الالتفات تناول هذا الوعيد لجميع من زلّ من المؤمنين المخاطبين في الدّخول في السّلم والمنهيّين عن ضده ومن زلّ من غيرهم، أو هي الإيذان بأنّ الزّالين لا يستحقّون شرف الخطاب الإلهي

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 96.

2 المرجع السّابق، ص: 94.

3 المرجع السّابق، ص: 128.

4 المرجع السّابق، ص: 146.

«¹، والالتفات من الأساليب التعبيرية الإبداعية في اللغة الأدبية.²

وأما ما قاله العلواني في الهامش تفسيراً لقوله تعالى ﴿وَالْمَلِكُ﴾ [البقرة: 210]³، فلم أجد له أصلاً في تفسير المنار؛ لا عند تفسير الآية رقم: (210) من سورة البقرة؛ ولا عند تفسير الآية رقم: (185) من سورة الأنعام، وقد ذكرت فيه ظاهرة الاحتباس الحراري المعاصرة، وهي ظاهرة لم يدركها رشيد رضا، لذا فالزّاحج أنّه من كلام المؤلّف وقد أدخله في كلام صاحب المنار.

ولنصرة مواقفه فعند تفسير قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: 255]، «وفي رواية عن سعيد بن جبير أنّ النبي ﷺ قال عندما أنزلت: قد خيّر الله أصحابكم، فإن اختاروكم فهم منكم، وإن اختاروهم فهم منهم».

وهذه المسألة ألصقُ بالسياسة منها بالدين؛ لأنّ الإيمان -وهو أصل الدين وجوهره- عبارة عن إذعان النفس، ويستحيل أن يكون الإذعان بالإلزام والإكراه، وإنّما يكون بالبيان والبرهان؛ ولذلك قال -تعالى- بعد نفي الإكراه: ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ أي قد ظهر أنّ في هذا الدين الرّشد والهدى والفلاح والسير في الجادة على نور، وأنّ ما خالفه من الملل والتّحل على غي وضلال⁴.

ولقد تكرّر من العلواني اعتماد الآثار والأقوال التي تُوافقه الرّأي دون النّظر إلى صحّتها أو ضعفها، خاصّة في المسائل التي يُخالف فيها الجمهور، فإنّه يتمسك بأيّ نصّ ويستنجد به في كلّ موقف، كما هو الحال في موضوعات النّسخ، والقتال، وسبب النّزول، وهو بهذا خالف ما دعا إليه من عدم التّوسّع في هذا الأمر، وأبأنّ عن التّعصّب للرّأي والانتصار له وهو الذي نبذه كلّ حين!

02- تفسير المراغي لأحمد مصطفى المراغي (توفي: 1371هـ): يقول المراغي عن تفسيره بعد حديثه عن واقع التفسير وميل الناس إلى التّزيّد في الثقافة الدّينية في الرّمن القليل: «من جرّاء هذا رأينا ميسيس الحاجة إلى وضع تفسير للكتاب العزيز، يُشاكل حاجة الناس في عصرنا، في أسلوبه وطريق

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 233 - 234.

2 عدّ حازم القرطاجني (توفي: 684هـ) الالتفات من البديع، وعرفه فقال: «اعلم أنّ الانعطاف بالكلام من جهة إلى جهة أخرى أو غرض إلى غرض آخر... وإنّما يسنح للخاطر سنوحاً بديهيّاً ويلاحظه الفكر المتصحّف بالتفاتاته إلى كلّ جهة ومنحنى من أنحاء الكلام، والصّورة الالتفاتية هي أنّ يجمع بين حاشيتي كلامين مُتباعدي المآخذ والأغراض وأنّ ينعطف من أحدهما إلى الآخر انعطافاً كينياً من غير واسطة تكون توطئة للصّيرورة من أحدهما إلى الآخر على جهة التّحوّل. حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: الحبيب بن الخوجة، (ط03)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986م)، ص: 314 - 315.

3 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 233 - 234.

4 المرجع السّابق، ص: 289 - 290.

وصفه ووضعه، ويكون داني القطوف سهل المأخذ، يحوي ما تطمئن إليه النفس من تحقيق علمي، تدعمه الحجّة والبرهان وتؤيّد التجربة والاختبار، ويضمّ إلى آراء مؤلّفه آراء أهل الفكر من الباحثين في مختلف الفنون التي ألمح إليها القرآن، على نحو ما أثبتته العلم في عصرنا، وتركنا الروايات التي أثبتت في كتب التفسير، وهي بعيدة عن وجه الحقّ مجانبة للصّواب¹، وواضح من خلال هذا وجود عدّة نقاط يلتقي فيها العلواني مع المراغي، وعن استفادته من تفسيره فقد كانت شحيحة، فقد لجأ إليه مرتين اثنتين، الأولى عند تفسير قوله تعالى: «﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتِّقُوا رَبَّكُمْ﴾» [الحج: 01] أي يا أيّها النّاس احذروا عقاب ربّكم، فأطيعوه ولا تعصوه، بفعل ما أمركم به من الواجبات، وترك ما نهاكم عنه من المحرّمات، وهذا خطاب ينتظم فيه المكلفون حين النّزول ومن سيوجدون بعده إلى يوم القيامة²، والثّانية عند تفسير قوله تعالى: «﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾» [الحج: 07] أي ولتوقنوا بأنّ الله -حينئذ- يبعث من في القبور أحياء إلى مواقف الحساب³، وهذه آراء للمراغي، وهي تفسير بظاهر اللّغة العربيّة، وبما جاد به فهمه واجتهاده الشّخصي.

03- في ظلال القرآن لسيد قطب (توفي: 1386هـ): أخذ عنه عند تفسير قوله تعالى: «﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾» [الحج: 11-12] وإلى أين يتّجه هذا الذي يعبد الله على حرف؟! إلى أين يتّجه بعيداً عن الله تعالى؟! إنّه: «﴿يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾» [الحج: 12]، يدعو صنماً أو وثناً على طريقة الجاهليّة الأولى...»⁴، ثمّ أحال للظلال بعد هذا النّقل، ونقل كلاماً لسيد قطب عند مطلع سورة الرّوم حول ربط القرآن للنّاس بالحقّ جلّ جلاله، وكشفه عمّا في طبيعة النّاس من التّقلّب الذي لا يصلح أن تُقام عليه حياة.⁵ وهما استفادتان منعزلتان من الرّأي الشّخصي لسيد قطب، ونُصرة لهما.

1 أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، (ط01، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وألاده بمصر، القاهرة، مصر، 1365هـ - 1946م)، ج01، ص: 04.

2 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 558.

3 المرجع السّابق، ص: 562.

4 المرجع السّابق، ص: 821.

5 المرجع السّابق، ص: 877.

04- التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم يونس الخطيب (توفي: 1390هـ): ذكر الخطيب في مقدمة تفسيره منهجه التفسيري فقال: «... ومن أجل هذا كانت صُحبتنا هذه لكتاب الله على هذا الوجه الذي لا ننظر فيه إلى غير كتاب الله وإلى تدبر آياته، بعيداً عن طنين المقولات الكثيرة التي جاءت إلى القرآن من كل صوب وكادت تُخفّت صوته، وتُغَيِّم على الأضواء السماوية المنبعثة منه ! إننا في صُحبتنا هذه للقرآن لا نُقيم نظراً على غير كلماته وآياته، ولا نُحُطُّ على هذه الصّفحات غير ما يسمح لنا به النَّظر في كلماته وآياته؛ إننا لا نُفسّر القرآن بالمعنى المعروف للتفسير في هذه الصّحبة التي نصحب فيها كتاب الله إنّما نحن نُرتل آيات الله ترتيباً، آية آية، أو آيات آيات، ثم نقف لحظات نلتقط فيها أنفاسنا المبهورة، لما تُطالعنا به الآية أو الآيات من عجب، ودهش، وروعة، ثمّ تُمسك القلم، لَنُمسك به على الورق بعض ما وقع في مشاعرنا من صور العجب والدهش والروعة»¹، وما يُلاحظ هو أنّ كلام الخطيب وكلام العلواني من مشكاة واحدة، ولهما نفس السياق، كلام يدور حول القرآن والتدبر والنظر والرأي، فيما يُشبه الكشف التفسيري ! مع نبذ لطنين التراث !! بل حتّى عنواني تفسيريّهما قريبين من بعضهما !

وقد استفاد العلواني من تفسير الخطيب عند تحديده لمفهوم الأمانة عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَعَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ [الحج: 52]، فنقل كلاماً للخطيب عن أمانة الرسول والنبيّ المتمثلة في هداية جميع الناس، وإلقاء الشيطان المتمثل في إضلاله لأوليائه من حصب جهنّم، والذين ساقهم لحضيرته²، ونقل ابن كثير (توفي: 774هـ) عند تفسيره لهذه الآية نصّ تفسير البغويّ (توفي: 516هـ): «قال البغويّ: وأكثر المفسرين قالوا: معنى قوله ﴿تَمَعَّى﴾ أي تلا وقرأ كتاب الله، ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ أي: في تلاوته»³، وقال ابن عطية (توفي: 518هـ): «لا خلاف أنّ إلقاء الشيطان إنّما هو لألفاظ مسموعة وقعت بها الفتنة، قال القاضي عياض: (توفي: 544هـ): وهذا أحسن الوجوه وهو الذي يظهر ترجيحه، وكذا استحسّن ابن العربيّ (توفي: 543هـ) هذا التأويل، وقال في أمْنِيَّتِهِ في تلاوته»⁴.

1 محمد جبر محمد حسن، منهج الأستاذ عبد الكريم الخطيب في تفسيره المسمّى بالتفسير القرآني للقرآن الكريم، (د.ط، مجلّة كلية أصول الدّين، أسيوط، مصر، 2014م)، ص: 160.

2 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 597. بتصرّف.

3 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سبق ذكره، ج10، ص: 86.

4 صديق حسن خان القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن، (د.ط، شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1412هـ - 1992م)، ص: 70.

غير أنّ هذا الذي توافق عليه العلواني مع الخطيب هو تفسير لغوي ظاهري، كما أنّه قول حادث جديد، مُخالف للأقوال السابقة خلاف تنوّع، وهو معنى صائغ معلوم، ولكن لو كان مُراداً من الآية ما كان ليخفى على الصّحابة والتّابعين رضي الله عنهم وجماهير المفسّرين، ولو كان حقّاً لما كانت الأُمَّة ضيّعته، فتضييعه أمر غير جائز، لأنّ الأُمَّة معصومة من الاجتماع قروناً على غير الحق.¹

05- التفسير الحديث ترتيب السور حسب النزول لمحمّد عزّة دروزة (توفي: 1404هـ):

استفاد العلواني منه عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: 204] وفي رواية عن سعيد بن جبير أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال عندما أنزلت: قد خيّر الله أصحابكم، فإن اختاروكم فهم منكم، وإن اختاروهم فهم منهم²، أي أنّ العلواني أخذ سبب نزول هذه الآية من تفسير مُعاصر مخالف للإجماع حول ترتيب تفسير القرآن! وميزته الأخذ بأسباب النزول ترتيباً لتفسير القرآن، وترك مصادر هذا العلم ومظانّه ولم ينقل منها! وقد كان نقلاً لمعالجة موضوع الردّة.

06- تفسير الشعراوي لمحمّد متولي الشعراوي (توفي: 1419هـ): تأثر الشعراوي بالمدرسة

العقلية الاجتماعية الحديثة، حيث اتّسمت خواطره اتّجاه النصّ القرآني الكريم ببعض الخصائص التي تتفق مع خصائص هذه المدرسة في التفسير³، وقد استعان العلواني تسع مرّات بتفسير الشعراوي، كلّها استفادات لغويّة ولبان المعاني، منها عند تحديد مفهوم المالک في سورة الفاتحة.⁴

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَيِّدُ بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾ [الأنعام: 129] نقل عن الشعراوي: «هم اعتقدوا أنّهم أخذوا شيئاً من وراء الله وخلصوا به، نقول: فربّك سيحاسبك ثواباً أو عقاباً وذلك بما قدّمت يداك وما عملت من سيئات أو حسنات⁵»، واستفاد عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَتْفُؤَارَبَكُمْ﴾ [الحج: 01] من كلام الشعراوي بتصريف يسير ثمّ أحال إلى تفسيره وطلب المقارنة.⁶

وقد قام العلواني عند النقل من تفسير الشعراوي بالزيادة والقصّ والتّعديل والتّأخير في

1 للمزيد ينظر: سعد بن ناصر الشّثري، شرح مختصرة روضة الناظر للطوفي، (ط01، دار التّدمرية، الرياض، السّعودية، 1431هـ - 2010م)، ج04، ص: 89.

2 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 289.

3 ينظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي، مرجع سبق ذكره، ج01، ص: 09 - 10.

4 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 65 - 67.

5 المرجع السابق، ص: 413.

6 المرجع السابق، ص: 559.

النص دون أن يُشير إلى ذلك! ¹ ثم هو مع هذا يدعو القارئ للمقارنة!

ذ- مصادره من تفاسير الشيعة وأثرها:

01- مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي²: وذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: 189]، حيث يرى الطبرسي أن هذه الآية دلالة على أن الاعتبار في السنين بالشهور القمرية لا بالشمسية، وأن الأحكام الشرعية مُعلقة بها، ثم أحال إلى تفسير الطبرسي³، ولم يكن لهذا المرجع ذاك الأثر المعبر، وقد ذكره الباحث باعتبار طائفة المفسر وليس باعتبار التفسير في حد ذاته، ولا باعتبار أثره.

ثانياً: مصادر طه جابر العلواني من كتب علوم القرآن: وقد استفاد طه جابر العلواني من كتاب "أمّودج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل" لمحمد بن أبي بكر الحنفي الرازي (توفي: 370هـ) لبيان مفهوم الرحمة⁴، ومفهوم التقوى⁵، وهما استفادتان لغويّتان لبيان المعاني، ومن "مفردات ألفاظ القرآن" للزّاغ الأصفهاني (توفي: 502هـ) لتعريف عدّة مُصطلحات ومفاهيم والتفريق بينها، وجملة ما استفاده تعريفات «الرّحمن والرّحيم، والملّك، وقد نقل جميع كلام الأصفهاني أي نقل صفحة كاملة، وأوجه هداية الله تعالى للإنسان، والسّفه، والنّجم، واليتيم، والمسّ، والضّرّ، والإبلاس، والحساب، والغفلة، والذكر، وقد تصرّف المؤلّف في المادة العلميّة المتعلّقة بتعريف لفظ "الذكر"، وكشف أنّه تصرّف في الهامش -ولكنّه تصرّف في مواقف أخرى ولم يبيّن ذلك-، واللّهو، وقد تصرّف هنا أيضاً، والتّقوى، وكان له تصرّف آخر هنا، والتّزلزل، والبعث، والبهجة، وثني العطف والخصم،

1 ينظر: طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 561 و578 و580. ومحمد متوّلي الشّعراوي، تفسير الشّعراوي، مرجع سبق ذكره، ص: 9702 - 9703 و9812 و9826.

2 أبو عليّ الفضل بن الحسن الطبرسي، ليس مُغالياً في تشيعه، ولا متطرّفاً في عقيدته، وتفسيره فيه نزعات تشيعيّة وآراء اعتزاليّة، من مؤلّفاته: الوسيط في التفسير، تاج المواليد، توفي في 538هـ. ينظر: محمد باقر الخوانساري، روضات الجنّات في أحوال العلماء والسّادات، (د.ط، المطبعة الحيدريّة، طهران، إيران، 1390هـ)، ج2، ص: 512 - 514. وللمزيد حول تفسيره ينظر: محمّد حسين الدّهبي، التفسير والمفسرون، مرجع سبق ذكره، ص: 74 - 107.

3 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 211.

4 المرجع السّابق، ص: 379 - 380.

5 المرجع السّابق، ص: 94.

والحنف، والنفع»¹، وقد نبّه الباحث لبعض تصرّفات العلواني في بعض نقولاته لا في كلّها، فالمراد هو إثبات حدوث الفعل وليس تتبّع مواضعه، ومن "الأمثال في القرآن" لابن قيم الجوزية (توفي: 751هـ) استفادة وحيدة عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: 26]، واستعان به ضمن دراسته لموضوع الأمثال في القرآن²، ومن "الدّر المصون في علوم الكتاب المكنون" للسّمين الحلبي (توفي: 756هـ) عند تفسير قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ...﴾ [الحج: 30]، نقل أوجه إعراب لفظ ﴿ذَلِكَ﴾³، ومن "البرهان في علوم القرآن" للزركشي (توفي: 794هـ) مرّة واحدة كانت عند ذكره لمسألة أمثال القرآن وما يصحبها من تحسين وتقييح، فما حسّنته فهو حسن، وما قبحته فهو قبيح، وعدّ الشافعي لمعرفة الأمثال من شروط الاجتهاد، وهو قول الزركشي في البرهان منقولاً عن البيهقي⁴، فهو نقل وتوافق بين الناقل والمنقول عنه، ومن "نظم الدّر في تناسب الآيات والسّور" للبقاعي (توفي: 885هـ) لبيان حكمة التّعوذ عند تلاوة القرآن الكريم⁵، وهذه استفادة من رأي البقاعي وفهمه الخاصّ، وعند تفسير قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [البقرة: 213] نقل إضافة تفسيرية جاء فيها: «قال البقاعي رحمه الله: ﴿كَانَ النَّاسُ﴾ أي كلّهم ﴿أُمَّةً﴾ أي مجتمعين على شيء واحد يؤمّ بعضهم بعضاً ويقتدي بعضهم بعضاً، ثمّ أكّد اجتماعهم فقال: ﴿وَاحِدَةً﴾ أي على الصّراط المستقيم فزلّ بعضهم فاختلّفوا وتفرّقت بهم السّبل كما في آية يونس: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾ [يونس: 19] وعلى هذا أكثر المحقّقين كما قاله الأصفهاني. وقد رواه أبو يعلى الموصلي في مسنده بسند متّصل عن ابن عباس رضي الله عنه قال: على الإسلام كلّهم»⁶، وله عنه نقل طويل عند تفسير قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 64 - 66 و 71 - 72 و 91 و 173 و 245 و 315 و 358 - 359 و 499 - 502 و 557 - 563 و 568 و 574 و 576. على الترتيب.

2 المرجع السابق، ص: 107.

3 المرجع السابق، ص: 573 - 574.

4 ينظر: المرجع السابق، ص: 108.

5 المرجع السابق، ص: 53.

6 المرجع السابق، ص: 236.

أَلْحَقْ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ [البقرة: 213]¹، وفيه تصرّف من العلواني في النصّ الأصليّ للبقاعيّ دون الإشارة لذلك.²

وهناك استفادات أخرى لمرة واحدة من كتاب "مناهل العرفان في علوم القرآن" للزرقانيّ (توفي: 1367هـ)، و"فضائل القرآن" لابن كثير (توفي: 747هـ)، و"كتاب ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان" لابن الوزير (توفي: 840هـ).

المطلب الثالث: المصادر من كتب السنّة والسيرة وعلوم الحديث والشروحات

أمّا من كتب الحديث فقد اعتمد على المسند للإمام أحمد والكتب السنّة ما عدا سنن النسائيّ، وغيرها من كتب السنّة، وذلك حين يُفسّر الآيات بالسنّة النبويّة، ولأنّ العلوانيّ يرى أنّ تفسير القرآن لا يكون إلّا بالقرآن نفسه، لم يزخر تفسيره بالأحاديث النبويّة، فلم يبلغ عدد ما أورده منها المائة حديث (سبعة وتسعون حديثاً)، صرّح فيها جميعاً بمصادرها، ولم يُورد حديثاً واحداً على أنّه مُتَّفَق عليه وإن كان في الصّحيحين³، بل يكتفي بالعزو إمّا للبخاريّ أو لمسلم.

أولاً: مصادر طه جابر العلوانيّ من كتب السنّة النبويّة: ويُشير الباحث إلى أنّ العلوانيّ عند تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمَنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ ﴿٨٢﴾ [الأنعام: 82] لم يستعن بالتفسير النبويّ لهذه الآية مع أنّه تفسير للقرآن بالقرآن! وعدّ الشّرك نوع من أنواع الظلم التي سردها⁴، وكنماذج مختصرة لاستعانة العلوانيّ بالسنّة النبويّة في تفسيره، يذكر الباحث ما يلي:

01- مسند الإمام أحمد (توفي: 241هـ): أورد العلوانيّ من مسند الإمام أحمد حديثين اثنين في

فائدتين فقهيّتين، وذلك عند تفسير قوله تعالى: «وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَشَاورٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوهُمَا أُولَٰئِكَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ» ﴿البقرة: 233﴾، وبعد أن نقل اختلاف الفقهاء في عدد الرضعات الذي يترتب عنها أحكام الرضاع، وعند حديثه عن الفقهاء الذين رأوا أنّ الرضاع المحرّم هو ما أنبت لحماً وأنشز عظماً، ذكر حديث أبي موسى الهلاليّ عن أبيه: "أن رجلاً كان في سفر فولدت امرأته فاحتبس لبنها فجعل يعضّه ويمجّه فدخل حلقه فأتى أبا موسى فقال: حرّمت عليك قال: فأتى ابن مسعود فسأله فقال: قال رسول الله

1 طه جابر العلوانيّ، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 237.

2 ينظر: البقاعيّ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، مرجع سبق ذكره، ج3، ص: 203.

3 ينظر: طه جابر العلوانيّ، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 271 و936.

4 المرجع السّابق، ص: 94.

03- صحيح مسلم (توفي: 261هـ): أورد العلواني من صحيح مسلم خمسة وعشرون حديثاً، منها عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَشَاورِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَضَرِعُوهُمَا فَلَاحْتِاجَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: 233]، وبعد أن نقل اختلاف الفقهاء في عدد الرضعات الذي يترتب عنها أحكام الرضاع، وعند حديثه عن الفقهاء الذين رأوا أنّ الرضاع المحرم يتم بعدد معين، أورد قوله ﷺ: « لا يُحْرَمُ المصّة والمصّتان »²، وهذا إيراد في مسألة فقهية لدراسة موضوع الرضاعة.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: 51]، وبعد حديثه عن عصمة الأنبياء وأهم لا يأكلون إلا طيباً، ذكر بأنّه يمثل ما خوطب الأنبياء خوطب المؤمنين، ثم أورد حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: « أيّها النّاس، إنّ الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإنّ الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: 51]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: 172] »³،⁴ فهو إيراد ضمن معالجة موضوع عصمة الأنبياء.

04- سنن أبو داود (توفي: 275هـ): أورد العلواني من سنن أبي داود عشرة أحاديث، منها عند ذكره لأسماء سورة الفاتحة، فعند ذكره لاسم أم الكتاب أورد الحديث: « قال رسول الله ﷺ: "الحمد لله ربّ العالمين أمّ القرآن وأمّ الكتاب والسبع المثاني" »⁵،⁶ واسم السورة داخل في خطوات التفسير الموضوعي، وعند تفسير قوله تعالى: « ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: 03] » ... وقدم رسول الله ﷺ أروع الدروس⁷ للبشريّة وهو يُنادي في أهل مكّة (من دخل الكعبة فهو آمن ومن دخل بيته وأغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن)⁸ »¹.

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 554. بتصرّف.

2 المرجع السابق، ص: 266. بتصرّف.

3 أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب بيان قبول الصدقة من الكسب الطيب وترتيبها، برقم: (1015).

4 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 646. بتصرّف.

5 أخرجه أبو داود في سننه، أبواب فضائل القرآن، باب فاتحة الكتاب، رقم: (1457). وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (4704)، وغيره، وإسناده صحيح.

6 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 52.

7 في الأصل: الدرس ولعلّ الصّواب ما أثبتّه الباحث. ينظر: المرجع السابق، ص: 815. بتصرّف.

8 أخرجه أبو داود في صحيحه، أول كتاب الخراج والفيء والإمارة، باب ما جاء في خبر مكّة، برقم: (3021)، والحديث

- 05- سنن الترمذي (توفي: 279هـ): أورد العلواني من سنن الترمذي سبعة أحاديث، منها عند تفسير قوله تعالى: ﴿غَيْرَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: 07]، وفي سياق تحديده لمفهوم المغضوب عليهم، أورد حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ألا وإنّ الغضب جمرة في قلب ابن آدم، أما رأيتم إلى حمرة عينيه، وانتفاخ أوداجه، فمن أحس بشيء من ذلك فليصلق بالأرض.²»³، والحديث في فضائل الأخلاق، وعند تفسير قوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ [الروم: 02] ذكر قصة الرّهان بين أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأمّية بن خلف، وذكر الحديث الذي ورد في تلك المناسبة.⁴
- 06- سنن ابن ماجه (توفي: 273هـ): أورد العلواني من سنن ابن ماجه حديثاً واحداً فقط، وذلك عند تفسير قوله تعالى: «﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدٍ﴾» [النور: 02] ... وهذا ينسجم مع توجّه القرآن الكريم على سبيل التنبيه، والإيماء في الرّبط بين التّوبة والعقوبة، وكون "التائب من الذنب كمن لا ذنب له"⁵،⁶ ضمن معالجته لموضوع الزنا والجلد.
- 07- السنن الكبرى للبيهقي (توفي: 458هـ): أورد العلواني من السنن الكبرى للبيهقي حديثاً واحداً فقط، وذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: 03]، فقال: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فتح مكّة ونظر في وجوه القوم الذين فتّنه وعدّبوا أصحابه حتّى استشهد بعضهم تحت وطأة التعذيب والفتنة سألهم وكلّ أنظارهم مُعلّقة على شفّتيه الكريمتين: "ما تظنون أيّ فاعل بكم؟" قالوا: "خيراً أخ كريم وابن أخ كريم"⁷»¹، والحديث في فضائل الأعمال.
-
- صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لإبهام الزاوي عن ابن عباس، ولكن رواه مسلم قريب منه وهو أولى بالتّخريج منه.
- 1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 815.
- 2 أخرجه الترمذي في الجامع الكبير، أبواب الفتن: الفتن، باب: من أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة، برقم: (2336) واللفظ له، وأحمد في المسند، برقم: (11143)، والحاكم في المستدرک، (505 / 04) كلّهم من طريق علي بن زيد بن جدعان القرشي، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري، وإسناده ضعيف لضعف علي بن زيد قال الترمذي: هذا حديث حسن. وقال الحاكم: هذا حديث تفرّد بهذه السّياقة علي بن زيد بن جدعان القرشي، عن أبي نضرة، والشيخان رضي الله عنهما لم يحتجّا بعلي بن زيد، وتعقّبهُ الذهبي بقوله: ابن جدعان صالح الحديث.
- 3 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 78. بتصرّف.
- 4 المرجع السّابق، ص: 871. بتصرّف.
- 5 أخرجه ابن ماجه في السنن، كتاب الزّهد، باب ذكر التّوبة، برقم: (4250). وحسن إسناده الحافظ ابن حجر في الفتح، (471 / 13)، قال السّخاوي في المقاصد، ص: 152: يعني لشواهد.
- 6 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 672.
- 7 أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب السير، باب فتح مكّة حرسها الله تعالى، ج18، برقم: (18323). وقال الألباني (433)

08- مسند أبو يعلى لأبي يعلى (توفي: 307هـ): أورد العلواني من مسند أبي يعلى حديثاً واحداً فقط، وذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [البقرة: 275]، ساق العلواني شيئاً من تاريخ الرّبا، وفي السياق نقل عن أبي يعلى حديث: "النّاس عيال الله" ²، ³ وهذا إيراد لبيان المعنى ضمن دراسته لموضوع الرّبا.

09- المعجم الكبير للطبراني (توفي: 360هـ): أورد العلواني من المعجم الكبير للطبراني ثلاثة أحاديث، وذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَتَجَنَّبْهُمْ وَطُوبًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأنبياء: 70-71]، فبعد أن ذكر حبّ النّبي ﷺ وأصحابه لمكّة، وفتح الله ﷻ لها لرسوله ﷺ وصحابته ﷺ، ذكر «عن عروة بن الزبير قال: كان أول من بايع رسول الله ﷺ أبو الهيثم بن التّيهان، وقال: يا رسول الله، إنّ بيننا وبين النّاس حبالاً -والحبال: الحلف والمواثيق- فلعلنا نقطعها ثمّ ترجع إلى قومك، وقد قطعنا الحبال، وحاربنا النّاس؟ فضحك رسول الله ﷺ من قوله، وقال: "الدّم الدّم، الهدم الهدم" ⁴، ⁵ وقد ورد هذا الحديث في سياق حديث العلواني عن أحد موضوعات سورة الأنبياء، وهو موضوع العلاقة بين الأرض وأهلها وما يدعو الرّسل إليه.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأنبياء: 98]، وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ [الحج: 52]، وقد سبق ذكر الحديثين عند ذكر مصادر طه جابر العلواني من السنّة النبويّة.

في دفاع عن الحديث النبوي، ص: 32: الحديث الثامن عشر (188/02): هذا الحديث على شهرته ليس له إسناده، وهو عند ابن هشام مُعْضَل، وقد ضَعَفَهُ الْحَافِظُ الْعِرَاقِيُّ كَمَا بَيَّنَّتْهُ فِي تَخْرِيجِ فَهْمِ السَّنَّةِ، ص: 415.

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 815.
2 أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان"، (2528/02)، إسناده ضعيف.
3 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 403. بتصرّف.
4 أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (566). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، (47/06): رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ، هَكَذَا مُرْسَلًا، وَفِيهِ ابْنُ لُحْيَةَ، وَحَدِيثُهُ حَسَنٌ وَفِيهِ ضَعْفٌ.
5 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 535.

10- المستدرك على الصحيحين للحاكم (توفي: 504هـ): أورد العلواني من مستدرك الحاكم حديثاً واحداً فقط، وذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَخْبِطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾ [البقرة: 275]، فتحدّث عن هجران الأمة الإسلامية لمنطلقاتها وعقيدتها وتصوّرها، وتبنيها ما جاءت به أوربا وتشبّثها به، ثمّ أشار لقوله ﷺ: «ليأتينّ على الناس زمانٌ لا يبقى منهم أحدٌ إلّا أكل الرّبا، فمن لم يأكله أصابه من غباره»، وأتبع نقله بإيراد تضعيف صاحب مشكاة المصابيح للحديث¹، وهو توظيف لدراسة موضوع الرّبا.

وله استفادات في مجالات مختلفة -بحديث واحد- من الضّعفاء للبخاري، ومجمع الزوائد ومنبع الفرائد للهيثمي، وجامع الأحاديث للسيوطي، وجامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير، والفتح السّماويّ بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي. واعتمد في الحكم على بعض الأحاديث على حكم المؤلّف نفسه في كتابه، أو على حكم غيره في مؤلّفات أخرى مثل تخريج المسند لأحمد شاكر، وصحيح التّرجيب والتّرهيب، ومشكاة المصابيح، وإرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السّبيل، وكلّها للألباني، وكلّها وردت ضمن معالجته الموضوعيّة للقرآن الكريم.

ثانياً: مصادر طه جابر العلواني من كتب السيرة والتاريخ: إنّ السيرة النبويّة جزء من السنّة، ويرجع إفرادها بالتأليف إلى بروز التّخصّص في العلوم وتمييزها، وقد اعتمد العلواني في السيرة على مصادر ومراجع مختلفة، وهو قد يُحدّدها ويذكر أسماءها وقد لا يحدّدها، وفي التّاريخ اعتمد على "تاريخ الطّبريّ تاريخ الرّسل والملوك" للطّبريّ (توفي: 310هـ)، فنقل منه عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَنَّاؤُا كُونِي بَرْدًا وَسَلَماً عَلَى إِِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء: 69] في مفهوم العلة واستعمالاتها، وذلك لضرب مثال عن تعليقات الصّحابة رضي الله عنهم، فذكر نهي عمر رضي الله عنه لحذيفة رضي الله عنه عن زواج الكتانيات²، وهو استطراد في مسألة العلة عند الأصوليين ذكره العلواني، فهو أصوليّ قبل أن يكون مفسراً، وهذا لا يُستغرب منه.

ومن كتب السيرة اعتمد على كتاب "دلائل النّبوة" للبيهقيّ (توفي: 458هـ) فأورد منه حديثاً واحداً، وذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَّتَعًا إِلَى

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 307. بتصرّف.

2 المرجع السابق، ص: 531.

الْحَوْلَ غَيْرَ إِخْرَاجٍ» [البقرة: 240]، وهو حديث لقاء النَّبِيِّ ﷺ لحمنة بنت جحش ؓ وهو عائد من غزوة أحد، وما كان منها لما نعي النَّاس لها أحاها وخالها وزوجها¹، وقد استعمل العلواني هذا الحديث لخدمة موضوع مراعاة الإسلام للمشاعر الإنسانية، وعدم دوسه عليها، خاصّة المشاعر الزوجيّة منها، واستفاد أيضاً من كتاب "إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع" للمقرئ (توفي: 845هـ)، وذلك عند تفسيره لسورة البقرة، عند قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 216]²، وعند تفسير آية فرض القتال من سورة البقرة³، حيث ذكر ما كان من الأنصار ؓ بعد استقرار رسول الله ﷺ بينهم، وبعد أن رماهم العرب قاطبة عن قوس واحدة.

ثالثاً: مصادر طه جابر العلواني من كتب الشّروحات: رجع لكتاب "فتح الباري بشرح صحيح البخاري" لابن حجر (توفي: 852هـ)، في استعانة وحيدة يتيمة يُتَم كتاب الفتح؛ فلا ثاني له من كتب الشّروحات، ومع ذلك فقد كانت نقلاً لردّ المنقول وإبطاله، فعند حديث العلواني عن إسناد قصّة الغرائيق ذكر كلام ابن حجر التّالي عن رواية القصّة: «لكن كثرة الطّرق تدلّ أنّ للقصّة أصلاً»، ثمّ اعتبر العلواني هذا الحكم من ابن حجر طامّة كبرى؛ تعني أنّ الوحي ما كان معصوماً!⁴

المطلب الرابع: دراسة مصادر طه جابر العلواني من كتب العلوم الأخرى:

يُدرّك العلواني ذاك الأكاديمي المخضرم التّكوين، أنّه من خلال الاعتماد على مصادر ومراجع موثوقة وقيّمة، يمكن ضمان دقّة العمل مهما كان، وإثرائه من جميع التّواحي، والوصول لنتائج واستنتاجات ذات مصداقية، وكسب ثقة القارئ ثمّ توجيهه ليستفيد من العمل المنجز، لذا فقد تنوّعت مصادره من مختلف العلوم، فكانت:

أولاً: مصادر من كتب النّحو واللّغة العربيّة والغريب: إنّّه لا شكّ في أهميّة الملكة التّحويّة واللّغويّة للمفسّر، فهي من الأمور والشّروط الصّّورية لبيان المعاني اللّغويّة والقضايا البلاغيّة وغيرها من جهود اللّغويّين والنّحاة، وطه جابر العلواني اكتفى في الغالب بإبراز المعاني بنقل الأقوال دون أن يُعلّق عليها، والكتب التي استفاد منها "جمهرة اللّغة" لابن دريد الأزدي (توفي: 321هـ)، و"ديوان المتنبي" للمتنبّي (توفي: 354هـ)، و"لسان العرب" لابن منظور الإفريقي (توفي: 711هـ)، وكتاب "التّعريفات"

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 272.

2 المرجع السابق، ص: 241.

3 المرجع السابق، ص: 241.

4 ينظر: المرجع السابق، ص: 395.

للجرجاني (توفي: 816هـ)، و"التوقيف على مهمات التعاريف" للمناوي (1031هـ)، و"الكليات؛ معجم في المصطلحات والفروق اللغوية للكفوي" (توفي: 1094هـ)، و"تاج العروس من جواهر القاموس" للزبيدي (توفي: 1205هـ)، وذلك وعلى الترتيب، عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: 84] لشرح لفظة "نفيضة" التي لم ترد الآية وإنما أتى بها المؤلف في سياق تفسيره ثم شرحها، أي شرح كلامه مستعيناً بكتاب جمهرة اللغة، فنقل منه أنّ النفيضة هم الذين يتقدمون الجيش فيفضون الأرض نحو الطليعة¹، وليبان منزلة النبي ﷺ في تفسير مُستهلّ سورة طه (الآيات من 01 إلى 09) واستشهد بيت للمتنبي:

فإن تَفُق الأَنَام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال²

وعند ذكر معنى النجم، أحال إليه للاستزادة ولم ينقل شيئاً³، وعند تفسير قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبُّكُمْ﴾ [الحج: 01] لتحديد مفهوم التقوى⁴، وتصرف في عبارة المحافظة على آداب الشريعة؛ فهي في الأصل: "محافظة آداب الشريعة"⁵، وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ...﴾ الآية [الحج: 03] لتعريف مصطلح الجدل⁶، عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج: 38] لتعريف الخيانة⁷، وعند تفسير قوله تعالى: ﴿فَاخَذْنَاهُم بِالْأَسْأَةِ وَالْأَرْضَ لَعَلَّهُمْ يَنْصَرُّونَ﴾ [الأنعام: 42] نقل عن المناوي تعريف البأساء⁸.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا أَكْثَرَكُمْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: 116] لبيان معنى الظن⁹، وعند تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 470.

2 المرجع السابق، ص: 455.

3 المرجع السابق، ص: 92.

4 المرجع السابق، ص: 558.

5 الجرجاني، معجم التعريفات، مرجع سبق ذكره، ص: 59.

6 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 560.

7 المرجع السابق، ص: 582.

8 المرجع السابق، ص: 357 – 358.

9 المرجع السابق، ص: 401.

يُفْتَحُ فِي الصُّورِ وَتَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَ ذُرْقَا ﴿١٠٢﴾ [طه: 102] - في الهامش - لتفسير كلمة "ذُرْقَا"¹، وعند تفسير قوله تعالى: ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ ﴿١٠٧﴾ [طه: 107] لتفسير كلمة "أمتاً"²، وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج: 34] لبيان معنى الخَبْتُ، وتصَرَّف في تعريف الخَبْتُ حذفاً وزيادة ولم يشر لذلك³، وعند تفسير قوله تعالى: ﴿أَذْهَبَ أَنتَ وَلَخُوكِ بِآيَتِي وَلَا نَبِيًّا فِي ذِكْرِي﴾ ﴿٤٢﴾ [طه: 42]، استفاد منه في معنى "ي" (وفيها معنى الفتور والتقصير).⁴

ثانياً: مصادر من كتب علم الفقه وأصول الفقه: استقى العلواني من مصادر لم يُصَرِّح بذكر اسمها، أو ربما ذكرها مُبْهَمَةً كقوله: «وذلك ينفي عن القرآن المجيد صفة الإجمال - بمعنى الإبهام أو عدم الوضوح - الذي وصف الأصوليون به بعض آياته»⁵، وقد يذكر اسم المصدر في الهامش بناء على ما سار عليه في ذكر مصادره، وجملة مصادره في الفقه وأصوله، كتاب "الموطأ" للإمام مالك (توفي: 179هـ)، وقد أورد منه أثراً واحداً فقط، وذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾ [البقرة: 275]، وهو حول ربا النسئة⁶، و"تحفة المحتاج في شرح المنهاج" للهيثمي الشافعي (توفي: 807هـ): رجع إليه عند تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ﴿١٦٠﴾ [البقرة: 156]، ففي الهامش ذكر تعريف الهيثمي للعارية اصطلاحاً⁷، و"نظام الطلاق في الإسلام" لأحمد شاکر (توفي: 1377هـ)، عند تفسير قوله تعالى: «﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنٍ﴾» [البقرة: 229] هذا هو السياق الصحيح الواضح لمعاني الآية، وأنّ قوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنٍ﴾ [البقرة: 229] معناه أنّ كلّ مرّة من المرّتين يجب أن يتبعها أحد أمرين: إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، وبذلك فسرها ابن كثير⁸، فهي استفادة لتأييد رأيه، و"فقه السنّة" للسيد سابق (توفي: 1420هـ)، الذي استقى منه عند تفسير قوله تعالى:

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 485.

2 المرجع السابق، ص: 485.

3 ينظر: الكفوي، الكليات، مرجع سبق ذكره، ص: 429.

4 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 466.

5 المرجع السابق، ص: 218.

6 المرجع السابق، ص: 310 - 311.

7 المرجع السابق، ص: 185.

8 ينظر: المرجع السابق، ص: 260.

﴿لِّلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِن فِئَتِهِمْ رُبُّشُ أَرْبَعَةٍ أَشْهُرٍ إِن قَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: 226] في مسألة الإيلاء¹، وفي المصدر: «وقال الغزالي من الشافعية مُصَرِّحاً به»²، و"قواطع الأدلة في الأصول" للمروزي السمعاني الشافعي (توفي: 489هـ)، وذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: 69] في مفهوم السبب عند الأصوليين³، و"الكاشف عن المحصول في علم الأصول" للأصبهاني الشافعي (توفي: 653هـ)، واستفاد منه لتحديد مسألة (شرح من قبلنا شرع لنا ما لم يرد في شرعنا ما ينسخه)⁴، و"المحصول في أصول الفقه" للرازي الشافعي (توفي: 606هـ)، رجع إليه عند تحرير نفس المسألة السابقة⁵، وعند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: 69] في مفهوم السبب عند الأصوليين⁶، ولذات البيان وعند تفسير نفس الآية، رجع لـ"الإحكام في أصول الأحكام" للآمدي الشافعي (توفي: 631هـ)⁷، و"الإبهاج في شرح المنهاج" للسبكي الشافعي (توفي: 756هـ)⁸.

وأحال لكتاب "نفائس الأصول في شرح المحصول" للقراي المالكي (توفي: 684هـ) عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ [البقرة: 106]، لتأييد موقفه من النسخ⁹، فرجع الباحث للمصدر فوجد القراي يقول: «أنا نشترط في النسخ أن يكون مُتساوياً، أو أقوى، فينسخ الآحاد بالآحاد؛ لأنها مُتساوية، ولا يُنسخ بها المتواتر؛ لعدم المساواة»¹⁰. ويقول: «فالحق المقطوع به الذي لا يتجه غيره أن النسخ في الخبر مُحال إلا أن يكون خبراً عن حكم، فإن الخبر عن الحكم يجوز نسخه، كلفظ الأمر ...»¹¹، فموقف القراي وموقف العلواني موقفان مختلفان،

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 285.

2 السيد سابق، فقه السنة، (ط04، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1403هـ - 1983م)، ج02، ص: 163.

3 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 528 - 529.

4 المرجع السابق، ص: 383.

5 المرجع السابق، ص: 382 - 383.

6 المرجع السابق، ص: 529.

7 المرجع السابق، ص: 528.

8 المرجع السابق، ص: 528.

9 المرجع السابق، ص: 156.

10 القراي، نفائس الأصول في شرح المحصول، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض، (ط01، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 1416هـ - 1995م)، ج04، ص: 1934 - 1935.

11 المرجع السابق، ج06، ص: 2584.

ورجع إليه أيضاً لتحريـر (مسألة شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد في شرعنا ما ينسخه).¹
والإحالة إلى كتاب "نهاية السؤل شرح منهاج علم الأصول" للأسنوي الشافعي (توفي: 772هـ)² عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ [البقرة: 106]³، وبعد رجوع الباحث لهذا الكتاب وجد صاحبه عرض الأقوال والخلاف حول معنى النسخ وحكمه، ثم قال: «... وحاصله أن الدلائل الدالة على نبوة محمد ﷺ من المعجزات الباهرة والآيات الساطعة المنقولة نقلاً مُتواتراً صارت بحيث لا يتوجه إليها شبهة أهل التلبس ولا ينطفئ نورها بإطفاء أحد من الحمقى المكابرين، ثم إنه ﷺ ادعى انتساح الشرائع السابقة بشريعته المشرقة شروق الشمس على منتصف النهار، فثبت أن القول بوقوع النسخ حق لا يدحضه شبه أهل التلبس والتدليس»⁴، وكذا لـ "الكوكب الدرّي في تخرّج الفروع الفقهيّة على المسائل النحويّة" لنفس المؤلّف، وذلك للمزيد حول قاعدة (النكرة في سياق النفي تعم).⁵

و"نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج" للزملي الشافعي (توفي: 1004هـ) عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَنْدُرُكَ نِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: 69] في مفهوم السبب عند الأصوليين⁶، و"شرح الزرقاني على المواهب اللدنيّة بالمنح المحمديّة" للزرقاني المالكي (توفي: 1099هـ)، نقل عنه تفسير قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 216]⁷، و"فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب" لسليمان بن عمر الجمل الشافعي (توفي: 1204هـ) عند تفسير قوله

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 383.

2 جمال الدّين عبد الرّحيم بن الحسن القرشي الأموي الشافعي الأسنوي: ولد بأسنا بصعيد مصر سنة 704هـ، وتوفي بالقاهرة سنة 772هـ، أخذ العلم عن السبكي وأبي حيان النحوي وغيرهما، ومن تلامذته ابن الملّق وغيره [البلقيني والزركشي والحافظ العراقي وابن رجب الحنبلي]، من مؤلفاته كافي المنهاج شرح المحتاج، طبقات الشافعية. ينظر: ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق وتعليق: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، (ط01)، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 1413هـ - 1992م)، ج08، ص: 383 - 384.

3 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 156.

4 الأسنوي، نهاية السؤل في شرح منهاج الأصول، (د.ط، عالم الكتب، د.ب، د.س.ط)، ج02، ص: 556.

5 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 218.

6 المرجع السابق، ص: 529.

7 المرجع السابق، ص: 240.

تعالى: ﴿قُلْنَا إِنَّا نُكُونُ فِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: 69] في مفهوم السبب عند الأصوليين -خاصّة الأشاعرة-¹، و"إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول" للشوكاني (توفي: 1250هـ)، أحال إليه عند ذكره لقاعدة (النكرة في النفي تُفيد العموم، فإنّها تعم)²، ولم يذكر اسم المؤلف، و"معجم مصطلح الأصول" لهلال هيثم: نقل عنه آراء الأصوليين حول الفرض والواجب.³

وخلاصة القول أنّ المؤلف يُخالف جميع من أحال إليهم في حكم النسخ، فهم يرون جواز وقوعه وهو يُنكر ذلك! كما أنّ أغلب من نقل عنهم من أتباع المذهب الشافعي الذي هو مذهبه الشخصي، وهذا لا يخرج عن أحد أمرين، إمّا التعصّب وإمّا حدود المعرفة.

ثالثاً- مصادر من كتب العقيدة: لم يُصرّح العلواني بمصادره في العقيدة إلّا في موضعين، كتاب "شرح العقيدة الطحاوية" لابن أبي العزّ الحنفي (توفي: 321هـ)، عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا آءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾ [السجدة: 110]⁴، وهو نقل موافقة.

و"حقيقة السحر بين الموروث والمنصوص" لرانيا شعبان، وهو دراسة نقدية تأصيلية ضمن نطاق كتب علوم الزهد والفروع وثيقة الصّلة، مُتمثلة في العقيدة وأصول الفقه والحديث وغيرها من العلوم الإسلامية، ويُقدّم انتصاراً للعقلانية الإسلامية المؤمنة حينما تحتكم إلى البلاغ القرآني، وإلى البلاغ النبوي لهذا البلاغ القرآني، وإلى العقل، ونتائج الدّراسة هي: ردّ رواية سحر الرّسول ﷺ؛ واعتبار أنّه لا سبيل لتأويلها، واستحالة الاستعانة بالجنّ، واعتبار حقيقة السحر مجموعة خدع وحيل وتوهّمات.⁵

وأخذ عنها العلواني عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا نَزَّلْنَا عَلَىٰ الْمَلَائِكَةِ بِبَيِّنَاتٍ وَهُدًى وَرُحْمًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: 102] نقل مبحث: حقيقة تأثير السحر في القلوب والأمزجة والحواس، وفيه تناولت المؤلّفة النّقاط التّالية: موضوع السحر، الأعين،

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 528.

2 المرجع السابق، ص 218.

3 المرجع السابق، ص: 817.

4 المرجع السابق، ص: 926.

5 رانيا رجب شعبان، حقيقة السحر بين الموروث والمنصوص، تقديم: محمّد عمار، (ط1، مكتبة الشّروق الدّولية، القاهرة، مصر، 1424هـ - 2004م)، ص: (05 - 06) و (130 - 131). بتصرف.

الحواس، الأمزجة.¹

ونقل أيضاً في تفسير نفس الآية ملخص مبحث كامل من هذا الكتاب؛ عنوانه: النَّفْث في العقد؛ كيف ورد النَّفْث في العقد في القرآن الكريم؟ بحث فيه المؤلف قضية النَّفْث من الصفحة رقم: (74) إلى غاية الصفحة رقم: (88)، وخلص البحث إلى أنَّ حقيقة النَّفْث هي كلَّ فعل خفيّ لقطع العقد والروابط بين النَّاس²، وكان نقلاً ضمن سياق معالجة موضوع السَّحر.

ونقل العلواني عن الأشعرية وأهل الحديث وغيرهم مذهبهم في أكثر من موضع³، ولم يُصرِّح في تفسيره بذكر كتاب من كتبهم، وهذا سيراً منه على نهجه القائم على اعتبار نظرية التصويب والتَّحطُّة في العقيدة، والدَّاعي إلى التَّعامل مع المذاهب والفرق على نفس المسافة.

رابعاً: المصادر من مؤلفاته: رجع العلواني إلى كتابه "نحو موقف قرآنيّ من النَّسخ"، لإنكار النَّسخ، وذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ [البقرة: 106]، فأحال إليه وأردف بعبارة (تجد فيه فوائد كثيرة)⁴، وعند ردّه على من ادّعى نسخ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِمْ مَّتَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ [البقرة: 240] بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا يَرَوْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَزْوَاجَهُنَّ أَشْهُرًا وَعَشْرًا﴾ [البقرة: 240]، وبعد كلام طويل حول نفي النَّسخ ههنا، وإثبات الجمع بين الآيتين⁵، وعند تفسير قوله تعالى: ﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ [الحج: 52].⁶

وأحال لكتاب "الحاكمية والهيمنة: نحو إعادة وبناء مفهوم الأمة والدولة والدعوة" للمزيد حول مفهوم الحاكمية⁷، وعند كلامه عن سنّة التدافع في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صَرْحُهُمْ وَيَبِيعُوا صُلُوكَهُمْ وَمَسْجِدَهُمْ

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 150.

2 المرجع السابق، ص: 156.

3 من ذلك: تفسير قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾ [البقرة: 210]: أن يأتيهم عذاب الله وأمره. (المرجع السابق، ص: 233)، وتفسير يد الله بقدرته. (المرجع السابق، ص: 390).

4 المرجع السابق، ص: 163 - 165.

5 المرجع السابق، ص: 274.

6 المرجع السابق، ص: 596.

7 المرجع السابق، ص: 541.

يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمَ اللَّهِ كَثِيرًا وَلْيَنْصُرْكَ اللَّهُ مِنْ يَصْرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ [الحج: 40] أحال إلى كتاب "مفاهيم محورية في المنهج والمنهجية"¹، فهي استعانات لتأكيد مواقفه ومفاهيمه. خامساً: مصادر من العلوم والفنون الأخرى: استفاد من كتاب "الملل والنحل" للشهرستاني (توفي: 548هـ)، وذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ﴿٥﴾ [طه: 05] نقل كلام الشهرستاني كاملاً²، و"الرسائل الكبرى" (رسالة الفرقان بين الحق والباطل)، وذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا...﴾ الآية [البقرة: 102]، نقل القصة التي مضمونها علاقة ابن تيمية بجني صديق له كان يتمثل به وينوب عنه، وقطع أنها قصة مدسوسة لا تصح ولا يمكن نسبتها لابن تيمية³، و"مجموع الفتاوى"، وذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنِّي شَتَمْتُ﴾ [البقرة: 223] وعند تحرير مسألة إتيان المرأة في الدبر نقل كلام ابن تيمية كاملاً⁴، وعند تفسير قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: 256] استشهد بالبيت الشعري:

إِنَّ الْكَلَامَ لَفِي الْفَوَادِ وَإِنَّمَا جُعِلَ اللَّسَانُ عَلَى الْفَوَادِ دَلِيلًا

وفي الهامش نقل كلاماً لابن تيمية حول صاحب هذا البيت الشعري⁵، والكتابان الأخيران لابن تيمية (توفي: 728هـ)، كما أحال إلى "زاد المعاد في هدي خير العباد" فيما يخص مراتب الجهاد⁶، واستفاد من "بدائع الفوائد" لتوضيح أن قول (النكرة في سياق النفي تعم) مستفاد من قوله تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ ﴿٩١﴾ [الكهف: 49]، وقوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٧﴾ [السجدة: 17].⁷ ومن "عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين" حول مفهوم الصبر، وذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 584.

2 المرجع السابق، ص: 451.

3 المرجع السابق، ص: 152.

4 المرجع السابق، ص: 254 - 255.

5 المرجع السابق، ص: 288.

6 المرجع السابق، ص: 224.

7 المرجع السابق، ص: 217.

﴿البقرة: 153﴾¹، وثلاثتها مؤلفات لابن القيم (توفي: 751هـ).

ومن كتب "طبقات الشافعية" للسبكي (توفي: 771هـ)، وذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَنَادُكُنِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ ﴿الأنبياء: 69﴾، في مفهوم السبب والعلّة عند الأصوليين²، ومن "بدائع السلك في أحوال الملك" لابن الأزرق (توفي: 896هـ)، وذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ﴾ ﴿طه: 02﴾ يطلق العرب الشقاء على التعب، وأحياناً يقولون: "سيد القوم أشقاهم".³ ومن "تحفة المحتاج في شرح المنهاج" لابن حجر الهيتمي (توفي: 973هـ)، واستفاد منه عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَبَلُواكُمْ بَشِيرًا مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقَصَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّغَرِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ﴿البقرة: 155-156﴾ لبيان معنى عبارة الاسترجاع⁴، ومن "شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية" للزرقاني (توفي: 1099هـ)، وذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿البقرة: 216﴾ حول إذن رسول الله ﷺ لأصحابه في الهجرة إلى الحبشة، وذلك في رجب سنة خمس من النبوة⁵، وقد رجع الباحث إلى المصدر -نفس الطبعة التي نقل منها المؤلف- فوجد هذا المنقول في الصّفحة رقم: 240 (عزى العلواني للصّفحة رقم: 504)، وقد تكرّر منه هذا.

سادساً: مصادر من كتب العلوم العصرية: وهي أربعة مراجع، فالكتاب الأول "إبستمولوجيا العلم الحديث" لسالم يفوت، ونقل منه عبارة: «بل إنّ بعض الباحثين يُرجع تعثّر علم الفيزياء إلى هذه التّحكّمات الأرسطيّة التي تقدّست بتبني الكنيسة لها بعد ذلك، فلم يكن للفيزياء خصوصاً فيزياء الحركة أن تتقدّم إلّا بعد التّخلّص من فلك أرسطو هذا، أيضاً فإنّ هذا الفكر أعاق كثيراً حركة العلم بعدم اهتمامه بدراسة الوقائع وخضوعه للاستنباط وحده غالباً، وابتعاده عن الاقتراب من العالم»⁶، وغرض العلواني من هذا النّقل هو النّسج على المنوال لتغيير الأحوال.

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 183.

2 المرجع السابق، ص: 529.

3 المرجع السابق، ص: 446.

4 ينظر: المرجع السابق، ص: 185.

5 ينظر: المرجع السابق، ص: 240.

6 المرجع السابق، ص: 82.

والكتاب الثاني "حوار صحفي مع جنيّ مسلم" لسعد الله خليل، وهو كتاب نُشر في مصر عن أحد الصحفيين، وُضع له عنوانٌ لافتٌ، ونُشر الكتاب، ورُوج له من رُوج لبعض الوقت، وزعم أنّ مقرّ إبليس المختار ما فوق جزيرة برمودا، وأنّ ذلك الموقع هو موقع عرش إبليس، واستدلّ الصحفي على ذلك بأخبار سخيّة من أنّ الطائرات لا تستطيع التحليق فوق ذلك الموقع المشار إليه... وكذلك السفن التي تحاول الاقتراب من ذلك المكان¹، ومثل هذا التّقل لا يُرجى نفعه ويُخشى ضرره، ولو ترك العلواني إدراجه في تفسيره لكان أسلم، فالكتاب رُوج له لبعض الوقت ثمّ اختفى فلماذا يُعاد بعثه؟ وكان يمكن الحديث عن مقرّ إبليس دون ذكره، فعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ إبليس يضع عرشه على الماء ثمّ يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة»². و"قوله: (إنّ إبليس يضع عرشه) أي سريه (على الماء) وفي رواية على البحر، والصّحيح حمله على ظاهره، ويكون من جملة تمرّده وطغيانه وضع عرشه على الماء، يعني جعله الله تعالى قادراً عليه استدراجاً ليغترب بأنّ له عرشاً كعرش الرّحمن، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: 07]³.

والكتاب الثالث "وحي القلم" للرافعي (توفي: 1356هـ)، وهو عمل أدبيّ من أفضل ما ألف الرافعي، يتكوّن من ثلاثة أجزاء، هي عبارة عن مجموعة مقالات نقدية وإنسانية مُستوحاة من الحياة الاجتماعيّة المعاصرة ومن القصص، واستعان به العلواني عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَصِ حَيَوةٌ﴾ [البقرة: 179] لشرح عبارة "القتل أنفى للقتل"؛ نقل كلام الرافعي الطويل النّفيس في تدبر هذه الآية⁴.

والكتاب الرابع "تجديد الفكر الدينيّ" لمحمد إقبال (توفي: 1357هـ)، قال عنه العلواني: «ويلاحظ بنباهة "محمد إقبال" في كتابه "تجديد الفكر الدينيّ" أنّ الإسلام عن طريق تحريره الطّبيعة من كلّ هذه التّحكّمات، وأنّه كتاب احتفى بالطّبيعة ولم يزدريها أو يستبعدّها فإنّه فتح أفقاً لدراسة العالم وفهمه كما تجلّى في نشأة التّجريبية في العالم الإسلاميّ»⁵، فكان نقلاً توافقيّاً.

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 152.

2 أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تحريش الشّيطان، وبعثه سراياه لفتنة النّاس، وأنّ مع كلّ إنسان قريناً، برقم: (2813).

3 المباركفوري، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، تحقيق: جمال عيتاني، (ط01، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1422هـ - 2001م)، ج01، ص: 232.

4 ينظر: طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 197.

5 المرجع السّابق، ص: 82.

سابعاً: مصادر أخرى: من المصادر التي استعان بها العلواني التّوراة (العهد القديم) والإنجيل (العهد الجديد) رغم قوله عنها: « بينما نجد أنّ التّوراة المحرّفة ... »¹ ومّا نقله منهما:

فمن "العهد القديم" عند تفسيره قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: 275]، نقل ما جاء في الإصحاح (25) الفصل (22) سفر الخروج، في باب الرِّبَا²، وفي الإصحاح العشرين من الفصل (23) من سفر التثنية نصّ على أنّ لليهوديّ أن يأخذ الرِّبَا من غير اليهوديّ³.

ومن "العهد الجديد" عند تفسيره قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: 275] نقل ما جاء في الإصحاحين رقم: (34) و(35) من الفصل السادس من إنجيل لوقا الذي يُبيّن لهم أنّ الرِّبَا مُحَرَّمٌ تحريماً قاطعاً مُطلقاً⁴. قلت: والعجب من اعتماد العلواني على إسرائيليات من كتب إسرائيلية مُحرّفة قطعاً بنصّ القرآن الكريم، لدراسة موضوع الرِّبَا المعلوم تحريمه من الدّين بالضرورة، فما من حاجة له للاستعانة بها من طرف مفسّر حارب الإسرائيليات.

ونقل عن جريدة عكاظ بالمملكة العربيّة السّعوديّة عند تفسير قوله تعالى: ﴿يُعْلِمُونَ النَّاسَ السِّعْرَ﴾ [البقرة: 102] قصّة قاضٍ مُرتشٍ تحجّج أثناء مُحاكمته بأنّ قريناً من الجنّ استقرّ فيه وسحره ودفعه إلى أخذ الرّشوة، واستغرب العلواني تفاعل القضاة معه إيجاباً؛ من خلال جلب راقٍ ليُحاوِر الجنّيّ ... الخ⁵، ويستغرب الباحث نقل هذه القصّة في تفسير لكلام الله عنوانه "تفسير القرآن بالقرآن"، على أنّ العلواني لم يكثر من إيراد مثل هذه النّقولات.

ومسألة كلام الجنّيّ للإنسيّ والعكس مسألة معروفة ثابتة، كما حدث مع أبي هريرة رضي الله عنه في مُخاطبة الجنّيّ الذي كان يسرق من مال الصّدقة، والحديث رواه البخاري⁶، وروى مسلم في صحيحه

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 115.

2 المرجع السابق، ص: 308.

3 المرجع السابق، ص: 310. باختصار.

4 المرجع السابق، ص: 309. باختصار.

5 المرجع السابق، ص: 151 - 152.

6 أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة البقرة، (09/ 55)، برقم: (5010) من حديث أبي هريرة في قصّته مع الشّيطان الذي كان يسرق من الزّكاة التي وكله رسولُ الله صلّى الله عليه وآله بها، وفيه يقول الشّيطان: إذا أويت إلى فراشك فاقرا آية الكرسي، لم يزل معك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فقال النّبيّ صلّى الله عليه وآله: صدقك وهو كذوب، ذاك شيطان.

عن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: « إِنَّ بِالْمَدِينَةِ جَنًّا قَدْ أَسْلَمُوا، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهُمْ شَيْئًا فَأَذْنُوهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ... » الحديث¹، والمؤاذنة تكون بتوجيه الكلام للحجّي وإنذاره بالخروج من البيت.

ومن مقالة في موقع معارف بعنوان "الإسلام رسالة جديدة في بناء الإسلام على الشهور القمرية" للطهراني الشيعي²، وقد ذكرها في سياق دراسته لموضوع الهلال وتوحيد الصيام، وحديثه عن منافع التأريخ بالشهور القمرية.

ثامناً: النقل مع عدم ذكر المصدر: وقد يذكر العلواني أموراً ولا يعزوها لمصدرها ومن ذلك التعريفات، فقد قام بتعريف مصطلحات دون ذكر المصادر، منها القوّد، والوصية³، والقصص والرقائق، عند تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَتًّا وَلَا أَذًى﴾ [البقرة: 262] في الهامش قال: « وقد ورد عن السلف في هذا المعنى الكثير (عدم المتّ): رُوي عن زين العابدين رحمه الله أنّه كان يكرم السائل ويقول له: أهلاً بمن يحمل زادنا إلى الآخرة، وقال أحد العارفين: لو عرفت ما يحمله لك السائل من الخير لحملته في فؤادك لا على رأسك، وقال الفضيل بن عياض: نعم السائلون، يحملون أزوادنا إلى الآخرة بغير أجرة حتّى يضعوها في الميزان بين يدي الله تعالى »⁴، وعند تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَتًّا وَلَا أَذًى﴾ [البقرة: 258] ذكر اسم الشخص المبهم الذي حاج إبراهيم في ربه بقوله أنّه: « النمرود الطاغية الأهل »⁵، دون ذكر المصدر.

وتتمّة لتفسير الآية رقم (258) من سورة البقرة، نقل العلواني الفقرة التالية: « كما قال الأب بونيو: (إنّ هؤلاء المرابين يفقدون شرفهم في الدنيا وليسوا أهلاً للتكفين بعد موتهم). فلويس الرابع عشر اقترض بالرّبا ليسدّد ثمن دانكرن سنة 1662م، والبابا بويو التاسع تعامل بالرّبا في سنة 1660م، ومنذ أواخر القرن السادس عشر 1593م وضع استثناء لحظر الرّبا في أموال القاصرين. ... وقرّرت الجمعية العمومية الفرنسية بتاريخ 12 أكتوبر 1789م أنّه يجوز لكلّ أحد أن يتعامل بالرّبا في حدود خاصّة يعيّنّها القانون »⁶، وكلّها نقولات في سياق دراسة موضوع الرّبا.

1 أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السّلام، باب قُتِلَ الْحَيَّاتُ وَغَيْرُهَا، برقم: (2236).

2 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 211.

3 المرجع السابق، ص: 195 و199. على التّرتيب.

4 المرجع السابق، ص: 296.

5 المرجع السابق، ص: 292.

6 المرجع السابق، ص: 309 – 310.

ويشير الباحث إلى استقلال العلواني برأيه وزهده في الاستفادة من مختلف المراجع مباشرة بعد تفسير سورة المؤمنون، فغلب التفسير بالرأي الشخصي والاجتهاد مُتَّكِناً على مركزية النصّ القرآنيّ ذاته، ورفضاً الاستمداد من التّراث التّفسيّريّ، وذلك عند تفسيره لسور العنكبوت والرّوم والسّجدة.

المبحث الثاني

تطبيقات التفسير الموضوعي عند طه جابر العلواني

المطلب الأول: التفسير الموضوعي للسورة القرآنية عند طه جابر العلواني

المطلب الثاني: التفسير الموضوعي للموضوع القرآني عند طه جابر العلواني

المطلب الثالث: التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني عند طه جابر العلواني

المبحث الثاني: تطبيقات التفسير الموضوعي عند طه جابر العلواني

يتجاوز طه جابر العلواني التعامل التقليدي مع القرآن الكريم إلى بناء منهجية جديدة تخدم كتاب الله في وحدته البنائية، ومقاصده العليا الكلية، وفي علاقته مع حركة الإنسان والكون، فنجد به بذل جهوداً كبيرة في مراجعة علوم القرآن، والتي رآها قد حجبت عالمية الخطاب القرآني، وبالتالي سنكون مع رؤية تفسيرية تجديدية، تدعو للنظر في آيات القرآن الكريم وسوره بمنظار الوحدة البنائية والجمع بين القراءتين، وغايتها فهم وخدمة المقاصد الكلية العليا الحاكمة للقرآن الكريم، والعمل على تمثيلها وتحقيقها في حياة الفرد والمجتمع.

ويظهر اعتناء العلواني بالتفسير الموضوعي في أكثر من مجال، الأول هو عند حديثه عن السورة ككل، والثاني يتمثل في تحديد موضوعات معينة وجمع الآيات القرآنية التي تشترك في بيانها والحديث عنها، ومن ثمّ دراستها وفق المنهجية الموضوعية، والثالث والأخير فهو الذي يُعنى بتتبع لفظة معينة ودراسة استخدامات القرآن لها.

المطلب الأول: التفسير الموضوعي للسورة القرآنية عند طه جابر العلواني

عند تفسير العلواني للسورة القرآنية ككل يرسم صورة لها من خلال وصفها، وتحديد عمودها، ففي كلّ سورة يعطي لمحة موجزة عن السورة، فيحدّد كون السورة مدنيّة أو مكّيّة، وعدد آياتها، وعدد كلماتها، وعدد حروفها، واسمها وسبب تسميتها، وموضوعها أو موضوعاتها التي تحويها والارتباط بينها، وبيان الأساليب التي اتبعتها السورة في عرض موضوعها أو موضوعاتها، ومن ثمّ تقسيم السورة إلى نجوم تُعطي صورة مُجملة عمّا تتضمّنه من أفكار، وقد يختم تفسيره بخاتمة.

أولاً: رأي طه جابر العلواني في التفسير الموضوعي للسورة القرآنية: يعتقد العلواني وجود وحدة موضوعية للقرآن الكريم، ويعتقد أيضاً وجود وحدة موضوعية للسورة القرآنية، ويؤمن بأنّ عليه أن يستوعب ويتجاوز التفسير الموضوعي المتعارف عليه، فقال في مقدّمة تفسيره: « لقد حاولنا أن نتجاوز ما قام به بعض فضلاء المعنّين بالتفسير من العلماء المحدثين من تقسيم السور إلى أقسام موضوعية. وآثرنا أن نستعمل بدل كلمة الأقسام أو الأبعاض أو غيرها كلمة النجوم، تيمناً بنزول القرآن مُنجماً، لكننا لا نعني بها المعنى الاصطلاحي الذي يُقصد به نجوم التنزيل، ولكن نعني به تقسيم السورة تقسيماً موضوعياً مُترابطاً يُعين على الفهم والاستيعاب لسور القرآن الكريم وترابط أجزائها ونجومها وآياتها ».¹

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 50.

ثانياً: تعامل العلواني مع ترتيب السّور في المصحف: اختلف العلماء في ترتيب السّور، فمنهم من قال أنّ ترتيب السّور المثبت في المصحف الحاليّ هو الذي كان عليه في العرضة الأخيرة، أي أنّ «أول القرآن سورة الفاتحة، ثمّ البقرة، ثمّ آل عمران، على هذا التّرتيب إلى سورة الناس، وهكذا هو عند الله في اللّوح المحفوظ، وهو على هذا التّرتيب كان يعرضه ﷺ على جبريل ﷺ كلّ سنة»¹، ومنهم من قال غير ذلك، كابن حجر الذي نقل هذا القول السّابق ونسبه لطائفة من العلماء، ثمّ عقب عليه فقال: وفيه نظر بل الذي يظهر أنّه كان يعارضه به على ترتيب النّزول.²

ولم يخض العلواني في تفسيره في هذا الخلاف، وسار مع القول القائل بأنّ ترتيب السّور في المصحف الحالي هو الذي كان عليه في العرضتين الأخيرتين، ويتأكّد هذا من خلال تعامله مع ترتيب السّور بالأوجه التّالية:

الوجه الأوّل: أن يُصرّح بترتيب السّورة كما هو موجود في المصحف كما صنع مع سورة النّور فقال: هي السّورة (102) في ترتيب النّزول³، ومع سورة السّجدة: ترتيبها في المصحف: (32).⁴

الوجه الثّاني: أو أن يُشير إلى التّرتيب من خلال ذكر مناسبة السّورة لما قبلها، كما صنع مع مناسبة مطلع سورة طه مع خواتيم سورة مريم⁵، وتناسب سورة الأنبياء مع سورة طه وهي قبلها⁶، وكما صنع مع سورة المؤمنون حيث قال: «نزلت بعد سورة الأنبياء وقبل سورة السّجدة، والله أعلم، ثمّ ذكر مناسبتها لما قبلها»⁷، ومناسبة سورة العنكبوت مع سورة القصص.⁸

الوجه الثّالث: وإما أن يذكر التّرتيب مع ذكر مناسبة السّورة لما قبلها وما بعدها، كما صنع مع سورة الفاتحة حيث قال: «وهي الأولى في ترتيب المصحف، ولكن من حيث قراءة القرآن تأتي بعد الناس... ثمّ ذكر مناسبتها مع سورة الناس التي تأتي قبلها، ومع سورة البقرة التي تأتي بعدها»⁹، ومع سورة الأنعام: هذه السّورة الكريمة -سورة الأنعام- هي السّادسة في ترتيب المصحف... وموقع سورة

1 الكرماني، البرهان في توجيه متشابه القرآن، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، (ط02، دار الفضيلة، 1396هـ)، ج01، ص: 22.

2 ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، مصدر سبق ذكره، ج09، ص: 42. بتصرّف يسير.

3 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 667.

4 المرجع السّابق، ص: 921.

5 المرجع السّابق، ص: 446.

6 المرجع السّابق، ص: 495.

7 ينظر: المرجع السّابق، ص: 613.

8 ينظر: المرجع السّابق، ص: 808.

9 المرجع السّابق، ص: 52 - 53.

الأنعام بين سورتي المائدة والأعراف موقع في غاية المناسبة¹، وقال عن سورة الحج: وترتيبها في المصحف (22)²، وذكر مناسبتها لما قبلها وما بعدها³.

الوجه الرابع: وقد يذكر مناسبة السّورة لما قبلها في إقرار ضمني لترتيبها، ودون ذكر لترتيبها، كقوله عن مناسبة سورة البقرة مع سورة الفاتحة: «لقد تدبّرت سورة الفاتحة، فرأيتها قد صنّفت البشر - في آية واحدة - أصنافاً ثلاثة ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (٧)﴾ [الفاتحة: 07]. وهذا التفصيل جاء بشكل مُحكم ليأتي تفصيله في هذه السّورة -البقرة-، لا سيما في الآيات الخمس والعشرين الأولى منها⁴، وكذكر مناسبة خواتيم سورة مريم مع مطلع سورة طه⁵، وكقوله: «إنّ الانتقال من خاتمة سورة طه إلى بداية سورة الأنبياء انتقال يُمثّل روعة (التناسب والترابط القرآني)»⁶.

الوجه الخامس: أن لا يذكر ترتيب السّورة في المصحف، ولا يذكر مناسبتها لما قبلها ولما بعدها بما يُوحى بموضعها وترتيبها في المصحف، وقد صنع هذا مع سورة الروم⁷. باستثناء سورة الروم، فإنّ طه جابر العلواني راعى ذكر ترتيب السّورة القرآنيّة، وراعى أيضاً ذكر مناسبتها لما قبلها ولما بعدها، لما بينهما من وجوه اتّصال وترابط، واجتهد في بيانها مُستخدماً عقله ومجتهداً رأيه، على أنّه يجب معرفة أنّ «استخراج المناسبات ليس سبباً في التّرتيب، فإنّ القرآن هكذا رُتّب من ربّ العزّة»⁸.

ثالثاً: تعامل طه جابر العلواني مع ترتيب الآيات في السّورة الواحدة: يؤمن طه جابر العلواني بالوحدة البنائيّة للسّورة القرآنيّة كما سبق بيانه في محدّداته المنهجية القرآنيّة المعرفيّة، وأنّ القرآن الكريم بكلّ سوره وآياته وأجزائه وأحزابه وكلماته يُعتبر جملة واحدة، فلا تجوز تجزئته بحال، ولا يجوز تجاوز

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 325 - 326.

2 المرجع السابق، ص: 553.

3 المرجع السابق، ص: 554.

4 المرجع السابق، ص: 88.

5 المرجع السابق، ص: 446.

6 المرجع السابق، ص: 497.

7 المرجع السابق، ص: 869.

8 محمد أحمد يوسف القاسم، الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره، (ط01، دار المطبوعات الدّوليّة، القاهرة، مصر، 1399هـ - 1979م)، ص: 158.

شيء منه بحجة أنه حمال أوجه أو أية حجة أخرى، لذا كان تعامله مع الفواصل¹ ورؤوس الآي على أنها روابط ينتقل عبرها الكلام ولا يتجزأ، وتعامله مع لسان القرآن على أن غير خاضع للألسنيات الحديثة، فأيات القرآن الكريم المكنون والعبارات والجمل التي يشتمل عليها لها مستويات متعددة من الدلالة، ولا اختلاف بينها أو تعارض.

رابعاً: **مُقَوِّمَات الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية من خلال تفسير العلواني:** تتطلب دراسة السورة موضوعياً خطوات منهجية مُحَدَّدة يسير وفقهما المفسر للتوصل إلى تحديد موضوعها، ومعرفة الموضوعات الجزئية فيها، والتعرّف على المناسبات بين آياتها؛ وبين موضوعاتها، وقد سار العلواني في تفسيره للسورة القرآنية وفق المراحل والخطوات التالية:

أ- **الخطوات المنتظمة:** وهي الخطوات التي سار عليها العلواني دائماً أو غالباً عند تفسير السورة القرآنية، وتتمثل فيما يلي:

- وصف السورة: وذلك من خلال ذكر عدد آياتها، وعدد كلماتها، وعدد حروفها، وهل هي مدنية أو مكّية. وقد يذكرها نقاطاً متفرقة، أو فقرة متواصلة، وقد يحترم هذا الترتيب وقد يُخالفه.
- أسماء السورة.
- تحديد ترتيب نزول السورة.
- مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها.
- تحديد عمود السورة.
- تحديد مفاهيم السورة والتفصيل في بيانها.
- تقسيم السورة إلى نجوم وكلّ نجم له نفس الموضوع.
- استنباط هدايات السورة وربطها بواقع الأمة.

والخطوات الخمس الأخيرة تُظهر اللون الموضوعي في تفسير السورة القرآنية عند طه جابر العلواني، فهي ما عبّر عنه باستيعاب التفسير الموضوعي، وما تبقى يدخل ضمن ما اعتبره العلواني زيادة على التفسير الموضوعي.

ب- **الخطوات غير المنتظمة:** وهي خطوات لم يسر عليها العلواني بشكل مُنتظم عند تفسير

1 تقع الفاصلة عند الاستراحة من الخطاب لتحسين الكلام بها؛ وهي الطريقة التي يباين بها القرآن سائر الكلام، وتسمى فواصل؛ لأنه ينفصل عندها الكلامان؛ وذلك أن آخر الكلام فصل بينها وبين ما بعدها وكما يُمنع استعمال القافية في القرآن، لا تُطلق الفاصلة في الشعر، لأنها صفة لكتاب الله. الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مرجع سبق ذكره، ج1، ص: 54 - 59.

السّورة القرآنيّة، بل قد يُوردها في سورة ويُهمّلها في غيرها، وهي بهذا غير داخلّة في التفسير الموضوعيّ عنده، وإلاّ غاب الاستيعاب وكان النقصان بدلاً عن الزيادة، وتتمثّل هذه الخطوات فيما يلي:

- بين يدي السّورة: وهي مقدّمة يُهيئ بها العلواني القارئ لتفسير السّورة، تارة تسبق وصف السّورة وتارة تأتي بعده.

- ذكر ظروف نزول السّورة الزّمانية والمكانيّة.

- فضائل السّورة.

- تفسير بعض نجوم السّورة من خلال الجمع بين القراءتين.

- إيراد خاتمة لتفسير السّورة.

خامساً: أمثلة لتوظيف طه جابر العلواني لمُقوّمات الوحدة الموضوعيّة في السّورة القرآنيّة: وظّف طه جابر العلواني مُقوّمات الوحدة الموضوعيّة للسّورة القرآنيّة التي وضعها بعض المفسرين والباحثين، وزاد عليها في أغلب السّور التي فسّرها، كما أهمل بعضها عند تفسير بعض السّور، وليتضح ذلك يضرب الباحث الأمثلة التالية:

المثال الأوّل: سورة الفاتحة:

وصف سورة الفاتحة: اختار طه جابر العلواني وصف سورة الفاتحة في نقاط مُستقلّة فقال:

عدد آياتها: سبع.¹

وعدد كلماتها: تسع وعشرون.

عدد حروفها: مئة وثلاثة وأربعون.²

وهي مدنيّة ويُقال مكّيّة.³

أسماء سورة الفاتحة: سورة الفاتحة من السّور ذات الأسماء الكثيرة، أنّها صاحب ((الإتيقان)) إلى نيّف وعشرين، بين ألقاب وصفات جرت على ألسنة القراء من عهد السلف، ولم يثبت من أسمائها

1 اختلف العلماء في الفاتحة في آيتين: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: 01] عدّها المكّي والكوفيّ، ولم يعدّها الباقون، و﴿أَمَّتَ

عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: 07] لم يعدّها المكّي والكوفيّ، وعدّها الباقون. أبو عمرو الدّانيّ، البيان في عدّ آي القرآن، تحقيق: غانم قدّوري الحمد، (ط01، منشورات مركز المخطوطات والتّراث والوثائق، الكويت، دولة الكويت، 1414هـ - 1994م)، ص: 139.

2 من خلال عدد حروف الفاتحة الذي ذكره العلوانيّ فهو على قول المكّي والكوفيّ، يعدّ البسمة آية من الفاتحة.

3 هي مكّيّة: قاله ابن عباس وقتادة وأبو العالية، وقيل مدنيّة: قاله أبو هريرة ومجاهد وعطاء بن يسار والزّهرريّ، ويُقال نزلت مرتين: مرّة بمكّة، ومرّة بالمدينة. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سبق ذكره، ج01، ص: 153. وأبو عمرو الدّانيّ، البيان في عدّ آي القرآن، مصدر سبق ذكره، ص: 139.

إلا فاتحة الكتاب، والسبع المثاني، وأمّ القرآن، وأمّ الكتاب.¹

وقد ثبت أنّ لسورة الفاتحة أسماء توقيفية² غير التي ذكرها العلواني، فالفاتحة سُميت:

01- القرآن العظيم: وثبت هذا الاسم بعدة أحاديث منها ما رواه سعيد بن المعلّى رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: « الحمد لله ربّ العالمين، هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته ». ³ وما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنّه قال: « أمّ القرآن: هي أمّ القرآن، وهي السبع المثاني، وهي القرآن العظيم ». ⁴ وسُميت بهذا الاسم لاشتغالها على المعاني الجليلة في القرآن. ⁵

02- سورة الحمد: لما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنّه قال: « إذا قرأتم ﴿ الْحَمْدُ ﴾ اقرؤوا ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾، إنّها أمّ القرآن، وأمّ الكتاب، والسبع المثاني، و﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ إحداها ». ⁶ سُميت سورة الفاتحة بسورة الحمد؛ لأنّه ذكر في أولها لفظ الحمد، ولم تنفرد هذه السورة بافتتاحها بلفظ الحمد، إنّما يشترك معها أربعة سور القرآن، وهي سورة الأنعام، والكهف، وسبأ وفاطر، ولكن أطلق بالغلبة على سورة الفاتحة، فإذا قلنا: سورة الحمد، فالمتبادر إلى الأذهان أنّ المقصود بها هي سورة الفاتحة لا غيرها من السور. ⁷

03- سورة الصّلاة: لحديث أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنّه قال: « قسمت الصّلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبي ما سأل، فإذا قال عبدي الحمد لله ... الحديث ». ⁸ والمراد بالصّلاة في

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 51 - 52. بتصرف يسير. وقد جمع السيوطي من أسماء سورة الفاتحة خمسة وعشرين اسماً، ثمّ قال: لم تجتمع في كتاب قبل هذا. ينظر: السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 151 - 155.

2 ما ثبت من الأسماء عن النبي ﷺ تُسمّى توقيفية، أمّا ما وضعه بعض الصّحابة والتابعين رضي الله عنهم أو استنبطه بعض العلماء والمفسرين فهي أسماء اجتهادية.

3 أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التفسير، باب: ما جاء في فاتحة الكتاب، برقم: 4474، وكتاب فضائل القرآن، باب: فاتحة الكتاب، برقم: (5006).

4 أخرجه أحمد في المسند، برقم: (9788)، وإسناده صحيح على شرط الشيخين.

5 السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، مرجع سبق ذكره، ج1، ص: 169.

6 أخرجه الدارقطني في السنن، برقم: (1190) ورواه مرفوعاً وموقوفاً وقال في العلل (149 / 08) عن الموقوف: « هو أشبهها بالصّواب ». وقال الحافظ في التلخيص (421 / 01): وصحّح غير واحد من الأئمة وقفه على رفعه.

7 منيرة محمّد ناصر الدوسري، أسماء سور القرآن وفضائلها، (ط01، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربيّة السّعودية، 1426هـ)، ص: 130.

8 أخرجه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الصّلاة، باب: وجوب قراءة الفاتحة في كلّ ركعة، برقم: (395).

الحديث: سورة الفاتحة.¹ وسمّيت بهذا الاسم لوجوب قراءتها في كلّ الصلوات، وقيل في تعليل تسميتها لأنها تكون فاضلة أو مجزئة بقراءتها فيها.²

ترتيب سورة الفاتحة في المصحف: وهي الأولى في ترتيب المصحف، ولكن من حيث قراءة القرآن تأتي بعد الناس.³

المناسبات في سورة الفاتحة: من الضروريّ التذكير ههنا أنّ القول بالمناسبة إنّما هو ضرب من القول بالرأي والاجتهاد، بحسب ما يظهر للمفسّر من أوجه الترابط والتشابك بين الآيات وبين السور، وقد ذكر العلوانيّ عند تفسير سورة الفاتحة عدّة أنواع للمناسبة، منها ما تعلّق بوجوه المناسبة بين الآيات، ومنها ما تعلّق بوجوه مناسبة سورة الفاتحة في ذاتها، ومع غيرها، وكان منها ما نصّ عليه ضمن عنوان خاصّ وسمّه بالمناسبة، ومنها ما نثره خلال تفسيره نثراً، وقد جمع الباحث المنشور وضمّه إلى المحصور، فخرج بأوجه المناسبات التالية في تفسير العلوانيّ لسورة الفاتحة:

أولاً: المناسبة في الآيات:

01- المناسبة في الآية الواحدة في سورة الفاتحة: وذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ

نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِيْثُ﴾ [الفاتحة: 05]. يقول طه جابر العلواني: «... وأيضاً في الآية الكريمة تقدّم ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِيْثُ﴾ لأنّ العبادة هي المقصودة، والاستعانة وسيلة إليها لذا كان تقدّم الأهمّ على المهمّ»⁴، فجعل وجه التناسب كون الاستعانة وسيلة من وسائل العبادة، وأنّ كليهما مهمّ.

02- المناسبة بين الآيات المتّصلة في سورة الفاتحة: عند تفسير الآيات: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ

وَإِيَّاكَ نَسْتَعِيْثُ﴾ ⑤ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ⑥ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ⑦﴾ [الفاتحة: 05 - 07]، قال العلواني: «فلنعم عليهم والذين يسيرون على الصراط المستقيم الذي

1 التّوّبي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق: خليل ماضمون شيخا، (ط19، دار المعرفة، بيروت، 1433هـ - 2012م)، ج04، ص: 424.

2 الرّخشري، الكشّاف عن حقوق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل، مرجع سبق ذكره، ج01، ص: 04.

3 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 52. واعلم أنّ عدد سور القرآن الكريم باتّفاق أهل الحلّ والعقد مائة وأربع عشرة سورة، كما في المصحف العثماني، أولها الفاتحة وآخرها الناس. الرّكشّي، البرهان في علوم القرآن، مرجع سبق ذكره، ج01، ص: 251.

4 ينظر: طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 53. بتصرف.

يستقون من هذا الكتاب المجيد، هم وحدهم قادرون على قراءة الكون، وليس من ضلّوا فاستحقّوا غضب الله، المبعدين عن توحيده ...¹، فجمع الآيات الثلاث في عبارة واحدة مترابطة، وذلك لترابط الآيات وتناسب موضوعاتها وتشابك معانيها.

03- المناسبة بين الآيات المنفصلة في سورة الفاتحة: عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَلِكٍ يَوْمَ

الدِّينِ﴾ [الفاتحة: 04] قال العلواني: «والله عَزَّ وَجَلَّ هو مالك يوم الدين، وإذا كانت كل نعم الله تستحقّ الحمد فإنّ "مالك" وهي ملكه للدنيا والآخرة تستحقّ الحمد الكبير»²، عملاً بقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: 02]، ووضح أنّ العلواني قصد تناسب وترابط ملك الله ليوم الدين ولغيره مع حمد من له الملك، فحمد المالك مُناسب ومناسبة بين الآيتين.

ثانياً: المناسبة في سورة الفاتحة نفسها:

01- مناسبة اسم سورة الفاتحة للسورة ذاتها: ذكر العلواني مطلع تفسيره لسورة الفاتحة

أسباب عنايته بإيراد أسماء السور فقال: «

- كل سورة يُترجم عن مقصودها اسم.
- كل شيء تظهر المناسبة بينه وبين مُسمّاه بعنوانه الدال إجمالاً على تفصيل ما فيه، وذلك هو الذي أنبأ الله به آدم ﷺ عند العرض على الملائكة.
- مقصود كل سورة هادٍ إلى تناسبها مع ما قبلها وما بعدها»³.
- وعن مناسبة أسماء الفاتحة لها يقول العلواني: «... سُمّيت فاتحة الكتاب لأنّه -تعالى- بها افتتح القرآن، وسُمّيت أمّ القرآن لأنّها أصل القرآن، منها بُدئ القرآن، وأمّ الشّيء أصله، وقيل لأنّها مُقدّمة وإمام لما يتلوها من السور يُبدأ بكتابتها في الصّحف وقراءتها في الصّلاة»⁴، والسبع المثاني: لأنّها سبع آيات باتّفاق العلماء، وسُمّيت مثاني لأنّها تُثنّى في الصّلاة، فتُقرأ في كلّ ركعة»⁵، وبهذا ذكر:
- مناسبة اسم الفاتحة لافتتاح القرآن، ففاتحة الشّيء أوّله.

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 84.

2 المرجع السابق، ص: 67.

3 ينظر: المرجع السابق، ص: 51. بتصرّف.

4 وقيل لأنّها أفضل السور، كما يُقال لرئيس القوم: أمّ القوم، وقيل: لأنّها مُحكمة، والمحكمات أمّ الكتاب. السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مرجع سبق ذكره، ج01، ص: 151.

5 أو لأنّها أنزلت مرتين. الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مرجع سبق ذكره، ج01، ص: 270.

6 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 51 - 52. بتصرّف يسير.

- مناسبة اسم أم القرآن لأصل القرآن، فأَمَّ الشَّيْءُ أصله، وفتحة الكتاب حوت مقاصد القرآن كلها.
- مناسبة اسمها للمقدمة، فمقدمة الشَّيْءِ فاتحته.
- مناسبة اسمها لافتتاح المصحف بها.
- مناسبة اسمها السبع المثاني لعدد آياتها السبع.
- مناسبة اسم مثنائي وتثنيتهما في الصَّلَاة، وزاد الباحث أنها نزلت مرّتين.

03- مناسبة افتتاح سورة الفاتحة لأعمدها ولمقاصدها: يقول طه جابر العلواني عن مناسبة

افتتاح سورة الفاتحة بالحمد: « وفي بداية سورة الفاتحة حصر الحمد بمن هو أهله، وهو ربّ العالمين الموصوف بصفات الكمال التي تليق بربوبيّته وألوهيّته ﷻ¹ »²، و« لأنّ الفاتحة هي مُقدمة هذا الكتاب الخاتم المهيمن على ما سبقه، ولأنّ شرع الله أن يُردّها المسلم في كلّ صلاة، فهي مُلازمة له، فإنّ الله أجمل فيها الغايات والمقاصد العليا التي بثّها في كتابه المجيد، وهي: (التوحيد، والتزكية، والعمران، والأمة، والدعوة)، ليس فقط أجملها فيها بل إنّه جعلها عمود هذه السّورة، فحين نتأمّل هذه الآية ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: 02]، فإننا نجد فيها من الإشارات ما يُمثّل شرط تحقيق العمران، وما يُمثّل أيضاً طريق تحقيق التزكية والتوحيد »³. وقد أوردت الفقرة المناسبات التالية:

- مناسبة افتتاح السّورة بالحمد لحصر الحمد بمن هو أهله بعد البدء باسم الله.
- مناسبة افتتاح السّورة بعبادة الحمد لما يليق بالله ﷻ من توحيد ربوبيّة وألوهيّة، فالحمد لله لأنّه ربّ العالمين، والحمد له تعبداً له وتألّيفاً لأنّه المستحقّ للعبوديّة.
- مناسبة افتتاح السّورة بالحمد للغايات والمقاصد العليا التي بثّها في كتابه المجيد، وهي: التوحيد، والتزكية، والعمران، والأمة، والدعوة.
- مناسبة الحمد لله لعمود سورة الفاتحة: توحيد الله ﷻ.

04- مناسبة فواتح سورة الفاتحة لخواتمها: يقول العلواني: « ومن هنا كان لابدّ من ربط

سائر عمليّات تصنيف النّاس بما يكسبون وبما يستطيعون أن يفعلوا. فالمؤمن يكسب إيمانه اكتساباً يبدأ بمعرفته لربه، ثمّ يسلك سبيل الإيمان واليقين بعد تلك المعرفة بوحديّته الله ﷻ، واتّصافه بكلّ

1 عرّف ابن القيم الحمد فقال: الحمد هو الحمود في إلهيّته وربوبيّته، ورحمته، والثناء والمجد كمالان لجدّه. (ابن القيم، مدارج السالكين إلى ربّ العالمين، مرجع سبق ذكره، ج 01، ص: 48). وقال: الحمد: إخبار عن محاسن الحمود مع حبّه وإجلاله وتعظيمه. (ابن القيم، بدائع الفرائد، مرجع سبق ذكره، ج 02، ص: 93).

2 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 60.

3 المرجع السابق، ص: 81.

صفات الكمال، وتنزّهه عن سائر صفات النقصان»¹، فتصنيف البشر هو خاتمة سورة الفاتحة، وحمد الله هو فواتحها، والمناسبة بينهما هي:

- مناسبة افتتاح السّورة بعبادة الحمد لخواتيمها، وهو تمييز المؤمن الحامد لله عن سواه.
- مناسبة إيمان المؤمن وبقينه بوحداية الله؛ ومن ثمّ قيامه بوصف الله بصفات الكمال، وتنزيهه عن كلّ نقص، لهدايته لصراط المنعم عليهم، وتجنّبه سبيل المغضوب عليهم والضّالّين.
- مناسبة الافتتاح بالحمد للختام بالهداية.

- مناسبة جعل العبادة معياراً لتصنيف البشر ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَى﴾ [الحجرات: 13].

05- مناسبة ترتيب آيات سورة الفاتحة: اعتبر العلواني آيات سورة الفاتحة متناسبة ومتراطة

الموضوعات، يقود فواتحها إلى خواتيمها، ويتوسّطها تعليل يُبنى عليه تصنيف البشر كافة، ف« سورة الفاتحة تتحدّث عن حصر الحمد والثناء والعبادة والاستعانة بالله ربّ العالمين، مع تعليل ذلك كلّه بربوبيّته ورحمته وملكيّته التامة للدنيا والآخرة، وأنّ مواقف النّاس من ذلك قد اختلفت، فكان منهم "المنعم عليهم" و"المغضوب عليهم" و"الضّالّون"»²، وجميع ما ذكره العلواني ممّا هو موجود في سورة الفاتحة من آيات له تعلق قويّ بمحور السّورة.

ثالثاً: مناسبة سورة الفاتحة لغيرها من السّور القرآنية:

01- مناسبة ترتيب سورة الفاتحة الأوّل في المصحف: جعل العلواني ترتيب الفاتحة مناسباً

لافتتاح المصحف بها، فقال: « وُثِّمَتْ فاتحة الكتاب لأنّه -تعالى- بها افتتح القرآن»³، فجميع السّور خلفها، « فطبيعيّ أن نجد هذا التّذييل في سورة الفاتحة، لما قلناه عن أهمّيّتها كمقدمة للكتاب ومُلازمة للمسلم دوماً في صلاته، ومُحملة لما فضّله الله في كتابه من مقاصد عليا وغايات»⁴، فالفاتحة:

- مناسبة لترتيبها مناسبة المقدمة في البدايات.
- مناسبة افتتاح القرآن الكريم بالفاتحة لافتتاح الصّلاة بها، فهي سورة افتتاح من الأصل.
- ترتيب سورة الفاتحة مناسب للتّذييل للموضوعات في جميع سور القرآن التي بعدها.
- مناسبة لإجمال المقاصد العليا للقرآن الكريم لتكون السّور بعدها مُفصّلة لمضمونها.

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 77.

2 ينظر: المرجع السابق، ص: 53. بتصرف.

3 المرجع السابق، ص: 51 - 52. بتصرّف يسير.

4 المرجع السابق، ص: 83 - 84.

02- المناسبة بين مضمون سورة الفاتحة لمضمون سورة الناس: قال العلواني: « قبلها

سورة الناس التي تتحدث عن أنّ الله سبحانه ربّ كلّ الناس، ومالكهم وإلههم، والقادر على حمايتهم من كلّ شرّ يأتيهم سواء من الإنس أو من الجنّ، وبما أنّه تعالى كذلك فيجب عليهم حمده على هذه النعم؛ ولذلك فهي مناسبة لأن تأتي الفاتحة التي تبدأ بالحمد بعدها ¹، ثمّ نقل بعد هذا الكلام مباشرة ما قاله البقاعي (توفي: 885هـ) في نظم الدرر وجه تناسب الفاتحة مع المعوذتين. ² وبهذا ذكر العلواني أوجه التناسب التالية بين مضمون سورة الفاتحة ومضمون سورة الناس:

- مناسبة تقديم التّعوذ من شرّ الوسواس الخناس -وهو من درء المفسد- على طلب الهداية للضّراط المستقيم من ربّ العالمين من الجنّة والنّاس -وهو من جلب المنافع-.

- مناسبة التّعوذ لطلب الهداية.

- مناسبة الحديث عن ربّ كلّ النّاس ومالكهم والقادر على حمايتهم للحديث عن حمد ومسألة ربّ النّاس وغيرهم.

- مناسبة الاجتهاد في تصفية القلب وحمله على التّوحيد لوصف الله بصفات الكمال وتنزيهه عن صفات النقصان، فالقلب الصّافي النقي جدير بحمد وعبادة الله الهادي الولي.

- مناسبة الإعراض عن العدوّ الحسود للإقبال على الوليّ الودود.

03- المناسبة بين مضمون سورة الفاتحة لمضمون سورة البقرة: عن مناسبة سورة الفاتحة لما

بعدها، قال العلواني: « وبعدها سورة البقرة التي فصلت ما أحكم في سورة الفاتحة، فإذا كانت سورة الفاتحة تتحدث عن حصر الحمد والثناء والعبادة والاستعانة بالله ربّ العالمين، مع تعليل ذلك كلّه بربوبيّته ورحمته وملكيّته التامة للدنيا والخرة، وأنّ مواقف النّاس من ذلك قد اختلفت، فكان منهم "المنعم عليهم" و"المغضوب عليهم" و"الضّالون"، فإنّ سورة البقرة بيّنت صفات هذه الأصناف الثلاثة في الآيات الخمس والعشرين الأولى منها ³، وقال عند تفسير قوله تعالى: «

﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الفاتحة: 03] فهو رحيم بنا وبعقولنا وفهمنا، لذا فهو الحافظ لسننه من الجنّ والشّياطين والسّحرة الذين يرومون قلبها وأنى لهم، ولعلّ في هذا مناسبة بين سورة الفاتحة

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 71.

2 نصّ كلام البقاعي: قدّم التّعوذ الذي هو من درء المفسد تعظيماً للقرآن بالإشارة إلى أنّه يتعيّن لتاليه أن يجتهد في تصفية سرّه، وجمع مُتفرّق أمره، لينال سؤاله ومراده ممّا أودعه من خزائن السّعادة بإعراضه عن العدوّ الحسود، وإقباله على الوليّ الودود، ومن هنا تعرف مناسبة المعوذتين بالفاتحة. البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسّور، مرجع سبق ذكره، ج01، ص: 22.

3 ينظر: طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 53. بتصرّف.

والبقرة ...¹، وقد أشار العلواني من خلال ما سبق لأوجه التناسب التالية:

- مناسبة التفصيل والبيان في سورة البقرة للإجمال والإحكام في سورة الفاتحة.
- مناسبة الحديث عن رحمة الله وحفظه لسننه في سورة الفاتحة للحديث عن محاولة قلب تلك السنن في سورة البقرة.

04- مناسبة افتتاح سورة الفاتحة لخواتيم سورة الناس: في سياق ذكر المناسبة بين سورتي الناس والفتحة، تحدّث العلواني عن مناسبة خواتيم سورة الناس بفواتح سورة الفاتحة فقال: « والقادر على حمايتهم من كلّ شرّ يأتيهم سواء من الإنس أو من الجنّ ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: 06]، وبما أنّه تعالى كذلك فيجب عليهم حمده على هذه النعم ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفتحة: 02]؛ ولذلك فهي مناسبة لأن تأتي الفاتحة التي تبدأ بالحمد بعدها²، فالحمد مناسب للحفظ ومرتبطة به.

05- مناسبة اختتام سورة الفاتحة لفواتح سورة البقرة: في سياق حديثه عن مفهوم الضّالّين، ذكر العلواني أنّ « ما أجملته سورة الفاتحة فصّلته وبيّنته بدايات سورة البقرة من صفات هؤلاء³، من المنعم عليهم، والمغضوب عليهم، والضّالّين، وهي صفات اختتمت سورة الفاتحة بذكرها مجملة، وقد بينها بداية سورة البقرة، وهذا وجه التناسب بينهما.

06- مناسبة بدء سورة الفاتحة لسور أخرى مبدوءة بالحمد: يقول طه جابر العلواني: « وهكذا يقتزن الحمد -في القرآن المجيد كلّ- بنعم وأفضال هي بمثابة حيثيات وأسباب له، من ذلك: حمده -سبحانه- نفسه على نعمة الخلق، قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: 01]⁴، وحمده -تعالى- نفسه على إنزال كتابه قيماً لم يجعل له عوجاً، قال -سبحانه-: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ [الكهف: 01] ...⁵».

ومن خلال بيان علاقة السّورة بالسّورة السابقة لها والسّورة التالية وبأيّ سورة من سور القرآن

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 84.

2 المرجع السابق، ص: 71. بتصرف يسير.

3 ينظر: المرجع السابق، ص: 80.

4 لم يذكر طه جابر العلواني هذه المناسبة عند تفسيره سورة الأنعام، وقد ذكر مناسبة جميع السّور المبدوءة بالحمد مع بدء سورة الأنعام بالحمد باستثناء سورة الفاتحة، مع أنّه ذكر هذه المناسبة في سورة الفاتحة.

5 ينظر: المرجع السابق، ص: 60.

أراد العلواني بيان الوحدة البنائية للقرآن الكريم.¹

فضائل سورة الفاتحة: ما من سورة في القرآن المجيد حظيت بالاهتمام الذي حظيت به سورة الفاتحة من بين جميع سور القرآن الكريم، فأفردتها كثير من العلماء بالتأليف في تفسيرها وبيان أهميتها وفضائلها وما إلى ذلك مما يتعلّق بها، وربما يرجع ذلك إلى أنّ هذه الآيات السبع قد نُبّهت إلى مقاصد القرآن كلّه ومعانيه وأهدافه على تنوّعها، وقد ذكر العلواني من فضائل سورة الفاتحة خمساً، لا يذكر فضيلة إلاّ ويقرنها بذكر حديث نبوي يدلّ على فضلها.²

تحديد عمود سورة الفاتحة: أطلق طه جابر العلواني على مقصد السّورة اسم عمود السّورة، وهو يعتمد كما أشرنا سابقاً على النّظرة الكلّية للسّورة القرآنية، فالسّورة من القرآن لها وحدتها البنائية الخاصّة بها، وهي تخدم الوحدة الكلّية للقرآن المجيد، وإدراك الوحدة البنائية للسّورة، والكشف عن معانيها، وإبراز وحدتها، يجعلنا نبحت عن "عمودها الأساس"، فلكلّ سورة عمود، لأنّ السّورة بمثابة بيت كبير، له دعامة أساسية، أو عمود يقوم عليه البيت، تُحيط بهذه الدّعامة الأساسية دعامات أو أوتاد فرعية أخرى بالنّسبة للعمود الأساس، لتتضافر معه في تشكيل بنية السّورة.³

وحّد العلواني لسورة الفاتحة -التي نُبّهت إلى مقاصد القرآن كلّه ومعانيه وأهدافه على تنوّعها- خمسة أعمدة، وقال عند كلّ عمود: «

01- العمود الأوّل لسورة الفاتحة هو التّوحيد بأنواعه كلّها:

- توحيد الألوهية.
- توحيد الرّبوبية.
- توحيد الأسماء والصفات.
- توحيد الحاكمية وهو عائد إلى توحيد الألوهية.⁴

1 ينظر: طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 58.

2 جميع الأحاديث الخمسة التي استعان بها من الصّحّاحين، ثلاث منها من صحيح البخاري. ينظر: المرجع السّابق، ص: 53 - 54.

3 ينظر: طه جابر العلواني، أفلا يتدبّرون القرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 137.

4 سبق مناقشة الباحث لمسألة تقسيم التّوحيد عند أهل السنّة، وبيان أن التّوحيد ثلاثة أنواع، وأنّ توحيد الحاكمية نوع حادث لأنّه عائد إلى توحيد الألوهية، وقد ذكره العلواني هنا نوعاً رابعاً وتبّه لكونه عائداً لتوحيد الألوهية، فكأنّه استهدف إرضاء الفريقين، واختار قولاً هو في المنزلة بين المنزلتين، كما فعل عند تفسير الاستواء على العرش بالاستواء بعد الاستيلاء.

02- العمود الثاني للسورة هو التزكية: فتزكية النفس الإنسانية تعتمد على التوحيد وتنطلق منه جملة وتفصيلاً، وأثر حمد العبد لله، وحصره به سبحانه، وعبادته وحده، وحصر الاستعانة به، وطلب الهداية منه وحده جَلَّالاً، والتعرض لرحمته، ودوام ذكر الآخرة، كل ذلك من دعائم التزكية وأركانها التي تعرضت السورة الكريمة لها.

03- العمود الثالث هو العمران: فإعمار الأرض وتسخير ما في الكون لخدمة العالمين، وإبراز عنايته وَعَلَى بهم من مقصود هذه السورة، وذلك التسخير وما ينجم عنه، كل ذلك في سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فهم العمران الحقيقيون للأرض، وهم الصالحون الذين يستحقون وراثتها، ...

04- العمود الرابع هو الأمة: أسست سورة الفاتحة لهذا المفهوم، فبعد أن صنفت السورة البشرية بتصنيفات ثلاثة، تصنيفات لا تعتمد على اللون، ولا الألسن، ولا الفقر، ولا الغنى، ولا محل السكن، سواء في المناطق الباردة أو الحارة أو الصحارى وذات المروج، وإنما وفقاً للضوابط المستقيم قريباً منه وهم المنعم عليهم، أو مخافاتة والحيدة عنه وهم المغضوب عليهم أو الضالين. ومفهوم الأمة أطلق عنواناً على تجمعات الذين يسلكون الصراط المستقيم وهم المنعم عليهم، وإذا كانت سورة الفاتحة قد أسست لهذا المفهوم بإيجاز فقد تمت صياغته بسائر السور التي ذكرته¹، أو نوهت به²، أو أشارت إليه³.

05- العمود الخامس هو الدعوة: تشير السورة إلى أن الدعوة هي وسيلة الحوار والتفاهم بين الأمم الثلاث، أمة المهتدين، وأمة من غضب الله عليهم من أهل الشرك والكفر، وأمة الضالين الحائرين المترددين في مواقفهم⁴.

تحديد المفاهيم الواردة في سورة الفاتحة: وهي كما يلي: مفهوم البسمة، مفهوم الحمد، مفهوم الله والرب والربوبية، مفهوم الرحمة، مفهوم مالك والملك، مفهوم الدين، مفهوم العبادة، مفهوم

1 مثل سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ دُرَيْتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ [البقرة: 128]. وسورة الزخرف عند قوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: 22].

2 مثل سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ...﴾ الآية [البقرة: 143]. وسورة آل عمران عند قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: 110].

3 مثل سورة الأنبياء عند قوله تعالى: ﴿إِنْ إِنْزِيلَهُ كَانَتْ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ خَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [التحل: 120]. وسورة الحجرات عند قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: 13].

4 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 55 - 57.

الاستعانة، مفهوم الهداية، مفهوم الصّراط، مفهوم النّعمة، تصنيف البشر وبيان الصّفات والمفاهيم الدّالة على كلّ صنف. وتحديد هذه المفاهيم بالقرآن الكريم، وتتبعها في سياقاته المختلفة، وصياغتها صياغة قرآنية في إطار وحدته البنائية، وجعله المصدر الأوحد لبنائها، وباقي المصادر تالية متأخرة تابعة لمعاني القرآن، وتذكر للاستئناس.¹

وعلى سبيل المثال تتبّع الباحث كيفية تحديد مفهوم العبادة بالقرآن الكريم عملياً من طرف العلواني، فوجده مهّد بالبيان أنّ العبادة غاية الحقّ ﷻ من الخلق، واستدعى للتدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذّاريات: 56]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [النحل: 36]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 25]، ليخلص إلى طرح التّساؤل التّالي: ما هو مفهوم العبادة وماذا يقتضي؟²

وللإجابة عن التّساؤل السّابق استعان بقوله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة... الحديث»³، وخرج منه برؤية واضحة حول مفهوم العبادة، بأنّها:

- مفهوم شامل، يبدأ بـ "لا إله إلا الله" وينتهي بإمطة الأذى عن الطّريق.
- مفهوم يُوجب اهتمام المسلمين بفرائض الأمة التي هي الفرائض الكفائية في الإسلام، نحو أن يكون في الأمة أطباء وممرضون ومهندسون وصيادلة وعلماء في سائر فنون الحياة.
- مفهوم يُوجب الهجرة من البلد التي لا تتوافر فيها شروط العمران، ويتعرّض فيها الإنسان للخطر، وتأسّف العلواني ههنا على واقع المسلمين وتخلّفهم واعتمادهم على منتوجات غيرهم، مُرجعاً سبب ذلك إلى غياب الوعي، وعدم التّضامن، وفقدان الإرادة لدى الشّعوب، ودعا إلى ضرورة التّوعية بفروض الأمة والدّعوة إلى إحيائها، والتّرويج لها، والحضّ على القيام بها.⁴

وظاهر ما قام به العلواني لتحديد مفهوم العبادة الذي عليه مدار القرآن والخلق كلّ؛ عدم اعتماده على القرآن مصدراً لبناء هذا المفهوم، وعدم اعتباره مصدر السّنة النّبوية مصدراً تالياً متأخراً

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 57 - 58.

2 المرجع السّابق، ص: 57 - 58.

3 أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان، برقم: (35).

4 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 68 - 70.

تابعاً، يُستأنس به فقط، بل اعتمد على حديث شعب الإيمان بالكليّة مصدراً أوحد لتحديد مفهوم العبادة، وأمّا الآيات التي أوردتها فكانت مُقدّمة طرح بعدها تساؤلاً عن مفهوم العبادة، والمقدّمة لا تكون بياناً لسؤال خُتمت به، وإمّا البيان فيما تلى طرح السؤال لا فيما قبله.

والآيات التي بينها ترابط وتناسب مع قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: 05]، وورد فيها ذكر العبادة، ولم يستدعها العلواني، تقودنا إلى معنيان اثنان للعبادة هما:

01- التّوحيد بالخضوع مع التّعظيم: قال ابن عباس ؓ: «كلّ ما ورد في القرآن من العبادة فمعناها التّوحيد»¹، كقوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: 36] «واعبدوا الله وحده، ولا تجعلوا معه شريكاً في الألوهيّة والعبادة»²، وقوله تعالى: ﴿إِنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: 117]، «ما قلت لهم إلّا ما أمرتني بتبليغه لهم. قلت لهم: اعبدوا الله وحده، فإنّه مالك أمري وأمركم»³.

02- الطّاعة والخضوع طواعية: أي امتثال الأمر والتّهيّ، كقوله تعالى: ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّي أَرْضِي وَسِعَةً فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت: 56] «فأخلصوا إلي عبادتكم وطاعتكم، ولا تُطيعوا في معصيتي أحداً من خلقي»⁵.

قال ابن تيميّة (توفي: 728هـ): «القلب فقير بالذّات إلى الله من وجهين: من جهة العبادة، وهي العلّة الغائيّة، ومن جهة الاستعانة والتّوكّل، وهي العلّة الفاعلة؛ فالقلب لا يصلح ولا يُفلح ولا ينعم ولا يُسرّ ولا يلتذّ ولا يطيب ولا يسكن ولا يطمئنّ إلّا بعبادة ربّه وحُبّه والإنابة إليه، ولو حصل له كلّ ما يلتذّ به من المخلوقات لم يطمئنّ ولم يسكن؛ إذ فيه فقر ذاتيّ إلى ربّه من حيث هو معبوده ومحبّوبه ومطلوبه، وبذلك يحصل له الفرح والسّرور واللّذة والنّعمة والسّكون والطّمانينة، وهذا لا يحصل له إلّا بإعانة الله له؛ فإنّه لا يقدر على تحصيل ذلك له إلّا الله، فهو دائماً مُفتقرٌ إلى حقيقة ﴿إِيَّاكَ

1 البغويّ، معالم التنزيل ومدارك التّأويل، مرجع سبق ذكره، ج01، ص: 71.

2 لجنة القرآن والسّنّة، المنتخب في تفسير القرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 114. ونخبة من العلماء، التفسير الميسر، مرجع سبق ذكره، ص: 84.

3 لجنة القرآن والسّنّة، المنتخب في تفسير القرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 170. ونخبة من العلماء، التفسير الميسر، مرجع سبق ذكره، ص: 127.

4 محمّد الطّاهر بن عاشور، التحرير والتنوير في التفسير، مرجع سبق ذكره، ج09، ص: 303.

5 الطّبريّ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصدر سبق ذكره، ج01، ص: 435.

نَبِّئْهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ [الفاتحة: 05].¹

بيان المعنى الإجمالي لسورة الفاتحة: ذكر العلواني أنّ المعنى الإجمالي للسورة يكون بياناً في ضوء الوحدة البنائية للقرآن المجيد، وبشكل مُحرَّر مُعتمداً اعتماداً كاملاً على القرآن المجيد²، وبالنسبة لسورة الفاتحة فهي -حسبه- « تتحدّث عن حصر الحمد والثناء والعبادة والاستعانة بالله ربّ العالمين، مع تعليل ذلك كلّه بربوبيّته ورحمته وملكيّته التامة للدنيا والآخرة، وأنّ مواقف الناس من ذلك قد اختلفت، فكان منهم "المنعم عليهم" و"المغضوب عليهم" و"الضالون" ».³

تقسيم سورة الفاتحة إلى نجوم وكلّ نجم يختصّ بموضوع واحد: لم يُقسّم العلواني سورة الفاتحة إلى نجوم رغم إيراد عنوان مضمونه: « تفسير بعض نجوم سورة الفاتحة من خلال مدخل "الجمع بين القراءتين" »⁴، وقد يكون عدم التقسيم راجع إلى التشابه بين مفاهيم سورة الفاتحة ونجومها، يُضاف إليه قصر السورة وقلة عدد آياتها، فكأنّه اكتفى بالمفاهيم ورأى فيها الغنية لبلوغ الغاية وتحقيق المراد.

استنباط هدايات سورة الفاتحة وربطها بواقع الأمة: بعد بيان مفهوم الهداية وحصر أوجهها، أدرج هداية قرآنية تحت عنوان "الحيرة والمخرج"، وأراد بالحيرة ما يُحيط بالأمة الإسلامية من أحداث جسام تُفرز ضغوطات نفسية وحياتية على المسلم الذي يظلّ يتساءل عمّا يحدث فلا يأتيه جواب، وأعطى العلواني الهداية والحلّ والمخرج القرآنيّ لهذه الحيرة والتساؤلات⁵، فعالج حيرة كلّ فرد مسلم بمخرج وهداية قرآنية، ثمّ انتقل إلى تشخيص واقع الأمة ككلّ، وتفرّقها شيعاً وأحزاباً، فحدّد أسباب ومراحل تفرّق الأمة، ونبذ تحليلات المحلّلين، وتفسيرات المؤلّين، وتحريفات الغالين والمفرّطين، ليعطيّ تصوّراً حول الظواهر السلبية وعمليات التغيّر في المفاهيم، ليختم بتقديم العلاج والحلّ القرآنيّ المتمثّل في ترك اليأس ومغادرة فتنة الحيرة، ثمّ الاعتصام بكتاب الله ﷻ⁶، ولم يُورد لباقي المفاهيم هداياتها، كما لم ينصّ على أن مبحث الحيرة والمخرج هداية قرآنية، وحدهما السياق والمضمون دلاً على ذلك.

1 ابن تيمية، العبودية، مرجع سبق ذكره، ص: 97.

2 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 58. بتصرف.

3 ينظر: المرجع السابق، ص: 53. بتصرف.

4 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 81.

5 ينظر: المرجع السابق، ص: 71 - 72.

6 ينظر: المرجع السابق، ص: 73 - 74.

توظيف مدخل الجمع بين القراءتين في سورة الفاتحة¹: وكان توظيفه من خلال: «

- التأكيد على أنّ سورة الفاتحة جمعت الغايات والمقاصد العليا للقرآن: التوحيد، والتزكية، وال عمران، والأمة، والدعوة، وأنها سورة عملت على تهئية العقل لفهم سنن الكون لتحقيق مقصد العمران.
- لا عمران دون فهم العالم، وسورة الفاتحة التي لخصت تاريخ الأمم، وكشفت أيضاً أنّه في تأمل التاريخ كشف لكثير من الأمور المعينة فكرياً لعملية فهم العالم، منها: تقسيم العالم بناء على الفكر الأرسطوطاليسيّ التأمليّ العنصريّ، والنظر للظواهر الطبيعيّة نظرة خوف وتقديس، والنظر إلى العالم بوصفه خاضعاً لتصرف قوى أخرى غير الله.

- إنّ الجمع بين قراءة سورة الفاتحة الملازمة للمؤمن خلال جميع صلواته، وقراءة الكون بأفكاره الحائلة أمام العقل والمادة له من تحقيق مقصد العمران، سيجعلنا نجد إعلاناً قرآنياً واضحاً في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: 02] بأنّ ربّ العالمين جميعاً واحداً، وكلّ الظواهر الطبيعيّة مربوبة لله وحده، خاضعة لإرادته، وفي قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الفاتحة: 03] بأنّ الله رحيم بنا وبعقولنا وفهومنا، وهو الحافظ لنا، فيطمئن العقل والشعور للانطلاق في العالم لتعميره.

- المنعم عليهم الذين يسيرون على الصراط المستقيم هم وحدهم القادرون على قراءة الكون، وليس من ضلّوا فاستحقّوا غضب الله، المبعدين عن توحيده وعمران كونه، وقراءة الكون تُفضي إلى معرفة وحدة خالقه وموجده وحكمته ورحمته، فالقراءة الثانية تزيدنا إيماناً بوحداية الله وعظمته.

- ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: 02] هو ثناء على الله واعتراف بنعمته علينا، فهو الذي يهدينا الصراط المستقيم، ويحفظ عمران العالم من التدمير، والقرآن في الفاتحة يُذكر الإنسان بأنّ فهمه للعالم ليس سوى نتيجة لكونه مربوباً لله وحده، ولأنّ هذه المربوبية هي في معتقد من أنعم عليهم بقراءة القرآن وتدبره، فإنّه يخضع لا محالة نتاج علمه وصنعه وعمرانه ليكون طريقاً للهداية ولتحقيق مقاصد ربّ القرآن العليا، وليس للتدمير كما هو الحال في العالم الغربيّ الذي أنبت صلتها بالغايات جميعها فضل الطريق².

ومن خلال هذا التطبيق العمليّ لمدخل الجمع بين القراءتين من طرف طه جابر العلواني، اتّضح أنّه مدخل يُعنى بفقه واقع الكون كلّ، ومعرفة سننه، وتاريخه، وعاداته، ومعضلاته، ومشكلاته، والرّد

1 وظّف العلوانيّ مدخل الجمع بين القراءتين في مواضع عدّة من تفسيره، منها في سورة: الفاتحة (ص: 81)، والبقرة (ص: 327 و327). والأنعام (ص: 334). والزّوم (ص: 877). وغيرها.

2 ينظر: طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 81 - 85. باختصار.

على الشبهات التي تُثار حول القرآن الكريم والدّين الإسلاميّ، والكشف عن عظمة التّشريعات الإسلاميّة، وصلاحيّتها لكلّ زمان ومكان، وربط كلّ ذلك بمهدايات السّورة القرآنيّة، وهذا جانب هامّ من جوانب التّفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم.

وبهذا يكون تفسير سورة الفاتحة استوعب أغلب الخطوات التي اعتبرت مُقوّمات اللّون الموضوعي في تفسير السّورة القرآنيّة، وزاد عليه توظيف مدخل الجمع بين القراءتين، ومحاولة إعادة بناء المفاهيم قرآنيّاً.

المثال الثاني: سورة الأنعام:

بين يدي السّورة: بخلاف سورة الفاتحة، وصف العلوانيّ سورة الأنعام بسرد فقرة جاء فيها: « هذه السّورة الكريمة -سورة الأنعام- هي السادسة في ترتيب المصحف¹، والخامسة والخمسين في ترتيب النزول تلت سورة الحجر في النزول.² وتعدّ هذه السّورة من السّور القليلة التي نزلت جملة واحدة على طولها³ ... ولقد ذكرت بعض المصادر أنّ هناك من سمّاها بسورة ((الحُجّة))⁴ ملاحظة لقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ [الأنعام: 83]، وليس ثمة نصّ يدلّ على أنّ هذه التّسمية توقفيّة، ولذلك لم تشع، فهذه التّسمية الأنعام تسمية وحيدة لهذه السّورة.⁵ فأسماء سور

1 ينظر: الرّكشي، البرهان في علوم القرآن، مرجع سبق ذكره، ج01، ص: 244. والسّيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مرجع سبق ذكره، ج01، ص: 220.

2 ينظر: الرّمحشري، الكشف (03/02). وابن جزّي، التسهيل لعلوم التنزيل (261/01). محمّد الطّاهر بن عاشور، التّحرير والتّوير في التّفسير (123/07). المراغي، تفسير المراغي (69/07). السّخاوي، جمال القراء وكمال الإقراء (08/01). ولم يذكر العلوانيّ عدد آيات سورة الأنعام ولا عدد كلماتها وحروفها! فخالف ما سار عليه مع غيرها من السّور التي فسّرها، وقد ذكر الدّانيّ (توحي: 444هـ) أنّ «كلمها ثلاثة آلاف واثنان وخمسون كلمة، وحروفها اثنا عشر ألفاً وأربع مئة واثنان وعشرون حرفاً، وهي مئة وخمس وستون آية في الكوفيّ، وستّ في البصريّ والشّاميّ، وسبع في المدنيّ والمكّيّ، وذكر الآيات الأربع المختلف فيها. أبو عمر الدّاني، البيان في عدّ آي القرآن، مصدر سبق ذكره، ص: 151. والفضل بن شاذان الرّازي، سور القرآن وآياته وحروفه ونزوله، تحقيق: بشير بن حسن الحميريّ، (ط01، دار ابن حزم للنشر والتّوزيع، الرّياض، السّعودية، 1430هـ - 2009م)، ص: 121 - 122.

3 ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سبق ذكره، ج06، ص: 05 - 07. وهناك من العلماء من ردّ القول بنزولها جملة واحدة لضعف الأدلّة الواردة في ذلك. الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، مرجع سبق ذكره، ج04، ص: 72 - 73.

4 هو الفيروزآبادي في كتاب البصائر، بيد أنّه لم يذكر ما يصلح دليلاً على هذه التّسمية. ينظر: الفيروزآبادي، بصائر ذوي التّمييز في لطائف الكتاب العزيز، مرجع سبق ذكره، ج01، ص: 187.

5 إنّ سورة الأنعام من السّور التي لها اسم واحد توقفيّ وهو سورة الأنعام. قال ابن عاشور عن اسمها: ليس لهذه السّورة إلّا هذا

القرآن هادفة كلّها - كما ذكرنا-، وقد ضرب الله تعالى المثل بالعوضه وما فوقها، ولم يستح من ذلك - كما كان المشركون يدّعون- لأنّ هذه الأنعام والحشرات مسخّرات خاضعة طائعة لله -تعالى- بنظام التسخير، فهي -من هذه الناحية- أقرب منهم للانسجام مع مراد الله سبحانه وتديره، فهم - المشركون والكفار- في تمردهم على نظام الخالق العظيم أضلّ سبيلاً، ودون مرتبة الأنعام التي سخّرها لهم، ولم يحرمهم بكفرهم من نعمة الاستمتاع بها !! ...»¹.

سورة الأنعام مكيّة أم مدنيّة: اختار العلواني تصنيف سورة الأنعام ضمن القرآن المكيّ وعلّل ذلك فقال عنها: « إنّها السّورة التي تُجيب بشكل مباشر على تلك الأسئلة التي عُرفت بالأسئلة النّهائيّة، والتي نجد الإجابة عنها جليّة بيّنة في السّور المكيّة. ومنها سورة الأنعام ».²

وقبل هذا الاختيار قال العلواني: « لقد ذكر المفسّرون أقوالاً كثيرة حول المدنيّ في هذه السّورة - بناء على ما قرّروه من مواصفات السّور المكيّة وأساليب المدنيّة- وإيماننا بالوحدة البنائيّة للسّورة يُعطينا عن الإسهاب والإطالة في نقل ما قالوه، واختلافهم فيه ومناقشته، إذ إنّ الوحدة البنائيّة للسّورة تجعل منها، بعد التّرتيب الأخير، والعرضتين بين رسول الله ﷺ وجبريل [عليه السلام] - غير ذات موضوع، وكذلك ما يتعلّق بأسباب النّزول، إذ إنّنا نؤمن بأنّ القرآن قد أخذ صفة الإطلاق التّام بعد العرضتين وإعادة التّرتيب، وقطع ما بينه وبين ما عرف بأسباب النّزول، صحيح أن بعض الآيات كانت تنزل بمناسبة رفع البيّنة لسؤال إلى رسول الله ﷺ أو قضيّة ... فيظنّ بعض النّاس أنّ الآيات النّازلة للإجابة عن ذلك السّؤال، أو معالجة الإشكال، قد ارتبطت بتلك الواقعة، وكثيراً ما كان يروى أنّ آية كذا نزلت في كذا، أي نزلت في إثبات الأمر الفلانيّ، أو بيان حكمه، أو تصديق شيء فيه أو تكذيبه ونفيّه، وهذه الروايات يمكن أن يستفيد منها المفسّر، ولكنها ليست أحاديث مُسنّدة وصحيحة بحيث تقبّد تلك الآيات بتلك القضايا، ومع ذلك فإنّ العلماء -وإنّ تساهلوا في بعض الروايات المتعلّقة بالأسباب والمناسبات، وكون هذه الآية مدنيّة وتلك مكيّة- ما كان ينبغي لهم أن يجعلوا ذلك كلّه مُتداولاً في هذا المجال ومنه مجال التّفسير، إلّا إذا ثبت برواية صحيحة السّنَد، وصریحة المتن، وسالمة من المعارضة والاحتمال. إنّ اهتمام بعض المتقدّمين بهذه الأمور نجم عن اهتمامهم في الأساس بقضايا الأحكام، وظنّهم أنّ تحديد مكان النّزول بمكّة أو المدينة، وما سمّوه بأسباب النّزول مُفيد في

الاسم من عهد رسول الله ﷺ. محمّد الطّاهر بن عاشور، التّحرير والتّنوير في التّفسير، مرجع سبق ذكره، ج07، ص: 121.

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 325.

2 المرجع السّابق، ص: 328.

معرفة النسخ من المنسوخ، لاعتماد قاعدة النسخ على التّقدّم والتأخّر».¹

ينبغي ههنا التذكير بأنّ التفسير الموضوعي لا يستغني عن علم المناسبة، والمناسبة إنّما تُلاحظ وتُعتبر وتصلح قرينة على اكتشاف مُراد الله ﷻ على حسب ترتيب نزول الآيات، ولا خلاف في تغاير ترتيب الآيات وسور القرآن الموجود مع ترتيب النزول، ولناقشة طه جابر العلواني فيما قاله؛ سيقوم الباحث بترتيب كلامه السابق في نقاط مُنفصلة، بحسب موضوعها وترتيبها في سياق كلامه المنقول، وهذا التّفصيل يقودنا للنقاط التالية:

01- علاقة العرضتين الأخيرتين بأسباب النزول: العرضتان الأخيرتان هما العرضتان اللتان كانتا في السنّة التي تُوفي فيها رسول الله ﷺ، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كان يعرض على النَّبيِّ ﷺ القرآن كلّ عام مرّة، فعرض عليه مرّتين في العام الذي قُبض فيه.² قال ابن كثير: وعرضه في السنّة الأخيرة من عمره رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على جبريل مرّتين، وعارضه به جبريل كذلك، ولهذا فهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ اقتراب أجله³، والمقصود بعرضة القرآن هي «مُدرسة جبريل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ القرآن الكريم للنبي ﷺ كلّ عام في رمضان»⁴، وهي عمليّة «مُفتعلة من الجانبين، كأنّ كلّاً منهما كان تارة يقرأ والآخر يستمع قوله»⁵، وفيها إشارة إلى أنّ المعوّل عليه في تعلّم القرآن هو السّماع والتّلقّي والمشافهة والمدرسة من أفواه المشايخ والمعلّمين؛ وأنّ عرض القرآن وختمه سنّة نبويّة رمضانيّة.

أمّا سبب النزول فهو «ما نزلت الآية أو الآيات مُتحدّثة عنه، أو مُبيّنة لحكمه أيّام وقوعه»⁶، ولذلك كانت أسباب النزول من أوجب ما يجب الوقوف عليه، لامتناع معرفة تفسير بعض آي القرآن دون الوقوف على قصصها وسبب نزولها.

وقد اهتمّ العلماء بالعرضتين الأخيرتين لما لهما من اتّصال بعلم القراءات، ولما لهما من أثر فيه، فذكروا أدلّة ثبوتها، ومفهومها، ودلالاتها، وأثرها، وأهمّيّتها، ومسائلها المختلفة، ولم يجد الباحث من ذكر منهم أنّ العرضتين الأخيرتين أغنتا عن علم أسباب النزول.

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 326.

2 أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب: كان جبريل يعرض القرآن على النَّبيِّ ﷺ، برقم: (06).

3 ابن كثير، تفسير ابن كثير، مرجع سبق ذكره، ج 01، ص: 51.

4 أبو شامة، المرشد الوجيز إلى علوم تتعلّق بالكتاب العزيز، تحقيق: طيار آلي فولاج، (ط 02)، دار وقف الديانة التركي، أنقرة، تركيا، 1406هـ - 1986م)، ص: 35.

5 ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، مصدر سبق ذكره، ج 09، ص: 44.

6 الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، مرجع سبق ذكره، ج 01، ص: 76.

02- استهانة طه جابر العلواني بعلم أسباب النّزول وإنكاره: إنّ في استعمال عبارات ذات دلالات عن الاستهانة والتقليل من شأن علم أسباب النّزول دليل على أنّ العلواني لا يعتدّ بهذا العلم، ويَزْهَدُ وَيُزْهَدُ في استعماله في تفسير القرآن، ومّا لا شكّ فيه أنّ أسباب النّزول لا يستغني عنها أيّ مفسّر لكتاب الله ﷻ، « إذ هي أوفى ما يجب الوقوف عليها، وأولى ما تُصرف العناية إليها؛ لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها، دون الوقوف على قصّتها وبيان نزولها »¹، وقد ذكر ابن تيمية أنّ « معرفة سبب النّزول يُعين على فهم الآية، فإنّ العلم بالسبب يُورث العلم بالمسبّب »²، فإنكارها مُوجب لعدم الفهم، وإهمالها إهمال لأمر مهمّ، ومن كان هذا مسلكه؛ يصدق فيه قول الشاعر:

ترجو النّجاة ولم تسلك مسالكها إنّ السّفينة لا تجري على اليّس³

هذا؛ ومن تتبّع كتب التفسير وعلوم القرآن، يجد العلماء يعدّون علم أسباب النّزول شرط من شروط المفسّر، كما لا يخلو كتاب من كتب الصّحاح والسّنن من روايات أسباب النّزول تحت عناوين كتب وأبواب سُمّيت باسم التفسير؛ ككتاب التفسير في صحيح البخاري، وكتاب تفسير القرآن في سنن الترمذي، وكتاب التفسير لابن ماجة⁴، وغيره.

03- دعوى قطع العلاقة بين القرآن الكريم وأسباب نزوله: يقول العلواني: « إنّنا نُؤمن بأنّ القرآن قد أخذ صفة الإطلاق التّام بعد العرضتين الأخيرتين وإعادة التّرتيب، وقطع ما بينه وبين ما عُرف بأسباب النّزول »، وفي هذا الذي قاله ثلاثة مسائل هي:

المسألة الأولى: صفة الإطلاق التّام في القرآن الكريم: سبق البيان أنّ المؤلّف لا يقصد بعبارة الإطلاق التّام مُصطلح المطلق والمقيّد المعروفين في علوم القرآن، وإنّما يقصد أنّ أحكام القرآن مُطلقة عموماً ولا عبرة بتلك الآيات التي نزلت في أسباب نزول خاصّة، فهي أيضاً تأخذ حكم العموم ولا تخصيص فيها، وبذا لا يُصبح لمرويات علم أسباب النّزول فائدة، إذ يُمكن اعتبار أي حدث عصريّ سبب نزول جديد !!

المسألة الثانية: العرضتان وإعادة ترتيب القرآن: أنزل الله ﷻ القرآن الكريم فجعله آيات وسوراً؛

1 الواحدي، أسباب النّزول، تخريج وتحقيق: عصام بن عبد المحسن الحيدان، (ط02، دار الإصلاح، الدّمام، السّعودية، 1412هـ - 1992م)، ص: 08.

2 السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مرجع سبق ذكره، ج01، ص: 83.

3 أبو العتاهية، ديوان أبي العاهية، (د.ط، دار بيروت للطباعة والنّشر، بيروت، لبنان، 1406هـ - 1986م)، ص: 203.

4 مرويات الإمام ابن ماجة في التفسير، جمع وتخريج: محمّد بن رزق بن طهروني وغيره، المعهد العلميّ للفكر الإسلاميّ، 1010 - 1411م، <https://tarhuni.net/>

منها القصار ومنها الطّوال، « فأما الآيات في كلّ سورة ووضع البسملّة أوائلها فترتيبها توقيفيّ بلا شكّ، ولا خلاف فيه، ولهذا لا يجوز تعكيسها »¹، ولذلك جاء الإجماع والنصوص المترادفة على أنّ ترتيب الآيات توقيفيّ لا شبهة في ذلك²، واحترام المؤلّف ترتيب القرآن في تفسيره الذي هو ضمن آخر ما صدر في علم التفسير، فيه توافق مع الإجماع، كما فيه نوع من التصدّي لتلك الدّعاوى التي تُنادي بجمع القرآن وفق ترتيب جديد للآيات بحجّة تيسير فهمه على النّاس، حتّى أصبح الخلاف في هذا الموضوع منفذاً ينفذ منه أعداء القرآن للتشكيك في قداسة هذا الكتاب المجيد والطّعن فيه، ومن ذلك ما دعا له بعض المستشرقين المتأخّرين لإعادة ترتيب القرآن وفق أسباب نزوله تيسيراً للقارئ، وإعانة له على فهم المعنى -على حسب زعمهم الباطل، وفهمهم السّقيم، وكيدهم العقيم- يقول المستشرق الفرنسيّ بلاشير³: « إنّ إعادة ترتيب السّور الذي اقترحه نولدكي⁴ ومدرسته، ينال هنا كامل الأهميّة. إنّهُ يُلقِي على المصحف أضواء مُطمئنة ويردّ وضع النّصوص إلى آفاق سهلة الإدراك لكونها مقرونة إلى السياق التّاريخيّ المعقول. ثمّ إنّهُ يُعيد للقارئ الغربيّ معناها، ويُلبي الرّغبة في الفهم التي لا يُمكننا بدونها أن نحز أيّ تقدّم »⁵.

المسألة الثالثة: قطع ما بين القرآن وبين أسباب النّزول: إنّ « لمعرفة أسباب النّزول فوائد، وأخطأ من قال لا فائدة له لجريانه مجرى التّاريخ »⁶، ولذلك لا يمكن قطع الصّلة بينهما، فلا يخفى أنّ علم أسباب النّزول يُجسّد العلاقة بين السّنّة النّبويّة والقرآن الكريم، ويبيّن وظيفة السّنّة ومُلازمها للقرآن، وعن هذا قال الشّاطبيّ: « معرفة أسباب التّنزيل لازمة لمن أراد علم القرآن، والدّليل على ذلك أمران:

1 الزركشي، البرهان في علم القرآن، مرجع سبق ذكره، ج1، ص: 256.

2 ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 172.

3 مستشرق فرنسيّ مولود بضواحي باريس عام (1900)، نال الدّكتوراه في الأدب العربيّ (1936)، له دراسات رصينة عن العرب، من أشهر كتبه "تاريخ الأدب العربي"، (1952)، و"معضلة محمّد" (1953). ينظر: نجيب العقيقي، المستشرقون، (ط3، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1964م)، ج1، ص: 316 - 318.

4 مستشرق ألمانيّ (1836 - 1930م)، نال الدّكتوراة (1856)، من تلاميذه: زاخو، وياكوب، وبروكلمان، وشوللي، له مؤلّفات عديدة منها: "أصل وتركيب سور القرآن"، و"تاريخ النّص القرآني"، تكلم فيه عن تاريخ السور والآيات. نجيب العقيقي، المستشرقون، مصدر سبق ذكره، ص: 738 - 740.

5 بلاشير، القرآن: نزوله تدوينه ترجمته وتأثيره، نقله إلى العربيّة: رضا سعادة وغيره، (ط01، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1974م)، ص: 43.

6 السيوطي، لباب النّقول في أسباب النّزول، مرجع سبق ذكره، ص: 03. وقد ذكر السيوطي في هذا الكتاب فوائد علم أسباب النّزول فليُنظر في محله فإنّه كلام نفيس.

أحدهما: أنّ علم المعاني والبيان الذي يُعرف به إعجاز نظم القرآن -فضلاً عن معرفة مقاصد كلام العرب- إنّما مداره على معرفة مُقتضيات الأحوال: حال الخطاب من جهة نفس الخطاب، أو المخاطب، أو المخاطب، أو الجميع، إذ -الكلام الواحد يختلف فهمه بحسب حالين وبحسب مخاطبين وبحسب غير ذلك...-، ومعرفة الأسباب رافعة لكلّ مُشكل في هذا التّمط، فهي من المهمّات في فهم الكلام ولا بدّ، ومعنى معرفة السّبب هو معنى معرفة الحال، وينشأ عن هذا الوجه: الوجه الثّاني وهو أن الجهل بأسباب التّنزيل موقع في الشّبه والإشكالات، ومورد للتّصوص الظّاهرة مورد الإجمال حتّى يقع الاختلاف، وذلك مظنة وقوع النزاع»¹.

04- استعمال العلوانيّ لعبارات فيها شدة وموهمة ينخس قدر العلماء: كوصفهم بعبارة "بعض النّاس"، "وإذا تساهلوا في بعض الرّوايات المتعلّقة بالأسباب والمناسبات"، "وما كان ينبغي لهم"، "وظنّهم"، "وما سمّوه"، وقد كان حريّاً بالعلوانيّ إعمال اللّين في نقده بدل إهماله، خاصّة وأنّ من وصفهم ببعض النّاس وبأنّهم مُتساهلون، وبأنّ علمهم مُجرّد ظنّ وهم سمّوه علماء، وما كان ينبغي لهم هذا؛ من قال عنهم هذا هم طائفة من علماء الأمّة ومن خيرتها.

وكان الأحرى به اللّين لا سيّما في هذا الزّمن الذي كثر فيه الطّعن في العلماء، ونخس أقدارهم، والخطّ من منازلهم، من أطراف مُتعدّدة المشارب والأهداف، فالعلماء هم ورثة الأنبياء، فعن أبي أمامة الباهليّ رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «فَضِّلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةُ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتُ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِي النَّاسِ الْخَيْرِ»². وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «وَفَضِّلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ»³. فاحترامهم ومعرفة قدرهم ولزومه واجب.

1 الشّاطبي، الموافقات، مرجع سبق ذكره، ج3، ص: 347 - 348.

2 أخرجه الترمذي في الجامع الكبير، برقم: (2880)، والطبراني في المعجم الكبير، (08/ 278)، برقم: (7912)، وابن عبد البر في جامع العلم، (01/ 38). وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح، وقال المناوي في فيض القدير، (04/ 569): فيه الوليد بن جميل لينه أبو زرعة، وقال العجلوني في كشف الخفاء (02/ 86): رواه الترمذي وحسنه عن أبي أمامة مرفوعاً قاله الشيخان لي وعنده رجلان أحدهما عالم والآخر عابد، ونقل النجم عن الترمذي أنّه صحيح، وصحّحه الألباني في صحيح الجامع، برقم: (4213).

3 أخرجه أبو داود في كتاب العلم، باب الحثّ على طلب العلم، (04/ 39)، برقم: (3643). والترمذي في أبواب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، (04/ 414)، برقم: (2682). وابن ماجه في المقدّمة، باب فضل العلماء والحثّ على طلب العلم، (01/ 81)، برقم: 223، وغيرهم وإسناده حسن لكثرة طرقه. قال الهيثمي في التّوابع (01/ 69): في هذا (473)

ومن جهة أخرى؛ المخاطبة باللّين توجيه إلهي وهدى نبوي لا يخفى، فقد قال تعالى: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ ﴿٤٤﴾ [طه: 43-44]. فقوله تعالى: ﴿قَوْلًا لَّيِّنًا﴾؛ أي: كلاماً لطيفاً سهلاً رقيقاً، ليس فيه ما يغضب وينقّر.¹ قال ابن كثير: هذه الآية فيها عبرة عظيمة، وهو أنّ فرعون في غاية العتوّ والاستكبار، وموسى صفة الله من خلقه إذ ذاك، ومع هذا أمر ألا يخاطب فرعون إلّا بالملاطفة واللّين.²

ويقول الباحث: المخاطبة باللّين أسلوب لا يخفى على طالب العلم، وقد وُجد العلواني في معرض تفسيره للآية السابقة الذكر يقول: «يقول جلّ شأنه: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ ﴿٤٣﴾ [طه: 43] فتجاوز كلّ الحدود، ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿٤٤﴾ [القصص: 04] فأمرنا بالذهاب إلى فرعون لإيقافه عند حدّه، والحيلولة دون استمرار طغيانه، ورسم ﷺ لهما الطريق الذي ينبغي أن يسلكاه في مخاطبته، فقال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ ﴿٤٤﴾ [طه: 44]، ويبدو أنّ الناس كانت تعرف من غرور فرعون وطغيانه الكثير، ويعرف موسى وهارون ﷺ أنّ أمراً كهذا سوف يُقابله فرعون بغضب شديد، وقد يُؤدّي إلى إيقاع أقصى العقوبات بمن يتجرأ على نصحه أو تخطئته أو دعوته إلى التزام جانب الحقّ والعدل، ولذلك ﴿فَالرَّبَّانِيَّتَانِ خَافَا أَنْ يَقْرُطَ عَلَيْهِمَا وَنَاطِقِي﴾ ﴿٤٥﴾ [طه: 45] وهذه صفة من صفات الطّغاة ...»³، وبهذا التفسير أهمل المؤلف قضية اللّين في الخطاب إهمالاً تاماً؛ فأخفاها في تفسيره كما خفيت في أسلوبه، ومالت كفته لقضية الطّغيان فاهتمّ بها اهتماماً كبيراً.

وما دفع الباحث على مناقشة ألفاظ وعبارات وأسلوب العلواني ههنا، رغم بيان ومناقشة مواقفه سابقاً، هو أنّ هذا تكرّر منه في مؤلفاته ومداخلاته حتّى تقرّر منهجاً عنده، خاصّة عند التّطرّق للتراث الإسلامي وجهود العلماء فيه، يُضاف له ما نلحظه في زمننا هذا، حيث أنّ البعض يرغبون عن هذا المبدأ الإسلامي السّديد، ويجنحون إلى الغلظة والشّدّة، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على مخالفة توجيه المولى ﷺ وهدى النّبي ﷺ، فماذا على العلواني لو كانت عباراته "بعض

الحديث اختلاف كبير والجمهور على قبوله، وابن حجر في تخرّيج مشكاة المصابيح، (01/ 151)، وقال: حديث حسن. وحسنه الألباني في التعلّيق الرّغيب (01/ 53).

1 محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ج 04، ص: 15.

2 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سبق ذكره، ج 05، ص: 294.

3 طه جابر العلواني تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 467.

العلماء" بدل "بعض الناس"؛ و"لا أرى هذا الرأي" بدل "وما كان ينبغي لهم"، و"قولهم" بدل "ظنهم"، و"علم أسباب النزول" بدل "وما سمّوه بأسباب النزول"، لكان تمرير خطابه سهلاً للجاهل والمعادن والمخالف وحتى العدو؛ على حدّ سواء.

05- علاقة العرضتين الأخيرتين بالناسخ والمنسوخ: سبق مناقشة موقف العلواني من علم الناسخ والمنسوخ، ولكن يجد الباحث نفسه مضطراً لمناقشته من زاوية أخرى، زاوية تخصّ علاقة عرض القرآن مرتين في السنّة الأخيرة من حياته ﷺ بالناسخ والمنسوخ، فهو استدللّ بعرض القرآن العرضتين الأخيرتين على نفي علم الناسخ والمنسوخ بالتلازم، فقال أنّ القرآن قد أخذ صفة الإطلاق التام بعد العرضتين وإعادة الترتيب، وقطّع ما بينه وبين ما عُرف بأسباب النزول، وعلم أسباب النزول مُفيد في معرفة الناسخ من المنسوخ، وبهذا يحصل لزماً قطع الصلة ما بين القرآن وما عُرف بالناسخ والمنسوخ، فدليل النسخ هو تاريخ النزول تقدماً وتأخراً، وبما أنّ تاريخ النزول يُؤخذ من علم أسباب النزول، وهذا الأخير قُطعت صلته بالقرآن الكريم، فإنّ علم النسخ غير مُمكن الحصول، أي أنّ بطلان علم أسباب النزول يُبطل علم الناسخ والمنسوخ.

قال ابن عباس رضي الله عنه: «كان يُعرض القرآن على رسول الله ﷺ في كلّ عام مرّة، فلمّا كان العام الذي قبض فيه عُرض عليه مرتين، فشاهده عبد الله (يعني ابن مسعود رضي الله عنه)¹ فعلم ما نُسخ منه وما بُدّل». ² فعبد الله بن عباس رضي الله عنه يثبت وقوع النسخ في العرضة الأخيرة، وكذلك أثبتته غيره من الصحابة رضي الله عنهم، يقول ابن الجزري (توفي: 833هـ): «ولاشكّ أنّ القرآن نُسخ منه وعُيّر فيه في العرضة الأخيرة، فقد صحّ النصّ بذلك عن غير واحد من الصحابة»³، وممن ذهب من العلماء إلى ثبوت النسخ في العرضة الأخيرة:

- البغوي (توفي: 317هـ): إنّ زيد بن ثابت شهد العرضة الأخيرة التي بيّن فيها ما نُسخ وما بقي.⁴
- وقال أبو شامة (توفي: 665هـ): فجمعهم عثمان رضي الله عنه على رسم، فأسقطوا ما فهموا نسخه

1 ينظر: الحاكم، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1411هـ)، ج2، ص: 250.

2 وأخرجه أحمد المسند، وابن سعد في الطبقات (02/ 342)، وابن أبي شيبة (10/ 559)، والبخاري في خلق أفعال العباد (382)، والنسائي في الكبرى (7994) و(8258)، وأبو يعلى (2562)، إسناده صحيح على شرط الشيخين.

3 ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي محمد الضّباع، (د.ط، دار الفكر للطباعة، د.ب.ط، د.س.ط)، ج01، ص: 44.

4 البغوي، شرح السنّة، مرجع سبق ذكره، ج04، ص: 511.

بالعرضة الأخيرة، ورسموا ما سوى ذلك من القراءات التي لم تُنسخ.¹

- وقال ابن كثير (توفي: 774هـ): معارضته له بالقرآن كلّ سنة ... ليبقى ما بقي، ويذهب ما نُسخ توكيداً، أو استثنائاً وحفظاً.²

- وقال ابن حجر (توفي: 852هـ): كان جبريل يُعارض النَّبِيَّ ﷺ في رمضان ما أنزل الله فيحكم الله ما يشاء ويثبت ما يشاء، ففي هذا إشارة إلى الحكمة في التّفسيط.³

- وقال السيوطي (توفي: 911هـ): ... أي يقرؤها بعض النَّاس لكونهم لم يبلغهم النَّسخ الواقع في العرضة الأخيرة لقرب عهدهم، فلمّا بلغهم رجعوا وأجمعوا على أنّه لا يتلى.⁴

كما أنّه لا محذور في النَّسخ عقلاً، فمعنى النَّسخ انتهاء حكم مُعيّن في ميقات معلوم عند الله ﷻ منذ الأزل، ولكنّه لم يكن معلوماً لغيره، ثمّ أعلمهم ﷻ إيّاه بالنّسخ، يقول ابن قدامة: « وقد أنكر قوم النَّسخ، وهو فاسد؛ لأنّ النَّسخ جائز عقلاً، وقد قام دليله شرعاً، أمّا العقل فلا يمتنع أن يكون الشّيء مصلحة في زمان دون زمان »⁵، بل النَّسخ دليل على رسالته ﷺ، فلو لم يكن جائزاً وواقعاً لكانت الشّرائع الأولى باقية، ولو كانت باقية ما ثبتت رسالته ﷺ إلى النَّاس كافّة، والعلواني قال بنسخ الأُمَّة الإسلامية المخرجة للأُمَّة المستبدلة، وبنسخ العرضتان الأخيرتان للنّسخ، فاستدلّ بنفس الدّليل لإثبات رأي مُخالف لرأي من سبق ذكرهم من العلماء.

وقد أكّد العلواني أنّ روايات أسباب النّزول يُمكن أن يستفيد منها المفسّر، ولكنّه تخوّف منها لأنّها ليست أحاديث مُسندة وصحيحة، لذا يرى الباحث؛ لو أنّ العلواني اهتمّ بأسباب النّزول، واعتنى بإيرادها ضمن الإطار التّالي:

أ- اعتماد ما صحّ منها ممّا لا يتنافى مع تاريخ نزول النّصّ أو ممّا يكون فيه ما يחדش اعتباره سبباً لنزول النّصّ الموضوع للتّدبر، وبتعبيره اعتماد ما ثبت برواية صحيحة السّنَد، وصريحة المتن، وسالمة من المعارضة والاحتمال.⁶

1 أبو شامة، المرشد الوجيز إلى علوم تتعلّق بالكتاب العزيز، مرجع سبق ذكره، ص: 113.

2 ابن كثير، تفسير ابن كثير، مرجع سبق ذكره، ج 01، ص: 51.

3 ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، مصدر سبق ذكره، ج 09، ص: 45.

4 السيوطي، الدّيباج على صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق: أبو إسحاق الحويني، (ط 01، دار ابن عفان للنّشر والتّوزيع، المملكة العربيّة السّعودية، 1416هـ - 1996م)، ج 04، ص: 60.

5 ابن قدامة المقدسي، روضة الناظر وجنة المناظر: مرجع سبق ذكره، ج 01، ص: 73.

6 الواحدي، أسباب النّزول، مصدر سبق ذكره، ص: 08.

ب- العمل بقاعدة: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.¹

ت- عدم قطع النص عن سياقه.

لاستفاد منها في ذاته، وأفاد منها تفسيره، ولكان سبباً في استفادة غيره منه.

المناسبة في سورة الأنعام عند طه جابر العلواني: ذكر العلواني عدة أنواع للمناسبة:

أولاً: المناسبة في آيات سورة الأنعام:

01- المناسبة في الآية الواحدة في سورة الأنعام: من أول آية أبرز العلواني تناسب الآية الواحدة

وتناسقها، فقال عند تفسير قوله تعالى: «﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الأنعام: 01] ... وما يأتي بعد الحمد

بمثابة العلة والسبب لانحصار الحمد بالله ﷻ وعدم جواز تعديته إلى سواه، لأن الحمد يُعدّ أعلى أنواع

العبادة، فلا يليق بإنسان أن يُوجهه لغير الله ﷻ ويُصبح قوله سبحانه: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ

وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: 01] علة لحصر الحمد به تبارك وتعالى، ولبیان غرابة ما انتهى إليه

المشركون، مُتجاوزين كلّ ضرورات العقل والحكمة وحسن التفكير وسداد القول ورشاد الرأي؛ ليجعلوا

له من عباده عدلاً وكفوفاً، قال تعالى: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: 01].

فبالرغم ممّا ذكر - سبحانه - من خلق السماوات والأرض، وجعله الظلمات والنور، وتفرّده بالخلق

والإبداع والربوبية والألوهية، فإنهم يعدلون به سواه.²

واعتمد العلواني على العلة والسبب لبيان المناسبة الرابطة بين أجزاء الآية الأولى من سورة

الأنعام، فالحمد والعبادة لله وحده، وعلة وسبب حصر ذلك به ﷻ أنّه هو الخالق المدبّر، والعجب

والغرابة ممّن لا يحمّد هذا الخالق المدبّر ويحدّد حقّه في التّأليه وحده ويُشرك معه غيره !!

02- المناسبة بين الآيات المتصلة في سورة الأنعام: يقول طه جابر العلواني عن دلالة السياق:

«وذلك مستوى يُدرك من التدبّر في مواقع الجمل من الآيات، والآيات من السّور، والسّور من مجمل

القرآن، وذلك بالنّظر فيما قبلها وما بعدها لتظهر المناسبة، وتتحدّد صفة الجملة وهويّتها ...»³،

وقبل ضرب أمثلة عن توظيف العلواني لدلالة السياق على المناسبة بين الآيات المتتابعة، يرصد

1 عقد السيوطي لهذه القاعدة مسألة كاملة، ذكر فيها أنّ أهل الأصول اختلفوا: هل العبرة بعموم اللفظ أو بخصوص السبب؟

وقال أنّ الأصحّ هو الأول، ثمّ ساق الأدلّة والأقوال المثبتة لما اختاره، وحرّر المسألة فأجاد وأفاد. ينظر: السيوطي، الإتيان في

علوم القرآن، مرجع سبق ذكره، ج01، ص: 85 - 87.

2 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 333.

3 المرجع السابق، ص: 25.

الباحث مناسبات ذكرها العلواني بين آيات مُتّصلة في سورة الأنعام:

وأول مثال عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ۝١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَضَّلَ لَكُمْ مَحْرَمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنْ كَثِيرًا لِيُضِلُّوا بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ۝١١٩﴾ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ۝١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّدُوا لَهُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ۝١٢١﴾ [الأنعام: 118 - 121] هذه الآيات من سورة الأنعام والآيات التي ستليها حتى الآية رقم: (151) تقريباً، يبرز فيها أسلوب القرآن الكريم في عرض الأمور الشرعية أو الفقهية، وهو أسلوب يتسم بما يلي: أولاً ليس فيه ترابط موضوعي كالذي نجده في كتب الفقه، من تقسيمه إلى كتاب طهارة، وصلاة، وزكاة ... إلخ، لكن فيه عرضاً لقضية الحلال والحرام مرتبطة بأمور، وهي: العقيدة والرؤية الكلية، وعلاقتها وانعكاساتها على تفاصيل الحياة؛ وإبراز الآثار المترتبة على ذلك التشريع في الحياة الدنيا وقضية الجزاء في الآخرة، و((الحاكمية الإلهية)) المتجلية في ((حاكمية القرآن المجيد)) وانحصر سلطة التشريع فيه.¹

ومثالها أيضاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِنَّهِنَّ ۝١٥١﴾ [الأنعام: 151] ... والتناسب مُعجَزٌ بين البدء بالنهاي عن الشرك والأمر بالإحسان للوالدين، المشتمل على النهي عن الإساءة لأيٍّ منهما، والأمر بحماية الأولاد وعدم قتلهم أو التخلص منهم خشية ضيق الرزق، ثم يأتي بقاعدة كلية: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۝١٥٢﴾ [الأنعام: 151] ...².

ويقول العلواني عن سورة الأنعام: إنَّ السّورة -بجميع آياتها- اتّجهت نحو ((العقيدة وأركانها))، فدارت آياتها كلّها في ذلك³، وقال أيضاً: «وفي سورة الأنعام يدور الحوار في أكثر آياتها مع المشركين حول الألوهية والعبودية، مع تذكير يسير -بين فترة وأخرى- بمشركي أهل الكتاب، الذين اختاروا لأنفسهم موقف الحلفاء مع المشركين ومُوالاتهم ومُناصرتهم ضدّ رسول الله ﷺ والمؤمنين»⁴، وبذا ذكر العلواني المناسبة بين جميع آيات سورة الأنعام المشكلة لها.

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 402.

2 المرجع السابق، ص: 425 - 426..

3 المرجع السابق، ص: 439.

4 المرجع السابق، ص: 328.

03- المناسبة بين الآيات المنفصلة في سورة الأنعام: أبرز العلواني هذه المناسبة في سياق تفسيره التفصيلي للنجوم، ومن أمثلة ذكره في ذلك، قوله في مطلع تفسير النجم السابع: « بداية عرض الحجة التي آتاها إبراهيم على قومه، ورفعها بها درجات: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ٨٣﴾ [الأنعام: 83]، وقد عطف الآية على الآية (66)، وهي قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ٦٦﴾ [الأنعام: 66]، وفي ذلك ربط بديع بين سيدنا إبراهيم عليه السلام وسيدنا محمد عليه السلام وبين قوم إبراهيم عليه السلام وشركهم وضلالهم، وقوم محمد عليه السلام وما هم عليه ¹.

04- توظيف دلالة السياق لإظهار المناسبة بين الآيات: يقول الشاطبي (توفي: 790هـ): المساقات تختلف باختلاف الأحوال والأوقات والنوازل، وهذا معلوم في علم المعاني والبيان؛ فالذي يكون على بال من المستمع والمتفهم والالتفات إلى أول الكلام وآخره، بحسب القضية وما اقتضاه الحال فيها، لا ينظر في أولها دون آخرها، ولا في آخرها دون أولها، فإن القضية وإن اشتملت على جمل؛ فبعضها متعلق ببعض لأها قضية واحدة نازلة في شيء واحد، فلا محيص للمتفهم عن رد آخر الكلام على أوله، وأوله على آخره، وإذ ذاك يحصل مقصود الشارع في فهم المكلف، فإن فرق النظر في أجزائه؛ فلا يتوصل به إلى مراده، فلا يصح الاقتصار في النظر على بعض أجزاء الكلام دون بعض ... الخ. ²

وفي هذا الجانب، لا يختلف طه جابر العلواني عن غيره من المفسرين ³، فهو كثير اللجوء إلى سياق الآيات، وقد استعمل -أكثر من ثلاثين مرة- عبارات واضحة الدلالة على لجوئه للسياق لتفسير الآيات وفهم معانيها، كقوله: وفي بعض السياقات، اتضح من تلك السياقات، هنا يعود السياق، ثم ينتقل السياق، وفي سياق الحديث، وفي السياق، ويستمر السياق بأساليب مختلفة، ثم يأتي السياق متنزلاً، ثم يلتفت السياق، ويستمر السياق يُقَلَّب، وفي ذكر ... في هذا السياق، ولأن سياق السورة، وغيرها من العبارات الكثيرة التي وظفها في ثنايا تفسيره. أمّا تطبيقاته لإثبات المناسبة بين الآيات

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 371.

2 الشاطبي، الموافقات، مصدر سبق ذكره، ج 04، ص: 266.

3 لئن اعتنى المفسرون بالسياق قديماً، فإن لمفسري المدرسة العقلية الحديثة عناية به كذلك -ومنهم طه جابر العلواني-، ودليل ذلك كثرة استشهادهم به لبيان مراد الله، وكشف معانيه، وللتجريح بين القضايا والمسائل. للمزيد ينظر: سعد بن محمد بن سعد الشَّهْرَافِي، السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة، (ط 01، كرسى القرآن الكريم وعلومه، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1436هـ).

المنفصلة واعتماده على السياق بكلّ أنواعه¹ لربط الآيات بعضها ببعض عند تفسيرها، فكثيرة جداً.

ومثال ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ٤﴾ فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أبنتوا ما كانوا به يستهزئون ٥﴾ ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكنتهم في الأرض ما لم تكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدراراً وجعلنا الأنهار تجري من تحته فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين ٦﴾ [الأنعام: 04 - 06] ... فهذا الغرور الذي يجعل الخالفين لا يعتبرون بالسالفين، ولا يأخذون الدروس ممّا حدث لهم، كأنّ السياق يُنبهنا أنّ هذه الرذائل - الصّارفة عن قبول الحقّ عن سنّة من السنن ماضية - على الإنسان أن يُقاومها، وأن يدفعها عن نفسه، وذلك بملازمة الذكر ...² وهذا سياق داخلي أفاد بيان المناسبة في آيات مُتتابعة مُتّحدة الغرض.

ومثاله أيضاً عند تفسير قوله تعالى: «ثم يأتي السياق مُتنزلاً معهم إلى ما يمكن اعتباره البحث عن شهود يشهدون على أنّه رسول الله، وأنّ القرآن كتاب الله المنزل عليه، فيقول لهم: إني جئتكم بالشّهاد الذي لا يمكن التشكيك بشهادته ولا الطعن فيها، فيقول لهم: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ٣١﴾ [الأنعام: 19] فالله هو الذي يشهد لرسوله ﷺ ويؤدّه بآياته ليفتح بها عقول هؤلاء وقلوبهم ... ثمّ يلتفت السياق - بقوة - ليحرّك تلك العقول الحائرة المريضة الجامدة، ويحملها حملاً على أن تتدبّر فتفكر فيما هو معروض عليها فيسألهم ﷺ: ﴿أَإِنكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ٣٢﴾ [الأنعام: 19] وهو استفهام تقريريّ استنكاريّ في الوقت نفسه ...³ وهذا سياق داخليّ في بيان المناسبة في آية واحدة.

ومثاله أيضاً عند تفسير قوله تعالى: «﴿أَوْ مِنْ كَانَ مِيثًا فَاجْتَنَيْتَهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٣٣﴾ [الأنعام: 122] ويعود السياق مرّة أخرى إلى عمود السّورة الأساس ليُقارن بتساؤل: ﴿أَوْ مِنْ كَانَ مِيثًا

1 ينقسم السياق إلى أربعة أنواع مُتداخلة، وهي: سياق الآية، سياق النّصّ (المقطع)، سياق السّورة، السياق العام للقرآن، فالآية القرآنيّة تُنشئ دلالة سياقية، وإذا ضُمّت إلى مجموعة من الآيات نخرج بدلالة أو دلالات سياقية أخرى، ومجموع السّورة يُنشئ دلالات سياقية أخرى، وبالنّظر إلى مجموع القرآن كوحدة موضوعيّة واحدة وطريقته وأغراضه ومقاصده نخرج بدلالات سياقية مُغايرة. عبد الرحمن المطيري، السياق القرآنيّ وأثره في التفسير، (رسالة مقدّمة لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن، كليّة الدّعوة وأصول الدّين، جامعة أمّ القرى، المملكة العربيّة السّعودية، 1429هـ - 2008م)، ص: 104. بتصرّف يسير.

2 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 337.

3 المرجع السابق، ص: 345.

فَأَحْيَيْنَاهُ ﴿[الأنعام: 122] أي أنّه كان ميتاً في حالة الكفر ... فأحييناه بالإيمان وجعلنا له القرآن نوراً له يعيش في ضوء هدايته، ويسير بأنواره في النَّاس، هل يُمكن أن يكون كمن مثله في ظلمات الجهل والشرك ليس بخارج منها¹».

ومثاله أيضاً قوله: « وكما ربط السياق بين الآيتين (136 - 137) وقضية الأحكام التي افتروها واختلقوها في الحرث والأنعام، فقادتهم إلى استباحة قتل أولادهم بتزيين من شركائهم وشياطينهم الذين يُريدون إهلاكهم وتدمير دينهم، وجعله خليطاً من رغباتهم وشهواتهم وتخريب دنياهم وما إلى ذلك، يقودنا السياق من الآية (139) التي تناولت مواقفهم ممّا في بطون تلك الأنعام، وأوصافهم السيئة التَّحْكِمِيَّة التي لا تبدو فيها حكمة ولا يظهر لها هدف ولا غاية، لِيُبين أنّ ما زَيَّنَّ للمشركين شركائهم فيما مرّ -من قتل ابنائهم- تحوّل إلى ممارسة حقيقيّة فقال في الآية: ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ [الأنعام: 140] ».²

ثانياً: المناسبة في سورة الأنعام نفسها:

01- مناسبة اسم سورة الأنعام لذاتها: يقول طه جابر العلواني: « وقد سُمِّيَت سورة الأنعام بهذا الاسم لأنّها اشتملت على أحكام الأنعام، فالأنعام جاء ذكرها وبيان منافع كلّ منها في سور عديدة، لم تُغادر وصفاً أو فائدة أو منفعة إلّا وذكرت في موقع ما من القرآن المجيد، والقارئ المتدبّر مُطالب باستدعاء كلّ تلك الأمور لتُصبح التسمية -وحدها- مصدراً مُهماً من مصادر التدبّر ومعرفة نعم الله تعالى في مدلول الاسم، وقد ضرب الله تعالى المثل بالبعوضة وما فوقها، ولم يستح من ذلك -كما كان المشركون يدّعون- لأنّ الأنعام والحشرات مُسَخَّرَات خاضعة طائعة لله -تعالى- بنظام التسخير، فهي -من هذه الناحية- أقرب منهم إلى الانسجام مع مراد الله سبحانه وتديره، فهم -المشركون والكفار- في تمرّدهم على نظام الخالق العظيم أضلّ سبيلاً، ودون مرتبة الأنعام التي سخّرهما لهم، ولم يحرمهم بكفرهم من الاستمتاع بها !! ثمّ إنّ في هذه الأسماء مفاتيح في الجمع بين القراءتين، وتنبية الإنسان إلى التّكريم والتّفضيل على أمم المخلوقات³ ».

وقد حوت الفقرة السابقة أوجه مناسبة اسم سورة الأنعام للسّورة نفسها عند العلواني، وقد

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 405 - 406.

2 المرجع السابق، ص: 418.

3 المرجع السابق، ص: 325.

تمثّلت فيما يلي:

- اشتمال السّورة على أحكام الأنعام يتناسب مع اسمها.
- اسم السّورة داع لاستدعاء جميع الآيات في السّور الأخرى طلباً للفائدة والمنفعة، فاسم السّورة جعل آياتها تتناسب مع الآيات في موضوعها.
- التّسميّة مصدر مهمّ من مصادر التّدبرّ ومناسب لمعرفة نعم الله تعالى علينا.
- اسم السّورة يكشف تسخير الخالق للأنعام لبني آدم.
- اسم السّورة مناسب لمعالجة موضوع الشّرك والمشركين، لتناسب مرتبة المشركين مع مرتبة الأنعام.
- اسم الآية مناسب للدّلالة على تكريم الإنسان وفضله على أمم المخلوقات؛ ومنها الأنعام.

02- مناسبة اسم السّورة ومحورها: قال العلواني: « وقد سُمّيت ((سورة الأنعام)) بهذا الاسم لأنّها اشتملت على أحكام الأنعام، وبيان الحلال والحرام فيها. وهي السّورة التي بيّنت -بشكل لا تجده في غيرها- العلاقة الوثيقة بين الشّرك والكفر بالله ودعاوى الجاهليّة من جهة، والمآكل والمشارب وأحكام الطّعام من جهة أخرى، وتأثيراتها في ذلك، وأسماء السّور فيها معانٍ وإيحاءات كثيرة. فالأنعام جاء ذكرها وبيان منافع كلّ منها في سور عديدة، لم تُغادر وصفاً أو فائدة أو منفعة إلّا وذكرت في موقع ما من القرآن المجيد. والقارئ المتدبّر مُطالب باستدعاء الأمور لتُصبح التّسمية -وحدها- مصدراً مُهمّاً من مصادر التّدبرّ ومعرفة نعم الله تعالى في مدلول الاسم».¹

من خلال ما سبق فإنّ العلواني يرى أنّ الأمر الجامع الذي يجمع موضوعات سورة الأنعام وجزئياتها في نسق واحد هو التّوحيد الخالص في باب العبادات كما في باب الأحكام -ومنها الأطعمة-، فلا شرك في المعتقد، ولا شرك في تشريع الحلال والحرام، فالمعبود هو المشرّع وهو واحد، والشّرك وإن تعدّد نتيجه واحدة.

03- المناسبة بين فواتح سورة الأنعام وخاتمها: بدأت السّورة الكريمة ببيان تفرّده تعالى بالحمد وانتهت السّورة ببيان تفرّده تعالى بالوحدانيّة فلا ربّ غيره ولا معبود سواه.²

غير أنّ طه جابر العلواني لم يُشر إلى هذه المناسبة عند تفسيره لسورة الأنعام، واكتفى بالإشارة إلى المناسبة بين موضوعات السّورة وآياتها كلّها.

04- المناسبة بين مقاطع سورة الأنعام ومحورها: تحدّث العلواني عن هذه المناسبات فيما يقرب

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 325.

2 نخبه من علماء التفسير وعلوم القرآن، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مرجع سبق ذكره، ص: 890.

من ثلاث صفحات، فذكر أنّ سورة الأنعام بعد أن عرضت في آياتها الأولى قضية القرآن الأساسية، ومقصد القرآن الأعظم وهو التوحيد، قدّمت لنا النموذج الإبراهيمي بوصفه النموذج الجادّ في البحث عن الحقيقة، والمصمّم على بلوغها مهما تحمّل من المشاقّ وتكبّد من المتاعب، وهو نموذج ينطلق من الخلق للبحث عن الخالق، ومن الوجود للبحث عن الموجد للموجود، ثمّ تعرّض السياق في السّورة إلى كثير من مداخل الشّرك والكفر والضّلال، وبعد ذلك نبّه وعيّنك إلى مداخل عديدة للانحراف عن التّوحيد، وعرّج على مدخل التّحليل والتّحريم في الأطعمة وما تعلّق به، والتفت نحو قضية الإيمان بمصدر الدّين كلّ، عقيدة وشريعة ونظاماً وسلوكاً ومعاملات، ألا وهو القرآن المجيد، ومُحذّراً من التّفريق في الدّين شيعاً. وجميع ما تقدّم قاد العلواني لاستخلاص محور سورة الأنعام¹، فمقاطع سورة الأنعام - وغيرها من السّور - وإن كانت ذات أغراض خاصّة في السّورة، فهي تخدم المحور العام والغرض الرئيس لها، وذلك هو « تناسق أوضاعها، وائتلاف عناصرها، وأخذ بعضها بحجّز بعض، حتّى إنّها لتنظم منها وحدة محكمة لا انفصام لها ».²

05- المناسبة بين مقاطع سورة الأنعام بعضها مع بعض: يقول طه جابر العلواني: « إنّ تفاعلاً ما يُوجد بين الغيب والإنسان والطّبيعة، دبّره وأرسى قوانينه الخالق الأزليّ العظيم تبارك وتعالى، ولقد ربطت السّورة - سورة الأنعام - بين تلك الأطراف الثلاثة ربطاً مُحكماً لتستدعي على الدّوام الارتباط بين النّفس والإيمان والعلم والقيّم، وتشدّد ذلك كلّ إلى خلق السّموات والأرض، وجعل الظّلّمات والنّور، إنّها السّورة التي عرضت حقيقة الألوهيّة والرّبوبيّة في آفاق الكون والحياة، وفي آفاق الأنفس والضّمائر، وفي جنبات عالم الغيب وأطراف عالم الشّهادة، دون إغفال لذكر النّشأة الكونيّة والإنسانيّة والحيويّة، إنّها سورة تجعل الإنسان يُشاهد آثار الألوهيّة الواحدة في كلّ شيء؛ في الفطرة والكون والأحداث والبأساء والضّراء والنّعمة والرّحاء. إنّها تجعل الإنسان عبداً لله لا يستطيع الغفلة عنه - سبحانه - ولو بجزء من الثّانية، فتستولي عليه مشاعر العبوديّة الواهية، عبوديّة النّفس والضّمير، والسّعي والحركة، والتّقاليد والأعراف والشّعائر، وكلّ شيء يسبح بحمد الله ويُقدّس له ».³

فهي سورة بمقاطع مترابطة متشابكة لا انفصام بينها، أنزلت لغرض مُعيّن، فكانت جميع مقاطعها متناسقة متناسبة، متلاحمة يبي بعضها بعضاً حتّى تُؤدّي بمجموعها غرضاً أو أغراضاً لمجموع

1 ينظر: طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 330 - 332.

2 محمّد عبد الله درّاز، النّبأ العظيم، مرجع سبق ذكره، ص: 142.

3 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 329.

السّورة ككلّ، وتخدم تلك الأغراض والمقاصد وتسبح في فلكها.

ثالثاً: مناسبة سورة الأنعام لما قبلها وما بعدها: قال طه جابر العلواني: « موقع سورة الأنعام بين سورتي المائدة والأعراف موقع في غاية المناسبة، فهو يدلّ على أنّ ما فيها يصلح أن يكون تتمة لسورة المائدة وخاتمة لها، وما يقرب من افتتاح لسورة الأعراف، ومقدمة مناسبة له، ختمت سورة المائدة بمعجزة حسّية من معجزات سيّدنا عيسى عليه السلام وهي دعوته الله -جلّ شأنه- بناء على طلب حواريّته إنزال المائدة، فأنزلها الله آية لعيسى. وقد اشتملت سورة المائدة على بيان كثير من أحكام الأطعمة، وتحديد وتفصيل الحلال والحرام منها، ثمّ جاءت ((سورة الأنعام)) -والأنعام نفسها رأس الأطعمة- لتستكمل التشريعات التي وردت في المائدة وما سبقها من سور في هذا المجال. كما أنّ المائدة قد بيّنت أنّ البشر لا يملكون سلطة تحريم أو تحليل في أي شأن من الشّؤون المذكورة. بل من يملك السلطة المطلقة في التحليل والتّحريم في كلّ ما خلق الله، وفي بهيمة الأنعام خاصّة هو الله ﷻ¹، وقد بيّنت سخر وسقم عقليّات المشركين، وتفاهة أحكامهم. أمّا سورة الأعراف، فقد تناولت العديد من مقاصد القرآن المجيد كما تناولت القاعدة الأساس في التّنبية إلى أهمّ أحكام الملابس والزّينة. فالتّناسب بين السّور الثلاث قائم في أحسن وجه وأكمّله².

1 البشر كذا مطلقاً، أي حتّى رسول الله ﷺ لا يملك سلطة التحليل والتّحريم في بهيمة الأنعام خاصّة ! لقد أنكر النّبي ﷺ على من يفرّق بين الحكم الثّابت بالقرآن والحكم الثّابت بالسّنة، فقال ﷺ: « ألا إنّّي أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا إنّّي أوتيت القرآن ومثله معه، ألا يؤشك رجل ينثني شعباناً على أريكته، يقول: عليكم بالقرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلّوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرّموه، ألا لا يحلّ لكم لحم الحمار الأهليّ، ولا كلّ ذي ناب من السّباع ... الحديث » (سبق تخريج هذا الحديث). ومن المناسبة بين الحديث وكلام العلواني أنّ النّبي ﷺ ذكر تحريمه لبهيمة الأنعام خاصّة، وقد تقصّد العلواني هذا التّناسب لإنكاره كون السّنة المصدر الثّاني للتّشريع، فقال: « وهنا يُحدّد الله بدقّة وبمنتهى الصّراحة والوضوح أنّ صلاحية التّشريع خاصّة به سبحانه وحده، فلا أحد في الوجود غيره يحقّ له أن يُحدّد ما هو حلال وما هو حرام من الأطعمة أو سواها ». المرجع السّابق، ص: 331.

2 المرجع السّابق، ص: 327.

وبهذه الفقرة الموجزة يكون العلواني قد ذكر من المناسبات ما يلي:

01- المناسبة بين فواتح سورة الأنعام وخواتيم سورة المائدة: إنّ سورة الأنعام مكّية، وسورة

المائدة التي تسبقها في ترتيب المصحف مدنيّة، وهذا لا يعني وجود قطيعة تامّة بينهما، بل على العكس تماماً، وُجدت المناسبة بين السورتين، وقد تدبّر العلواني ذلك وبيّن أنّ موقع سورة الأنعام بين سورتي المائدة والأعراف موقع في غاية المناسبة، فهو يدلّ على أنّ ما فيها يصلح أن يكون تتمّة لسورة المائدة وخاتمة لها. يقول الشعراوي (توفي: 1419هـ): « ومع أنّ سورة المائدة مدنيّة وسورة الأنعام مكّية إلا أنّ السياق بين تذييل المائدة وافتتاح الأنعام فيه اتّساق واضح. فالحقّ يقول في آخر سورة

المائدة: ﴿لِلّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: 120] ويقول سبحانه في

أول سورة الأنعام: ﴿الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ

يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: 01] فسبحانه وتعالى قدير وبملك كلّ الكون، ولم يأخذ ذلك الملك افتتاحاً

أو ادعاءً، ولكنّه حلّ شأنه هو الذي خلق السموات والأرض وهو الذي جعل الظلمات والنور».¹

02- المناسبة بين خواتيم سورة الأنعام وفواتح سورة الأعراف: وذلك في قوله: «وموقع سورة

الأنعام بين سورتي المائدة والأعراف موقع في غاية المناسبة، فهو يدلّ على أنّ ما فيها يصلح أن يكون ... ما يقرب من افتتاح لسورة الأعراف».

03- المناسبة بين مضمون سورة الأنعام ومضمون سورة المائدة: وذلك في قوله: « وقد

اشتملت سورة المائدة على بيان كثير من أحكام الأطعمة، وتحديد وتفصيل الحلال والحرام منها، ثمّ جاءت ((سورة الأنعام)) -والأنعام نفسها رأس الأطعمة- لتستكمل التشريعات التي وردت في المائدة وما سبقها من سور في هذا المجال».

فالعلواني بيّن أنّ سورة المائدة وسورة الأنعام تشتركان في موضوع واحد وهو "تحديد وتفصيل الحلال والحرام"، ثمّ بيّن أنّ سورة الأنعام استكملت وأتمّت ما بدّأته سورة المائدة وغيرها من السور، ومع هذا الاشتراك في الهدف بين سورتي المائدة والأنعام، فإنّ « سورة الأنعام المكّية لم تعرض لهدف من الأهداف الأصليّة التي تميّزت بها سورة المائدة المدنيّة قبلها:

فهي أولاً: لم تعرض لشيء من الأحكام التنظيميّة لجماعة المسلمين، كالصّوم والحجّ في العبادات، والعقوبات في الجنايات، والمداينة والزّبا في الأموال، وأحكام الأسرة في الأحوال الشخصيّة.

1 الشعراوي، تفسير الشعراوي، مرجع سبق ذكره، ج06، ص: 3488.

وهي ثانياً: لم تذكر في قليل ولا كثير شيئاً يتعلّق بالقتال ومحاربة الخارجين عن دعوة الإسلام.
وهي ثالثاً: لم تتحدّث في شيء ما عن أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وكذلك لم تتحدّث عن طوائف المنافقين ولا عن أخلاقهم السيئة ومسالكتهم المظلمة.
وهي رابعاً: لا تجد فيها مع ذلك كلّ نداءً واحداً للمؤمنين باعتبارهم جماعة تُنظّمها وحدة الإيمان».¹

وفي المائدة مُحاجّة أهل الكتاب وفي هذه مُحاجّة المشركين، والمائدة ذكرت المحرّمات بالتفصيل لأنّها من آخر القرآن نزولاً، والأنعام ذكرت ذلك جملة.²

04- المناسبة بين مضمون سورة الأنعام ومضمون سورة الأعراف التي بعدها: هناك رابط وثيق بين سورتي الأنعام والأعراف فكلاهما مكّيتان، وبالتالي فهما مشتركتان في خصائص القرآن المكّي، والذي ذكره العلواني من هذا التناسب قوله: « كما أنّ المائدة قد بيّنت أنّ البشر لا يملكون سلطة تحريم أو تحليل في أيّ شأن من الشؤون المذكورة. بل من يملك السلطة المطلقة في التحليل والتحريم في كلّ ما خلق الله، وفي بهيمة الأنعام خاصّة هو الله ﷻ، وقد بيّنت سحف وسقم عقليّات المشركين، وتفاهة أحكامهم. أمّا سورة الأعراف، فقد تناولت العديد من مقاصد القرآن المجيد كما تناولت القاعدة الأساس في التنبيه إلى أهمّ أحكام الملابس والزينة ».

وكذلك بيّن العلواني أنّ سورتي الأنعام والأعراف تشتركان في نفس الموضوع وهو "بيان أحكام بعض العبادات" فبينهما اشتراك في أصل الهدف، وتواصل وتكامل في بيان الأحكام الشرعيّة، والمقاصد القرآنيّة، وعند الموازنة بين سورتي الأنعام والأعراف ذكر محمود شلتوت (توفي: 1883هـ) أنّ « السّورتين تشتركان في موضوع تقرير الأصول الأولى للدّعوة القرآنيّة، وتفترقان في نقاط تسعة ذكرها كلّها مفصّلة ».³

ومن أحسن ما قيل في المناسبة بين السّورتين -فيما يرى الباحث- ما قاله السيوطي (توفي: 911هـ): « مناسبة وضع هذه السّورة -الأعراف- عقب سورة الأنعام فيما ألهمني الله سبحانه؛ أنّ سورة الأنعام لما كانت لبيان الخلق، وقال فيها: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾ [الأنعام: 02]، وقال في

1 محمود شلتوت، تفسير القرآن الكريم، (ط12، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1424هـ - 2004م)، ص: 282. بتصرّف.

2 المرجع السابق، ج01، ص: 584.

3 ينظر: المرجع السابق، ص: 288 - 291.

بيان القرون: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ [الأنعام: 06]، وأشير فيها إلى ذكر المرسلين، وتعداد كثير منهم، وكانت الأمور الثلاثة على وجه الإجمال لا التفصيل، ذكرت هذه السّورة عقبها؛ لأنّها مشتملة على شرح الأمور الثلاثة وتفصيلها.

فبسط فيها قصّة خلق آدم أبلغ بسط؛ بحيث لم تُبسط في سورة كما بُسطت فيها، وذلك تفصيل إجمال قوله: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾ [الأنعام: 02]، ثمّ فُصِّلَت قصص المرسلين وأممهم، وكيفيّة إهلاكهم تفصيلاً تامّاً شافياً مُستوعباً، لم يقع نظيره في سورة غيرها، وذلك بسط حال القرون المهلكة ورسلمهم، فكانت هذه السّورة شرحاً لتلك الآيات الثلاث.

وأيضاً فذلك تفصيل قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: 165]، ولهذا صدر هذه السّورة بخلق آدم الذي جعله الله في الأرض خليفة. وقال في قصّة عاد: ﴿جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ [الأعراف: 69]، وفي قصّة ثمود: ﴿جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ﴾ [الأعراف: 74]. وأيضاً فقد قال في الأنعام: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: 54] وهو موجز، وبسطه هنا بقوله: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُمِبُهَا الَّذِينَ يَنْفُونَ﴾ [الأعراف: 56] إلى آخره، فبيّن من كتبها لهم¹.

وقال سيّد قطب عن ارتباط السّورتين في مضمونهما: «سورة الأنعام تتناول حقيقة العقيدة ذاتها، وتواجه الجاهلية بها، وتُفنّد هذه الجاهليّة، عقيدة وشعوراً، وعبادة وعملاً، بينما سورة الأعراف تتناول حركة هذه العقيدة في الأرض، وقصّتها في مواجهة الجاهلية على مدار التاريخ»².

05- المناسبة بين مضمون سورة الأنعام لسورتي المائدة والأعراف: وذلك في قوله: «وموقع سورة الأنعام بين سورتي المائدة والأعراف في غاية المناسبة ... فالتناسب بين السّور الثلاث قائم في أحسن وجه وأكمله»، وعن هذا التناسب يقول محمّد رشيد رضا (توفي: 1354هـ): ولما كان أمر العقائد هو الأهمّ المقدّم في الدّين، وكان شأن أهل الكتاب فيه أعظم من شأن المشركين، قدّمت السّور المشتملة على مُحاجّتهم بالتّفصيل -البقرة، آل عمران، النساء، المائدة-، وناسب أن يجيء بعدها ما فيه مُحاجّة المشركين بالتّفصيل وتلك سورة الأنعام لم تستوف ذلك سورة مثلها، فهي مُتمّمة لشرح ما في سورة البقرة ممّا يتعلّق بالعقائد، وجاءت سورة الأعراف بعدها مُتمّمة لما فيها ومُبيّنة لسنن

1 السيوطي، أسرار تنزيل القرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 86 - 87.

2 سيّد قطب، في ظلال القرآن، (ط17، دار الشّروق، بيروت، لبنان، 1416هـ - 1996م)، ج3، ص: 1843.

الله تعالى في الأنبياء المرسلين وشؤون أممهم معهم وهي حجة على المشركين وأهل الكتاب جميعاً، ولكن سورة الأنعام فصلت الكلام في إبراهيم الذي ينتمي إليه العرب وأهل الكتاب في النسب والدين، وسورة الأعراف فصلت الكلام في موسى الذي ينتمي إليه أهل الكتاب ويتبع شريعته جميع أنبيائهم حتى عيسى المسيح عليه السلام.¹

ثم زاد العلواني على ما سبق، فذكر مناسبات أخرى لسورة الأنعام مع أخواتها في القرآن الكريم، فكان ما ذكره من المناسبات ما يلي:

06- مناسبة بدء سورة الأنعام مع باقي السور المبدوءة بالحمد: يقول محمد رشيد رضا (توفي: 1354هـ): ومن اللطائف أنه ﷺ جعل في كل ربع من كتابه الكريم المجيد سورة مُفتتحة بالتحميد²، وقد أورد العلواني هذه المناسبة مطلع النجم الأول "في البدء بالحمد وقصة الخلق"، فقال: «بدأ الله تعالى بـ((الحمد لله))، وهي الكلمة التي افتتح الله كتابه بها، ثم افتتح بها أربع سور مكيات أخرى، اشتملت كلّ منها على بيان دعوة رسول الله وأمة المرسلين معه، ومحاجة المشركين فيها. فكانت الأنعام في نهاية الربع الأول من القرآن، ثم تأتي ((الحمد لله)) في الكهف، وهي مشتركة بين آخر الربع الثاني وأول الربع الثالث، ثم تأتي الثالثة في سبأ، والرابعة في بداية فاطر، وهما آخر الربع الثالث. وقد اقترنت كلمة الحمد في هذه السورة بخلق السماوات والأرض، وجعل الظلمات والنور، والإشارة إلى النور الحسي، كما اقترنت في الثانية -وهي سورة الكهف- بإنزال القرآن على عبده، وهو النور المعنوي: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ [النساء: 174]. واقترنت في الثالثة بصفات الحكمة والخبرة والعلم بما ينزل من السماء وما يعرج فيها، واقترنت الرابعة بخلق السماوات والأرض، وجعل الملائكة رسلاً³، ولم يذكر معها سورة الفاتحة مع أنّها سورة مكّية وابتدأت بالحمد، ولعله اكتفى بما ذكره عند تفسير سورة الفاتحة.

ومع هذا الاحتمال الوارد يبقى ثمة ما لم يذكره العلواني في المناسبة بين سورة الأنعام وسورة الفاتحة، يقول الرازي (توفي: 606هـ): «ثم افتتح سوراً أربعة بعد هذه السورة -سورة الفاتحة- بقوله ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ فأولها: سورة الأنعام وهو قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: 01] واعلم أنّ المذكور ههنا قسم من أقسام قوله تعالى: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

1 محمد رشيد رضا، تفسير المنار، مرجع سبق ذكره، ج 07، ص: 241.

2 المرجع السابق، ج 07، ص: 243.

3 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 332 - 333 و 439 - 443.

[الفتحة: 02] لأنّ لفظ العلم يتناول كلّ ما سوى الله، والسّموات والأرض والنّور والظّلّة قسم من أقسام ما سوى الله، فالمذكور في أوّل سورة الأنعام كأنّه قسم من أقسام ما هو مذكور في أوّل سورة الفاتحة، وأيضاً فالمذكور في أوّل سورة الأنعام أنّه خلق السّموات والأرض، والمذكور في أوّل سورة الفاتحة كونه ربّاً للعالمين، وقد بيّنا أنّه متى ثبت أنّ العالم محتاج حال بقائه إلى إبقاء الله كان القول باحتياجه حال حدوثه إلى المحدث أولى، أو لا يلزم من احتياجه إلى المحدث حال حدوث احتياجه إلى المبقي حال بقائه، فثبت بهذين الوجهين أنّ المذكور في أوّل سورة الأنعام يجري مجرى قسم من أقسام ما هو مذكور في أوّل سورة الفاتحة¹، وهذا وجه مناسبة قويّ أغفله العلواني².

07- مناسبة سورة الأنعام المكيّة لأخواتها المدنيّة: يقول العلواني: « هناك ما يقرب من مؤاخذة بين سور القرآن التي نزلت في مكّة، وتلك التي نزلت في المدينة، فلكلّ سورة مكّيّة أخت أو أكثر في السّور المدنيّة. وكأنّ المكيّة حين تختم تقول لك: "للبحث صلة". وحين تعثر على أختها المدنيّة تجدها وكأنّها تجدها وكأنّ هناك إحالة عليها من أخت لها مكّيّة، والمديّة تتّمّة وتكملة للمكيّة، وسرعان ما تجد بين السّورتين اتّصلاً وتكاملاً يشدّ بالقوّة إلى متابعة حركة القرآن الكريم في المجتمعين المكيّ والمدنيّ، ويُقدّم لنا معاني في غاية القوّة والثراء والاتّساع في طرائق وأصناف النّاس المختلفة في التّفاعل مع القضايا التي يحملها الخطاب القرآنيّ، وتُعطي مؤشّرات في غاية الأهميّة في إدراك الفوارق بين البيئات وآثارها في التّفاعل مع الخطاب إيجاباً وسلباً.

وسورة الأنعام اختصّت بمناقشة المشركين في الشّرك وتفصيله، وما يُؤدّي إليه من سقوط الإنسان في دركات أخرى، وربطت نظام الحياة الإنسانيّة بالتّوحيد، وبيّنت الأخطار التي يعود الشّرك بها على الحياة الإنسانيّة ونظمها، وسورة الأنعام تتناغم مع سورة أخرى في هذا الموضوع، فقد تناولت سورة البقرة الظّاهرة الإسرائيليّة في شقّها اليهوديّ في عرض تفصيليّ شامل، لا يملك الإنسان معه إلّا أن يُسلّم بضرورة استبدال هؤلاء القوم والإتيان بغيرهم، أمّا سورة آل عمران فقد تناولت في شقّها الأوّل الظّاهرة الإسرائيليّة في إطارها النّصرانيّ المسيحيّ، لتصل إلى قناعة مماثلة، وفي كلتا السّورتين كان السياق يُعرّج على الأُمّة المسلمة ليبيّن لها بعض الشّرائع والأحكام والأدوار التي عليها الاضطلاع بها

1 الزّازي، مفاتيح الغيب، مرجع سبق ذكره، ج1، ص: 186.

2 لم يسر العلواني على نهج واحد في التّعامل مع المناسبة بين فواتح السّور، فعند تفسير سورة العنكبوت قال: « كما أنّ فاتحة السّورة بدأت بالأحرف المقطّعة التي استهلّت بها سورة البقرة، ممّا يُشير إلى نوع من التّرابط بين السّورتين في بعض الموضوعات. ثمّ سرد هذه الموضوعات ». (ينظر: طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 807). وأهمّ ذكر المناسبة بين سور البقرة، والعنكبوت، والتّوم، والسّجدة المبتدئة كلّها بنفس الحروف المقطّعة ﴿آل﴾ بأيّ وجه من الأوجه.

-مما فرطت به الأمتان السابقتان- لئلا يحدث لها مثل ما حدث للأمة التي شاء الله -تعالى- أن يجعلها بديلاً عنها¹.

08- مناسبة سورة الأنعام المكية لأخواتها المكية: يقول العلواني: في سورة الأنعام نجد تفصيلاً رائعاً لما أحكمته ((سورة العلق)) في إطار ((الجمع بين القراءتين))، وفي إطار بيان العلائق بين الله - تعالى- وهو الخالق المسخر المستخلف، والإنسان المخلوق المختار المستخلف، والكون المسخر وهو ميدان الابتلاء²، وسورة العلق سورة مكية.

هذا ما ذكره العلواني من أنواع المناسبات في سورة الأنعام، ومناسبة سورة الأنعام المكية لأخواتها المكية والمدنية -في حدود اطلاع الباحث- مناسبتان اختصّ بهما تفسير العلواني، وهما زيادة على ما عند غيره من أصحاب التفسيرات الموضوعية. والله أعلم.

فضائل سورة الأنعام: لم يُعدّ العلواني فضائل سورة الأنعام، وهي سورة من السور السبع الطوال، «ومّا ورد في فضائل هذه السبع:

01- ما رواه الإمام أحمد وغيره عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أُعطي مكان التوراة السبع الطوال، وأُعطي مكان الزبور المئين، وأُعطي مكان الإنجيل المثاني، وفُضلت بالمفصل). فالكتب السماوية جميعها خرجت من مشكاة واحدة ودعت إلى غاية واحدة، ولقد جاء القرآن الكريم مهيمناً على ما سبقه من كتب ومستوعباً لها ومصدقاً بها.

02- وروى الحاكم وغيره عن جابر رضي الله عنه، قال: لما نزلت سورة الأنعام سبّح رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: (شيع هذه السورة من الملائكة ما سدّ الأفق).

03- وأخرج أبو عبيدة وابن الضريس والطبراني وابن المنذر وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنه قال: (نزلت سورة الأنعام بمكة ليلاً جملة، حولها سبعون ألف ملك يجأرون بالتسبيح).

04- وروى الدارمي في مسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: (الأنعام من نواجب القرآن ...)، وأخرج عبد الرزاق عن مجاهد قال: (نزلت سورة الأنعام كلّها جملة)³.

تحديد عمود سورة الأنعام: حدّد العلواني عمود سورة الأنعام فقال: «عمود سورة الأنعام هو مناقشة المشركين وشبهاتهم ودعواهم في جملتها ... فعمود السورة ومحورها هو التوحيد الخالص بكلّ

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 327 - 328.

2 المرجع السابق، ص: 327.

3 نخبه من علماء التفسير وعلوم القرآن، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مرجع سبق ذكره، ص: 394 - 395. ينظر تخريج الأحاديث في نفس المرجع ونفس الصفحات.

أنواعه، ومنه التشريع والاستدلال عليه بالكون، بتفاصيله وجزئياته كلّها، والسّنن والقوانين التي تحكمه، ومناقشة ما عليه المشركون من تحافت وانحراف وإدانتهم -بأفواههم- بذلك كلّ».¹

وقد وافق العلواني غيره من المفسّرين عند تحديده محور سورة الأنعام، فكان ما اختاره مُنسجماً مع أقوالهم، عاضداً لها، لا يفترق عنها سوى في طريقة صياغة الألفاظ والعبارات، وفي براعة سبك الأسلوب، فالسّورة الكريمة نزلت بالحجج القاطعة والآيات السّاطعة التي تُقوّض دعائم الشّرك وتدحض شبهه، وتقرّر عقيدة التّوحيد وأصول التّشريع، وثبّتت فؤاد النّبي ﷺ ومن اتّبعه من المؤمنين، وتُفصح عن أسباب ضُود المشركين وإعراضهم عن الحقّ مع ظهور حُججه، وجلاء براهينه.²

تحديد مفاهيم سورة الأنعام والتفصيل في بيانها: لم يتعرّض طه جابر العلواني لأيّ مفهوم من مفاهيم سورة الأنعام، مع أنّها من أوائل ما فسّر من سور القرآن (سنة 2012م)، ورغم أنّ العلواني ألف وحاضر ونادى بضرورة إعادة بناء المفاهيم والمصطلحات قرآنيّاً، إلّا أنّه بخلاف بعض السّور؛ ورغم أنّ سورة الأنعام من السّور الطّوال، لم يُورد أي عنوانٍ مُستقلّ -في السّبع عشرة نجماً التي قسم السّورة عليها- لدراسة مفهوم قرآنيّ ما.³

التفسير الإجمالي لسورة الأنعام: استهلّ طه جابر العلواني تفسيره ببيان المعنى الإجماليّ لسورة الأنعام، فتناول في عُجالة محاور السّورة الفرعية وما يربط بينها، ونسق القرآن في الانتقال بينها، والتّعرج عليها موضوعاً موضوعاً، والتفات القرآن المتكرّر نحو القضية الأساسيّة وهي قضية الإيمان بالمصدر، مصدر الدّين كلّ، ألا وهو القرآن الكريم، وكيف ناقشت السّورة المشركين وشبهاتهم ودعواهم في جُمْلَتها، وإظهار فساد حياتهم كلّها، وإدانتهم بأفواههم، وعرضت عليهم التّموذج الإبراهيميّ بوصفه النموذج الجادّ في البحث عن الحقيقة، ثمّ قدّمت لهم التّوحيد بديلاً لباطلهم وانحرافهم، مع إنبائهم بسرعة عقاب الله للمشركين، وأنّه تعالى غفور رحيم، وهنا تنتهي السّورة.⁴

التفسير التفصيليّ لسورة الأنعام: منهج التفسير الموضوعيّ المتّبع من رواد هذا اللّون وأصحابه؛

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 332.

2 ينظر: نخبة من العلماء، التفسير الموضوعيّ لسور القرآن الكريم، مرجع سبق ذكره، ص: 396 - 398.

3 بالإضافة لمفاهيم سورة الفاتحة أورد العلواني في تفسيره مفاهيم أخرى في سور مختلفة، ولقّلتها يذكرها الباحث كلّها مرفقة بالصفّحات التي وردت فيها، وهي مفهوم: الصّبر (183 - 187)، والصّوم (201 - 203)، والتّدين (579 - 580)، والصّلاة (619 - 620)، والإيمان (614 - 618)، واللّغو (621 - 622)، والزّكاة (623 - 630)، الإحصان (680 - 684)، والاستخلاف (788 - 790)، وتمكين الدّين (790 - 794)، الفتنة (811 - 816).

4 ينظر: طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 325 - 332.

تقسيم السّورة إلى مقاطع تتكوّن من مجموعة من الآيات، تُمثّل كلّ منها وحدة موضوعيّة فرعيّة، وجميع هذه الوحدات تتشكّل الوحدة الموضوعيّة الكلّيّة للسّورة القرآنيّة الواحدة، وقد طبّقت هذه المنهجية في كثير من كتب التفسير الموضوعي، وكذلك صنع طه جابر العلواني، غير أنّه أثر استعمال لفظ النّجم على المقطع كما ذكر في مقدّمة تفسيره، وقسم سورة الأنعام كما يلي:

النّجم الأوّل: في البدء بالحمد وقصّة الخلق [الآيات: 01 - 06]¹، وهو نجم يتكوّن من ستّ آيات الأولى من سورة الأنعام.

النّجم الثّاني: في إثبات صدق وإعجاز الرّسالة، وردّ سائر الشّبهات عنها [الآيات: 07 - 37]²، وهو نجم جعله العلواني من واحد وثلاثين آية.

النّجم الثّالث: في بيان جانب من جوانب الخلق الدّاعية للتّفكّر [الآيات: 38 - 47]³، وهو نجم يتكوّن من عشر آيات.

النّجم الرّابع: في بيان ماهية الرّسل، وتوجيههم في منهج التّعامل مع أقوامهم [الآيات: 48 - 58]⁴، وهو نجم جعله العلواني من احدى عشر آية.

النّجم الخامس: في تفردّه بالعلم والقدرة المطلقتين الأزليّتين [الآيات: 59 - 67]⁵، وهو نجم جعله العلواني من تسع آيات.

النّجم السّادس: في بيان أحوال المستهزئين [الآيات: 68 - 73]⁶، وهو نجم يتكوّن من ستّ آيات.

النّجم السّابع: في قصّة سيّدنا إبراهيم عليه السلام والحجّة التي آتاها الله تعالى له على قومه لإثبات وجوده ووحدانيّته وعجزه، والمرج بين أدلّة الخلق والإبداع، وطروء النّقص على سائر الخلق لإثبات التّوحيد بكلّ مستوياته [الآيات: 74 - 90]⁷، وهو نجم يتكوّن من سبعة عشر آية.

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 332.

2 المرجع السّابق، ص: 339.

3 المرجع السّابق، ص: 355.

4 المرجع السّابق، ص: 360.

5 المرجع السّابق، ص: 365.

6 المرجع السّابق، ص: 367.

7 المرجع السّابق، ص: 370 - 371.

- النجم الثامن: في بيان أنّ الوحي حقّ [الآيات: 91 - 94]¹: وهو نجم يتكوّن من أربع آيات.
- النجم التاسع: في تفصيل معاني الألوهيّة والرّبوبيّة والاستدلال عليها بدليل الخلق ودليل العناية [الآيات: 95 - 105]²: وهو نجم يتكوّن من احدى عشر آية.
- النجم العاشر: في كذب دعاوى المشركين، وتوجيه التعامل معهم [الآيات: 106 - 117]³: وهو نجم يتكوّن من اثني عشر آية.
- النجم الحادي عشر: في بيان أحكام الأطعمة والذّبائح [الآيات: 118 - 121]⁴: وهو نجم يتكوّن من أربع آيات.
- النجم الثاني عشر: عودٌ إلى بيان قدرة الله المطلقة الدّاعية للتّفكّر وإخلاص الوجه له [الآيات: 122 - 135]⁵: وهو نجم يتكوّن من أربعة عشر آية.
- النجم الثالث عشر: في بيان ضلالات المشركين وتجرّئهم على تحكيم أنفسهم من دون الله في بيان الحلال والحرام [الآيات: 136 - 140]⁶: وهو نجم يتكوّن من خمسة عشر آية.
- النجم الرّابع عشر: في بيان نعم وأصناف الأنعام التي امتنّ الله تعالى بها على عباده [الآيات: 141 - 147]⁷: وهو نجم يتكوّن من سبع آيات.
- النجم الخامس عشر: في الدّعوة إلى الإيمان بحجّة الله البالغة في منح الإنسان حرّيّة الاختيار واثمّانه عليها، وأنّه لا جبر [الآيات: 148 - 153]⁸: وهو نجم يتكوّن من ستّ آيات.
- النجم السّادس عشر: في إنزال الكتب وعاقبة الإيمان أو الكفر بها [الآيات: 154 - 159]⁹: وهو نجم يتكوّن من ستّ آيات.
- النجم السّابع عشر: خاتمة السّورة في تلخيص أهمّ موضوعات السّورة من إثبات للرّسالة والألوهيّة،

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 373 - 374.

2 المرجع السّابق، ص: 389.

3 المرجع السّابق، ص: 395 - 396.

4 المرجع السّابق، ص: 402.

5 المرجع السّابق، ص: 405.

6 المرجع السّابق، ص: 413 - 414.

7 المرجع السّابق، ص: 418 - 419.

8 المرجع السّابق، ص: 423 - 424.

9 المرجع السّابق، ص: 430.

ودحض سائر دعاوى المشركين [الآيات: 160 - 165]¹: وهو نجم يتكوّن من ستّ آيات.

لقد حصر العلواني عدد آيات نجوم سورة الأنعام ما بين أربع وإحدى وثلاثين آية، وكنماذج لما تناوله العلواني في كلّ نجم، يستعرض الباحث التفسير التفصيلي لبعض نجوم سورة الأنعام، من خلال رصد ما ذكره المفسّر وحصره في نقاط مُستقلّة عن بعضها، وذلك للخروج برؤية واضحة حول مضمون تفسيره الموضوعي لمقاطع السّورة القرآنيّة في باب بيان المعاني، ومراعاته لترابط تلك النجوم فيما بينها، ومع محور السّورة، وقد وقع اختيار الباحث على النجوم التالية:

النموذج الأوّل: النجم الأوّل والنجم الثاني

أولاً: التفسير التفصيلي للنجم الأوّل في البدء بالحمد وقصّة الخلق²: خلاصة ما قاله العلواني في تفسير هذه الآيات الستّ هو: »

- هذه الآيات الستّ تُمثّل مقدّمة السّورة، وتُنبّه إلى عمودها وموضوعها الأساس، وتؤكد على أهميّته، وتستدلّ له، حيث وظّفت دليل الخلق لإثبات الخلق والرّبوبيّة والألوهيّة وصفات التّوحيد، وبيان ضلال أهل الشّرك وانحرافهم كلّهم.

- الظّلمات والنور حسّيان ومعنويّان، فالحسّيان كظلمة الليل والنّهار، والمعنويّان كالكفر والإيمان، والجهل والعلم، والظّلمات متعدّدة متنوّعة، والنّور واحد، والمسلمون مُطالبون بإحاطة أنفسهم بحالات النّور بأنواعها الحسيّة والمعنويّة.

- التّأكيد على أنّ الدّاء الأساس لأهل الشّرك والانحراف هو الغفلة والإعراض، والغفلة تكون عن حقيقة الرّبوبيّة والإعراض يكون عن آيات الله عزّ وجلّ، وهذا الدّرس الرّبانيّ لبيان كيف يُؤتى الإنسان من الشّيطان ليُصرف عن الإيمان.

- الجعل في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: 01] يُنبّه إلى التّدخّل البشريّ المنتظر من أولئك الذين يهتدون بكتاب الله، وبه يعدّلون، ولا تثريب على النّاس إذا نظروا إلى الحقيقة في إطار نسبّيّتهم دون غرور واستعلاء وادّعاء لامتلاك الحقيقة والإحاطة بها.

- من عادات القرآن أن يذكر الأمور المتقابلة، بدقّة وإعجاز ووجازة، كبيان بداية الحياة وبيان نهايتها، وبيان بداية الخلق ونهايته على مستوى الأفراد والأمم، بل على مستوى الخلق كلّ.

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 431.

2 يشير الباحث إلى أنّ العلواني يذكر ضمن التفسير التفصيلي لكلّ نجم تفسيراً له على ضوء الهدف العامّ للسّورة، وهذا الأمر بارز ضمن النجوم الأربعة التي استشهد بها الباحث، وموجود ضمن جميع نجوم السّور التي فسّرها باستثناء سورة الفاتحة.

- مع وضوح الدلائل وظهور الحجج، أهل الشكّ كلّهم يشكّون في الخلق وبدايته، ويشكّون في الله ووحدانيته، ويشكّون في أصل الخلق ونهايته، وفي البعث وكيفيته، وفي الآجال التي أجلها الله للأفراد والأمم وفي الحياة الدّنيا.

- الجحود والمكابرة أسباب تحول بين قوى الوعي وإدراك الدّروس والعبر من مصائر القرون السابقة، مصير الجاحدين المكابرين أنفسهم.

- هذه الآيات السّت مُقدّمة لتهيئة البصائر والعقول لفهم ما يأتي من آيات بعدها»¹.

ثانياً: المناسبة بين النّجم الأوّل وبين عمود سورة الأنعام: أوضح طه جابر العلواني أنّ النّجم الأوّل يُنبّهنا إلى عمود السّورة وموضوعها الأساس، فقال: «وعند نهاية هذه الآية السادسة، نجد أنفسنا أمام نهاية قسم يُمثّل مُقدّمة السّورة، ويُنبّهنا إلى عمودها وموضوعها الأساس، ويؤكد على أهميته، ويستدلّ له، فيوظّف دليل الخلق لإثبات الخلق والرّبوبيّة والألوهيّة وصفات التّوحيد، ويُبيّن ضلال أهل الشّرك وانحرافهم، ويُشير إلى أنّ داءهم الأساس يكمن في غفلتهم وإعراضهم، وأنّ هذه الغفلة هي التي تُهيئهم لإنكار ما هو بدهي في الحقّ ...»²، ووجه الترابط هو توظيف دليل الخلق الذي ورد في النّجم الأوّل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: 01] لمناقشة وردّ حجج وشبهات المشركين الواردة في النّجم الثاني لإثبات صدق وإعجاز الرّسالة، بما يُثبت التّوحيد الخالص الذي هو محور السّورة.

ثالثاً: التفسير التفصيلي للنّجم الثاني في إثبات صدق وإعجاز الرّسالة، وردّ سائر الشّبهات عنها: عند تفسير النّجم الثاني، وفي سياق تفسير آياته، ذكر العلواني النّقاط التّالية: «

- لا ينبغي الالتفات إلى ما يُثار من مزاعم التشكيك بالقرآن الكريم مصدر الرّسالة وكتابها.
- القرآن الكريم هو مصدر الهداية، وكاشف لطرائق الذين كفروا في استقباله، ومُخبر لهم بعواقب كفرهم، فسن الله لا تتحوّل ولا تتبدّل، ويوم القيامة لا ريب فيه.
- أهل الكتاب ظالمون مُفترّون على الله الكذب، وأهل الكفر مُعاندون جاحدون لا يهتمّهم التّحقّق والتّثبت، بل كلّ ما يهتمّهم إشغال أهل الحقّ والسّخريّة بهم ومنهم، والعاقبة واحدة لأهل الصّدود والإعراض والسّخريّة والعناد والتّفور والاستكبار والصّدّ عن الحقّ والمكر بأهل الإيمان والغفلة والظلم والافتراء.

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 332 - 338. باختصار.

2 المرجع السابق، ص: 338.

- أغراض نزول الملائكة ليست الشّهادة بأنّ هذا القرآن حقّ، وأنّ رسول الله ﷺ صادق، بل نزولهم مرتبط بأغراض أخرى، ولا إنظار بعده ولا إمهال ولا بشرى يومئذ للمجرمين.
- دعوة المشركين إلى السّير في الأرض والنّظر بعيونهم وعقولهم في عاقبة المكذّبين، والاعتبار بمصيرهم، وبما تركوه بعدهم، وبقرامهم الخاوية على عروشها، والحذر من تلك العاقبة غير البعيدة عنهم.
- كلّ ما في الكون ملك لله الخالق الذي يُسيّر الكون بقوانين وسنن، وليس بالرّغبات، والرّسول لا يكون إلّا من جنس قومه، وليس أمام النّاس إلّا التّكذيب فتكون العاقبة مثل عاقبة المكذّبين من قبلهم، وإمّا الإيمان فتكون العاقبة الحياة الطّيبة في الدّنيا، والجزاء الحسن في الدّار الآخرة.
- القرآن شاهد على أنّ محمّد رسول ﷺ، ولا يُمكن التّشكيك بشهادته ولا الطّعن فيها، والرّسول بريء من الشّرك والمشركين براءة تامّة.
- الكتّابيون يعرفون أنّ محمّداً ﷺ رسول الله كما يعرفون أبناءهم، وضلالهم ليس بأقلّ من ضلال المشركين، وجميعهم ظالمون لن يُفلحوا ولن ينتصروا؛ لا في الدّنيا ولا في الآخرة.
- الاستماع للقرآن بإعراض ولعب وقلوب لاهية سبب للحرمان من فقهه وفهمه، ومن السّفه مواجهة الحقائق الكبرى التي جاء بها رسول الله ﷺ بالإنكار والتّكذيب، ولهذا كان مصير السّفهاء النّار والعياذ بالله.
- جميع آيات الكتاب الكريم، والأحاديث النّبويّة التي ارتبطت بالسّاعة؛ أكّدت أنّ السّاعة تأتي بغتة، وأشراط السّاعة لن تحدث إلّا يوم القيامة.¹
- أهل الكفر هبطوا في حياتهم الدّنيا إلى مستوى الأنعام، وإلى مستوى الدّواب.
- جميع الأمور السّابقة يجب الوقوف عندها، وعدم مجاوزتها بأيّ حال من الأحوال، وإلّا تضطرب الرّؤية، وتختلّ العقيدة، وتختار العقول، وتتفكّك الأمّة، وتتجارى بها الأهواء، فالأمّة الإسلاميّة لديها من الأزمات ما يكفيها وليست بحاجة إلى مزيد من ذلك.
- الذين شغلوا الأمّة بأحاديث الفتن، وأشراط السّاعة، قبلوا فيها الحديث الموضوع والضعيف والمعلول وصحّحوه، واستغلّوا ظروف الأمّة والفتن التي مرّت بها، وهم مُتعلّمون مُفسّرون لتلك الأحداث، ولم يُعالجوا أمراض الأمّة، ولا هم شكّلوا فيها الدّافعيّة نحو التّغلّب على حالتها، بل زادوا

1 كتب أشراط السّاعة وعلاماتها ومُقدماتها تنفي -حسب العلواني- صفة المفاجأة عن يوم القيامة بحيث لا يُصبح بغتة، وهي كتب مخالفة لما ورد في القرآن الكريم، ومصادمة للبعثة ومفهومها، وما استدلّ به أصحابا ظنيّة الثبوت ظنيّة الدلالات، أو قابلة للتأويلات، مثل ما ورد عن نزول المسيح ﷺ، وخروج المهديّ، وما إلى ذلك. ينظر: طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 349 - 350.

- من يأسها واستسلامها وإيهامها بأنّ كلّ ما يحدث إنّما هو قدر مقدوراً لا رادّ له ولا دافع له.
- الأحاديث الصّحيحة التي تناولت الفتن، والهرج، والحروب، معاداة الأمم الأخرى، واجتماعها ضدّ هذه الأمة، إنّما هي تحذير من السقوط في أحوال تؤدّي إلى ذلك في غالبها.
- الأحاديث الواردة في التّجديد لدفع اليأس عن قلوب المؤمنين، وإعطائهم الآمال التي تُقوّي الدّافعية لديهم للتّجديد والإصلاح والجدّ والاجتهاد والجهاد في سبيل الله.
- الأمور التي تتعلّق بالعتيدة والرّؤية الكلّية لا تُؤخذ إلّا من يقينيّات القرآن وقطعيّات آياته وسوره، وإلّا فإنّ معتقدات الأمة ورؤيتها سوف يُصيبها الدّمار والخراب.
- آيات النّجم الثّاني تدور حول القرآن الكريم مصدر الهداية، تُجادل عنه، وتردّ شبهه المشركين المثارة عليه، وتُنبّه إلى صدقه وعظمته وقدراته المتنوّعة على إخراج البشريّة من الظّلمات إلى النّور».¹
- رابعاً: المناسبة بين النّجم الثّاني وبين عمود سورة الأنعام:** اختتم طه جابر العلواني تفسير النّجم الثّاني بقوله: « فنرى أنّ الآيات كلّها -من السّابعة إلى السّابعة والثلاثين- تدور حول القرآن الكريم مصدر الهداية، تُجادل عنه، وتردّ شبه المشركين المثارة عليه، وتُنبّه إلى صدقه وعظمته وقدراته المتنوّعة على إخراج البشريّة من الظّلمات إلى النّور»²، ومجادلة المشركين ومناقشة شبهاتهم المثارة، وتفنيدها وإسقاطها بإثبات صدق القرآن الكريم، عمود سورة الأنعام كما تقدّم بيانه.
- خامساً: المناسبات بين النّجمين الأوّل والثّاني في سورة الأنعام:** عن المناسبة بين النّجمين الأوّل والثّاني من سورة الأنعام، يقول طه جابر العلواني: « وهذا القسم المؤلّف من ستّ آيات مُقدّمة لكلّ ما سيأتي في السّورة من أقسام أخرى، نجد عند التدبّر أنّه أُشير إليها في هذه المقدّمة لتهيئة البصائر والعقول لفهم ما يأتي من آيات إن شاء»³، وقال: « يتكوّن النّجم الثّاني -على ما يبدو لنا- من نجوم هذه السّورة المباركة، من ثلاثين آية من آياتها⁴، تبدأ بالآية السّابعة: ﴿وَلَوْزَلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قُرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِسْحَرُومٌ﴾ [الأنعام: 07] وقد اشتملت على كشف سُخريّة أولئك المشركين واستهزائهم، وعدم جدّيّتهم في كلّ ما تناولوه»⁵، واستهزاء المشركين ذكر في

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 332 - 355.

2 المرجع السّابق، ص: 355.

3 المرجع السّابق، ص: 332 - 355.

4 الصّواب أنّها - كما أثبتّه الباحث - إحدى وثلاثون آية، من الآية رقم: 07 إلى الآية رقم: 37.

5 المرجع السّابق، ص: 340.

قوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَتُهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأنعام: 05] من النّجم الأوّل، فهذا وجه من أوجه الرّبط بين النّجمين ذكره العلواني.

النّموذج الثّاني: النّجم التّاسع والنّجم العاشر

أولاً: التفسير التفصيلي للنّجم التّاسع في تفصيل معاني الألوهيّة والرّبوبيّة والاستدلال عليها بدليل الخلق ودليل العناية: عند تفسير آيات النّجم التّاسع، ذكر العلواني النّقاط الثّالية: »

- عرض قضيّة الألوهيّة والرّبوبيّة، وتعريف البشر بإلههم وربّهم ﷻ من خلال استقطاب قوى الوعي الإنسانيّ كلّها وجعلها في حركة دائبة.

- التّركيز على محوري الطّبيعة والكون المسخّر، ومحور الإنسان نفسه لمعرفة الله المدبّر والمسخّر.

- الموت والحياة خلق من خلق الله، وتقديم ذكر الموت على الحياة لأنّه الأصل للحياة، وكلاهما يتداولان الإنسان والطّبيعة، وبداية ونهاية كلّ منهما، فلا مجال لإنكار الموت أو تجاهله.

- غريب عدم اكتشاف الإنسان آيات الله في صنّعه الذي أحسن كلّ شيء خلقه، والأغرب منه؛ موقف انصراف المشركين عن الله ﷻ نحو المجهول وغياهب الجهل والشّرك وظلمات الإنكار.

- اللّيل والنّهار دليلان عقليّان على وجود الصّانع المدبّر المتعال، المنشئ كلّ شيء من العدم، وجاعل دورة الحياة، وهو وحده ﷻ المستحقّ للعبادة.

- نعم الله ورعايته لخلقه آيات لقوم يؤمنون بالله واليوم الآخر، تزيدهم هدى ويقيناً، وطمأنينة بالإيمان.

- المشركون جعلوا لله شركاء من الجنّ (جنّ وملائكة وشياطين) وخرقوا له بنين وبنات حتّى يُسوّغوا لأنفسهم رفض التّوحيد والشّرك بالله.

- الله ﷻ منزه عن اتّخاذ الصّاحبة والولد، ولو كانت به حاجة للولد لاصطفى ممّا يخلق ما يشاء.

- التّأكيد على أنّ الخلق كلّّه هو خلق الله المستحقّ للعبادة والتّعظيم، وما على الرّسول إلّا البلاغ، وتكرار الأحداث في القرآن لتنزيل التّشريع مظنة رقة القلوب للإيمان وهدايتها.

- ضحايا الفساد يستقبلون المنهج القويم بشوق، ففيه خلاصهم دنيا وآخرة، والمستفيدون من الفساد فيهم معارضة للمنهج لأنّه يُجفّف منابعهم.

- كلّ صاحب دعوة سماوية يؤاّجه من طرف الأعداء والمجرمين، فيُفتنّ النّاس بهم إلّا المؤمنون الصّادقون، لذا كان تمييز الحبّيث من الطّيّب سنّة إلهيّة مُستمرّة¹.

1 ينظر: طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 389 - 395.

ثانياً: المناسبة بين النجم التاسع وبين عمود سورة الأنعام: لم يأت العلواني على ذكر مناسبة هذا النجم مع عمود سورة الأنعام، ولعل سبب ذلك - فيما يرى الباحث - موضوع هذا النجم، والذي هو في تفصيل معاني الألوهية والربوبية والاستدلال عليها بدليل الخلق ودليل العناية، وهو موضوع لصيق شبيه بعمود سورة الأنعام المتمثل في التوحيد الخالص، فكان هذا النجم مفصلاً لأنواع التوحيد مُستدللاً لها، فالنجم التاسع ومحور السورة في موضوع واحد.

ثالثاً: التفسير التفصيلي للنجم العاشر في كذب دعاوى المشركين، وتوجيه التعامل معهم: عند تفسير آيات النجم العاشر، ذكر العلواني النقاط التالية: »

- صدور الأمر العلوي للنبي الكريم ﷺ باتباع ما أوحى إليه، والإعراض عن المشركين، فلا يحفل بهم ولا يحفل بما يقولون من قول مُتهافت.

- نهي المؤمنين عن الهبوط عن المستوى الأخلاقي العالي، وترك سب آلهة المشركين درءاً لمفسدة سب الله ﷻ من طرف المشركين، وتزكية للمؤمنين، فالسبب غير متكافئ، والعباد غير مُتكافئين، فأين الله من آلهتهم؟ وأين هم من المؤمنين؟

- بغض عمل الإنسان شيء وبغض ذاته شيء آخر، ولا بد من التفريق بينهما، فالمسلم يدعو الكافر للهداية، ويدعو له بها، ويُريد الخير للجميع، ويريد أن يخرجهم من الظلمات إلى النور، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدَوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: 108] تصلح أن تكون أساساً للتسامح وقبول الآخر وحسن التعامل معه، بل واحترامه.¹

- الشيطان هو من زين للمشركين أعمالهم على الحقيقة، وتزيين الله الوارد في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ زَيَّنَ لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ [الأنعام: 108] إنما هو بترك حفظهم وعدم توفيقهم للهدى.

- عدم اغترار المؤمنين بمزاعم الكفار لأتهم غير جادّين، ويُريدون إسلاماً وإيماناً مُفصلاً على

1 قال البغوي (توفي: 516هـ) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدَوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ كَذَلِكَ زَيَّنَ لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ تَرْجِعُهُمْ فَيُنْشِئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ [الأنعام: 108] فظاهر الآية، وإن كان نهيًا عن سب الأصنام، فحقيقته النهي عن سب الله، لأنه سبب لذلك. البغوي، معالم التنزيل، مرجع سبق ذكره، ج3، ص: 176.

وقال ابن كثير (توفي: 774هـ): يقول الله تعالى ناهياً لرسوله ﷺ والمؤمنين عن سب آلهة المشركين، وإن كان فيه مصلحة إلا أنه يترتب عليه مفسدة أعظم منها، وهي مقابلة المشركين بسب إله المؤمنين، وهو: الله لا إله إلا هو. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سبق ذكره، ج6، ص: 132.

ويقول الباحث: فظاهر علّة النهي هي تقديم درء مفسدة سب الله على جلب منفعة سب آلهة المشركين، ولا يظهر منها ما ذهب إليه العلواني من جعلها أساساً للتسامح وقبول الآخر وحبّه واحترامه، فليس في الآية دليل على هذا. والله أعلم.

أهوائهم، ويتّسع لكلّ رغباتهم وشهواتهم.

- نزعة معاداة الأنبياء نزعة مُشتركة بين المشركين وشياطين الجنّ، وحقيقتها تردّد في عذابات الضلال والحيرة في الحياة الدّنيا، وثمرتها عذاب النّار في الآخرة، وكلّ من شياطين الجنّ وشياطين الإنس يوحى بعضهم لبعض زخرف القول لمجادلة المؤمنين، ومن يُطيعهم فهو منهم.

- هناك فرق بين ما ذُكر اسم الله عليه وما لم يُذكر اسم الله عليه في حقيقة الذّبح واللّحم، فالأوّل طعام حلال والآخر رجس من عمل الشّيطان حرام، وعدم تحرّز المؤمنين وتقصيرهم في تحقيق أمنهم الغذائيّ فسق ديني، وخطر حقيقيّ على البلد والتّدين، أو الدّين والأمة، إضافة إلى الصّحة وتحقيق الأمن الغذائيّ.

- الله ﷻ هو الحكم بين أهل الإيمان وأهل الكفر من مشركين وكتّابين، وأكثر أهل الأرض على الباطل، وهم دعاة زيغ وضلال.

- ألفاظ القرآن المجيد مفاهيم كبرى، لا تداخل بينها ولا تعميم، وشهادة الله لرسوله أنّه على الهدى المبين كافية مُغنية عمّا سواها¹.

رابعاً: المناسبة بين النّجم العاشر وبين عمود سورة الأنعام: لم يأت العلوانيّ على ذكر مناسبة هذا النّجم مع عمود سورة الأنعام، ولعلّ سبب ذلك -فيما يرى الباحث- موضوع هذا النّجم، والذي هو في تفصيل معاني الألوهيّة والرّبوبيّة والاستدلال عليها بدليل الخلق ودليل العناية، وهو نفس موضوع عمود سورة الأنعام المتمثّل في كذب دعوى المشركين وتوجيه التّعامل معهم، فكان هذا النّجم كاشفاً لدعوى المشركين وموجّهاً لكيفيّة التّعامل معها مُناقشةً وردّاً ودرءاً، فالنّجم العاشر ومحور السّورة في موضوع واحد كذلك.

خامساً: المناسبات بين النّجمين التاسع والعاشر في سورة الأنعام: استهلّ العلوانيّ تفسير النّجم العاشر بقوله: « هنا يصدر الأمر العلويّ للنّبيّ الكريم ﷺ وقد صرّف الله الآيات، فافترق الله في مواجهتها² »، وهذا الأمر في النّجم العاشر صدر بناءً على ما سبق في النّجم التاسع، وقد قام العلوانيّ بالإحالة باسم الإشارة "هنا" للإشارة إلى الزّمان³، أي بعد نهاية النّجم التاسع وبداية النّجم

1 ينظر: طه جابر العلوانيّ، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 395 - 401.

2 ينظر: المرجع السابق، ص: 396.

3 للمزيد ينظر: ابن مالك، شرح تسهيل الفوائد، تحقيق: عبد الرّحمن السيّد وغيره، (ط01، هجر للطباعة والنّشر القاهرة، مصر، 1410هـ - 1990م)، ص: ج01، ص: 250.

العاشر جاء مباشرة أمر الله ﷻ للنبي ﷺ، و«الإحالة من وسائل السّبك، وهي تؤدّي إلى الالتحام النصّي من النّاحية المفهوميّة»¹، أي أنّها تربط الكلام اللاحق بسابقه، و«علاقة الرّبط وظيفتها إنعاش الذاكرة لاستعادة مذكور سابق بواسطة إحدى الوسائل اللفظيّة التي تُعين على الوصول إلى هذه الغاية»²، ومن خلال هذا بيّن العلواني ترابط النّحامين التّاسع والعاشر بتوظيف اسم الإشارة "هنا"، وأوضح وجود ترابطين بين النّحامين التّاسع والعاشر؛ الرّبط الدّلاليّ البنيويّ، والرّبط الدّلاليّ الإحاليّ، وهذا يمدّ جسور الاتّصال بين الأجزاء المتباعدة في النصّ.³

استنباط هدايات سورة الأنعام وربطها بواقع الأمة: لم يضع العلواني عنواناً خاصّاً لسرد هدايات الآيات القرآنيّة كما صنع بعض المشتغلين بالتفسير الموضوعي، ولكن هذا لا يعني خلوّ تفسيره من ذكر هدايات المقاطع وهدايات السّورة، فهو اختار أن يختم تفسير كلّ نجم بما يشبه عرض النّتائج والاستنتاجات، وقد يُعنون له بعنوان:

أ- الدّروس المستخلصة: كما صنع عند إنّهائه تفسير النّجم السّابع عشر من سورة الأنعام، حيث عرض هدايات هذا النّجم التّالية: «

01- الكتب الفقهيّة التزمت أطر موضوعيّة تعتمد وضع الآيات في إطارها الموضوعي، مثل كتاب الطّهارة، وكتاب الصّلاة وما إلى ذلك، أمّا القرآن المجيد فإنّه يجمع دائماً بين الأشباه والنظائر في إطار من التذكير بالعقيدة، وبصفات الله ﷻ الملائمة لما يعرض له، وبيان سلامة تشريعات القرآن وقوّتها ومتانتها، مع بعض الإشارات إلى تشريعات المخالفين.

02- الخطاب التشريعيّ القرآنيّ يربط التّشريعات بمآلاتها ونتائجها، فتبتعد عن الشّكليّة والانشغال بصور الأعمال وهيئاتها وأشكالها عن آثارها ومآلاتها، لا في الدّنيا، بل في الآخرة كذلك، والخطاب الفقهيّ القرآنيّ يجعل العقيدة حاضرة باستمرار في كلّ شيء، كما يجعل المال ماثلاً أمام أنظار المكلفين.

03- الخطاب القرآنيّ التشريعيّ يهتمّ بكليات أساسيّة، أهمّها: التّوحيد، والتّزكية، وال عمران.

04- لا يفصل الخطاب التشريعيّ القرآنيّ بتلك الفواصل الحادّة -التي عرفتها كتب الفقه والقانون- بين فقه الفرد وفقه الجماعة وفقه الأمة، بل يجمع بينها، بحيث يجعل كلّ منها يشدّ عضد الآخر.

1 ينظر: روبرت دي بوجراند، النّص والخطاب والإجراء، ترجمة: تمام حسان، (ط01، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1418هـ - 1998م)، ص: 327.

2 تمام حسان، البيان في روائع القرآن، (ط02، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1420هـ - 2000م)، ج01، ص: 128.

3 ينظر: الأزهر التّناد، نسيج النّص، (ط01، المركز الثقافيّ العربيّ، بيروت، لبنان، 1993م)، ص: 121-122.

05- يربط الخطاب التشريعي القرآني بين التربية النفسية والتنشئة والحكمة في التنزيل على الواقع بمنهج مُتماسك، يجعل من الصّعب إيجاد الفواصل بينها، كذلك الفواصل التي عرفتھا الأساليب القانونية والفقهية في هذا المجال.

06- الخطاب التشريعي القرآني يُنبّه القارئ المتدبر الفقيه إلى ما يُمكن أن يمتدّ عبر الزّمان، بحيث يكون ما ذكره القرآن بمثابة بداية مفتوحة، تُعطي للمجتهدين المتدبرين الفرصة للبلوغ بها إلى غايتها.

07- الخطاب التشريعي القرآني لا يقتصر على بيان تقييمه للفعل الإنساني، ووضعه في دائرة الحرام أو الواجب أو المنهي عنه أو المأمور به، لكنّه يُبيّن كثيراً من جوانب علاقته بتحقيق الحياة الطيبة في الحياة الدنيا والعاقبة الحسنة في الدّار الآخرة.

08- البحث فيما يُمكن أن تُسمّيه "فقه القرآن الكريم" أمر في غاية الأهمية لا بدّ من ممارسته وبناء أصوله وإقامة العملية التعليمية للفقه والأصول خاصة على قواعده.

09- الكلمة أو المفردة في القرآن الكريم هي بمثابة "اصطلاح إلهي رباني"، فالله قد ضبط دلالات الألفاظ على المعاني، وفصل الكتاب على علمه، فلا زائد ولا مشترك ولا مترادف ولا تورية، فالمفردة محكمة في آية محكمة وسورة محكمة وفي كتاب حكيم¹.

ب- إيراد خاتمة لتفسير السّورة: حيث قام بعرض هدايات سورة الأنعام ككل، فقال: »

01- سورة الأنعام تُقدّم لنا دروساً في حركة التّاريخ والأُمم، وعلاقة ما يُعرف "بنظرية التّداول" فيها، وتُبيّن ضرورة الرّبط بين نهوض الأُمم وتراجعها، وسيادة الحضارة وأفولها بمنظومات القيم، ليس القيم الخاصّة التي تبتكرها بعض الأُمم والشّعوب لنفسها، بل القيم الإنسانيّة التي تُغذي نفسها بعوامل الاستمرار والبقاء، بل النّمّو والدّوام، مثل قيم العدل، والحرية، وتكريم الإنسان، وغيرها.

02- الأُمم التي تُحافظ على القيم الإنسانيّة القرآنيّة تضع نفسها على صراط مستقيم من السّنن الاجتماعيّة والكونيّة، والتي تُمدّها على الدّوام بالخلايا المحدّدة لحياتها وحيويّتها وفاعليّتها.

03- سورة الأنعام هي سورة التّوحيد أو العقيدة، ففيها تمّ تفصيل أركان وقواعد التّوحيد أحكاماً وتفصيلاً مع التّدليل والتّعليل، بعيداً عن ذلك التّجريد الجاف الذي تعرض كتب علم "الكلام والعقائد" القضايا الاعتقاديّة به، وتولّت الرّدّ الحاسم على سائر شُبّهات الكفّار.

04- سورة الأنعام بيّنت صدق دعوة رسول الله ﷺ، وأمانته فيما بلّغهُ عن ربّه، وحرصه على هداية النّاس كافّة دون تمييز، وتأيد الله ﷻ له، وعنايته بإقامته على الطّريق المستقيم، وتحذيره الدّائم

1 ينظر: طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 433 - 436. باختصار.

المستمر لئلا يُحزنه ما يقوله المشركون عنه وفيه.

05- حجة إبراهيم عليه السلام البالغة على قومه المشركين من أهل الأوثان كانت بجمعه بين القراءتين، وبذلك قدّم لنا عليه السلام منهج الجمع بين القراءتين في إطار البحث عن العقيدة الصحيحة، فهو بحث في الكون ثم اتجه إلى الخالق ليُسدده ويُعينه في بحثه.

06- جميع الأنبياء عليه السلام كانوا على الهدى، ورسول الله ﷺ مأمور بأن يهتدي بهداهم، لأنه ليس بدعاً من الرسل.

07- التفصيل في قصة النبي موسى عليه السلام مع ذكر أسماء بعض الأنبياء دون ذكر قصصهم، تنبيه لأمة محمد لئلا تسلك سبيل اليهود الذين انحرفوا عن رسالة الله وشريعته.

08- سورة الأنعام نموذج لأسلوب القرآن البليغ، الجامع بين قدرات الإقناع وطاقات التأثير -إقناع العقول، والتأثير في القلوب، واستثارة الوجدان، وإنعاش الفطرة وهيئتها للاتصال بالقرآن- بعيداً عن كل ما يثيره الجدل أو آثاره، وتدريسها لتعليم التوحيد والعقيدة، وطبائع الاجتماع، وملكات الأخلاق، فيه خير الإسلام والمسلمين، وأكثر توفيقاً من تدريس غيرها من الكتب الجوفاء التي تُثير الشبهات.

09- مشركو العرب أشركوا في الألوهية ولم يُجادلوا كثيراً في الربوبية، لكن التوحيد لا يمكن إلا أن يكون كاملاً، فلا يكون هناك شرك أو إشراك؛ لا في الألوهية ولا في الربوبية، فلا يُغني التوحيد في الربوبية عن التوحيد في الألوهية ولا العكس.

10- سبب إيراد قصة إبراهيم عليه السلام في سورة الأنعام هو التوضيح لأولئك العرب الذين كانوا يزعمون أنهم على ملة إبراهيم أنهم على ملة قوم إبراهيم وليس ملة إبراهيم عليه السلام، من خلال بيان جدال إبراهيم لقومه الذين كانوا مشركين يعبدون الكواكب، ويصوّرون لكل كوكب صنماً، مُسوِّغين لأنفسهم تلك العبادة بشقّ المسوّغات، أي كما فعل المشركون مع رسول الله ﷺ.

11- سورة الأنعام تعرّضت للركن الثاني من أركان العقيدة، ألا وهو حجج الوحي والرسالة، فهناك أدلة ساقها الله ﷻ على الوحي وعلى نزول القرآن على سيدنا محمد ﷺ مع أدلة التوحيد¹، فجمع من خلالها بين الاحتجاج للتوحيد والاستدلال عليه.

12- العلم الذي يمنّ به الله على رُسله علم مُوحى منه ﷻ لُطفاً منه وتفضلاً، وهو غير مكتسب، ولذلك فإنّ النبي لا يُرشّح نفسه، ولا يدري قبل النبوة أنّ الله قد اصطفاه، ولا يسعى

1 الأدلة هي: ذكر أهمّ الرسل والأنبياء، بيان معنى الرسالة، موضوع الوحي والأدلة عليه، ووظائف الرسل، ردّ الشبهات، بشرية الرسول ﷺ، وغيرها. ينظر: طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 441.

لذلك، بل يصطفيه الله اصطفاءً، فيُوحى إليه ما يشاء، بواحد من الطّرق التي ذكرها الله ﷻ في قوله:

﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ مُّبِينٌ ﴾ [الشورى: 51].

13- مُهِمَّة النَّبِيِّ تعليم النَّاس ما يوحى إليه، وتلاوته، وتركيتهم، وبيان ما قد يختلفون به، وهداية قومه للحقّ المبين¹.²

توظيف مدخل الجمع بين القراءتين: رغم أنّ طه جابر العلواني في الخاتمة ومن خلال النّجم السّابع في قصّة سيّدنا إبراهيم ﷺ والحجّة التي آتاها الله تعالى له على قومه لإثبات وجوده ووحدانيّته ﷻ، والمزج بين أدلّة الخلق والإبداع، وطروء النّقص على سائر الخلق لإثبات التّوحيد بكلّ مستوياته، ذكر أنّ حجّة إبراهيم ﷺ كانت بالغة، وقد جمع فيها ﷻ بين القراءتين، ليقدم لنا منهجاً في مدخل الجمع بين القراءتين في إطار البحث عن العقيدة، إلّا أنّه لم يُطبّق هذا المدخل خلال تفسيره لسورة الأنعام.

المطلب الثاني: التفسير الموضوعي للموضوع القرآني عند طه جابر العلواني

يُعدّ تحديد موضوعات مُعيّنة وجمع الآيات القرآنيّة التي تشترك في بيانها والحديث عنها، ومن ثمّ دراستها وفق المنهجية الموضوعية مسلكاً سلكه طه جابر العلواني في تفسيره مع عدّة موضوعات قرآنيّة، وقد استقرأ الباحث في مبحث سابق مجموعة من القواعد المبنوثة في كتب التفسير الموضوعي، يُمكن اعتبارها مقوّمات مُشتركة بين المفسرين تعكس منهجية تقوم عليها دراسة الموضوع القرآني، وعليه سידرس التفسير الموضوعي للموضوع القرآني عند طه جابر العلواني من خلالها، وسيقوم بدراسة مدى تطبيقه لهاته المقوّمات من خلال عرض نماذج لموضوعات قرآنيّة مُختلفة من تفسيره.

رأي العلواني في دراسة الموضوع القرآني: لم يجعل العلواني تفسيره قائماً على الناحية الموضوعية كما ذهب إليه بعض المشتغلين بالتفسير، ولكنّه أكّد أنّ التفسير الموضوعي (للموضوع القرآني) نوع من أنواع التفاسير المهمة ولا شكّ، والمقرّبة إلى تفسيره ولا شكّ كذلك، فمرحلة النّظر الموضوعي يصعب أن يتخطّاها معنى تدبّر القرآن الكريم وتأمله³، وبهذا كشف العلواني موقفه من دراسة الموضوع

1 لم يذكر العلواني من مهام النبي التي سبق ذكرها عند عرض موقفه من السنّة النبويّة: التبليغ، والبيان، والنّصح، وتعليم الاتّباع، وتعليم الاقتداء به، وتعليمهم التّأسي به، والهيمنة.

2 ينظر: طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 438 - 443.

3 ينظر: المرجع السابق، ص: 44.

القرآني في تفسيره، فتفسيره لن يكون قائماً على تتبع الموضوعات القرآنية والربط بين الآيات التي تتعلق بكل موضوع بعد جمعها، وما إلى ذلك حتى يوضح معانيها، ولكن مرحلة النظر الموضوعي يصعب تخطيطها -حسبه-، أي سيتخلل تفسيره النظر في بعض الموضوعات القرآنية والتعرض لها بحسب ما يراه هو ضرورياً يخدم تفسير السورة، أو مناسباً يكشف الوحدة البنائية للقرآن.

دراسة تفسير الموضوع القرآني عند طه جابر العلواني: من بين حالات عدم تخطي العلواني لمرحلة النظر في الموضوع القرآني، يُورد الباحث النماذج التالية:

النموذج التطبيقي الأول: وذلك عند تفسير الآية رقم: (102) من سورة البقرة، وهي قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَزَّلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مَلِكٍ سُلَيْمَنٌ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لِمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَكَّرُوا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [البقرة: 102].¹

قبل تفسير هذه الآية رقم: (102) من سورة البقرة عن السحر وحقيقته، وحقيقة التلبس بالجان، قال طه جابر العلواني: »

1 عن عمران بن الحارث قال: بينما نحن عند ابن عباس إذ قال: إنّ الشياطين كانوا يسترقون السمع من السماء، فيجيء أحدهم بكلمة حق فإذا جرّب من أحدهم الصدق كذب معها سبعين كذبة فبشر بها قلوب الناس، فاطّلع على ذلك سليمان، فأخذها فدفنها تحت الكرسي، فلما مات سليمان قام شيطان بالطريق فقال: الا أدلكم على كنز سليمان المنيع الذي لا كنز له مثله قالوا: نعم، قال: تحت الكرسي، فأخرجوه، فقالوا: هذا سحر. فتناسخته الأمم، فأنزل الله عذر سليمان ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَزَّلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مَلِكٍ سُلَيْمَنٌ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ﴾ وقال الكلبي: إنّ الشياطين كتبوا السحر والتارنجيات على لسان آصف: هذا ما علم آصف بن برخيا الملك، ثم دفنوها تحت مصلاة حين نزع الله ملكه، ولم يشعر بذلك سليمان؛ ولما مات سليمان استخرجوه من تحت مصلاه، وقالوا للناس: إنّما علم ملككم سليمان بهذا فتعلموه، فأما علماء بني إسرائيل فقالوا: معاذ الله أن يكون هذا علم سليمان، وأما السفلة فقالوا: هذا علم سليمان، فلم تزل هذه حالهم حتى بعث الله محمداً ﷺ، وأنزل الله عذر سليمان على لسانه وأظهر براءته مما زُيّم به فقال: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَزَّلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ الآية. وقال السدي: إنّ الناس في زمن سليمان اكتتبوا السحر فاشتغلوا بتعلمه، فأخذ سليمان تلك الكتب وجعلها في صندوق فدفنها تحت كرسيه ونهاهم عن ذلك، ولما مات سليمان وذهب الذين كانوا يعرفون دفنه الكتب، فتمثل شيطان على صورة إنسان فأتى نفراً من بني إسرائيل وقال: هل أدلكم على كنز لا تأكلونه أبداً؟ قالوا: نعم، قال: فاحفروا تحت الكرسي فحفروا فوجدوا تلك الكتب، فلما أخرجوها قال الشيطان: إنّ سليمان ضبط الجن والإنس والشياطين والطيور بهذا، فاتخذ بنو إسرائيل تلك الكتب، فلذلك أكثر ما يوجد السحر في اليهود، فبرأ الله ﷻ سليمان ذلك، وأنزل هذه الآية. الواحدي، أسباب النزول، مصدر سبق ذكره، ص: 31 - 33. والسيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، مرجع سبق ذكره، ص: 233 - 235.

- هذه الآيات وردت في معرض الخاتمة لعرض المسار الإسرائيلي، وبيان انحرافات بني إسرائيل، ومنها تجاوز ما جاءهم به موسى وأنبياءهم، وأتباعهم ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان، وكان ذلك إيذاناً بأنهم قد صاروا حالة ميؤوساً منها، وأن مصيرهم النسخ والاستبدال.

- ذلك يقتضي ممّا أن نقف على هذه الآية لبيان ما فيها من أحكام، لأنّ أمّتنا كما ابتليت بمتابعة بني إسرائيل فيما يمكن أن نسميه بالقراءة الحماريّة للكتاب، ابتليت بتصديق الشياطين وتأثيرها والجنّ وتلبّسها.

- انتشار السحر اليوم في بلاد المسلمين أكبر بكثير ممّا هو عند اليهود وغيرهم، وبعض السحرة أسسوا فضائيات يتحدثون فيها عن السحر حلاً وربطاً وما شاكل ذلك من دجلهم وأكاذيبهم¹.

أولاً: اختيار عنوان الموضوع القرآني: حقيقة السحر²

ثانياً: جمع الآيات التي تخدم الموضوع: جمع العلواني في هذا الموضوع خمساً وثلاثين آية من واحد وعشرين سورة قرآنية، وهي كما يلي:

- ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِجَابُهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ بِخَلِّ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴾ [طه: 66].
- ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ [الأعراف: 117].
- ﴿ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف: 116].
- ﴿ وَلِذُرِّيَّتِهِمْ لِيُتَّقِيَهُمْ إِذْ تُتْعَمُونَ فِي أَغْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَغْيُنِهِمْ لِيَقْضَىٰ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَلِإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ [الأنفال: 44].
- ﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [البقرة: 117].
- ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: 24].
- ﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَلَقَّتْهُمُ وَتَأْسَرُونَ فَرِيقًا ﴾ [الأحزاب: 26].
- ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لِمَ أَقِضَ الْأَمْرُ إِلَيَّ اللَّهُ وَعَدَّكُمْ وَعَدَّ الْحَقَّ وَعَدَّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ [إبراهيم: 22].
- ﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس: 81].

1 ينظر: طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 144 - 145.

2 المرجع السابق، ص: 145.

- ﴿ فَسَحَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُفَاءً حَيْثُ أَصَابَ ٣٦ ﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَتَاءٍ وَعَوَاصٍ ٣٧ ﴿ [ص: 36 - 37].
- ﴿ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿ [الأعراف: 116].
- ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ كُلِّ فَتْرَةٍ لَّفَاسَدُوا بِهِمْ أَفَلَا يَدَّبُّونَ ۚ ﴿ [الأنعام: 07].¹
- ﴿ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ آتُوا صَفًا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى ٦٤ ﴾ ﴿ [طه: 64].
- ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ٦٩ ﴾ ﴿ [طه: 69].
- ﴿ وَأَلْقِ السَّحَرَةَ سِجْدِينَ ١٣٠ ﴾ ﴿ [الأعراف: 120].
- ﴿ فَأَلْقُوا جِبَاهَهُمْ وَعَصِيَهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّتِكَ لَئِنْ أَتَانَا لَفُتْنٌ عَظِيمٌ ٤٤ ﴾ ﴿ [الشعراء: 44].
- ﴿ إِنَّهُمْ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ لِيُخْزِيَهُمْ أَوْ لَيَسْخَرَنَّهُمْ أَوْ لِيَأْخُذَهُمْ بِهَدْيِهِمْ ٢٧ ﴾ ﴿ [الأعراف: 27].
- ﴿ قُلْ أُوْحِي إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ١ ﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿ [الجن: 01 - 02].
- ﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ٦٦ ﴾ إِلَّا مَن أَرَضَىٰ مِّن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ٦٧ ﴿ لِيَعْلَمَ أَن قَدِ أَبْلَقُوا رَسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ٦٨ ﴾ ﴿ [الجن: 26 - 28].
- ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّكَ اللَّهُ وَعَدَكُمْ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿ [إبراهيم: 22].
- ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٩٩ ﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ١٠٠ ﴾ ﴿ [التحل: 99 - 100].
- ﴿ الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ٥ ﴾ ﴿ [الناس: 05].²

1 قال الكلبي: إن مشركي مكة قالوا: يا محمد والله لا نُؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه أربعة من الملائكة يشهدون أنه من عند الله وأنتك رسوله فنزلت هذه الآية. الواحدي، أسباب النزول، مصدر سبق ذكره، ص: 214.

2 قال المفسرون: « كان غلام من اليهود يخدم رسول الله ﷺ، فأثت إليه اليهود، ولم يزالوا به حتى أخذ مشاطة رأس النبي ﷺ وعدة أسنان من مشطه، فأفعتها اليهود فسحروه فيها، وكان الذي تولى ذلك لبيد بن الأعصم اليهودي، ثم دسها في بئر لبني زريق يُقال لها ذروان، فمرض رسول الله ﷺ واتثر شعر رأسه ولبث ستة أشهر، يرى النساء ولا يأتيهن، وجعل يذوب ولا يدرى ما عراه، فبينما هو نائم ذات يوم إذ أتاه ملكان فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجله، فقال الذي عند رأسه: ما بال الرجل؟ قال: طب، قال: وما الكب؟ قال: سحر، قال: ومن سحره؟ قال: لبيد بن الأعصم اليهودي، قال: وم طبه؟ قال، بمشط

- ﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝٤ ﴾ [الفلق: 04].
- ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩ ﴾ [الحجر: 09].
- ﴿ وَاللَّهُ يَعَصَمُكَ مِنَ النَّاسِ ۝١ ﴾ [المائدة: 67].¹
- ﴿ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ۝٤٧ ﴾ [الإسراء: 47].
- ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَائِتَوَا كَلِ الْمُؤْمِنُونَ ۝٥١ ﴾ [التوبة: 51].
- ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١٧ ﴾ [الأنعام: 17].
- ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ يَمِينٍ وَيَدَايُهُ مِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَكَ ۝١١ ﴾ [الرعد: 11].
- ﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ۝٣٦ ﴾ [الزحرف: 36].
- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَلِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ۝٢٠١ ﴾ [الأعراف: 201 - 202].
- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا

ومشاطة، قال: وأين هو؟ قال: في جفّ طلعة تحت راعوفة في بئر ذروان. والجفّ: قشر الطلّع، والراعوفة: حجر في أسفل البئر يقوم عليه المائح، فانتبه رسول الله ﷺ فقال: يا عائشة أما شعرت أنّ الله أخبرني بدائي؟ ثمّ بعث عليّاً والزبير وعتمار بن ياسر فنزحوا ماء تلك البئر كأنه نقاعة الحنّاء، ثمّ رفعوا الصخرة وأخرجوا الجفّ، فإذا فيه مشاطة رأسه وأسنان مشطه، وإذا فيه وتر معقود فيه إحدى عشرة عقدة مغروزة بالإبر، فأنزل الله تعالى المعوذتين، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة، ووجد رسول الله ﷺ خفة حتى انحلت العقدة الأخيرة، فقام كأنما نشط من عقال، وجعل جبريل عليه السلام يقول: "بسم الله أرقيك من كلّ شيء يؤذيك ومن حاسد وعين، الله يشفيك"، فقالوا يا رسول الله أو لا نأخذ الخبيث فنقتله؟ فقال: أمّا أنا فقد شفاني الله وأكره أن أثير على الناس شراً. فهذا حلم رسول الله. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «سُحر رسول الله ﷺ حتى أنّه ليخيل إليه أنّه فهل الشيء وما فعل، حتى إذا كان ذات يوم وهو عندي دعا الله ودعا، ثمّ قال: أشعرت يا عائشة أنّ الله قد أفْتاني فيم استفتيته فيه؟ قلت: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: أتاني ملكان. وذكر القصّة بطولها». الواحدي، أسباب النزول، مصدر سبق ذكره، ص: 473 - 474.

1 قالت عائشة رضي الله عنها: سهر رسول الله ﷺ ذات ليلة فقلت: يا رسول الله ما شأنك؟ قال: ألا رجل صالح يجرسنا الليلة؟ فقالت: بينما نحن في ذلك سمعت صوت السلاح، فقال: من هذا؟ قال: سعد وحذيفة، جئنا نحرسك. فنام رسول الله ﷺ حتى سمعت غطيظه، ونزلت هذه الآية، فأنزل رسول الله ﷺ رأسه من فُتّة آدم وقال: انصرفوا يا أيها الناس فقد عصمني ربّي. وعن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يُجرس وكان يُرسل معه أبو طالب رجلاً من بني هاشم يجرسونه حتى نزلت عليه هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ يَعَصَمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ قال: فأراد عمّه أن يُرسل من يجرسه، فقال: يا عمّ، إنّ الله قد عصمني من الجنّ والإنس. الواحدي، أسباب النزول، مصدر سبق ذكره، ص: 202.

تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ [النور: 19].

وهذه الآيات ليست كلّها في موضوع السّحر، وهناك آيات أخرى في موضوع السّحر لم يذكرها العلواني، مثل قوله تعالى:

- ﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَيَسْخَرُ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [يونس: 77].
- ﴿وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَحِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿٦١﴾ فَأَلْقَى السَّحْرَ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴿٧٠﴾ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحْرَ فَلَأَقْطَعْ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِمَّنْ خَلَفَ وَلَا صَلْبَتِكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلِنَعْلَمَنَ آيَاتُنَا أَشَدَّ عَذَابًا وَابْقَى ﴿٧١﴾﴾ [طه: 69 - 71].
- ﴿هَلْ أَتَيْتُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلَ الشَّيَاطِينُ ﴿٣١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٣٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُهُمْ كَذِبُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الشعراء: 221 - 223].

- ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الشعراء: 32 - 35].
- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسْتَلَّ بِئْسَ تَوَكُّلًا يَظُنُّ أَنَّكَ إِذَا جَاءَهُمْ فَأَنْزَلْنَا مُوسَى فِيهَا صَاغِيًا ﴿١٠١﴾﴾ [الإسراء: 101].

- ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذِ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْحَرُ مُبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾ [المائدة: 110].

وهناك آيات أخرى ورد فيها ذكر موضوع السّحر، كيف لا وأعداء الرّسل والأنبياء في كلّ زمان وفي كلّ مكان، كان طعنهم في رسالة الله إليهم بأن يرموا رسل الله وأنبياءه بالسّحر، قال تعالى:

- ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنٌّ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْنَهُ﴾ [الذّاريات: 52 - 53].

ثالثاً: تسلسل توظيف الآيات المجموعة لدراسة موضوع السّحر عند طه جابر العلواني: يقول طه جابر العلواني: « فلنلج الآن إلى موضوع السّحر، فما حقيقته - إن كان له حقيقة فعلاً -؟! وهل له تأثير؟! وهل هو علم أم فن؟! وكيف دخل إلى عقول المسلمين؟! »¹، لدراسة موضوع السّحر، وللإجابة عن تلك التساؤلات السابقة، ربّ العلواني الموضوع تحت عناوين فرعية تخدم مراده، واستدعى لكلّ عنوان فرعي الآيات القرآنية التي لها علاقة بموضوع السّحر، فكانت الخطوات

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 145.

التطبيقيّة وفق العناوين الفرعيّة التالية:

01- حقيقة السّحر: استهلّ العلواني حديثه عن حقيقة السّحر بقوله: «نودّ بداية قبل الدّخول في قضية السّحر أن نُؤكّد قاعدة مهمّة قد ذكرها ابن حزم الأندلسي، ألا وهي أنّ "كثرة القائلين بالقول لا تصحّ ما لم يكن صحيحاً قبل أن يقولوا به، وقلة القائلين بالقول لا تُبطل ما كان حقّاً قبل أن يقول به أحد، وأيضاً فإنّ القول قد يكثر القائلون به بعد أن كانوا قليلاً ويقولون بعد أن كانوا كثيراً»¹، ووضح من خلال هذا التمهيد أنّه اختار قول الأقلية حول موضوع السّحر وسينصره، ثمّ قام بنقل كلام لابن خلدون (توفي: 808هـ) في مقدّمته عن السّحر، وأردفه بنقل كلام الجصاص (توفي: 370هـ) في كتابه أحكام القرآن، ونقل أيضاً رأي رشيد رضا (توفي: 1354هـ) حول السّحر، والثلاثة على أنّ السّحر لا حقيقة له، بل هو مجرد تأثير لنفوس بشرية ذات خواصّ معينة تؤثر في الناس، ثمّ استهلّ موضوع السّحر بالحديث عن نشأته.²

ولبيان حقيقة السّحر استدعى العلواني قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ أَتَوْا بِذِكْرِهِمْ وَعَصِيَتْهُمْ يَخْلُوعِلَيْهِمْ﴾ [طه: 66]، ونقل قول رشيد رضا (توفي: 1354هـ): «السّحر هو تأثير على مخيلة الإنسان كالتأثير الذي يُحدثه المتقنون لأعمال الخفة»³، ولم يجزم به.

02- حقيقة تأثير السّحر في الأمزجة والقلوب والحواس: رأى العلواني أنّ السّحر يعمل على أمرين هما: أولهما موضوع السّحر؛ كالحبال والعصى، واستدلّ بقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ إِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الأعراف: 116 - 117]. والثاني الأعين؛ واستدلّ

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 145.

2 ينظر: المرجع السابق، ص: 145 - 147.

3 المرجع السابق، ص: 146. وهذا الذي نقله العلواني عن رشيد رضا أحد أنواع السّحر، ويُسمّى سحر التّخييل، وهو سحر يعتمد على التّخييل وخداع الأعين، ومنه سرعة الحركة أو كثرة التّمرّس والتّجربة، وليس هو السّحر كلّ، فللسّحر أنواع أخرى كسحر التّنجيم، وسحر الأبراج، وسحر الاحتيال، وسحر النّفث في العقد، وغيرها. للمزيد ينظر: الطّبري، جامع البيان، (704/24). الجصاص، أحكام القرآن، (25/01 و54-56). وابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، (05/05). والزّازي، مفاتيح الغيب، (619/03-625). وابن تيمية، مجموع الفتاوى، (171/35)، وابن القيم، بدائع الفوائد، (221/02)، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (367/01-369). والزّاغ الأصفهاني، مفردات غريب القرآن، ص: 400. ومحمّد بن عابدين، حاشية ابن عابدين، (45/01). وابن حجر، فتح الباري، (169/10). والشّنقيطي، أضواء البيان، (41/04). وحافظ الحكمي، معارج القبول، (559/02-565). وخالد الجريسي، الحذر من السّحر، ص: 116. وحيد عبد السلام بالي، الصّارم البتار في التّحدّي للسّحرة والأشّار، ص: 64-142.

بقوله تعالى: ﴿ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ ۝١١٦﴾ [الأعراف: 116 - 117]، أمّا قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ۝١١٧﴾ [الأنفال: 44] فهو من أمر الله تعالى الذي نفذ في الأعين دون أسباب، وهو من قدرة الله تعالى: ﴿ كُنْ فَيَكُونُ ۝١١٧﴾ [البقرة: 117].¹

أمّا تأثير السحر فلا بدّ له من أسباب، سواء في الحواس باستخدام الحيل للتأثير على المدركات الحسيّة، ومعرفة هذه الحيل تُلغي مفعوله، أو في الأمزجة بمشيئة الله وحده ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝١٤﴾ [الأنفال: 24]، وبما يقذفه ﴿كَذَّابٌ﴾ من مشاعر ﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ۝١٥﴾ [الأحزاب: 26]، فالشيطان ليس له سلطان على الإنسان ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُمْ ۝١٦﴾ [إبراهيم: 22]، إنّما هو الاستعداد النفسي للمسحور، أو ما يستخدمه السّاحر من وسائل²، فهذا هو موقف العلواني، وهذه هي الآيات التي جمعها لبيان تأثير السحر في الأمزجة والقلوب والحواس.

03- نشأة السحر: استدعى العلواني قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَلْقُوا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ۝٨١﴾ [يونس: 81]، وذكر القصة التاريخيّة لانتشار السحر في حضارة بلاد بابل وعند الفراعنة، وصيرورة السحر مركز قوّة وحظوة وجاه في مجتمع الفراعنة، ثمّ قال: « فأراد الله أن يستأصل شأفة السحر، ويجعل البشريّة تتخلّص من آفته، وتُدرك عدم تأثيره، وتُدرك أنّه نوع من التخييل والتحايل والتلاعب بأذهان النّاس وأعينهم ... أمر الله نبيّه موسى وهارون بأن يستجيبا لتلك المنازلة بينهما وبين السحرة، فكان ما ذكرته آيات القرآن الكريم من عرض لذلك التحدّي الذي انتهى بهزيمة السحر والسحرة، وتبيّن للسحرة قبل الآخرين أنّ السحر نوع من الباطل».³

1 ينظر: طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 145 - 147.

2 المرجع السابق، ص: 145 - 146. بتصرف.

3 المرجع السابق، ص: 147 - 148.

ثمّ استطرد بعد ذلك؛ فذكر عودة بني إسرائيل لدى أوّل بادرة لممارسة السّحر والانفعال به، فحكى قصّة السّامريّ، واستخلص منها أنّ الثقافات التي تمتدّ جذورها في عقول النّاس وبيئاتهم ليس من السّهل تغييرها واقتلاعها بعد أن يعيش النّاس عليها قروناً مُتطاولة، ورأى أنّ القرآن الكريم لم يكتف بسرد قصّة هزيمة السّحرة، وسرد قصّة سليمان السّليم، ليُبطل القول بالسّحر، ويُبطل معه القول بكفر سليمان السّليم ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: 102]، فبنو إسرائيل اتّبعوا في كفرهم الشّياطين وليس سليمان، وبقيت فيهم آثار من عهد سليمان كالتّي في قوله تعالى: ﴿فَسَحَرْنَا لَهُ الرِّيحَ فَجَرى بِأَمْرِهِ رُجَاءَ حَيْثُ أَصَابَ﴾ (٣٦) ﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَتَاءٍ وَعَوَاصٍ﴾ [ص: 36 - 37]، فأراد الله أن يستأصل منهم تعلّقهم بالسّحر، فأنزل ملكين يُعلّمان النّاس السّحر، ويكشفان لهم عن مساوئه، ويُحذّران من ممارسته والتّأثر به، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: 102]، وهم في ذلك لا يستطيعون تجاوز قدرة الله عزّ وجلّ.¹

04- كيف دخل التّصديق بالسّحر عقول المسلمين؟ رأى العلواني بأنّ موضوع السّحر دخل إلى عقول المسلمين من خلال مرويات بني إسرائيل الذين سكنوا المدينة المنوّرة، خاصّة وأنّ النّسق الإسرائيليّ كان نسقاً قائماً على الحسيّات وتجسيد الغيبيّات لتحويلها إلى حسن ومشاهدة، وعقليّة العوام تقبل هذه الأفكار، بل حتّى إنّ بعض الفقهاء قد قبلها.²

05- السّحر في القرآن الكريم³: ذكر العلواني أنّ القرآن الكريم أشار إلى أنّ السّحر نوع من المعرفة يُمكن تعلّمه، وهو وسيلة من وسائل إرهاب النّاس وتخويفهم ﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَهْبَهُهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: 116]، وهو -القرآن الكريم- أنكر على من يقولون على الشّيء الحقيقيّ الملموس سحراً ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى كُنْبٍ فِي قِرطاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَعَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الأنعام: 07]، ودمّمهم على فساد مُعتقدهم، فالسّحر عمل

1 ينظر: طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 147 - 150.

2 ينظر: المرجع السّابق، ص: 150 - 153.

3 ينظر: المرجع السّابق، ص: 153 - 157. باختصار.

4 قال الكلبي: إنّ مشركي مكّة قالوا: يا محمّد والله لا نُؤمن لك حتّى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه أربعة من الملائكة يشهدون أنّه من عند الله وأنّك رسوله فنزلت هذه الآية. الواحديّ، أسباب النّزول، مصدر سبق ذكره، ص: 214.

باطل بطبيعته وليس له أية آثار ﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس: 81]، حتى ولو قدّم جمع من السحرة - لا واحداً - أقصى ما ليديهم، كسحرة فرعون مثلاً، ﴿ فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتَوُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى ﴾ [طه: 64]، فإنَّ الله ﷻ سَيُبْطِلُهُ، قال تعالى: ﴿ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف: 116]، وقال: ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا جِأَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ تَسْعَى ﴾ [طه: 66]، وهذا لا ينفي تأثيره بشكل من الأشكال ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةُ مُوسَى ﴾ [طه: 67]، وكذلك الأمر مع عامة الناس، ولكنه تأثير لا يصمد أمام الحقيقة ﴿ وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَاصِنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَحِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ [طه: 69]، بل لا يصمد المهرة من أصحابه أمامها ﴿ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَ بَدِينٍ ﴾ [الأعراف: 120] مُنكرين اعتقادهم الزائف وقولهم السابق ﴿ بَعِزَّةٌ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴾ [الشعراء: 44].

ويضيف العلواني أنَّ القرآن الكريم أوضح أنَّ هناك انفصلاً لا يسمح بالتداخل بين عالم الإنس وعالم الجن، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ يَرَبِّدْكُمُ هُوَ وَفِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ [الأعراف: 27]، وإن كان هناك إيمان مشترك ﴿ قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾ [الجن: 01 - 02]، فهو إيمان كان بسبب استماع الجن للقرآن لا بدعوة رسول الله ﷺ لهم، قال تعالى: ﴿ وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْمَدْيَيْنِ ءَامَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴾ [الجن: 13] إلى قوله: ﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: 13] إِلَّا مَنْ أَرَادَ مِنْ رُسُولِي أَنَّهُ يُسَلِّكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ رَصَدًا ﴿ لَيَعْلَمَنَّ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَخَصَّى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ [الجن: 26 - 28]، وفي هذا ردّ على الزعم بأنَّ للشيطان سلطان على الإنسان، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [إبراهيم: 22]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [النحل: 99 - 100].

إنّ قصارى ما يحدث من الجنّ والشياطين مع الإنس هو الوسوسة والدعوة، قال تعالى:

﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءِ تَيْهَمَا وَقَالَ مَا نَهَكَمَارَبُّكُمَْاعَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةَ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأعراف: 20]، وقال: ﴿ الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الناس: 05]، وقد علّمنا الله كيف نتحصّن من ذلك، كقوله: ﴿ وَمِنْ شَرِّ الْفَقْصَةِ فِي الْعَقْدِ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الفلق: 04]، والمعوذتان ككلّ.

06- شبهة سحر الرسول ﷺ وتأثيره فيه¹: لإثبات أنّ قضية سحر النّبي ﷺ شبهة لا أصل لها، ساق العلواني رؤيته كما يلي:²

- التأكيد على عصمة النّبي ﷺ وأنها من حفظ القرآن الكريم، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [الحجر: 09]، وقوله: ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ [المائدة: 67].³

- ردّ حديث الصّحّاحين والاعتذار للبخاري دون مسلم.

- القول بسحر الرسول ﷺ يخدم أعداء الدّين فقط.⁴

- عصمة النّبي ﷺ عامّة في السّحر وغيره.⁵

- القول أنّ رسول الله ﷺ سحر لمدة شهر يقود للقول أنّه يُمكن أن يكون مسحوراً طيلة رسالته، وهذه دعوى المشركين بنصّ القرآن الكريم: ﴿ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴾ [الإسراء: 47]، وهو قول يهدم الثّقة بالرسالة كلّها.⁶

1 إنّ إنكار العلواني لحديث سحر النّبي ﷺ الوارد في الصّحّاحين له أسباب منها: موقفه من علوم الحديث الذي سبق بيان، وإنكاره للسّحر.

2 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 157 - 162. باختصار.

3 نزلت سورة المائدة في السنّة العاشرة للهجرة، وسحر النّبي حصل في السنّة السابعة للهجرة، أي أنّ تاريخ النّزول متأخّر وهو لا يخدم استدلال العلواني هنا، وهذا يكشف جانباً من أسباب عدم اعتداد العلواني بعلم أسباب النّزول. ينظر: جعفر شرف الدّين، الموسوعة القرآنيّة، خصائص السّور، (ط01، دار التقريب بين المذاهب، بيروت، لبنان، 1420هـ - 2000م)، ج02، ص: 219. وابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، مصدر سبق ذكره، ج10، ص: 236.

4 بل بالعكس، هذا الحديث من أعلام نبوّته ﷺ. ينظر: البيهقي، دلائل النّبوة، مرجع سبق ذكره، ج06، ص: 247.

5 أدرك من خلاله اليهود أنّه ﷺ نبيّ مرسل من خلال حديث سحره؛ تماماً مثل السّم الفتّاك الذي دُسّ له في الشّاة، ولكنّه لم يُسبّب لرسول الله ﷺ سوى المرض لأنّه معصوم محفوظ. ينظر حديث أخرجه البخاريّ في صحيحه، برقم: (5777).

6 لا وجه لهدم الثّقة هنا، حيث أثبت الحديث صدق نبوّته ﷺ فيما يُخبر به، فالله ﷻ استجاب دعاءه، وأعلمه بمرضه، وعيّن له

- لو كان السّحر مؤثراً في رسول الله ﷺ لاستعمله المشركون سلاحاً ضده.¹
- لوم علم الكفرة بسحر الرسول ﷺ لتناقلوها كالنّار في الهشيم.²
- المعوذتان وذكر الله ﷻ تزيّدان وتقويان جهاز المناعة العقليّ والنّفسيّ لدى المؤمن، فلا يتسلّل إليه الشكّ، قال تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: 51]، وقال: ﴿وَلَنْ يَمَسَّكَ اللَّهُ يَضْرِبَ فَلَكَ أَشْفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسَّكَ يَخْزِرَ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: 17]، وقال: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ [الرعد: 11]، ويكفي المؤمنين أن أنفسهم بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِي إِنْ كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: 22]، وبقوله: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزحرف: 36]، ولكن هذا لا يعني تحليّ الله عن عبده المؤمن، ولكن على المؤمن المبادرة بالرجوع إلى ربّه ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [وإخوانهم يمدّونهم في النّفي ثم لا يقصرون] [الأعراف: 201 - 202].
- واعتبر العلوانيّ الذين يتداولون القصص التي تُؤكّد تأثير السّحر والسّحرة من جنس ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: 19].

ومن خلال عرض خطوات العلوانيّ في دراسة موضوع السّحر، اتّضح للباحث أنّ مجموع

موضع السّحر تعييناً دقيقاً، ومن قام به، ثمّ عافاه منه، وأكرمه بالمعوذتين، فمن أيّ زاوية تهتر التّهمة به ﷺ ؟

1 يقول الباحث: فعلاً لو كان السّحر مؤثراً في رسالة رسول الله ﷺ لاستعمله المشركون ضده، ولأنّه لا تأثير له لم يستعملوه بدليل أنّ ادّعاءهم وقولهم ﴿إِنْ تَنْتَهُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ [الإسراء: 47] كان قبل قصّة سحر اليهوديّ للنبيّ ﷺ الذي مرض بسببه، ولم يقم المشركون باستغلالها ضده ﷺ. محمّد حبيب الله الشنقيطيّ، زاد المسلم فيما اتّفق عليه البخاريّ ومسلم، (د.ط، دار إحياء الثّراث العربيّ، بيروت، لبنان، د.س.ط)، ج 04، ص: 222. بتصرّف.

2 كيف لهم أن يتناقلوا نجاة رسول الله ﷺ من السّحر؟! فالحديث واضح جدّاً، فقد ذُكر فيه النسيان والتّخييل فدّل على أنّه مجرد مرض، وقد مرض بعض الأنبياء بأمراض أشدّ ألماً وأطول مدّة.

الآيات التي وظّفها العلواني لا تستوعب جميع ما ورد عن السّحر في القرآن الكريم.

رابعاً: ترتيب الآيات حسب النزول: لم يقدّم العلواني بترتيب آيات موضوع السّحر حسب النزول لا عند توظيفها، ولا تحت عنوان خاص، بل هي مُرتّبة حسب خياراته، وحسب ما يراه خادماً لسياق أفكاره وتسلسلها، وذلك من خلال اعتماده على قوّته الإبداعية وامتنازاته العلمية، ومنهجية التفسيرية بمداخله الذاتية، مع عدم الالتزام بذكر أسباب النزول إلا ما ندر للاستئناس بها، كذكر سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: 102].¹

خامساً: مراعاة المكي والمدني وموضوع كلّ منهما: ممّا يُسجل على العلواني عند دراسته لموضوع السّحر، إهماله لمراعاة المكي والمدني وموضوع كلّ منهما.

سادساً: التناسب بين الآيات: أغفل العلواني إبراز وجوه التناسب بين آيات موضوع السّحر لإفراطه في الاهتمام بإنكار سحر النبي ﷺ خصوصاً، وإنكار وقوع السّحر عموماً.

سابعاً: الاستعانة بالأحاديث النبوية: استعان العلواني بالأحاديث النبوية لأغراض متعدّدة، وبطرق مختلفة، فمنها:

ما كان غرضه ردّ الحديث وإبطاله: استعان العلواني بحديث عائشة رضي الله عنها قالت: «سُحر النبي ﷺ حتى أنّه كان يُخيّل إليه أنّه يفعل الشيء وما يفعله، حتى إذا كان ذات يوم وهو عندي دعا الله ودعا، ثمّ قال: أشعرت يا عائشة أنّ الله قد أفتاني فيم فيه شفائي؟ أتاني رجلان، فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، فقال أحدهما للآخر ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب، قال: ومن طبّه؟ قال لبيد بن الأعصم، قال: فيما ذا، قال: في مشط ومشّاطة وجفّ طلعة ذكر، قال فأين هو؟ قال: في بئر ذروان فخرج إليها النبي ﷺ ثمّ رجع، فقال لعائشة حين رجع: نخلها كأنّه رؤوس الشياطين فقلت استخرجته؟ فقال: لا، أمّا أنا فقد شفاني الله، وخشيت أن يُثير ذلك على الناس شراً، ثمّ دُفنت البئر»²، فقال أنّ هذا الحديث حديث آحاد، ومتمنه متناقض تناقض صريح مع القرآن الكريم، وبأنّه مظنّة أفهام ومزلة أقدام، وكون الرواية في الصحيحين لا يعني ثبوتها، فقد استدرك أئمة الحديث على البخاري ومسلم ما استدركوا، ثمّ ساق حُججه في إبطاله كما سبق بيانه عند عرض ما

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 149.

2 متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطّب، باب السّحر، (05/ 2176)، برقم: (5763)، ومسلم في صحيحه، كتاب السّلام، باب السّحر، (04/ 1419)، برقم: (2189).

3 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 157.

عنون له ب: شبهة سحر الرسول ﷺ وتأثيره فيه.¹

ولإيراد معنى الحديث دون تخريج أو إحالة: كقوله: « وكانت هاتان السورتان عوذة لرسول الله ﷺ يتعوّذ بهما، وﷺ كثيراً ما كان يعوذ بهما الحسن والحسين²، ويأمر أصحابه بالتعوّذ بهما³ ». ثامناً: **الاستفادة من التفسير التحليلي:** استفاد طه جابر العلواني من بعض كتب التفسير التحليلي التي يتوافق مع أصحابها الرؤية حول حقيقة السحر، فنقل عن تفسير "أحكام القرآن" للخصائص (توفي: 370هـ) أن أهل بابل هم من ابتدعوا السحر، فكان السحرة يُموّهون به على العامة، ويُقرّبون بسببه للملوك والحكام، وأن حكم السّاحر ومن يُصدّقه ومن يأخذ عنه أنه كافر، لذلك أراد الله القضاء عليه فأرسل الملكين لبيان حقيقته وإبطاله.⁴

واستفاد أيضاً من "تفسير المنار" لبيان حقيقة السحر بأنه مُجرّد تخيل، وقد سبق الحديث عن هذا، ومن "زاد المسير في علم التفسير" لابن الجوزي (توفي: 597) لبيان سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: 102].⁵

تاسعاً: استخلاص هدايات القرآن المستفادة من آيات موضوع السحر: لم يقدّم العلواني بوضع عنوان مُستقلّ يجمع فيه الهدايات المستفادة من دراسة موضوع السحر، ولكن هذا لا يعني عدم وجودها، بل هي مُتفرقة في ثنايا تفسيره للآيات التي جمعها، وبالتّبع حصرها الباحث في الاستفادة والهدايات القرآنية التالية: «

- الآية رقم: (102) من سورة البقرة ختمت عرض المسار التاريخي الإسرائيليّ وبَيّنت انحرافهم، وسبقت إعلان نسخ أمة بني إسرائيل ومسارهم التاريخي.

- ابتلاء الأمة الإسلامية بتقليد الأمة المنسوخة فيما يتعلّق بالسحر حتّى صار انتشاره أكبر بكثير ممّا هو عند اليهود وغيرهم.

- لا حقيقة للسحر، بل هو تأثير لنفوس بشرية ذات خواص معينة تُؤثّر في مُخيّلة الناس

1 ينظر: طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 157 - 162.

2 أخرجه ابن أبي شيبة في المصنّف، برقم: (31472).

3 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 157. عن عائشة رضي الله عنها: « كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه، نفث في كفيه ... الحديث، وفي آخره: " فلما اشتكى كان يأمرني أن أفعل ذلك به " ». أخرجه البخاري في صحيحه، (2169/05)، برقم: (5416).

4 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 146.

5 المرجع السابق، ص: 149.

وتستجلب تأثيرات إما بالقوّة النفسانيّة أو الشّيطانيّة.

- ظهور السّحر كان على يد حضارة أهل بابل، ومنهم انتقل للفرعنة، ثمّ لبني إسرائيل، ثمّ للمسلمين.

- الشّياطين هم الذين كانوا يُعلّمون النّاس السّحر، وما كفر سليمان عليه السلام ولا هو ارتدّ.

- النّسق الإسرائيليّ قائم على خوارق العادات في عامّة شؤونه من إنزال المرنّ والسّلوى عليهم، وتظليلهم من الشّمس بالسّحاب، وتفجير المياه بعصى موسى، وفلق البحر، لذا لا غرابة في إرسال الملكين لبيان حقيقة السّحر وحكمه مع حكم من يتعاطاه، وبيان الفرق بين السّحر والنّبوة، ثمّ استئصال هذه الثّقافة التي استقرّت في نبي إسرائيل. بخلاف النّسق الإسلاميّ القائم على العقل والعلم والبرهان ورفض كلّ ما لم يُنزّل الله به سلطاناً.

- قدرة الله لا يُمكن تجاوزها فهي مطلقة، ولا يُمكن أن يقع في الوجود شيء لم يشأه جلّ جلاله، لذا ليس للشّيطان سلطان مباشر على الإنسان، وإنّما يدعوه فيستجيب له.

- تأثير السّحر في الأشياء يكون بحسب الأسباب المعمول بها، سواء في الأعين، أو في الأمزجة.

- القرآن الكريم بيّن حقيقة السّحر ووظائفه المختلفة والمتعدّدة والصّفات الكثيرة التي تضافرت دون حاجة إلى تعريف جامع مانع مثل تعاريف المناطق، ونّبّه إلى أنّه نوع من التّخيل لا حقيقة له، وأنكر القرآن الكريم القول على الشّيء الحقيقيّ الملموس سحراً.

- سورتا المعوذّتان عوذة لرسول الله ﷺ تعوذّ بهما، وأمر بتعوّذه بهما، وعوذّ غيره بهما، وأمر أمّته بالتعوّذ بهما من الشّيطان الرجيم.

- عصمة النّبيّ عصمة شاملة عامّة، جعلته في منعة كاملة من كلّ ما خلق الله ﷻ، السّحر وغيره، والحديث الوارد في سحر رسول الله ﷺ خبر آحاد، ومتمنه متناقض مع صريح القرآن الكريم، ولا يجوز اعتقاده أو تناقله بين الأجيال.

- عدم جواز تداول القصص والأقاويل التي تُؤكّد تأثير السّحر والسّحرة، وتفتح عقول النّاس إلى الخرافة والدّجل.

مداومة الصّلة بالقرآن الكريم - ومنه قراءة المعوذّتين - وذكر الله ﷻ هما حصن المؤمن المتين، وجهاز مناعته القويّ¹.

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 144 - 162.

التمودج التطبيقي الثاني: وذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَشَهِدَ عَدَايُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ٢﴾ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ٣﴾ [النور: 02 - 10].¹
أولاً: اختيار عنوان الموضوع القرآني: موضوع: الزنا والجلد.²

ذكر طه جابر العلواني هذا الموضوع في النّجم الأوّل في منهج حفظ العرض والكرامة، وذلك عند تفسير الآيتين رقم: (02 - 03) من سورة النور.

ثانياً: جمع الآيات التي تخدم الموضوع: للتعرّض إلى هذا الموضوع استدعى العلواني ثلاثة عشر آية من إحدى عشر سورة، وذلك وفق الترتيب التالي:

- ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتُولًا سَكِينًا ٢٢﴾ [النساء: 22].³

1 اختلاف العلماء في معنى الآية وحكمها. فقال قوم: قدم المهاجرون المدينة وفيهم فقراء لا مال لهم ولا عشائر، وبالمدينة نساء بغايا يكرين أنفسهن، وهن يومئذ أخصب أهل المدينة، فرغب أناس من فقراء المسلمين في نكاحهن لينفقن عليهم، فاستأذنوا رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية ﴿وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ٢٢﴾ أن يتزوجوا تلك البغايا؛ لأنّ كنّ مشركات. وهذا قول مجاهد وعطاء بن أبي رباح وقتادة والزّهرى والشّعبى، ورواية العوفي عن ابن عباس. وقال عكرمة: نزلت في نساء بمكة والمدينة، منهنّ تسع لهنّ رايات كرايات البيطار يعرفن بها، منهنّ أم مهزول جارية السائب بن أبي السائب المخزومي، وكان الرّجل ينكح الزّانية في الجاهليّة يتخذها مأكلة، فأراد ناس من المسلمين نكاحهنّ على تلك الجهة، فاستأذن رجل من المسلمين رسول الله ﷺ في نكاح أم مهزول واشترطت له أن تنفق عليه، فأنزل الله هذه الآية. وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه قال: كان رجل يُقال له مرثد بن أبي مرثد الغنويّ كان يحمل الأسارى من مكة حتّى يأتي بهم المدينة، وكانت بمكة بغي يقال لها: عناق، وكانت صديقة له في الجاهلية، فلما أتى مكة دعتة عناق إلى نفسها، فقال مرثد: إنّ الله حرّم الزّنا، قالت: فانكحي، فقال: حتّى أسأل رسول الله ﷺ قال: فأنتيت التّي ﷺ فقلت: يا رسول الله أنكح عناق؟ فأمسك رسول الله ﷺ فلم يردّ شيئاً، فنزلت: ﴿وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ٢٢﴾ فدعاني فقرأها عليّ وقال لي: لا تنكحها (أبو داود، سنن أبي داود، باب: الزّاني لا ينكح إلّا زانية، رقم: (2051)، والترمذي، سنن الترمذي، باب: من سورة النور، رقم (3177) وحسنه، والسيوطي، الدّر المنثور، (19/05) وزاد نسبته إلى عبد الله بن حميد وابن ماجة وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم وصحّحه البيهقي). البغوي، معالم التنزيل، مرجع سبق ذكره، ج06، ص: 08 - 09. وعن عبد الله بن عمرو قال: كانت امرأة يُقال لها أم مهزول وكانت تُسافح وتشترط للذي يتزوجها أن تُنفق عليه، فأراد رجل من أصحاب رسول الله ﷺ أن يتزوجها فأنزل الله ﴿وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ٢٢﴾ (الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، (193/02). وصحّحه ووافقه الذهبي).

2 ينظر: طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 671.

3 هذه الآية نزلت في حصن بن أبي قيس تزوّج امرأة أبيه: كبشة بنت معن، وفي الأسود بن خلف تزوّج امرأة أبيه، وصفوان بن أميّة بن خلف تزوّج امرأة أبيه: فاختة بنت الأسود بن المطّلب، وفي منظور بن زبان تزوّج امرأة أبيه: مليكة بنت خارجة. وقال أشعث بن سوار: توفي أبو قيس وكان من صالحى الأنصار، فخطب ابنه قيس امرأة أبيه، فقالت: إني أعدك ولداً، ولكي

- ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾ [المائدة: 38].¹

- ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَإِذْ بَدَأُوا نُورًا وَعَزَّوهُمْ وَنَصَرُوهُ وَأَتَّابُوا النَّوَارَ الَّذِي أَنْزَلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف: 157].

- ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة: 05].

- ﴿وَلِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: 09].²

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّا تِلْكَ طَائِفَةٌ مِنْ نَفْسِ إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الصف: 14].

- ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: 122].

- ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَقِمْتَ طَائِفَةً مِنْهُمْ مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلِتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ﴾ [النساء: 102].

آتي رسول الله ﷺ أستأمره، فأنته فأخبرته، فأُنزل الله تعالى هذه الآية. الواحدي، أسباب النزول، مصدر سبق ذكره، ص: 148.

1 قال الكلبي: نزلت في طعمة بن أبيرق سارق الدرع. وذلك أنّ رجلاً من الأنصار يُقال له: طعمة بن أبيرق أحد بني ظفر بن الحارث سرق درعاً من جاره له يُقال له: قتادة بن التّعمان، وكانت الدرع في جراب فيه دقيق، فجعل الدقيق ينثر من خرق في الجراب حتى انتهى إلى الدار وفيها أثر الدقيق، ثم حَبَّأها عند رجل من اليهود يُقال له: زيد بن السمين، فالتصمت الدرع عند طعمة فلم تُوجد عنده وحلف لهم: والله ما أخذها وما له به من علم، فقال أصحاب الدرع: بلى والله وقد أدلج علينا فأخذها وطلبنا أثر الدقيق حتى انتهوا إلى منزل اليهودي فأخذوه، فقال: دفعها إليّ طعمة بن أبيرق، وشهد له أناس من اليهود على ذلك، فقالت بنو ظفر وهم قوم طعمة: انطلقوا بنا إلى رسول الله ﷺ أن يفعل، فكلموه في ذلك، فسألوه أن يُجادل عن صاحبهم، وقالوا: إن لم تفعل هلك صاحبنا وافتضح وبرئ اليهودي، فهم رسول الله ﷺ أن يفعل، وكان هواه معهم وأن يُعاقب اليهودي. الواحدي، أسباب النزول، مصدر سبق ذكره، ص: 181 و195.

2 عن أنس رضي الله عنه قال: قلت يا نبي الله لو أتيت عبد الله بن أبي، فانطلق إليه النبي ﷺ فركب حمراً وانطلق المسلمون يمشون، وهي أرض سبخة، فلما أتاه النبي ﷺ قال: إليك عني، فوالله لقد آذاني نتن حمارك، فقال رجل من الأنصار: والله لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحاً منك، فغضب لعبد الله رجل من قومه، وغضب لكل واحد منهما أصحابه، وكان بينهم ضرب بالجريد والأيدي والتّعال، فبلغنا أنه أنزلت فيهم: ﴿وَلِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾. البخاري (2691)، ومسلم (1799).

الواحدي، أسباب النزول، مصدر سبق ذكره، ص: 392 - 393.

- ﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَفْئِدَةِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُن مِّثْقَةٌ فَمَهْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ إِنَّهُ مُحْكِمٌ عَلَيْهِمْ ﴾ [الأنعام: 139].

- ﴿ وَمَا نُنَزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [مریم: 64].¹

- ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ (٣٦) أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿ ٣٧ ﴾ [القلم: 36 - 37].

- ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَتُشْرَعُونَ أَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا الْآيَاتِ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقَيْمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: 40].

وردت لفظة الزّنا في القرآن الكريم تسع مرّات، والقرآن الكريم قد يذكر الفاحشة ويريد بها الزّنا²، لذا فهذه الآيات كما هو واضح ليست كلّها في موضوع الزّنا والجلد، فهناك آيات أخرى في موضوع الزّنا لم يذكرها العلواني، مثل قوله تعالى:

- ﴿ وَالَّذِي يَأْتِيكَ الْفَاحِشَةُ مِنْ نِسَائِكَ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّهِنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾ [النساء: 15].

- ﴿ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَفَّحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّهُنَّ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ [النساء: 25].

- ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ (٣٢) [الإسراء: 32].

1 عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر ممّا تزورنا؟ قال فنزلت: ﴿ وَمَا نُنَزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾... الآية كلّها: قال: كان هذا الجواب لمحمد رسول الله ﷺ. البخاري (3218 و 4731 و 7455). وقال مجاهد: أبطأ الملك على رسول الله ﷺ ثم أتاه فقال: لعلّي أبطأت؟ قال: قد فعلت، قال: ولم لا أفعل وأنتم تتسوّكون ولا تقصّون أظافركم ولا تُنقّون براجمكم! قال: وما ننزل إلا بأمر ربك، قال مجاهد: فنزلت هذه الآية. وقال عكرمة، والضّحّاك، وقتادة، ومقاتل، والكلبي: احتبس جبريل عليه السلام عن النبي ﷺ حين سأله قومه عن قصّة أصحاب الكهف، وذي القرنين، والروح، فلم يدر ما يُجيبهم ورجا أن يأتيه جبريل عليه السلام بجواب ما سأله فأبطأ عليه فشقّ على رسول الله ﷺ مشقّة شديدة، فلمّا نزل جبريل عليه السلام، قال له: "أبطأت عليّ حتّى ساء ظني واشتقت إليك، فقال جبريل عليه السلام: إني كنت إليك أشوق ولكني عبد مأمور إذا بُعثت إليك نزلت وإذا حُبست احتبست"، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَمَا نُنَزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾. الواحدي، أسباب النزول، مصدر سبق ذكره، ص: 300 - 301.

2 ينظر: الطّبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصدر سبق ذكره، ج1، ص: 119. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سبق ذكره، ج1، ص: 241.

- ﴿وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: 68].

- ﴿يَنْسَاءَ النَّيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكَ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضْعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الأحزاب: 30].

ثالثاً: تسلسل توظيف الآيات المجموعة لدراسة موضوع الزّنا والجلد عند طه جابر العلواني: يقول طه جابر العلواني: «وبعد انتهاء هذه المقدّمة¹ دخل مباشرة إلى عقوبة الزّنا الذي هو أفحش السّبل لتلبية الحاجات الغريزية للبشر²، ودون وضع عناوين فرعية دخل العلواني مباشرة في دراسة موضوع الزّنا، فعالجه في فقرات متتالية قام الباحث بوضع عناوين مناسبة لمحتواها، فكانت العناوين الفرعية التالية:

01- دلالات لفظ الزّنا: لدراسة موضوع الزّنا والحدّ الخاصّ به، شرع العلواني في بيان معنى الزّنا من النّاحية اللّغويّة والأصوليّة، ورجّح أنّه من تعدّد منه وقوع فعل الزّنا إلى درجة الاتّصاف به، وأقبل عليه، وتكرّر منه، فقد صدق فيه اللّقب بأنّه زانٍ أو زانية، لانسجام هذا مع دلالة اللفظ في استعمالات القرآن الكريم له، ومع إعراض النّبي عمّن كان يأتي إليه تائباً من الزّنا يطلب تطبيق الحدّ عليه.³

02- حدّ الزّنا قبل نزول سورة النّور: أشار طه جابر العلواني إلى عدّة نقاط لها ارتباط بهذه المسألة، فذكرها وفق التسلسل التالي:

- عدم وجود عقوبة محدّدة ثابتة لمن تلبّس بالزّنا قبل نزول سورة النّور، وهي سورة نزلت متأخّرة.
- الرّجم ثابت في مختلف الشّرائع السّابقة، فقد رجم اليهود بحكم التّوراة.
- اختلاف بعض الشّرائع بناء على اعتبارات معيّنة لا ينفي وحدة رسالة الأنبياء.⁴

03- أثر الزّنا على الأفراد والمجتمعات: أكّد طه جابر العلواني أنّه يستحيل قيام مجتمع على أكتاف أفراد اعتادوا الزّنا وألفوه، ورّب لذلك الآثار التالية:

- فاحشة الزّنا هادمة للمجتمعات، مُصادمة لمعنى الأُمّة الرّشيدة لما تُسبّبه من خلط للأنساب وتدمير لشبكة العلاقات، فلا يُمكن بالزّنا تحقّق المودّة والرّحمة، ولا قيام النّسب والصّهر.

1 يقصد بالمقدّمة قوله تعالى: ﴿سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ يَسِّرُ لَكُمْ أَنْ تَذَكَّرُوا﴾ [النّور: 01].

2 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 672.

3 المرجع السّابق، ص: 672 - 673. باختصار.

4 المرجع السّابق، ص: 673. بتصرّف.

- فاحشة الزنا هدر لنُويّات الخلق فيما لا نفع يُرجى منه، ولا يُمكن أن تُؤدّي إلى بقاء النّوع ودوامه، بل هي مجرّد إشباع للشّهوات وتلبية للرّغبات الآنية.

- فاحشة الزنا فيها معنى القتل والانتحار والانتقام خشية الفضيحة والمسؤوليّة، أو دفاعاً عن العرض والشرف.

- عقوبة الزنا الرّاجحة من جنس عقوبة الحيوانات وترويضها، وفي ذلك دلالة على انحدار مستوى الرّائي والرّانية من علياء الإنسانيّة العاقلة إلى درجة الحيوانيّة الشّهوانيّة.¹

04- مناسبة البدء بالأنثى قبل الذكر في الآية: مع أنّ الأنثى هي العنصر المفعول فيه، فقد بدأ ﷺ بها في قوله: ﴿الرَّانِيَةُ وَالرَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: 02]، وسبب البدء بها هو أنّ جريمة الزنا لا يُمكن وقوعها من دون استعداد وتسليم أنثى غاوية، فيها تبرّج وميوعة تُحرّك الذّكر للانجذاب نحوها، بخلاف السرقة، فالأعم الأغلب أنّ الذي يُقبل على السرقة هم الرّجال، ولذلك بدأ القرآن الكريم فيها بالذّكر: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾ [المائدة: 38].²

05- حدّ الزنا في الشريعة الإسلامية: يقول طه جابر العلواني: تُبيّن الآية الكريمة أنّ عقوبة الرّائي والرّانية هي الجلد مائة جلدة، وهذا ما ينسجم مع خصائص الشريعة القرآنيّة التي ذكرها الله في آيات سورة الأعراف: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَإِلَّا يَنْجِلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ ذَلَّلُوا لَهِمْ وَبَخَسُوا مِنْهُمْ ثَمَنًا بَخْسًا بَشِيعًا تَلْبَسُوا لَهُمُ الْكُفْرُ الْكَاسِبُ﴾ [الأعراف: 157].³

06- الخصائص التشريعيّة في القرآن المجيد: جعل طه جابر العلواني الخصائص التشريعيّة للقرآن الكريم تتمثّل في كون الشريعة الإسلاميّة تميّزت بما يلي:

- شريعة عامّة شاملة خاتمة خالدة، خطاها عالمي للبشريّة كلّها.
- شريعة جاءت لِتُحِلَّ الطَّيِّبَاتِ وتُحَرِّمَ الْخَبَائِثَ بما ينسجم مع الفطرة البشريّة.
- شريعة لا تكليف فيها بما لا يُستطاع.

- شريعة عادلة فمثلاً عقوبة الرّائي والرّانية بالجلد ومعاملته معاملة الحيوان المتمرّد، ذلك بسبب غلبة

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 674. بتصرّف.

2 المرجع السابق، ص: 674. باختصار.

3 المرجع السابق، ص: 375.

الشّهوة على العقل والدين، والاستعلاء على القيم الإيمانية والاجتماعية، فمن هنا كانت عقوبة الجلد العقوبة العادلة الزّاجرة.

- شريعة تمنح الفرص ولا تُغلق الأبواب: مع شدة عقوبة الزّنا، إلّا أنّها تركت فرصة التّدم والتّوبة ولم تسلب الحياة.¹

07- محلّ الرّأفة في تطبيق حدود الله: أوضح طه جابر العلواني أنّ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ

بِهَارَافَةٍ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ [النور: 02] فيه نهي أن تأخذ النّاس رأفة في تطبيق حدّ الزّنا الذي هو دين الله، ففرض العقوبات على المخطئين ضرورة حتمية لضمان السّير المنظّم السّعيد اليسير لحياة البشر، كما أنّ التّساهل في تطبيق حدود الله غفلة ومعصية، وليس رأفة ورحمة.²

08- التّطبيق العلنيّ لحدّ الزّنا: قال العلواني: «عقوبة الزّنا تكون علنيّة، فالجريمة قد ارتكبت

علانيّة بحيث شهدا أربعة أشخاص على الأقلّ، وذلك لما يلي:

- معالجة نفسية من شهدوا ذلك، من تحرّك للغريزة والشّهوة؛ فيردعها تطبيق الحدّ ويردّها إلى نصابها.

- شفاء صدور المعتدى عليهم بأنّهم قد أخذوا حقّهم من المعتدي على شرفهم وعرضهم.

- العقوبة العلانية إعلان عامّ للمجتمع وتحذير شديد من الاستهانة بالأعراض والحرّات.

- العقوبة التّفسية للمجلود والمجلودة فلا يعودا لمثلها أبداً.

ويشهد تنفيذ العقوبة طائفة من المؤمنين، ودلالة كلمة "طائفة" في القرآن الكريم -حسب

العلواني- هي الأعداد الكبيرة من النّاس، قال تعالى: ﴿وَلِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتُلُوا فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا

فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقْتُلُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَفْقِيَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ

يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ [الحجرات: 09]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ

مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَمَا بَعَثَ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرْتَ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَاصْبِرُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾ [الصّف: 14]، وقال تعالى: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَن تَفْشَلَا

وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ [آل عمران: 122]، وقال تعالى في الحرب: ﴿وَإِذَا كُنْتَ

فِيهِمْ فَاقْصَمَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنُقِمَنَّ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَّعَكَ﴾ [النساء: 102]. وأشار إلى دلالة أخرى تحتمل

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 375.

2 المرجع السّابق، ص: 676 - 677. باختصار.

خامساً: مراعاة المكي والمدني وموضوع كل منهما: أهمل العلواني إيراد المكي والمدني وموضوع كل منهما، فخالف منهج دراسة الموضوع القرآني ووافق موقفه الخاصّ منهما.

سادساً: التناسب بين الآيات: كذلك لو يُورد العلواني المناسبة بين الآيتين موضوع الدراسة، أو بين الآيات التي استدعاها، باستثناء ذكره لمناسبة تكرار العذاب مرتين، في قوله تعالى: ﴿وَلَشَهَدَ عَلَيْهِمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التور: 02]، وقوله تعالى: ﴿وَيَذُرُّهَا عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ وَأَنزَلَ بِهَا الْعَذَابَ الْهَلَكُونَ﴾ [التور: 08]، وهي أنه « وفي المرتين تكون كلمة العذاب في سياق مُشعر بأنّه أشدّ أنواع الإيلام الذي يلحق بهؤلاء المسافحين والزناة ومُتَحَدِّي الأُحْدَان، فكأنّ فيه إشارة إلى أنّه ليس فوق هذا العذاب عذابٌ تُواجه به هذه الجريمة المنكرة »¹، ولا يخفى وجه ذكر هذه المناسبة ههنا، وهو إنكار عقوبة الرّجم بالنسبة للزّاني المحصن، فالرّجم عذاب فوق الجلد، وما ذكره مناسب لإنكار الرّجم ولذلك أتى به.

سابعاً: الاستعانة بالأحاديث النبوية: استعان طه جابر العلواني بثلاثة أحاديث نبوية في ثنايا دراسته موضوع الزّنا والجلد، لتأييد ما ذهب إليه، والأحاديث الثلاثة هي قوله ﷺ:

- « التائب من الذّنْب كمن لا ذنب له »: استعان به لبيان أنّ في عقوبة الزّاني إيماء لتوبته، فمن زنا وطُبّق عليه حدّ الزّنا ثمّ تاب بعد ذلك فلا ذنب عليه².

- « إنّ الصّدق يهدي إلى البرّ وإنّ البرّ يهدي إلى الجنّة وإنّ الرجل ليصدق ويتحرّى الصّدق حتّى يُكتب عند الله صديقاً، وإنّ الكذب يهدي إلى الفجور وإنّ الفجور يهدي إلى التّار وإنّ الرجل ليكذب ويتحرّى الكذب حتّى يُكتب عند الله كذاباً »³: استفاد من هذا الحديث للتأكيد بأنّ الزّانية والزّاني إذا اعتادا تكرار الزّنا لدرجة تحرّيه للوقوع فيه، فهما ومن يتحرّى الصّدق أو من يتحرّى الكذب سواء، فكما أنّ الأخيرين يُكتبان عند الله إمّا صديقاً وإمّا كذاباً، بحسب طبيعة الفعل الذي يتحرّاه كلّ واحد منهما، فمن يتحرّى الزّنا ويُدّاوم عليه يُكتب عند الله زاني، ولا كرامة.

- عن عائشة رضي الله عنها أنّ رجلاً طلق امرأته ثلاثاً، فتزوّجت فطُلّق، فسئِل النبيّ أتَحِلّ للأوّل ؟ قال: «

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 679.

2 المرجع السابق، ص: 672.

3 متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصّٰدِقِينَ﴾ (٣٣)، حديث (6094)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصّدق وفضله، برقم: (105).

4 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 673.

لا، حتّى يذوق عُسَيْلَتَهَا كما ذاق الأوّل¹»،² استعان به للمقابلة ومفهوم المخالفة، فكما أنّ الشريعة الإسلامية حثّت وشجّعت الزّوجين على التّمتع ببعضهما البعض في الحلال، شدّدت العقوبة ونهت عن الوقوع في الحرام لإشباع الشهوة الجنسيّة.

ثامناً: الاستفادة من التفسير التحليلي: انطلق طه جابر العلواني في دراسته لهذا الموضوع القرآنيّ مُعتمداً على القرآن الكريم نفسه، وعلى ثلاثة أحاديث نبويّة، واستغنى تماماً عن الاستفادة بآراء غيره، فلم يستدع أيّ قول لغيره من المفسّرين، ولم ينهل من أيّ تفسير تحليليّ أو غير تحليليّ، بل هو الاجتهاد والرأي الشخصي له ما اعتمد عليه؛ معضوداً بالنية الخالصة والمثابرة لنصرة مواقفه الشخصيّة ولو خالفت السنّة النبويّة الثابتة والإجماع القويّ والفعليّ.

تاسعاً: استخلاص هدايات القرآن المستفادة من الآيات: أمّا استقلال استخلاص هدايات القرآن من الآيات المدروسة بعنوان خاصّ، فهذا أمر لم يُعَنَّ به العلوانيّ ولا هو اهتمّ به كإطار منهجيّ سار عليه غيره من المفسّرين، أو نظّر له الباحثون والمهتمّون بالتفسير الموضوعيّ، فلم يجعل هدايات الآيات مساحة يجمع فيها للقارئ والمطلّع على تفسيره، ما يُلخّص ويجمع فيه الفوائد والنتائج والهدايات المستخلصة، وأمّا استغلال محتوى التفسير لنشر هدايات الآيات في ثناياه، فذاك مسلك ارتضاه العلوانيّ لنفسه سبيلاً، لذا عمل الباحث على تصيّد هداياتها من داخل الفقرات، ثمّ فرزها ورصّها في نقاط مُتتاليات، فأثمر جهده قطف الهدايات القرآنيّة التالية -من الآيتين الثانية والثالثة من سورة النور-:»

- الزّنا فاحشة وجريمة قبيحة، مفسدها مُتعدّدة لذا يجب عدم الاقتراب منها وممارستها.
- يُطلق اسم الزّاني أو الزّانية على الشّخص الذي يتعدّد وقوع فعل جريمة الزّنا منه إلى درجة الاتّصاف به، ومن يخلع عنه ثياب الحياء والخوف والترّدّد بشكل كامل، ولا يستنكف عن المجاهرة التي تُعرّضه لشهادة الشّهود.
- كلّ من تحرّى الوقوع في معصيّة اشتقّ له اسم منها، فمن تحرّى الصّدق سُمّي صديقاً، ومن تحرّى الكذب سُمّي كذاباً، ومن تحرّى الزّنا سُمّي زانياً، وهكذا.
- لا نصّ في القرآن أو في الأحاديث الصّحيحة يُحدّد عقوبة الزّنا، سواء للمحصن أو لغير المحصن قبل نزول سورة النور.
- الزّنا هادم للمجتمعات، ولا يُمكن أن يُرجى ممّن يتحرّوه إقامة أُمّة رشيدة، أو بناء دولة قويّة.

1 أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب الطّلاق، باب من أجاز طلاق الثّلاث، حديث رقم: 5261.

2 طه جابر العلوانيّ، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 679.

- الزّنا فيه معنى القتل، فلا يُمكن معه بقاء النّوع ودوامه، وهو يخلط الأنساب، ويُؤدّي لتدمير شبكة العلاقات الاجتماعية.

- إنسياق الزّاني وراء شهواته الغريزيّة، وعدم إدراك حكمتها ووضعها موضعها، يهوى به لمرتبة الحيوانيّة، فيُعاقب عقوبة من جنس عقوبة الحيوانات المتمرّدة أو وسائل زجرها وترويضها بالضّرب والجلد، ومع غلظة عقوبة الجلد، فإنّها لا تُنهي الحياة، أي أنّ العقوبة لا تبلغ حدّ الرّجم!! وعقوبة الزّاني والزّانية، قبل الإحصان وبعده، هي الجلد مائة جلدة لا غير.

- المرأة هي المنوط بها المتعة، والزّنا لا يتمّ دون استدراجها للذكر، أو رضاها واستعدادها وتسليمها نفسها له، وتبرّجها وميوعتها من ذلك الرضا والاستعداد والتّسليم.

- الشّريعة الإسلاميّة شريعة عامّة شاملة خاتمة، تُحلّ الطّيّبات وتُحرّم الخبائث، مُنسجمة مع الفطرة البشريّة، لا عسر فيها ولا تحميل لما لا يُطاق.

- لا رأفة ولا تساهل عند تطبيق حدود الله وَعَلَيْكُمْ، بل هو التّثبت من وقوع الجريمة، والقوّة في حدود الله، وطاعة الله وَعَلَيْكُمْ في تنفيذ العقوبة، فلا أرحم من الله، ولا أرف منه بالعباد، ومن تاب بعد تنفيذ الحدّ يتوب الله عليه.

- تطبيق عقوبة الزّنا علانيّة، فالجزاء من جنس العمل، فكما شهد الجريمة شهود يشهد العقوبة طائفة كبيرة من النّاس، وبهذا يرتدع المعاقب وجميع من حضر العقاب، وتُشفى صدور، وتُعظّم حرّات الله.

- حتّ الشّريعة الإسلاميّة على إشباع الشّهوة الغريزية للإنسان في الحلال، يُقابله ردع لمن ينساق لرغباته وينحطّ لرتبة الحيوان، وذلك بإسقاط أقصى العقوبات البدنيّة والنّفسيّة ضدّه، فباب الحلال مُيسر مُباح، وباب الحرام مُغلق لا رأفة فيه ¹.

المطلب الثالث: التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني عند طه جابر العلواني

قال طه جابر العلواني في التّفريق بين المصطلح والمفهوم: « إذا كان المفهوم مُغايراً للأسماء من حيث الدّلالة والوظيفة المعرفيّة، وإن كان اسماً من حيث الإعراب؛ فإنّه مُغايّر للمصطلح كذلك، فالمصطلح بمثابة الاسم: يصطلح جماعة من النّاس تجمعهم حرفة أو مصلحة أو سواها على إطلاق لفظ بإزاء معنى أو ذات، لا يتنازعون فيما اصطَلَحُوا عليه، حيث لا مُشاحّة في الاصطلاح.

أمّا المفهوم فهو شيء آخر يختلف عن الاسم، ويختلف عن المصطلح، إنّه أشبه بوعاء معرفي

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 671 - 687. باختصار.

جامع يحمل من خصائص الكائن الحيّ أنّه ذو هويّة كاملة قد تحمل تاريخ ولادته (ويغلب أن يكون تقريباً) وسيورته وتطوّره الدّلاليّ، وما قد يعترضه أثناء سيورته من عوامل صحّة أو مرض وعمليات شحن وتفريغ وتحلية وتحلية؛ ولذلك كانت دائرة المفاهيم أهمّ ميادين الصّراع الفكريّ والثّقافيّ بين الثّقافات عبر التاريخ وستظلّ كذلك حتّى ظهور الهدى ودين الحقّ على الدّين كلّه¹.

ولإظهار خطوات تعامل العلوانيّ مع دراسة المصطلح القرآنيّ دراسة موضوعية، يعرض الباحث النموذجين التّاليين:

النموذج الأوّل: حقيقة المسّ: وذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة: 275]، وقد تعامل طه جابر العلوانيّ مع دراسة مصطلح المسّ بتطبيق الخطوات المنهجية التالية:

أولاً: أخذ معنى الجذر الثّلاثيّ من كتب اللغة العربيّة: بالاعتماد على كتاب مفردات ألفاظ القرآن، نقل العلوانيّ كلام الرّاجب عن المفردة (مَسَسَ)²، وبهذا حدّد الجذر الثّلاثيّ للفظ المسّ.

ثانياً: ربط المعنى اللّغويّ للمصطلح القرآنيّ مع الاستعمال القرآنيّ: استعان العلوانيّ بكتاب المفردات استعانة تامّة، واعتمد عليه اعتماداً كليّاً في بيان معنى المسّ، وقد تضمّن كلام الرّاجب (توفي: 502هـ) ربطاً للمعنى اللّغويّ للمصطلح القرآنيّ مع الاستعمال القرآنيّ، قال الرّاجب: «المسّ كاللمس، لكنّ اللّمس قد يُقال لطلب الشّيء، وإن لم يُوجد، كما قال الشّاعر: وألمسه فلا أجده، والمسّ يُقال فيما يكون معه إدراك بحاسة اللّمس، وكُنّيّ به عن النّكاح، فقليل مسّها وماسّها، قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْقَوتُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾ [البقرة: 237]، وقال: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَكُمْ تَمْسُوهُنَّ﴾ [البقرة: 236]، وقرئ: ﴿مَا لَكُمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾، وقال: ﴿أَنْتَ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾ [آل عمران: 47]، والمسيس كناية عن التّكاح، وكُنّيّ بالمسّ عن الجنون، قال تعالى: ﴿الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة: 275]، والمسّ يُقال في كلّ ما ينال الإنسان من أذى، نحو قوله: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا أَتَاكُمَا مَعْدُودَةٌ﴾ [البقرة: 80]، وقال: ﴿مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ﴾ [البقرة: 214]، وقال: ﴿ذُرُوفًا مَسَّ سَقَرٌ﴾ [القمر: 48]، ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ [الأنبياء: 83]، ﴿مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ﴾ [ص: 41]، ﴿مَسَّتْهُمُ إِذَا لَهْمُ مَكْرَفٍ إِبَانَةً﴾ [يونس: 21]، ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: 124].

1 طه جابر العلوانيّ، نحو منهجية قرآنية معرفية، مرجع سبق ذكره، ص: 124.

2 الرّاجب الأصفهانيّ، المفردات في غريب القرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 467.

لقد ذكر فيما سبق من معاني المسّ التّكاح، والجنون، والأذى، ويذكر الباحث من أنواع الأذى البدنيّ، مسّ الشّيطان للإنسان بتسلّطه على الجسد، وهو أمر من واقع حياة النّاس، ومن أكبر مشاكلهم المعاصرة التي يُعانون منها، يقول ابن تيمية (توفي: 728هـ): « دخول الجنّ في بدن الإنسان ثابت باتّفاق أئمة أهل السنّة والجماعة، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾¹، وفي الصحيح عن النبي ﷺ: "إنّ الشّيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم"²، وهذا الأمر كان وما زال مثار جدل بين العلماء ما بين مثبت له ونافٍ.

ثالثاً: ربط المصطلح القرآنيّ مع السّياق الذي ورد فيه، وبيان تناسب هذا المصطلح مع الآيات التي ورد فيها: يقول طه جابر العلواني: « والمسّ في القرآن ورد لمعانٍ كثيرة منها الجنون والأذى والعذاب وما إلى ذلك ... ولكن الحقيقة أنّ المسّ هو تأثير معنويّ يغلب أن يكون بطريق الوسوسة، فالشّيطان يُوسوس للإنسان بالشرّ، فإذا تقبّل الإنسان وسوسته وتأثر بها فإنّ الأمر سوف ينتهي إلى أن يُقال: قد مسّه الشّيطان، فيه مسّ من جنون، والله تبارك وتعالى قد قال: ﴿إِنَّكَ أَنتَ الَّذِي أَتَقَوَّا إِذَا مَسَّهُمْ طَلِيفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾³ [الأعراف: 201]، وهذا الطّائف تعبير مُعجَزٌ دقيقٌ، لأنّ الشّيطان يطوف بالإنسان في كلّ وقت محاولاً أن يجد ثغرة، والثّغرة التي يجدها تنبثق عن غفلة الإنسان عن ذكر ربّه وابتعاده عنه، وأنّذاك يُقَيِّضُ لهذا الإنسان شيطان فهو له قرين، قال ﷻ: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾⁴ [الزّحرف: 36]، أي مُصاحب ولكن عن بعد، فإذا ذكر الله واستعاذ بالله من الشّيطان أبعد الشّيطان وهمسه ولمسه ووسوته وأيّ تأثير له⁴.

لقد اتّضح انخياز العلوانيّ إلى القائلين بنفي المسّ الجسديّ، واكتفائه بإثبات المسّ المعنويّ والنّفسيّ، وقد وجد الباحث كلاماً مُفصّلاً عن معنى التّخبطّ وعلاقته بالمسّ في قوله تعالى: ﴿الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾⁵ [البقرة: 275]، يقول الرّازي (توفي: 606هـ): « التّخبطُ معناه الضّرب على غير استواءٍ، ويُقال للرّجل الذي يتصرّف في أمرٍ ولا يهتدي فيه: إنّه يخبط خبط عشواء، وخبط

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 315.

2 أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، برقم: (3281).

3 ابن تيمية، مجموع الفتاوى، مصدر سبق ذكره، ج 24، ص: 276.

4 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 315 - 316.

البعير للأرض بأخفافه، وتخبّطه الشَّيْطَانُ إِذَا مَسَّهُ بِجَبَلٍ أَوْ جُنُونٍ لَّأَنَّهُ كَالضَّرْبِ عَلَى غَيْرِ الاسْتَوَاءِ فِي الإِدْهَاشِ، وتُسمَّى إصابة الشَّيْطَانِ بالجنون والخبَل خبطة، ويقال: به خبطة من جنون، والمسُّ الجنون، يُقال: مُسَّ الرَّجُلُ فهو مُمَسُّوسٌ وبِهِ مَسٌّ، وأصله من المسِّ باليد، كأنَّ الشَّيْطَانِ يمسُّ الإنسانَ فَيُجَنِّهُ، ثُمَّ سُمِّيَ الجنون مَسًّا، كما أَنَّ الشَّيْطَانِ يتخبّطه ويطؤه برجله فَيُخَبِّلُه، فَسُمِّيَ الجنون خبطةً، فَالتَّخَبُّطُ بِالرَّجْلِ والمسُّ باليد ¹، فالآية إذن تُثبت شيئاً أكثر من مجرد الوسوسة. والله أعلم.

رابعاً: استخلاص الدلالات والدروس والعبر من الآيات التي أوردت المصطلح: ذكر العلواني خلال دراسة مصطلح المسِّ الدروس والعبر التالية:

- المسِّ في القرآن ورد بمعانٍ عديدة، وحقيقته أنَّه تأثير معنوي يغلب أن يكون بطريق الوسوسة.
- غفلة الإنسان عن ذكر ربِّه وابتعاده عنه سبب لتقيض شيطان يكون له قريباً.
- الدَّعاوى التي يُكثر النَّاسُ من ترددها هي نوع من الدَّعاية للشَّيْطَانِ، والدَّعوة إلى التَّصديق به والخوف منه، بل والاستسلام له.
- عبدة الشَّيْطَانِ أضلَّهم الله على علم منه، لأنَّهم رأوا أنَّ الأولى مُسالمة الشَّيْطَانِ للتَّخلُّص من شرِّه بدل الاستعاذة منه.²

فكانت الدِّراسة موضوعية بالنَّظر للخطوات المتبعة خلالها، فحتَّى مع إغفال بعضها من طرف العلواني - وإن كان ذلك يُعدّ نقصاً- فإنَّه لا ينفي عن دراسته صفة الدِّراسة الموضوعية لمصطلح المسِّ. التَّموذج الثَّاني: مصطلح الأُمنية: وذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَخَّأَ الْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ [الحج: 52]³، وقد طبَّق العلواني عند دراسته لهذا المصطلح القرآني الخطوات التالية:

أولاً: معنى الأُمنية: يقول طه جابر العلواني عن الأُمنية أنَّها: «صورة ترتسم⁴ في النَّفس بشكل حسن، وتُصوَّر لها بصورة جميلة، أكانت تلك الصُّورة حقيقة في الواقع أو أنَّها صورة مُتخيَّلة قامت على تخمين أو تخيُّل أو ظنٍّ، وقد تحصل بناء على أصل ما، أو تفكير أو رؤية، وهناك اتِّصال وانفصال بين "التَّمَيِّ" ومُجانبة الحقيقة، التي تصل إلى مستوى الكذب، من حيث كون الكذب

1 الزاوي، مفاتيح الغيب، مرجع سبق ذكره، ج 07، ص: 77.

2 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 314 - 316. باختصار.

3 مرجع سبق ذكره، ص: 597.

4 في الأصل: -تتسم- ولعلَّ الصَّواب ما أثبتته الباحثة بالنَّظر لسياق الكلام بعدها. ينظر: طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 598.

مُشتملاً على بجانب الحقيقة، وإعطاء صورة أو تصوّر لما لا حقيقة له.

كما أنّ هناك اتّصلاً وانفصالاً بين "التّميّ" و"التّزيّن"، فتزيّن النّفس أو الشّيطان الشّيء أو الرّأي أو العمل للإنسان هو إعطاء صورة مُغايرة أو مُبالغ فيها أو ليست بحقيقة -على كلّ حال- لدفع المزّيّن له إلى ممارسة ذلك والوقوع فيه إن كان رأياً أو حقيقة¹.

وعلى هذا فقد قام العلواني بتعريف الأمنية دون النّقل عن غيره، وهذا ممّا لا شكّ فيه يدخل ضمن مشروعه الدّاعي إلى ضرورة إعادة بناء المفاهيم والمصطلحات قرآنيّاً، وهو قد ذكر في تعريفه معانٍ متقاربة مع الأمنية، ومعانٍ أخرى مُتباعدة عنها، فوضعنا أمام المعاني التّالية:

- المعاني المتقاربة مع مصطلح الأمنية: ارتسام صورة حقيقيّة أو خيالية في مُخيّلة الإنسان.

- المعاني المتباعدة عن مصطلح الأمنية: الكذب، إعطاء صورة غير حقيقية بفعل تزيّن النّفس أو الشّيطان أو غيرهما.

على أنّ جميع تعريفات العلماء تدور حول معنى واحد، وهو أنّ الأمنية ما يرغب المرء في وقوعه، من حديث نفس، أو صريح قول، أو ما ظهر من خلال فعل، وسواء كان أمراً مُمكنّاً أو مُستحيلاً².

ثانياً: ربط المعنى اللّغويّ للمصطلح القرآنيّ مع الاستعمال القرآنيّ: استعان طه جابر العلواني بكتاب التفسير القرآنيّ للقرآن لعبد الكريم الخطيب (توفي: 1406هـ)، وهذا ما نقله عنه: « وفي تميّ القرآن الكريم، جاء لفظ التّميّ بهذا المعنى، الذي هو طلب الشّيء البعيد، كما في قوله تعالى:

﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٤) وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (١٥) ﴿

[البقرة: 94-95] ... وجاء في القرآن أيضاً قوله تعالى: ﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾ [التّحيم: 24] وهو يُنكر على الإنسان أن يقع له ما يتمنّاه، ويجري على هواه وهواجسه، وجاء في القرآن الكريم كذلك

في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمَيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ لَا يُظُنُّونَ﴾ (٧٨) [البقرة: 78]

والأمانى جمع أمنية ...³، فمعاني التّميّ التي وردت في كلام الخطيب المنقول هنا هي:

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 598.

2 ينظر: الرّاغب الأصفهاني، تفسير الرّاغب الأصفهاني، (1215/03). وابن الأثير، التّهذيب في غريب الحديث والأثر، (367/04). والجرجاني، التّعريفات، (92/01). والسبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، (421/01). وفضل عبّاس، البلاغة فنونها وأفنانها، ص: 155.

3 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 597.

- طلب الموت: وذلك في قوله تعالى: ﴿فَتَمَنَّا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: 94]، أي: اطلبوا الموت لأنفسكم.¹

- كراهية الموت: وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 95]، قال الطبري: أي: إن كنتم صادقين في ادّعاءكم بأنكم أولياء الله، فإن الله يُكرم أولياءه ولا يُعذبهم، فادعوا على أنفسكم بالموت ليُرحمكم الله من عناء الدّنيا وتعبها لتنعموا بنعيم الله بعد موتكم.²

- عدم تحقق كلّ أمنية: وذلك في قوله تعالى: ﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾ [التّحيم: 24]، أي: ليس كلّ ما تمّنّى خيراً وقع له.³

- الكذب والادّعاء والباطيل: وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ لَا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: 78]، وقد فُسّرت "الأماني" بالأمور الباطلة الكاذبة التي لا أساس لها من الصّحّة.⁴

ويُضاف لهذه المعاني؛ المعنى الوارد في الآية محلّ الدّراسة الموضوعية، وهو:

- عصمة الأنبياء من وسوسة الشّيطان: وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ [الحج: 52]، أي: أنّ النّبيّ إذا أحبّ وأراد حصول شيء مُعَيّن، ألقى الشّيطان في رغبته وأمنيته بعض الوسوس، ولكنّ الله تعالى يُزيل هذه الوسوس من أُمْنِيّات الأنبياء ورغباتهم⁵، وذهب فريق آخر من العلماء أنّ الأُمْنِيّة بمعنى التّلاوة، وإلقاء الشّيطان بمعنى الوسوسة.⁶

وجدير بالذّكر أنّ ما ذُكر من معانٍ للأُمْنِيّة من طرف طه جابر العلواني نقلاً عن عبد الكريم يونس الخطيب، لم يتناول جميع مواطن ورود مصطلح الأُمْنِيّة واشتقاقاته وتصريفاته في القرآن الكريم، فثمة آيات أخرى بمعانٍ مختلفة عمّا ذُكر، ولم تتمّ الإشارة إليها، منها على سبيل المثال لا الحصر:

- 1 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سبق ذكره، ج 01، ص: 331.
- 2 الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصدر سبق ذكره، ج 23، ص: 379.
- 3 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سبق ذكره، ج 07، ص: 485.
- 4 مجاهد، تفسير مجاهد، (ط 01، دار الفكر الإسلاميّ الحديثة، القاهرة، مصر، 1384هـ - 1964م)، ص: 207.
- 5 ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مرجع سبق ذكره، ج 04، ص: 75.
- 6 ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سبق ذكره، ج 12، ص: 79.

- الشهوات الباطلة: قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: 111]، أي: شهواتهم الباطلة.¹

- رغبات النفس: قال تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: 123]، أي: أنه لا نجاة لكم بمجرد الرغبة التي في نفوسكم، بل النجاة بطاعة الله واتباع شرعه ورسوله.²

- تمني الموت في سبيل الله: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ نَظَرُونَ﴾ [آل عمران: 143]، وهذا خطاب من الله للذين لم يشهدوا غزوة بدر، حيث كانوا يتمنون لو أنهم حضروا ولو مشهداً واحداً مع رسول الله في بدر لينالوا أجر وكرامة الشهادة التي نالها شهداء المسلمين يومئذ.³

ثالثاً: ربط المصطلح القرآني مع السياق الذي ورد فيه، وبيان تناسب هذا المصطلح مع الآيات التي ورد فيها: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ [الحج: 52]: «استطرد طه جابر العلواني لربط مصطلح الأمانة مع السياق الذي ورد فيه؛ وهو أمانة الأنبياء والرسل، فعقد لذلك عنواناً خاصاً في صورة السؤال التالي: هل وقع التمني من أنبياء ورسل ممن جاؤوا قبل نبينا محمد ﷺ؟

وللإجابة عن هذا السؤال الذي شمل جميع الأنبياء والرسل قبل خاتم الأنبياء ﷺ، بدأ بذكر أمانة سيدنا آدم عليه السلام الخلود في الجنة، ووظف لبيان ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا آلَ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ [طه: 115]، وقوله: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا يَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرِىٰ﴾ [طه: 118-119]، وقوله: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّخِذُمْ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: 120].

وذكر أمانة سيدنا نوح عليه السلام أن تكون الإمامة في ذريته وفي عقبه، فاستدعى لذلك قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ [طه: 120]، قال ينوح إنه ليس من

1 المحلي والسيوطي، تفسير الجلالين، مرجع سبق ذكره، ج 01، ص: 23.

2 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سبق ذكره، ج 02، ص: 417.

3 الزمخشري، الكشاف، مرجع سبق ذكره، ج 01، ص: 421.

أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتَلَوْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَلَا تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٤٧﴾ ﴿طه: 45-47﴾، وقوله: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥٠﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٥١﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ مُدْبِرِينَ بِأَنَّهُم وَاسْتَفْسَحُوا لِيَابَهُمْ وَاصْرُورُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٥٢﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٥٣﴾﴾ [نوح: 05-09]، وقوله: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [المؤمنون: 27]، وقوله: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الإسراء: 03].

وأمنية سيدنا إبراهيم عليه السلام أن تكون الإمامة في ذريته وفي عقبه، فذكر قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَبَدَىٰ إِبْرَاهِيمُ رَيْبَهُ بِكَلِمَاتِ قَاتِلِهِمْ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [البقرة: 124]، وعن دعاء إبراهيم عليه السلام لأبيه قال العلواني: وأما دعاؤه لأبيه فكان عن موعدة وعدّها إيّاه، فهل يُعدّ هذا تمنياً؟ الصحيح أنّ هناك فارقاً كبيراً بين الدّعاء والتّمني، فليُتأمل «¹»، وقد تأمل الباحث في ما ورد من معاني للدّعاء في القرآن، فوجد التّمني واحداً منها، وذلك مثلاً عند قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [يس: 57] أي: «يتمنون ما شاؤوا من الخير»²، وبهذا قال الطّبري، والزّجاج، وأبو حيّان³، ضف إلى ذلك أنّ استخدام لفظ الدّعاء بمعنى التّمني ليس غريباً في لغة العرب، فقد كان يُقال: «ادّع عليّ ما شئت، أي تمّن، وهو مأخوذ من الدّعاء بالشّيء، أي كلّما دعوا بشيء أُعطوه»⁴.

رابعاً: استخلاص الدلالات والدروس والعبر من الآيات التي أوردت المصطلح: جعل العلواني دلالات الآية ودروسها وعبرها في شكل تنبيهات ختم بها تفسيره لها، فقال: «وهنا نوّد التنبيه على

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 597 - 600. باختصار.

2 مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاتة، (ط01، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، 1423هـ - 2002م)، ج03، ص: 582.

3 ينظر: الطّبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (582/20). والزّجاج، معاني القرآن وإعرابه، (292/04). وأبو حيّان، البحر المحيط في التفسير، (76/06).

4 النّحاس، معاني القرآن الكريم، تحقيق: محمّد علي الصّابوي، (ط01، مركز إحياء التراث الإسلامي، مكّة المكرمة، المملكة العربية السّعودية، 1410هـ - 1989م)، ج05، ص: 509.

بعض النقاط:

- التّميّ أمر خاصّ بالرّسل والأنبياء قبل سيّدنا محمّد ﷺ، فهو ﷺ لم يتمنّ شيئاً لنفسه ولا لقومه¹، بل انصبت أمنيته لهداية الناس جمعاء.

- الفاصل بين بشريّة الأنبياء والرّسل ورسالاتهم فاصل سميك قائم لا يُتجاوز، فإنّ التّبوّة والرّسالة في النّبيّ الرّسول البشر تعني الالتزام التّامّ منه في التّلقّي وفي الأداء، وفي التّحمّل والاتباع، وفي البيان، وغيرها من المهام².

وقد تخطّى العلواني بعض خطوات تفسير المصطلح القرآني المتعارف عليها، لكنّه ليس بدعاً من المفسّرين في ذلك، و لعلّ أبرز ما تخطّاه هو خطوة جمع الآيات القرآنية التي تخصّ المصطلح القرآني ودراستها حسب تاريخ أسباب النّزول، والمكّي والمدنيّ، ووجه المناسبة، وغير ذلك من صور الرّوابط بين الآيات القرآنية.

1 سبق البيان أنّ الأمانة من معاني الدّعاء، وهنا يستحضر الباحث قوله ﷺ: « لكلّ نبيّ دعوة مستجابة، فتعجل كلّ نبيّ دعوته، وإنّي اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي، فهي نائلة من مات منهم لا يشرك بالله شيئاً ». أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب لكلّ نبيّ دعوة مستجابة، حديث رقم: (6304)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته، حديث رقم: (198).

2 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 600 - 601. باختصار. وقد أهمل العلواني التّنبية على ما يربط مصطلح الأمانة بمقاصد القرآن وأهدافه، وكذا ملاحظة البعد الواقعي للمصطلح وإشاراته وإيجاءاته، وهي نقاط تخدم دراسة المصطلح القرآني.

المبحث الثالث:

القيمة العلمية للتفسير الموضوعي عند طه جابر العلواني

المطلب الأول: خصائص التفسير الموضوعي عند طه جابر العلواني

المطلب الثاني: ضوابط التفسير الموضوعي عند طه جابر العلواني

المطلب الثالث: التجديد والخطأ في التفسير الموضوعي عند طه جابر العلواني

المبحث الثالث: القيمة العلمية للتفسير الموضوعي عند طه جابر العلواني

كشف طه جابر العلواني في مُقدِّمة تفسيره أنّ محاولته لتفسير القرآن الكريم تهدف لإقناع المسلمين والبشريّة جمعاء بأنّ القرآن وحده كافٍ ومُغنٍ، وهي محاولة لتجاوز ما قام به فضلاء المعنّيين بالتفسير الموضوعي¹، ولكي يضمن لتفسيره قيمةً علميّةً ويُحقّق ذلك التّجاوز المنشود، حدّد لنفسه السّبيل، وجعل على القرآن التّعويل، فنتج عن ذلك تفسير تُميّزه خصائص وتحكمه ضوابط، وفيه جوانب جمعت بين التّجديد والخطأ.

المطلب الأوّل: خصائص التفسير الموضوعي عند طه جابر العلواني: جاء في المعجم الوسيط أنّ الخصيصة هي « الصّفة التي تُميّز الشّيء وتُحدّده، والجمع: خصائص »²، وبعد الدّراسة التّطبيقية لكتاب "تفسير القرآن بالقرآن" لطه جابر العلواني في جانبها المتعلّق بالتفسير الموضوعي، وفي أنواعه الثلاثة، برزت عدّة صفات ميّزت هذا التفسير، وُحدّدت خصائصه، فجمعها الباحث وربّتها في النقاط التّالية:

أولاً: خصائص متعلّقة بالتفسير الموضوعي الكشفي:

أ- الخطوات المنهجية المتّبعة من طرف طه جابر العلواني: وتتمثّل فيما يلي:

01-الابتداء بوصف السّورة: حيث يذكر عن السّورة: عدد الآيات، وعدد الكلمات، وعدد الحروف، ومكيّة أو مدنيّة، وقد يذكر هذا في نقاط مُنفصلة كما فعل مع سور الفاتحة، والبقرة، وطه، والأنبياء، والحجّ، والمؤمنون، والنّور والعنكبوت، والزّوم، والسّجدة، أو في فقرة مُتّصلة كما صنع مع سورة الأنعام دون سواها، وعليه فالغالب هو وصف السّورة في نقاط متفرّقة، وهو ما يُعتبر من خصائص تفسيره.³

02-أسماء السّورة: يرى العلواني أنّ اسم السّورة يُترجم عن مقصودها، ومُسمّى السّورة هو عنوان دالّ إجمالاً على تفصيل ما فيها، وهو في هذا لا يعتمد إلّا على التّوقيف، فعند حديثه عن اسم سورة النّور مثلاً، قال: « وتسمية السّورة الإلهيّة بالنّور: تسمية لها بما يترتّب على الالتزام بها من هداية ونور من نوع خاصّ متميّز، لا يُشبهه أيّ نور آخر في نقائه وفي صفاته وفي طهارته، وما يتّصل

1 ينظر: طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 50.

2 إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مرجع سبق ذكره، ج 01، ص: 238.

3 ينظر: طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 51 و 87 و 325 و 445.

بذلك»¹، ويُبيّن سبب تسمية السّورة: «وتسمية السّورة من ربّ العالمين بسورة النّور، لأنّ النّور ثمرّة التّزكية، والنتيجة التي تُوصّل التّزكية إليها، فالتّزكية مقدّمات والنّور نتيجة، وقد جاء ذكر التّزكية فيها بألفاظها ثلاث مرّات»².

وقد يُهمل ذكر سبب تسمية السّورة كما فعل في سور العنكبوت³، والرّوم⁴، والسّجدة⁵، وهي آخر ما فسّر من السّور.

03- ترتيب السّورة في المصحف: معرفة ترتيب السّور يُعين على فهم القرآن وتفسيره، ويُبيّن الارتباط بين السّور فيما بينها، ويكشف إعجاز القرآن الكريم، وأنّه محفوظ من الاضطراب من خلال معرفة التّسق والاتّساق بين سوره وآياته، وأنّه خال من التّناقض والاختلاف، والعلواني لم يلتزم ذكر التّرتيب في جميع السّور، بل تارة يذكره وتارة يغضّ عنه الطّرف، وسبب هذا فيما يرى الباحث هو ترجيحه أنّ هذا التّرتيب الموجود الآن في المصحف كان معهوداً في عهد النّبي ﷺ، واهتمامه الكبير بذكر مناسبة السّور فيما بينها، وقد ذكر ترتيب سورة الفاتحة⁶، وترتيب سورة الأنعام⁷، وترتيب سورة الحج⁸، وترتيب سورة السّجدة⁹، ولم يذكر ترتيب باقي السّور كسورة البقرة، وسورة طه، وسورة المؤمنون، وغيرها، ولكنّه ذكر موقعها من خلال ذكر السّور التي قبلها وبعدها.

04- بيان أنواع المناسبات القرآنية: اهتمّ طه جابر العلواني ببيان وجوه المناسبات المختلفة، فذكر ما يلي:

- **المناسبات بين الآيات:** بشكل عامّ؛ يرى العلواني أنّه حين «تُضمّ الآيات إلى بعضها وتُستحضر كاملة، فسيلحظ القارئ كيف يُفسّر القرآن بعضه بعضاً في ترابط وإحكام، يبرز تسلسل الأفكار التي توحى الآيات الكريمة بها وبدلالاتها وترابطها وانسجامها»¹⁰، لذا فهو قد اهتمّ ببيان

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 667.

2 المرجع السابق، ص: 667 - 668. بتصرف.

3 المرجع السابق، ص: 805.

4 المرجع السابق، ص: 869.

5 المرجع السابق، ص: 921.

6 المرجع السابق، ص: 52.

7 المرجع السابق، ص: 352.

8 المرجع السابق، ص: 553.

9 المرجع السابق، ص: 921.

10 المرجع السابق، ص: 808.

المناسبة بين الجمل، أو بين الآيات، واستنبط وجوه مناسبات دقيقة ونفيسة، وتعامل مع القرآن الكريم في إعجازه ونظمه، فلم يُغفل سياقه الداخلي، وتربط العلاقات، وذلك ضمن حدود علم المناسبات، والمقاصد العليا للقرآن الكريم، وخصائصه.

- **المناسبات بين السور:** لم يُغفل العلواني ذكر مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها¹، وهو قد يكتفي بذكر المناسبة لما قبلها كما فعل في سور الأنبياء والمؤمنون والعنكبوت، وقد يُردف بذكر مناسبة السورة لما بعدها كما فعل في سور الفاتحة والحج، وقد يُهمّل ذكر المناسبة كما صنع في سورتي العنكبوت والسجدة، كما أنه قد لا يُدرج ذكر مناسبة السورة ضمن عنوان خاص ويوردها في فقرة ضمن فقرات أخرى كما صنع مع مناسبة سورة الأنعام لما قبلها وما بعدها.

وقد أورد وجوه مناسبات مُتعددة منها بيان ارتباط اسم السورة ومحورها، وبين فاتحة السورة وخاتمة ما قبلها، وفاتحة السورة وخاتمتها، وفاتحة السورة وفاتحة ما بعدها، وخاتمة السورة وفاتحة ما بعدها، وغير ذلك.

- **المناسبات بين آيات النجوم والسور:** ذكر العلواني مناسبات آيات النجوم والسور لاشتمالها على لطائف تناسبية عديدة، وبيان مظاهر الارتباط بين السور والآيات القرآنية، ولِيؤكد الوحدة البنائية للقرآن الكريم كله، ونظم القرآن المعجز.

ولأنّ علم المناسبات يُعدّ جزءاً أساساً من السياق، فمعرفة المناسبة من الآيات والسور يحتاج إلى النظر فيها للوصول إلى غرضها²، برز اهتمام العلواني بالسياق لإبراز الترابط بين الآيات وبين السور بمختلف أشكاله، فالسياق مهم لفهم المناسبات، والمناسبات عامل لتلاحم النصّ وانسجامه، وهما وسيلتان لبيان المعنى وفهم المراد، وقد سبق خلال دراسة سورة الأنعام بيان ذلك وضرب أمثلة عليه.

ومن أنواع علوم القرآن التي اهتمّ العلواني بها، وتكرّر ذكره لها، علم الأمثال في القرآن الكريم³، «والمثل لا يُفهم لفظاً بل يُفهم من خلال سياق النصّ القرآني، تبيّن دلالاته ظاهرة من خلال النصّ القرآني، أما اللفظ بمفرده فلا يكفي لفهم المعنى بل يُشير أحياناً إلى إشارات دلالية تقود لاستيعاء

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 52 و 88 - 90 و 326 - 327 و 446 و 495 - 496 ... الخ.

2 البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، مرجع سبق ذكره، ج1، ص: 18.

3 ينظر: طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 107 و 752 و 755 و 851.

المعنى «¹، يقول طه جابر العلواني عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [التّور: 34] «فضرب الأمثال في القرآن بالأمم السابقة إنّما هو عظة لكي لا تُكرّر الأمة المسلمة أخطاءهم، وتُتبع سبيل المصلحين منهم ...»²، فجعل مناسبة هذا المثل هو الموعظة، وعند تفسير قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِن ذُوبِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بِعَبَابٍ﴾ [العنكبوت: 41] «فأمثال القرآن محور أساس من المحاور التي نزل بها، وضرب المثل بالمعوضة فما فوقها والذباب والعنكبوت والنمل فيه تحدّد لأولئك القوم، وبيان لضالة شأنهم، وضعف عقولهم ...»³، وجعلها هنا احتقار المشركين وعقولهم.

05- تحديد عمود السّورة: يقول العلواني: «عمود السّورة ما يزال أمراً غير خاضع لقواعد استنباط، بل هو نفحات قرآنية تفيض من القرآن على المتدبرين له، فتكشف لهم عن عمود السّورة الأساس، والأعمدة الفرعية التي تدور حوله، والذي أعرفه من تجرّتي الشخصية أنّي بعد تدبّر السّورة، ورصد كلّ ما يبدو أنّه عمود لها أبدأ عملية استنطاق السّورة؛ لتساعدني للكشف عن عمودها. وأولي عناية خاصّة لتدبّر التسمية، وبدايات السّورة ونهاياتها ومناسبة كلّ آية لأخرى، وقد تظهر آية تعدّ عمود السّورة فأعتبر موضوعها عمود السّورة»⁴، وقد حدّد لجميع السّور التي وردت في تفسيره العمود الخاصّ بها، كقوله عن عمود سورة البقرة: «... وهذا هو المقصود بـ (الاستبدال) الذي رأيناه عموداً أساسياً للسّورة»⁵، وقد يذكر أكثر من عمود للسّورة الواحدة كسورة الفاتحة التي جعل لها خمسة أعمدة: التّوحيد والتّزكية والعمران والأمة والدّعوة⁶، وهاته الخمسة نقاط هي عند العلواني المقاصد العليا الحاكمة للقرآن.

ب- الجانب التفسيري: المقصود هنا هو ذكر الخصائص المتعلّقة بمضمون تفسيره للسّورة القرآنية، وبطريقته في كشف الوحدة البنائية، والموضوعات التي عالجتها السّورة، والهدايات القرآنية المستفادة منها، وقد اتّسم تفسير العلواني بالخصائص التّطبيقية التالية:

1 علي حميد حصير، دلالة السياق في النّص القرآني، أطروحة مقدّمة كجزء من متطلبات درجة الماجستير في اللّغة العربيّة وآدابها، (د.ط، الأكاديمية العربيّة في الدّانمارك، 1435هـ - 2014م)، ص: 105. بتصرّف يسير.

2 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 752.

3 المرجع السابق، ص: 851.

4 طه جابر العلواني، أكاديمية طه العلواني، عمود السّورة، <https://alwani.org/>.

5 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 97.

6 طه المرجع السابق، ص: 55 - 57.

01- تفسير عبارة عن سلسلة من السهل الممتنع: وقد عبّر طه جابر العلواني -مطلع

تفسير سورة البقرة- عن ذلك بقوله: « فهذه سلسلة من السهل الممتنع في تفسير القرآن بالقرآن، أردنا أن تكون مُتاحة لأجيال الشباب المتطلّعين إلى فهم القرآن، لتُساعدهم على التدبّر والفهم، ونُخرجهم من دوامة الرّجوع إلى التّفسير المطوّلة التي قد يصعب عليهم التّعامل معها، وتميّز ما فيها من مقبول ومرفوض ... وهي محاولة ما تزال في طور التجربة قابلة للتّحسين والإضافة، والتّعديل والتّصحيح »¹، ومع أنّ هذا الوصف عامّ في جميع تفسير العلواني إلّا أنّه يُمكن التّمثيل له ببعضه، فمن ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرَ فَأَوْهَبَ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾ [البقرة: 222] دعوة صريحة واضحة أنّ النّكاح المأمور به هو النّكاح المثمر للولد، وهذا لا يتمّ إلّا بالتّلقيح في موضع الحرث، أمّا أيّ موضع آخر فإنّه -وإن أفاد مُتعة- لا يُؤدّي إلى ثمرة الإنجاب، فصار المأمور به في هذه الحالة إتيان النّساء في موضع الحرث طلباً للولد، ...²، فالقارئ لتفسير الآية بهذا الأسلوب يفهم معناها يُسرّ مُطلق، ويتمتّع ببساطته وسهولته لوضوح ألفاظ والعبارات وتسلسلها، دون أيّ إضافات تُشتّت العقل وتصرف الانتباه عن المراد.

02- بيان المعنى الإجماليّ للسّورة: وقد جعل العلوانيّ لذلك عدّة طرق، فتارة يجعل ذلك

في نقاط مُستقلة بعناوين متعدّدة كما في سورة البقرة³، أو يُعنّن لهذا بـ"بين يدي السّورة" كما في سورة الأنعام⁴، وتارة بـ"مقدمة" كما في سورة النّور⁵، وتارة يدخل في بيان المعنى الإجماليّ مباشرة دون عنونة لذلك، كما صنع في سورة العنكبوت⁶، وقد يُورده في سياق الحديث عن عمود السّورة كما في سورة الرّوم⁷، على أنّه قد لا يذكره كما في سورتي الفاتحة⁸، والسّجدة⁹؛ وهما أوّل وآخر ما فسّر من السّور، وخلاصة القول أنّ صيغ ذكر المعنى الإجماليّ للسّورة القرآنيّ تعدّدت أساليبه عند طه جابر العلوانيّ، وهو لم يلتزم طريقة وحيدة لذلك، فكان حرصه على الإيراد دون الحرص على توحيد صيغة

1 طه جابر العلوانيّ، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 87. بتصرّف.

2 المرجع السّابق، ص: 252.

3 المرجع السّابق، ص: 88 - 91.

4 المرجع السّابق، ص: 325.

5 المرجع السّابق، ص: 669.

6 المرجع السّابق، ص: 805.

7 المرجع السّابق، ص: 869.

8 المرجع السّابق، ص: 51.

9 المرجع السّابق، ص: 921.

الإيراد.

03- تقسيم السّورة إلى نجوم: وقد بيّن العلوانيّ هذه النّقطة فقال: «لقد حاولنا أن نتجاوز ما قام به بعض فضلاء المعنّيين بالتفسير من العلماء المحدثين من تقسيم القرآن إلى أقسام موضوعية، وآثرنا أن نستعمل بدل كلمة الأقسام أو الأبعاد أو غيرهما كلمة النّجوم، تيمناً بنزول القرآن منجّماً. لكننا لا نعني بها المعنى الاصطلاحيّ الذي يُقصد به نجوم التّنزيل، ولكن نعني به تقسيم القرآن تقسيماً موضوعياً مُترابطاً يُعين على الفهم والاستيعاب لسور القرآن الكريم وترابط أجزائها ونجومها وآياتها»¹، وقد قسّم العلوانيّ كلّ سورة إلى جملة من النّجوم مثل سورة طه: النّجم الأوّل، النّجم الثّاني، النّجم الثّالث، والنّجم الرّابع²، وسورة السّجدة: النّجم الأوّل، النّجم الثّاني، النّجم الثّالث، والنّجم الرّابع³.

04- تحديد المفاهيم الواردة في السّورة: أي «تحديد المفاهيم بالقرآن المجيد، وتتبعها في سياقاتها المختلفة، وصياغتها صياغة قرآنية في إطار وحدته البنائية وجعله المصدر الأوّل لبنائها، وإذا وجدنا فائدة في إضافة شيء من الدلالات والمعاني اللغويّة من اللّغة في عصر التّنزيل أو السّنن والآثار للاستئناس، فلا بأس بذلك»⁴، وعليه جعل العلوانيّ المفاهيم تالية لمعاني القرآن، مُتأخّرة عنها، تابعة لها، واعتبرها «... مفاهيم تشتمل على معان عديدة، تلتقي في جذورها ومعانيها عند عنوان المفهوم، ... وكون مفردات القرآن مفاهيم، يساعد كثيراً على الكشف عن العلاقات البينيّة بين مفردات القرآن»⁵، والمفاهيم التي تناولها في تفسيره كثيرة جداً، منها: مفهوم الرّبّ والرّبوبيّة⁶، ومفهوم الوحي والنّبوة⁷، ومفهوم التّمكن⁸، وغيرها.

05- توظيف مدخل الجمع بين القراءتين: إنّ مجالات الإبداع والتّجديد وكشف أسرار القرآن وخفائيه في هذا المدخل أوسع، وفرصها أكبر، وقد ورد توظيف العلوانيّ لمدخل الجمع بين

1 طه جابر العلوانيّ، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 50.

2 المرجع السّابق، ص: (446 - 455) و(484 - 487) و(487 - 490). على التّرتيب، ولم يضع العلوانيّ عنواناً لأيّ نجم من نجوم سورة طه، وكذا سورة الأنبياء.

3 المرجع السّابق، ص: (921 - 952) و(928 - 952) و(928 - 933). على التّرتيب.

4 المرجع السّابق، ص: 58.

5 المرجع السّابق، ص: 58.

6 المرجع السّابق، ص: 63.

7 المرجع السّابق، ص: 385.

8 المرجع السّابق، ص: 787.

القراءتين بأسلوبين اثنين: أحدهما ضمنيّ مُتداخِل مع تفسير الآيات والسّور؛ وهو الغالب الكثير، كالوارد عن مفهوم الثّور في تفسير سورة الأنعام¹، ومفهوم الدّيمقراطية في سور الأنعام²، والثّاني بعنوان واضح مُستقلّ: "تفسير بعض نجوم السّورة من خلال مدخل الجمع بين القراءتين"، كما صنع عند تفسير سورة الفاتحة: « فحين نتأمّل ﴿الْعَمَلُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: 02]، فإنّنا نجد فيها من الإشارات ما يُمثّل شرط تحقيق العمران، وما يُمثّل أيضاً طريق تحقيق التّزكية والتّوحيد، ولكي ندرك هذا علينا أن نسأل: تُرى ما هي هذه الشّروط التي يجب توافرها من أجل تحقيق العمران ؟ ... »³، ويرى الباحث أنّه لو سار العلوانيّ على استقلالية عنوان مدخل الجمع بين القراءتين لكان أفيد من وجهين، الأوّل التّأصيل التّطبيقيّ لكيفيّة تطبيق هذا المدخل، والثّاني كشف مواضع تطبيق هذا المدخل بجلاء، فهو مدخل جديد من الضّروري عدم شغل الباحث بتحريّ مواضع وروده بدل فهمه وفهم أساليبه، هذا دون إغفال الانتقادات بخصوص الاكتفاء بالتّنظير دون الممارسات الفعلية التي تكون أمثلة مُوضّحة أكثر من أيّ تنظير مهما كان.

ثانياً: خصائص مُتعلّقة بالتفسير الموضوعي التّجميعي:

أ- الخطوات المنهجية المُتبعة من طرف طه جابر العلواني: بعد عرض الباحث نموذجين من تعامل طه جابر العلوانيّ مع الموضوع القرآنيّ، اتّضح أنّه قد عالج موضوعات قرآنية في تفسيره، فطبّق عليها بعض المقوّمات وأغفل بعضها، وتلك المعالجة مكّنت الباحث من التّوصّل إلى تحديد نقاط يُمكن اعتبارها خُطوات منهجية طبّقها طه جابر العلوانيّ لدراسة الموضوع القرآنيّ، وتلك الخطوات هي ما يلي:

01- اختيار الموضوع القرآنيّ وإعطائه عنواناً مُناسباً.

02- رصد آيات تخدم الموضوع المختار وجمعها، ولكن دون بلوغ مرحلة استيعابها.

03- وضع عناوين فرعية أو فقرات مُستقلة دون عنونتها؛ ولكنّها مُتّحدة المضمون.

04- الاستعانة بالأحاديث النبوية بقدر جدّ محدود.

05- الاستفادة من التفسير التحليليّ أحياناً.

06- عرض أو نثر هدايات القرآن في عنوان خاصّ أو ضمن التفسير الإجماليّ للعناوين الفرعية.

والذي أغفله العلوانيّ من خطوات ومقوّمات منهجية لدراسة الموضوع القرآنيّ هو:

1 طه جابر العلوانيّ، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 327 - 334.

2 المرجع السّابق، ص: 377 - 379.

3 المرجع السّابق، ص: 81.

01- مراعاة ذكر ترتيب الآيات بعد جمعها حسب نزولها.

02- ذكر أسباب النزول الثابتة إن وجدت.

03- مراعاة المكّي والمدني وموضوع كلّ منهما وفائدته.

04- الالتزام بالاستفادة من التفسير التحليلي مع أنّه ضابط مهمّ وليس مجرد خطوة.

ب- دراسة الموضوعات القرآنية: سعى العلواني إلى تحقيق الموضوعات القرآنية ومناقشتها، وهذا خاصّ بموضوع معين من موضوعات القرآن، ولم يُناقش أيّ موضوع لم يرد فيه، وقد اعتمد على عمق النظر والتدبّر في دلالات الآيات وسياقاتها المتعددة، كما ناقش الواقع بطريقة مُعاصرة من خلال وجهة النظر القرآنية فيما بدا له، وانتصر لمواقفه ومُدخلاته لعلم التفسير، فبرزت غلبة الأحكام المسبقة وتجلّت بوضوح، ومن المواضع التي توسّع فيها: حقيقة السحر¹، والحرب²، والتسبيح³، وغيرها.

ثالثاً: خصائص متعلّقة بدراسة المصطلح القرآني:

أ- الخطوات المنهجية المتبعة من طرف طه جابر العلواني: وتتمثّل فيما يلي:

- تحديد المصطلح القرآني.

- تحديد الجذر الثلاثي للمصطلح؛ بإعادة الكلمة إلى أصلها الثلاثي.

- أخذ معنى الجذر الثلاثي من أمّهات كتب اللغة العربيّة، ومعاجمها الأساسيّة.

- ربط المعنى اللغوي للمصطلح القرآني مع الاستعمال القرآني.

- ربط المصطلح القرآني مع السياق الذي ورد فيه، وبيان تناسبه مع الآية التي ورد فيها.

- استخلاص الدلالات والدروس والعبر من الآيات التي أوردت المصطلح.

غير أنّه أهمل مبادئ التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني التالية:

- متابعة ورود الجذر الثلاثي واشتقاقاته وتصريفاته في القرآن الكريم.

- ترتيب الآيات التي أوردت المصطلح موضوع البحث على حسب النزول.

ب- دراسة المصطلح القرآني: لم يُغفل العلواني دراسة المصطلح القرآني، كما لم يتعرّض لأيّ مصطلح من خارج القرآن الكريم، ومن المصطلحات القرآنية التي عالجها: النسخ⁴، والغفلة⁵،

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 145 - 162.

2 المرجع السابق، ص: 844 - 848.

3 المرجع السابق، ص: 760 - 764.

4 المرجع السابق، ص: 163 - 170، 273 - 274، 276، 288.

5 المرجع السابق، ص: 499.

والذكر¹، وغيرها.

رابعاً: خصائص عامة متعلّقة بمنهج التفسير الموضوعي: وخلاصتها اتباع العلواني منهج المدرسة العقلية، وموافقة روادها في عدّة نقاط، فهو دعا لما دعوا له، وتبني منهجهم بشكل تام، حذو القُدّة بالقُدّة، وبيان ذلك من طرف الباحث في النقاط التالية:²

01- تعظيم العقل وما ارتبط به من قوى الوعي خدمة للتفسير المصلحي.³

02- الوحدة البنائية (الموضوعية) في القرآن الكريم، واعتنى العلواني بهذا عناية فائقة، فأفرده في التأليف، وكرّر ذكره في أغلب مؤلفاته، وعلى رأسها تفسيره.

03- نبذ الإسرائيليات والتحذير من خطرهما، مع ترك الاستعانة بها، أو إيرادها لإبطالها.⁴

04- الدّعوة إلى المراجعات والاجتهاد والإصلاح الفكريّ ونقد التراث، مع تقشّف في الخوض في المسائل الاعتقاديّة⁵، فطه جابر العلواني مهوس بالتنظير والهدم وإعادة البناء، ويدعو لمشاريع وورش عمل كبيرة، وكأن جهود من سبق قاصرة غلب عليها النقص والخطأ، أو غابرة مضى زمنها وارتحل.

05- الاهتمام بالسياق وذلك أنّ ملاحظة السياق بأنواعه أمر لا يختلف -في موقعه وأهميته- عن دراسة النص وتحليله، ف«إهمال السياق يؤدّي إلى الوقوع في الغلط والمغالطة»⁶، وإنّ كلّ من يطّلع على تفسير العلواني يُدرك مدى اهتمامه بالسياق بنوعيه: «سياق المقال (اللغة العربية)، وسياق المقام (الحال)»⁷، بل يتجلّى له ذلك بوضوح، لأنّه استعمل عبارات مباشرة بهذا الخصوص كقوله: ثمّ ينتقل السياق، ومهما قيل فيها فإنّ السياق، ينقلنا السياق، هذا هو السياق الصحيح الواضح، يعود السياق ليؤكد، وغيرها من العبارات المختلفة التي استعملها لربط سابق الكلام بلاحقه، كما لم يتعد عن السياق الخارجي في إظهار ربط السابق باللاحق من الآيات في السور المختلفة، وبين السور، وذلك على نسق موضوعي مترابط.

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 500.

2 ينظر: سعد بن محمّد بن سعد الشّهراني، السياق القرآنيّ وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة، (ط01)، كرسّي القرآن الكريم وعلومه، الرياض، السّعوديّة، 1436هـ)، ص: 65 - 82.

3 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 190 و195 - 196.

4 المرجع السابق، ص: 133.

5 المرجع السابق، ص: 184 و192.

6 طه جابر العلواني، مقال: السياق: المنهج، المفهوم، النّظرية، <http://www.alwani.net>.

7 ينظر: ریحانة اليندوزي، صلة أسباب النزول بعناصر السياق، (مؤتمر اعتبار السياق في المجالات التشريعية وصلته بسلامة العمل بالأحكام، الرباط، المملكة المغربية، 2007م).

- 06- الدّعوة إلى إقامة العمران والاستخلاف، من خلال تدبّر القرآن وفق وحدته البنائية، مع الجمع بين القراءتين، قراءة الوحي المسطور وقراءة الوحي المنظور، في ظلّ إسلامية المعرفة.
- 07- الردود على المخالفين من: المستشرقين¹، والحداثيين²، والأشعرية³، والمفسرين⁴، والمحدثين⁵، والفقهاء⁶، والأصوليين⁷، والفلاسفة⁸، وغيرهم⁹.
- خامساً: خصائص أخرى: وتمثّلت فيما يلي:
- 01- التزام المنهج العلميّ الأكاديميّ في معالجة قضاياها، وإثبات آرائه والانتصار لها، أو مراجعة آراء غيره وبعض العلوم، وعرض الأدلّة والبراهين، وتخرج الأحاديث والآثار، وبيان المصادر والمراجع، وغير ذلك من خصائص المنهج العلميّ الأكاديميّ.
- 02- استهلّ العلوانيّ تفسيره بمقدّمتين، مقدّمة أولى عامّة لكتابه¹⁰، ذكر فيها أنّ القرآن مُيسّر من عند الله، وهو نبيّ مُقيم مبين، ثمّ استعرض معوّقات تدبّر القرآن الكريم، ومدى حاجة القرآن للتفسير، ومنهجه في التفسير، ومفهوم التدبّر، والواقع والمثال، ومستويات التّكليف، ومقدّمة ثانية خاصّة في تفسير القرآن بالقرآن وبالتفسير الموضوعي¹¹.
- 03- الاهتمام بالأمثال: يجب أن يُشار لأهميّة الأمثال في تفسير العلوانيّ، وهذا لارتباط الأمثال كما كان يؤكّد دوماً باكتشاف علماء المسلمين لـ "العلة" سواء في الفقه أو الكون، ممّا يعني كون الأمثال مجالاً جيّداً لتحريك فكرة الجمع بين القراءتين لإيجاد مخارج من الأزمت والمشاكل التي نعيشها.

1 طه جابر العلوانيّ، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 241.

2 المرجع السابق، ص: 257.

3 المرجع السابق، ص: 529.

4 المرجع السابق، ص: 273.

5 المرجع السابق، ص: 421.

6 المرجع السابق، ص: 23 و 254 و 400.

7 المرجع السابق، ص: 40 - 44 و 404.

8 المرجع السابق، ص: 328 - 329.

9 المرجع السابق، ص: 349 و 378 و 409 و 416.

10 ينظر: المرجع السابق، ص: 11 - 20.

11 ينظر: المرجع السابق، ص: 21 - 50.

المطلب الثاني: ضوابط التفسير الموضوعي عند طه جابر العلواني

لا يحتاج المتأمل في مؤلفات طه جابر العلواني إلى عظيم جهد للتوصل إلى أنه صاحب مشروع مستقل في الإصلاح الفكري -ومنه تفسير القرآن الكريم-، لذا اتضحت ثورة نقده ومراجعاته لتراث علوم القرآن والموروث التفسيري بجلاء، من خلال دعوته لطريقة جديدة للنظر في كتاب الله، فما وُجد في التراث -بحسبه- لم يأخذ حظه من الارتباط بالقرآن المجيد والبناء عليه، وقد حوت مقدمة تفسيره جانباً من ضوابط مشروعه ونظريته حول تفسير القرآن الكريم، واحتاج الباحث لتحديد جميع ضوابط التفسير عنده لتتبعها واستخراجها من تفسيره كله، والذي وقف عليه من الضوابط ما يلي:

الضابط الأول: الرد إلى الأمر الأول: تفسير القرآن بالقرآن: «وعنى العلواني بالرد إلى الأمر الأول، وإلى ما كان عليه جيل التلقي الذي تلقى القرآن عن رسول الله ﷺ عن جبريل عن رب العالمين غصّاً طريّاً، وهي دعوة للارتباط بالقرآن وحده، والاعتماد عليه بمفرده، فهو كاف مُعْنٍ عمّا سواه، ودعوة لتطبيق منهج التفسير المقبول شرعاً، والذي قدّمه رسول الله ﷺ وهو تفسير القرآن بالقرآن، واعتبر باقي المصادر الأوليّة مؤنسة للمفسّر في رحلة تفسيره، فلا يعتمد عليها مصدراً، وله أن يستعين بها.

ونتيجة هذا الرد إلى الأمر الأول -حسب طه جابر العلواني-، هي القيام بما لم يقم به الآخرون، بالاجتهاد في تقديم القرآن للبشريّة كما أنزله الله على رسوله الكريم ﷺ الذي حفظه بنظمه الداخلي وأسلوبه وفصاحته وإعجازه، وبحماية العقول المؤمنة من أن تذهب نخباً للإسرائيليات والأكاذيب والموضوعات والمعلقات والمراسيل، وما دُوّن من الناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، وما إلى ذلك»¹.

في حين أنّ نتيجة ذلك -حسب الباحث- هي الاستفراد بالقرآن بحجة أنّه يُفسّر بعضه بعضاً، وإقصاء ما سواه من سنة نبويّة صحيحة، وأقوال للسلف الصالح من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين ﷺ، ولجهود العلماء والمفسرين، إلّا ما كان في نظر العلواني موافقاً للقرآن الكريم، حاصلاً على تركيته وتصحيحه بعد العرض عليه، والمحكمة إليه.

والأمر الأول عند طه جابر العلواني هو ما مارسه رسول الله ﷺ، وعلمه لأصحابه، وهو قائم على ضرورة الالتفات إلى أنّ القرآن مُبَيّن، وأعلى درجات بيانه هي بيانه لنفسه، وبيانه لكل شيء؛

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 50. بتصرف.

بما في ذلك السّنة النبويّة.¹

الصّابط الثاني: معرفة المداخل التي تعارف بها القرآن: يقول طه جابر العلواني عن القرآن الكريم: « إذا عرفنا المداخل التي نُقاربه بها ونلج إلى رحابه بواسطتها؛ فالقرآن الكريم هو أولى أن يُفصح عن نفسه ويُبيّن مكنون آياته، ويُعرّف بما جاء فيه، فالقرآن يأتي في سياق ما على الإيجاز، وفي سياق آخر على الإطناب، ويأتي في سياق آخر على الإجمال، وفي سياق آخر على التّبين، ويأتي في سياق مُطلقاً، وفي سياق آخر مُقيّداً، وفي سياق يكون عامّاً، وفي سياق آخر ينتهي إلى الخصوص، وما تُوجزه آيات القرآن الكريم في سياق نجم من نجوم القرآن الكريم أو في سورة تجده مبسوطاً في مكان آخر، مُضافاً دون تكرار، وما يُجمله في موضع يُبيّنه في موضع آخر، وهكذا يُطلق ويُخصّص ويُقيّد ويُعمّم، وكلّ ذلك تجده في الكتاب الكريم »²، فمن رُزق هذه المداخل يجد نفسه قادراً على الوصول إلى ما يُمكن أن تُوصله إليه معارف العلوم الشرعيّة الأخرى.

الصّابط الثالث: ضبط المفاهيم والمصطلحات القرآنية قرآنيّاً: فالقرآن يُفصح عن نفسه ويُبيّن مكنوناته ويُعرّف عن نفسه³، والقرآن مُبين لنفسه وللسّنة النبويّة⁴، ومن الضّروري إدراك القوّة الاصطلاحية لألفاظ القرآن في النّسق القرآنيّ، والتّعامل معها على أنّها مفاهيم لا مجرد ألفاظ، وآيات لا مجرد جمل وعبارات، وهذا التّعامل لا يتأتّى إلّا من خلال إثبات حاكمية القرآن وإعادة صياغة علاقتنا به، ومعرفة كيفيّة استحضارها لتفعيل دور القرآن الكريم كدستور ربّانيّ، يحتكم إليه النّاس جميعاً -وليس المؤمنون فقط- عند تشخيص أوضاعهم، وفي حلّ أزمتهم، فمن ينظر إلى القرآن الكريم وهو مدرك لمنهج المتكامل، ولمنطقه، وعاداته، وأساليبه، وهيمنته المطلقة، وأنّه المصدر الأوحد للتّشريع، لا شكّ أنّه سيكون قادراً على حلّ مشكلات الوجود البشريّ، ومعالجة أزماته الفكريّة والحضاريّة، وضبط علاقات الإنسان مع الكون ومع ربّ الكون.

ضف إلى ذلك، جميع ما سبق ذكره يحتاج من القارئ للقرآن الكريم أن يتعامل معه بالتّدبّر والتّأمّل والتّفكّر بشكل مُستمرّ، « فعطاء القرآن يتميّز بأنّه مُتجدّد، لا ينضب ولا يخلق، وما دام عطاؤه متجدّداً فستبقى فرائض التّدبّر والتّأمّل والتّفكّر قائمة، مع تنوّع مداخل القراءة وتجديداتها، ذلك

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 49. بتصرّف.

2 المرجع السّابق، ص: 42.

3 المرجع السّابق، ص: 42.

4 المرجع السّابق، ص: 49.

أن التدبر هو الكاشف عن مكنون القرآن المتكشف عبر الزمان، وفقاً للسقف المعرفي¹، وهذا مع الحذر من جميع معوقات القراءة، وعدم الخوض فيما سكت عنه القرآن.

الضابط الرابع: القيام بما لم يحم به الآخرون²: وهذا من خلال استيعاب النظر الموضوعي وتجاوزه، يقول طه جابر العلواني: « ولكن تفسير القرآن بالقرآن الذي نريده فيه مزايا التفسير الموضوعي، ولكنه يستوعبها ويتجاوزها، فمرحلة النظر الموضوعي مرحلة يصعب أن يتخطاها معنى تدبر القرآن الكريم وتأمله³، وعليه من المفترض أن تلتحم ضوابط تفسير القرآن بالقرآن مع ضوابط التفسير الموضوعي في تفسير طه جابر العلواني، وأن تبرز مبادئ التفسير الموضوعي ومقوماته وخطواته، في أنواعه الثلاثة، فتستوعبها جميعاً ثم تزيد عليها شكلاً ومضموناً، وذلك باعتماد طه جابر العلواني على منهجيته القرآنية المعرفية، التي رافع عنها في سلسلة الدراسات القرآنية التي قام بها، وعلى خبراته الشخصية وتجاربه الذاتية، وعلى « الرؤية الكلية للقرآن الكريم التي تردّ دعوى الفصام بين معطيات الوحي ونتائج المعرفة الموضوعية⁴ »، واستناداً إلى وجود وحدة بنائية بين موضوعات الخطاب القرآني وقضاياها، وعدم اتباع منهج التعضية مع القرآن الكريم.

الضابط الخامس: مراعاة المقاصد العليا الحاكمة للقرآن: وهي (التوحيد)، و(ال عمران)، و(التريكة)، و(الأمة)، و(الدعوة)، وارتباط المقاصد بالتفسير يظهر في كون القرآن هو المصدر الرئيسي لتعيين المقاصد الكلية، ومنه استنبطت الكثير من الأحكام والعلل الجزئية، ومنه استخلص علماء الأصول القواعد الفقهية الكلية، ويظهر هذا جلياً في استدلالهم على كل قاعدة بالقرآن، ومما لاشك فيه أن معرفة قصد المتكلم أدعى إلى فهم كلامه وحسن تطبيقه، ومراعاة المقاصد القرآنية مسألة لا انفكاك لها عن تفسير القرآن، ولهذا وجدت مبثوثة في جميع سور القرآن، ولأن الفاتحة هي مقدمة الكتاب الخاتم المهيم على ما سبقه، فإن الله أجمل فيها الغايات والمقاصد العليا، وفي هذا توجيه من الله ﷻ لمراعاة المقاصد عند تدبر القرآن وفهمه.

الضابط السادس: الانتقاء عند اللجوء لمصادر التفسير: وهذا من خلال النقل بما يتوافق ويُعبر عن مراد الله ﷻ، وهذا الأمر يتطلب العودة للقرآن الكريم، فهو الكتاب المطلق، المعجز، المتحدّي، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والذي لا تعبير عن مراد الله تعالى سواه، وعليه لا

1 طه جابر العلواني، أفلا يتدبرون القرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 38.

2 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 50.

3 المرجع السابق، ص: 44.

4 طه جابر العلواني، أزمة الأنسانية ودور القرآن الكريم في الخلاص منها، مرجع سبق ذكره، ص: 102.

يُمكن بحال اعتباره مجرد شواهد معدودة، أو أدلة سائدة، بل يرى العلواني -بعد أن تشكّلت لديه حاسة نقدية مُقلقة- أنّ القرآن هو المنبع والمنطلق الأساس، وهو أصحّ المصادر، ثمّ اعتبر السنّة القرآنيّة منبعاً وأصلاً ومُنطلقاً للتّراث، وكلاهما -القرآن والسنّة- ليسا من التّراث قطعاً، أمّا ما سواهما من المصادر فهو التّراث الذي يجب إخضاعه للنّظر والرّأي، وعدم التّعامل معه على أنّه مسلّمات، مع تأكّيده على عدم الاعتماد على الرّكّام الهائل من الإسرائيليات، والقصص، وما نحوها.¹

الضّابط السّابع: الاعتماد على قوى الوعي الطّاهرة: وقوى الوعي عند طه جابر العلواني هي السّمع والبصر والفؤاد كما سبق بيانه، وهي عند العالمين، الإنس والجنّ²، وهي قوى تُنمّي من خلال نشاط العقل انطلاقةً من ملكاته واستعداداته ومُكتسباته، ثمّ تُصبح إذا ما كانت طاهرة مؤهّلة مساعداً على الفهم والإدراك، ومُحرّكاً للنّظر والاجتهاد، وهادياً مُرشداً لأنوار القرآن وهداياته، وضابط الاعتماد عليها يقود المفسّر لتحقيق التّوحيد، والتّدثّر بالتّزكية، والتّحلّي بال عمران، وإقامة بناء الأُمّة، وحسن القيام بالدّعوة، ودون ذلك تكون التّعضية وعدم الوعي ابتداءً وانتهاءً.

الضّابط الثّامن: استنباط المشاريع الحضاريّة والاستخلافيّة والعمرانيّة: يُؤكّد العلواني أنّ تفسير القرآن مفتاح لعلاج وهن الأُمّة وتردّي الحالة الإنسانيّة في ظلّ الواقع المعرّي والحضاريّ لباقي الأُمم المتطوّرة المستأسدة، ورأى أنّ مقصد القرآن الكريم هو إصلاح الفرد والمجتمع، ولهذا كانت التّزكية مقصداً من مقاصد بعثة الرّسل عموماً؛ وبعثة النّبيّ محمد ﷺ على وجه الخصوص، فالقرآن يدلّ المؤمنين على ما تزكو به النفوس، وتطهر به الأرواح، وتهدّب به الأخلاق، وبهذا ترتقي المجتمعات ديناً ودنيا وفي جميع المجالات، وهذا ما لا يتحقّق إلّا من خلال اللّجوء للقرآن الكريم، وتفسير القرآن بالقرآن، واستنباط المشاريع الحضاريّة والاستخلافيّة والعمرانيّة، ومشاريع تزكية الإنسان وتزكية الحياة، أو ما يمكن تسميته بالتّزكية الشّاملة التي تشمل العقل والتّصوّر والرّؤية والفكر والاعتقاد والسلوك وأنظمة التّعامل والعلاقات.³

وقد جعل العلواني لكلّ كتاب مُحدّدات ومعالم، فالقرآن الكريم وحده الكتاب الكونيّ، الذي يُعادل الوجود الكونيّ وحركته ويستوعبهما بأبعاده الكونيّة، أمّا كتاب الكون المتحرّك فيتضمّن ظواهر الوجود كافّة، فكلا الكتابين إذن دالّ على الآخر ومرشد إليه، فالقراءة الغيبيّة تنشأ في إطار الوحيّ

1 ينظر: طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 40 - 44 و 381.

2 المرجع السّابق، ص: 407.

3 ينظر: المرجع السّابق، ص: 42.

وتتجه نحو الكون (من الكلّي نحو الجزئي)، والقراءة الموضوعيّة تنطلق من الكون وعناصره باتجاه الوحي (من الجزئي نحو الكلّي).

الصّابط التاسع: صناعة الخطاب التفسيري المتلائم مع الواقع: شغل تحديد تفسير القرآن عند طه جابر العلواني الحيز الأكبر من مجال جهوده وكذا مشروعه العلمي، فكانت له رؤيته النظرية والتطبيقية الخاصة به¹، ونادى إلى ضرورة فقه الواقع والتصدّي لمشكلاته، فبالإضافة إلى الخطاب التفسيري التقليدي وما يحويه، سعى العلواني لصناعة خطاب تفسيري جديد، ينطلق من تأكيد الوحدة البنائية للقرآن الكريم، ويهتم بالتركيز على إعادة بناء وتعريف المفاهيم القرآنية، والاستفاضة في تحقيق بعض الموضوعات والمصطلحات القرآنية، وتوظيف مدخل الجمع بين القراءتين، وطرح مشروع يُبرز قيمة التزكي بالقرآن الكريم، ودعا بشكل عام لفتح باب الاجتهاد والتجديد.

ولتحديد الخطاب التفسيري؛ يجب -حسب العلواني- بيان معاني مفاهيم وقضايا وموضوعات قرآنية بعينها، من حيث النزول، والتدرّج في التشريع بما يتلاءم مع حال المكلفين ومدى استجابتهم، فالخطاب القرآني المكي راعى مقام مُقتضى الحال، وكذلك فعل الخطاب القرآني المدني، كما راعى حال أهل الكتاب وحال غيرهم، ولا يُحتاج لكثير من التدبّر لملاحظة ذلك التنوع، ومراعاته لأحوال المخاطبين به ومقتضيات مخاطبتهم، وقد لاحظ العلواني هذا الجانب ولم يُهمله، ونصّ على أنّ المعنى يتغيّر تبعاً للمواقف والمخاطبين والموضوعات والمقاصد، ومن هنا عمل على تغيير وتطوير الخطاب التفسيري نظراً لتغيّر مقتضياته المختلفة، فكان التفسير الموضوعي مُناسباً ومراعياً عند العلواني للمعاني الصّحيحة، وللمقاصد القرآنية العليا الحاكمة.

المطلب الثالث: التجديد والماخذ في التفسير الموضوعي عند طه جابر العلواني

لقد قام طه جابر العلواني بجهود في الدّعوة إلى إعادة ربط الأمة والأشخاص بالقرآن الكريم، باعتباره سبيل الخلاص من أزمت البشرية ومآسيها، وسعى لمعالجة أسباب القطيعة بين المسلمين وكتّابهم، وانعدام الإبداع، وتراجع القدرات الفكرية والاجتهادية لدى المفسرين، فتشكّلت نظرتهم الخاصة وتصوّراته الذاتية لحمل قضايا القرآن الكريم، ودارت ما بين التجديد والرأي السّديد، وما بين الخطأ والحيدة عن السبيل الرّشيد.

أولاً: التجديد في التفسير الموضوعي عند العلواني: وقد ارتسمت ملامح التجديد من خلال:

01- بناء منهج مُستقلّ للتعامل مع القرآن الكريم: حدّد طه جابر العلواني للتفسير -فيما عدا

1 ينظر: طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 15.

ما فسّره رسول الله ﷺ - مفهوماً فقال: « التفسير بمفهومه الاصطلاحي إنّ هو إلّا جهد بشريّ يستخدم المفسّرون فيه جهودهم وأدواتهم ومعارفهم المختلفة ليتكوّن لهم فهم، يؤخذ منه ويترك، فالحكم في قبوله أو رده إلى الله تبارك وتعالى »¹، ومن هنا اعتمد على فكر عقلائيّ مستقلّ، له منطلقاته وغاياته، جمع فيه مُحدّدات ومداخل للتعامل مع النصّ القرآنيّ، وحرص على تأكيد ضرورة تطبيق منهج التعامل مع ألفاظ القرآن على أنّها مفاهيم قرآنيّة أثناء التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، شريطة الإيمان بالوحدة البنائية للقرآن الكريم، وبدقّة نظمه، وبتفوّق لسانه، ثمّ اعتماد التدبّر أساساً ووسيلة لتحقيق الوعي الإنسانيّ، والعمل على تحرير العقول من الهيمنة والقهر مهما كان مصدرهما، ومهما كان نوعهما، وتغيير هيئة ووظيفة المفسّر وأدواته، بمنحه فرصة للتعامل المباشر مع القرآن دون مُسلّمات أو وسائل، مع الاكتفاء بتفسير القرآن بالقرآن، وبالجهد البشريّ الطاهر، للرّبط بين القرآن والواقع، وبين الوحي والكون، وبين الإيمان والعمل، وبعبارة أوجز، يقوم منهج تعامل العلوانيّ مع القرآن الكريم على فتح القرآن على الحياة والواقع ليتفاعل مع الأحداث المحيطة به، وأزمة الأمة عند العلوانيّ أزمة فكريّة بالدرجة الأولى، ووظيفة المفسّر هي البحث في القرآن عمّا ينفع الناس ويُصلح أحوالهم، ويُجابه جميع الأحداث والمواقف.

02- جعل الحوار هو مركز التفاعل مع القرآن: يرى طه جابر العلوانيّ بأنّ الحوار سمة هذا العصر، والدعوة إليه أصبحت عامّة شاملة حتّى بدأ بعض المنشغلين بالعلم يرى أنّ الحوار لم يعد وسيلة فقط، بل هو حلّ وعلاج كذلك لكثير من القضايا، والمسلمون قد ابتلوا بهجر القرآن المجيد في وقت مبكر من تاريخهم وحياتهم، هذا الهجر قد أدّى إلى كثير من المشكلات، ونجّمت عنه آلاف الأزمات، في مقدّماتها تفكّك وحدة الأمة وما ترتّب عليه.

انطلاقاً ممّا سبق فقد أقبل على تجربة الحوار معه في كثير ممّا يهمّه من قضايا الأمة الإسلاميّة ومشكلاتها، فوجد متعة لا تُوصف، ينبغي أن تُجرّب تجريباً من الرّاغب في تذوّقها بمساءلة القرآن ومحاورته وتثويره واستقاء أجوبته، فقد وجد القرآن بالفعل يخرج عن أن يكون مجرد كتاب مُوحاً يُقرأ أو يُكتب، بل هو مُتحدّث يتحدّث إلى القلب ويتحاور مع الفطرة الإنسانيّة، ويُبرز بواطنها، ويستخرج طاقاتها، يفرض عليها الاشتباك مع آياته والتفاعل معها، فتبدأ الفطرة بطرح مختلف الأسئلة عليه وهو يُجيب عن كلّ منها إجابة الخبير الحكيم: ﴿وَلَا يَنْبِئُكَ مِثْلُ خَيْرٍ﴾ (١٤) [فاطر: 14].² وقد لخصّ

1 طه جابر العلوانيّ، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 44.

2 طه جابر العلوانيّ، حوار مع القرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 09 - 11. باختصار.

العلواني جميع هذه الفقرة في مُستهلّ مقدّمة تفسيره، فوصف القرآن بأنّه نبيّ مُقيم يُخاطب به الأحياء.¹

ويعود هذا التّفاعل - بين الإنسان والقرآن - بحسب تمرير الإنسان لآياته على قلبه وتكراره لها، فكّلما ازداد التّكرار ازداد التّفاعل، وكلّما ازداد التأمّل والعيش مع الآيات والإحساس بها، استشعر القارئ أنّ الله يُخاطبه بالقرآن المجيد الآن ولأوّل مرّة، فيمرّر ما يقرؤه بعينه إلى لسانه، ثمّ يعرج به إلى المخّ، والجهاز العصبيّ ليُفكّر فيه، ويستشعره، ويجعله يجري مجرى الدّم منه، ويعود به إلى القلب؛ حتّى يبلغ بالمتدبّر حالة الوعي بما قرأه، وتدبّره من القرآن الكريم، فيجب الاستشعار بالكلمات، والخروج بها من اللّسان إلى المخيلة، ثمّ إلى القلب فيرقى شيئاً فشيئاً²، وبهذا يدعو العلواني إلى التّفاعل مع القرآن اعتماداً على الإثارة والتدبّر بدلاً عن الحفظ والتقليد.

03- استثمار التراث بطريقة جديدة: لقد لاحظ العلواني فيما ذكره أنّ هناك فرقة سببتها كتب التّفسير ومناهج المفسّرين الموجودة والتي توارثناها، والتي لم تنجح في استجلاء معاني القرآن الكريم، ممّا أدّى لانتساع الفجوة بينها وبين الواقع المعاش للأمة³، وقد أرجع سبب هذا العجز الأدائيّ إلى أنّ هدف أغلب المفسّرين كان توضيح كلمات القرآن بعيداً عن لسان القرآن ونظمه.

واستثمار التراث التّفسيريّ بطريقة جديدة - حسب طه جابر العلواني - مبنية على مراجعته، وتنقيته من الإسرائيليات، والأكاذيب، والموضوعات، والقصص المكذوبة، وتجاوز كلّ ذلك للوصول إلى صياغة التّفسير صياغة عمرانية، وهو ما اصطُح عليه بالتّخيلية والتّحلية.

يقول طه جابر العلواني: « لذلك وجدت أنّ في مراجعة التراث ونقده في نور هداية القرآن الكريم وسيلة من وسائل التّجديد والاجتهاد وإعادة البناء الذي نُنادي به جميعاً »⁴، فالتّفسير الإنسانيّ لا يُمكن أن يكون أبين من القرآن الكريم ولا أوضح منه لذا لا يُمكن التّعامل معه على أنّه مُسلّمات، وإلاّ وقع كلّ أولئك المفسّرين تحت طائلة الوعيد النّبويّ.

04- مراعاة وحدة القرآن البنائية⁵: عرّف العلواني الوحدة البنائية للقرآن الكريم فقال: « القرآن المجيد واحد لا يقبل بناءؤه وإحكام آياته التّعدّد فيه أو التّجزئة في آياته، أو التّعضية

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 11.

2 المرجع السابق، ص: 12.

3 ينظر: المرجع السابق، ص: 15 و 27.

4 المرجع السابق، ص: 41.

5 للمزيد ينظر: المرجع السابق، ص: 11 - 12 و 49 و 215 و 326.

بحيث يقبل بعضه، ويرفض بعضه الآخر، كما لا يقبل التناقض أو التعارض وغيرهما من عيوب الكلام. فهو بمثابة الكلمة الواحدة أو الجملة الواحدة أو الآية الواحدة¹، ورأى أن القرآن أثبتلي بمشكلة التعضية إلى حدود بعيدة، أي أنه قُرى بوصفه أعضاء مُجزأة مُقطعة مُفرقة عن بعضها²، ويؤكد العلواني أن الإيمان بالوحدة البنائية للقرآن الكريم يُغني عن الإسهاب والإطالة في جمع الأقوال ونقلها، وعن حصر الاختلافات ومناقشتها، وأن الوحدة البنائية للقرآن الكريم تجعل من كل ذلك غير ذات موضوع، وتدعم التوجه إلى تفسير القرآن بالقرآن، مما يُجلب القيمة العلمية للقرآن الكريم.

05- إطلاق لفظ -مفاهيم كبرى- على مفردات القرآن³: يُطلق طه جابر العلواني لفظ مفاهيم على مفردات القرآن، وذلك لأن مفردات القرآن ليست مصطلحات جرى اصطلاح عليها بين أصحاب الاصطلاح، وما هي بكلمات عادية، فالأقرب إلى حقائقها أن تكون مفاهيم تشمل على معانٍ عديدة، تلتقي في جذورها ومعانيها عند عنوان المفهوم، تلتف حوله وتُحيط به، ويُلاحظ المتدبر فيها ما بينها من روابط، ويستدعي مكنوناتها، ويدفع عنها صفات الاشتراك، والمجاز، والمتواطئ، والمشكك، والمحمل، ونحوها مما تُوصف به المفردات المتداولة في اللسان العربي.

والتعامل مع مفردات القرآن بصفتها مفاهيم يُبرز القيمة الذاتية للنص القرآني، ويجعلها أمراً أقرب إلى تحقيق الأهداف المرجوة من التفسير، ويدعم التوجه إلى تفسير القرآن بالقرآن، ويُساعد كثيراً على الكشف عن العلاقات البينية بين مفردات القرآن الكريم، ومن المهم العلم بأن القرآن الكريم حين يستعمل الكلمة العربية ويدخلها في لسانه القرآني؛ فإنه يُخرجها من موقع الكلمة البسيطة إلى موقع المفهوم الغني بدلالاته وآفاقه؛ لأنه يضعها في نظمه وسياقه، بحيث تنفتح على جملة من المعاني ما كانت ترد على الذهن قبل استعمال القرآن الكريم لها، ولهذا قدّم العلواني مفاهيم ومصطلحات قرآنية في إطار رؤيته التجديدية الاجتهادية التي يستحيل كمالها ولا تخلو من الخطأ.

06- الجمع بين القراءتين: انطلق طه جابر العلواني من حيث انطلق نزول الوحي، ولاحظ أن القرآن الكريم قد بدأ اتصاله برسول الله ﷺ وبالأرض بالأمر بالقراءة، فكانت أول كلماته أمراً

1 طه جابر العلواني، الوحدة البنائية للقرآن المجيد، (ط01، مكتبة الشروق، القاهرة، الجمهورية العربية المصرية، 1428هـ - 2006م)، ص: 14.

2 ينظر: طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 38.

3 ينظر: المرجع السابق، ص: 58 و401.

بالقراءة: ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ ﴾ [العلق: 01-04]، قراءة يستعين الإنسان في ممارستها باسم الله ((الخالق)): ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ ﴾ [العلق: 01]، وقراءة ثانية هي قراءة بالقلم: ﴿ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ ﴾ [العلق: 03-04]، مما يُشير بأنّ القرآن الكريم يُعلّم منذ البداية الجمع بين قراءتين أو أكثر¹، قراءة كتاب منزل متلوّ معجز وهو القرآن، وكتاب مخلوق مفتوح وهو هذا الخلق والكون والتّجارب البشريّة فيه، ومنه التّعامل مع الإنسان نفسه²، فينتج عن ذلك تفاعل بين القرآن والواقع الخارجيّ، ويجعل منه كتاباً غصّاً طريّاً مُتفاعلاً تفاعل النّبيّ المقيم مع الأزمنة والأحداث المتجدّدة، حاضراً كلّما احتاجت البشريّة إلى المخلّص لها من أزمتها ومشكلاتها.

07- تفعيل العقل المنضبط بالوحي: يرى طه جابر العلواني أنّ « القرآن الكريم خطاب يُمكن أن ينزل على القلب مباشرة فيشتبك مع قوى وعي السّامع والمخاطب بشكل مباشر، ووعي القارئ المخاطب هو الذي سيستقبله، وحين يبدأ وعي القارئ بالتّفاعل معه للكشف عمّا بين يديه وما خلفه، سوف يفرض هذا الخطاب القرآنيّ على ذهن المتلقّي تساؤلات كثيرة تختلف تماماً عن التّساؤلات التي يُثيرها أيّ خطاب آخر ... في حين أنّ المخاطب - بالخطاب القرآنيّ - يتّجه للبحث عن دور له في ذلك يُعمل فيه ذهنه وخياله، ويُمارس فيه نشاطه الإنسانيّ »³، ففي هذه الفقرة لخصّ العلوانيّ رؤيته عن تفسير القرآن، فجعله خطاباً إلهياً يتلقّاه قلب المخاطب مباشرة، وعلى عاتق هذا الأخير يقع دور إعمال الدّهن والخيال، وممارسة التّشاط الإنسانيّ للكشف عن مضمون الخطاب القرآنيّ، وبهذا يُصبح العقل مُزوّداً برسالة ربّانيّة، فهما عنصران بهما تُفهم الرّسالة الرّبّانيّة، الأوّل مضمون الرّسالة في حدّ ذاتها، وهذا هو تفسير القرآن بالقرآن، والثّاني درجة وعي ذهن المتلقّي، ونباهته، واستعداداته، وجهوده، وأدواته، ومعارفه المختلفة، وهذا هو التّفسير بالرّأي والاجتهاد.

وعاب العلوانيّ على كثير من فئات المسلمين والمتديّنين؛ رؤيتهم أنّ هناك صراعاً ونزاعاً بين العقل والسّمع، أو بين العقل والوحي، وشبههم بالمشرّكين والكافرين في دعوتهم الباطلة لتعطيل العقل وقوى الوعي، معتبراً ذلك تدنيّاً وهمياً غير حقيقيّ، فقال: واليوم نسمع من أناس كثيرين مُتديّنين ذمّاً

1 طه جابر العلوانيّ، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 27 - 28. بتصرّف.

2 طه جابر العلوانيّ، الجمع بين القراءتين - قراءة الوحي وقراءة الكون، (ط 01، مكتبة الشّروق، القاهرة، الجمهورية العربية المصرية، 1428هـ - 2007م)، ص: 20.

3 طه جابر العلوانيّ، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 17 و 36.

للعقل، يظنون أنّه دليل عن تمسكهم بالنقل، ومن زعم أنّه قد تمسك بالنقل دون عقل، فقد عطل العقل وأساء فهم النقل، فالعقل ضروري لفهم النقل ولتطبيقه، ولا يستقيم فهم النقل دون عقل ذكي، ولا يُحسن تطبيق النقل من لا يُحسن استخدام عقله.¹

08- الاهتمام بالدعوة والإصلاح: اعتمد طه جابر العلواني على إسباغ صفة المسؤولية على القارئ للقرآن الكريم في علمه وأعماله، وأن يكون صاحب رسالة يحمل مسؤولية فهمها وتبليغها وتمكينها في المجتمع، ويتحمل الأذى في سبيل تحقيقها، ويتبع أنوار القرآن الكريم في حركته في الواقع والحياة، لذا اهتم -بصفته قارئاً حاملاً لرسالة ومُتحملاً لمسؤوليتها- بعدّة محاور اجتماعية في تفسيره، منها محور الضغوطات النفسانية والحياتية²، وتصنيف البشر³، والسّنن الإلهية ومقصد العمران⁴، والتعامل مع المجاعات⁵، والأمة الواحدة⁶، والإصلاح الشامل لليتامى⁷، ومنهج مقاومة الشائعات⁸، واختلاف لهجات البشر وألوانهم⁹، وغير هذا كثير في تفسيره، فكان الاهتمام بالإصلاح هو لب تفسير العلواني، وهو غايته ومقصده، فالاستخلاف وإقامة العمران، ومقومات الحضارة والرتقي، وأسس البناء الفردي والجماعي، وكلّ ما يتعلّق بدور الإنسان في الحياة، هي مواضيع عاجلها العلواني في ثنايا تفسيره، كيف لا وهو الذي دعا وسعى لربط القرآن بالواقع ربطاً مباشراً، واكتفى بالقرآن مصدراً لحلّ جميع مشكلات البشر، ودستوراً لإصلاح حالهم ومآلهم، وإخراجهم من ضيق الظلمات الحسية والمعنوية إلى سعة النور الحسي المعنوي.

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 257. بتصرّف يسير. يقول الباحث: هذا الكلام عن علاقة النقل بالعقل كان ليستقيم من العلواني لو أنّه أبقى للنقل حدوده، وتعامل مع جميع مصادره على حدّ سواء، ولكنّ النقل عنده هو القرآن الكريم والسنة القرآنية لا ثالث لهما، ولعلّ القول الأصوب المعبر عن رأيه، هو أنّه القرآن وحده لا ثاني له.

2 المرجع السابق، ص: 72.

3 المرجع السابق، ص: 77.

4 المرجع السابق، ص: 81.

5 المرجع السابق، ص: 104.

6 المرجع السابق، ص: 235.

7 المرجع السابق، ص: 244.

8 المرجع السابق، ص: 707.

9 المرجع السابق، ص: 893.

09- عدم الاقتصار على النزعة التفسيرية المجردة: لم يكن طه جابر العلواني من جنس الذين يكتفون بالتفسير المجرد دون أن تلامس أفكارهم مجالات الواقع وتحتكم إليها، فيما يشبه الهروب من اختبارات التطبيق وحييات الفشل، بل قام بعرض الكثير من الأمثلة التطبيقية لامتحان تصورات، وتقييم مشروعه وصولاً لتقويمه، كلّ هذا كان سعيّاً منه لملاسة فهم القارئ، وبقيناً منه أنّه صاحب منهج استوى عوده واشتدّ بُنيانه، فالوحدة البنائية، والجمع بين القراءتين، وفقه الواقع، ومحاربة الإسرائيليات، ومراجعة التراث، والتفسير الموضوعي بجميع أنواعه، وقبل هذا وذاك، تفسير القرآن بالقرآن اعتماداً على قوى الوعي، كلّ هذا موجود في تفسيره العملي، فهو تارة ينصّ عليه بعنوان واضح ومثال تطبيقي، وتارة يفهم من الخطوات المنهجية التي يتبعها.

ثانياً: المآخذ على التفسير الموضوعي عند طه جابر العلواني: قال المزيّ (توفي: 742هـ): «ولو سكت من لا يدري لاستراح وأراح، وقلّ الخطأ، وكثُر الصّواب»¹، كما أنّه من شأن أيّ مشروع قائم على المراجعة الشاملة والنقد العام، والسعي لإعادة البناء بعد الهدم، أن ينحرف يُمنّة ويُسرة، وأن يُخالف المسلّمات التي لا يعدّها كذلك، ومن هنا جاء تفسير العلواني ينضح بالأخطاء التالية:

أ- مآخذ متعلّقة بضوابط تفسير القرآن بالقرآن:

01- مخالفة التفسير الصريح وغير الصريح للقرآن بالقرآن: مثال ذلك عند تفسير العالمين في قوله تعالى: ﴿نَبِّئِ الْمَسْلُومِينَ﴾ [الفاتحة: 02] بقوله: «وَالْعَالَمِينَ كُلِّ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ بَشَرٍ»²، مع أنّ القرآن الكريم بيّن معنى العالمين صراحة في قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣٣) قَالَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا³. [الشعراء: 23 - 24].

02- تجاهل تفسير النبي ﷺ الصريح للقرآن بالقرآن: ومثاله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: 59]، فقد استغنى العلواني بعبارة عامّة من بنات إنشائه⁴، لا إشارة فيها لقوله ﷺ: «مفاتيح الغيب خمسة ثم قرأ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ

1 جمال الدين المزيّ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، حققة وضبط نصّه وعلّق عليه: بشار عوّاد معروف، وخرّج أحاديثه: شعيب الأرنؤوط، (ط01، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1403هـ - 1983م)، ج4 ص: 362.

2 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 60.

3 محمّد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ج01 ص: 47. سيكتفي الباحث بإيراد مثال واحد لكلّ خطأ حتّى لا يزيد حجم هذا المبحث عن الحدّ المقبول.

4 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 365 - 366.

مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٢٤﴾ [لقمان: 34] ¹.

03- تجاهل القول المنقول الذي يُفسر به الصّحابي القرآن بالقرآن: ومن أمثلة ذلك تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: 124]، قال العلواني عند تفسير هذه الآية: «أي اختبر الله ﷻ إبراهيم عليه السلام بكلمات مُعيّنة ذكرها له» ²، وترك الابتلاء على إيهامه، مع أنّ تفسيره تفسير للقرآن بالقرآن، وتفسير موضوعي في نفس الوقت، وهما تفسيران قائمان على توظيف ترابط الآيات وتناسبها في التفسير متى ما وُجد، فكيف إذا شهد على وجود هذا الترابط صحابي جليل؟! وكيف إذا كان هذا الصّحابي هو عبد الله بن عباس رضي الله عنه؟! ذكر الطبري في تفسيره عن ابن عباس في قوله: ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ أنّه قال: «ما ابتلي أحد بهذا الدّين فقام به كَلِّه غير إبراهيم؛ ابتلي بالإسلام فأتمّه، فكتب الله له البراءة، فقال: ﴿وَابْتَهِمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [النجم: 37]، فذكر عشرًا في ((براءة))، فقال: ﴿التَّكْوِينُ الْكَيْدُوتُ الْحَمْدُوتُ السَّخِيحُوتُ الرَّكْعُوتُ السَّجْدُوتُ الْأَمْرُوتُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُوتُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَفِظُوتُ لِحُدُودِ اللَّهِ وَنَشْرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: 112]، وعشرًا في ((الأحزاب)): ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 35] وعشرًا في سورة ((المؤمنين)) إلى قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ ﴿١﴾ [المؤمنون: 09] وعشرًا في ((سأل سائل)): ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّمَاتِ اللَّهِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ [المعارج: 22 -

1 أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: وعنده مفاتيح الغيب، (193/05).

2 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 171.

[34] «¹، فهذا التفسير من ابن عباس فيه إخبار عن أمر وقع لإبراهيم عليه السلام، وهو تفسير للقرآن بالقرآن فيه بيان ما وقع فعلاً، وهو ليس من الإسرائيليات، وليس مما يُعلم بالعقل، فوجب الأخذ به وعدم تجاهله.

04- مخالفة السنة النبوية الصحيحة: ومن ذلك ردّه للأحاديث الواردة في نزول المسيح عليه السلام، وخروج المهدي²، واعتباره سحر النبي ﷺ شبهة لا حقيقة لها.³

05- مخالفة الإجماع: ومن ذلك إنكار طه جابر العلواني حدّ الرّجم للزّاني المحصن، والحكم على أدلّته بشدّة ضعفها، وبأنّها مُختلقة من القرآن ومن حديث الرسول ﷺ⁴، مع أنّ الرّجم ممّا أجمعت الأمّة عليه كما سبق بيانه ! وكذلك صنع مع حكم قتل المرتدّ، وهو حكم ممّا أجمعت عليه الأمّة، وسبق بيانه أيضاً.⁵

06- إهمال إيراد القراءات الثابتة: لم يجعل العلواني للقراءات أي اعتبار ضمن تفسيره، وذلك بعد أن ألغى أثرها ودورها بناء على العرضتين الأخيرتين كما سبق بيانه، ومثال ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلْيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾ [الأنعام: 105]، قال العلواني: « قالوا: درست، وادّعوا أنّه كان قاعداً في الجبل، وتعلّم من أعجمي، ولذلك نجد الحقّ يقول: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ [النحل: 103] »⁶، وفي قوله تعالى: ﴿دَرَسْتَ﴾ [الأنعام: 105] سبع قراءات ولكلّ قراءة معنى مُحتمل⁷، قال الطّبري (توفي: 310هـ): واختلف أهل التّأويل في تأويل ذلك، على قدر اختلاف القراءة في قراءته.⁸

07- التعصّب لآراء ومواقف خاصّة به وبمدرسته العقليّة: وهذه الآراء والمواقف غالبها مخالفة للسّنّة النبويّة الصّحيحة، ومخالفة للإجماع، وقد ذكر بعضها فيما سبق بيانه، كإنكار نزول المسيح عليه السلام، وإنكار النسخ والرّجم وحكم الرّدة، والقول بالتصويب والتّخطفة في العقيدة، وغير ذلك.

1 الطّبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصدر سبق ذكره، ج 02، ص: 498 - 499.

2 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 350.

3 المرجع السابق، ص: 157.

4 المرجع السابق، ص: 686 - 687..

5 المرجع السابق، ص: 288 - 291.

6 المرجع السابق، ص: 395.

7 ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سبق ذكره، ج 08، ص: 488 - 489.

8 الطّبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصدر سبق ذكره، ج 09، ص: 472.

08- مجانية الموضوعية: مثال ذلك تفسير العلواني قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ

مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدَوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّلَ كُلُّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِنْ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنْشِئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ [الأنعام: 108] بقوله: «وَيُعَلِّمُنَا اللَّهُ - تبارك وتعالى - أدباً عالياً في هذه الآية الكريمة يصلح أن يكون أساساً للتسامح وقبول الآخر وحسن التعامل معه، بل واحترامه»¹!! يقول هذا مع أنه ليس في الآية ما يدل عليه أو يُشير إليه، فيإراد موضوع التسامح وقبول الآخر هنا من أعجب ما يكون، ومن أغرب التفسيرات، «فظاهر الآية، وإن كانت نهيًا عن سب الأصنام، فحقيقته النهي عن سب الله، لأنه سبب لذلك»²، وظاهر تفسير العلواني للآية مجانبية الموضوعية والبعد عنها كل البعد، فالآية وردت مورد سد الذريعة حتى لا يُسبَّ الله ﷻ³، والعلواني عدّها ذريعة لقبول الكافر واحترامه، بل وحبّه⁴.

09- الاستغناء باللغة العربية والعقل عن الرواية والنقل: ومثال ذلك عند تفسير قول

تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيءِ آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [الأنعام: 68]، فقد اعتمد العلواني على رأيه واجتهاده المبني أساساً على ظاهر اللغة العربية والرصيد الشخصي⁵، واستغنى عن أثر عن ابن عباس رضي الله عنه⁶، والذي ذكره الطبري (توفي: 310هـ) في تفسيره، قال فيه: «عن ابن عباس: قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيءِ آيَاتِنَا﴾، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا﴾ [الأنعام: 159]، وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عمران: 105]، وقوله: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الَّذِينَ وَلَا تَنْفَرُوا فِيهِ﴾ [الشورى: 13]، ونحو هذا في القرآن، قال: أمر الله المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمرء والخصومات في دين الله»⁶، وتفسير ابن عباس رضي الله عنه فيه معنى دقيق جداً يندر

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 396.

2 البغوي، معالم التنزيل، مرجع سبق ذكره، ج 03، ص: 176.

3 ينظر: نخبة من العلماء، التفسير الميسر، مرجع سبق ذكره، ص: 141. جدير بالذكر ههنا، أن التفسير الميسر هو أكثر مرجع استقى منه العلواني في تفسيره!

4 ينظر: طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 397.

5 ينظر: المرجع السابق، ص: 368 - 369. على أنّ هذا الذي قاله العلواني قول سبق إليه. ينظر: الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن، مرجع سبق ذكره، ج 02، ص: 285.

6 إسناده إماماً صحيح وإماماً حسن إلى ابن عباس. عطية بن نوري بن محمد الفقيه، أسانيد نسخ التفسير والاسانيد المتكررة في التفسير - جمعاً ودراسة-، (رسالة مقدّمة لنيل متطلّبات الماجستير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1428هـ - 561)

ملاحظته، لأنّه يحمل تنبيهاً لكلّ مسلم بأنّ كلّ من أحدث فرقة في دين الله وخرج عن الجماعة يكون ممن يخوضون في آيات الله بالباطل، وذكر هذا التفسير مع ذكر ظاهر الآية وسياقها الذي نزلت فيه، مناسب لعمومها للمشرّكين وللمسلمين كلّ بحسب خوضه في آيات الله²، موافق لما دعا إليه العلواني نفسه من ضرورة مراعاة لسان القرآن وأثر الاستعمال الإلهي للغة.

ب- مآخذ متعلّقة بالضوابط العامّة للتفسير الموضوعي:

01- التساهل أو التشدد عند التفسير الموضوعي: وبرز هذا عند دراسة الموضوعات القرآنيّة، فما كان موضوعاً خالف فيه صريح النّقل يتشدد فيه، ويُجَيِّش له، ويتجاهل الأدلّة التي لا تخدمه، أو يذكرها ليُسقطها بلا بيّنة قويّة، وظهر هذا عند دراسته لموضوعات كالسحر، والنسخ، والمسن، وغيرها، وما كان موضوعاً أراد تمريره كما جاء، اختصر فيه الطّريق، وأقلّ فيه من جميع الجوانب والخطوات، وظهر هذا عند دراسته لموضوعات التّدين، والإيمان، والتّجديد، وغيرها، ومثال هذا أيضاً؛ تشدد العلواني في رفض القول بأنّ رؤيا الأنبياء وحي³، مُتجاهلاً قوله تعالى الصّريح: ﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَأَنْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ [الصّافات: 102]، والحديث الصّحيح في قوله ﷺ: «رؤيا الأنبياء وحي وقرأ الآية السّابقة»⁴، ولم ينزل من القرآن شيء عن طريق الوحي بالمنام.⁵

02- الزّهد في الفهم التحليلي للآيات القرآنيّة: سبق البيان عند عرض ضوابط التفسير الموضوعي أنّ معظم من أصّل للتفسير الموضوعي نَبّه على ضرورة العودة إلى التفسير التحليلي، وعدّوه شرطاً له⁶، فالمقدّمات والمدخلات السليمة المبنية على التفسير التحليلي تُوصل إلى نتائج ومُخرجات

2007م)، ص: 417.

1 الطّبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصدر سبق ذكره، ج 11، ص: 438.

2 ينظر: رشيد رضا، تفسير المنار، مرجع سبق ذكره، ج 07، ص: 420 - 421.

3 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 416.

4 أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب التخفيف من الوضوء، برقم: (138).

5 ينظر: فهد الزّومي، دراسات في علوم القرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 179.

6 ينظر: عبد الستار فتح الله سعيد، المدخل إلى التفسير الموضوعي، ص: 64. ومصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص: 52. وصالح عبد الفتاح الخالدي، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، ص: 44. ومحمد باقر الصّدر، التفسير الموضوعي والفلسفة الاجتماعية في المدرسة القرآنية، ص: 21، وزباد خليل محمد الدّغامين، منهجية البحث الموضوعي للقرآن الكريم، ص: 43. ومحمود سعيد الأطرش، الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم والسّورة القرآنية، التفسير الموضوعي ومنهج البحث فيه، ص: 23.

صحيحة في التفسير الموضوعي، ولقد أثر موقف العلواني من التراث التفسيري على استفادته من التفسير التحليلي، ضف إلى ذلك اعتماده على القرآن الكريم وقوى الوعي مصدرين لتفسيره، ومثال تحييده للتفسير التحليلي كثير، من ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: 46]، فقد قال العلواني: «أما الذين لم يُقاتلوا المؤمنين في دينهم ولم يُخرجوهم من ديارهم ولم يُظاهروا على إخراجهم، فإنّ الدّعاة مُطالبون مع سائر أمة الدّعوة ببرّ هؤلاء والإقساط إليهم والعناية بهم والمجادلة بالتي هي أحسن، فاقصر العلواني بهذا على ذكر قتال الدّفع، وأهمّل ذكر الجزية بالكلية»¹، وبالرجوع إلى أمّهات كتب التفسير التحليلي؛ نجد أنّ المفسّرين يذكرون عند تفسير هذه الآية أنّ جدال أهل الكتاب يكون بالدّعاء إلى الله بآياته والتّنبية على حججه مع من قبل إعطاء الجزية منهم، أمّا الذين أبوا أن يُعطوا الجزية ونصبوا الحرب، فجداهم بالسّيف حتّى يُسلموا أو يُعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، ويُردفون بأنّ هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التّوبة: 29]²، ومن خلال استعراض التفسير التحليلي لهذه الآية نستخرج التّيجة القرآنية التّامة، وهي أنّ الجدال يكون مع من أعطى الجزية وكفّ الأيدي بالتي هي أحسن، ويكون مع الذين ظلموا منهم فبقوا على الكفر وأبوا إعطاء الجزية ونصبوا الحرب، وحتّى لو لن ينصبوها، فإنّ مجرد رفض الإيمان مع رفض إعطاء الجزية يعني الحرب، إذا كان المسلمون مستعدّين لها.

03- عدم صحّة القول المفسّر به في ذاته: يقول طه جابر العلواني عند تفسير قوله تعالى:

﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ تُحَدِّثُ إِلَّا أَسْتَعْوَهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء: 02]: «قضية خلق القرآن قضية طرحها المعتزلة في مواجهة ما كان الأشاعرة أكّدوا عليه، ونادوا به من كون صفات الباري، ومنها الكلام صفات تتّصف بالقدم، كما تتّصف الذات الإلهية به... ولما رفض الأشاعرة وأهل السّنة عامّة ذلك فُتحت أبواب السّجون، ليدخلها المخالفون، وقد وقف أئمة الحديث والأشاعرة وسائر الطوائف المخالفة للمعتزلة ذلك الموقف الصّلب من هذا القول، وواجهوه بكلّ ما

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 856.

2 ينظر: الطّبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصدر سبق ذكره، ج18، ص: 417 - 421. والبغوي، معالم التنزيل، مرجع سبق ذكره، ج06، ص: 247 - 248. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سبق ذكره، ج10، ص: 517.

استطاعوا من قوّة¹، فهذا القول المفسّر به غير صحيح في ذاته، لأنّ محنة خلق القرآن ظهرت زمن المأمون سنة 218هـ وانتهت لما ولي المتوكّل الخلافة سنة 232هـ، ووفاة الإمام أحمد كانت سنة 241هـ²، ومن يُنسب له المذهب الأشعريّ ولد سنة 260هـ، أي بعد نهاية فتنة خلق القرآن بسنوات! ضف إلى ذلك أنّه أظهر المذهب الأشعريّ بعد أن جاوز الأربعين من عمره³، أي أنّ أئمة أهل الحديث وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل هم من واجهوا فتنة خلق القرآن وردّوها، وذلك قبل ظهور المذهب الأشعريّ بعقود.

04- عدم احتمال الآية القول الحادث في التفسير الموضوعي: مثال ذلك عند تفسير

قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ۝ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنْ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ۝ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرُونَ ۝ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفَاسِقٌ ۝ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُؤْخِرَ إِلَى أُولِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّ لَكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ۝﴾ [الأنعام: 118 - 121]: «... و((الحاكمية الإلهية)) المتجلية في ((حاكمية القرآن المجيد))، وانحصار سلطة التشريع فيه⁴، فما كان في القرآن دلالة عليه فإنّه يُقبل، وما لم يكن فلا بدّ من الحذر الشديد منه⁵، وقد سبق بيان منزلة السنّة في التشريع الإسلاميّ وكذلك بيان منزلة الإجماع بياناً يُغني عن التكرار ههنا، ويكشف أنّ هذا القول من العلوانيّ ممّا لا تحتمله الآية من عدّة أوجه، منها ثبوت حجّة السنّة النبويّة، ومنها أنّ بعض الأحكام المتعلقة بالأطعمة شرّعت بالسنّة النبويّة كحلّ ميتة البحر والكبد والطّحال وغيرها، وحرمة الحمر الأهليّة وغيرها، ومنها ثبوت حجّة الإجماع.

1 طه جابر العلوانيّ، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 501 - 50. بتصرّف.

2 ابن كثير، البداية والنهاية في التاريخ، مرجع سبق ذكره، ج 11 ص: 59 - 184.

3 ينظر في ترجمة الأشعريّ: تاريخ بغداد للخطيب البغداديّ (346/11). والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزيّ (336/06). والكمال في التاريخ لابن الأثير (392/08). ووفيات الأعيان لابن خلكان (284/03). وتاريخ ابن خلدون (23/02). وسير أعلام النبلاء للذهبيّ (85/15). والبداية والنهاية لابن كثير (187/11-206). وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (81/01). والديباج المذهب لابن فرحون المالكيّ (94/02). وشذرات الذهب لابن العماد الحنبليّ (303/02).

4 طه جابر العلوانيّ، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 402.

5 المرجع السابق، ص: 407.

05- إبطال التفسير الموضوعي قول السلف: مثال ذلك قول العلواني وهو يدرس موضوع الوصية: « وآية الوصية صُدّرت بِكُتِبَ التي تحمل معنى التأكيد على الإيجاب والفرضية، فليس لأحد أن يصرفها عن ظاهرها دون دليل مُوازٍ مُكافئ لها في القوّة والقطعية، وسائر الأوجه التي اشتملت هذه الآية عليها، ولذلك فإنّ القول بنسخها بآية الموارث فيه نظر ¹، وهذا التفسير مُخالف مُصادم لقول السلف، فهم قد « اتّفقوا أنّ الوصية لوارث لا تجوز، واختلفوا إذا أذن في ذلك سائر الورثة وأجازوه، أيجوز أم لا ؟ ²، ويمثل مقالته هذه قال العلواني في حكم قتل المرتد ³، فهو أنكر حكم الرّدة وخطأ من قال به ! فخالف قول السلف أيضاً ⁴.

ت- مأخذ متعلّقة بضوابط التفسير الموضوعي الكشفية:

01- عدم رعاية ما يلزم في تفسير القرآن بالقرآن: وبرز هذا في إهمال طه جابر العلواني لعملية الاستمداد من باقي القرآن بما يكفي، خاصّة وتفسيره هو تفسير للقرآن بالقرآن، وهو تفسير موضوعي في نفس الوقت، وهذه كما يُقال بداية جيّدة لو تمّت رعايتها حقّ رعايتها، فعملية تفسير السّورة بما جاء في السّورة نفسها، وبما جاء في القرآن الكريم نفسه، يكشف للمفسّر معاني دقيقة، ومن أمثلة عدم رعاية العلواني ما يلزم في تفسير القرآن بالقرآن يذكر الباحث سورة السّجدة التي يبلغ عدد آياتها تسعة وعشرون آية، والتي استدعى لتفسيرها اثنتان وأربعون آية، مُوزّعة على عشر آيات فقط من سورة السّجدة، وفقاً لما يلي: الآية رقم: 03 استدعى لها العلواني تسع آيات جميعها من سورة يونس، والآية رقم: 04 استدعى لها ثلاث آيات من سورة فاطر، والآية رقم: 10 استدعى لها ثلاث آيات من سورة يس، والآية رقم: 11 استدعى لها آية واحدة من سورة الزّمر، والآية رقم: 12 استدعى لها أربع آيات من سورتي المؤمنون وفاطر، والآية رقم: 14 استدعى لها آيتين من سورتي الحشر والزّمر، والآية رقم: 17 استدعى لها أربع آيات من سور الأنعام والجاثية والقلم، والآية رقم: 20 استدعى لها ستّ آيات من سورتي الأنعام والأعراف، والآية رقم: 22 استدعى لها آية واحدة من سورة ص، والآية رقم: 26 استدعى لها آيتين من سورتي النّمل والأنفال، والآية رقم: 29 استدعى لها ستّ آيات من سور غافر والفتح والنّصر والقمر والأعراف. أمّا باقي الآيات والتي عددها تسعة عشر آية، فهو رأي العلواني واجتهاده وأسلوبه.

1 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 199.

2 ابن حزم، مراتب الإجماع، مرجع سبق ذكره، ص: 193.

3 طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 125.

4 ابن حزم، مراتب الإجماع، مرجع سبق ذكره، ص: 210.

ولأنّ العلوانيّ عمد اجتهاداً منه إلى ربط آية بآية أخرى، وجعل إحداها تفسير الأخرى، وفسر أيضاً برأيه واجتهاده دون الاستعانة بالآيات القرآنية، فإنّ ما قام به أمر يخضع للنظر والمناقشة والاختلاف فيه وحوله، ونظرة لتفسير سورة السّجدة في تفسير "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" تُوضّح بأنّه كان بإمكانه استدعاء عدد أكبر من الآيات القرآنية لتفسير عدد أكبر من سورة آيات سورة السّجدة بآيات أخرى، والتي تربطها روابط قويّة وواضحة، ومن ذلك الآية رقم: 02 والتي استدعى لها صاحب الأضواء احدي وأربعون آية، جميعها تُفسّرها وترتبط بها بوجه من الأوجه، في حين أنّ العلوانيّ لم يستدعي لها آية واحدة، وهو الذي اختار تفسير القرآن بالقرآن تفسيراً موضوعياً! وهكذا كان الأمر مع باقي الآيات التي أهمل جمع الآيات التي ترتبط بها، وآثر الاجتهاد والرأي في تفسيرها.

كما سجّل الباحث عدم إبراز العلوانيّ للطائفة المناسبة في التكرار في القرآن الكريم وأهميته عند تفسير الآيات المتكررة، خاصّة وأنّ ذلك من شأنه أن يُعمّق التدبّر في القرآن الكريم من أجل حسن الفهم، خصوصاً حين يتعلّق الأمر بقضيّة الكشف عن المقاصد، والتدبّر والمقاصد أمران اهتمّ بهما العلوانيّ وركّز عليهما، ولكنّه في المقابل تجاوز فوائد التكرار التي تخدمهما.

02- **التذبذب المنهجيّ:** وهي أخطاء ارتبطت بالخطوات التي تذبذب العلوانيّ في توظيفها، فظهر وكأنّه نسي ضبطها، أو ضبط تناسيها! فتارة يُدرجها وتارة يُهملها، ومن ذلك ما تعلّق بذكر فضائل السّورة، فهذه الخاصيّة اختصّت بها سورة الفاتحة دون سواها، ويُرجع العلوانيّ ذلك « إلى أنّ هذه الآيات السبع قد نُبّهت إلى مقاصد القرآن كلّه ومعانيه وأهدافه على تنوّعها »¹، وأهمل ذكرها في باقي السّور، ومنها ما تعلّق بعدم مراعاة ذكر أسباب النّزول، وما دُكر منها إنّما دُكر لغاية يُريدها، كما صنع مع سورة طه، فهو ذكر سبب النّزول حتّى يستدلّ به على أنّ "طه" اسم لرسول الله ﷺ ليس إلّا²، ومنها ما تعلّق بالملكّي والمدنيّ، فهو لم يذكره في سور المؤمنون³، والنور⁴، والرّوم⁵، ومنها ما

1 طه جابر العلوانيّ، تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سبق ذكره، ص: 53.

2 المرجع السّابق، ص: 445.

3 المرجع السّابق، ص: 613.

4 المرجع السّابق، ص: 669.

5 المرجع السّابق، ص: 869.

تعلّق بترتيب السّور، فقد اكتفى بذكر التّرتيب في سور الفاتحة¹، والأنعام، والنّور، والسّجدة²، ومنها ما تعلّق بذكر سبب تسمية السّورة، فقد ورد ذكر السّبب في سور طه³، والأنبياء⁴، والنّور⁵، والزّوم⁶، وغاب في باقي السّور على قلة عددها، ومنها ما تعلّق بإيراد مقدّمة، فقد ذكرها حصراً في سورتي الأنعام⁷، والنّور⁸، ومنها ما تعلّق بعنوانة التّجوم إيراداً وتركاً، حتّى حين يترك عنوانة نجم ما، اختلفت طريقة تعامله مع ذلك، فتارة يكتفي بذكر رقم التّجم، وتارة يُضيف ذكر مجال آياته، ومنها ما تعلّق بذكر هدايات السّورة وخلاصتها، حيث وُجد هذا في سورة الأنعام فقط، ونُثرت الهدايات ضمن فقرات التّفسير وعباراته في ثلثي باقي السّور، ومنها ما تعلّق بإيراد خاتمة بعد تفسير السّورة، وهي عبارة عن ملخص يُورده بعد تدبّر السّورة تحت عنوان: الخاتمة، وقد جعلها لبعض السّور دون سواها، كسورة الأنعام⁹، وسورة الحجّ¹⁰، ولم يلتزم بها في جميع السّور، وجميع ما سبق ذكره، ممّا يُحسب عليه.

ث- مآخذ متعلّقة بضوابط التّفسير الموضوعي التّجميعي:

01- عدم استيعاب جميع الآيات في الموضوع الواحد: وقد اتّضح هذا بجلاء في ما تمّ عرضه كنماذج لدراسته الموضوع القرآنيّ، وقد يُعذر العلوانيّ في ذلك لأنّه أشار في مقدّمة تفسيره أنّ تفسير الموضوع القرآنيّ ليس هو ما يُريد.

02- عدم استيعاب خطوات ومقوّمات منهجيّة دراسة الموضوع القرآنيّ: فقد شاب دراسة الموضوع القرآنيّ من طرف طه جابر العلوانيّ إهمال لمراعاة ذكر ترتيب الآيات بعد جمعها حسب نزولها، وإغفال لذكر أسباب التّزول الثّابتة رغم وجودها، وعدم مراعاة للمكّي والمدنيّ وموضوع كلّ منهما وفائدته.

03- شحّ الاستفادة من التّفسير التحليليّ: لقد تکرّر تصرّف العلوانيّ مع التّفسير التحليليّ،

1 طه جابر العلوانيّ، تفسير القرآن بالقرآن، ص: 52.

2 المرجع السابق، ص: 921.

3 المرجع السابق، ص: 445.

4 المرجع السابق، ص: 495.

5 المرجع السابق، ص: 668.

6 المرجع السابق، ص: 869.

7 المرجع السابق، ص: 352.

8 المرجع السابق، ص: 669.

9 المرجع السابق، ص: 438.

10 المرجع السابق، ص: 610.

فهو لم ينهل من معينه، ولا هو استفاد من مخزونه، وآثر جعله وراء ظهره، والمضي قدماً مُتسلِّحاً بالقرآن نفسه، وبما جادت به عليه قوى وعيه، فكان وفيّاً لمواقفه، مُضيّعاً الاستفادة من تراث غيره؛ إلا نادر جَمَلٍ بما تفسيره أكثر مما أثراه، ونقولات منتقاة غلب عليها نقل آراء الغير واجتهاداتهم الشخصية، وعابها أنّها نقولات من غير مظانّها، أو نقولات خاطئة من أصلها مخالفة لسبب إيرادها.

ج- مآخذ متعلّقة بضوابط التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني:

01- عدم استيعاب جميع الآيات في المصطلح الواحد: وما قيل عن عدم استيعاب جمع الآيات في النوعين السابقين من أنواع التفسير الموضوعي يُقال هنا، فالعلواني كان بحاجة لتجسيد مشروعه بتفسير القرآن بالقرآن، وكان مُطالباً بجمع الآيات الأخوات ورصّها كالبنيان الواحد، حتّى يكون تفسيره مُستوعباً شاملاً كاملاً متفوّقاً، ولكنّه لم يصل درجة الاستيعاب في الجمع فضلاً على أن يتجاوزها كما أشار في مقدّمة تفسيره.

02- عدم استيعاب خطوات ومُقوّمات منهجيّة دراسة المصطلح القرآني: أهمل العلواني عند دراسة المصطلح القرآني متابعة ورود الجذر الثلاثي للمصطلح المدروس واشتقاقاته وتصريفاته في القرآن الكريم، مع عدم قيامه بترتيب الآيات التي أوردت المصطلح موضوع البحث على حسب النّزول.

ح- أخطاء متعلّقة بعلم التفسير وما ارتبط به من علوم أخرى:

01- تجاهل التفسير بالسنة النبوية الصحيحة: إنّ السنة « توضح الجمل، وتقيد المطلق، وتخصص العموم، فتخرج كثيراً من الصيغ القرآنية عن ظاهر مفهومها في أصل اللّغة؛ وتعلم بذلك أن بيان السنّة هو مراد الله تعالى من تلك الصيغ، فإذا طُرحت وأُتبع ظاهر الصّيغ بمجرّد الهوى صار صاحب هذا النّظر ضالّاً في نظره، جاهلاً بالكتاب خابطاً في عمياء لا يهتدي إلى الصّواب فيها»¹، والعلواني بسبب موقفه من منزلة السنّة لم يسع للاستعانة بها باعتبارها تجربة ونموذجاً يحتذى به وليست مصدراً أو تشريعاً يُستقى منه.

02- تجاهل التفسير بفهم الصحابة والتابعين: ممّا كان ينبغي على طه جابر العلواني لما سلك طريق تفسير كلام الله ﷻ، أن « ينظر في تفسير السلف الصّالح له، إن أعوزته السنّة، فإنّهم أعرف به من غيرهم، وإلا فمطلق الفهم العربي لمن حصّله يكفي فيما أعوز من ذلك. والله أعلم »²، ولكنّه لم يجعل ذلك غايته، ولا فهم السلف وسيلته، فكان ما أورده عنهم لا يفني بالغرض، ولا يُعتبر استعانة

1 الشّاطبي، الموافقات، مرجع سبق ذكره، ج03، ص : 14.

2 محمّد جمال الدّين القاسمي، محاسن التّأويل، مرجع سبق ذكره، ج01، ص: 82.

بقدر ما هو استهانة بمنزلة فهمهم لا بمنزلتهم، وعزوف عن طريقتهم وسيرتهم.

03- عدم استيعاب الموارد القرآنية والحديثية، ويبرز هذا عند انتصاره لمواقفه، مثل إنكاره لقضايا النسخ في القرآن الكريم، والسحر، ومجيء المهدي، ونزول عيسى عليه السلام، فعدم استيعابه -أو بالأحرى عدم تقبله- للموارد القرآنية والحديثية فضلاً عن غيرها، جعل نتائجه قاصرة عن بلوغ الغاية وتحقيق المراد.

04- التشكيك في منهج المحدثين: شكك طه جابر العلواني في مناهج العلماء في حفظ السنّة النبويّة واعتبرها مناهج ظلت قاصرة عن تمييز المقبول منها والمردود طيلة القرون الماضية، ولكنه في الوقت ذاته يستشهد في تفسيره على صحّة ما يذهب إليه من آراء بما رواه وأخرجه أولئك العلماء من أحاديث في مُصنّفاتهم وفق مناهجهم التي ينتقدها، ويرى أنّها في أغلبها قاصرة؟!

05- إنكار وقوع النسخ في القرآن الكريم: ومن جهة أخرى، لم يُؤقّق طه جابر العلواني في إنكاره لوقوع النسخ في القرآن الكريم، وهو في قضية النسخ لم يذكر أقوال الصحابة والتابعين في هذه المسألة، خاصّة وأنّ بعض هذه الأقوال لها حكم المرفوع؛ ممّا أثار إشكالات عديدة في فهمه لهذه القضية، منها تناقضه مع قول الصحابي الذي ثبت وقوع النسخ في القرآن؛ ومثاله ما رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كَانَ فِيمَا أُنْزِلَ مِنَ الْقُرْآنِ: (عَشْرُ رَضَعَاتٍ مَعْلُومَاتٍ يُحَرِّمْنَ)، ثُمَّ نُسِخْنَ بِخَمْسٍ مَعْلُومَاتٍ، فَتَوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُنَّ فِيمَا يُقْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ».¹

06- إنكار الفرق بين الآيات المحكمات والآيات المتشابهات: فهو اعتبر القرآن كلّه محكم كلّه متشابه، وما قضية المحكم والمتشابه سوى إشكالية اهتم بحلّها، وبيان زيفها وانحرافها، ومن هنا فسّر القرآن على هذا الأساس.

07- السعي نحو مسارٍ تفسيريٍّ مُستقلٍّ عن مناهج المفسرين: إنّ من أكبر إشكالات الممارسة التفسيرية في ميدانها التطبيقي هي حالة الاختلاف الحاصلة بين المفسرين في طبيعة موضوعها وقضيّتها، فكيف إذا انضاف لهذا اختلاف في الميدان التّنظيريّ؟ فهنا لا شكّ تبرز اختلافات هائلة وتباين في التفسير، ومن ثمّ تقديم اجتهاد وفق نسق منهجيّ خاصّ؛ قد لا يحترم أصول وقواعد وضوابط علم التفسير، وأسباب الاختلاف في التفسير، والقفز على ذلك كلّه واعتباره حواجز مُعرقلة وعقبات مُثبّطة! وهذا بالضبط ما كان من طه جابر العلواني.

1 أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الرّضاع، باب التّحريم بخمس رضعات، (663/01)، برقم: 1452.

08-عدم توظيف جميع أدوات المفسر الممكنة: يُعتبر توظيف الأدوات التي تُتيح للمفسر رصد واستجلاء معاني الخطاب القرآنيّ، فهي أدوات تُعنى بجميع الجوانب وتبعد المفسر عن الوقوع في الخطأ غالباً، فيكون منهجه سليماً وإن جانب نتائجه الصّواب، فيأخذ حكم المجتهد الذي يدور بين الأجرين، فلا يُردُّ صفرًا، وقد نبّه المفسرون والباحثون على ضرورة الأخذ بحظّ وافر من أدوات فهم النصّ الشرعيّ، فمن البديهيّ أنّه متى غُدمت الوسائل والموارد ضُغف النّظر، ودار التفسير خارج فلك حدود الممارسة المنضبطة، ومن خلال ما سبق ذكره من نقاط ظهر إهمال وردّ العلوانيّ لبعض أدوات المفسر ومصادره، واستبدالها بأدواته ومصادره الخاصّة.

أهمّ نتائج الفصل الثالث

- 01- استعانة طه جابر العلواني بمصادر التفسير الأوليّة كانت على طرفي نقيض، فهو بقدر ما كان أكثر من الاستفادة من تفسير القرآن بالقرآن، كان مُقللاً من توظيف باقي المصادر الأوليّة بما فيها السنّة النبويّة. وقد تنوّعت مصادر طه جابر العلواني من الكتب والمؤلّفات من حيث العلوم وتقسيماتها، ومن حيث الفرق ومذاهبها، ومن حيث قيمتها واعتبارها، مع تسجيل عدم تغطيتها للموضوعات بشكل كامل.
- 02- أنكر طه جابر العلواني وجود قيمة لبعض علوم القرآن كالنسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، والمبهمات، وأهميّة أسباب النزول، وغيرها، وهو مع ذلك تعامل مع بعضها في تفسيره كبيان المبهم، والاستعانة بأسباب النزول في أضيق الحدود.
- 03- غلبة النزعة الذاتية والتعصّب على تفسير طه جابر العلواني من خلال إيراد بعض مواقفه المسبقة والانتصار لها كلّها.
- 04- تعدّدت آثار توظيفات طه جابر العلواني لمصادره ما بين كشف للمعاني التفسيرية، وبيان للمعاني اللغويّة واللّطائف البلاغيّة، والأحكام الفقهيّة، والمذاهب العقديّة، وغيرها.
- 05- نقولات طه جابر العلواني كانت على وجين، إمّا بالنّص دون أدنى تصرّف منه، وهذا هو الغالب، وإمّا بالتّصرّف في المادّة العلميّة المنقولة وهذا أمر تكرر دون تنبيه منه على ذلك، كما أنّه قد يُورد نقولات دون ذكر مصادره، أو يذكر نقولات بخلاف ما هو مُقرّر في المصدر، أو يأخذ مادّة علميّة من غير مظاهرها.
- 06- تميّز التفسير الموضوعي للسّورة القرآنيّة -الكشفي- عند طه جابر العلواني بخطوات منهجيّة سار عليها العلواني في الغالب، وخطوات منهجيّة لم يسر عليها بشكل منتظم.
- 07- أولى العلواني علم المناسبات والسّياق عناية كبيرة عند تفسيره للسّورة القرآنيّة.
- 08- تفاوت اهتمام العلواني بتعريف المفاهيم الواردة في السّور القرآنيّة.
- 09- توظيف مدخل الجمع بين القراءتين كان بطابع ضرب المثال لبيان منهج التّطبيق، ولم يستوعب جميع الموضوعات القرآنيّة التي شملها تفسير العلواني.
- 10- لم يضع العلواني عنواناً خاصّاً لجمع هدايات الآيات القرآنيّة كما صنع بعض المشتغلين بالتفسير الموضوعي، واختار نشرها في سياق تفسيره في الغالب.
- 11- عالج العلواني عدّة موضوعات قرآنيّة في عدّة سور، ولم يقدّم بتخطّي مرحلة النّظر في الموضوع

القرآنيّ إيماناً منه بأهميته، وبأنّه نوع من التفسير الموضوعيّ ويعسر تجاهله.

12- يمتاز التفسير الموضوعي للموضوع القرآني -التّجميعي- من طرف طه جابر العلوانيّ بمقومات ومراحل منهجيّة متسلسلة وخادمة لغرض هذا النوع وأهدافه.

13- تعامل طه جابر العلوانيّ موضوعياً مع بعض المصطلحات القرآنيّة، فبرزت له خطوات منهجية لدراسة المصطلح القرآنيّ، وتخطّى بعض خطوات تفسيره، غير أنّه لم يكن بدعاً في ذلك وسط باقي المفسّرين.

14- تعدّدت خصائص التفسير الموضوعيّ عند طه جابر العلوانيّ وشملت جميع أنواعه الثلاثة، وزادت عليها بخصائص توافق منهج المدرسة العقلية في عدّة نقاط.

15- اصطبغ تفسير العلوانيّ بصبغة المنهج العلميّ الأكاديميّ في معالجة القضايا، وإثبات الآراء، وجمع المادة العلميّة وتوثيقها.

16- زيادة على ضوابط تفسير القرآن بالقرآن وضوابط التفسير الموضوعيّ، برزت لتفسير العلوانيّ ضوابط خاصّة به، صدرت عنه، وطُبّقت في تفسيره.

17- لا يخلو تفسير طه جابر العلوانيّ من قيمة تجديديّة مضافة لعلم التفسير ككلّ، ولنوع التفسير الموضوعيّ بشكل خاصّ، وهي قيمة أكسبته خصائص فارقة تحتاج من المفسّر والمتخصّص الالتزام بضوابط مشروعه ونظرته حول تفسير القرآن الكريم، ومن القارئ فهم ذلك كلّ.

18- اشتمل تفسير طه جابر العلوانيّ على مآخذ علميّة ومنهجية نشأت عن مواقفه ومداخله لتفسير القرآن الكريم، وعن جرأته وحرصه على المراجعات والنقد والتّجديد والتّغيير.

الخاتمة

الخاتمة:

لقد كشفت هذه الدراسة بشكل عام عن أهمية النظر في المناهج التفسيرية الجديدة وتقويمها، وذلك من أجل تبين المناهج الأصيلة منها والدخيلة؛ فلا يمكن قبول هذه المناهج الحادثة إلا إذا كانت نابعة من تراثنا التفسيري، وخاضعة لأصوله ومقرراته، فكانت دراسة لامست مجالات متعددة، وتجاوزت حدود الكشف عن التفسير الموضوعي عند طه جابر العلواني من خلال كتابه -تفسير القرآن بالقرآن-، لتبرز النتائج التالية:

01- انعكست بيئة ومحيط نشأة طه جابر العلواني على بناء شخصيته، وتحديد أولوياته، وعلى تشكيل مواقفه الفكرية وخياراته المنهجية.

02- طه جابر العلواني شخصية علمية عالمية بارزة لها مشروع فكري له مكانته ضمن الخريطة الدعوية الإسلامية، وضمن خارطة التفسير المعاصر، وقد انقسمت الآراء حوله.

03- قام الباحث بوضع تعريف للتفسير الموضوعي، ثم تعريف لتفسير القرآن بالقرآن، ثم كشف الحدود بينهما، وذكر أيضاً الحدود بين التفسير الموضوعي وعلم المناسبات.

04- يتجاوز طه جابر العلواني منهج التعامل التقليدي مع القرآن الكريم إلى بناء منهجية عقلانية جديدة تخدم كتاب الله في وحدته الموضوعية، وفي علاقته مع حركة الإنسان والكون.

05- ارتبط تفسير طه جابر العلواني بالأبعاد الإصلاحية والفكرية والتربوية، فكان سياقه يتماشى مع واقع الأمة وحاجاتها، ويدعو للتركية الشاملة، وكان من نوع التفسير الموضوعي.

06- يستوعب تفسير طه جابر العلواني أغلب المقومات والخطوات المنهجية للتفسير الموضوعي بأنواعه الثلاثة، ويزيد عليه بمدخل الجمع بين القراءتين، وبناء المفاهيم والمصطلحات قرآنيًا.

07- اعتبار السورة القرآنية كوحدة موضوعية دفع طه جابر العلواني للإكثار من استثمار السياق والعناية بإبراز جوانب التناسب المختلفة.

08- عدم احتكام منهج طه جابر العلواني في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم -في بعض الأحيان- إلى أصول وضوابط التفسير الموضوعي، كنظرته لمصادر التفسير الأولية، وإنكاره لبعض علوم القرآن كالنسخ، والمحكم والمتشابه، وإهماله لبعضها الآخر كالتكرار مثلاً، وقلة اعتماده على التفسير التحليلي، أنقص من قيمة بعض النتائج التي توصل لها، وجعل بعضها نتائج عليها جملة من المآخذ.

09- كشفت الدراسة عن وجود ضوابط وخصائص للتفسير الموضوعي عند طه جابر العلواني.

توصيات الدراسة:

في نهاية هذه الدراسة يوصي الباحث بما يلي:

01- على من يريد حلّ مشاكل الأمة المختلفة القيام بما قام به النبي ﷺ من إعادة بناء العقيدة الصحيحة البعيدة عن البدع والخرافات، ورفع صرح الإيمان والأخلاق عالياً في النفوس، وإحياء سيطرة مبدأ السمع والطاعة لله ولرسوله ﷺ على النفوس والعقول، والتزام الأمة الطوعيّ أفراداً وجماعاتٍ ودولاً بالأحكام الشرعية الثابتة والراسخة.

02- القيام بدراسة تطبيقية حول (ضوابط تفسير القرآن بالقرآن وخصائصه في كتاب "تفسير القرآن بالقرآن" لطله جابر العلواني).

03- برزت للباحث خلال مرحلة قيامه بهذه الدراسة عدّة موضوعات تصلح دراسات مستقبلية حول تفسير طه جابر العلواني، منها: السياق عند طه جابر العلواني من خلال تفسيره، المناسبات وأثرها في تفسير طه جابر العلواني، التفسير المقصديّ عند طه جابر العلواني من خلال كتابه -تفسير القرآن بالقرآن-، التفسير الفقهيّ عند طه جابر العلواني من خلال كتابه -تفسير القرآن بالقرآن-، علوم القرآن عند طه جابر العلواني من خلال تفسيره، التفسير بالرأي عند طه جابر العلواني من خلال كتابه -تفسير القرآن بالقرآن-، منهج بناء المفاهيم القرآنية من خلال تفسير العلواني، وغيرها من الموضوعات.

وفي الختام ينبغي التأكيد على ضرورة الاهتمام بالقرآن الكريم، والعناية بعلومه، كما أرجو أن أكون قد وفقت في الإجابة عن بعض الأسئلة التي طرحت في إشكالية هذه الدراسة.

والحمد لله ربّ العالمين.

الفهارس

أولاً: فهرس الآيات

الصفحة	الرقم	طرف الآية
سورة الفاتحة		
106	04	﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿١﴾﴾
121	05	﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾
91	07	﴿الَّذِينَ آمَنَتْ عَلَيْهِمْ ﴿٧﴾﴾
سورة البقرة		
132 ، 116	01	﴿الْعَمَّ ﴿١﴾﴾
560 ، 547	02	﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾
129	03	﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾
423	04	﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴿٤﴾﴾
421	09	﴿يُخَذِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ﴿٩﴾﴾
106	10	﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠﴾﴾
359	17	﴿مِثْلَهُمْ كَمِثْلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَصَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾
189	20	﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾
423	22	﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾
91	23	﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴿٢٣﴾﴾
408	24	﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴿٢٤﴾﴾
431	26	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴿٢٦﴾﴾
152	30	﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴿٣٠﴾﴾
401	33	﴿قَالَ يَتَدُمُّ أُنْيَتُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ﴿٣٣﴾﴾
379 ، 177 ، 151	35	﴿وَقُلْنَا يَتَدُمُّ أَسْكُنُ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾
422	36	﴿وَلَكُمُ فِي الْأَرْضِ مَسْفَرٌ وَمَتَعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾

398	36	﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾
403، 177	37	﴿فَنَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَةً فَثَابَ عَلَيْهِ﴾
152، 48	38	﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾
118	40	﴿يَبْنَیْ اِسْرَءِیْلَ اُذْكُرُوا نِعْمَتَ الَّتِیْ اَنْعَمْتُ عَلَیْكُمْ﴾
94	43	﴿وَأَقِمْوُا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾
401	45	﴿وَأَسْتَعِیْنُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾
402، 401	47	﴿يَبْنَیْ اِسْرَءِیْلَ اُذْكُرُوا نِعْمَتَ الَّتِیْ اَنْعَمْتُ عَلَیْكُمْ وَآنِیْ فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾
425، 413	61	﴿قَالَ اَنْتَبِدِلْتُكَ الَّذِیْ هُوَ اَذْفَىٰ بِالَّذِیْ هُوَ خَيْرٌ اَمِیْطُوا مَضْرًا﴾
155	67	﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾
531، 408	78	﴿وَأَن هُمْ لَا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾
530	80	﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا أَيُّامًا مَعْدُودَةً﴾
397	83	﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾
125	87	﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾
535	-94 95	﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾﴾
420، 336، 381، 509، 446، 443 511	102	﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلَّوُا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ وَمَا كَفَرْتُمْ سَلِيمًا وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ...﴾
503، 472، 343	106	﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾
531	111	﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ آمَانِيُهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾﴾
143	117	﴿كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾
546	222	﴿فَإِذَا أَظْهَرْنَا فَأُتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾
563، 237	124	﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾
516، 410	132	﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ﴾

402	-151 152	﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾
446	153	﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾
446	-155 156	﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّرَاطِ وَبَشِيرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾
496	156	﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾
159	-168 169	﴿ يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ ﴾
90, 80	173	﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ﴾
467	179	﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ ﴾
411	182	﴿ فَمَنْ خَافَ مِنْ مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ ﴾
151	185	﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾
150	185	﴿ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾
185	186	﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾
380, 109, 95	187	﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾
433	188	﴿ وَتَدُلُّوهُمَا إِلَى الْكُفَّارِ ﴾
429, 401	189	﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ النَّاسِ وَالْحَجَّ ﴾
410	190	﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ ﴾
410	191	﴿ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ﴾
385	193	﴿ وَقَتِّلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾
415	204	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ ﴾
389, 310	207	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ ﴾

		بِالْعِبَادِ ﴿٢٧﴾
425	210	﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ ﴿٣٠﴾
430	213	﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾
430	214	﴿ مَسْتَهُمُ الْبَاسَاءِ وَالضَّرَاءِ ﴾
446 ، 442 ، 436	216	﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٣١﴾
200	217	﴿ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ﴿٣٧﴾
412	222	﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْرِضُوا إِلَيْهَا فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهَا حَتَّى يَطْهَرَ فَإِذَا ظَهَرَ فَأْتُوها مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ ﴾ ﴿٣٣﴾
507	223	﴿ فَمَا تَدْعُونَ إِسَاءَةً لَكُمْ فَأْتُوا بِنَصيحَةٍ أَمْ لَكُمْ شَيْءٌ ﴾
449	224	﴿ وَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ﴿٣٤﴾
502	226	﴿ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ﴿٣٥﴾
502	229	﴿ الطَّلَقُ مَرَّتَانٍ فَإِنْ سَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾
494	233	﴿ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَلَئِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرِضُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا بَيْنَ يَدَيْكُمْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾
355	233	﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ ﴾
531	236	﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ ﴾
531	237	﴿ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ ﴾
437	240	﴿ وَالَّذِينَ يَتُوقُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَرْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾
421	249	﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا

		قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلتَقُوا اللَّهَ كَم مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةُ كَثِيرَةٍ يُؤْذِنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٣٩﴾
381, 310	256	﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾
408	259	﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرْسِكِهَا قَالَ أَنَّىٰ أُغْنَىٰ عَنِّيٰ هَذِهِ قَرْيَةٌ قَالُوا لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ لَأَخَذْنَا مِنْهُمُ الثَّنَاقَةَ يَوْمَ الْبَاقِ لَفِئَةٌ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَىٰ فِتْنَةٍ سَابِقَةٍ﴾
450	258	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبراهيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾
414	260	﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾
450	262	﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مِمَّا انْفَقَوْا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٧﴾﴾
405	273	﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ ...﴾
179	-275 281	﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن ...﴾
179, 129	285	﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾
239	275	﴿فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾
سورة آل عمران		
369, 283, 147, 53	07	﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولَٰئِكَ﴾
382	19	﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ لَأَسْلَفُوا وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾﴾
299	31	﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾

151	33	﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (٣٣)
55	36	﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ﴾
531	47	﴿ أَنِّي يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ﴾
200	72	﴿ آمَنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَآكُفُّوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (٧٢)
56	96	﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ﴾
543	105	﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾
208	103	﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾
526, 522	122	﴿ إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١٢٢)
179	130	﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمُ الَّتِي بَيْنَ يَدَيْكُمْ مَصْرَفًا مَظْهَرًا وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١٣٠)
210	143	﴿ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ (١٤٣)
212	152	﴿ مِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾
241	164	﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (١٦٤)
سورة النساء		
131	01	﴿ يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾
178	03	﴿ فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنً وَثُلَاثَ وَرُبْعَ ﴾
523	22	﴿ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾
524	25	﴿ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَفَّحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ﴾
247	29	﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾
268	36	﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْعًا ﴾

83	43	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ﴾
55	46	﴿يُخْرِفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾
380، 91	69	﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿١١﴾﴾
324	80	﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا ﴿٨٠﴾﴾
214، 168، 121	82	﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَةَ أَنْ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾
110	79	﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾
526، 523	102	﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنْتُمْ طَائِفَةً مِنْهُمْ مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلِتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ﴾
534	123	﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾
60	140	﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَةَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَفْعَدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾
62	164	﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾
489	174	﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ تُورًا مُبِينًا﴾
سورة المائدة		
170، 116، 95	01	﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرِ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾
337، 95	03	﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْبَانَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهِلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفَقَةُ وَالْمَوْفُقَةُ وَالْمُرْدِيَّةُ وَالنَّطِيلَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصَبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾
170	03	﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾
107	06	﴿وَأَرْجَلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾

524, 522	38	﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾
209	44	﴿يَمَا اسْتَحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾
315, 296	67	﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٧﴾﴾
276	77	﴿قُلْ يَبْنَؤُا هَلْ أَلِكتَبْ لَا تَعْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾
366	95	﴿هَدْيًا بَلِّغِ الْكَعْبَةَ﴾
182	96	﴿أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾
514	110	﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْحَرُ تُبِّيتُ ﴿١١٠﴾﴾
448	117	﴿إِنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾
131	119	﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾
469, 131	120	﴿لِلَّهِ الْمُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾﴾
سورة الأنعام		
469, 465, 369, 481	01	﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾
480	02	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾
419	03	﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾
482	-04 06	﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٤﴾ ...﴾
516, 510, 500	07	﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسْحَرُ تُبِّيتُ ﴿٧٧﴾﴾
518, 511	17	﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾
483	19	﴿أَيُنْذِرَكُمْ لْتَسْهَدُوا أَنْتَ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَحْدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾
162	38	﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾

440	42	﴿ فَآخِذْهُمْ بِأَبْصَارِهِمْ وَالْأَصْرَارِ لَعَلَّهُمْ يَنْصَرُّونَ ﴾ (٤٢)
381	48	﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾
381	-48 49	﴿ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٤٨) وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا يَمْسُكُهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ (٤٩)
499	54	﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾
379، 62	56	﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (٥٦)
63	59	﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾
544، 62	68	﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي ءَايَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ؕ وَإِنَّمَا يُؤْمِنُ بِكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٦٨)
431، 245	82	﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾
481، 52	83	﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ؕ آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ﴾
116	87	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْزَنُوا طَبِيبَتٌ مِمَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَسْتَدُوا ؕ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُتَعَدِّينَ ﴾ (٨٧)
62	88	﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٨٨)
62	82	﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾
325	90	﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْهُمْ أَقْدَهُ قُلْ لَا أَشْكُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ؕ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ (٩٠)
346	92	﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾
542	105	﴿ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ ﴾
544	108	﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَلَيْهِمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٠٨)
440، 397، 317	116	﴿ وَإِنِ الظَّنُّ لَا يَتَقَي مِنَ الْخَلْقِ شَيْئًا ﴾
567، 481، 388	118	﴿ فَكُلُّوا مِمَّا ذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١١٨)
94	125	﴿ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾
429	129	﴿ وَكَذَلِكَ نُؤْتِي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا ﴾

529, 522	139	﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ ﴾
486	140	﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾
143	145	﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ ﴾
62	146	﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا ﴾
94	149	﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ﴾
460	151	﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ إِنَّهُ كَانَ قَتْلُهُمْ جُنْحًا وَإِنَّ عَيْنِي عَلَى الصِّرَاطِ مُسْتَقِيمٌ ﴿١٥١﴾ ﴾
381	159	﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِبَعًا ﴾
61	161	﴿ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾
490	165	﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ خَلْقَ الْأَرْضِ ﴾
سورة الأعراف		
151	19	﴿ وَيَقَادِمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ ﴾
519, 151	20	﴿ فَوَسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِبَدَيْهِمَا مَا يَأْمُرُهُمَا مِنْ سَوْءٍ نِهَيْمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾
422, 176, 152	23	﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾
510	27	﴿ إِنَّمَا بُرِّئَكُمْهُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾
159	33	﴿ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾
490	56	﴿ وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾
516, 511, 510, 518	-116 117	﴿ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ

		عَظِيمٌ ﴿١١٣﴾
518، 511	120	﴿وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾
328، 174	146	﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾
527، 157، 55	157	﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾
299	158	﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾
360	179	﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أذانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَأَن لَّمْ يَلْعَمُوا أَمَلٌ لَهُمْ أَمَلٌ يُفْلِتُونَ ﴿١٧٩﴾﴾
176	189	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾
359	198	﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يُنظَرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾
534، 520، 514	-201 202	﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ يُمَدِّدُ بِهِمْ فِي الْفُتَى ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾﴾
سورة التوبة		
409	05	﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾
566	29	﴿فَقِيلُوا الَّذِينَ لَا بِلَاؤِ مِثْنُوكَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُجِرُّونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾
324	32	﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَقْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾
520، 513	51	﴿قُلْ لَن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾
416	62	﴿يَخْلُقُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ﴾
299	100	﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالْأَنْصَارُ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾
562	112	﴿السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ الْمُتَدَبِّرُونَ الْمَتَدَبِّرُونَ الرَّاكِبُونَ﴾ ﴿السَّاجِدُونَ﴾
سورة الأنفال		

516, 511	24	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾
385	39	﴿وَيَكُونِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّهِ﴾
516, 511	44	﴿وَلَا تُزِيكُمُوهُمْ إِذِ اتَّقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَقَلِيلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ يَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَتْ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾
208	63	﴿وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بِتِ قُلُوبُهُمْ وَلَئِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾
312	65	﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَادِقُونَ يَقْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾
سورة يونس		
418	10	﴿دَعَوْتُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾﴾
324	17	﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾﴾
430	19	﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾
531	21	﴿مَسْتَهْمٌ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا﴾
148	32	﴿فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾
359	43	﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعَمَى وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾
152	57	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾
513	77	﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿٧٧﴾﴾
518, 517, 511	81	﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾﴾
285	98	﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ بُدِئُوا بِمَا أَسَاءُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمُ إِلَى حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾
سورة هود		
256	01	﴿الرَّكَنُ أُنْكِمَتْ أَيْنُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾

206	12	﴿ فَلَمَّا تَرَكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ ﴾
91	13	﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيْنَ ﴾
169	41	﴿ وَقَالَ أَزْكِبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَحْرُنَهَا وَرُسْنَهَا إِنْ رَّبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾
584	61	﴿ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾
124	-118 119	﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَالُونَ مَخْلَفِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾
سورة يوسف		
529, 525	40	﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾
سورة الزعد		
520, 514	11	﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾
218	19	﴿ إِنَّمَا يَنْذَرُكُمْ لَوْلَا الْأَنْبِيَاءُ ﴾
417	-23 24	﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾
379	39	﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾ ﴾
سورة إبراهيم		
198	10	﴿ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾
519, 515, 511	22	﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾
50	24	﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ﴾
125	09	﴿ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴿٩﴾ ﴾
سورة الحجر		
510, 214, 37	9	﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾

154	-72 73	﴿لَعَنَّاكَ إِنَّمَتَّ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْصُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾﴾
106	74	﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِّن سِجِّيلٍ﴾
سورة النحل		
380	02	﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾﴾
296	35	﴿فَهَلْ عَلَى الرَّسْلِ إِلَّا الْبَلَعُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾﴾
466	36	﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾
249, 247, 37, 35	44	﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾
181	61	﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكُوا عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ﴾
359, 358	78	﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾
169	89	﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾
519, 513	-99 100	﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾
564	103	﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يِقُولُونَ إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ﴾
62	118	﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا مَا فَضَّصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾
299, 62	123	﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٣﴾﴾
سورة الإسراء		
539	03	﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُمْ كَانَتْ عِبَادًا شَاكِرِينَ ﴿٣﴾﴾
199	15	﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾
384	20	﴿كَلَّا تُمَدِّدُ هَتُولَاءَ وَهَتُولَاءَ مِنْ عَطْلٍ رَّبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾
210	28	﴿وَمَا تُعْرِضْنَ عَنْهُمْ أُتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾﴾
525	32	﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزُّفَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾
358, 159	36	﴿وَلَا تَقِفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾
236	-45 46	﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾

		﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِّرْتُمْ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحَدَّهُ وَلَوْ عَلَىٰ آذَانِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ ﴿
520, 511, 315	47	﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ ﴿
533	67	﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ﴾ ﴿
124	69	﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ وَالْكَثْرَ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ ﴿
211	84	﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾ ﴿
512, 246	101	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ ﴿
131	111	﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدُّنْيَا وَكَبِيرُهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ ﴿
سورة الكهف		
466, 131	01	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾﴾ ﴿
211	28	﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ ﴿
366, 55	49	﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ ﴿
124	51	﴿وَمَا كُنْتُمْ مُّتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصَدًا ﴿٥١﴾﴾ ﴿
285	79	﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾﴾ ﴿
سورة مريم		
359	42	﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَأْتِ بِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾﴾ ﴿
292	54	﴿وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾﴾ ﴿
529	64	﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ ﴿
380	58	﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ ﴿
524	64	﴿وَمَا نُنَزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَآبِسٌ آيَاتِنَا وَمَا خَلَقْنَا وَمَا بَيِّنُكَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ ﴿
سورة طه		
447	02	﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴿٢﴾﴾ ﴿
446, 391	05	﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ ﴿

440	42	﴿ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِمَا بَيْنِي وَلَا نَبِيًّا فِي ذِكْرِي ٤٢ ﴾
479	-43 44	﴿ أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ٤٣ ﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيْسًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ٤٤ ﴾
539	-45 47	﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِن أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَخْكُمُ الْكَافِرِينَ ٥٥ ﴾
518, 512	64	﴿ فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتَتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَىٰ ٦٤ ﴾
518, 515, 510	66	﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِجَابُهُمْ وَعَصْبُهُمْ يَنْحِلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ إِنَّهَا تَسْعَىٰ ٦٦ ﴾
518, 124	67	﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةُ مُوسَىٰ ٦٧ ﴾
518, 512, 323	69	﴿ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ٦٩ ﴾
514	-69 71	﴿ وَالَّذِي مَآ فِي بَيْعِنَا نَلْقَفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ٧١ ﴾
385	82	﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ٨٢ ﴾
439	84	﴿ قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ٨٤ ﴾
440	107	﴿ لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ١٠٧ ﴾
440, 416	102	﴿ يَوْمَ يُفْعَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ١٠٢ ﴾
339	115	﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلِ فَنسَىٰ وَلَمْ يُجِدْ لَهُ عِزْمًا ١١٥ ﴾
339	120	﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَذَكَّرُ هَلْ أَذُكَّ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبَىٰ ١٢٠ ﴾
151	121	﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لهُمَا سَوْءُ تُهْمَا وَطُفِقَا يَحْصِيحَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ١٢١ ﴾
383	208	﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ ٢٠٨ ﴾
سورة الأنبياء		
396, 384, 345 568	-01 03	﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ١ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ٢ ﴾
469	25	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ٢٥ ﴾
37	45	﴿ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ ٤٥ ﴾
446, 460, 396	69	﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ٦٩ ﴾

435	-70 71	﴿وَارَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾
435, 389	98	﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ ﴿٧١﴾﴾
389	101	﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾
577	105	﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾
سورة الحج		
440, 439	01	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾
440, 411	03	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾
429, 425	07	﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾
429	-11 12	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْصُرُهُمْ وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾﴾
412, 535	14	﴿بِأَسْمِهِمْ يَنْهَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾
416	15	﴿فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُدْهِبَ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾﴾
416, 398, 392	19	﴿هَذَانِ خَصْمَانِ﴾
417	22	﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾
410	23	﴿إِنَّكَ اللَّهُ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُجَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾
416	24	﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾
415	26	﴿أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا وَطَهِّرَ بَيْتِيَ﴾
412, 396	28	﴿وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْفَقِيرِ﴾
401, 395	28	﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾
420, 412	31	﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي

		مَكَانٍ سَجِيٍّ ﴿٣٢﴾
385	33	ثُمَّ مَجَّاهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾
440	34	وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾
440	38	إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾
429, 517	39	أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَلُونَ بِإِنْفِهِمْ أَنْ يُدْفِنُوا وَلَهُنَّ أُولَاءُ اللَّهِ عَلَىٰ نَفْسِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾
445	40	الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَنَدَمْتَ صَوْمِعُ وَيَبْعُ وَصَلَوْتُ وَمَسَّجِدُ يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾
360, 332	46	أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَبْهَأَ ﴿٤٦﴾
403, 389, 293, 436, 432, 528, 535, 444	52	وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴿٥٢﴾
403	54	وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾
406	58	وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِلَىٰ اللَّهِ لَهُوَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ ﴿٥٨﴾
110	66	إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾
61	-77 78	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ كَعُوا وَأَسْجَدُوا وَعَبَدُوا رَبَّكُمْ وَأَقْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾
سورة المؤمنون		
129	01	قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾
561	09	وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾
539	27	فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾
582	11	الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾
237	36	هِيَئَاتَ هِيَئَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾

434	51	﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾
417	97	﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿١٧﴾﴾
129	117	﴿إِنَّهُ لَا يَفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾
سورة النور		
529، 527، 436	02	﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴿٥٢٩﴾﴾
523	10-2	﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَشَهِدَ عَدَاهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾
325	-11 12	﴿لَا تَحْسِبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾
518، 512	19	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾
241	21	﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾
386	22	﴿وَلَا يَأْكُلُ أُولَؤُلَافُ الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾
432	26	﴿الْخَيْبَتِ لِلْخَيْبَتِينَ وَالْخَيْبَتِ لِلْخَيْبَتِ وَالطَّيِّبَتِ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾
123	-27 31	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾
398	31	﴿أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾
545	34	﴿وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾
382	52	﴿يَوْمَ يُدْعِيهِمُ اللَّهُ وَيَقُولُ لَهُمْ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾﴾
سورة الفرقان		
526	32	﴿وَلَا يَرْثُونَ ءَمَنَ يَعْمَلُ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾
44	33	﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ قَبْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾
سورة الشعراء		
314	04	﴿إِنْ شَأْنُ نَزْلِ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾﴾

562	-23 24	﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ
513	-32 35	﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ (٢٢) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِ ﴾ (٢٣) قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤﴾
518, 511	44	﴿ فَالْقَوْمَ جَاهِلْتُمْ وَعَصَيْتُمْ وَقَالُوا بِعِرْفُو فِرْعَوْنِ إِنَّا لَنَحْنُ الْعَالِيُونَ ﴾ (٤٤)
290	-192 195	﴿ وَلَقَدْ نَزَّلَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿٢٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٢٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿٢٥﴾
513	-221 223	﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن نَّزَّلُ الشَّيْطَانُ ﴾ (٣٣) نَزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٣٣﴾
263	-225 227	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴾ (٣٥)
سورة التمل		
169	-29 30	﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا إِنِّي أَتِيكَ كَذِبٌ كَرِيمٌ ﴾ (١٦)
245	87	﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ۖ
سورة القصص		
477	04	﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يَتَّبِعُ أَبْنَاءَ هُمْ وَيَسْتَخِيءُ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (٤)
245	29	﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا ۖ
317, 110	38	﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرِي ۖ
147	88	﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۖ
سورة العنكبوت		
437, 436	03	﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۖ
545	41	﴿ مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنَكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ
361	43	﴿ وَمَا يَقُولُهَا إِلَّا الْقَوْلُ ۖ
566	46	﴿ وَلَا تَجْعِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالْبَإْتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ۖ
316	51	﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ
469	56	﴿ يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ ﴾ (٥٦)
سورة الروم		

435	02	﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ ٢ ﴾
161	03	﴿ فِي آدْنَى الْأَرْضِ ﴾
123	22	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَافُ السِّنِّكُمْ وَالْوَنُكْمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ٢٢ ﴾
183	41	﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ﴾
سورة لقمان		
245، 61	13	﴿ إِنَّكَ الشَّرَكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾
314	31	﴿ مُبِينٍ إِلَيْهِ وَاقْفُوهُ وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ٣١ ﴾
564، 62	34	﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُرْسِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ٣٤ ﴾
سورة السجدة		
445	17	﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ١٧ ﴾
443	110	﴿ وَقَالُوا آءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ حَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَفِرُونَ ١٠ ﴾
سورة الأحزاب		
124	10	﴿ وَظَنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾
300، 299	21	﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِكْرًا ﴾
515، 510، 126	26	﴿ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾
524	30	﴿ يَنْسَاءَ النَّبِيُّ مَن بَاتَ مِنْكُمْ يَفْحِشُوهُ مُبِينًا يُضَعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ٣٠ ﴾
563	35	﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ ﴾
317، 292	40	﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ٤٠ ﴾
124	66	﴿ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴾
سورة سبأ		
379	03	﴿ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي

		كِتَابُ مُبِينٍ ﴿٣﴾
184	13	﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾
سورة فاطر		
558	14	﴿وَلَا يَبْتَئِكَ مِثْلُ خَيْرٍ ﴿١٤﴾﴾
320	43	﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾
181	45	﴿وَلَوْ يَأْخُذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ﴾
سورة يس		
181	12	﴿فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴿١٢﴾﴾
245	38	﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾
539	57	﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾﴾
121، 122	76	﴿فَلَا يَحْزَنكَ قَوْلُهُمْ﴾
سورة الصافات		
91	22	﴿أَخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾
50	64	﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾﴾
566	102	﴿إِنِّي أَرَى فِي السَّمَاءِ آتٍ أَذْبَحُكَ فَأَنْظِرْ مَاذَا تَرَى﴾ قَالَ يَتَابِعُ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ﴾
سورة ص		
346	29	﴿كَتَبْنَا أَرْزَاقَهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّدَّبَرُوا أَيْتِنَاهُ وَلَسْتَ دَكَّرَ أُولَ الْأَنْبِيَاءِ ﴿٣٩﴾﴾
516، 511	-36 37	﴿مَسَحَرْنَا لَهُ أَرْبَعَ نَجْوَى بِأَمْرِهِ رُفَعَاءَ حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣١﴾ وَالشَّيْطَانُ كُلُّ بَنَاءٍ وَعَوَاصٍ ﴿٣٧﴾﴾
522	41	﴿مَسْنَى الشَّيْطَانِ﴾
151	47	﴿وَأَنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾﴾
151	48	﴿وَأَذْكُرْ اسْمَ عَلِيلٍ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾
سورة الزمر		
310	28	﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾
61	65	﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَكَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٥٥﴾﴾
418	74	﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾

سورة غافر		
122	06	﴿أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٦﴾﴾
122	07	﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ﴾
سورة فصلت		
366	42	﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾
338	53	﴿سَتَرْنَاهُمْ عَنِ تَأَنِّي فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾
سورة الشورى		
566	13	﴿أَن أَقِيمُوا الَّذِينَ وَلَا تَنْفَرُوا فِيهِ﴾
394، 209، 94	11	﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾
527	21	﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ سَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾
147	29	﴿وَمَا بَكَ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾
سورة الزخرف		
325	31	﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾
415	36	﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾
418	84	﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾
سورة الدخان		
285	3	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَرَّكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾﴾
سورة الجاثية		
147	04	﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾
سورة الأحقاف		
355	15	﴿وَحَمَلُهُ وَفَصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾
سورة الفتح		
397	12	﴿بَلْ طَنَنْتُمْ أَنْ لَّنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ﴾
سورة الحجرات		
528، 524	09	﴿وَلِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتُلُوا فَاصِلَهُمَا بَيْنَهُمَا﴾
463، 124	13	﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾

155	-72 73	﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (٧٢) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾
سورة ق		
249	10	﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَدٍ﴾
سورة الدّاريات		
106	33	﴿لَنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَابَ مِّنْ طِينٍ﴾ (٣٣)
515	-52 53	﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَلْهُمُ أَوْ جَهَنُّمُ﴾ (٥٢) أَتَوَاصَوْا بِهِمْ﴾
437، 236، 83	56	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِعِبَادُونَ﴾ (٥٦)
سورة النّجم		
319، 306	-03 04	﴿وَمَا يَطِّقُ مِنَ الْمَوْتِ﴾ (٢) إِنَّهُ هُوَ إِلَّا وَحْيُ يُوحَىٰ﴾ (٤)
285	05	﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ (٥)
524	37	﴿وَابْتَهِمَ الَّذِي وَفَىٰ﴾ (٣٧)
سورة القمر		
389	-01 06	﴿أَفَتَرَبَّ السَّاعَةِ وَأَنشَقَّ الْقَمَرُ﴾ (١) وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعَرِّضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾
187	11	﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَا هُمْ مُنْهَمِرُونَ﴾ (١١)
362	22	﴿فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ﴾
533	48	﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾
125	54	﴿إِنَّ النَّافِثِينَ فِي جَنَّتِ وَنَهَرٍ﴾ (٥٤)
سورة الرّحمان		
55	36	﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ (١٠)
سورة الواقعة		
91	07	﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ (٧)
248	23	﴿كَأَمْثَلِ اللَّوْلِ الْمَكُونِ﴾ (٣٢)
352، 150	79	﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (٧٩)
سورة المجادلة		
405، 394	08	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ هُوَا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا هُتُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَنِ﴾

..... ﴿		
سورة الحشر		
50	05	﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ أَوْ نَرَكْتُمْ هَا فَاقِمْ عَلَىٰ أَصُولِهَا فَإِذِןَ اللَّهُ وَلِيٌّ خَرِيٌّ الْفَاسِقِينَ ٥ ﴾
314	07	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ فَاتَّقِ اللَّهَ مَا ظَهَرَ لَكَ مِنْهُ وَالْغُيُوبَ إِنَّكَ كَافٍ بِشَيْءٍ
322	13	﴿ لَآتِيَنَّ أَشْدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ١٣ ﴾
330, 209	14	﴿ بِأَسْمِهِمْ يُنْهَضُونَ سَدِيدٌ يُخَسِّبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَقِيَّةٌ
سورة الممتحنة		
300, 61	04	﴿ فَذَكَرْتَ لَكُم مَّوْعِدَهُ حَسَنَةً فِي إِبْرَاهِيمَ
سورة الصف		
328, 324	14	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَصْحَابَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَصْحَابِي إِلَى اللَّهِ ﴿
سورة التغابن		
296	12	﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ١٢ ﴾
سورة الطلاق		
306	01	﴿ لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِيَنَّ بِفَحْشَةٍ مُّبِينَةٍ
158	29	﴿ لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِيَنَّ بِفَحْشَةٍ مُّبِينَةٍ
سورة القلم		
529, 524	-36 37	﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ٣٧ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ٣٧ ﴾
سورة الحاقة		
361	12	﴿ لَنَجْجِلَهَا لَكُمْ نَذِيرَةً وَنَعْبَأُ أُذُنًا وَغِيَّةً ١٢ ﴾
396	20	﴿ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكٌ حَسْبِيَّةٌ ٢٠ ﴾
529	-36 38	﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ٣٦ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ٣٧ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ٣٨ ﴾
319	-44 46	﴿ وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَابِلِ ٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ٤٦ ﴾
سورة المعارج		
624	-22	﴿ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ٢٢ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ٢٣ ﴿

	34	
سورة نوح		
538	-05 09	﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ ﴾
سورة الجن		
511	-01 02	﴿ قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ ﴾
518	13	﴿ وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْمَدْيَةَ ءَامَنَّا بِهٖ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهٖ فَلَا يَخَافُ بَحْصَآ وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ ﴾
519	-26 28	﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهَرُ عَلَى غَيْبِهٖ أَحَدًا ﴿١٦﴾ ﴾
سورة المدثر		
125	54	﴿ كَلَّا إِنَّهٗ تَذَكُّرٌ ﴿٥٤﴾ ﴾
سورة القيامة		
109, 87	19	﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهٗ ﴿١١﴾ ﴾
سورة الإنسان		
125	-15 16	﴿ قَوَارِيرًا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾
سورة عبس		
379	-14 19	﴿ مَرْفُوعَةً مُّطَهَّرَةً ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾
سورة التازعات		
318, 110	24	﴿ أَنَا رَجُومُ الْأَعْلَى ﴾
110	25	﴿ فَآخِذْهُمُ اللَّهُ تَكَالُ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ﴿٢٥﴾ ﴾
سورة التكويد		
91	07	﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ ﴾
106	24	﴿ يَضَيْنِ ﴿١٤﴾ ﴾
سورة الانفطار		
106	-17 19	﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾ ﴾
سورة المطففين		
345	14	﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾
سورة الانشقاق		

246	-07 08	﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَ كُنْبُهُ، بِبَيْعِيْنِهِ ۖ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝ ﴿٨﴾ ﴾
361	23	﴿ لَنَجْعَلَنَّهَا لَكَ تَذَكُّرًا ۖ وَتَعْيَبَهَا أُذُنٌ وَعِيَةٌ ۝ ﴿١٢﴾ ﴾
سورة البروج		
154	-01 04	﴿ وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الْبُرُوجِ ۝ ﴿١﴾ وَالْيَوْمَ الْمَوْعُودِ ۝ ﴿٢﴾ ﴾
110	03	﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝ ﴿٢﴾ ﴾
580	22	﴿ فِي لَوْجٍ مَّخْفُوظٍ ۝ ﴿٢٢﴾ ﴾
سورة الأعلى		
125	01	﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝ ﴿١﴾ ﴾
سورة الغاشية		
55	14	﴿ وَأَكْوَابُ مَوْضُوعَةٌ ۝ ﴿١٥﴾ ﴾
سورة الفجر		
124	04	﴿ وَاللَّيْلُ إِذَا يَسَّرَ ۝ ﴿٤﴾ ﴾
سورة البلد		
154	-01 04	﴿ لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝ ﴿١﴾ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝ ﴿٢﴾ وَالْوَالِدَيْنِ وَمَا وَلَدَ ۝ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ۝ ﴿٤﴾ ﴾
سورة الشمس		
241	09	﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝ ﴿١﴾ ﴾
سورة الضحى		
126	-01 02	﴿ وَالضُّحَى ۝ ﴿١﴾ وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى ۝ ﴿٢﴾ ﴾
سورة الشرح		
56	02	﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ ۝ ﴿٢﴾ ﴾
سورة العلق		
357، 169، 125 560	01	﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ ﴿١﴾ ﴾
355	02	﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ﴿٢﴾ ﴾
560، 356	-04 05	﴿ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ ﴿٤﴾ ﴾
سورة البينة		

524, 382, 211	05	﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾
سورة العاديات		
110	06	﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿١﴾﴾
سورة القارعة		
106, 105	-01 05	﴿الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾﴾
سورة الهمزة		
91	-04 09	﴿كَلَّا لَيُبَدِّلَنَ فِي الْخُطْمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْخُطْمَةُ ﴿٥﴾﴾
سورة الكوثر		
324	03	﴿إِنِّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٢﴾﴾
سورة النصر		
96	-01 03	﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾﴾
سورة الإخلاص		
295	01	﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾
سورة الفلق		
519, 511	04	﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾
سورة الناس		
519, 511	05	﴿الَّذِي يُوسِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾﴾

ثانياً: فهرس الأحاديث

الصفحة	طرف الحديث
178	أَنْبِيَاءُ كَانَ آدَمُ
447	إِنَّ بِالْمَدِينَةِ جَنًّا قَدْ أَسْلَمُوا، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهُمْ شَيْئاً فَأَذْنُوهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ...
385	إِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إِلَى شَيْءٍ تَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ ذِرَاعاً، وَإِذَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعاً تَقَرَّبَتْ مِنْهُ بَاعاً
96	إِذَا حَدَّثَكُمْ أَهْلَ الْكِتَابِ، فَلَا تَصَدِّقُوهُمْ، وَلَا تَكْذِّبُوهُمْ
455	إِذَا قَرَأْتُمْ ﴿الْحَمْدُ﴾ ﴿اقرؤوا﴾ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿﴾،
337	إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ
306	أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ
200	التَّارِكُ لِدِينِهِ الْمَفَارِقَ لِلْجَمَاعَةِ
133	الْحَوَامِيمُ دِيْبَاجُ الْقُرْآنِ
314	أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ
305	أَنْ لَا نَفَقَةَ وَلَا سَكَنَ
426	إِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ
430	إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ بِمَجْرَى الدَّمِّ
385	إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَّ ذَلِكَ، فَمَنْ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا
431	إِنَّ اللَّهَ أَطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ
392	إِنَّ اللَّهَ لَمَّا قَضَى الْخَلْقَ كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي
270	إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا
243	أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ وَجَّهٌ مَعَهُ حَيْثُ كَانَ
250	إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
211	إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى
245 - 63	إِنَّهُ لَيْسَ الَّذِي تَعْنُونَ، أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ: ﴿إِنَّكَ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾
431	إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ لَدَيَّ
445	إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ
455	أُمُّ الْقُرْآنِ: هِيَ أُمُّ الْقُرْآنِ، وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَهِيَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ
306	أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنْكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ
465	الْإِيمَانُ بَضْعٌ وَسَعُونَ أَوْ بَضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً ... الْحَدِيثُ
433	أَلَا وَإِنَّ الْغَضَبَ جَهْرَةٌ
433	التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ
245	أَيُّ الْأَجْلَيْنِ قَضَى
84	تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ

224	خذوا القرآن من أربعة
35	حدثنا الذين كانوا يقرءوننا القرآن، كعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود
455 - 432	الحمد لله رب العالمين، هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته
248	صفاؤهن كصفاء الدر الذي في الأصداف الذي لا تمسه الأيدي
361	فليبلغ الشاهد الغائب، فرب مبلغ أوعى من سامع
455	قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبي ما سأل، فإذا قال عبدي الحمد لله
247	قيل لبني إسرائيل: ﴿وَادْخُلُوا أَبْوََابَ سُبْحَدَا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ فبدلوا
400	كان النبي ﷺ إذا حزبه شيء صلى
320	لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه، وحدثوا عني ولا حرج
427	لا، حتى يذوق غسيلتها كما ذاق الأول
63	مفاتيح الغيب خمس:...
144	من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ
109	من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار
432	من دخل الكعبة فهو آمن
205	نضر الله عبداً سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها
179	هلك المنتطعون
473	وفضل العالم على العابد، كفضل القمر على سائر الكواكب
387	ولست بنافق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرك الله بها حتى اللقمة تجعلها في في امرأتك
315	يوشك أن يقعد الرجل مئكماً على أريكته، يحدث بحديث من حديثي
198	يولد ابن آدم على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه
246	لا تشركوا بالله شيئاً
249	بسوق النخلة
293	كم عدد الأنبياء
297	الدين النصيحة
315	سحر رسول الله رجل
317	لا نبي بعدي
431	لا يحرم من الرضاع
386	لا يزني الزاني
386	من حلف على عين
397	لما أسكن الله آدم
433	ما تظنون أني فاعل بكم
434	الناس عيال الله
435	ليأتين على الناس زمان

ثالثاً: فهرس الآثار

الصفحة	طرف الأثر
80	إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب
97	ما أعلم منها إلا ما تقول
322	وما كان أحد أحب إلي من رسول الله ﷺ،
322	أتيت رسول الله ﷺ فإذا أصحابه عنده كأن على رؤوسهم الطير
322	كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه،
450	وحين نزلت هذه الآية قال عبد الله بن الزعري "أنا أحصم لكم محمداً،
460	كما حدث مع أبي هريرة ؓ في مخاطبة الحبي الذي كان يسرق من مال الصدقة
431	كان يعرض على النبي ﷺ القرآن كل عام مرة، فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه
568	كان فيما أنزل من القرآن: (عشر رضعات معلومات يحرم)،

رابعاً: فهرس الأعلام والشخصيات

الصفحة	العلم والشخصية
217	أبو الحسين البصريّ
161	أبو الخطّاب محفوظ بن أحمد بن الحسن الكلوزانيّ البغداديّ
26	أبو الكمال عبد الغنيّ عبد الخالق
103	أبو بكر محمّد بن عبدوس بن أحمد التّيسابوريّ
428	أبو عليّ الفضل بن الحسن الطّبرسيّ
327	آجناس جولد تسيهر
207	أحمد بن أبي داود بن جرير بن مالك الإيادي القاضي
187	إسماعيل أحمد أدهم
26	أحمد الزّهاويّ
27	جاسر عودة
412	جلال الدّين محمّد بن أحمد المحلّي الشّافعيّ
417	حافظ بن أحمد بن عليّ الحكميّ
225	الحاكم أبو سعد بن محمّد بن كرامة الجشميّ البيهقيّ الزّيديّ المعتزليّ
27	رقية طه جابر العلوانيّ
27	زينب طه جابر العلوانيّ
20	الشّريف عبد الإله بن علي الهاشميّ
120	صبحي إبراهيم الصّالح
29	عبد الحميد أحمد أبو سليمان
118	عبد الحميد بن عبد الكريم الأنصاريّ الفراهيّ الهنديّ
20	عبد الرّحمن عارف
26	عبد العزيز بن سالم السّامرائيّ
19	عبد الكريم قاسم
281	عبيد بن الحسن بن الحصين بن مالك بن تميم التّميميّ العنبريّ
219	عضد الدّين عبد الرّحمن الإيجيّ الأشعريّ الشّافعيّ
202	فيصل بن الحسين بن علي (1885 - 1933 م)
202	محمّد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي التّلمسانيّ الحسنيّ
472	نودلكي
472	بلاشير
185	هرتويج هرشفيلد

خامساً: فهرس الأحداث

الصفحة	طرف الآية
18	نزول القوات البريطانية في ولاية البصرة في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) 1914
18	مؤتمر عقده المجلس الأعلى للحلفاء في سان ريمو الإيطالية من 19 إلى 26 أبريل 1920م

سادساً: فهرس الأماكن

الصفحة	طرف الآية
35	الأهوار

سابعاً: قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم، مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي برواية حفص عن عاصم.

فهرس المصادر والمراجع:

📖 الكتب العلمية:

1. أبو الأعلى بن أحمد المودودي، موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه وواقع المسلمين وسبيل التهوض بهم، ترجمة: محمد كاظم سباق، (ط02، دار الفكر الحديث، بيروت، لبنان، 1386هـ - 1967م).
2. أبو القاسم الخوئي، مصباح الأصول، (د.ط، مركز نشر الكتاب، طهران، إيران، 1377هـ، د.س.ط).
3. أبو حنيفة النعمان بن ثابت، الفقه الأكبر، (ط03، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، 1399هـ - 1979م).
4. أبوبكر بن أحمد ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، تحقيق: عبد العليم خان، (ط01، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، 1398هـ - 1978م).
5. أبوبكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام علي الكبير، (ط03، راسم للدعاية والإعلان، جدة، المملكة العربية السعودية، 1410هـ - 1990م).
6. أجانس جولد تسهير، العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة وتعليق: محمد يوسف موسى وغيره، ترجمة: محمد يوسف موسى وغيره، (ط01، دار الكتاب المصري، القاهرة، مصر، 1949م).
7. أحمد ابن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، (ط03، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1430هـ - 2010م).
8. أحمد الحجي الكردي، القواعد الفقهية الكلية، (ط01، مركز الآسحون للتأصيل الشرعي ودار الطاهرية، الكويت، 1438هـ - 2017م).
9. أحمد الريسوني، مقاصد المقاصد، (ط01، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، 1433هـ - 2013م).
10. أحمد السيد الكومي ومحمد أحمد يوسف القاسم، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، (ط01، ددط، القاهرة، مصر، 1402هـ - 1982م).
11. أحمد أوزي، تحليل المضمون ومنهجية البحث، (د.ط، الشركة المغربية للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، 1993م).
12. أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، البرهان في تناسب سور القرآن، تقديم وتحقيق: سعيد بن جمعة الفلاح، (ط01، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1428هـ).
13. أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، البرهان في تناسب سور القرآن، تحقيق: سعيد بن جمعة الفلاح، (ط01، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1428هـ).
14. أحمد بن إدريس القرافي، الذخيرة، تحقيق: محمد حجي، (د.ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، د.س.ط).
15. أحمد بن إدريس القرافي، نفائس الأصول في شرح المحصول، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض، (ط01، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 1416هـ - 1995م).

16. أحمد بن إسماعيل الكوراني، الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: سعيد بن غالب كامل المجيدي، (د.ط، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية، 1429هـ - 2008م).
17. أحمد بن الحسين البيهقي، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، (ط01، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1401هـ - 1981م).
18. أحمد بن الحسين البيهقي، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (ط03، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003هـ - 1424م).
19. أحمد بن الحسين البيهقي، شعب الإيمان، (ط01، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1421هـ - 2000م).
20. أحمد بن محمد معبوط، الخلاف في الأدلة المتعلقة بمباحث السنة، (ط01، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1428هـ - 2007م).
21. أحمد بن حجر آل بوطامي، الإسلام والرسول في نظر منصف الشرق والغرب، (ط03، مطابع قطر الوطنية، الدوحة، قطر، 1398هـ).
22. أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، الاستقامة، تحقيق: محمد رشاد سالم، (ط01، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، السعودية، 1403هـ - 1984م).
23. أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، العبودية، تحقيق محمد زهير الشاويش، (ط07، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1426هـ - 2005م).
24. أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، الفرقان بين الحق والباطل، تحقيق: حمد بن أحمد العصلاي، (دون معلومات الطبع).
25. أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، (د.ط، مكتبة البيان، دمشق، سوريا، د.س.ط).
26. أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، درء تعارض العقل مع النقل، تحقيق: محمد رشاد سالم، (ط02، إدارة الثقافة والنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، 1412هـ - 1991م).
27. أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، رسالة في علوم القرآن، تحقيق: علي بن أحمد الكندي المر، (ط01، مؤسسة بينونة للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 1429هـ - 2008م).
28. أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد، (د.ط، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 1425هـ - 2004م).
29. أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، تحقيق: عدنان زرزور، (ط02، دار القرآن الكريم، الكويت، 1392هـ - 1972م).
30. أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، تحقيق: محمد رشيد سالم، (ط01، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، 1406هـ - 1986م).
31. أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، النبوات، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، (ط02، مكتبة أضواء السلف، الرياض، السعودية، 1420هـ - 2000م).

32. أحمد بن عبد الله أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (د.ط، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1416هـ - 1996م).
33. أحمد بن عمر بن محمد بن أبي الرضا الحموي، القواعد والإشارات في أصول القراءات، تحقيق: عبد الكريم بن حسن بكّار، (ط01، دار القلم للطباعة والنشر، دمشق سوريا، 1406 هـ - 1986م).
34. أحمد بن علي ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، إعداد: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، (د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.س.ط).
35. أحمد بن علي ابن حجر، تقريب التهذيب، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، (ط01، دار العاصمة للنشر والتوزيع، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1431هـ - 2010م).
36. أحمد بن علي ابن حجر، تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، تحقيق: محمد بن عباس بن قطب، (ط01، مؤسسة قرطبة طباعة نشر توزيع، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 1416هـ - 1995م).
37. أحمد بن علي ابن حجر، الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف، (د.ط، دار عالم المعرفة، بيروت، لبنان، د.س.ط).
38. أحمد بن علي ابن حجر، بلوغ المرام من أدلة الأحكام، تحقيق: عصام موسى هادي، (ط01، دار الصديق، الجليل، المملكة العربية السعودية، 1423هـ - 2002م).
39. أحمد بن علي ابن حجر، تهذيب التهذيب، تحقيق: إبراهيم الزبيق وعادل مرشد، (ط01، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، 1435هـ - 2014م).
40. أحمد بن علي ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1379هـ - 1959م).
41. أحمد بن علي ابن حجر، لسان الميزان، (ط03، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، 1406هـ - 1986م).
42. أحمد بن علي ابن حجر، موافقة الخبر الخبر في تخريج أحاديث المختصر، تحقيق: حمدي عبد المجيد وصبحي السيد جاسم السامرائي، (ط03، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1419هـ - 1998م).
43. أحمد بن علي الجصاص، أحكام القرآن، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، (د.ط، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، 1412هـ - 1996م).
44. أحمد بن علي الجصاص، الفصول في الأصول، تحقيق: عجيل جاسم النجمي، (ط02، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة الكويت، 1414هـ - 1994م).
45. أحمد بن علي الخطيب البغدادي، الفقيه والمتفقه، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، (ط01، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1417هـ - 1996م).
46. أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (ط02، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2004هـ - 1425م).
47. أحمد بن علي الخطيب، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق: محمود الطحان، (د.ط، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1403هـ - 1983م).

48. أحمد بن علي السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، (ط01، شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1423 هـ - 2003 م).
49. أحمد بن علي الفيومي المقرئ، المصباح المنير، (ط01، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1987 م).
50. أحمد بن علي النسائي، السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلي وغيره، (ط01، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1421 هـ - 2001 م).
51. أحمد بن علي بن برهان البغدادى، الوصول إلى الأصول، تحقيق: عبد الحميد علي أبو زنيد، (د.ط، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1983 م).
52. أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، (ط01، دار الجبل للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1411 هـ - 1991 م).
53. أحمد بن محمد ابن الأعرابي، المعجم، تحقيق: عبد المحسن بن إبراهيم بن أحمد الحسيني، (ط01، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1418 هـ - 1997 م).
54. أحمد بن محمد ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، (د.ط، دار صادر، بيروت، لبنان، 1398 هـ - 1978 م).
55. أحمد بن محمد الخلال، السنة، تحقيق: عطية الزهراني، (ط01، دار الزايدة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1410 هـ - 1989 م).
56. أحمد بن محمد اللّهيبي، تجديد الدين لدى الاتجاه العقلاني الإسلامي المعاصر، (ط01، مكتبة البيان، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1432 هـ).
57. أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (ط01، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، مصر، 1374 هـ - 1955 م).
58. أحمد بن محمد النّحاس، معاني القرآن الكريم، تحقيق: محمد علي الصّابوني، (ط01، مركز إحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 1410 هـ - 1989 م).
59. أحمد بن محمد بن حنبل، المسند، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وغيره، (ط01، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1416 هـ - 1995 م).
60. أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، شرح مشكل الآثار، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، (ط03، شركة الرسالة العالمية، دمشق، الجمهورية العربية السورية، 1431 هـ - 2010 م).
61. أحمد بن يحيى ابن المرتضى، المنية والأمل في شرح الملل والنحل، (د.ط، مطبعة دار المعارف النظامية، حيدر آباد، الهند، 1316 هـ).
62. أحمد بن يوسف السّمين الحلبي، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ "معجم لغوي لألفاظ القرآن الكريم"، تحقيق: محمد التونجي، (ط01، عالم الكتب للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1414 هـ - 1993 م).
63. أحمد جمال أبوسيف، دراسة تحليلية نقدية لكتاب إشكالية التعامل مع السنة النبوية لطله جابر العلواني، (ط01، مركز الإمام الألباني للدراسات والأبحاث، عمان، الأردن، 1439 هـ - 2018 م).

64. أحمد سعيد محمد، التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، (ط02، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، د.س.ط).
65. أحمد صبحي منصور، القرآن وكفى مصدراً للتشريع الإسلامي، (ط01، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، 2005م).
66. أحمد فهمي، العرف والعادة في رأي الفقهاء، (د.ط، مطبعة الأزهر، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 1947م).
67. أحمد محمد شاكر، عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير، (دون معلومات الطبعة).
68. أحمد مختار عمر، المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته، (ط01، مؤسسة سطور المعرفة، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1423هـ - 2002م).
69. أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، (ط01، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، القاهرة، مصر، 1365هـ - 1946م).
70. أسعد رزوق، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، (ط04، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1412هـ - 1992م).
71. الآخوند الخراساني، كفاية الأصول، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، (ط01، مطبعة مهر، قم، إيران، 1409هـ).
72. الأزهر الزناد، نسيج النص، (ط01، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1993م).
73. إبراهيم الحمصي، المدخل إلى التفسير الموضوعي، (ط04، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1443هـ).
74. إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، (ط04، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، جمهورية مصر لربية، 1425هـ - 2004م).
75. إبراهيم بن السري الزجاج، معاني القرآن وإعرايه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلي، (ط01، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1408هـ - 1988م).
76. إبراهيم بن علي ابن فرحون المالكي، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق: علي عمر، (ط01، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 1423هـ - 2003م).
77. إبراهيم بن علي الشيرازي، اللع في أصول الفقه، تحقيق: محي الدين ديب مستو ويوسف علي بدوي، (ط01، دار الكلم الطيب، دمشق، سوريا، ودار ابن كثير، بيروت، لبنان، 1416هـ - 1995م).
78. إبراهيم بن عمر البقاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، قدّم له وحققه وعلّق عليه وخرّج أحاديثه: عبد السميع محمد أحمد حسنين، (ط01، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1408هـ - 1987م).
79. إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (د.ط، دار الكتاب، القاهرة، مصر، د.س.ط).
80. إبراهيم بن موسى الشاطبي، الموافقات، تحقيق: مشهور حسن آل سلمان، (ط01، دار ابن عقّان للنشر والتوزيع، العقريّة، المملكة العربية السعودية، 1417هـ - 1997م).

81. إبراهيم خليل أحمد وجعفر عباس حميدي، تاريخ العراق المعاصر، (د.ط، كلية التربية، جامعة الموصل، العراق، د.س.ط).
82. إبراهيم مذكور، في الفلسفة الإسلامية، (ط01، دار إحياء الكتب العربية، حلب، سوريا، 1364هـ - 1947م).
83. إسحاق النقاش، شيعة العراق، ترجمة: عبد الإله النعمي، (ط01، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، سوريا، 1996).
84. إسماعيل أحمد أدهم، من مصادر التاريخ الإسلامي، (ط01، مكتبة صلاح الدين الكبرى، الإسكندرية، مصر، د.س.ط).
85. إسماعيل أحمد باغي، تاريخ العالم العربي المعاصر، (دط، مكتبة العبيكة، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2000م).
86. إسماعيل الحسيني، مقاصد الشريعة والاجتهاد في المغرب الحديث، (د.ط، الرابطة المحمدية للأبحاث، الرباط، المغرب، 2010م).
87. إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، (د.ط، وكالة المعارف الجلييلة، استانبول، تركيا، 1955م).
88. إسماعيل بن القاسم أبو العتاهية، ديوان أبي العاهية، (د.ط، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1406هـ - 1986م).
89. إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: محمد محمد تامر وغيره، (ط01، دار الحديث طبع نشر توزيع، القاهرة، مصر، 1430هـ - 2009م).
90. إسماعيل بن عمر ابن كثير، البداية والنهاية في التاريخ، تحقيق: محي الدين ديب مستو، (طبعة خاصة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1436هـ - 2015م).
91. إسماعيل بن عمر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: مصطفى السيد محمد وغيره، (ط01، مؤسسة قرطبة للطبع والنشر والتوزيع، الجيزة، مصر، 1421هـ - 2000م).
92. إسماعيل بن محمد الأصبهاني، الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، (ط02، دار الزايرة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، 1419هـ - 1999م).
93. إسماعيل بن محمد العجلوني، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، تحقيق: يوسف بن محمود الحاج أحمد، (د.ط، مكتبة العلم الحديث، د.ب.ط، د.س.ط).
94. آل تيمية، المسودة في أصول الفقه، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (د.ط، مطبعة المدني، القاهرة، مصر، د.س.ط).
95. أحمد بن محمد لفارابي، إحصاء العلوم، تحقيق: عثمان أمين، (ط03، المكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 1968م).
96. إيناس سعدي عبد الله، تاريخ بغداد الحديث 1258 - 1918م، (ط01، عدنان للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، الجمهورية العراقية، 2014م).

97. أيوب بن موسى الكفوي، الكليات: معجم المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، (ط2)، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1413هـ - 1993م).
98. بسطامي محمد سعيد، مفهوم تجديد الدين، (ط01)، دار الدعوة، الكويت، دولة الكويت، 1404هـ - 1984م).
99. بلقاسم سلاطينة وحسان الجليلي، منهجية العلوم الاجتماعية، (د.ط)، دار الهدى للنشر، الجزائر العاصمة، الجزائر، (2004م).
100. تركي الحمد، السياسة بين الحلال والحرام: أنتم أعلم بأمور دنياكم، (ط02)، دار الساقى، بيروت، لبنان، (2001م).
101. تمام حسان، البيان في روائع القرآن، (ط02)، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1420هـ - 2000م).
102. توفيق علوان، فيض الرحمن في التفسير الموضوعي للقرآن، (ط02)، مكتبة الرشد-ناشرون، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1427هـ - 2006م).
103. تيسير يونس جبار وسعيد عبد الله البشاوي، أعلام من فلسطين، (ط01)، دار الشيماء للنشر والتوزيع، رام الله، فلسطين، 1431هـ - 2010م).
104. جعفر بن الحسن، معارج الأصول، (د.ط)، مطبعة سيد الشهداء، قم، إيران، 1403هـ).
105. جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية، خصائص السور، (ط01)، دار التقريب بين المذاهب، بيروت، لبنان، 1420هـ - 2000م).
106. جمال البناء، السنة ودورها في الفقه الجديد، (د.ط)، دار الفكر الإسلامي، القاهرة، مصر، د.س.ط).
107. جمال بن محمد هاجر، القرآنيون العرب وموقفهم من التفسير، (ط01)، دار التفسير، جدة، السعودية، 1436هـ - 2015م).
108. الحارث بن سعيد أبو فراس الحمداني، ديوان أبي فراس الحمداني، شرح: خليل الدويهي، (ط02)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1414هـ - 1994م).
109. حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: الحبيب بن الخوجة، (ط03)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986م).
110. حافظ بن أحمد الحكمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، (ط03)، دار ابن القيم للنشر والتوزيع، الدمام، المملكة العربية السعودية، 1415هـ - 1995م).
111. الحاكم الجشمي، عيون المسائل في الأصول، تحقيق ودراسة: رمضان يلدرم، (ط01)، دار الإحسان للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د.س.ط).
112. الحسن بن محمد القمي النيسابوري، غرائب القرآن و رغائب الفرقان، تحقيق: زكريا عميرات، (ط01)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1416هـ - 1996م).
113. حسن حنفي، ظاهريات التأويل محاولة في تفسير وجودي للعهد الجديد، (ط01)، مكتبة التأفذة، الجيزة، مصر، (2006م).

114. حسن خليل غريب، **البعد الإيماني والفكر القومي العربي**، (ط01، دار الطليعة، لبنان، 2005م).
115. الحسين بن الحسن أبو عبد الله الحليمي، **المنهاج في شعب الإيمان**، تحقيق: حلمي حمد فودة، (ط01، دار الفكر، د.ب.ط، 1399هـ - 1979م).
116. الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، **الذريعة إلى مكارم الشريعة**، تحقيق: أبو اليزيد العجمي، (ط01، دار الصحوة، القاهرة، ودار الوفاء، المصورة، مصر، 1405هـ - 1985م).
117. الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: محمد سيد كيلاني (دط، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان).
118. الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، **تفسير الراغب الأصفهاني**، دراسة وتحقيق: عادل بن علي الشدي، (ط01، مدار الوطن للنشر، الرياض، السعودية، 1424هـ - 2003م).
119. الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، **مقدمة جامع التفاسير**، تحقيق: أحمد حسن فرحات، (ط01، دار الدعوة، الكويت، دولة الكويت، 1405هـ - 1984م)، ص: 94.
120. الحسين بن مسعود البغوي، **شرح السنة**، تحقيق: زهير الشاويش وشعيب الأرنؤوط، (ط02، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1403هـ - 1983م).
121. حمد بن محمد الخطّاي، **إعجاز القرآن الكريم**، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، (ط03، دار المعارف للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1396هـ - 1976م).
122. حمدي شاهين، **الدولة الأموية المفترى عليها دراسة الشبهات وردّ المفتريات**، (د.ط، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 2001م).
123. حنا بطاطو، **العراق الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية**، ترجمة عفيف عبد الرزاق، (ط02، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، 1995م).
124. خادم حسين الهي بخش، **القرآنيون وشبهاتهم حول السنة**، (ط02، مكتبة الصديق للنشر والتوزيع، الطائف، المملكة العربية السعودية، 1421هـ - 2000م).
125. خالد بن عبد الرحمن الجريسي، **الحذر من السحر**، (ط03، مكتبة الملك فهد الدولية، الرياض، السعودية، 1428هـ - 2007م).
126. خالد المصلح، **شرح العقيدة الواسطية من كلام شيخ الإسلام بن تيمية**، (ط01، دار ابن الجوزي، الدمام، المملكة العربية السعودية، 1421هـ - 2001م).
127. خالد بن عبد العزيز الباتلي، **التفسير النبوي مقدمة تأصيلية مع دراسة حديثة لأحاديث التفسير النبوي الصريح**، (ط01، دار كنوز إشبيلية للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1432هـ - 2011م).
128. خالد بن عبد الله الوقاد الأزهرى، **التصريح بمضمون التوضيح**، تحقيق: عبد الفتاح بحيري إبراهيم، (ط01، د.د.ط، د.ب.ط، 1418هـ - 1997م).
129. خالد حامد، **منهجية البحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية**، (ط01، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر العاصمة، الجزائر، 2007م).

130. خالد عبد الرحمن العكّ، أصول التفسير وقواعده، (ط02، دار التفائس، بيروت، لبنان، 1406هـ - 1986م).
131. الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (ط01، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ - 2003م).
132. خليل رجب الكبيسي، مناهج المفسرين، (ط02، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، اليمن، 1422هـ - 2002م).
133. خير الدين بن محمود الزركلي، الأعلام، (ط07، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1986م).
134. رأفت الشيخ، تاريخ العرب المعاصر، (دط، عين الدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 1996م).
135. رانيا رجب شعبان، حقيقة السحر بين الموروث والمنصوص، تقديم: محمد عمارة، (ط01، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، 1424هـ - 2004م).
136. رشيد الخيون، 100 عام من الإسلام السياسي بالعراق السّنة 02، (ط01، مركز المسبار للدراسات والبحوث، دبي، الإمارات العربيّة المتّحدة، 2011).
137. رشيد الخيون، معتزلة البصرة وبغداد، (ط01، دار الحكمة لندن، بريطانيا، 1997م).
138. رغيد الصلح، حربا بريطانيا والعراق 1941-1991م، (ط02، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، 1997م).
139. رقية طه جابر العلواني، أثر العرف في فهم النصوص، (ط01، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1424هـ - 2003).
140. روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة: تمام حسان، (ط01، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1418هـ - 1998م).
141. رجبيس بلاشير، القرآن: نزوله تدوينه ترجمته وتأثيره، نقله إلى العربيّة: رضا سعادة وغيره، (ط01، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1974م).
142. زاهر عواض الألعوي، دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن، (ط04، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، المملكة العربيّة السّعودية، 1428هـ - 2007م).
143. زاهر عوض الألعوي، دراسات في التفسير الموضوعي، (ط04، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، المملكة العربيّة السّعودية، 1428هـ - 2007م).
144. زكي صالح، مقدمة في دراسة العراق المعاصر، (د.ط، مطبعة الرابطة، بغداد، العراق، 1953م).
145. زهير بن أبي سلمى، ديوان زهير بن أبي سلمى، تحقيق: علي حسن ماعور، (ط01، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1408هـ - 1988م).
146. زياد خليل الدّغامين، دعوى النسخ في القرآن الكريم، (ط01، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ، 1430هـ - 2009م).

147. زياد خليل الدغامين، منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، (ط01، دار البشير، عمان، الأردن، 1995م).
148. زينب طه جابر العلواني، الأسرة في مقاصد الشريعة قراءة في قضايا الزواج والطلاق في أمريكا، (ط01، المعهد العلمي للفكر الإسلامي، هرنند، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، 1432 هـ - 2012م).
149. زينب طه جابر العلواني، الأسرة في مقاصد الشريعة، (ط01، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، 1443 هـ - 2013م).
150. زينب طه جابر العلواني، تطوّر المنهج المقاصديّ عند المعاصرين: مداورة مع الشيخ طه جابر العلواني، (د.ط، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، 2011م).
151. سالم علي البهنساوي، السّنة المفترى عليها، (ط03، دار الوفاء، المنصورة، مصر، دار البحوث العلميّة للنشر والتوزيع، الكويت، 1409 هـ - 1989م).
152. سامر رشواني، منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، (ط01، دار الملتقى، حلب، سورية، 1430 هـ - 2009م).
153. سعد بن محمد بن سعد الشّهراني، السّياق القرآنيّ وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة، (ط01، كرسيّ القرآن الكريم وعلموه، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1436 هـ).
154. سعد بن ناصر الشّثريّ، شرح مختصرة روضة الناظر للطوّفي، (ط01، دار التّدمريّة، الرياض، السّعوديّة، 1431 هـ - 2010م).
155. سعيد بجاد مصلح العتيبيّ، موقف الاتجاه العقلانيّ المعاصر من النصّ الشرعيّ، (ط02، دار الوعيّ للنشر والتّوزيع، الرياض، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1434 هـ).
156. سعيد بن منصور، سنن سعيد بن منصور، تحقيق: حبيب الرّحمن الأعظمي، (د.ط، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، د.س.ط).
157. سعيد حوى، الأساس في التفسير، (ط01، دار السّلام للطباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، جمهورية مصر العربيّة، 1405 هـ - 1985م).
158. سليم مطر، تاريخ العراق الأرض والشّعب والدّولة، (ط01، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنّشر، بيروت، لبنان، 2021م).
159. سليمان بن أحمد الطّبراني، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد، (ط01، مكتبة الأصالة للتراث، الشّارقة، الإمارات تالعليّة المتّحدة، وشركة مؤسّسة الريّان ناشرون، بيروت، لبنان، 1431 هـ - 2010م).
160. سليمان بن داود الطيالسي، المسند، تحقيق: محمّد عبد المحسن التّركي، (ط01، هجر للطباعة والنّشر والتّوزيع والإعلان، الجيزة، مصر، 1419 هـ - 1999م).
161. سيّد سابق، فقه السّنة، (ط04، دار الفكر للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، 1403 هـ - 1983م).
162. سيّد عبد الماجد العوّريّ، ديوان محمّد إقبال، (ط03، دار ابن كثير للطباعة والنّشر والتّوزيع، دمشق، سوريا، 1428 هـ - 2007م).

163. سيّد عمر، جامع فقه الأمة رحيق الحقيقة المعرفية للعلامة طه جابر العلواني، (ط01، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، الجمهورية العربية المصرية، 2021م).
164. سيّد قطب، في ظلال القرآن، (ط17، دار الشروق، بيروت، لبنان، 1416هـ - 1996م).
165. سيّد يسين وغيره، الفكر القومي العربيّ أراء ومواقف 1945 - 1964، (د.ط، منشورات الطليعة العربيّة في تونس، تونس، 1987م).
166. شعبان محمّد إسماعيل، القراءات أحكامها ومصدرها، (السّنة الثّانية، دعوة الحقّ، سلسلة شهرية، 1402هـ).
167. صالح بن غانم السّدلان، النّيّة وأثرها، (ط01، مكتبة الخرجي، الرياض، السّعودية، 1404هـ - 1984م).
168. صالح زكي، مقدمة في دراسة العراق المعاصر، (د.ط، مطبعة الرّابطة، بغداد، 1953م).
169. صبحي إبراهيم الفقيّ، علم اللّغة النّصّي بين النّظرية والتّطبيق، (ط01، دار قباء للطباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، 1431هـ - 2000م).
170. صبحي الصّالح، مباحث في علوم القرآن، (ط10، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1977م).
171. صبري المتولي، منهج أهل السّنة في تفسير القرآن الكريم (دراسة موضوعيّة لجهود ابن القيم التّفسيرية)، (ط02، مكتبة زهراء الشّرق، القاهرة، مصر، 2002م).
172. صديق حسن خان القنوجي، أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان حال العلوم، (د.ط، منشورات دار الثّقافة والإرشاد القوميّ، دمشق، سوريا، 1987م).
173. صديق حسن خان القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن، (د ط، شركة أبناء شريف الأنصاريّ للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، 1412هـ - 1992م).
174. صلاح العقاد، المشرق العربيّ العراق سوريا لبنان 1945 - 1985، (د.ط، مطبعة الرّسالة، القاهرة، مصر، 1368هـ - 1967م).
175. صلاح عبد الفتاح الخالديّ، التّفسير الموضوعيّ بين النّظرية والتّطبيق، (ط03، دار الثّقائ للنّشر والتّوزيع، عمّان، الأردن، 1433هـ - 2016م).
176. صلاح عبد الفتاح الخالديّ، تعريف الدّارسين بمناهج المفسّرين، (ط03، دار القلم، دمشق، سوريا، 1429هـ - 2008م).
177. طاهر بن محمّد أبو المظفر الإسفراييني، التّبصير في الدّين وتمييز الفرقة النّاجية عن الفرق الهالكين، تحقيق: كمال يوسف الحوت، (ط01، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1403هـ - 1983م).
178. محمّد بن جرير الطّبريّ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبدالحسن التّركي، (ط01، هجر للطباعة والنّشر والتّوزيع والإعلان، القاهرة، مصر، 1422هـ - 2001م).
179. طنطاوي جوهري، الجواهر في تفسير القرآن الكريم، (ط02، مطبعة مصطفى البابي الحلبيّ وأولاده، القاهرة، مصر، 1350هـ).

180. طه جابر العلواني بالتعاون مع مركز نماء للبحوث والدراسات بالرياض، حوار حول الإخبار بالسنة النبوية، (د.ط، قرطبة للبحوث والدراسات والتنمية، القاهرة، مصر، د.س.ط).
181. طه جابر العلواني ومنى أبو الفضل، نحو إعادة علوم الأمة الاجتماعية والشرعية، (ط01، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 2009م).
182. طه جابر العلواني، أبعاد غائبة عن فكر وممارسات الحركات الإسلامية المعاصرة، (د.ط، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، د.س.ط).
183. طه جابر العلواني، ابن تيمية وإسلامية المعرفة، (ط02، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1415هـ - 1995م).
184. طه جابر العلواني، أدب الاختلاف في الإسلام، (ط02، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، 1991م).
185. طه جابر العلواني، أزمة الإنسانية ودور القرآن الكريم في الخلاص منها، (د.ط، دار الشروق، القاهرة، مصر، 2005م).
186. طه جابر العلواني، إسلامية المعرفة بين الأمس واليوم، (ط01، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، مصر، 1417هـ - 1996م).
187. طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنة النبوية، (ط01، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، 1435هـ - 2014م).
188. طه جابر العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي - مدخل إلى نظام الخطاب في الفكر الإسلامي المعاصر، (ط01، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1421هـ - 2001م).
189. طه جابر العلواني، أفلا يتدبرون القرآن معالم منهجية في التدبر والتدبير، (د.ط، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، 2010م).
190. طه جابر العلواني، الأزمة الفكرية المعاصرة: تشخيص ومقترحات وعلاج، (ط04، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1414هـ - 1994م).
191. طه جابر العلواني، التعليم الديني بين التجديد والتجميد، (ط01، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، 1430هـ - 2009م).
192. طه جابر العلواني، التوحيد والتزكية والعمران، (ط01، دار الهادي، بيروت، لبنان، 1423هـ - 2003م).
193. طه جابر العلواني، الجمع بين القراءتين - قراءة الوحي وقراءة الكون، (ط01، مكتبة الشروق، القاهرة، الجمهورية العربية المصرية، 1428هـ - 2007م).
194. طه جابر العلواني، الخصوصية والعالمية والفكر الإسلامي المعاصر، (ط01، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1424هـ - 2003م).
195. طه جابر العلواني، الوحدة البنائية للقرآن المجيد، (ط01، مكتبة الشروق، القاهرة، الجمهورية العربية المصرية، 1428هـ - 2006م).

196. طه جابر العلواني، تأملات في الثورات العربية، (د.ط، مركز صناعة الفكر للدراسات والأبحاث، القاهرة، مصر، 2011م).
197. طه جابر العلواني، تجربتي في الحياة السياسية، تحقيق: عثمان علي، (ط01، منتدى المعارف، بيروت، لبنان، 2010م).
198. طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، (ط02، المعهد العالمي، للفكر الإسلامي، هرندين، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، 1442هـ - 2021م).
199. طه جابر العلواني، تفسير سورة الأنعام، (د.ط، دار السلام للطباعة والنشر والترجمة والتوزيع وقرطبة للبحوث والدراسات والتنمية البشرية، القاهرة، مصر، 2012م).
200. طه جابر العلواني، تفسير سورة الروم، (د.ط، شركة الإتقان للترجمة والنشر والبحوث، القاهرة، مصر، 2016م).
201. طه جابر العلواني، تفسير سورة العنكبوت، (د.ط، شركة الإتقان للترجمة والنشر والبحوث، القاهرة، مصر، 2016م).
202. طه جابر العلواني، حاكمية القرآن، (د.ط، المعهد العامي للفكر الإسلامي، هرندين، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، 1996م).
203. طه جابر العلواني، حوار مع القرآن تجربة ذاتية ودعوة للتدبر، (ط01، دار السلم للطباعة والنشر والتوزيع والرحمة، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 1435هـ - 2014م).
204. طه جابر العلواني، لا إكراه في الدين، (ط02، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، 1427هـ - 2006م).
205. طه جابر العلواني، لسان القرآن ومستقبل الأمة القطب، (ط01، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، 1427هـ - 2006م).
206. طه جابر العلواني، معالم في المنهج القرآني، (ط01، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 1431هـ - 2010م).
207. طه جابر العلواني، من أدب الاختلاف إلى نبذ الخلاف، (ط01، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، 1438هـ - 2017م).
208. طه جابر العلواني، نحو التجديد والاجتهاد في المنظومة المعرفية الإسلامية، (ط01، دار تنوير للنشر والتوزيع، جمهورية مصر العربية، 1429هـ - 2008م).
209. طه جابر العلواني، نحو منهجية قرآنية معرفية، (ط01، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1425هـ - 2004م).
210. طه جابر العلواني، نحو موقف قرآني من إشكالية المحكم والمتشابه، (ط01، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، 1430هـ - 2010م).
211. طه جابر العلواني، نحو موقف قرآني من التسخ، (ط01، مكتبة الشروق، القاهرة، الجمهورية العربية المصرية، 2007م).
212. عابد السفياني، الثبات والشمول في الشريعة، (ط01، مكتبي المنارة، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 1408هـ).

213. عادل نويهض، معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، (ط03، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، 1409 هـ - 1988 م).
214. عاطف بن عبد المعز الفيومي، تاريخ من الانحراف في تفسير القرآن، (ط01، مكتبة طريق المصلحين، القاهرة، مصر، 1423 هـ - 2012 م).
215. عامر التجار، الخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة، (ط01، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1408 هـ - 1988 م).
216. عامر حسن فياض، جذور الفكر الاشتراكي والتقدمي في العراق 1921-1934، (دار ابن رشد، بيروت، لبنان، 1980).
217. عبد الإله بلقزيز، العرب والحداثة، (ط01، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2007 م).
218. عبد الجليل عبد الرحيم، التفسير الموضوعي في كفتي الميزان، (ط01، د.د.ط، عمان، الأردن، 1992 م).
219. عبد الجواد خلف، مباحث في مبهمات القرآن الكريم، (د.ط، دار البيان للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1992 م).
220. عبد الحق ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: الرحالة الفاروق وغيره، (ط02، دار الخير، دمشق، سوريا، 1428 هـ - 2007 م).
221. عبد الحق عبد الدائم القاضي، التيسير في أصول التفسير، (ط03، مكتبة الجيل الجديدة، صنعاء، اليمن، 1416 هـ).
222. عبد الحليم قابة، القراءات القرآنية تاريخها، ثبوتها، حجتها، وأحكامها، (ط01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1999 م).
223. عبد الحميد ابن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، تحقيق: أبو عبد الرحمن محمود، (ط01، دار الرشيد للكتاب والقرآن الكريم، الجزائر العاصمة، الجزائر، 1430 هـ - 2009 م).
224. عبد الحميد الثاني، مذكرات السلطان عبد الحميد، تقلص وترجمة: محمد حرب، (ط03، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 1412 هـ - 1991 م).
225. عبد الحميد الفراهي، دلائل النظام، (د.ط، المطبعة الحميدية، د.ب.ط، 1388 هـ - 1968 م).
226. عبد الحميد الفراهي، مفردات القرآن، تحقيق: محمد أجمل أيوب الإصلاحي، (ط01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1422 هـ - 2002 م).
227. عبد الحكي الفرماوي، البداية في التفسير الموضوعي، (ط02، مكتبة جمهورية مصر، القاهرة، مصر، 1404 هـ - 1984 م).
228. عبد الحي بن أحمد ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق وتخريج وتعليق: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، (ط01، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 1413 هـ - 1992 م).
229. عبد الرحمن التتالي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: علي محمد عوض وغيره، (ط01، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1418 هـ - 1997 م).

230. مجير الدّين الحنبليّ، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، (ط01، منشورات المكتبة الحيدريّة ومطبعتها، التّحف، العراق، 1386هـ - 1966م).
231. عبد الرحمن الزّبيديّ، مصادر المعرفة في الفكر الدّيني والفلسفيّ، (ط01، مكتبة المؤيّد، الرّياض، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1412هـ - 1992م).
232. عبد الرحمن بن أبي الحسن ابنُ الجوزيّ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمّد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، (ط01، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1412هـ - 1992م).
233. عبد الرحمن بن أبي الحسن ابنُ الجوزيّ، زاد المسير في علم التّفسير، تحقيق: زهير الشّاويش، (ط01، دار ابن حزم للطباعة والنّشر والتّوزيع والمكتب الإسلاميّ، بيروت، لبنان، 1423هـ - 2002م).
234. عبد الرحمن بن أبي الحسن ابنُ الجوزيّ، سيرة عمر بن عبد العزيز، تحقيق: طه عبد الرّؤوف، (ط01، دار ابن خلدون، الإسكندريّة، مصر، 1417هـ - 1996م).
235. عبد الرحمن بن أبي الحسن ابنُ الجوزيّ، نزهة الأعين التّواظر في علم الوجوه والتّظائر، دراسة وتحقيق: محمّد عبد الكريم كاظم الرّاضي، (ط03، مؤسّسة الرّسالة للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، 1407 - 1987م).
236. عبد الرحمن بن أبي الحسن ابنُ الجوزيّ، نواسخ القرآن، تحقيق: محمّد أشرف الملباري، (ط01، المجلس العلميّ لإحياء التّراث الإسلاميّ، المدينة المنوّرة، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1404هـ - 1984م).
237. عبد الرحمن بن أبي بكر السيّوطي، أسرار ترتيب القرآن، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، (ط02، دار الاعتصام، القاهرة، مصر، 1398هـ - 1978م).
238. عبد الرحمن بن أبي بكر السيّوطي، الإتيقان في علوم القرآن، (ط02، دار ابن كثير للطباعة والنّشر، دمشق، 1414هـ - 1993م).
239. عبد الرحمن بن أبي بكر السيّوطي، الأشباه والتّظائر في قواعد وفروع فقه الشّافعيّة، تحقيق: محمّد حسن إسماعيل الشّافعيّ، (ط01، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1419هـ - 1998م).
240. عبد الرحمن بن أبي بكر السيّوطي، الدّر المنثور في التّفسير بالمأثور، (دط، دار الفكر للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، 1433/1432هـ - 2011م).
241. عبد الرحمن بن أبي بكر السيّوطي، الدّيباج على صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق: أبو إسحاق الحوينيّ، (ط01، دار ابن عفان للنّشر والتّوزيع، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1416هـ - 1996م).
242. عبد الرحمن بن أبي بكر السيّوطي، تدريب الرّاوي في شرح تقريب التّواوي، تحقيق: نظر محمّد الفاريابيّ، (ط02، مكتبة الكوثر للنّشر والتّوزيع، الرّياض، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1415هـ).
243. عبد الرحمن بن أبي بكر السيّوطي، لباب النّقول في أسباب التّزول، (ط01، مطبعة الملاح، دمشق، سوريا، د.س.ط.).
244. عبد الرحمن بن شهاب الدّين بن رجب، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، تحقيق: ماهر ياسين الفحل، (ط01، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، 1429هـ - 2008م).

245. عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، شرح العضد على مختصر المنتهى الأصولي، (ط01، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1424 هـ - 2004 م).
246. عبد الرحمن بن إسماعيل أبو شامة المقدسي، المرشد الوجيز إلى علوم تتعلّق بالكتاب العزيز، تحقيق: طيار آلي قولا، (ط02، دار وقف الديانة التركي، أنقرة، تركيا، 1406 هـ - 1986 م).
247. عبد الرحمن بن عبد الله السّهيلي، التعريف والإعلام فيما أبهم من الأسماء والأعلام في القرآن الكريم، تحقيق: عبد الله النقرات، (ط01، منشورات كليّة الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1401 هـ - 2001 م).
248. عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر = مقدمة ابن خلدون، تحقيق عبد الله الدرويش، (ط01، دار يعرب، دمشق، سوريا، 1425 هـ - 2004 م).
249. عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (تاريخ ابن خلدون)، تحقيق: خليل شحادة، (ط02، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1408 هـ - 1988 م).
250. عبد الرحمن بن ناصر السّعدّي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ط01، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1423 هـ - 2002 م).
251. عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله ﷻ، (ط02، دار القلم، دمشق، سوريا، 1989 م).
252. عبد الرحيم بن الحسن الإسوي، نهاية السؤل في شرح منهاج الأصول، (د.ط، عالم الكتب، د.ب.ط، د.س.ط).
253. عبد الرزاق بن همام الصنعاني، المصنّف، تحقيق: مركز البحوث وتقنيّة المعلومات، (ط01، دار التأصيل، القاهرة، جمهورية مصر العربيّة، 1436 هـ - 2015 م).
254. عبد الرزاق نوفل، القرآن والعلم الحديث، (د.ط، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1404 هـ - 1984 م).
255. عبد الستار المليحي، تاريخ الحركة الإسلامية في ساحة التعليم 1933 - 1993م، (ط01، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، 1414 هـ - 1994 م).
256. عبد الستار فتح الله سعيد، المدخل إلى التفسير الموضوعي، (ط02، دار التوزيع والنشر الإسلامية، بورسعيد، مصر، 1411 هـ - 1991 م).
257. عبد العزيز الطّريفي، التفسير والبيان لأحكام القرآن، (ط01، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1428 هـ).
258. عبد العزيز بن داخل المطيري، فضل علم التفسير، (ط01، مكتبة الملك فهد الوطنيّة، الرياض، السّعوديّة، 1438 هـ).
259. عبد العزيز حليلي، اللسانيات العامّة واللّسانيات العربيّة (تعاريف-أصوات)، (ط01، منشورات دراسات سال، الدّار البيضاء، المغرب، 1999 م).
260. عبد الغنيّ الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، تحقيق: عبد الرحيم الطّهروني، (د.ط، دار الحديث، د.ب.ط، د.س.ط).

261. عبد الغني عبد الخالق، **حجّة السنّة**، (ط01، دار الوفاء للطباعة والنشر، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، 1407هـ - 1987م).
262. عبد القادر أحمد بدران، **جواهر الأفكار ومعادن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار**، تحقيق: زهير الشاويش، (ط01، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1420هـ - 1999م).
263. عبد القادر حامد التيجاني، **رحلة في فكر ومنهجية طه جابر العلواني 1935 - 2016**، (ط01، مركز الإسلام في العالم المعاصر، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، 2022م).
264. عبد القادر محمد الحسين، **معايير القبول والزّد لتفسير النصّ القرآني**، (ط02، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، سوريا، 1433هـ - 2012م).
265. عبد القاهر بن طاهر البغدادي، **أصول الدين**، (ط01، مدرسة الإلهيات بدار الفنون التّوركية، استنبول، تركيا، 1346هـ - 1928م).
266. عبد القاهر بن طاهر البغدادي، **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم**، دراسة وتحقيق: محمّد عثمان الخشت، (د.ط، مطبعة ابن سينا للنشر والتوزيع والتّصدير، القاهرة، مصر).
267. عبد الكريم بن هوازن القشيري، **لطائف الإشارات**، (ط02، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1428هـ - 2007م).
268. عبد الله أبو السّعود بدر، **تفسير الصّحابة**، (ط01، دار ابن حزم للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، 1421هـ - 2000م).
269. عبد الله العقيل، **من أعلام الدّعوة والحركة الإسلاميّة المعاصرة**، (ط07، دار البشير، د.ب.ط، 1429هـ - 2008م).
270. عبد الله بن أحمد ابن قدامة المقدسي، **المغني**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التّركي وعبد الفتاح محمّد الحلو، (ط03، دار عالم الكتب للطباعة والنّشر والتّوزيع، الرياض، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1417هـ - 1997م).
271. عبد الله بن أحمد النّسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، تحقيق: يوسف علي بدوي ومحيي الدين ديب مستو، (ط01، دار الكلم الطّيب للطباعة والنّشر والتّوزيع، دمشق، سوريا، 1419هـ - 1998م).
272. عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، **روضة الناظر وجنة المناظر**، (ط01، مؤسّسة الرّسالة ناشرون، بيروت، لبنان، 1430هـ - 2009م).
273. عبد الله بن الصّديق الغماري، **جواهر البيان في تناسب سور القرآن**، (دط، مكتبة القاهرة، القاهرة، الجمهوريّة العربيّة المصريّة، د.س.ط).
274. عبد الله بن سليمان الغفيلي، **أشراط السّاعة**، (دون معلومات الطّبع).
275. عبد الله بن عبد الرحمن الدّارمي، **مسند الدّارمي**، تحقيق: حسن سليم أسد الدّاراني، (ط01، دار المغني للنّشر والتّوزيع، الرياض، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1421هـ - 2000م).
276. عبد الله بن عمر البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمّد صبحي بن حسن حلاق ومحمود أحمد الأطرش، (ط01، دار الرّشيد، دمشق، وبيروت، لبنان، 1421هـ - 2000م).

277. عبد الله بن محمد ابن أبي شيبه، **المصنّف**، تحقيق: سعد بن ناصر الشّري، (ط01، دار كنوز إشبيليا للنّشر والتّوزيع، الرياض، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1436هـ - 2015م).
278. عبد الله بن محمد ابن أبي شيبه، **كتاب الإيمان**، (ط02، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1403هـ - 1983م).
279. عبد الله بن محمد الرحمان المباركفوري، **مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، تحقيق: جمال عيتاني، (ط01، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1422هـ - 2001م).
280. عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، **تأويل مشكل القرآن**، تحقيق: السيّد أحمد صقر، (ط02، دار التّراث، القاهرة، مصر، 1393هـ - 1973م).
281. عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، **تأويل مختلف الحديث**، تحقيق: محمد محي الدين الأصغر، (ط02، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ومؤسسة الإشراف، الدّوحة، قطر، 1419هـ - 1999م).
282. عبد الله بن يوسف الزّيلعي، **تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشّاف**، تحقيق: سلطان بن فهد الطّبيشي، (ط01، وزارة الشّؤون الإسلاميّة والأوقاف والدّعوة والإرشاد، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1424هـ - 2003م).
283. عبد الماجد الغوري، **ديوان محمد إقبال**، (ط03، دار ابن كثير للطباعة والنّشر والتّوزيع، دمشق، سوريا، 1428هـ - 2007م).
284. عبد الملك بن عبد الله الجويني، **البرهان في أصول الفقه**، تحقيق: صلاح محمد عويضة، (ط01، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1418هـ - 1998م).
285. عبد الوهاب بن نصر القاضي البغدادي، **شرح الرّسالة**، تحقيق: أحمد بن علي، (ط01، مركز التّراث الثقافيّ المغربي، الدّار البيضاء، المملكة المغربيّة، 1423هـ - 2007م).
286. عبيد الله بن محمد ابن بطّة العكبري، **الإبانة عن شريعة الفرقة النّاجية ومجانبة الفرق المذمومة**، تحقيق: رضا بن نعيان معطي، (ط01، دار الرّاية للنّشر والتّوزيع، الرياض، السّعوديّة، 1409هـ - 1988م).
287. عثمان ابن جيّ، **الخصائص**، تحقيق: محمّد النّجار، (ط02، دار الكتب المصريّة، القاهرة، مصر، د.س.ط).
288. عثمان ابن جيّ، **شرح التصريف المملوكي**، تحقيق: ديزيرة سقال، (ط01، دار الفكر العربيّ للطباعة والنّشر، بيروت، لبنان، 1419هـ - 1998م).
289. عثمان بن سعيد أبو عمرو الدّاني، **البيان في عدّ آي القرآن**، تحقيق: غانم قدّوري الحمد، (ط01، منشورات مركز المخطوطات والتّراث والوثائق، الكويت، دولة الكويت، 1414هـ - 1994م).
290. عثمان بن سعيد أبو عمرو الدّاني، **المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار**، تحقيق: محمّد أحمد دهمان، (د.ط، مطبعة الرّقي، دمشق، سوريا، 1359هـ - 1940م).
291. عثمان بن عبد الرحمن ابن الصّلاح، **معرفة علوم الحديث**، تحقيق وشرح: نور الدّين عتر، (ط03، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية).
292. عثمان بن علي حسن، **منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد**، (ط04، مكتبة الرّشد، الرياض، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1418هـ - 1998م).

293. عجیل جاسم التّسمي، المستشرقون ومصادر التّشريع الإسلامي، (ط01، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1404هـ - 1984م).
294. عدنان الرّفاعي، محطّات في سبيل الحكمة الفارق بين السّنة الشّريفة وروايات الأحاديث، (د.ط، مركز الدّكر للدراسات الإسلاميّة، د.س.ط).
295. عدنان زرزور، الحاكم الجشميّ المعتزليّ ومنهجه في التّفسير، (د.ط، مؤسّسة الرّسالة للطباعة والنّشر، بيروت، لبنان، د.س.ط).
296. عزيز الحاج، القضية الكردية في العشرينيات، (ط01، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1984م).
297. عقيل الناصري، الجيش والسلطة في العراق الملكي 1921 - 1958م دفاعا عن ثورة 14 تموز، (ط02، دائرة الشؤون الثقافيّة العامّة، بغداد، 2005م).
298. علاء الدّين عبد العزيز بن أحمد البخاري، كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزوديّ، (ط01، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1418هـ - 1997م).
299. علي أحمد النّدويّ، القواعد الفقهيّة مفهوميّها، نشأتها، تطوّرها، دراسة مؤلّفاتها، أدلّتها، مُهمّتها، تطبيقاتها، (ط04، دار القلم، دمشق، سوريا، 1418هـ - 1998م).
300. علي الطنطاوي، رجال من التاريخ، (ط01، دار البشير للثقافة - دار المنارة، جدة، المملكة العربيّة السعوديّة، 1418هـ - 1998م).
301. علي الوردّي، لمحات اجتماعيّة من تاريخ العراق الحديث، (ط01، دار الرّاشد، بيروت، لبنان، 2010م).
302. علي بن أبي بكر الهيتمي، مجمع الزوائد ومنيع الفوائد، تحقيق: حسين أسد الدّارايّ، (د.ط، دار المأمون للتراث، دمشق، سوريا، د.س.ط).
303. علي بن أحمد ابنُ حزم، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: أحمد شاكّر، (د.ط، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، د.س.ط).
304. علي بن أحمد ابنُ حزم، الفصل بين الملل والأهواء والنّحل، تحقيق: محمّد إبراهيم نصر وعبد الرّحمن عميرة، (ط02، دار الجليل، بيروت، لبنان، 1416هـ - 1996م).
305. علي بن أحمد ابنُ حزم، مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق، تحقيق: عبد الرّحمن محمّد عثمان، (د.ط، المكتبة السّلفيّة، المدينة المنوّرة، المملكة العربيّة السّعوديّة، دسط).
306. علي بن أحمد ابنُ حزم، مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، تحقيق: حسن أحمد اسبر، (ط01، دار ابن حزم للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، 1419هـ - 1998م).
307. علي بن أحمد الواحدّي، أسباب النّزول، تخرّيج وتحقيق: عصام بن عبد المحسن الحيدان، (ط02، دار الإصلاح، الدّمّام، السّعوديّة، 1412هـ - 1992م).
308. علي بن أحمد الواحدّي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وغيره، (ط01، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1415هـ - 1994م).

309. علي بن إسماعيل أبو الحسن الأشعري، **الإبانة عن أصول الديانة**، تحقيق: صالح بن مقبل بن عبد الله العصيمي، (ط01، مدار المسلم للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1432هـ - 2011م).
310. علي بن إسماعيل أبو الحسن الأشعري، **اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع**، حققه وقدم له وعلق عليه: حسن الشافعي، (ط01، دار الحكماء للنشر، القاهرة، مصر، 1442هـ - 2021م).
311. علي بن الحسن ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، (د.ط، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1415هـ - 1995م).
312. علي بن خلف ابن بطلال، **شرح صحيح البخاري**، تحقيق: أبو تميم ياسر، (ط02، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، 1423هـ - 2003م).
313. علي بن سعيد العبيدي، **موسوعة الروحية وتحضير الأرواح**، (ط01، كنوز اشبيليا، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1430هـ - 2009م).
314. علي بن سليمان المرداوي، **مقدمة التحرير شرح التحرير في أصول الفقه الحنبلي**، دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن عبد الله الجبرين وغيره، (د.ط، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1421هـ - 2000م).
315. علي بن عبد الكافي السبكي وولده عبد الوهاب السبكي، **الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول لعلم الأصول**، (ط01، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1404هـ - 1984م).
316. علي بن علاء الدين ابن أبي العز، **شرح العقيدة الطحاوية**، تحقيق: مصطفى العدوي، (ط01، دار ابن رجب، المنصورة، مصر، 1423هـ - 2002م).
317. علي بن عمر الدارقطني، **سنن الدارقطني**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وغيره، (ط01، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1424هـ - 2004م).
318. علي بن عمر الدارقطني، **العلل**، تحقيق: محمد بن صالح بن محمد الرباسي، (ط03، شركة مؤسسة الريان، بيروت، لبنان، 1432هـ - 2011م).
319. علي بن محمد ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، تحقيق: أبو صهيب الكرمي، (د.ط، بيت الأفكار الدولية، عمان، الأردن، د.س.ط).
320. علي بن محمد ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: محمود محمد الطناحي وطاهر أحمد الزاوي، (ط01، المكتبة الإسلامية، د.ب.ط، 1383هـ - 1963م).
321. علي بن محمد الآمدي، **الإحكام في أصول الأحكام**، تعليق: عبد الرزاق عفيفي، (ط01، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1424هـ - 2003م).
322. علي بن محمد الجرجاني، **شرح المواقف للإيجي**، تحقيق: محمود محمد الدمياطي، (ط01، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1419هـ - 1998م).
323. علي بن محمد الجرجاني، **معجم التعريفات**، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، (ط01، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، مصر، 2004م).
324. علي بن محمد الخازن، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، (ط01، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1425هـ - 2004م).

325. علي بن محمد السخاوي، جمال القرآن وإكمال الإقراء، تحقيق: علي حسين البواب، (ط01، مطبعة المدني، القاهرة، مصر، 1408هـ - 1987م).
326. علي بن مؤمن ابن عصفور الإشبيلي، الممتع في تصريف القرآن، تحقيق: فخرالدين قباوة، (ط01، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1407هـ - 1987م).
327. علي حميد خصير، دلالة السياق في النص القرآني، أطروحة مقدمة كجزء من متطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، (د.ط، الأكاديمية العربية في الدانمارك، 1435هـ - 2014م).
328. علي عبد الفتاح المغربي، إمام أهل السنة والجماعة أبو منصور الماتريدي وآراؤه الكلامية، (ط02، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1430هـ - 2009م).
329. عماد علي عبد السميع حسين، التيسير في أصول واتجاهات التفسير، (د.ط، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، 2006م).
330. عمر رضا كحالة، تكملة معجم المؤلفين، (د.ط، مطبعة الترقى، دمشق، سوريا، 1380هـ - 1960م).
331. عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، (د.ط، مطبعة الترقى، دمشق، سوريا، 1380هـ - 1960م).
332. عمر سليمان الأشقر، مقاصد المكلفين فيما يُتبع به لرب العالمين، (ط01، مكتبة الفلاح، الكويت، دولة الكويت، 1401هـ - 1981م).
333. عمر شاکر سعيد، مؤتمر الشيخ أمحد الزهاوي (1403هـ - 2013م)، (ط01، مطبعة شفان، العراق، 2014م).
334. عمرو بن بحر الجاحظ، كتاب الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (ط02، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، الجمهورية العربية المصرية، 1358هـ - 1965م).
335. عياض بن موسى القاضي المالكي، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ، تحقيق: عبه علي كوشك، (ط01، وحدة البحوث والدراسات، دبي، الإمارات العربية المتحدة، 1434هـ - 2013م).
336. عياض بن موسى القاضي المالكي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، (ط02، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1403هـ - 1983م).
337. فتحي حسن ملكاوي، منظومة القيم العليا: التوحيد والتزكية والعمران، (ط01، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هرندين، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، 1434هـ، 2013م).
338. فراس البيطار، الموسوعة السياسية والعسكرية، (د.ط، دار اسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2003م).
339. الفضل بن شاذان الرازي، سور القرآن وآياته وحروفه ونزوله، صححه وعلّق عليه وقارنه بأقهاه كتل الفن: بشير بن حسن الحميري، (ط01، دار ابن حزم للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، 1430هـ - 2009م).
340. فضل عباس، إعجاز القرآن الكريم، (ط01، دار الفرقان، عمان، الأردن، 1991م).
341. فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، (ط04، دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع، إريد، الأردن، 1417هـ - 1992م).

342. فضل عباس، التفسير أساسياته واتجاهاته، (ط01، مكتبة دنديس، عمان الأردن، 1426هـ - 2005م).
343. فهد الرومي، بحوث في أصول التفسير ومناهجه، (ط04، مكتبة التوبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1419هـ).
344. فهد الرومي، تحريف المصطلحات القرآنية وأثره في انحراف المفسرين في القرن الرابع عشر، (ط01، مكتبة فهد الوطنية، الرياض، السعودية، 1424هـ - 2003م).
345. فهد الرومي، خصائص القرآن الكريم، (ط09، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1417هـ - 1497م).
346. فهد الرومي، دراسات في علوم القرآن الكريم، (ط14، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1426هـ - 2005م).
347. فهد الرومي، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، (ط02، مؤسسة الرسالة، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1403هـ - 1983م).
348. قاسم السامرائي، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، (ط01، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1403هـ - 1982م).
349. القاسم بن سلام، كتاب في الإيمان ومعالمه وسننه واستكمالته ودرجاته، تحقيق: ربيع بن زكريّا بن محمد أبو هريرة، (ط01، دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، 1440هـ - 2019م).
350. القاضي عبد الجبار وأبو القاسم البلخي والحاكم الجشمي، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تحقيق: فؤاد سيّد، (ط02، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1406هـ - 1986م).
351. القاضي عبد الجبار، المجموع في المحيط بالتكليف، تحقيق: جين يوسف هو بن اليسوعي، (د.ط، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، د.س.ط).
352. كاظم أحمد ناصر المشايخي، الإمام أمجد بن محمد سعيد الزهاوي فقه العراقيين والعالم الإسلامي، (ط01، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هرنند، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، 1996م)، ص: 10 - 11.
353. كمال ديب، موجز تاريخ العراق من ثورة العشرين إلى الحروب الأمريكية والمقاومة والتحرير وقيام الجمهورية الثانية، (ط01، دار الفرائي، بيروت، لبنان، 2013م).
354. لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، (ط02، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، 2001).
355. لجنة القرآن والسنة في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في القاهرة، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، (ط08، دار الثقافة، الدوحة، قطر، د.س.ط).
356. ليث عبد الحسن جواد الزبيدي، ثورة 14 تموز 1958م في العراق، (ط02، مكتبة اليقظة، بغداد، العراق، 1981م).
357. ماجدة إبراهيم عامر، قراءة في فكر أعلام الأمة: العطاء العلمي والفكري للدكتور طه جابر العلواني (في الاجتهاد المعرفي والتجديد الفكري)، (ط01، مركز الحضارة للدراسات والبحوث، القاهرة، مصر، 2024م).

358. مالك بن أنس، الموطأ رواية مصعب الزهري المدني، تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود محمد خليل، (ط05، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1434هـ - 2013م).
359. مجاهد بن جبر، تفسير مجاهد، (ط01، دار الفكر الإسلامي الحديثة، القاهرة، مصر، 1384هـ - 1964م).
360. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، (ط04، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، 1425هـ - 2004م).
361. مجموعة من المؤلفين، موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي، (ط01، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، 1439هـ - 2021م).
362. مجيد خلدوري، نظام الحكم في العراق، (د.ط، مطبعة المعارف، بغداد، الجمهورية العراقية، 1946م).
363. محسن بن حامد المطيري، تفسير القرآن بالقرآن تأصيل وتقويم، (ط01، دار التدمرية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1432هـ - 2011م).
364. محسن جبار العارضي، 90 عاما على ثورة العراق التحريرية، مراجعة: حميد مجيد هدر، (ط01، المكتبة الوطنية بغداد، بغداد، الجمهورية العراقية، 2010م).
365. محفوظ بن أحمد الكلوزاني، التمهيد في أصول الفقه، (د.ط، مركز البحث العلمي وإحياء التراث، د.ب.ط، 1406هـ).
366. محمد ابراهيم شريف، اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر، (ط01، دار التراث، القاهرة، مصر، 1403هـ - 1982م).
367. محمد ابن أبي شريف المقدسي، المسامرة شرح المسامرة في العقائد المنجية في الآخرة، تحقيق ودراسة: كمال الدين قاري وعز الدين معيش، (ط01، شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1425هـ - 2004م).
368. محمد أبو القاسم حاج حمد، منهجية القرآن المعرفية، مراجعة وتحقيق: محمد العاني، (ط01، دار الهادي، بيروت، لبنان، 1424هـ - 2003م).
369. محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، (د.ط، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، د.س.ط).
370. محمد أبو زيد الدمنهوري، الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن، (د.ط، مطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر، القاهرة، مصر، 1349هـ).
371. محمد أبو شعبة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، (ط04، مكتبة السنة، القاهرة، مصر، 1408هـ).
372. محمد أبو شعبة، المدخل لدراسة القرآن الكريم، (ط03، دار اللواء، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1407هـ - 1987م).
373. محمد أحمد يوسف القاسم، الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره، (ط01، دار المطبوعات الدولية، القاهرة، مصر، 1399هـ - 1979م).
374. محمد أركون، الفكر الإسلامي قراءة علمية، ترجمة: هاشم صالح، (ط01، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، 1987م).

375. محمد أركون، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، ترجمة: هاشم صالح، (ط01، دار الساقبي، لبنان، بيروت، 1999م).
376. محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ترجمة وتعليق: هاشم صالح، (ط02، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2005م).
377. محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، (ط01، دار علم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة، المملكة العربية السعودية، 1426هـ).
378. محمد الأمين الشنقيطي، دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، (ط01، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 1426هـ).
379. محمد البشير الإبراهيمي، الطرق الصوفية، (ط01، مكتبة الرضوان، الجزائر، 1429هـ - 2008م).
380. محمد الزحيلي، القواعد الفقهية وتطبيقاتها على المذاهب الأربعة، (ط01، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1427هـ - 2006م).
381. محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير في التفسير، (د.ط، الدار التونسية للطبع، تونس، 1984م).
382. محمد الغزالي، السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، (ط06، دار الشروق، القاهرة، مصر، د.س.ط).
383. محمد الغزالي، الغزو الثقافي يمتد في فراغنا، (د.ط، مطابع الشروق، القاهرة، مصر، د.س.ط).
384. محمد الغزالي، علل وأدوية، (د.ط، مطابع الشروق، القاهرة، مصر، د.س.ط).
385. محمد الغزالي، مقالات محمد الغزالي، جمع: عبد الحميد حسانين حسن، (ط04، دار نخضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2005م).
386. محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم الأجزاء العشرة الأولى، (ط02، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1412هـ - 1992م).
387. محمد الغزالي، هذا ديننا، (ط05، دار الشروق للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1421هـ).
388. محمد أمين ابن عابدين، حاشية رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار في فقه مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان، (د.ط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1421هـ - 2000م).
389. محمد أمين الجكني، مراقي السُّعود إلى مراقي السُّعود، تحقيق ودراسة: محمد المختار الشنقيطي، (ط01، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر، 1413هـ - 1993م).
390. محمد بازمول، علم المناسبات في السور والآيات، (ط01، المكتبة المكيّة، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 1423هـ - 2002م).
391. محمد باقر الخوانساري، روضات الجنّات في أحوال العلماء والسّادات، (د.ط، المطبعة الحيدريّة، طهران، إيران، 1390هـ).
392. محمد باقر الصّدر، التفسير الموضوعي والفلسفة الاجتماعية في المدرسة القرآنية، (ط01، الدار العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1409هـ - 1989م).

393. محمد بن إبراهيم بدر الدين ابن جماعة، غرر البيان لمبهمات القرآن، دراسة وتحقيق: عبد الجواد خلف، (د.ط، دار قتيبة، كراتشي، باكستان، د.س.ط).
394. محمد بن أبي بكر ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين، (ط01، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1423هـ).
395. محمد بن أبي بكر ابن القيم، إغاثة اللّهفان من مصائد الشيطان، تحقيق: محمد عزيز شمس ومصطفى بن سعيد إيتيم، (د.ط، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، د.ب.ط، د.س.ط).
396. محمد بن أبي بكر ابن القيم، التبيان في أيمان القرآن، تحقيق: عبد الله بن سالم البطاطي، (د.ط، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، د.ب.ط، د.س.ط).
397. محمد بن أبي بكر ابن القيم، الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، (ط02، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، د.س.ط).
398. محمد بن أبي بكر ابن القيم، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق: بشير محمد عيون، (ط01، مكتبة المؤيد، بيروت، لبنان، 1410هـ - 1989م).
399. محمد بن أبي بكر ابن القيم، بدائع التفسير، تحقيق: يسري السيد محمد، (ط01، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1427هـ - 2007م).
400. محمد بن أبي بكر ابن القيم، بدائع الفوائد، تحقيق: علي بن محمد العمران، (د.ط، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، د.ب.ط، د.س.ط).
401. يسري السيد محمد، بدائع التفسير الجامع لما فسره ابن القيم الجوزية، (ط01، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الدمام، المملكة العربية السعودية، 1428).
402. محمد بن أبي بكر ابن القيم، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، تحقيق: زاهر بن سالم بلفقيه، (ط02، دار عطاءات العلم، الرياض، السعودية، 1441هـ - 2019م).
403. محمد بن أبي بكر ابن القيم، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، (ط01، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان).
404. محمد بن أبي بكر ابن القيم، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، راجعه: بكر بن عبد الله أبو زيد، (ط01، دار ابن عققان للنشر والتوزيع، العقريّة، المملكة العربية السعودية، 1416هـ - 1996م).
405. محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، (د.ط، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1986م).
406. محمد بن أحمد ابن التجار، شرح الكوكب المنير، تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، (د.ط، مطبعة العبيكان، الرياض، السعودية، 1413هـ - 1993م).
407. محمد بن أحمد ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: محمد سالم هاشم، (ط01، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1415هـ - 1995م).
408. محمد بن أحمد ابن رشد الحفيد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، تحقيق: ماجد الحموي، (ط01، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1416هـ - 1995م).

409. محمد بن أحمد ابن عقيلة المكي، الزيادة والإحسان في علوم القرآن، تدقيق: مصطفى مسلم وغيره، (ط01، مركز الدراسات والبحوث، جامعة الشارقة، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، 1427هـ - 2006م).
410. محمد بن أحمد الدسوقي، حاشية الدسوقي على أم البراهين، (د.ط، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، د.س.ط).
411. محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: حسّان عبد المتّان، (د.ط، بيت الأفكار الدولية، لبنان، 2004م).
412. محمد بن أحمد الذهبي، مختصر العلوّ للعلّي الغفّار، تخريج: محمد ناصر الدين الألباني، (ط01، المكتب الإسلامي، دمشق، سورية، 1401هـ - 1981م).
413. محمد بن أحمد الذهبي، ميزان الاعتدال، تحقيق: علي محمد الجاوي، (د.ط، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د.س.ط).
414. محمد بن أحمد السرخسي، المبسوط، (د.ط، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1414هـ - 1993م).
415. محمد بن أحمد السفاريني، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرّة المضية في عقيدة الفرقة المرضية، (ط03، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1411هـ - 1991م).
416. محمد بن أحمد القرطبي، الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، (ط01، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، 1416هـ - 1995م).
417. محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي وغيره، (ط01، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1427هـ - 2006م).
418. محمد بن إدريس الشافعي، اختلاف الحديث، (ط01، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، 1422هـ - 2001م).
419. محمد بن إدريس الشافعي، الأمّ، (د.ط، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1410هـ - 1990م).
420. محمد بن إدريس الشافعي، الرسالة، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، (ط01، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1357هـ - 1938م).
421. محمد بن إسحاق ابن منده، كتاب التوحيد، تحقيق: محمد بن عبد الله الوهبي وموسى بن عبد العزيز الغصن، (ط01، دار الهدى النبوي للنشر والتوزيع، المنصورة، جمهورية مصر العربية، 1428هـ - 2007م).
422. محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، (د.ط، البشرى، كراتشي، باكستان، 1437هـ - 2016م).
423. محمد بن الحسن الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد شوقي الأمين وأحمد حبيب قصير، (د.ط، المطبعة العلمية، النجف، العراق، 1376هـ - 1957م).
424. محمد بن الحسن الطوسي، العدة في أصول الفقه، تحقيق: محمد رضا الأنصاري، (ط01، مطبعة ستارة، قم، إيران، 1417هـ).
425. محمد بن الحسين بن عبد الله الحسيني السمرقندي المدني، تحفة الطالب بمعرفة من ينتسب إلى عبد الله وأبي طالب، تحقيق: الشريف أنس الكنتي الحسني، (د.ط، الخزانة الكتبية الحسينية الخاصة، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، د.س.ط).

426. محمد بن السري ابن السراج، الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، (ط03، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1417هـ - 1996م).
427. محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق: أحمد صقر، (د.ط، دار المعارف، القاهرة، مصر، د.س.ط).
428. محمد بن الطيب الباقلاني، الإنصاف في ما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، تحقيق وتعليق وتقديم: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، (ط02، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، مصر، 1421هـ - 2000م).
429. محمد بن الموصلي، مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة لابن قيم الجوزية، تحقيق: الحسن بن عبد الرحمن العلوي، (ط01، مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1425هـ - 2005م).
430. محمد بن إبراهيم ابن الوزير، إثبات الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، دراسة وتحقيق: عبد الله بن محمد بن عبد الحميد، (ط02، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1437هـ - 2016م).
431. محمد بن بهادر الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، تحرير: عبد القادر بن عبد الله العاني، (ط02، دار الصفوة للطباعة والنشر والتوزيع، الغدقة، مصر، 1413هـ - 1992م).
432. محمد بن بهادر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط03، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، 1404هـ - 1984م).
433. محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك تاريخ الطبري، تحقيق: أبو صهيب الكرمي، (د.ط، بيت الأفكار الدولية، عمان، الأردن، د.س.ط).
434. محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (د.ط، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الجيزة، مصر، دت).
435. محمد بن جعفر الخرائطي، مكارم الأخلاق ومعالها ومحمود طرائقها، تحقيق: نشأت بن كمال المصري، (ط01، مكتبة الرشيد ناشرون، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1427هـ - 2006م).
436. محمد بن جعفر الكتاني، الرسالة المستطرفة لبيان كتب السنة المشرفة، (ط05، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1414هـ - 1993م).
437. محمد بن حبان أبو حاتم البستي، روضة العقلاء، تحقيق: عبد العليم محمد الدرويش، (د.ط، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، سورية، 2008م).
438. محمد بن سريع السري، التحرير شرح التمهيد في أصول التفسير، (ط02، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1445هـ - 2023م).
439. محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، تحقيق: زياد محمد منصور، (ط02، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية، 1408هـ - 1987م).
440. محمد بن سليمان الكافيجي، التيسير في قواعد التفسير، تحقيق: مصطفى محمد حسين الذهبي، (ط01، مكتبة القدسي للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1419هـ - 1998م).

441. محمد بن شهاب المحلّي و عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تفسير الجلالين، تحقيق: شعبان محمد اسماعيل، (د.ط، شركة الشمري للطبع والنشر والأدوات الكتابية، د.ب.ط، د.س.ط).
442. محمد بن عبد الرحمن السخاوي، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، تحقيق: محمد عثمان الخت، (ط01، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1405 هـ - 1985 م).
443. محمد بن عبد العزيز بن محمد العواجي، منهج الشيخ السعدي في التفسير الموضوعي من خلال كتابيه: فتح الرحيم، وتيسير اللطيف، (د.ط، كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، 1430 هـ - 1431 م).
444. محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق: الأمير علي مهنا وعلي حسن فاعود، (ط03، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1414 هـ - 1993 م).
445. محمد بن عبد الله ابن العربي، أحكام القرآن، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا، (ط03، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424 هـ - 2003 م).
446. محمد بن عبد الله ابن العربي، المحصول في أصول الفقه، تحقيق: حسين البدري، (ط01، دار البيارق للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1420 هـ - 1999 م).
447. محمد بن عبد الله ابن العربي، المسالك شرح موطأ مالك، تحقيق: محمد بن الحسين السليمان وعائشة بنت الحسين السليمان، (ط01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1428 هـ - 2007 م).
448. محمد بن عبد الله ابن العربي، قانون التأويل، تحقيق: محمد السليمان، (ط01، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، المملكة العربية السعودية، ومؤسسة علوم القرآن، دمشق، سوريا، 1406 هـ - 1986 م).
449. محمد بن عبد الله ابن مالك، شرح تسهيل الفوائد، تحقيق: عبد الرحمن السيد وغيره، (ط01، هجر للطباعة والنشر القاهرة، مصر، 1410 هـ - 1990 م).
450. محمد بن عبد الله الحاكم، المستدرک على الصحيحين، تحقيق: الفريق العلمي لمكتب خدمة السنة، (ط01، دار المنهاج القويم للنشر والتوزيع، دمشق، الجمهورية العربية السورية، 1439 هـ - 2018 م).
451. محمد بن عبد الوهاب، كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، (د.ط، إدارة الثقافة والنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1333 هـ).
452. محمد بن علي البصري، المعتمد في أصول الفقه، اعتنى بتهذيبه وتحقيقه: محمد حميد الله وغيره، (ط01، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، سوريا، 1383 هـ - 1964 م).
453. محمد بن علي الداودي، طبقات المفسرين، (ط01، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1403 هـ - 1983 م).
454. محمد بن علي الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق: سامي بن العربي الأثري، (ط01، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1421 هـ - 2000 م).
455. محمد بن علي الشوكاني، الدرر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد، تخرج: أبو عبد الله الحلبي، (ط01، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع، د.ب.ط، 1414 هـ).
456. محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فتي الزاوية والدراية من علم التفسير، (د.ط، شركة دار التواد الكويتية، الكويت، 1431 هـ - 2010 م).

457. محمد بن علي الغساني ابن عسكر، التكميل والإتمام لكتاب التعريف والإعلام، تحقيق: حسن إسماعيل مروة، (ط01، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1418هـ - 2018م).
458. محمد بن عمر الرازي، تفسير الفخر الرازي المشهور بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، (ط01، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 1401هـ - 1981م).
459. محمد بن عمر الرازي، عصمة الأنبياء، تقديم: محمد حجازي، (ط01، مكتبة المدني، القاهرة، مصر، 1406هـ - 1986م).
460. محمد بن عيسى الترمذي، الجامع الكبير، تحقيق: بشار عواد معروف، (ط01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1996م).
461. محمد بن محمد ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، (د.ط، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، مصر، د.س.ط).
462. محمد بن محمد ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي محمد الضباع، (د.ط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، د.س.ط).
463. محمد بن محمد ابن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، (د.ط، مكتبة القدسي، القاهرة، مصر، د.س.ط).
464. محمد بن محمد أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم بتفسير أبو السعود، (د.ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.س.ط).
465. محمد بن محمد أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، (د.ط، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1403هـ - 1982م).
466. محمد بن محمد أبو حامد الغزالي، المستصفى في علم الأصول، (ط01، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1403هـ - 1983م).
467. محمد بن محمد أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال، تحقيق: عبد الحليم محمود، (ط03، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1408هـ - 1988م).
468. محمد بن محمد الطروشني، سراج الملوك، تحقيق: نعمان صالح الصالح، (ط01، دار العاذرية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1426هـ - 2005م).
469. محمد بن محمد بن عرفة، تفسير ابن عرفة، تحقيق: جلال الأسيوطي، (ط01، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2008م).
470. محمد بن مفلح المقدسي، الآداب الشرعية والمنح المرعية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعمر القيام، (ط03، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1419هـ - 1999م).
471. محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، (ط02، دار صادر للنشر والتوزيع، بيروت، 2003م).
472. محمد بن يزيد بن ماجه، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (د.ط، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، د.س.ط).
473. محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، (ط08، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1426هـ - 2005م).

474. محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، (ط03، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، مصر، 1416هـ - 1996م).
475. محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وغيره، (ط01، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1413هـ - 1993م).
476. محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، تصحيح وضبط: ماهر النعساني، (دط، مطبعة الإخلاص، حماه، سوريا، 1345هـ - 1946م).
477. محمد بمجة الأثري، أعلام العراق، (د.ط، المطبعة السلفيّة ومكتبتها، القاهرة، مصر، 1345هـ).
478. محمد جبر محمد حسن، منهج الأستاذ عبد الكريم الخطيب في تفسيره المسمّى بالتفسير القرآني للقرآن الكريم، (دط، مجلة كليات أصول الدين، أسيوط، مصر، 2014م).
479. محمد حبيب الله الشنقيطي، زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم، (د.ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.س.ط).
480. محمد حسين آل كاشف الغطاء، أصل الشيعة وأصولها مقارنة مع المذاهب الأربعة، (ط01، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1410هـ - 1990م).
481. محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، (ط07، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، د.س.ط).
482. محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، (ط01، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، 1417هـ - 1997م).
483. محمد خير رمضان يوسف، تنمّة الأعلام للزركلي، (ط02، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1422هـ - 2002م).
484. محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، (د.ط، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1426هـ - 2005م).
485. محمد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، (ط02، مطبعة المنار، القاهرة، مصر، 1427هـ - 2006م).
486. محمد رشيد رضا، تفسير المنار، (ط02، دار المنار، القاهرة، مصر، 1366هـ - 1947م).
487. محمد رضا الحسيني الشيرازي، التدبر في القرآن، (ط03، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1431هـ - 2010م).
488. محمد رمضان المظفر، أصول الفقه، (ط02، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، 1410هـ - 1990م).
489. محمد رواس قلنجي وغيره، معجم لغة الفقهاء، (ط03، دار التفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1416هـ - 1996م).
490. محمد سالم محيسن، القراءات وأثرها في علوم العربية، (د.ط، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، مصر، 1404هـ - 1984م).

491. محمد سرور ومحمد كاظم خوانساري، مصباح الأصول، (ط01، مطبعة التجف، التجف، العراق، 1386هـ - 1965/1966م).
492. محمد سيد الكيلاني، ذيل الملل والتحل، (د.ط، مكتبة مصطفى الباني الحلبي، القاهرة، مصر، 1381هـ - 1991م).
493. محمد شحرور، السنة الرسولية والسنة النبوية، (ط01، دار الساقى، بيروت، لبنان، 2012م).
494. محمد شحرور، الكتاب والقرآن، (د.ط، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، د.س.ط).
495. محمد عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، (ط01، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1410هـ - 1990م).
496. محمد عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير، (ط02، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1391هـ - 1972م).
497. محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: فؤاد أحمد زملي، (ط01، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1415هـ - 1995م).
498. محمد عبد الغني حسن، التراجم والسير، (ط01، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1375هـ - 1955م).
499. محمد عبد الفتاح عمار، القراءات الحداثية للنص القرآني، (ط01، مركز ليفانت للدراسات الثقافية والنشر، الإسكندرية، مصر، 1442هـ - 2021م).
500. محمد عبد الله دراز، التبا العظيم نظرات جديدة في القرآن، (د.ط، دار القلم، الكويت، د.س.ط).
501. محمد عبد الله دراز، مدخل إلى القرآن الكريم، (د.ط، دار القلم، الكويت، 1404هـ - 1984م).
502. محمد عزة دروزة، التفسير الحديث ترتيب السور حسب النزول، (ط02، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1421هـ - 2000م).
503. محمد علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحروج، (ط01، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، 1996م).
504. محمد علي الحسن، المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره، (ط01، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1421هـ - 2000م).
505. محمد علي السائيس، تفسير آيات الأحكام، تحقيق: ناجي سويدان، (د.ط، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2002م).
506. محمد علي الصابوني، مختصر تفسير ابن كثير، (ط07، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، 1402هـ - 1981م).
507. محمد علي رضائي أصفهاني، منطق تفسير القرآن، (ط02، نارنجستان، قم، إيران، 1436هـ).
508. محمد علي محمد وآخرون، قاموس علم الاجتماع، (ط01، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، 1413هـ - 1993م).

509. محمد قجوي، تفسير القرآن بالقرآن دراسة تاريخية نظرية، (ط2، مركز الدراسات القرآنية - الرابطة المحمدية للعلماء الرباط، المغرب، 1441هـ - 2020م).
510. محمد لطفي الصبّاح، بحوث في أصول التفسير، (ط2، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1436هـ - 2015م).
511. محمد محمد داود، معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، (د.ط، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2008م).
512. محمد محمود حجازي، التفسير الواضح، (ط10، دار الجيل الجديد، بيروت، لبنان، 1413هـ - 1993م).
513. محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مصطفى حجازي، (د.ط، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1405هـ - 1985م).
514. محمد مصطفى الأعظمي، منهج النقد عند المحدثين، (ط3، مكتبة الكوثر، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1410هـ - 1990م).
515. محمد ناصر الدين الألباني، التعليق على مشكاة المصابيح، (ط2، المكتب الإسلامي، بيروت، 1399هـ - 1979م).
516. محمد ناصر الدين الألباني، تخريج شرح الطحاوية، تحقيق: جماعة من العلماء، (ط8، المكتب الإسلامي، دمشق، سوريا، 1404هـ - 1984م).
517. محمد ناصر الدين الألباني، دفاع عن الحديث النبوي والسيرة، (د.ط، مؤسسة ومكتبة الخافقين، دمشق، سوريا، د.س.ط).
518. محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقها وفوائدها، (د.ط، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1415هـ - 1995م).
519. محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة وأثرها السيئ في الأمة، (ط1، مكتبة المعارف، الرياض، السعودية، 1412هـ - 1992م).
520. محمد ناصر الدين الألباني، صحيح سنن ابن ماجه، (ط1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، 1417هـ - 1997م).
521. محمد ناصر الدين الألباني، صحيح سنن أبي داود، (ط1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، 1419هـ - 1998م).
522. محمد ناصر الدين الألباني، ضعيف الجامع الصغير، (د.ط، المكتب الإسلامي، دمشق، سوريا، د.س.ط).
523. محمد ناصر الدين الألباني، ضعيف سنن أبي داود، (ط1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، 1419هـ - 1998م).
524. محمد ناصر الدين الألباني، نصب المجانيق لنسف قصة الغرائيق، (ط3، المكتب الإسلامي، دمشق، سوريا، 1417هـ - 1996م).

525. محمد ياس خضر الدوّري، **دقائق الفروق اللّغوية في البيان القرآني**، (د.ط، دار الكتب العلميّ، بيروت، لبنان، 1426هـ - 2005م).
526. محمود بن حمزة الكرماي، **البرهان في توجيه متشابه القرآن**، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، (ط02، دار الفضيلة، الرياض، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1396هـ).
527. محمود بن عبد الرحمن الأصفهاني، **بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب**، تحقيق: محمد مظهر بقا، (ط01، دار المدنيّ للطباعة والنّشر والتّوزيع، جدّة، السّعوديّة، 1406هـ - 1986م).
528. محمود بن عبد الله الآلوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني**، (ط01، مؤسّسة الرّسالة للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، 1431هـ - 2010م).
529. محمود بن عمر الرّمحشريّ، **أساس البلاغة**، تحقيق: محمد باسل عيون السّود، (ط01، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1419هـ - 1998م).
530. محمود بن عمر الرّمحشريّ، **الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التّأويل**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وغيره، (ط01، مكتبة العبيكان، الرياض، السّعوديّة، 1418هـ - 1998م).
531. محمود سعيد الأطرش، **الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم والسّورة القرآنية**، التفسير الموضوعي ومنهج البحث فيه، (ط01، دار الإيمان للطّبع والنّشر والتّوزيع، إسكندريّة، مصر، 2008).
532. محمود شلتوت، **القرآن والقتال**، (ط02، دار الفتح للطباعة والنّشر، بيروت، لبنان، 1403هـ - 1983م).
533. محمود شلتوت، **تفسير القرآن الكريم**، (ط12، دار الشّروق، القاهرة، مصر، 1424هـ - 2004م).
534. محمود صالح منسي، **الشرق العربي المعاصر**، (ط01، خوارزم العلميّة، جدّة، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1410هـ - 1990م).
535. محمود عبد الرّحمن عبد المنعم، **معجم المصطلحات والألفاظ الفقهيّة**، (د.ط، دار الفضيلة، د.ب.ط، د.س.ط).
536. محمود عبد الوهّاب فايد، **التّربية في كتاب الله**، (ط05، دار الاعتصام، القاهرة، مصر، 1398هـ - 1978م).
537. مرتضى الزّبيديّ، **إتحاف السّادة المتّقين بشرح إحياء علوم الدّين**، (د.ط، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، د.س.ط).
538. مساعد الطيّار، **التّحرير في أصول التّفسير**، (ط04، مركز الدّراسات والمعلومات القرآنيّة بمعهد الإمام الشّاطبيّ، جدّة، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1439هـ - 2018م).
539. مساعد بن سليمان الطيّار، **شرح مقدّمة في أصول التّفسير لابن تيميّة**، (ط02، دار ابن الجوزي للنّشر والتّوزيع، الدّمام، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1428هـ).
540. مساعد بن سليمان الطيّار، **مقالات في علوم القرآن وأصول التّفسير**، (ط01، دار المحدث للنّشر والتّوزيع، الرياض، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1425هـ).
541. مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، (ط01، دار الحديث طبع.نشر.توزيع، القاهرة، مصر، 1412هـ - 1991م).

542. مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون (ما لهم وما عليهم)، (د.ط، دار الوثائق للنشر والتوزيع، د.ب.ط، د.س.ط).
543. مصطفى السباعي، السنّة ومكانتها في التشريع الإسلامي، (ط02، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1396هـ - 1976م).
544. مصطفى زيد، النسخ في القرآن الكريم، (ط03، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، 1408هـ - 1987م).
545. مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، راجعه واعتنى به: درويش الجويدي، (د.ط، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1424هـ - 2003م).
546. مصطفى صادق الرافعي، تحت راية القرآن المعركة بين القديم والجديد، تحقيق: درويش الجويدي، (د.ط، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1423هـ - 2002م).
547. مصطفى صبري، موقف العقل والعلم والعالم من ربّ العالمين وعباده المرسلين، (ط02، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1401هـ - 1981م).
548. مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، (ط03، دار القلم، دمشق، سورية، 1421هـ - 2000م).
549. المفصل بن محمد بن يعلى الضبي، المفصليات، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، (ط06، دار المعارف، بيروت، لبنان، د.س.ط).
550. مفيد الزبيدي، التيارات الفكرية في الخليج العربي 1938 - 1971، (ط02، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2003).
551. مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاتة، (ط01، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، 1423هـ - 2002م).
552. مكتب التربية العربية لدول الخليج، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، (د.ط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1985م).
553. مكّي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق: محيي الدين رمضان، (ط01، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1404هـ - 1984م).
554. مناع القطّان، مباحث في علوم القرآن، ط03، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1421هـ - 2000م).
555. منصور بن محمد السمعاني، الانتصار لأصحاب الحديث، تحقيق: محمد بن حسين بن حسن الجيزاني، (ط01، مكتبة أضواء المنار للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1417هـ - 1996م).
556. منيرة محمد ناصر الدوسري، أسماء سور القرآن وفضائلها، (ط01، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1426هـ).
557. المؤتمر الأول للطلاب العرب في أوروبا، القومية العربية حقيقتها-أهدافها-وسائلها، (د.ط، دار الأحد للطبع والنشر، بيروت، لبنان، 1955م).

558. مورييس أنجريس، **منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، تدريبات علمية**، ترجمة: بوزيد صحراوي وغيره، (ط01، دار القصة للنشر، الجزائر العاصمة، الجزائر، 2004 م).
559. ميخائيل إنورد، **معجم مصطلحات هيكل**، ترجمة وتعليق: إمام عبد الفتاح إمام، (ط01، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2011 م).
560. ناصر بن عبد الكريم العقل، **الاتجاهات العقلانية الحديثة**، (ط01، دار الفضيلة، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1422 هـ - 2002 م).
561. ناصر بن عبد الكريم العقل، **دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها**، (ط01، دار إشبيلية، الرياض، السعودية، 1418 هـ - 1997 م).
562. نجيب العقيقي، **المستشرقون**، (ط03، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1964 م).
563. نخبة من العلماء، **التفسير الميسر**، (ط02، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1430 هـ - 2009 م).
564. نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، (ط01، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، 1431 هـ - 2010 م).
565. نصر حامد أبو زيد، **الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية**، (د.ط، مؤسسة هنداوي، يورك هاوس، شيبث ستريت، وندسور، المملكة المتحدة، 2023 م).
566. نوريير سيلامي وآخرون، **المعجم الموسوعي في علم النفس**، ترجمة: وجيه أسعد، (د.ط، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، الجمهورية العربية السورية، 2001 م).
567. هشام الغزي، **بني الإسلام**، (ط01، مطبعة العجلوني، دمشق، سوريا، 1412 هـ - 1992 م).
568. الهيثم بن كليب الشاشي، **مسند الشاشي**، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، (ط01، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية، 1414 هـ).
569. وحيد عبد السلام بالي، **الصّارم البتار في التحدي للسحرة والأشوار**، (ط03، مكتبة التابعين، القاهرة، مصر، ومكتبة الصحابة، جدة، السعودية، 1412 هـ - 1992 م).
570. وزان عدنان محمد، **الاستشراق والمستشرقون**، (د.ط، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 1404 هـ - 1984 م).
571. وسيم رفعت عبد المجيد، **العراق الانقلابي الانقلابات الناجحة والفاشلة في العراق (1921 - 2003)**، (د.ط، دار الجواهري، بغداد، العراق، 2015 م).
572. وليد الأعظمي، **أعيان الزمان وجيران النعمان في مقبرة الخيزران**، (ط01، دار الرقيم للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، العراق، 2001 م - 1421 هـ).
573. وليد بن أحمد الحسين الزبيدي وغيره، **الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والتحو واللغة**، (ط01، مجلة الحكمة، مانشيستر، بريطانيا، 1424 هـ - 2003 م).
574. يحيى بن موسى الزهوني، **تحفة المسؤول في شرح مختصر منتهى السؤل**، دراسة وتحقيق: يوسف الأخضر القيم، (ط01، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، الإمارات العربية المتحدة، 1422 هـ - 2002 م).

575. يحيى بن شرف التّووي، المجموع شرح المذهب، تقدم: رائد بن صبري بن أبي علفة، (د.ط، بيت الأفكار الدوليّة، الأردن، 2005 م).
576. يحيى بن شرف التّووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق: خليل ماضمون شيخا، (ط19، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1433 هـ - 2012 م).
577. يحيى بن شرف التّووي، تهذيب الأسماء واللّغات، (د.ط، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، د.س.ط).
578. يوسف القرضاوي، الصّبر في القرآن الكريم، (ط03، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، 1410 هـ - 1989 م).
579. يوسف القرضاوي، في وداع الأعلام، (د.ط، الدّار الشّامية، تركيا، د.س.ط).
580. يوسف القرضاوي، كيف نتعامل مع السّنة النبويّة، (ط02، دار الشّروق، القاهرة، مصر، 1423 هـ - 2002 م).
581. يوسف بن عبد الرحمن المزّي، تهذيب الكمال في أسماء الرّجال، حقّقة وضبط نصّه وعلّق عليه: بشار عوّاد معروف، وخرّج أحاديثه: شعيب الأرناؤوط، (ط01، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، لبنان، 1403 هـ - 1983 م).
582. يوسف بن عبد الله ابن عبد البرّ، الاستذكار، علّق عليه ووضع حواشيه: سالم محمّد عطا ومحمّد علي معوّض، (ط01، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1421 هـ - 2000 م).
583. يوسف بن عبد الله ابن عبد البرّ، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلويّ ومحمّد عبد الكبير البكري، (دون معلومات الطّبع، 1387 هـ - 1967 م).
584. يوسف بن عبد الله ابن عبد البرّ، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبو الأشبال الزهيري، (ط01، دار ابن الجوزي للنشر والتّوزيع، المملكة العربيّة السّعودية، 1414 هـ - 1994 م).
- 📖 الرّسائل والدّراسات والبحوث والمقالات الجامعيّة:
585. أحمد بن محمّد البريديّ، تفسير القرآن بالقرآن دراسة تأصيليّة، (بحث منشور في مجلة معهد الإمام الشّاطبيّ للدّراسات القرآنيّة، العدد الثّاني، 1427 هـ).
586. أسماء بنت عمر حسن فدعق، منهج سيّد قطب في ظلال القرآن، (رسالة مقدّمة لنيل درجة الدّكتوراه، جامعة أمّ القرى، مكّة المكرّمة، المملكة العربيّة السّعودية، 1416 هـ).
587. إسماعيل العثماني، إدوارد سعيد بين النّقد الدّينيّ والنّقد العلماني، ترجمة: فخري صالح، مقال بمجلّة: فكر ونقد، دار النّشر المغربيّة، الدّار البيضاء، العدد: 03، ديسمبر 1999 م.
588. جهاد محمّد فيصل النصيرات، التّفسير الموضوعي وإشكالات البحث في المفاهيم القرآنيّة، (دراسات علوم الشريعة والقانون، الجامعة الأردنيّة، المجلد 40، العدد 01، 2013 م).
589. خالد أحمد الصالح، الشّيخ عبد العزيز سالم السامرائي حياته وجهوده العلميّة في الفقه والفتوى، (رسالة ماجستير الجامعة الإسلاميّة، بغداد، 1424 هـ - 2004 م).
590. حسن علي مطر، تاريخيّة القرآن عند نصر حامد أبو زيد لأحمد الواعظي، قراءة نقديّة فاحصة، (مجلّة دراسات معاصرة، مؤسّسة دلّتا للباعة والنّشر، بيروت، لبنان، 2012 م).
591. حسين عودة هاشم، الصّور الإحالية في سورة (ق) وأثرها في توجيه المعنى، (العدد 03، مجلّة ميسان للدّراسات الأكاديميّة، 2008 م).

592. حمادة محمد سقاو علي، الفاصلة القرآنية مفهومها وضوابطها، (مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، جامعة المنيا، مصر، 2019/07/03).
593. ریحانة البندوزي، صلة أسباب النزول بعناصر السياق، (مؤتمر اعتبار السياق في المجالات التشريعية وصلته بسلامة العمل بالأحكام، الرباط، المملكة المغربية، 2007م).
594. عارف عز الدين حسونة، المآخذ الأصولية على كتاب (إشكالية التعامل مع السنة النبوية) للدكتور طه جابر العلواني، (دراسات علوم الشريعة والقانون، الجامعة الأردنية، 2016م).
595. عباس أرحيلة، مسألة التفسير الأدبي للقرآن في العصر الحديث، (مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القاضي عياض، مراكش، المغرب، عدد مزدوج: 16 - 17، 2001 - 2002م).
596. عبد الحكيم محمد الأنيس، التفسير الحديث للأستاذ محمد عزة دروزة: دراسة وتحليل، (رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، 1413هـ - 1993م، المستودع الرقمي العراقي للأطاريح والرسائل الجامعية، جامعة بغداد، العراق، 2017م).
597. عبد الله الخطيب ومصطفى مسلم، المناسبات وأثرها على تفسير القرآن الكريم، (العدد 02، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، الإمارات العربية المتحدة، 1426هـ - 2005م).
598. عروة صبري، الطلاق التعسفي دراسة فقهية مقارنة، (العدد 13، مجلة أكاديمية القاسمي، باقة الغربية، فلسطين، 2009م).
599. عطية بن نوري بن محمد الفقيه، أسانيد نسخ التفسير والأسانيد المتكررة في التفسير - جمعاً ودراسة -، (رسالة مقدمة لنيل متطلبات الماجستير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1428هـ - 2007م).
600. عمر بن علي ابن الملكن، المقنع في علوم الحديث، تحقيق: جاويد أعظم عبد العظيم، (رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 1403هـ).
601. طه جابر العلواني، القرضاوي المفكر والداعية، (ملتقى الإمام القرضاوي مع الأصحاب والتلاميذ، الدوحة، قطر، 1428هـ - 2007م).
602. طه جابر العلواني، محمد الغزالي رحمه الله وصفحات من حياته، مجلة إسلامية المعرفة، العدد: 07.
603. هاشم عبد الرزاق صالح الطائي، التيار الإسلامي في الخليج العربي 1945 - 1991، (رسالة دكتوراه، جامعة الموصل، العراق، 2006م).
604. ماجد أبو غزالة، دليل إصدارات المعهد العالمي للفكر الإسلامي 1981 - 2015م، مركز معرفة الإنسان للدراسات والأبحاث والنشر والتوزيع.
605. مازن بن محمد بن عيسى، آراء السمعاني العقيدية، (رسالة دكتوراه في العقيدة، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، أم درمان، السودان، العام الجامعي: 1437هـ - 2016م).
606. مجاهد أحمد إسماعيل نوفل، التفسير الموضوعي في تفسير المنار، (رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، 2008م).

607. محمد أحمد مغربي، أصول التفسير عند القاسمي من خلال تفسير محاسن التأويل، (رسالة ماجستير، كلية العلوم الإسلامية، الجزائر العاصمة، الجزائر، 2004 م).
608. محمد محمود محمد الدومي، التفسير الموضوعي دراسة تاريخية نقدية، (رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان الأردن، الموسم الجامعي: 1428 هـ - 1998 م).
609. مولاي عمر بن حماد، علم أصول التفسير محاولة في البناء، (أطروحة لنيل دكتوراة الدولة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الممّدية، المغرب، 1423 هـ - 2002 م).
- 📖 الكتب الإلكترونية:
610. أحمد محمد شاكر، الرواية بالمعنى وضوابطها وأثر ذلك في الحكم الشرعي، أرشيف ملتقى أهل الحديث، المكتبة الشاملة الحديثة.
611. أكرم ضياء العمري، موقف الاستشراق من السيرة والسنة النبوية، <https://www.noor-book.com>، تاريخ النشر: 2004/09/25.
612. خالد بن عثمان السبّ، قواعد التفسير جمعاً دراسة، (دار ابن عقّان).
613. سعيد الأفندي، الروحية الحديثة، (العدد 01، مجلّة الدّراسات الإسلامية، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية).
614. طه جابر العلواني، أيام حياتي بين النيل والفرات والبوتماك، (المكتبة الإلكترونية، 2012 م).
615. عدنان الرفاعي، محطات في سبيل الحكمة، مركز الذّكر للدراسات الإسلامية، موقع عدنان الرفاعي، www.thekr.net adnan@thekr.net
616. محمد توفيق صدقي، حوار حول: الإسلام هو القرآن وحده، المكتبة الشاملة، رجب 1324 هـ، <https://shamela.ws/book/6947/1798>.
617. محمد متولي الشعراوي، تفسير القرآن، مكتبة نور، <https://www.noor-book.com>.
- 📖 المواقع الإلكترونية:
618. أحمد صبحي منصور، تفسير كامل، 2020/08/01، www.ahl-alquran.com.
619. أرشيف الدكتور طه، أكاديمية العلواني للدراسات القرآنية، <https://alwani.org>.
620. مرصد تفسير للدراسات القرآنية، تفسير القرآن الكريم لمحمد شلتوت: طبعاته، مصادره، ملامحه، تصنيفه، الدّراسات حوله، 29 ربيع الأول 1446 هـ الموافق 02 أكتوبر 2024 م، <https://tafsiroqscom>.
621. جلال العالم، قادة الغرب يقولون: دمّروا الإسلام أبيدو أهله، (العدد 7780، جريدة الأيام، 1962/01/06 م، <https://wwwnoor-book.com>).
622. جهاد محمد فيص النصيرات، منهج عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني في تفسيره "معارض التدبر ودقائق التفكير"، جانفي 2014، <https://wwwresearchgatenet/publication>.
623. جهاد محمد فيصل النصيرات، أثر الواقع في فهم النصّ القرآني عند المفسرين، مكتبة عين الجامعة، 2025/03/02، <https://ebook.univeyes.com>.

624. خليل صالح الكردي، مشاريع إسلامية المعرفة ... ماذا أنجزت ؟ رؤية نقدية، 2025/02/17، www.diae.net/16404.
625. رقية طه جابر العلواني، حلقة تلفزيونية تأبينية للشيخ طه جابر العلواني، (قناة الشرقية العراقية، 2016/03/06)، التحميل يوم: 2024/06/21
626. DEAD SEA", www.wencyclopediacom, Retrieved 18-5-2019 Edited.
627. صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، مقاصد السور وأثر ذلك في فهم التفسير، 2016، www.tafsir.org، <https://salehaforgsa/sites/default/files/books>
628. طه جابر العلواني، عمود السورة، أكاديمية طه العلواني، <https://alwani.org>.
629. طارق عبد الحليم، طه جابر العلواني - عقل البدعة وبدعة العقل -، <http://majlesalukah.net/t15612>.
630. طه جابر العلواني، الإمام الزهاوي، موقع أكاديمية العلواني، <https://alwani.org>.
631. طه جابر العلواني، العقل وموقعه في المنهجية الإسلامية، الفكر الإسلامي المعاصر، 1996/09/01م، <https://citj.org>.
632. طه جابر العلواني، الإسلاميون بين الدعوة والدولة، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، أوت 2020. <https://www.mominoun.com/articles/>
633. طه جابر العلواني، التحديات التي تواجه هيمنة القرآن على التراث، بقلم: محمد عزت، مؤمنون بلا حدود للدراسات <https://alwani.org>.
634. طه جابر العلواني، المفهوم والمصطلح القرآني، أكاديمية طه العلواني، <https://alwani.org>.
635. طه جابر العلواني، المقاصد العليا الحاكمة وتفعيلها، <https://alwani.org>.
636. طه جابر العلواني، الفوارق بين السنة والشيعية، 01/2019، alwani.org، <https://www.google.com>
637. طه جابر العلواني، دعوى تاريخانية القرآن ملتقى الانتصار للقرآن الكريم، 2015/03/25، <https://mtafsir.net/threads>
638. طه جابر العلواني، شيخنا محمد الغزالي رحمه الله وصفحات من حياته، 20 جويلية 2018، <https://alrashad.org/author/18/>
639. طه جابر العلواني، القرآن الكريم والقراءات المعاصرة، دار المنظومة (مجلة الكلمة، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، لبنان، 2011م)، أكتوبر 2017م، <https://alwani.org/wp-content/uploads> <http://search.manadumah.com/record/760184>
640. طه جابر العلواني، مشروع مراجعة التراث الإسلامي، <https://alwani.org>، maktaba.org/book/31871/12137
641. طه جابر العلواني، عظمة القرآن، 21 أبريل 2024، <https://www.facebook.com/Taha.Al.Alwani>

642. طه جابر العلواني، مقال: السياق: المنهج، المفهوم، النظرية، الرابطة المحمدية، 2020/05/11،
<https://www.arrabita.ma/download/>
643. طه جابر العلواني، نحو تجديد الخطاب القيمي، مارس 2019، <https://alwani.org/wp>
644. الطير الأبايل في واقعة الفيل وما يراه الشيخ محمد عبده في ذلك، مقالة منشورة في مجلة «مجمع اللغة العربية بمصر»، العدد (29)، 1 مارس 1972، موقع تفسير.
645. فتحي حسن ملكاوي، وفاة الشيخ طه جابر العلواني، موقع الجزيرة، يوم: 12/18/3131م، الساعة 12:24،
<http://www.aljazeera.net>
646. قاعدة "الحكم على الشيء حكم عن تصوّره" وتطبيقاتها في الفتاوى المعاصرة، لجنة مذاكرة مفتي ماليزيا، موقع
 المجلة الإسلامية الدولية الفناطير، 2024/05/03، <https://al-qanatir.com/aq/article/view/614/565>
647. قناة الشرقية العراقية، خبر وفاة طه جابر العلواني، (الحصاد، 2016/03/06)،
[/https://www.youtube.com](https://www.youtube.com)
648. محمد بن رزق بن طهروني وغيره، مرويات الإمام ابن ماجة في التفسير، المعهد العلمي للفكر الإسلامي، 1010 -
 1411م، <https://tarhuninet/>
649. ملفي بن ناعم الصاعدي، ما اتصل به بيانه من القرآن الكريم، (بحث منشور، مجلة الجامعة الإسلامية، 1428هـ)،
 العدد: 131 <https://beliefuniveyesnet/academy/quraan>
650. الموقع الرسمي لمجمع الفقه الإسلامي: <https://iifa-aifi.org/ar>
651. نادية وزناحي، ملامح التفسير الموضوعي في تفسير الشيخ عبد الحميد بن باديس، مؤتمر التفسير الموضوعي
 للقرآن الكريم واقع وآفاق، جامعة الشارقة، 1431هـ - 2010م، موقع الموسوعة القرآنية،
<https://quranpedianet/book/>
652. <https://alwani.org/wp-content/uploads/>
653. <https://marchive-amsinet/>
654. <https://www.mominoun.com/articles/>
655. <https://www.aljazeera.net/politics/>، 2019/10/4
656. <https://www.jasseraudanet/>
657. Touristic Sites, www.kinghusseingovjo, Retrieved 21-6-2019 Edited
- البيانات: 
658. بيان نعي لطفه جابر العلواني، الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، بتاريخ: 2016/03/05،
<https://www.hespress.com/>
659. نعي الشريف لطفه جابر العلواني، بيان الأهر، بتاريخ: 2016/03/05،
<https://www.wazhareg>

ثامناً: فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
مقدمة	04
مبحث تمهيدي: التعريف بطه جابر العلواني وتفسيره	
المطلب الأول: محيط نشأة طه جابر العلواني	18
الفرع الأول: الحالة السياسية في العراق خلال القرن العشرين	18
أولاً: الانتداب البريطاني للعراق	18
ثانياً: مرحلة الملكية	18
ثالثاً: تأسيس الجمهورية (العراق الانقلاي)	19
رابعاً: الحركة الوطنية في العراق	20
خامساً: الجيش العراقي والسياسة	22
الفرع الثاني: الحالة الاجتماعية والاقتصادية	22
أولاً: الحالة الاجتماعية	22
ثانياً: الحالة الاقتصادية	23
الفرع الثالث: الحالة الفكرية والعلمية والدعوية	24
أولاً: الحالة الفكرية والعلمية	24
ثانياً: الحالة الدينية	24
المطلب الثاني: التعريف بطه جابر العلواني	25
الفرع الأول: حياة طه جابر العلواني وطلبه العلم	25
أولاً: مولد طه جابر العلواني ونشأته الأسرية	25
ثانياً: مرحلة طلب العلم الشرعي	25
ثالثاً: أبرز شيوخ طه جابر العلواني وبعض تلاميذه	26
الفرع الثاني: الحياة الدعوية والسياسية لطه جابر العلواني في العراق	28
أولاً: الحياة الدعوية قبل الهجرة من العراق	28
ثانياً: الحياة السياسية للعلواني	28
ثالثاً: الحياة الدعوية بعد مغادرة العراق واعتزال السياسة	29
الفرع الثالث: النشاطات العلمية لطه جابر العلواني ووفاته	30
أولاً: النشاطات العلمية لطه جابر العلواني	30
ثانياً: مؤلفاته ومكانته العلمية	31

33	المطلب الثالث: تقديم كتاب "تفسير القرآن بالقرآن" لطله جابر العلواني
33	الفرع الأول: تعريف كتاب "تفسير القرآن بالقرآن" لطله جابر العلواني
33	أولاً: مضمون كتاب "تفسير القرآن بالقرآن" للعلواني
33	ثانياً: خلاصة عامة عن كتاب "تفسير القرآن بالقرآن" للعلواني
34	الفرع الثاني: مصادر التفسير العامة عند طه جابر العلواني
34	أولاً: التفسير بالمأثور
37	ثانياً: التفسير بالفهم والاجتهاد (الرأي)
38	الفرع الثالث: مصادر التفسير الخاصة عند طه جابر العلواني
39	أهم نتائج البحث التمهيدي
الفصل الأول: مفهوم التفسير الموضوعي وضوابطه	
42	البحث الأول: المدخل إلى التفسير الموضوعي
42	المطلب الأول: علم التفسير والحاجة إليه وعلم أصول التفسير وفوائده
42	أولاً: تعريف التفسير
47	ثانياً: حاجة الأمة إلى علم التفسير
49	ثالثاً: تعريف علم أصول التفسير وفوائده
54	المطلب الثاني: التفسير الموضوعي: التعريف، النشأة والتطور، والأنواع
54	أولاً: تعريف التفسير الموضوعي
58	ثانياً: التفسير الموضوعي الظهور والتطور
75	المطلب الثالث: أنواع التفسير الموضوعي وأهدافه
75	أولاً - أنواع التفسير الموضوعي
82	ثانياً - أهداف التفسير الموضوعي
87	البحث الثاني: حدود التفسير الموضوعي
87	المطلب الأول: تعريف تفسير القرآن بالقرآن وبيان مسأله المهمة
87	أولاً: تعريف تفسير القرآن بالقرآن
89	ثانياً: المسائل المهمات في تفسير القرآن بالقرآن
98	المطلب الثاني: بين التفسير الموضوعي وتفسير القرآن بالقرآن
98	أولاً: أوجه التشابه بين التفسير الموضوعي وتفسير القرآن بالقرآن
102	ثانياً: أوجه الاختلاف بين التفسير الموضوعي وتفسير القرآن بالقرآن
111	المطلب الثالث: علم المناسبات وبيان مواقف العلماء منه
111	أولاً - تعريف علم المناسبات
113	ثانياً - موقف العلماء من المناسبات
121	ثالثاً: أنواع المناسبات في القرآن الكريم

134	المطلب الرابع: ضوابط القول بالمناسبات وبيان علاقتها بالتفسير الموضوعي
134	أولاً: ضوابط القول بالمناسبات
137	ثانياً: تقاطعات التفسير الموضوعي وعلم المناسبات
139	ثالثاً: تباينات التفسير الموضوعي عن علم المناسبات
142	المبحث الثالث: ضوابط التفسير الموضوعي
142	المطلب الأول: ضوابط عامة لقبول التفسير الموضوعي
142	الضابط الأول: تفسير الآيات والموضوعات القرآنية بأحسن طرق التفسير
143	الضابط الثاني: لا يُفسَّر القرآن تفسيراً موضوعياً بالرأي المذموم
145	الضابط الثالث: الإحاطة بأنواع التفسير الأخرى
146	الضابط الرابع: استخلاص النظريات ليس هو الغرض من التفسير
148	الضابط الخامس: لزوم رعاية الأسلوب الصحيح في التفسير الموضوعي
150	الضابط السادس: مراعاة خصائص القرآن الكريم
153	الضابط السابع: ضرورة الفهم التحليلي للآيات
155	الضابط الثامن: صحة القول المُفسَّر به في ذاته
157	الضابط التاسع: أن تحتل الآية القول الحادث في التفسير الموضوعي
158	الضابط العاشر: أن لا يطل التفسير الموضوعي قول السلف
162	الضابط الحادي عشر: عدم الاقتصار على حمل معنى الآية على نتائج التفسير الحادث
163	المطلب الثاني: ضوابط التفسير الموضوعي الكشفي
163	الضابط الأول: مراعاة موضوعات السورة القرآنية وترابطها
164	الضابط الثاني: أن تحتل السورة وجود موضوع أساسي واحد
166	الضابط الثالث: مراعاة منهج البحث في السورة
166	الضابط الرابع: فهم أساليب القرآن في السورة القرآنية
167	الضابط الخامس: عدم إهمال عملية الاستمداد من باقي القرآن
167	المطلب الثالث: ضوابط التفسير الموضوعي التجميعي
168	الضابط الأول: الالتزام التام بعناصر القرآن في مرحله تحديد الموضوع أو المصطلح
169	الضابط الثاني: رعاية ما يلزم في تفسير القرآن بالقرآن
170	الضابط الثالث: التركيز على الموضوع أو المصطلح القرآني
170	الضابط الرابع: التدقيق التام قبل التقعيد والتأصيل
171	المطلب الرابع: أخطاء متعلقة بضوابط التفسير الموضوعي
171	الجانب الأول: أخطاء متعلقة بجوانب القصور في التفسير
178	الجانب الثاني: أخطاء متعلقة بالتفسير الموضوعي
190	أهم نتائج الفصل الأول
	الفصل الثاني:

مداخل طه جابر العلواني إلى التفسير الموضوعي	
194	المبحث الأول: مُنطلقات التفسير الموضوعي عند طه جابر العلواني
194	المطلب الأول: مُؤهلات طه جابر العلواني لتفسير القرآن
194	أولاً: صحّة الاعتقاد
210	ثانياً: حسن القصد وابتغاء رضا الله ﷻ
214	ثالثاً: السّلامة من اتّباع الهوى
229	رابعاً: الاعتماد على مصادر التفسير
230	خامساً: العلم باللّغة العربيّة و فروعها
232	سادساً: علم حقيقة الوحي وأصول العلوم المتّصلة به وأنواعه
234	سابعاً: دقّة الفهم التي تمكّن المفسّر من ترجيح معنى على آخر
238	المطلب الثاني: دوافع التفسير الموضوعي عند طه جابر العلواني
239	أولاً: الدوافع المتعلّقة بظروف الأُمّة الإسلاميّة
243	ثانياً: دوافع متعلّقة بعلم التفسير وعلوم القرآن
250	ثالثاً: دوافع متعلّقة بشخصيّة طه جابر العلواني الدّاتيّة والعلميّة
253	المطلب الثالث: معالم المنهج القرآني عند طه جابر العلواني
254	أولاً: المحدّدات المنهجية القرآنيّة المعرفيّة عند طه جابر العلواني
257	ثانياً: مُقدّمات لاستقامة المنهج عند ولوج القرآن الكريم
259	ثالثاً: منهج طه جابر العلواني لولوج القرآن الكريم
270	المبحث الثاني: مواقف لطفه جابر العلواني متعلّقة بتفسير القرآن
271	المطلب الأول: مواقف طه جابر العلواني من التّراث التفسيريّ ومع بعض علوم القرآن
271	أولاً: مواقف لطفه جابر العلواني من التّراث التفسيريّ
278	ثانياً: مواقف خاصّة لطفه جابر العلواني مع بعض علوم القرآن
291	المطلب الثاني: إشكالية تعامل طه جابر العلواني مع السّنة النبويّة
291	المسألة الأولى: التّبوّ ومقام الأنبياء
295	المسألة الثانية: مهام النّبيّ الرّسول محمّد ﷺ
302	المسألة الثالثة: دلالة مفهوم السّنة النبويّة
303	المسألة الرابعة: منزلة السّنة من القرآن الكريم
307	المسألة الخامسة: الموقف من علوم الحديث
308	المسألة السادسة: حجّية الإخبار بالسّنة؛ بين نقد السّنند ونقد المتن
310	المطلب الثالث: العلاقة بين الكتاب والسّنة عند طه جابر العلواني وأثرها
312	أولاً: موقف المعتزلة من السّنة النبويّة
315	ثانياً: موقف القرّائيين من السّنة النبويّة
324	ثالثاً: موقف المستشرقين من السّنة النبويّة

330	رابعاً: موقف الحدائتين من السنّة النبويّة
332	خامساً: موقف العقلايين المعاصرين من السنّة النبويّة
336	المبحث الثالث: دعائم التفسير الموضوعي عند طه جابر العلواني
336	المطلب الأول: عوامل أساسية في المنهج التفسيري عند طه جابر العلواني
336	العامل الأول: القرآن هو النبي المقيم بين البشرية
338	العامل الثاني: القرآن كتاب مطلق كوني
339	العامل الثالث: توظيف العقل عملياً لتدبر القرآن الكريم
348	العامل الرابع: الزمان والمكان والحضارة
349	العامل الخامس: البعد الغيبي في تركيب الكون ومصيره
350	العامل السادس: المقاصد القرآنية العليا الحاكمة
351	المطلب الثاني: أدوات عملية استجلاء معاني القرآن عند طه جابر العلواني
351	أولاً: القرآن الكريم نفسه
351	ثانياً: المختارات من التراث التفسيري وغيره
355	ثالثاً: الجمع بين القراءتين
356	رابعاً: فقه الواقع والقراءة العصرية للقرآن الكريم
357	خامساً: قوى الوعي المتاحة
364	المطلب الثالث: القواعد الأساسية لتفسير القرآن الكريم عند طه جابر العلواني
364	القاعدة الأولى: القرآن لا يحتاج إلى تفسير
365	القاعدة الثانية: نظم القرآن هو حافظ القرآن وحارسه الأمين
368	القاعدة الثالثة: ليس في القرآن نسخ
369	القاعدة الرابعة: القرآن كله مُحكم وكلّه مُتشابه ولا مُبهم فيه
370	القاعدة الخامسة: حاكميّة القرآن الكريم
370	القاعدة السادسة: لا يختصّ بتفسير القرآن أيّ جيل
372	القاعدة السابعة: التركيز على المحدّدات المنهجية للقرآن الكريم
373	القاعدة الثامنة: التحلية والتّحلية
374	أهم نتائج الفصل الثاني
الفصل الثالث:	
دراسة التفسير الموضوعي عند طه جابر العلواني من خلال كتابه "تفسير القرآن بالقرآن"	
378	المبحث الأول: دراسة مصادر التفسير عند العلواني
378	المطلب الأول: دراسة الاعتماد على مصادر التفسير الأولى
378	أولاً: تفسير القرآن بالقرآن
385	ثانياً: تفسير القرآن بالسنّة النبويّة
390	ثالثاً: تفسير القرآن بأقوال السلف

395	رابعاً: تفسير القرآن باللغة العربية
396	المطلب الثاني: المصادر من كتب التفسير وعلوم القرآن وأثرها
396	أولاً: مصادره من كتب التفسير
428	ثانياً: مصادر طه جابر العلواني من كتب علوم القرآن
430	المطلب الثالث: المصادر من كتب السنّة والسيرة وعلوم الحديث والشروح
430	أولاً: مصادر طه جابر العلواني من كتب السنّة النبويّة
435	ثانياً: مصادر طه جابر العلواني من كتب السيرة والتاريخ
436	ثالثاً: مصادر طه جابر العلواني من كتب الشروح
436	المطلب الرابع: دراسة مصادر طه جابر العلواني من كتب العلوم الأخرى
436	أولاً: مصادر من كتب التّحو واللغة العربية والغريب
438	ثانياً: مصادر من كتب علم الفقه وأصول الفقه
441	ثالثاً- مصادر من كتب العقيدة
442	رابعاً: المصادر من مؤلفاته
443	خامساً: مصادر من العلوم والفنون الأخرى
444	سادساً: مصادر من كتب العلوم العصريّة
446	سابعاً: مصادر أخرى
447	ثامناً: التّقل مع عدم ذكر المصدر
450	المبحث الثاني: تطبيقات التفسير الموضوعي عند طه جابر العلواني
450	المطلب الأول: التفسير الموضوعي للسّورة القرآنيّة عند طه جابر العلواني
450	أولاً: رأي طه جابر العلواني في التفسير الموضوعي للسّورة القرآنيّة
451	ثانياً: تعامل العلواني مع ترتيب السّور في المصحف
452	ثالثاً: تعامل طه جابر العلواني مع ترتيب الآيات في السّورة الواحدة
453	رابعاً: مقوّمات الوحدة الموضوعيّة في السّورة القرآنيّة من خلال تفسير العلواني
454	خامساً: أمثلة لتوظيف طه جابر العلواني لمقوّمات الوحدة الموضوعيّة في السّورة القرآنيّة
454	المثال الأول: سورة الفاتحة
468	المثال الثاني: سورة الأنعام
508	المطلب الثاني: التفسير الموضوعي للموضوع القرآني عند طه جابر العلواني
508	رأي العلواني في دراسة الموضوع القرآني
509	دراسة تفسير الموضوع القرآني عند طه جابر العلواني
509	النموذج التطبيقي الأول: موضوع السّحر
510	أولاً: اختيار عنوان الموضوع القرآني
510	ثانياً: جمع الآيات التي تخدم الموضوع
520	ثالثاً: تسلسل توظيف الآيات المجموعة لدراسة موضوع السّحر عند طه جابر العلواني

520	رابعاً: ترتيب الآيات حسب النزول
520	خامساً: مراعاة المكي والمدني وموضوع كل منهما
520	سادساً: التناسب بين الآيات
520	سابعاً: الاستعانة بالأحاديث النبوية
521	ثامناً: الاستفادة من التفسير التحليلي
521	تاسعاً: استخلاص هدايات القرآن المستفادة من آيات موضوع السحر
523	النموذج التطبيقي الثاني: موضوع الزنا والجلد
523	أولاً: اختيار عنوان الموضوع القرآني
523	ثانياً: جمع الآيات التي تخدم الموضوع
526	ثالثاً: تسلسل توظيف الآيات المجموعة لدراسة موضوع الزنا والجلد عند طه جابر العلواني
529	رابعاً: ترتيب الآيات حسب النزول
530	خامساً: مراعاة المكي والمدني وموضوع كل منهما
530	سادساً: التناسب بين الآيات
530	سابعاً: الاستعانة بالأحاديث النبوية
531	ثامناً: الاستفادة من التفسير التحليلي
531	تاسعاً: استخلاص هدايات القرآن المستفادة من الآيات
532	المطلب الثالث: التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني عند طه جابر العلواني
532	النموذج الأول: مصطلح المس
532	أولاً: أخذ معنى الجذر الثلاثي من كتب اللغة العربية
532	ثانياً: ربط المعنى اللغوي للمصطلح القرآني مع الاستعمال القرآني
534	ثالثاً: ربط المصطلح القرآني مع السياق الذي ورد فيه، وبيان تناسب هذا المصطلح مع الآيات التي ورد فيها
535	رابعاً: استخلاص الدلالات والدروس والعبر من الآيات التي أوردت المصطلح
535	النموذج الثاني: مصطلح الأمانة
535	أولاً: معنى الأمانة
536	ثانياً: ربط المعنى اللغوي للمصطلح القرآني مع الاستعمال القرآني
536	ثالثاً: ربط المصطلح القرآني مع السياق الذي ورد فيه، وبيان تناسب هذا المصطلح مع الآيات التي ورد فيها
539	رابعاً: استخلاص الدلالات والدروس والعبر من الآيات التي أوردت المصطلح
542	المبحث الثالث: القيمة العلمية للتفسير الموضوعي عند طه جابر العلواني
542	المطلب الأول: خصائص التفسير الموضوعي عند طه جابر العلواني
542	أولاً: خصائص متعلقة بالتفسير الموضوعي الكشفي
548	ثانياً: خصائص متعلقة بالتفسير الموضوعي التجميعي
549	ثالثاً: خصائص متعلقة بدراسة المصطلح القرآني
550	رابعاً: خصائص عامة متعلقة بمنهج التفسير الموضوعي

551	خامساً: خصائص أخرى
552	المطلب الثاني: ضوابط التفسير الموضوعي عند طه جابر العلواني
553	الضابط الأول: الردّ إلى الأمر الأول وما كان عليه جيل التلقي
553	الضابط الثاني: معرفة المداخل التي تعارف بها القرآن
553	الضابط الثالث: ضبط المصطلحات والمفاهيم القرآنية قرآناً
554	الضابط الرابع: القيام بما لم يقم به الآخرون
554	الضابط الخامس: مراعاة المقاصد العليا الحاكمة للقرآن
554	الضابط السادس: الانتقاء عند اللجوء لمصادر التفسير
555	الضابط السابع: الاعتماد على قوى الوعي الطاهرة
555	الضابط الثامن: استنباط المشاريع الحضارية والاستخلافية والعمرانية
556	الضابط التاسع: صناعة الخطاب التفسيري المتلائم مع الواقع
556	المطلب الثالث: التجديد والمآخذ في التفسير الموضوعي عند طه جابر العلواني
556	أولاً: التجديد في التفسير الموضوعي طه جابر العلواني
562	ثانياً: المآخذ في التفسير الموضوعي على طه جابر العلواني
575	أهم نتائج الفصل الثالث
578	الخاتمة
الفهارس	
580	أولاً: فهرس الآيات القرآنية
608	ثانياً: فهرس الأحاديث
610	ثالثاً: فهرس الآثار
611	رابعاً: فهرس الأعلام والشخصيات
613	خامساً: فهرس الأحداث
613	سادساً: فهرس الأماكن
614	سابعاً: قائمة المصادر والمراجع
654	ثامناً: فهرس الموضوعات